kitabweb-2013.forumaroc.net

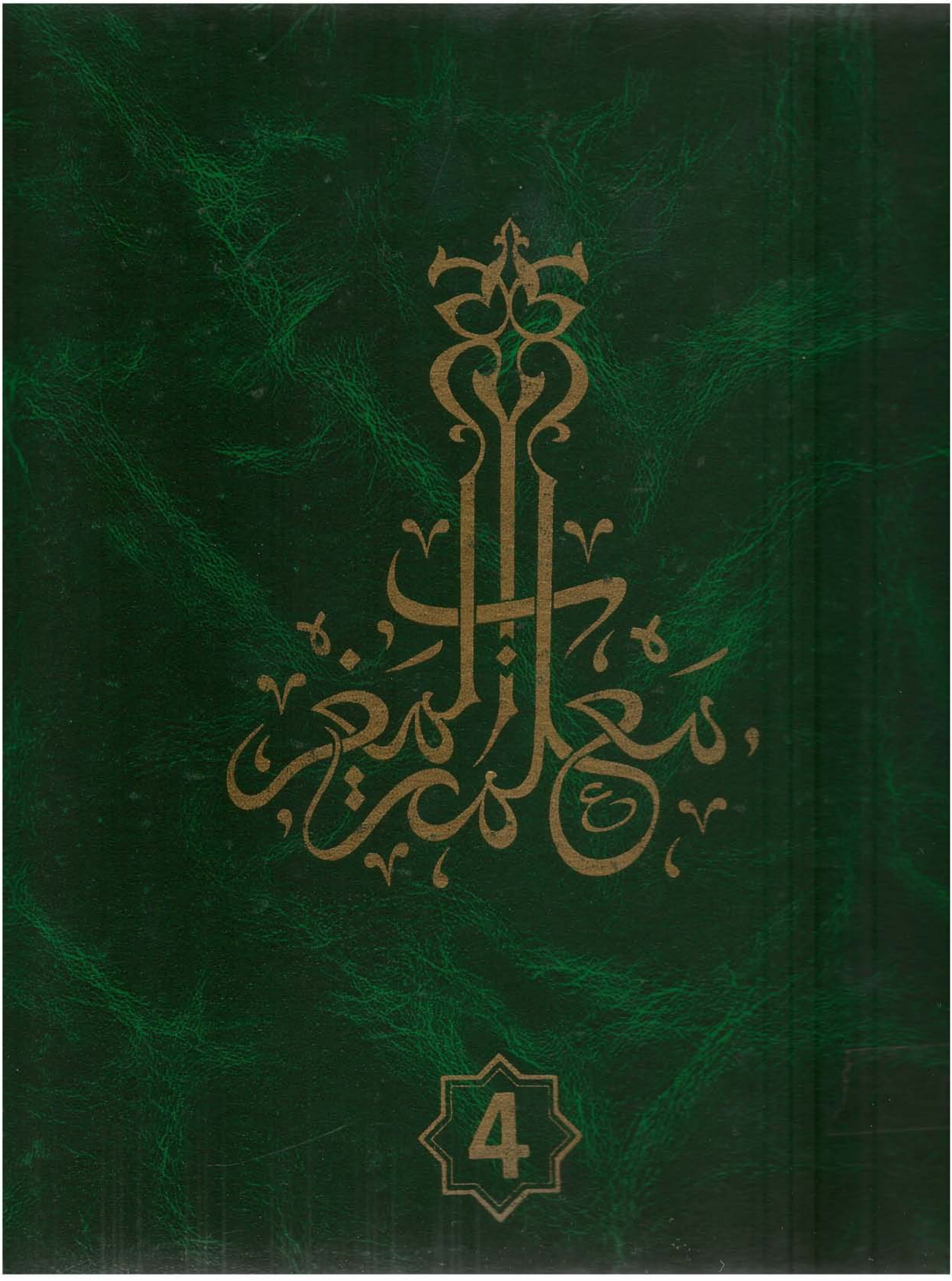

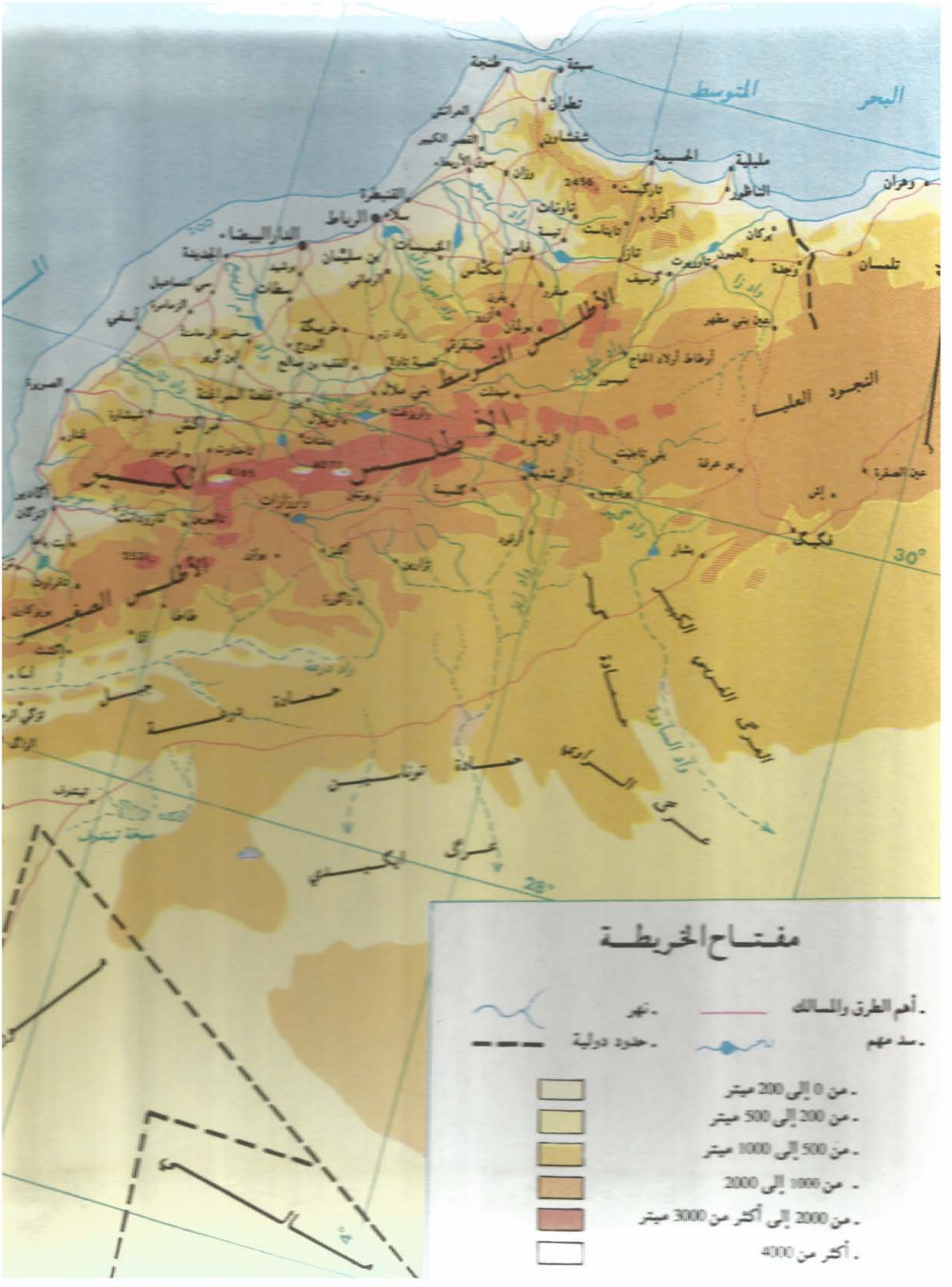
البحر المتوسط
طنجة
سبتة
تطوان
الحسيمة
مليلية
وهران
تلمسان
الدار البيضاء
الرباط
سلا
القنيطرة
فاس
مكناس
تازة
تيسة
تاوريرت
وجدة
بركان
الناظور
تارگيست
2456
تاونات
أكنول
تابيات
العيون
بني ملال
خريبكة
الجديدة
سطات
برشيد
الرماني
بن سليمان
الصويرة
أسفي
الرحامنة
مراكش
الأطلس الكبير
الأطلس المتوسط
الأطلس الصغير
النجود العليا
بشار
نگيگ
30°
25°
مفتاح الخريطة
. أهم الطرق والمسالك
. نهر
. سد مهم
. حدود دولية
. من 0 إلى 200 متر
. من 200 إلى 500 متر
. من 500 إلى 1000 متر
. من 1000 إلى 2000
. من 2000 إلى أكثر من 3000 متر
. أكثر من 4000

المغرب
خريطة عامة
مقياس : 1/5000.000
200 كلم 100 0 50 كلم
تنريف
لاگوميرا
الجزر الخالدات
لنزاروت
فوير تفنتورا
لاس پالماس دي كناريا
الأطلسي
200
طرفاية
الطاح
طنطان
سبخة الطاح
أبطيح
العيون
الحمونية
الكعلة
المسيد
بوجدور
سبخة اريدال
بوكراع
الساقية الحمراء
الحوزة
ايلر
اسمارة
القرسية
امكالة
أشتوكن
امركلي لبيض
واد الخط
اوغرانات
گلتة زمور
بئر أم اكراين
عين بن تيلي
الداخلة
العرگوب
أكرگر
بئر أنزوان
البكاري
أودرات
سبخة أغزومال
سبخة أم الدروس
ادرار سطوف
أوسرد
أغيلاس
لقروق
بئر گندوز
لگويرة
تيشلا
الزوگ
الزويرات
أدغال
20°

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

مكتبة كلية الآداب الكبير
BIBLIOTHEQUE
FACULTE DES LETTRES RABAT

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1991 -1411

جامعة ابن زهر
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير
تاريخ الدخول
رقم الجرد

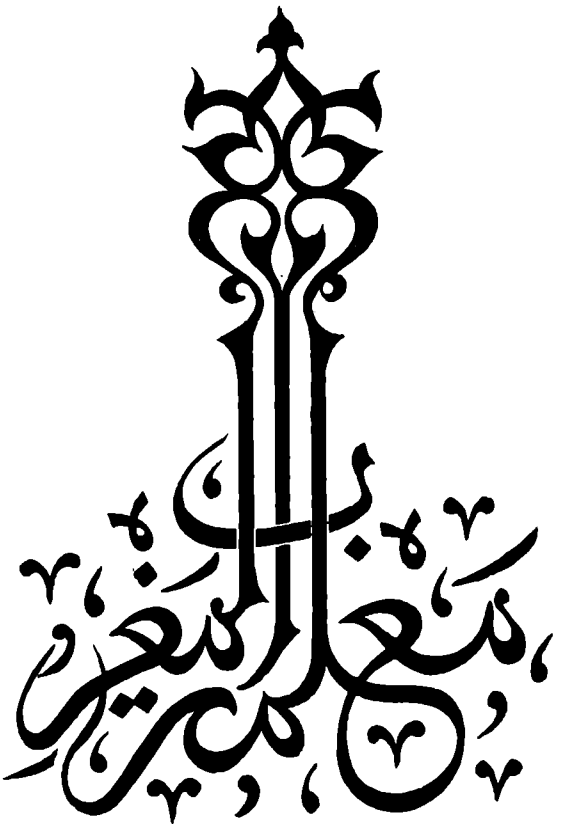

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئياً أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

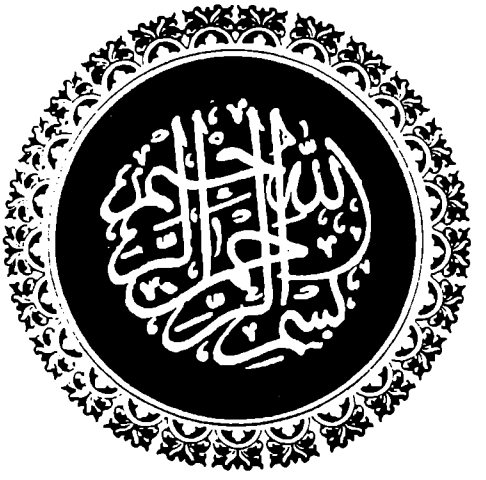
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر منظمة اليونيسكو والشركة الشريفة للبترول على مساهمتهما في إصدار هذا الجزء من معلمة المغرب

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :
- الخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط
كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

المشاركون في تحرير مواد حرف الباء

ميلود **أحمنّ**، كلية الآداب، مراكش
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
أ. ح. **أُسادّن**، طبيب، فاس
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أگادير
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **أقيوح**، مهندس، الرباط
عبد العزيز **أگرير**، كلية الآداب، بني ملال
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الحقوق، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب، فاس
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية
حمدي **أُنوش**، كلية الآداب، أگادير
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
مبارك **أوسديد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برّقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **البعاوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **البقالي يدري**، باحث
عبد السلام **البكاري**، باحث
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد الأمين **بلگناوي**، باحث، الرباط

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة
أحمد **بنجلون**، باحث، الرباط
ماجدة **بنحربيط علمي**، كلية الآداب، بني ملال
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
الزبير **بوحجار**، باحث
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات في خزانة تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بُودّة**، مهندس، الرباط
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
عبد القادر **بوسحابة**، مهندس، الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
العربي **بوعياد**، باحث، الرباط
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بومزگو**، باحث
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط

محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة الرباط
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
عبد القادر **تيمول**، باحث، الرباط
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محند أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان
حسن **الحافظي**، باحث
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **حنداين**، باحث
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أگادير
عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوردو
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أگادير
محمد **الرقاص**، كلية الآداب، الرباط
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
محمد **زكور**، كلية علوم التربية، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد النبي **زين العابدين**، باحث
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولى إسماعيل، مكناس
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
أحمد **الشرقي**، باحث، مراكش
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط

محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي** ـ العلوي، متحف الآثار، الرباط
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة
علي **صدقي أزيكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد بن **الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
محمد **طوزي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة
محمد بَن **عبود**، كلية الآداب، تطوان
عبد الفتاح أبو **العز**، كلية الآداب، بني ملال
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حليمة **فرحات**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب، القنيطرة
مصطفى **فنيتر**، باحث
خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمن **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد **القبلي**، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب، الرباط
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد القادر **كعيوا**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
محمد حسن **كفناني**، باحث
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الگير**، وزارة التربية الوطنية
ميشال **لاڤون**، باحث
حسن **اللبادي**، باحث
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس
محمد **اللحية**، كلية الآداب، أگادير
عبد الرحمن **لخصاصي**، باحث
أحمد أمزال **لعسري**، باحث
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس

أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
حسن **ليمان**، باحث
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
محمد العربي **المساري**، سفير المغرب في البرازيل
عبد الله **المصلوت**، مديرية التعليم العالي، الرباط
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أگادير
محمد **مفتاح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
محمد **الملحاوي**، باحث
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
جواد **المهدي**، باحث، الرباط
عبد الرزاق **مولاي رشيد**، كلية الحقوق، الرباط
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط
شاكر **الميلود**، باحث
محمد **الناجي**، باحث
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب، الرباط
زهراء **النظام**، كلية الآداب، الرباط
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **الوارث**، باحث
عبد الرحيم **وطفة**، باحث
مصطفى **يعرف**، باحث
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

بَحَايِر مراكش الموحدية، يقصد بالبَحيرة ـ في اللسان الدارج المغربي ـ البستان والجنان أو الأرض الفلاحية المخصصة أساساً للمغروسات من فواكه وخضر، وهي مناظر فلاحية منها مايوجد حتى داخل سور المدينة (*التشوف*، 317).

ارتبطت بداية هذه البحاير عضوياً بزمن تأسيس مراكش اعتباراً بأن المكان كان قبل ذلك "خلاء لأ أنيس به" (*البيان*، 4 : 19). وقد ذكر الإدريسي أن مراكش في صدر بنائها لم يكن خارجها سوى بستان واحد (*وصف*، 43) ولعله يقصد الأراضي الفلاحية جنوب السور المعروفة ببحيرة الصالحة. واعتباراً لأهمية المنجزات المائية التي عرفتها المدينة في عهد المرابطين، اتسع المجال الفلاحي المحيط بها (*وصف*، 43 : 44) وتم إنشاء بحاير خاصة في شرقها جوار وادي إغزر (ايسيل حالياً)(*Marrakech*, 1 : 88).

وقد عرف المجال الفلاحي الواقع خارج سور مراكش خلال فترة حكم الموحدين خاصة في عهد الخلفاء الأوائل منهم تطوراً كبيراً، تجلى في تشكيل حزام أخضر محيط بالمدينة "وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحاير العظمى مالا يحصى كثرة" (*الاستبصار*، 210)، وهذا يفيد انشغال الموحدين بإيجاد مجال حيوي لعاصمتهم، التي كانت تعرف نموا متزايداً في عدد سكانها (*البيان*، قسم الموحين، 153)، يضمن التزود بالحاجيات الفلاحية المختلفة، وبشكل عنصراً لتلبية متطلبات كمالية كالنزهة والترويح عن النفس (*المن*، 347).

في هذا الإطار يلاحظ تكرار وتعدد المصطلحات والتعابير التي لها صلة بهذا الجانب مثل : البحيرة، الجنان، البستان، الضيعة، المنتزه، الغابة. كمناظر فلاحية تحيط بالمدينة في هذه الفترة، يضاف إلى ذلك مجموعة أخرى تتعلق بأنواع الإنتاج مثل : الزيتون، الرمان، أعناب، ثمرات، فواكه. ومنها ما يهم حصيلة الإنتاج، حيث توجد ضيع تحمل مضمون القلة والكثرة والوفرة والكفاية والنقص، إضافة إلى بعض تقنيات الإنتاج كالسواقي.

على أساس ذلك يتبين أن المدينة كانت تتوفر على مناظر فلاحية (بحاير) يمكن تقسيمها من الناحية الجغرافية إلى أربع مجموعات تبعاً لواجهات السور الأربع :

مجموعة أولى : في الشمال : تشمل بساتين ومنتزهات ذكرها العمري أمام باب فاس (*ورقات*، 305.304)، ثم ضيعات وبساتين تاووتي التي كانت إحداهما في ملك رئيس الطلبة (*الذيل*، 170.1.8)، إلى جانب بحاير أخرى متفرقة (التشوف، 304).

مجموعة ثانية : في الغرب : من أبرز بحايرها، تلك التي أنشأها عبد المومن وتوجد أمام باب نفيس (*الاستبصار*، 210)، ثم بحاير المخالص (*البيان*، قسم الموحدين، 332) ومجموعات بساتين ومنتزهات أمام باب دكالة (*ورقات*، 304 ؛ *التشوف*، 474).

مجموعة ثالثة : في الجنوب : حيث بساتين المخزن الموحدي المتصلة مباشرة بالقصبة، وتضم ما تبقى من بحيرة الصالحة، ثم بستان المسرة الذي أنشأه عبدالمومن (*الحلل*، 146.145)، إلى جانب البحائر التي أضيفت على عهد المنصور (*الاستبصار*، 210)، حيث شكلت مجتمعة ما عرف بأگدال. وجنوبها كانت توجد بحيرة بولحرب (*البيان*، قسم الموحدين، 450).

مجموعة رابعة : في الشرق : هي بحيرة الرفايق (*نظم*، 118) ثم بحيرة الطلبة وبحيرة يطي (*البيان*، قسم الموحدين 434.389) ثم بحيرة أبي مروان (*التشوف*، 317). وجنى أمغار (*أخبار*، 78) ولعل بحيرة الناعورة كانت توجد أيضا في هذه الواجهة (*التشوف*، 469).

وتمكّن الإشارات المتوفرة من التمييز بين نوعين من ملكية البحاير :

ـ ملكية المخزن : وتشمل بني عبدالمومن (*الاستبصار*، 210) وأعوانهم (*الذيل*، 170.1.8) والمقرّبين إليهم (*الحلل*، 149)، ويمثل هذا النوع من الملكيات أهم البحاير سواء على مستوى المساحة أو التجهيز.

ـ ملكية الخواص : كانت مهمة أيضا. من مؤشرات ذلك أن مجموعة من الضياع كانت في ملك شخص واحد يسمى محمد ولد علي ويكنى بالذيب إضافة إلى 12.000 قنطار من الزيت، والرجل كان بعيداً عن المهام المخزنية (*الذيل*، 178.1.8).

وقد تميز الإنتاج بالتنوع، فهناك : الأعناب والرمان والنارنج وفواكه وخضر مختلفة، وكان الزيتون أبرز هذه المنتجات ولعل لذلك علاقة بكون هذه المادة إلى جانب تلبيتها للحاجيات اليومية للمدينة، أصبحت تدخل ضمن مواد التبادل في تجارتها (*الاستبصار*، 210)، ومادة ضرورية لبعض الحرف الموجودة بها مثل معاصر الزيت (*Marrakech*, 1 : 135)، وصناعة الصابون (*وصف*، 45).

أما من حيث الكم، فالوفرة، تبدو السمة الغالبة على المنتجات، والأثمنة عادية بالنسبة لزمانها، خاضعة في ذلك لأحوال الاستقرار وعدمه (*الحلل*، 146) وللتقلبات المناخية (*البيان*، قسم الموحدين 16).

هذه الصورة الجديدة للمدينة تعكس تحولا بيئياً في المجال. فقبل سنة 1070/462 كانت النعوت التي يوصف بها هذا الأخير لا تخرج عن : الخلاء، السدر، الحنظل (*البيان*، 4 : 19) الرمضاء، العطش، (*الاستبصار*، 210) بينما أصبح ينعت خلال النصف الثاني من القرن السادس(12 م) بأنه "أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات" (*الاستبصار*، 210).

ولعل بعض أسباب هذه التحول يمكن إرجاعها إلى ما يلي :

- أهمية الأشغال الهيدروليكية التي حلت مشكل الماء الشروب للمدينة ومياه السقي لمحيطها الفلاحي بواسطة تقنيات الخطّارات والصهاريج والسواقي، ومكنت من خلق مساحة مسقية بالحوز الأوسط - الذي يشكل مجال مراكش - ارتفعت من 5.000 هكتار خلال النصف الأول من القرن السادس(12 م)، إلى 15.000 في نصف الثاني (*Le Haouz*, 1 : 75).

مساهمة المخزن الموحدي فيما يبدو في تحفيز سكان المدينة على امتلاك أراضي فلاحية بهذا المجال لاعتبارات اقتصادية وبحكم توفّر الامكانيات المادية لنسبة من السكان خاصة. وإن الرخاء الاقتصادي الذي عرفته مراكش في منتصف القرن كان مشجعا على ذلك جاء عند ابن صاحب الصلاة "ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة، ودرت على الناس الخيرات دروراً،... وكثر المال في أيدي من توالى سمحه وبركته، وابتنوا بمراكش الديار العتيقة، واغترسوا خارجها أينع حديقة" (*المن*، 266).

في هذا السياق قدم ابن عبدالملك نموذجا دقيقاً، يتعلق بشخص من أهل المدينة يعرف بالفهمي كان يملك رباعاً كثيرة جيدة إلى جانب عقارات وحمام وغيرهما. وبلغ دخله اليومي من رباعه فقط 500 درهم (*الذيل*، 1.5.400).

- رغبة الموحدين وحرصهم على جعل مراكش باعتبارها عاصمة ملكهم تخلد هذا الحكم، وتجعله محل فخر واعتزاز (*البيان*، قسم الموحدين، 175) في هذا الإطار يلاحظ بالنسبة للجانب الفلاحي أن بعض البحاير المخزنية كانت تتوفر على كماليات من مستوى رفيع، مثل بستان المسرة الذي كان به حوض مائي مصنوع من الرخام تزينه تماثيل لحيوانات مصنوعة من المرمر والرخام في تناسق مع هندسة مياه الحوض، إلى جانب وجود معرضين للحيوانات الأول خاص بالأسود، والثاني خاص بالفيلة والزرافات وحيوانات أخرى من هذا الصنف (*وصف*: 106.105).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ت : سعد زغلول عبدالحميد ؛ ابن صاحب الصلاة ، *المن بالإمامة*، ت : عبدالهادي التازي ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت : أحمد التوفيق ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ت : محمود علي مكي ؛ م. ابن عبدالملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ت : محمد بنشريفة وإحسان عباس ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج : 4، ت : إحسان عباس - قسم الموحدين - ت : محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ مؤلف مجهول، *الحلل الموشية*، ت : سهيل زكار وعبدالقادر زمامة ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ت : محمد حجي ومحمد الأخضر، ج : 1 ؛ م. المنوني، ورقات.

G. Deverdun, *Marrakech* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t : 1, Rabat, 1972.

محمد رابطة الدين

البحر - تاريخ - يحيط بالمغرب من الشمال والغرب على امتداد مسافات طويلة تبلغ حوالي 3.000 كلم. وقد كان البحر وما يزال أكبر بوابة للمغرب للاتصال بالعالم الخارجي، فعن طريق البحر عرف المغرب الفنيقيين والقرطاجيين ثم الرومان والبيزنطيين في العصور القديمة، وعن طريقه عبر المغاربة إلى الأندلس منذ حملة الفتح وطوال العصر الوسيط، ثم لم تفتأ الأساطيل المغربية، التجارية والحربية، تخوض عباب البحر المحيط منذ مطلع العصر الحديث إلى اليوم.

نعم، يلاحظ سكوت مصادر المغرب التاريخية عن البحر والبحرية إلى حدود القرن الثالث(9 م)، غير أن الجغرافيين العرب قد أعطونا صورا مختلفة عن أنشطة الموانئ المغربية في القرون التالية. تحدث اليعقوبي عن ميناء ماسة وعن أنشطة السفن التي كانت تفدُ عليه من الشرق، وأبرز ابن حوقل علاقات بعض الموانىء المغربية بالأندلس، وأظهر الإدريسي أهمية سلا في علاقات المغرب بالأندلس. في حين بيّن البكري الأنشطة البحرية ونُظم تنقل السفن فيما بين موانىء المحيط (كوز وغيره) والبحر المتوسط. لهذا ومن أجل هذا وجب التراجع عن أحكام الكتابة الاستعمارية وتوجيه البحث والتنقيب في هذه المجالات المرتبطة بالبحر قصد استخراج روابط المغرب بالفضاءات المتوسطية والأطلنتيكية منذ الأزمنة الغابرة، سواء كانت أساطير ميتيّة أو وقائع وأحداثاً مازالت آثارها قائمة. وتكفي الإشارة إلى كل من طريفة وجبل طارق.

تعتبر مساهمة المرابطين والموحدين مساهمة هامة في تشييد وبلورة الحضارة المتوسطية، نلمس ذلك من خلال الوساطة التجارية التي لعبها المغرب بين افريقيا السوداء وأوروبا حيث اعتبر القرن السابع (13 م)، أوج الحضارة والحضور المغربي على الساحة المتوسطية. كانت سبتة من أكبر الموانىء في هذا البحر، وتميز المغاربة في هذه الفترة باتخاذهم المبادرة براً و بحراً. وكانت في ملكهم أساطيل تحدث عنها ابن أبي زرع حين ذكر أن عبد المومن كان يملك سنة 517 هـ حوالي أربعمائة وحدة موزعة عبر الموانىء بالمغرب الإسلامي كله. كما أن المؤسسات البحرية عرفت حركة نشيطة سواء تعلق الأمر بنظم الجمارك أو بدور الصناعة أو السكة.

واستمر الاهتمام بالبحر على عهد المرينيين، غيرأن بوادر الانكماش المغربي بدأت تظهر مع بداية المد الإيبري الذي يعتبر منعطفا تاريخيا حيث انتقلت المبادرة إلى الشمال. وشكل احتلال سبتة عام 1415/818 بداية لهذه الهيمنة التي لن تعرف إلا تزايدا. أدى هذا الاحتلال إلى خنق الاقتصاد المغربي ومنع المغاربة من المساهمة المباشرة في تشييد الفضاءات البحرية الجديدة.

غير أننا، بالرجوع إلى الكتابة البرتغالية نفسها، نلمس الإمكانات المادية التي قدمها المغرب لمنظمي ومجهزي هذه الاكتشافات. كما أن الوثائق البرتغالية والإسبانية المتعلقة بالمغرب تبين اهتمام المخزن السعدي بتشييد أسطول بحري وإن لم ينجح لأن الغزوات الإيبرية كانت تهاجم الموانىء المغربية وتغرق السفن التي توجد بها، كماحصل عام 1517.1516 في ماسة. لقد حاول محمد الشيخ بعد استرجاعه فاس عام 1534 تشجيع أوراش بادس. وتحتاج محاولات عبد الملك السعدي إلى توضيح أكثر نظراً لتجربته ومشاركته في عدة حروب بحرية لعل أهمها معركة ليبنتو. واعتبره المؤرخ المجهول أول من أمر بإنشاء السفن بالعرائش وسلا. أما أحمد المنصورالذهبي فسار في نفس الاتجاه كما توضح الوثائق، غير أن العمل البحري سيأخذ أبعاداً أخرى على إثر الطرد الموريسكي.

دار ومازال يدور نقاش كبير حول موضوع القرصنة. واختلف التعريف بها باختلاف زوايا مقاربتها : إنها اللصوصية والحرب المباحة والحرب الصغرى بالإضافة طبعا إلى مفهومي القرصنة والجهاد البحري. لقد تغير المفهوم في الزمان والمكان، لكن المؤكد أن الظاهرة قديمة وكونية، ولا نعتقد أنها مغاربية فقط كما زعم گاستون زلير. كما لا يمكن اعتبارها مجرد ردود أفعال مغاربية تجاه المبادرات الأوربية الخانقة للاقتصاد المغاربي كما ذهب إلى ذلك عبدالله العروي. بل هي ظاهرة قديمة، ولربما هي مجرد تحويل لعادات وممارسات من البر إلى البحر. كما أنها كانت ترتبط بالأوضاع السياسية والعسكرية للمناطق المجاورة أو المستعملة للطرق البحرية. لقد ازدهرت القرصنة بسبب تقوية السلطة لها لأنها كانت تدرّ عليها فوائد وأرباحا اقتصادية وسياسية داخل وخارج مجتمعها، وتعتبر قطاعا تجاريا شأنها شأن الملاحة نفسها.

لقد ربطت أوروبا القرصنة بالمسلمين لأسباب جيو/سياسية معروفة، إلا أننا نستغرب لتعامل الكتابة الأوربية مع ويلات قراصنة مالطة. ويزداد هذا العجب عندما نقرأ عن بطولات فرسان الجزيرة الذين لا يترددون في مد المساعدة للدول المتوسطية من أجل مهاجمة أساطيل برابرة إفريقيا ! يبدو لنا أن القرصنة كانت تستعمل كأداة سياسية وعسكرية من طرف هذه الضفة أو تلك. وقد حركتها ظرفيات وحتمتهاالمواجهة الثقافية وعززتها التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية.

اتخذت القرصنة أو الجهاد البحري بعداً سياسياً وثقافياً هامّين في مغرب العصر الحديث، لا سيما بعد الطرد الموريسكي وتفتيت الجهاز المخزني للدولة السعدية. أصبح شبح قراصنة سلا يطارد المخيلة الأوربية إلى درجة أنها أنتجت حوله الكثير من الأدبيات والأساطير المهولة.

أسس القراصنة "جمهوريتهم" بسلا وقيل عنها الكثير، إلا أنها مازالت بحاجة إلى دراسات وتنقيبات حتى نتمكن من رصد واستخراج أدوار هذه "الجمهورية" في تحول المواجهة من صراع مغربي إيبيري إلى مواجهة مغربية أوروبية (أوروبا الشمالية). لا شك أن البحث قد يظهر وسائل وأبعاد تدجين الجهاد البحري من طرف الجهاز المخزني قصد اعتماده واستغلاله كورقة دبلوماسية. استخدمه المولى إسماعيل للضغط على أوروبا من أجل اقتناء الأسلحة. وربما بسبب هذا الاستعمال تراجعت عمليات الجهاد البحري كما توحي بذلك بعض الوثائق : «لقد تخلى تجار سلا عن تجهيز وتسليم السفن للقراصنة بسبب المصاريف الباهظة التي لا تضمن لهم أرباحا لأن السلطان كان يجد دائما المبررات لسلب كل ما تعود به سفنهم» (*S.I.H.M., France*, 4 : 707).

لم تتراجع سياسة المخزن البحرية، على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، بل عرفت نفساً جديداً وتوجهات أخرى. لقد تكون هذا السلطان في خضم وأبعاد الأزمة التي تلت وفاة المولى إسماعيل، وتقلد عدة مهام قبل أن ينفرد بالحكم، ومن ضمن هذه المسؤوليات تسييره لميناء أسفي.

لقد كان هذا السلطان يتوفر على خطة واضحة المعالم في هذا المجال : شجع صناعة السفن الكبيرة، وشيد الموانئ وجهزها، وربط الأسطول وأموره مباشرة بالدولة. كما حاول بلورة مشروع سياسي أهمّ ما تميز به توجهاته الإصلاحية في ميادين مختلفة، لعل أهمها اهتمامه بتقوية السياسة البحرية عن طريق خلق أسطول سلطاني وإصلاح ثم تجهيز موانىء فضالة والدارالبيضاء وسلا، وبالخصوص إحداث مدينة الصويرة : «ثم خرج منها لناحية سلا فنزل بالدار البيضاء فرأى مرساها فأعجبته ووبخ أهل الرباط انهم كانوا يعيبونها له لأنهم كانوا يخافون من عمارتها... فأمر ببنائها وأمر ببناء السور وأذن للنصارى أن يحملوا منها الزرع» (*الضعيف*، 1 : 349).

ربط محمد بن عبدالله كل المؤسسات البحرية بشخصه عن طريق أداء الأجور للبحارة والرياس والإشراف على صناعة السفن كما ذكرنا. ولعل المعاهدات العديدة التي أبرمها مع الدول الأوربية تبين بشكل واضح هيمنة البنود الخاصة بالبحر وشؤونه. وقد حاول تعمير الموانئ عن طريق تشجيع السكان على التوجه من المدن الداخلية إلى الموانىء، وتظهر بعض الكنانيش كيف عمل على نقل أصحاب الحرف من المدن الداخلية إلى المدن الساحلية عموما وبالخصوص إلى ميناء الصويرة. حاول أن يجعل من هذه المدينة عاصمته الدبلوماسية، كما تلح على ذلك عدة

وثائق وتقارير أجنبية. ونلمس من خلال أقوال ابن عثمان اهتمام المغرب بتكوين الأطر البحرية في بلدان أوروبية كإسبانيا (*الإكسير*، ص 41).

ومع حلول الثورة الفرنسية وخلال القرن التاسع عشر يمكن الحديث عن تخلي المغاربة عن البحر لأنه أصبح مصدراً لويلاتهم ورمزاً لتفوق أوربا المتخذة للمبادرات. أصبحت السفن البخارية شعار هذا التفوق وأداة في يد الغرب لحمل المغرب على قبول كل الضغوط والمبادرات، وما المعاهدات الموقعة خلال القرن التاسع عشر إلا تدرج أدى حتما إلى معاهدة مارس 1912.

وبعد الاستقلال استرجع المغرب اهتماماته البحرية، يتجلى ذلك فيما أنشىء من معاهد لتكوين البحارة والتقنيين مدنيين وعسكريين، وفي توفير أعداد قطع الأسطول البحري بكيفية مطردة وفي مختلف الميادين.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ اليعقوبي، *التاريخ* ؛ م. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار*؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت : م. البوزيدي ؛ م.ابن عثمان، *الإكسير*، ت : م. الفاسي ؛ ع. قدوري، *صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 15، 1990.

عبدالمجيد قدوري

البحر،(جزيرة ـ) Isla de Mar تعرف بهذا الاسم عند الإسبان الجزيرة الصغيرة المجاورة لجزيرة النكّور السليبية، كما تعرف بجزيرة الحمام Isla de las Palomas وبجزيرة القديس أغوسطين de San Agustin في حين أن اسمها الحقيقي هو جزيرة تيزيران، وتقع على بعد نصف كيلومتر من شاطئ قبيلة بني ورياغل.

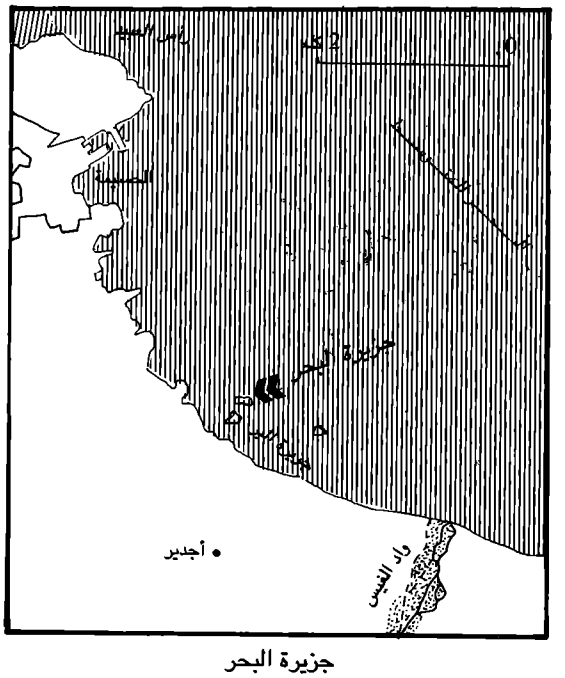

جزيرة البحر

هذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي تعرف بـ Ad sex insulas في *رحلة انطونينو Itinerario de Antonino* ولم نجد لها ذكرا في المصادر المغربية.

ويزعم الإسبان أنهم احتلوها يوم استيلائهم على جزيرة النكور في 28 غشت 1673 ولذلك اتخذوها مقبرة لموتاهم.

Blazquez y Delgado ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Geografia Marruecos*, p. 63 ; Comision Historica, *Geografia*.

محمد ابن عزوز حكيم

بحر بسّول، مصطلح نعت به الجغرافيون العرب المساحة البحرية الواقعة جنوب شبه جزيرة سبتة الممتدة جنوبا إلى الرأس الأسود Cabo-Negro، وذكره صاحب *اختصار الأخبار* باسم "أبي السول" مفصّحاً ما كان ينطق به العامة على ما يبدو.

الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، 2 : 528 ؛ مجهول، *الاستبصار*، ت. سعد زغلول عبد الحميد، ص. 137 ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب*، ت. دوسلام، ص. 103.

El Badisi, *El-Maqsad*, trad. fr. G. S. Colin, *A. M*, vol, XXVI, 1926, p. 98, Nº 331 ; Vallve Bermejo. J, *Descripcion de Ceuta Musulmana en el siglo XV*, *Al-Andalus*, vol XXVII, fasc 2, 1962, p. 436, Nº 108.

زليخة بنرمضان

بحر البوران، حوض بحري ذو مساحة متواضعة، يمثل الجزء الغربي من البحر المتوسط. يمتد وسط القوس الريفي ـ البيتي، على مسافة 350 كلم شرق ـ غرب، 165 كلم شمال ـ جنوب. فهو إذن بحر شبه مغلق غربا، حيث لا يتصل بالمحيط الأطلسي إلا عبر مضيق جبل طارق، بينما ينفتح شرقا على الحوض الجزائري ـ البلياري الذي يكون الجزء الأهم من البحر المتوسط الغربي. تحده شمالا وجنوبا سلاسل جبلية مشرفة إشرافا مباشراً، تتمثل في السلسلة الريفية جنوبا، بين سبتة ورأس مليلية والسلسلة البيتية شمالا بين جبل طارق وألميرية.

فهو بحر عند اتصال ميدانين، المتوسطي والمحيطي، وبالتالي يكون على المستوى الهدرولوجي منطقة عبور للمياه المتنقلة من كل من الميدانين إلى الآخر. كما يمثل حوضا ضيقا تشرف عليه مرتفات جبلية حديثة، تتميز بعنف وتردد تشويهاتها البنائية، ولهذا فهو بالتالي مجال غير مستقر، تعرف فيه القشرة استمرارية الحركات التكتونية.

I: جيولوجيا ومرفلوجية الحوض البحري :

يتكون بحر البوران من حوضين عميقين أحدهما شرقي، ينفتح على الحوض الجزائري، والآخر غربي يتصل بمضيق جبل طارق، تفصلهما سلسلة من القعور العالية، لها اتجاه شـ ش شـ، غ ج غـ، تبرز منها جزيرة بركانية صغرى، هي جزيرة البوران.

ويفسر انفتاح بحر البوران، بحدوث حركة أفقية نحو الغرب، همت صفيحة جزئية تسمى صفيحة البوران، كانت تفصل بين الصفيحتين الأوربية والإفريقية، هذه

الحركة جعلت أجزاء من الصفيحة الوسطى تساهم في بنية السلسلة الريفية، بينما تم ترقيق القشرة في البحر، الشيء الذي سمح بتسرب محلي لصخور بركانية قاعدية. وقد تم هذا بعد تكوين القوس الريفي ـ البيتي، أي في مرحلة ارتخاء تنتمي لنهاية الميوسين.

ومنذ ذلك الحين انطلق التراكم الرسوبي في البحر وجوانبه القارية أثناء فترات الغمر والطغيان. كما توالت على التجعد الأوسط مراحل تكتونية متعددة هي المسؤولة عن البنية الملتوية للرواسب. وقد ترسبت في الأحواض مجموعة سميكة، تتمثل في أوحال سفلى بليوسينية، ثم مواد مفروشة رباعية منافرة لها، مما يدل على حدوث حركات هامة بين السلسلتين الرسوبيتين.

2 ـ التاريخ التكتوني للبحر وهوامشه الجبلية :

ينطلق تاريخ بحر البوران من فترة البنائية المسؤولة عن تشكيل القوس الريفي ـ البيتي. خلال نهاية الميوسين الأوسط، لما تم زحف جزء من صفيحة البوران على الريف الداخلي، مكونا السلاسل الكريوناتية وما خلفها من ظهورات للقاعدة القديمة.

عندئذ حلت محل صفيحة البوران، قشرة محيطية مرققة، هي الأصل في الأحواض البحرية. وبانطلاق المرحلة الارتخائية، تهدل المجال البحري وعدد من الأحواض الانكسارية الهامشية، مما سمح بترسيب كميات هائلة، تقدر بآلاف الأمتار من النيوجين الأعلى.

ابتدأ الإرساب بمواد الطرطوني الفتاتية، تلتها الأوحال الميسينية التي تدل دقتها على محو المرتفعات. وانتهى الميسيني برواسب تبخارية مزامنة لما يسمى بالازمة الملحية، لما تراجع مستوى البحر لأسباب هزهزية، وانغلق الاتصالات بين المتوسط والمحيط، وعرفت مياه المتوسط تركزاً ملحياً تسبب فيه العجز بين التبخر الشديد وقلة الواردات العذبة. إلا أن المؤلفين حاليا لا يقبلون فكرة الجفاف الكامل للبحر، بل يعتبرون أن البيئة ظلت بحرية لكن حبيسة، مما أدى إلى تجزئ المجال البحري بعد انغلاق الممرات.

بحر البرهان (البوران)

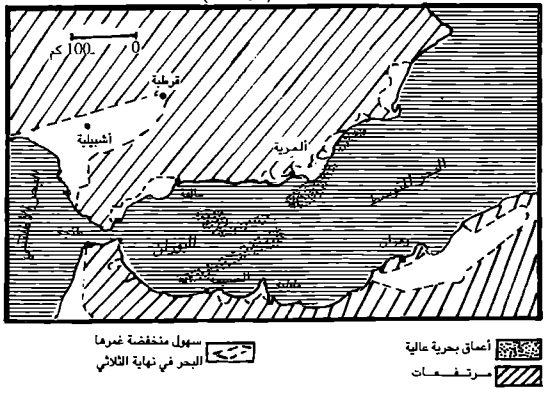

وفي البليوسين، انفتح البحر من جديد على إثر حدوث انكسارات أساسية أنشأت مضيق جبل طارق. وقد تزامن هذا مع فترة طغيان بحري، الشيء الذي تسبب في صعود مستوى المياه، على طول أودية سبق حفرها على شكل خوانق ضيقة في الميسيني. ولذا نرى الرواسب البليوسينية متداخلة وسط الرواسب الميسينية السابقة.

وقد عرفت بداية الرباعي تغيراً شاملاً في النظام التكتوني، حيث تحول الوضع إلى بنائية انضغاط من جديد، بعد أن استمرت مرحلة الارتخاء خلال نهاية النيوجين. وتفسر الحركات الانضغاطية مجموعة من الطيات ومن الانكسارات العكسية والانخلاعات، هي المسؤولة عن تشوه الرواسب السابقة خاصة على طول التجعد الأوسط الفاصل بين الحوضين الشرقي والغربي من بحرالبوران. واستمر الانضغاط خلال الرباعي الأوسط والحديث في الحاشية الشمالية من البحر وفي البحر نفسه، بينماعوضته جنوبا في السلسلة الريفية حركات ارتخائية، واكبتها بركنة قليلة تتضح آثارها في الريف الشرقي، وتشويهات واسعة الآفاق همت المجال الساحلي

وقد ظل النشاط البركاني مواكبا لكل مراحل التطور، في السلسلتين المشرفتين على البحر، أي في الناحية الشرقية من السلسلة البيتية، وشرق الريف، بينما لم يمس النشاط البركاني القوس نفسه. ويمكن تحديد ثلاث فترات بركانية أساسية، الأولى طرطونية حدثت منذ عشرة ملايين من السنين، أعطت صخورا ريوليتية، والثانية ميسينية (4 إلى 5 ملايين سنة) تركت طفوحا اندزيتية، والأخيرة من البليوسين والرباعي هي المسؤولة عن الطفوح البزلتية. أما النشاط الزلزالي، فهو موزع في كل المجال الذي تشغله السلسلتان، مما يدل على تجابه قاري بين الصفيحتين الأوربية والافريقية، دون أن يكون من الممكن تحديد الموقع المضبوط للحدود بين الصفيحتين داخل بحر البوران بينما يتضح الفصل بينهما في المحيط على طول انكسار شرقي ـ غربي.

3 ـ الهامش المغربي لبحر البوران :

يمتاز هذا الهامش بتعقيده. ذلك أنه يكون غربا نقطة انطلاق التجعد الذي يتوسط البحر فاصلا اياه إلى حوضين، بينما يشرف شرقا على الحوض الأكبر الممتد نحو الحوض الجزائري. ويمتاز هذا الحوض بضعف عمقه غربا حوالي 450 م بينما تتزايد الأعماق كلما توجهنا شرقا لتصل حتى 1.800 م تحت مستوى سطح البحر.

وتفصل القارة عن الاحواض البحرية هضاب قريقارية تمتاز بضيقها العام. مع تغايرات من الغرب إلى الشرق امام سلسلة بقوية، لا تتعدى الهضبة 2,5 كم اتساعا و 100 م عمقا، بينما يخددها خانق عميق هو استمرار لواد نكور. وتتسع الهضبة بين رأس طرف وراس مليلية 15 كم. ثم شرق هذا الرأس تنحدر الهضبة ببطء حتى عمق 400 م، دون أن تفصلها عن الأحواض، الحافة المعتادة.

4 ـ المناخ والهدرولوجيا :

ينتمي بحر البوران والمجالات المطلة عليه إلى النظام

المناخي المتوسطي. لكن موقعه الخاص على شكل ممر ضيق يمثل مدخلا للبحر المتوسط، ينفتح على المحيط الأطلنتي ويعطيه صبغة خاصة. أما موقعه العرضي المتمحورعلى خط عرض 36 درجة فهو يجعل منه الجزء من البحر المتوسط الأكثر جنوبية.

هذه المعطيات المتناقضة المفعول، تتضح في التغايرات المجالية، رغم عدد من الخاصيات العامة.

الخاصيات العامة للبحر وهوامشه، يشترك فيها مع باقي المجالات المتوسطية، وتتمثل في حدة جفاف الصيف، الشيء الذي يفسر نجاح النمو السياحي على الساحلين الإسباني والمغربي، وتركز الأمطار في فترة قصيرة، مع ضعف عدد أيام التهاطل (أقل من سدس أيام السنة).

أما الاختلافات الإقليمية فهي ترجع لموقع البحر على مقربة من المحيط وتياراته الهوائية المضطربة. وهكذا نلحظ تدرجا نحو الجفاف، انطلاقاً من مضيق جبل طارق نحو الشرق. فمحطة سبتة 583 م تتلقى أكثر من ضعف تهاطلات مليلية، ومرتين ونصف تهاطلات ألميرية.

على الساحل الشمالي، تبقى الظروف رطبة نسبيا حتى محطة موطريل شرق مالقة، ويبقى الغطاء النباتي الغابوي مهيمنا، بينما تتدهور الظروف سريعا على الساحل المغربي،(مليلية : 324 م) ابتداء من جبهة. لكن الأوضاع تنعكس شرقا، حيث يصبح الساحل المغربي في ناحية مليلية وملوية، أكثر رطوبة من نظيره الاسباني (ألميرية : 243) .

وتمتاز المحطات الغربية بقصر الفصل الجاف، حيث لا يتعدى عدد الشهور الجافة خمسة أشهر (الشهر الجاف = تهاطلات أقل من مرتين من الحرارة). كما تضم بعض الشهور الرطبة جدا والتي تتعدى فيها التهاطلات مقدار ست مرات الحرارة. أما في المحطات الشرقية فإننا نصل، وخاصة على الساحل الإسباني إلى ظروف جافة جدا (رأس گاطا : 140 م)، مع ظهور عدد من التأثيرات النباتية السهوبية.

بالنسبة للهدورلوجيا القارية، يمتاز محيط البحر بمحدودية الجريان فيه وذلك لعموم قصر الأحواض النهرية، ونظامها السيلي المتناقض، إذا استثنينا نهر ملوية الذي يصرف جزءاً من الأطلس وجل الهضاب العليا.

وفيما يخص الهدرولوجيا البحرية تجب الإشارة إلى أن بحر البوران هو بحر تركز، يفقد عن طريق التبخر مما يرد عليه من مياه عذبة مطرية ونهرية. وهذا ما يفسر الحركة المائية التعويضية القادمة من المحيط. وتمتاز المجموعتان المائيتان بالتناقض في حرارتها وملوحتها، الشيء الذي يفسر تعدد الحركات والتيارات.

في بحر البوران ثلاث كتل مائية أساسية : طبقة سطحية محيطية، حرارتها حول 16 درجة وملوحتها معتدلة 36 درجة. وتمتد حتى عمق 200 م. تحتها طبقة وسطى هي عبارة عن مياه متأصلة من البحر المتوسط الشرقي، حرارتها 14 درجة وملوحتها 38.5٪، وعمقها بين 250 و800 م. وأخيرا طبقة عميقة تنشأ في فصل الشتاء في الحوض البروفانسي، وحرارتها 12 درجة.

حركات المياه تختلف حسب عمقها. تعرف المياه السطحية الأطلنتية حركة ضد إعصارية دائرية و لها شعاع 60 كم، قبل أن تنقسم إلى تيارين شرق راس مليلية، أولهما يتوازى مع الساحل الجزائري والثاني يرجع نحو المضيق.

أما المياه العميقة فحركتها نحو الغرب، بسرعة ضعيفة، وتمتاز مياه بحر البوران أخيرا بضعف تراقصها الذي لا يتعدى 90 سم في أشد الحالات، ويتحدد في نصف متر في أغلبها.

B. El Moumni, *La Sédimentation au quaternaire terminal dans la partie S. de la mer d'Alboran.* Thèse, Perpignan, 212 p ; J. M. Auzende, *The origin of the Western Mediterranean basin, J.Geol. Soc. Lond*, 129, 607, 620 ; M. Durand Deiga, *La Mediterranée occidentale. Soc. Geol.* Fr, Mem. H. S. 10, 203, 224; D. Hatzfeld, *Etude sismo-tectonique de la zone de collusion ibero-maghrébine.* Thèse d'Etat, Grenoble, 281 p ; J. L. Olivet, Auzende, et J. Bonnin, *Structure et evolution technique du bassin d'Albora, B.Soc. Géol*, Fr , (7), 15, 108, 112 Bergnaud-Grazzini, C et Bartolini, C. *Evolution paléoclimatique de sédiments Wurnens et postwûrmiens en mer d'Alboran, Rev. Géo. Phys. et Géol. Dyn*, 12, 325-334.

عبدالله العوينة

بحر الرملة (سبتة) مصطلح جغرافي أطلق خلال العصور الوسطى الإسلامية على الشريط البحري الواقع جنوب مضيق جبل طارق، ويشمل فقط المساحة البحرية الممتدة من شمال شرق سبتة إلى قصر المجاز (قصر مصمودة) غربا. تحف سواحله رمال كثيرة، ومن ثم يكون قد جاء اسمه. تنتشر بهذا البحر عدد من الجزر أو النتوءات الصخرية، ويتميز الشريط الساحلي بتعدد خلجانه التي كانت تعد من أخصب الأحواض البحرية لصيد الأسماك، ويستخرج منه المرجان الذي كان يصدر إلى مختلف جهات العالم. وقد استخدمت هذه الخلجان كمرافيء للسفن لوجودها في مأمن من الرياح، أهمها ميناء مدينة سبتة أو "حفرة عتار" وهو الاسم الذي عرف به خلال العصر الإسلامي للمدينة، وخليج بليونش أو بنزو Benzos.

أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 1983، ص 50.51 ؛ الحميري، *الروض المعطار*.

El Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. De Slane, Alger, 1913, p. 203.

بحر الزقاق، أو (بحر المضيق) مصطلح جغرافي يرد في كتب الجغرافيا الإسلامية للدلالة على الطرف الغربي الضيق من البحر المتوسط أو البحر الرومي أو الشامي كما كان يعرف سابقا. يحدد خطأ بين ألمرية ومليلية غربا، وجزيرة طريف شرقا (*Geographie*, 2 : 32. n° 2 ، *الإحاطة*، 3 : 133، إحالة رقم 1)، إذ الصحيح أن الجغرافيين العرب كانوا ينعتون به أقصى الطرف الغربي الأكثر ضيقا، أي بحر المضيق الحالي الممتد بين جزيرتي طريف والخضراء على الساحل الأندلسي، وبين مدينتي طنجة وسبتة على الساحل المغربي. ينفرد ابن سعيد المغربي في تحديد بدايته عند أصيلا ونهايته عند سبتة على امتداد أربعين ميلا (*كتاب الجغرافيا* : 138).

تصف المصادر أخطار وأهوال أمواجه المتلاطمة والمتدفقة من المحيط الأطلسي أو بحر أقيانوس كما كان يسمى قديما، في اتجاه البحر المتوسط، إذ بعظمتها وعلوها كانت تشكل خطرا على السفن التي كثيرا ما كانت تتحطم على السواحل خصوصا عند هبوب الرياح الشرقية. من مميزات هذا البحر أيضا أنه يجزر ويمد مرتين في كل يوم وليلة (*مروج الذهب*، 1 : 119 ؛ *نزهة المشتاق* 2 : 526 ؛ *كتاب الجغرافيا*، 138، 214، *Description*).

إلى جانب المعطيات الجغرافية الحديثة، تُذكر تاريخياً عدة روايات حول أصل هذا البحر، تتفق في معظمها على أن البحر المتوسط كان أصله عبارة عن بحيرة قارية مغلقة، إلا أنها تختلف حول محدث الزقاق ودوافع ذلك. تذهب إحداها إلى أن حفر الزقاق كان من إنجاز الإسكندر الأعظم بطلب من الإسبان القدامى المتضررين من غارات أهل سوس. أفاضت الرواية في وصف ضخامة الإنجاز وتعداد مراحله، فحددت هندسته ومقاييسه ونتائجه (*نزهة المشتاق*، 2: 529 ؛ *الروض المعطار*، 509). في حين ترى رواية أخرى أن الزقاق من عمل بنى دلوكة وارثي عرش مصر بعد الفراعنة ليجعلو حاجزا بينهم وبين الإغريق (*مروج الذهب*، 1 : 358 ؛ *E.I.* 963).

وحسب روايات أخرى فإن الزقاق كان في أصله عبارة عن خلجانات صغيرة تقطعها قنطرة مبنية بالحجارة والطوب ممتدة على طول اثني عشر ميلا، تنطلق من طنجة وتنتهي عند مكان يعرف بالصفيحة على الساحل الأندلسي. تمضي الرواية في وصف القنطرة وبنائها المحكم والعجيب. كما تحدد دورها في الربط البري بين الساحلين الأندلسي والمغربي لمدة طويلة استمرت إلى ما قبل الفتح الإسلامي للأندلس بحوالي مائتي سنة حسب رواية صاحب *الاستبصار*، أو ما قبل الفتح الإسلامي لمصر بمائة سنة حسب رواية المسعودي، إذ فاضت مياه البحر، فأغرقت القنطرة. من آثار هذه الرواية في ذاكره أهالي الأندلس إعطاؤهم اسم «القنطرة» لأحد المواضع على الساحل الأندلسي المقابل للساحل المغربي (*الاستبصار*، 138 ؛ *مروج الذهب*، 1 : 348، 349 ؛ *العبر*، 6 : 195 ؛ *الروض*، 509).

أبو الفداء، *الجغرافيا* ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب* ؛ المسعودي، *مروج الذهب* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج : 1 و 6.

زليخة بنرمضان

البحر المتوسط ـ جغرافيا بشرية ـ يحتل حوض البحر المتوسط مرتبة هامة في تاريخ وحضارة الانسانية. فهو مهد أرقى الحضارات التي عرفتها البشرية كما ظل طيلة آلاف السنين مركز العالم القديم وقلبه النابض، ثم مع التطورات التي عرفها العالم والتي نتج عنها ظهور مراكز ثقل جديدة على أطراف المحيطين الأطلسي والهادئ فقد البحر المتوسط هذه المرتبة. وهو اليوم ومنذ عقدين أو ثلاثة في طريق استرجاع جزء من أهميته نتيجة عدة عوامل من بينها بناء السوق الأوربية المشتركة على ضفته الشمالية الغربية وظهور التجمعات الإقليمية على ضفتيه الجنوبية والشرقية والوزن الديمغرافي والاقتصادي المتزايد للدول المشرفة عليه وخاصة النمو السريع للنشاط السياحي الذي جعل منه محج الملايين من السواح والزائرين.

ويصعب الكلام عن البحر المتوسط دون التعرض للبلدان المشرفة عليه. فمثل التقلبات التاريخية التي عرفتها هذه البلدان ترتبط الحياة الاقتصادية لهذه البلدان ارتباطا وثيقا بالبحر. ويمكن تركيز دراسة علاقات البلدان المتوسطية ببحرها على أهم ميادين استغلال هذا البحر كالصيد والنقل والسياحة. غير أن هذا الاستغلال المكثف الذي بدأ منذ فترات التاريخ القديم لبحر يكاد يكون مغلقا نتجت عنه اضطرابات ايكولوجية ومشاكل بيئية لا يمكن اغفالها.

استغلال الثروات البحرية : يرتكز نشاط الصيد بسواحل البحر المتوسط على ثروات بحرية لا بأس بها وعلى تقاليد عريقة كما أن هذا النشاط جد متنوع. وقد استغلت منذ القدم الأسماك السطحية المهاجرة كالسردين والاسقمري والتن والانشوفة. أما المناطق الرئيسية لصيد الأسماك السطحية فتوجد على الخصوص بالأرصفة القارية القريبة من مصبات الأنهار الكبرى (خليج المسد، سواحل إسبانيا، الرصيف القاري المواجه لدلتا النيل) أو بمقربة من المضايق (بحر البوران، الممر الفاصل بين تونس وصقلية، هوامش مضيق البوسفور). أما استغلال الأعماق عن طريق صيد الأسماك القعرية فتستعمل فيه بالخصوص المراكب الجيابة التي تبحث عن الأسماك والقشريات للاستهلاك الطري عن طريق جر شباك كبيرة.

ويضاف إلى نشاط الصيد البحري هذا استغلال البحيرات الساحلية في الصيد وتربية الصدفيات والأسماك. وتتمركز أكبر المناطق انتاجا بإيطاليا (خليج طارنطا وساحل نابولي) وفرنسا (حوض الطو قرب مدينة سيت). وبينما تقدر حاجيات بلدان حوض البحر المتوسط من المنتجات البحرية بأربعة ملايين من الأطنان سنويا، لا تغطي الكميات المصطادة بالحوض سوى رُبع هذه الحاجيات على أن 78،5٪ من مجموع ما يصطاد بالبحر المتوسط يعود لأساطيل بلدان أوروبا المتوسطة بينما الباقي تقتسمه بلدان الضفة الجنوبية والشرقية للحوض.

وتمتاز السواحل المتوسطية المغربية بثروات بحرية لا بأس بها من حيث الكم والتنوع. فهي تحتضن أسماكاً سطحية مهاجرة وأخرى قعرية وصدفيات وقشريات. غير أن وزن الساحل المتوسطي يبقى ضعيفا إذا ما قورن بموانئ الساحل الأطلنتي وخاصة الجنوبية (خريطة 1 وجدول 1). فإذا أضفنا ميناء طنجة إلى الموانئ المتوسطية المغربية الأخرى، فإن مجموع الموانئ الشمالية لا يتوفر سوى على 11٪ من مجموع أسطول الصيد المغربي التقليدي مع غلبة

المراكب ذات التجهيزات التقليدية. و16٪ من مجموع الأسطول المتوسطي هي عبارة عن مراكب شراعية أو مجدافية صغيرة. تشغل هذه الموانئ كذلك نسبة قليلة من البحارة 26.4٪ وبالتالي فإن الكميات المصطادة التي يتم إفراغها في هذه الموانئ كميات قليلة (31.000 طن) إذا ما قورنت بمآت آلاف الأطنان من الأسماك التي يتم إفراغها بالموانئ الجنوبية. ويعزى هذا الضعف كذلك إلى رصيف قاري ضيق وتضرس قعر البحر، الشيء الذي يحول دون الصيد بواسطة الجياب ابتداء من عمق 150 م، تجب الإشارة كذلك إلى أن جزءاً كبيراً من حمولة المراكب المغربية يتم إفراغها في مينائي سبتة ومليلية المحتلتين، ويمثل بحر البوران منطقة تركز للسردين الشيء الذي ينعكس على الواردات السمكية لميناء الحسيمة. ويوجه جل محصول الصيد بالساحل المتوسطي إلى الاستهلاك الطري المحلي. وقد أُنشئت سنة 1985 وحدة عصرية لتربية الأسماك والصدفيات بسبخة بوعرگ قرب مدينة الناضور، وتنتج سنويا شركة «ماروست» ما يزيد على 500 طن من الأسماك والصدفيات المختلفة المصدرة بأكملها إلى الخارج (إيطاليا على الخصوص) (انظر التفاصيل بمقال بوعرگ ـ سبخة ـ).

الفلسطينية عملت على عرقلة النشاط التجاري المتوسطي. وقد زاد في كثافة هذا النشاط مد قنوات نقل البترول في المناجم القارية بالشرق الأوسط إلى السواحل اللبنانية والسورية وكذا اكتشاف الغاز والنفط بالصحراء الجزائرية والليبية.

أما الخطوط الملاحية بحوض البحر المتوسط فهي اليوم ثلاثة أنواع : خطوط تربط بين الدول المشرفة على البحر، وخطوط تربط بين هذه الدول وأقطار خارج البحر، وأخيراً رحلات تعبر البحر لتربط بين المحيط الأطلسي من جهة والبحر الأسود والبحر الأحمر من جهة أخرى.

ويلاحظ عدم التوازن بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية والشرقية، فالنشاط الملاحي المنتمي إلى دول الشمال (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا) اكثف وأقوى من النشاط المنطلق أو القادم إلى بلدان جنوب وشرق الحوض، تتوزع طاقة مجموع الأسطول التجاري التابع للدول المتوسطية والذي يفوق 10.000 باخرة أي ما يعادل 58 مليون برميل كما يلي :

30٪ في ملك دول الشمال الغربي : إسبانيا، فرنسا، إيطاليا.

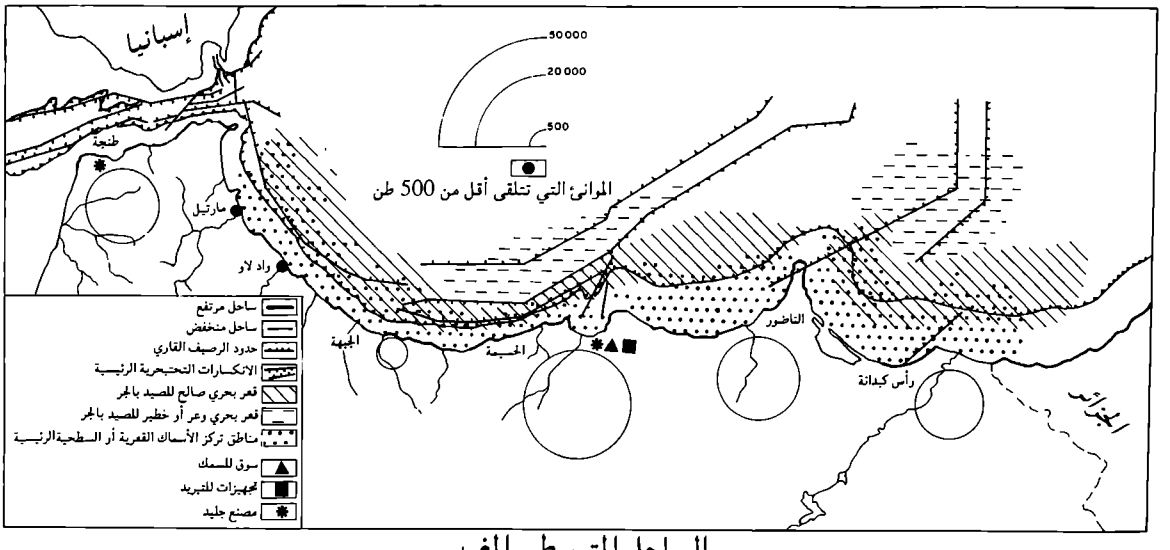

الساحل المتوسطي المغربي

النقل الملاحي : عرف حوض البحر المتوسط بطرقه التجارية التي اعتمدتها عدة حضارات وشعوب كالفينيقيين والقرطاجيين واليونان والرومان والعرب وغيرهم، بنت اقتصادها على الملاحة التجارية. أما بعد الاكتشافات الكبرى للقرنين الخامس والسادس عشر (طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح وطريق أمريكا) فقد انعزل حوض البحر المتوسط في طرق الملاحة الدولية الكبرى. ثم ما لبث أن استرجع دوره في التجارة العالمية بعد شق قناة السويس واكتشاف مناجم النفط بالشرق الأوسط، غير أن الحربين العالميتين الأولى والثانية ومختلف الأزمات السياسية الدولية وعلى رأسها أزمة الشرق الأوسط واحتلال الأرض

55٪ في ملك يوغسلافيا، اليونان، تركيا.

10٪ في ملك جبل طارق، مالطا، قبرص، لبنان.

5 ٪ في ملك المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، سوريا.

تطغى المواد النفطية والغازية التي تمثل نصف مجموع المنقولات عبر البحر المتوسط أي 300 مليون طن من مجموع 600 مليون طن. ويُفسر وزن المحروقات في مجموع المواد المنقولة إلى الموقع الجغرافي لحوض البحر المتوسط الذي يجعل منه الطريق الرئيسي لنقل هذه المحروقات في المناطق المنتجة الواقعة بالشرق الأوسط إلى المناطق المستهلكة بأوربا الغربية وأمريكا الشمالية حيث تخترقه ناقلات

النفط انطلاقا من سواحل البحر الأحمر والخليج عبر قناة السويس أو انطلاقا من نقط وصول الأنابيب النفطية التي توصل هذه المادة الخام إلى الساحل الشرقي. ويضاف إلى هذه التيارات الرئيسية المتجهة شرق ـ غرب تيارات ثانوية في نفس الاتجاه تربط بين الموانئ السوفياتية بالبحر الأسود وبعض موانئ جنوب أوربا وكوبا، وتحمل هذه التيارات مشتقات بترولية. وأخيراً هناك تيارات ثانوية أخرى اتجاهها جنوب ـ شمال انطلاقا من سواحل المغرب العربي وخاصة ليبيا والجزائر في اتجاه موانئ أوربا المتوسطية.

وتقدر نسبة النفط والغاز المنقولة عبر البحر المتوسط بـ 20٪ من مجموع حمولة المحروقات المنقولة بالعالم. وإذا تذكرنا أن مساحة البحر المتوسطي لا تمثل سوى 0.7٪ من مجموع البحار والمحيطات الموجودة على سطح الأرض، فإن مقارنة النسبتين تظهر الكثافة العالية لتيارات المواد النفطية والغازية ومشتقاتها بهذا البحر شبه المغلق وبالتالي أخطار التلوث والتدهور البيئي التي قد تنتج عن هذه الكثافة.

النشاط السياحي : يعتبر حوض البحر المتوسط من أهم الاتجاهات السياحية العالمية نظراً للإطار الطبيعي والبشري الذي يوفره والذي ساعد على انتشار وتطوير هذا النشاط الحديث. فإلى جانب مناخ مشمس وغير ممطر صيفاً ومياه هادئة ودافئة ومعالم حضارية وثقافية عريقة ومجتمعات ذات تقاليد وعادات مثيرة هناك الصورة السياحية التي تكونت لدى المستهلك الغربي والتي ساهمت في تدعيمها وتعميمها الشركات الدولية المنظمة للأسفار السياحية حيث اختارت احداهما علم البحر المتوسط لتسميتها وتمييز مُنتَجها.

وقد ظهرت محطات سياحية على الضفة الشمالية منذ بداية القرن (كوط دازور بفرنسا وريفيرا بإيطاليا) غير أن ولوجها ظل طيلة النصف الأول من هذا القرن مقتصراً على زبناء ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية المتوفرة على الامكانيات المادية والوقت الكافي للاستمتاع بهذه الشواطئ.

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد ارتفع الطلب وتعمم إلى باقي الطبقات الاجتماعية وأصبحت السياحة من بين المتطلبات الأساسية للمجتمعات الاستهلاكية الأوربية. وبالتالي صار حوض البحر المتوسط القريب من أوربا يتلقى ملايين السواح سنويا. وهكذا ظهرت مناطق سياحية جديدة بالسواحل الشمالية (إسبانيا والجزر) والشرقية (اليونان ويوغسلافيا) والجنوبية (تونس والمغرب).

ويستفيد الحوض الموتسطي من 35٪ من مجموع السوق السياحية العالمية أي ما يعادل 109 مليون سائح سنويا من مجموع 312 مليون. وهو يعتبر بذلك أول حوض سياحي في العالم، يقدم جل هؤلاء السواح من أوربا الغربية مع هيمنة لأوربا الشمالية إذ تمثل ألمانيا والبنلوكس والمملكة المتحدة والبلدان السكاندنافية ما بين 50 و60٪ من مجموع التيار القادم إلى البحر المتوسط.

أما توزيع هؤلاء السواح على البلدان المضيفة فيعرف هو كذلك عدم تساو إذ تتلقى إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ما بين 70 و80٪ من مجموع السواح تليهما يوغسلافيا واليونان ثم باقي دول الحوض.

وتعاني السياحة المتوسطة من طابعها الموسمي. فباستثناء بعض الدول كمصر وسوريا يصل جل السواح خلال فصل الصيف الذي يركز حتى 70٪ من مجموع السواح الوافدين. وينعكس هذا التركز بصفة سلبية على التشغيل والاستثمارات والتسيير إذ يقلل من العائدات على الأقاليم المضيفة ويقلص من مردودية الاستثمارات.

وتتمركز المنشآت السياحية وكذا أكبر الكثافات للزائرين على السواحل. فرغم المآثر التاريخية المنتشرة داخل القارة فإن الانتاج الأكثر رواجا يبقى هو البحر والشمس والإقامة الشاطئية إذ تستقبل السواحل المتوسطية ما يقرب من 100 مليون سائح (51 مليون سائح أجنبي و45 مليون سائح وطني). وهكذا فإن الأقاليم الساحلية تركز 18٪ من السياحة الدولية القادمة إلى فرنسا بينما تصل هذه النسبة إلى 80٪ بتونس و90٪ بيوغسلافيا.

أما الساحل المتوسطي المغربي الذي كان شبه خال من كل منشأة سياحية (باستثناء طنجة ومارتيل والسعيدية) قبيل انطلاق التصميم الثلاثي 1965 ـ 1967 فقد عرف حركة بناء قوية وفجائية للفنادق والتجهيزات السياحية جعلته يتوفر اليوم على 24٪ من مجموع القدرة الإيوائية المغربية. فقد ظهرت به سلسلة من المحطات السياحية بخليج طنجة وساحل تطوان (محطة الرأس الأسود، مضيق، رستنكا) ومدينة الحسيمة وشاطئ السعيدية. ونجد بهذا الساحل جيلين من المنشآت السياحية. الجيل الأول هو وليد مخططات التصميم الثلاثي وهو عبارة عن مجال منظم حسب المتطلبات التجارية للشركات العالمية (هيمنة قرى الاستحمام، كبر حجم المؤسسات، ابتعاد المحطات عن التجمعات السكنية والمدن، هامشيتها بالنسبة لمنطقة الإيواء). أما الجيل الثاني فهو وليد طلب داخلي منطلق من المدن الكبرى والطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة خلال الثمانينات، وهو مجال تغلب عليه الإقامات الثانوية والمركبات السياحية المكونة من شقق وفلات للشراء. وتبقى الانعكاسات الاقتصادية لهذا النشاط جد ضئيلة ليس بالنسبة لتشغيل اليد العاملة المحلية فقط ولكن كذلك بالنسبة لحجم المعاملات التجارية الناتجة عن النشاط السياحي التي تبقى جد هزيلة.

الأنشطة البشرية والتدهور البيئي : ترتبط اقتصاديات جل الدول المطلة على البحر المتوسط بهذا البحر، كما أن الاستقرار البشري يغلب عليه التمركز على السواحل، إذ تصل نسبة السكان الذين يعيشون على السواحل 38٪ من مجموع الساكنة المتوسطية على مساحة لا تتعدى 15٪. كما أن سكان المدن الواقعة على الساحل المتوسطي يصل عددهم إلى 82 مليون نسمة، ويرتقب أن يصل هذا العدد إلى ما

بين 105 و113 مليون نسمة سنة 2000 أي أن نسبتهم ستمر من 61٪ إلى ما بين 75 و78٪ سنة 2000. يجب أن نضيف إلى هذه الكثافات البشرية الدائمة التجمعات البشرية التي تسجل خلال المواسم السياحية والتي تصل اليوم إلى 100 مليون نسمة على أنها ستتضاعف مرتين أو ثلاث مرات سنة 2000. أما إذا أخذنا بعين الاعتبار التركزات الصناعية الساحلية وحركات المواصلات الملاحية السابقة الذكر فإننا نلمس الخطر الذي أصبح يهدد اليوم هذا البحر الشبه مغلق.

فإلى جانب استهلاك الأراضي والغطاء النباتي والمياه الساحلية، وهي موارد جد محدودة، تعرف المياه البحرية سواء الساحلية أو مياه أعالي البحار تدهورات ايكولوجية خطيرة ومتزايدة. وقد قسمت أنواع التلوث التي يعاني منها البحر المتوسط إلى خمسة أنواع :

- تلوث ناتج عن المياه الفاسدة التي تلقي بها المدن الساحلية إلى البحر دون أن تقع معالجتها، وهو تلوث بكتيري يتم عن طريق المواد العضوية التي تحملها المياه. وإذا كانت مياه البحر تتوفر على طاقة ذاتية للقضاء على هذه المواد العضوية، فإن هذه البكتريات قد تكون لها نتائج وخيمة على صحة الإنسان حينما تلتحق بالسلسلة الغذائية البيولوجية عن طريق الأسماك والصدفيات.

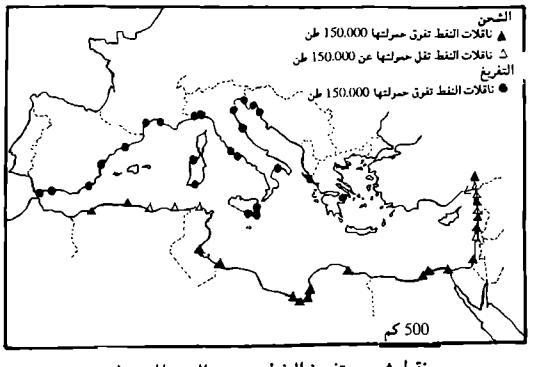

نقط شحن وتفريغ النفط بحوض البحر المتوسط

- تلوث عضوي ناتج عن إلقاء المياه الفاسدة والمواد العضوية التي تحتويها الأسمدة (الفوسفور، الآزوط) وكذا الرواسب، وتكون أهم نتيجة لهذا التلوث مساعدة بعد الكائنات الحية (أنواع من الطحلب) على التكاثر والتزايد بطريقة عشوائية وغير طبيعية. وهكذا فإن هذا التحول المفاجئ الذي تعيشه المنظومة البيئية يهدد هذه الأخيرة، إذ أن نمو وتكاثر هذه الأصناف يقضي على الأصناف الأخرى وخاصة خلال الصيف حيث ترتفع درجات الحرارة. وقد برزت هذه الظاهرة بوضوح خلال السنوات الأخيرة ببحر الادرياتيك وسواحل البندقية، الشيء الذي أزعج آلاف السواح الذين فروا من المنطقة، واعتبر إشارة إيكولوجية تم الانتباه إليها بكامل الجدية.

- تلوث ناتج عن مواد صلبة كالقارورات والأكياس البلاستيكية والتي لا يمكن تحللها بصفة تلقائية.

- تلوث كيماوي ناتج عن المياه الفاسدة التي تلقي بها الصناعات والتي تكون محملة بمواد سامة من محروقات ومنظفات كيماوية وزيوت ومبيدات ومعادن ثقيلة. تصل كل هذه المواد إلى السلسة الغذائية كما أنها تلحق أضراراً بالوسط الطبيعي فتقضي على عناصر حيوية وتساعد أخرى على التكاثر.

وتبقى المحروقات أخطر مصدر للتلوث بالبحر المتوسط، وذلك خلال مختلف العمليات من تنقيب وإنتاج ونقل.

أما الأمل الوحيد في إنقاذ البحر المتوسط المهدد اليوم إيكولوجيا فهو تعبئة الدول المشرفة عليه للقيام بمجهود جماعي. إذ بدأت بعض المبادرات الجماعية في إطار برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذي انبثق عنه "المخطط العملي للبحر المتوسط" "Plan d'action pour la Méditerranée". وقد أنجز هذا البرنامج بطلب من الدول المتوسطية مجموعة من الدراسات سميت "بالمخطط الأزرق" الهدف منها ضبط التطورات الديمغرافية والاقتصادية والبيئة التي تعيشها دول الحوض حتى أفق 2025 اعتمادا على مجموعة من السيناريوهات. وأبرزت نتائج هذا المخطط التي نشرت سنة 1988 أن التطورات الحديثة والمستقبلية تميل من اتجاه وضعية غير مقبولة بالنسبة لاقتصاديات وايكولوجية وظروف عيش الحوض المتوسطي. وانطلاقا من هذا التشخيص قام المخطط الأزرق بسبر الخيارات الممكن اقتراحها على دول المنطقة كبديل لاجتناب تدهور الوضع. تتوجه هذه الاقتراحات إلى المسؤولين والمخططين على المستوى الدولي والوطني والجهوي. وإذا كانت الحلول المتعلقة بحماية أعالي البحار تتعلق بالاتفاقيات الدولية الخاصة باستغلال الثروات البحرية فإن خلاصة الدراسة أكدت بشدة على المبادرات الوطنية الرامية إلى توعية العموم بالعلاقة الوتيقة القائمة بين التدهور البيئي القاري وتدهور الوسط الساحلي والبحري.

المخطط الأزرق، برنامج الأمم المتحدة للبيئة 1988 ؛ *أطلس الثروات الطبيعية*، مديرية اعداد التراب الوطني 1984 ؛ بريان، *نموذج لمجال سياحي مغربي : ساحل البحر الأبيض المتوسط*، مجلة جغرافية المغرب، العدد 2 السلسلة الجديدة 1978.

محمد بريان

البحر المتوسط - جغرافيا طبيعية - بحر يدعى كذلك لأنه يتوسط أراضي تشرف عليه من كل الجهات. فهو عبارة عن بحر داخلي، لكنه غير مغلق، حيث ينفتح غربا على المحيط الأطلنتي عبر مضيق جبل طارق.

الميزة الأساسية لهذا البحر من الناحية الجيولوجية التداخل الشديد بين سلاسل جبلية حديثة والبحر، وخاصة على الواجهة الأوروبية التي تتقدمها جزر جبلية، هذه أجزاء من سلاسل كبرى، كما هو الحال بالنسبة للبليار وصقلية وقبرص. وينتج عن هذا التداخل انغماس سريع للقارة تحت مستوى البحر وبالتالي ضيق للهضاب القارية، التي تحدها حافات تنزل بانحدار قوي نحو أحواض عميقة.

أما من الناحية الهدرولوجية، فالبحر المتوسط له خاصية سلبية الميزانية. فهو في موقع عرض يجعل التبخر يفوق الواردات العذبة، بسبب الحرارة الخاصة للبحر والمناطق المحيطة به. وهذا ما ينتج عنه خصاص، على المستوين المائي والبيولوجي، يتمثل في ملوحة مرتفعة نسبيا، انتاجية حيوية أقل من انتاجية مياه المحيط، وبالتالي لزوم تعويض هذا الخصاص عن طريق واردات مائية وحيوية قادمة من المحيط الأطلنتي. وقد توالت في التاريخ الجيولوجي للبحر المتوسط فترات انفتاح على المحيط العالي شرقا أو غربا، وفترات انغلاق للمضايق. ولذا نجد فيه أحياء خاصة، غير معهودة في البحار الأخرى.

والبحر، هو والجبال المشرفة عليه، يمثل مجالا يدعى المجال الألبي ـ المتوسطي، هو عبارة عن صلة وصل بين القارة الافريقية ـ العربية من جهة، والأوروبية ـ الأسيوية من جهة ثانية. وهذا الاتصال هو في نفس الوقت اتصال جيولوجي وبنائي واتصال مناخي ونباتي

1) التضاريس تحت البحرية : التشكيل التضاريسي للبحر المتوسط يتمثل في أحواض عميقة تفصل فيما بينها تجاعيد، وتحيط بها هضاب قارية ضيقة، لكن جد منعرجة الهوامش، بسبب التداخل الشديد بين الجبال والبحر. ولذا لا يوجد في الأحواض العميقة أي مكان يبعد بأكثر من 200 كم عن هضبة قارية مجاورة. وهذا يدعو إلى القول إنه في البحر المتوسط، مختلف الهوامش القارية شبه متصلة فيما بينها، وتتوسطها أحواض عميقة لكن جد منعرجة الجوانب.

ويمكن تقسيم البحر إلى حوضين كبيرين يفصلهما تجعد يمتد بين تونس وصقلية، عمقه يقل عن 400م، بينما اتساعه لا يتعدى 140 كم. الشيء الذي يساهم في انغلاق الوحدات داخل البحر المتوسط.

ـ الحوض الغربي يتكون من وحدتين، الحوض التيريني بين إيطاليا وسردينيا، والحوض الجزائري ـ البروفانسي، غرب هذه الجزيرة، تشرف عليه سواحل جنوب فرنسا وإسبانيا وشمال إفريقيا. وهذا الحوض الغربي ينفتح على المحيط الأطلنتي عبر بحر البوران ومضيق جبل طارق.

ـ الحوض الشرقي أقل امتداداً، رغم اتساع الرقعة البحرية، وهو نفسه ينقسم إلى وحدتين، هما الحوض اليوني جنوب إيطاليا واليونان، وحوض شرقي مجزأ إلى عناصر، شمال مصر وعلى جانبي جزيرة قبرص. ويمتد في البحر الشرقي، وعلى مسافة 1900كم، ظهر مرتفع اتساعه 200كم تقل فيه الأعماق عن 3000م، ويشكل قوسا تحده جنوبا حفر عميقة تنزل حتى 5000م، تغزوها من جهة الجنوب التراكمات الفتاتية لدلتا النيل.

وتنغمس السواحل بسرعة إلى أعماق هامة، حيث تضيق الهضاب الحقيقية، ويتم الانتقال إلى الأحواض عبر حافات منحدرة، تحددها خوانق عميقة وضيقة، تتوافق مع مخارج الأنهار الكبرى.

2) بنية البحر المتوسط : الانغماس السريع للسواحل مرتبط غالبا بانكسارات من النوع العادي، تميل مستوياتها نحو الأعماق، وجلها حديث جدا، بحيث حركيتها مازالت مستمرة، تدل على ذلك الحساسية الزلزالية المرتفعة. وتوافق هذه الحوادث البنائية محال انتقال بين أحواض تتهدل وهامش قاري يرتفع. وهكذا تم تقدير مدى التهدل في البحر الغربي بحوالي 7 كم، بينما قد يصل في الجهات الشرقية حتى 15 كم. وهذا ما تسبب في إرساب سريع ملأ الأحواض وخاصة في ملايين السنين الأخيرة.

ضخامة الإرساب هاته التي قد تصل 10 كم سمكا تمثل حطا، من جهة لأنها تسمح للدارسين بتتبع تاريخ البحر وتطوراته، لأنها قد تكون مكامن للبترول يتم البحث فيها حاليا، لكنها تمنع من التعرف على القاعدة الصخرية السابقة للإرساب، أي تمنع من تحديد نوعية القشرة الأرضية في السهول العمقية.

طبغرافية البحر المتوسط الغربي

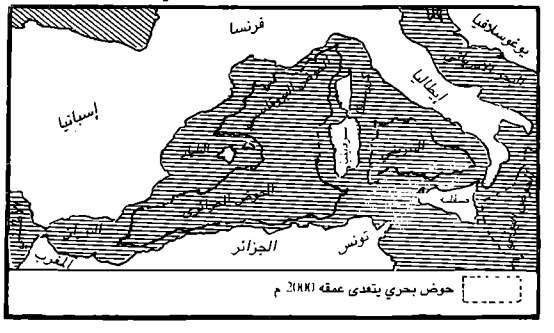

يفترض أن السهول مكونة من قشرة من النوع المحيطي، أي أنها عبارة عن قشرة ذات كثافة عالية وسمك ضعيف، فوق معطف قريب من القعر البحري (حوالي 15كم) ويعزز هذا ظهور براكين تحت بحرية، بعضها بارز، مثل بركان جزيرة البوران شمال الساحل المغربي. وهذا يعني أن الأحواض العمقية ناتجة عن انفتاح محيطي على جانبي ظهر أوسط يعرف صعود الصهير والتصاق مواد جديدة على شفتي الأخدود. لكن التحاليل الجيوفزيائية لا تسمح بالحسم في الموضوع نهائيا، وذلك بسبب تعقيد ماهية القشرة وصعوبة الاستبار لتحديد هذه النوعية.

هذه الأحواض وهوامشها تلقت رواسب منذ حوالي 25 مليون سنة. وهذا يشير إلى بداية فترة تكوينها، بينما عموم رواسب متجانسة في كل الجهات، تنتمي إلى ما بين 9 و6 ملايين سنة قبل الحالي، يدل على انتهاء مرحلة تكوين البحر وحصوله على حدوده وأشكاله الحالية بصفة تقريبية. أما ما حصل خلال البليورباعي فهو فقط عبارة عن استمرار للنزعات السابقة، من تهدل للسهول العمقية وانتهاض للجبال المجاورة.

والرواسب التي يمكن تعميمها على جل مساحات البحر، تنطلق من المرحلة الميسينية التي توافق نهاية الميوسين، بين 5 و10 ملايين قبل الحالي. وتمتاز توضعات

هذه الحقبة بتراكمات ملحية وجبسية، تشير إلى توقف الاتصال آنذاك بين البحر المتوسط والمحيط، مما أدى بسبب التبخر إلى تجفيف مياه البحر، وتركز الأملاح بها إلى درجة صارت تسمح بترسيب مواد تدعى التبخاريات.

والبحر المتوسط الحالي في حدوده النهائية الحالية يعود لفترة البليوسين حيث تجدد انفتاح البحر على المحيط بسبب تكوين مضيق جبل طارق، الشيء الذي أدى إلى غمر أحدث "ثورة" جيولوجية وحيوية حقيقية، رافقها غمر للأودية التي سبق حفرها في الحقبة السابقة. واستمر الوضع على ما هو عليه خلال الرباعي حيث تراكمت مواد وحلية وأخرى متواترة من حيث النسيج، شبيهة بالفليش، بعض فرشاتها دقيق أساسه الطين، والبعض الآخر مكون من رمال دقيقة، ويدل توالي هذه المواد على توالي فترات الهدوء المرفلوجي وفترات النشاط التحاتي في القارات. فمواد الفيض النهري عادة تمتاز بخشونتها النسبية، وتتركز أساساً عند الدلتات والى طلو الخوانق تحت البحرية.

3) مرفلوجية سواحل البحر المتوسط : تشرف على البحر المتوسط عادة أجراف صخرية توافق المجالات الجبلية التي تعرضت للانتهاض خلال البليورباعي، ولا تنخفض السواحل إلا عند مخارج الأودية الكبرى المسؤولة عن تراكمات هامة، وخاصة الأودية التي تشيد دلتات هائلة، مثل النيل، والرون، والپو، وبمقدار أقل نهر ملوية. وبينما نجد الساحل يعرف التسمين والتقدم في هذه الحالات، نجده في الهوامش النشيطة الايجابية، والتي تتفق مع الانكسارات الهامة يعرف التعرية البحرية والتراجع.

وتشير التركات الرباعية وتدرجها إلى أهمية الرفع الذي عرفته القارة بالنسبة لمستوى سطح البحر. فالتوضعات البليوسينية التي توجد تحت البحر في أعماق هائلة بسبب التهدل، توجد على ساحل الريف عند ارتفاع يقترب من 200 م. وعلى الساحل الكلابري بالجنوب الايطالي على ارتفاع 1000 م. وتوجد تحت الدرجة البليوسينية العالية، مستويات متدرجة متعددة، تدل على استمرار ارتفاع القارة خلال البلايستوسين. ففي الريف الشرقي، نجد على الساحل المتوسطي ما لا يقل عن أربع مستويات كبرى، تشير إلى الذبذبات الهزهزية التي عرفها مستوى البحر المتوسط، ارتباطا بفترات التجلد التي واكبها الانحصار البحري، والذوبان والتي نتج عنها طغيان البحرعلى القارات.

4) تاريخ البحر المتوسط، التطور الجيولوجي والجيومرفلوجي : البحر المتوسط بحر قديم. لكن شكله الحالي لم يكتسب إلا حديثا منذ حوالي عشرة ملايين من السنين. بينما ترجع بداية البحر إلى عهود غابرة تنطلق منذ الزمن الأول، في وقت كان فيه المحيط الأطلنتي غير موجود، بل مازال لم يبدأ انفتاحه.

ويمكن الرجوع إلى حوالي 180 مليون سنة قبل الحالي، عند بداية انفتاح المحيط الأطلنتي لتتبع مراحل تطور البحر المتوسط. في ذلك الوقت، بينما كانت أوروبا وإفريقيا ملتصقتين بالقارة الأمريكية، كان بين أوراسيا شمالا وإفريقيا جنوبا، محيط واسع، يعتبر متوسطا قديما، يضيق غربا بين أوربا وإفريقيا، بينما يتسع تدريجيا نحو الشرق، ليصل إلى حوالي 1500 كم اتساعاً بين شرق افريقيا وأوربا الجنوبية ـ شرقية.

ولما انطلق انفتاح المحيط، تم ذلك بسرعة متفاوتة شمالا وجنوبا، إذ كانت إفريقيا وأوربا معزولة الواحدة عن الأخرى تماماً. ففي البداية، أخذت إفريقيا تبتعد عن أمريكا نحو الشرق، بينما بقيت أوربا ثابتة. ومنذ 72 مليون سنة قبل الحالي، أصبحت أوربا هي التي تعرف هذه الحركة، وبسرعة أقوى. وأخيراً، منذ 48 مليون سنة استقر موقع المغرب بالنسبة لإبيريا، بينما انطلقت حركة إفريقيا الشرقية تجاه الشمال، أي تجاه أوربا، الشيء الذي أدى إلى تضييق ثم انغلاق البحر المتوسط الأصلي، وذلك بعد التصاق الجزيرة العربية بآسيا، وأپوليا (إيطاليا واليونان) بأوربا. هذا التلاقي هو المسؤول عن السلاسل الجبلية في آسيا الصغرى وأوربا الجنوبية. واندثر عندئذ المحيط المتوسط القديم، حيث نجد أجزاء من قشرته، داخل السلاسل الألبية، على شكل صخور من نوع خاص، تدعى الصخور الخضراء (أوفيوليت).

وانطلقت عندئذ جنوب مجال هذا الانضغاط، حركة تمدد مسؤولة عن تكوين الأحواض البحرية الحالية، وفي اليوسين، وبعد انتهاء تشييد الجبال الأوربية والمغربية، ابتدأت الحركة العمودية التي تسببت في تهدل البحر وبالتالي تراكم كميات ضخمة من الرواسب فيه.

5) الهدرولوجيا البحرية : البحر المتوسط بحر تبخر بسبب انغلاقه النسبي وحرارة مياهه. كما أن بعض جوانبه تشكو من الجفاف وضعف الجريان. لكل هذه الأسباب، فإن ميزانية البحر سالبة، حيث يفقد عن طريق التبخر أكثر مما يستقبل من تهاطلات ومياه قارية جارية. وهكذا فإن الموارد التي تعوض الخصاص الناتج عن التبخر، تساهم بالنسب التالية : التهاطلات 36٪ ـ المياه النهرية 16٪ ـ المياه المحيطية الداخلية عبر جبل طارق 41٪ ـ المياه القادمة من البحر الأسود عبر البوسفور 7٪.

لكن المضيقين، جبل طارق والبوسفور لا يعرفان تياراً مائياً في اتجاه واحد، بل هما موقع تبادل. فبالنسبة لجبل طارق، يسمح هذا المضيق بدخول تيار مقدار سبيبه 1 مليون متر مكعب في الثانية، يواكبه خروج 960.000 متر مكعب. الفائض إذن والذي يُعتبر الكمية المربوحة من طرف البحر المتوسط يساوي 40.000 متر مكعب في الثانية.

وهذه التيارات هي المسؤولة عن تنوع المياه داخل البحر المتوسط ؛ كما تتدخل لتفسير هذا التنوع الاختلافات المناخية بين الواجهتين الشمالية والجنوبية من البحر، وبين الحوضين الشرقي والغربي. وهكذا يتدخل مؤشران هامان، هما برودة السواحل الشمالية وتأثيرها على حرارة المياه،

وسخونة الحوض الشرقي، المسؤولة عن أهمية التبخر، وبالتالي ارتفاع ملوحة المياه.

وتنقسم مياه البحر المتوسط إلى كتل ثلاث هي : المياه القادمة من الأطلنتي، وهي مياه خفيفة، ولذا تبقى عند السطح، ومياه من الحوض الشرقي، تعتبر وسطى، وأخيرا مياه أصلها الواجهة الشمالية باردة وثقيلة، ولذا فهي تنزل إلى الأعماق. والاختلاف في الكثافة، ارتباطا بالملوحة والحرارة، يتسبب في حدوث تيارات عدة، وتبادلات تؤدى في النهاية إلى حركات دورانية هامة.

6) البيولوجيا : الرصيد الحيوي للبحر المتوسط، هو عبارة عن رصيد موروث، يتم تجدده باستمرار عن طرق مضيق جبل طارق، وحاليا انطلاقا كذلك من قناة السويس. وبسبب ضيق الموردين الأجنبيين، فإن التجدد بطيء، لهذا نجد في البحر المتوسط أحياء قادمة من مصادر إما شمالية، أي متكيفة مع البرودة، الشيء الذي يلزمها بالنزول إلى الأعماق، أو مدارية، دخلت في فترات كانت فيه مياه المحيط، على الساحل المغربي أسخن من الحالي، وبالضبط خلال المرحلة الرباعية التيرينية (حوالي 100 إلى 12.000 سنة قبل الحالي). أما الأحياء القطبية فقد كانت تدخل البحر المتوسط خلال المراحل الباردة الجليدية. هذا الرصيد الموروث يتم تجدده بدخول أنواع إضافية.

لكن مياه البحر فقيرة من حيث العناصر المغذية، وخاصة من الفوسفور، ولذا فهي مياه بطيئة الانتاجية، لا تنمو فيها الأحياء بسرعة كما هو الحال في المحيط، ماعدا في مواقع خاصة، مثلا على مقربة من الدلتات، أو عند العتبات بين حوضين متجاورين، حيث يتم صعود المياه العمقية الباردة إلى السطح.

هذا النمو الضعيف على المستوى الحيوي، تهدده آثار التلوث التي تتفاقم يوميا، وخاصة على الواجهة الشمالية للبحر المتوسط.

J. Bourcart, *La Méditerranée et la révolution du Pliocène* in *Livre à la Mémoire de Paul Falbt, Soc. Geo, Fr*, t : 1, Paris ; W. B. F. Ryan, E. Olansson, R. W. Fairbridge, *Mediterranean Sea*, in *The Encyclopedia of Oceanography*, New York ; J. Dresch, et P. Birot. *La Méditerranée et le Moyen Orient*, Paris.

عبدالله العوينة

البحراوي، أسرة رباطية أصلها من بلاد الغرب بشمالي مدينة سلا، لا يعرف تاريخ انتقال من انتقل منهم إلى الرباط، غير أن مصاهراتهم لعدد من الأسر الرباطية العريقة يدل على أن استقرارهم بالرباط يرجع على الأقل إلى القرن الثالث عشر (19 م). واشتهر منهم أخيراً الاخوان الشريان الوطنيان الحاج محمد البحراوي والحاج إدريس البحراوي.

البحراوي، إدريس (الحاج ـ) الرباطي. رجل عمل نشيط، عمل في الدباغة ثم في الجزارة ثم في الفلاحة وتربية الماشية والاتجار فيها. وكان ذكياً سخياً، أسس مشاريع اجتماعية هامة بالرباط، منها مدرسة حي العكاري، بناها في حي شعبي تشتمل على حجرات دراسية عديدة ومرافق متنوعة تستجيب لحاجيات ذلك الحي المزدحم بالسكان. كما أسس مستوصفاً طبياً بحي التقدم، وهو في كثرة السكان نظير حي العكاري.

وأهم عمل قام به الحاج إدريس البحراوي هو تحبيسه دار سكناه الفاخرة بحي ديور الجامع وسط مدينة الرباط لتكون مقر دار الحديث الحسنية، وذلك في 13 شعبان عام 1390 / 15 أكتوبر 1970.

توفي في أوائل الثمانيات.

البحراوي، محمد (الحاج ـ) الرباطي، يعتبر هذا الرجل المومن في طليعة الوطنيين الغيورين المناهضين للحماية، كان ملازماً لدروس شيخ الاسلام أبي شعيب الدكالي فتأثر بنزعته السلفية الاصلاحية. وكان الشيخ أبو شعيب الدكالي أثناء قيامه بمهمة وزارة العدل قد سبق إلى الاطلاع على ضريبة تعسفية فرضها المستعمرون سنة 1920 على الحرفيين والصناع عرفت بضريبة "الاكياب" فنبّه الوطنيين إليها ودعاهم إلى مناهضتها. فتكونت لجنتان بالرباط وسلا وحررت عريضتان قدمتا إلى جلالة الملك السلطان المولى يوسف في مظاهرة سلمية ـ ربما كانت الأولى من نوعها في عهد الحماية ..

وعلى إثر ذلك نفي الحاج محمد البحراوي إلى الصويرة، كما نفي زملاؤه الحاج محمد بلكوره إلى أسفي،

والمحجوب الأزرق إلى الجديدة، والمعطي جوريو إلى طنجة. وفي نفس الوقت نفي من سلا الحاج عبد الله بن سعيد إلى وجدة، والحاج بنعيس لعلو إلى أسفي.

توفي الحاج محمد البحراوي بالرباط في أواخر الأربعينات.

معلومات وتقاييد شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، 1 : 93. 96 ؛ ح. وگاگ، *دور الحديث في العالم الإسلامي*، 386 . 387.

محمد الأمين بلكناوي

البحراويون، إحدى الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة أنجرة (+ البرقوقيون والغابويون) الواقعة في أقصى الشمال الغربي للمغرب. تحد فرقة البحراويين بالمضيق وخليج طنجة والفحص. وقد كانت في عهد الحماية الإسبانية تابعة لمقاطعة جبالة الشرقية، ولكن في التقسيم الجماعي الحالي أصبحت من جماعة ملوسة التابعة لإقليم طنجة، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1982 : 15.294 نسمة.

يقال إن يعقوب المنصور هو الذي قام ببناء القصر الصغير الذي يبعد عن رأس طريفة بتسعة أميال، وكانت شواطؤه تلعب دورا مهما كميناء عسكري وخزان للأسلحة، ويقول بعض المؤرخين الإسبان إن العرب الذين قطعوا المضيق لفتح الأندلس انطلقوا من هذا المكان بسفن صنعوها من الخشب الموجود بكثرة في بلاد البحراويين وخاصة من جبل موسى وبَلْيُونش. وبدأ تقهقُر أهمية هذا الموقع بعد وقعة العقاب إلى أن استولى عليه البرتغاليون بقيادة الفونسو الخامس سنة 1458.

وهناك من يقول إن تسمية القبيلة بأنجرة ترجع إلى وجود مدشر بفرقة البحراويين يسمى «منجرة» إذ كان بها قديما غابة كثيفة يستعمل خشبها لصنع السفن حتى إن بعض الأساطير الشعبية تقول إن نبي الله نوحا أخذ منها الخشب لصنع سفينته، ومن هنا جاء اسم القبيلة.

ويُعتبر البحراويون من المدافعين المستميتين عن استقلال المغرب حيث كانوا في جيوش صَدّ الغزو الإيبيري على الخصوص، واتّخذت مناوشاتهم وهجوماتهم على سبتة كإحدى الذرائع التي اعتمد عليها الجنرال O'Donnel الإسباني في حرب تطوان سنة 1859.

تشمل هذه الفرقة المداشر التالية : عين الرمل، وعين سعيد، وعزيب بلْعَيشيش، وبني مسعود، وبني مجمّلْ ودار الفوّال، ودار حمران، والبرج، وفدان السعيدي، وفرديوة، وحموني، وحصانة، وخندق زرارا، واللّنجريين، والنشبة، وأمليش، وملوسة، والمخفي، والرمان وتل الشريف، وتافوغالت، وزمي.

يتلخص أهم نشاطات سكان هذه الفرقة في الفلاحة وتربية المواشي وصيد السمك، إضافة إلى صنع الحُصر وتربية النحل واستغلال شجر البلوط.

اشتهر مدشر بني مْجَمّل بكونه كان مدشر زعيم القبيلة الملقب بالحمام الذي كان يقف في وجه الغزو الأوربي، واشتهر مدشر بني مسعود بكون أغلب سكانه فحامين. وفي البرج مزارع عدد منها في ملك عائلة أولاد بولعيش. أما بَلْعيْشيش (ملوسة) فهو مقر عائلة أولاد بولعيش.

ويعتبر سوق اثنين ملوسة مركز فرقة البحراويين. ومن الطرق الصوفية المنتشرة بهذه الفرقة نجد أنه في عهد الحماية كانت بها الطرق التالية : الدرقاوية والتجانية والتهامية والناصرية وعيساوة.

ومن أهم أعيان وشخصيات هذه الفرقة حسب وثيقة سرية موجهة للمراقبين الإسبانيين سنة 1930، نجد عبد القادر التفتافي من مدشر بني مسعود، ومحمد بن الحاج حميد السوسي، والمختار بن سيدي حميد الرقيوق، وعبدالسلام بن مسعود الفتاح، والحاج الدرقاوي من مدشر الرمان، وعبدالسلام بنعجيبة من مدشر زمي.

مديرية التخطيط، الرباط، إحصاء 1982.

R. Ruiz, *La Kabila de Angra, Bol. Oficial de la zona de influencia española en Marruecos*, 10 Feb. 1914, n° 21 ; Intervenciones militares de la region de Yebala central, *Memoria relativa a las kabilas que integran esta regional*, año 1934, Tetuan ; Alta Comisaria de la Republica española en Marruecos, *Vademecum, Año 1930*, Ceuta, 1930 ; Alta Comisaria, *Indigenas significados que no son autoridades, año 1930* ; J. Martinez, Ruiz, *Toponima menor de Yebala*, C.B.T, p. 23 - 50 ; M. Vasquez del Rio, *Arbalado y bosques en Marruecos*, Tetuan, 1935 ; Delegacion de Asuntos indigenas, *Nombres de musulmanes habitantes en la zona del protectirado español en Marruecos*, Ceuta, 1937 ; *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, 2 t ; M. Martin, *El Colonialismo español en Marruecos*, 1860 - 1856, Paris, 1973 ; A. Garcia Perez, *Zona española del norte de Marruecos*, Toledo ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos : contribucion al estudio de la zona*, Melilla, 1926.

محمد بوجداد

البحري، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الساحل وهي غير أسرة البَحَر المتقدمة، وقد انقرضت بتطوان سنة 1921/1339.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos, *Familias ilustres* ; *Vademecum*, año 1931.

محمد ابن عزوز حكيم

البحري، علي الأندلسي، صوفي أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع تلميذ الإمام محمد بن سليمان الجزولي بواسطتين : عن الشيخ علي الحساني عن الشيخ علي صالح. كان يسكن داراً بعدوة الأندلس في المكان الذي توجد فيه اليوم زاوية القلقيين الفاسية، كان بها بيت واحد وفي وسطها شجرة من الإنجاص، ثم تهدمت عقب موته فصارت طرازاً ثم سقط سقفه وخرب في وباء مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى أن وُهب للشيخ عبد الرحمان الفاسي العارف سنة 1027 فبناها زاوية وحبسها على الذاكرين.

توفي علي البحري بفاس في حدود 980 / 1572 ودفن في روضة الأنوار خارج باب الفتوح.

ع. الفاسي، *بستان الأذهان*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 214؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، ص 66.

محمد حجي

البحريّة، (للا عائشة ـ) دفينة خارج مدينة أزمور، يقال إن أصلها من بغداد، لكن غلب عليها اسم «البحرية» لكون قبرها يقع قرب شاطئ البحر، بجانب نهر أمّ الربيع. ومما يحكى أن هذه الولية الصالحة كانت تعيش في بغداد واتصلت ـ روحيا ـ بالشيخ أبي شعيب السارية، لما بلغها ما هو عليه من الصلاح والورع والتقوى، وتوطدت بينهما أواصر الصحبة الى حَدّ، تقول الرواية الشعبية، أنهما كانا يقذفان بالكرة معاً، فيقول لها :«هاكي آعائشة في بغداد!» فتجيبه هي :«هاكْ آبو شعيب في قرْن الواد !».

وظل الوليان يتراسلان بهذه الطريقة العجيبة، إلى أن بلغت للا عائشة البحرية من الكبر عتياً، وخشيت أن تدركها المنية قبل رؤية الشيخ أبي شعيب، فعزمت على شدّ الرحلة لزيارته بأزمور، وتحملت مشقة السفر من المشرق إلى المغرب، وكادت أن تدرك مُناها، لكن حينما كانت على مرأى من مدينة أزمور سقطت على الأرض منهوكة القوى، فكانت النهاية دون أن تنعم برؤية الشيخ أبي شعيب، ودفنت في المكان الذي ماتت فيه.

ولقد دأبت نساء أزمور على زيارة ضريح للا عائشة البحرية، وخصوصا في اليوم السابع من الأعياد الكبرى.

مدن وقبائل المغرب، مدينة أزمور وضواحيها، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

البحريّة المغربية، إن المغرب الذي يُطل من جهة الشمال وجهة الغرب على مجالات بحرية تتمثل في البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي قد وعى منذ القدم أهمية السيطرة على البحر كطريق مفضل للتواصل مع باقي الحضارات وكحاجز دفاعي ضد أطماع الغزاة القادمين من الغرب.

وهكذا ظل الأسطول المغربي يثبت حضوره عبر العصور بالرغم من اختلاف الظرفيات السياسية والتقلبات الوقتية. إن أهمية المغرب الاستراتيجية جعلته مستهدفا لأطماع الطروادين والفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال والبيزنطيين والأوربيين والعثمانيين. ومن المفارقات أن العرب الذين جاءوا إلى المغرب بطريق البرّهُمُ الذين أغنوا التقاليد البحرية المغربية.

فقد اقتضى فتح الأندلس ونشر الإسلام بها تكوين بحارين من صناديد البربر كانوا ينطلقون من طنجة وسبتة. ففي سنة إحدى وتسعين للهجرة (710 م) عبر البربري طريف بن زهرة المضيق ونزل على رأس أربعمائة من المحاربين في شبه الجزيرة التي سميت باسمه : طريفة. وقد مهد نجاح غزوته في بلد منهار تحت ثقل المشاكل خطوة حاسمة للفتح الإسلامي للأندلس.

وفي العام الموالي كُلف طارق بن زياد على رأس سبعة آلاف من الفاتحين بهذه المهمة فاحتل ما بين مالقة ومدريد مرورا بقرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة، ومنذئذ حملت الصخرة المشهورة اسم جبل طارق.

وبعد فتح الأندلس تكون فيها المركز الثاني للنشاط البحري العربي في البحر المتوسط العربي وعلى المحيط الأطلنتي وذلك بعد قواعد بحر القلزم والاسكندرية. كما كان للمولى إدريس الأزهر اهتمام بحري، وقد كانت نكور عاصمة بني صالح في الريف مرسى نشيطا في التجارة مع الأندلس.

أما المرابطون (447 ـ 542 / 1055 ـ 1147) الذين تدخلوا في الأندلس فقد كان لهم أسطول من حوالي مائة قطعة بحرية حربية راسية بالمرية وقادس. وكان على رأس التي بقادس أمير البحر عبد الله بن ميمون. وكان لهذا الأسطول نشاط فعال على سواحل فرنسا وإيطاليا حتى صقلية. وشارك في حصار جزر البليار.

أما في عهد الموحدين (542 ـ 668 / 1147 ـ 1269) فقد كان الأسطول البحري المغربي يتكون من أربعمائة قطعة : مائة في حراسة المغربين الأوسط والأدنى، ومائة راسية في مراسي شمال المغرب الأقصى، ومائة على سواحل الأطلنتي، ومائة تحرس شواطئ الأندلس. وكان من أمراء هذا الأسطول عبد الله بن سليمان وأحمد الصقلي، ولربما بلغت شهرة هذا الأسطول قدراً جعل صلاح الدين أمير مصر والشام يستنجد به لقتال النصارى المحتلين لبيت المقدس وموانئ الشام من النصارى. ومن المرجح أن أواخر عهد الموحدين عرف ندرة في مادة الخشب الصالح لبناء السفن.

وحتى قبل أن يستتب الأمر لبني مرين (668 ـ 876 / 1269 ـ 1471) قام ملك قشتالة الفونصو الملقب بالحكيم بإرسال سفن استولت على مدينة سلا بخدعة، وكان هذا الاستفزاز مما حمل أبا يوسف بن عبد الحق المريني على بناء دار لصناعة السفن عهد بالإشراف عليها إلى محمد بن علي بن الحاج الإشبيلي الذي استعمل أخشاب غابة معمورة في بناء السفن إلا أنه تبين أن هذه الأخشاب لم تكن صالحة، في حين أن أخشاب الريف لا تصل بسهولة إلى معامل بادس ونكور، ولم يتيسر بهذه الظروف تحقيق تنمية ملحوظة في ميدان الأسطول.

وفي عام 1273م قام أبو يعقوب بتجهيز أسطول من سلا ليحاصر آخر جيوش الموحدين بطنجة، وأجبر القشتاليين على الكف عن القيام بعمليات غزو خاطف على السواحل المغربية المتوسطية، وقام المرينيون من جهة أخرى بإرسال قطع بحرية للتعرف على جزر كناريا. فوصلتها وأخضعتها لمراقبتها عام 1280م.

كانت القطع البحرية والتجارية تتردد على المراسي المغربية مثل بادس وطنجة وأنفا وعلى سلا بضفة خاصة، فقد شاركت سلا وحدها بست وثلاثين سفينة بحرية في معركة ضد القشتاليين عام 1285. وكانت مختلف المجموعات البحرية تلتقي عند الاقتضاء في ميناء قصر المجاز (القصر الصغير) على البحر المتوسط وكانت تلك الفلك الصغيرة والمتوسطة تتولى نقل الجنود بين البحر وبين السفن الكبرى الراسية في عرض البحر.

وفي هذا العهد ظهر نوع السفن المعروف "بالغراب" لأنه مصبوغ باللون الأسود وله مقدمة تشبه الغراب، ولربما بقيت منها التسمية الشائعة عند بحارة المغرب إلى وقتنا هذا وهي "القارب" وكذا عند البربر الذين يسمون كل سفينة باسم أغرابو.

كانت السفينة الملكية في عهد أبي يوسف تحت إمارة أمير البحر أبي القاسم الرگراگي. وقد ذكر ابن جزي أن أبا عنان قام بعد أن استولى على المنصورة ببناء قلاع بحرية على امتداد الشواطئ المغاربية عام 1348م. وزودها بالذخائر والحاجيات التي يتطلبها البحريون في حالتي السلم والحرب.

كان عام 1358 بداية انحطاط الدولة المرينية حتى أفضى الأمر بالبرتغاليين إلى مهاجمة شمال المغرب واحتلال سبتة عام 848 / 1445. فقد اضطر الأسطول المريني إلى التراجع أمام قوة الدون هونري المكونة من ثلاث وثلاثين سفينة حربية عظمى وتسع وخمسين سفينة سريعة ومائة وعشر من حاملات الجنود.

وقد مضى أزيد من قرنين احتل فيهما البرتغاليون عدداً من نقط شواطئ المغرب ولم ينشأ أسطول بسبب تظافر عوامل الانحطاط السياسي والاقتصادي في أواخر المرينيين وفي عهد وزرائهم الوطاسيين.

وفي منتصف القرن السادس عشر قام السعديون (916 - 1070 / 1510 - 1659) بمحاولة تجديد الأسطول البحري والتجاري، فقد قام محمد الشيخ بعد احتلال فاس بالتفاوض مع أبي حسون صاحب بادس على قيام هذا الأخير ببناء مائة سفينة حربية سريعة ومائة سفينة لشحن البضائع وذلك في أوراش بادس. وفي عهد عبد الله الغالب كان الأسطول يتكون من زهاء ثلاثين قاربا وسفينة. ولما ثار الموريسكيون في جبال غرناطة عام 1568، زاد اهتمام هذا السلطان السعدي ببناء سفن أخرى.

وفي عهد عبد الملك السعدي المعروف بالمتوكل كان الأسطول يتكون عام 985 / 1577 من أربعين سفينة حربية كبرى، وكان هذا الأمير قد خدم في بحرية الأتراك حيث كان من ضباطها أثناء مواجهة فرسان مالطة وشارك في معركة ليبّانط الشهيرة عام 979 / 1571، وكان بالجزائر حيث تزوج بنت القرصان الشهير مراد رايس، وقد انتفع عبد الملك بخبرته في حرب البحر عندما لقي البرتغاليين في معركة وادي المخازن.

أدى طرد المسلمين واليهود من الأندلس نحو المغرب إلى ظهور القرصنة المنطلقة من بلاد المغرب تبُث الرعب في البحرية الأوربية، وتذكر الحوليات المتعلقة بهذه القرصنة أن السلاويين وحدهم اعترضوا طريق أزيد من ألف سفينة ما بين 1620 و1630 م فأسروا أكثر من ستة آلاف شخص تعادل فديتهم 25 مليون قطعة من العملة الذهبية (Ducats).

كان هؤلاء القراصنة السلاويون خليطا من الأجناس، وسرعان ما استثقلوا ضرائب السلطان على مردود نشاطهم، فاستبدوا بالأمر في أنظمة قدموا للترأس عليها بعض الزعماء المحليين. وقد احتفظت سلا بنفوذها إلى أن استتب الأمر للدولة العلوية.

أعاد العلويين النشاط إلى الطرق البحرية في تعاملهم مع الغرب، كما اهتموا بتحرير الشواطئ التي ماتزال تحت احتلال النصارى كالجديدة وأزمور وأسفيْ من البرتغاليين وطنجة من الأنجليز والعرائش والمعمورة وأصيلا وسبتة ومليلية من الإسبانيين.

وضع المولى رشيد (1075 - 1083 / 1664 - 1672) حدا لانفصال قراصنة سلا، وقد انطلقوا في حملات ضد فرنسا لما دخلت في صراع مع هولندا.

أما المولى إسماعيل (1083 - 1140 / 1172 - 1727) فقد أولى اهتماماً كبيراً لمصير الأسرى المغاربة ولتحسين التجارة وتقوية الجيش والبحرية وطرد المحتلين الأجانب من المدن الشاطئية، وفي هذا الصدد عين عبد القادر مورينو أكبر أصحاب السفن السلاويين عاملا على الرباط وسلا وأمر عام 1674 بتأسيس وزارة البحر المهتمة بالشؤون الخارجية على أساس ارتباط هذين الميدانين وأهمية قضية الأسرى والحرب. وقد بعث بسفارات إلى الخارج ترأسها خبراء في البحر من أمثال الحاج محمد تميم وعبد الله بن عائشة، ولكن فرنسا رفضت إعادة الأسرى المغاربة الماهرين في تسيير السفن والتجذيف بها.

وبالرغم من توقيع معاهدة مع فرنسا عام 1682 فقد ظلت مسألة الأسرى تميل بالسلطان إلى التشدد مع فرنسا مما خلق جواً من الحرب غير المعلنة تخللته فترات هدنة وعمليات غزو فرنسية ضد السلاويين.

كان ذلك النشاط القرصني، تحت إمرة رؤساء أمثال ابن عائشة والحاكم وفنيش والروسي ومعايز والتاج وقنديل وآخرين، يلحق أضراراً بسفن الأوربيين ولا سيما الأنجليز الذين أمضوا مع المغرب عقداً عام 1714 وجددوه عام 1721.

كانت المراقبة التامة للدولة على النشاط القرصني بسلا تكاد تجعل منه بحرية تابعة للدولة، وهذا ما قلص من عدد الممولين الخواص لتجهيز السفن.

ومما تميز به العهد الإسماعيلي بناء قلاع حصينة على طول البلاد وعرضها، وإصلاح ميناء مهدية عند مصب واد سبو وإعادة بناء طنجة بعد أن جلا عنها الأنجليز.

إذا كان المولى إسماعيل لم يشيد الأسطول الذي كان يتشوق إليه فإن حفيده سيدي محمد بن عبد الله قد أباح افتداء الأسرى النصارى ووفر أموالا جعلته يميل إلى تفضيل أرباح التجارة على موارد القرصنة، وفي هذا السياق اهتم بالواجهة البحرية الأطلسية ففتح أنفا للتجارة البحرية عام 1760 وعقد في نفس السنة معاهدة مع بريطانيا العظمى.

وفي 1764 أي بعد مرور عام على توقيع معاهدة تجارية مع السويد، أمر سيدي محمد بن عبد الله ببناء مرسى الصويرة الذي صار منتهى القوافل الصحراوية وترتب عن

هذه السياسة أمر بتنشيط وتحصين عدد من المراسي ولا سيما مرتيل لحماية ساحل سبتة، وكذا سلا التي عين عليها عبد الحق فنيش.

أنشأ سيدي محمد بن عبد الله أسطولا بلغ عدد العاملين فيه عشرة آلاف شخص، وكان إلى نظر أمراء البحر من أمثال مراد ومارسيل والسلاوي، وكان التنسيق بين وحدات هذه القوات موكولا إلى العربي كدوس، وكانت مصالح الدولة مرعية بواسطة عمال مكلفين بشؤون البحر في المدن المراسي.

وقد وقعت معاهدة بين المغرب وإسبانيا عام 1767 تضمن حرية الطرفين في الملاحة والتجارة والصيد وتتيح تدعيم الأسطول المغربي بوحدات جديدة وصيانة السفن في أوراش الصناعة البحرية الإسبانية.

ومن جملة ما تميز به عهد سيدي محمد بن عبد الله تعميم مبدإ الدولة ذات الامتياز في التعامل التجاري وتقنين جوانب مهمة من نشاط الملاحة البحرية كحرية الملاح وتقديم العون للبحارين ووضع قواعد الالتقاء بين السفن وحماية الممتلكات والمسافرين عن طريق البحر. وكان مما تميز به هذا العهد ووقعت الإشادة به فيما بعد تلك المعاهدة التي أبرمت عام 1787 بين المغرب وبين الأمة الأمريكية الناشئة، وقد نصت على ضمان الحماية لسفن الولايات المتحدة.

أما عهد المولى سليمان (1207 ـ 1238 / 1792 ـ 1822) فقد تميز بالميل إلى الانطواء تجنبا للمشاكل الناجمة عن ذيول الثورة الفرنسية، وقد ترتب عن هذه السياسة تراجع محقق في المبادلات التجارية عن طريق البحر.

ومن جراء هذه السياسة أمر السلطان عام 1795 بإغلاق مرسى المهدية تخوفاً من توغل الغزاة الأوربيين في حوض سبو وتهديد كل من فاس ومكناس. وفي نفس العام حضر القنصل الأمريكي في جبل طارق إلى الرباط ليتسلم الموافقة النهائية للمغرب على معاهدة 1786.

إن عهد المولى سليمان قد عرف وقائع مالت بالمغرب إلى الانعزال والحذر، منها ما هو داخلي كوباء الطاعون عام 1800، وتزايد تمرد القبائل، ومنها ما هو خارجي كطغيان القوات الأوربية وتفوقها العسكري الذي برز في معركة الطرف الأغر عام 1805، وفي حملات الغزو الأنجليزية الهولاندية ضد الجزائر عام 1816.

وقد انبثق عن مؤتمر فيينا عام 1817 تحالف القوات الأوربية ضد "قرصنة بلاد البربر" مما جعل سلطان المغرب يلتزم للويس الثامن عشر بوضع حد لنشاط القرصنة في المياه المغربية. وبعد ذلك بعام تقرر إلغاء الأسطول الحربي المتكون آنذاك من سبع وأربعين وحدة منها ثلاث حراقات وسفينتان من ذوات الصاريين ودزينة من الزوارق.

وافق تولية المولى عبد الرحمان (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859) ظهور البواخر، فكان لزاماً أن يدخل التعامل بين المغرب وأوربا عهداً جديداً.

كان السلطان الجديد متحررا مهتما بما يجري بأوربا، وقد بادر إلى توجيه رسائل تعبر عن عواطف الصداقة إلى قناصل الدول الغربية، وكان البرتغال سباقاً إلى اغتنام فرصة تلك المبادرة حيث عقد معاهدة مع المغرب عام 1823.

وفي العام الموالي جددت بريطانيا مع المغرب معاهدة 1801 وكملتها، وفي 1825 أشعر القنصل الفرنسي السلطان بتتويج شارل العاشر وحصل على الاعتراف ببند الدولة ذات الامتياز. ولم يتردد قنصل سردينيا في القيام بمبادرة مماثلة حصل على إثرها على توقيع معاهدة مع المغرب.

كان الأسطول المغربي في هذا العهد يتكون من ثلاث سفن تعمل في أعالي البحار وبعض الزوارق، وكان يشرف عليه الحاج عبد الرحمان بريطل الزيراوي والحاج أحمد ولد الحاج.

وفي عام 1856 فرض تحالف مكون من أنجلترا وإسبانيا وفرنسا معاهدة على المغرب تمت باتفاقيات للتجارة والملاحة، وكانت تهدف إلى احتلال المغرب والقضاء على سيادته، وعلى إثر توقيع تلك المعاهدة عينت أنجلترا قناصل في جميع المراسي المغربية المفتوحة للتجارة، ومما ترتب على ذلك أن مراقبة التسرب الأجنبي إلى المغرب قد أفلت زمامها من يد المخزن. وكانت حرب تطوان التي اعتدت فيها إسبانيا على المغرب مناسبة وجهت فيها الضربة القاضية للملاحة المغربية.

وقد نص ميثاق دولي موقع عام 1864، وهو متعلق بمنار رأس سبارتيل، نص في بنده الخامس على أن تتولاه الأمم الأوربية، وبذلك يتقرر أن المغرب لم يعد يتوفر على بحرية عسكرية أو تجارية.

قام السلطان مولاى الحسن (1290 ـ 1312 / 1873 ـ 1894) في عامه الأول بمحاولة تهدف إلى إعادة تأسيس البحرية المغربية، وكانت غايته الأولى أن يتوفر على وسيلة نقل سريعة للجنود والعتاد والبضائع لا تتعرض لمشاكل النقل البري، كما كان يهدف من جهة أخرى إلى مطاردة المهربين الذين يلحقون أضراراً بمداخيل الجمارك. وفي هذا الشأن تفاوض السلطان أثناء إقامته بالدار البيضاء في ماي 1876 مع الوزير المفوض الإيطالي سكوفاص Scovasse على اقتناء المغرب لسفينتين حربيتين عصريتين ولسفينة تكون مدرسة لطلبة البحرية.

وفي عام 1877 طلب السلطان إعانة أنجلترا في الحصول على سفينة مزدوجة تصلح للقتال والنقل معا، كما قرر أن يبعث بطلبة مغاربة يتلقون تكويناً بحرياً في المدارس المختصة بأنجلترا، وقد وقع بهذه المناسبة تصميم بذلة وطنية مغربية للبحارين تتكون من قميص صوفي أزرق داكن وشارات عليها أزرار مذهبة وقبعة تحمل نجمة ذهبية مزخرفة على رفرفها.

وقد جاءت مجاعة 1879 بما فرضته من ضرورة إيصال سريع للحبوب إلى جنوب المملكة لتزيد من عزم السلطان على تنمية البحرية، ولكن هذا المشروع تعرض لمضايقات الدول الأجنبية التي عرقلت كل جهود السلطان في هذا الاتجاه.

ومع كل المضايقات أمر السلطان بفتح مرسى أساكا للتجارة وبتنظيم حراسة للساحل ما بين أگادير ووادي درعة.

وكانت غاية ما أمكن إنجازه في آخر العهد الحسني في ميدان الأسطول البحري هو ثلاث وحدات صغيرة للنقل، والسفينة خافرة الشواطئ المسماة بالبشير. ومع ذلك فإن عناية السلطان بإصلاح المراسي قد برزت في عدة مناسبات منها مناسبة زيارته لمرسى الدار البيضاء عام 1878.

أما العناية بالتجارة مع الخارج فقد تمثلت في فتح ثمانية مراسي، وانتقلت الصدارة من الصويرة إلى طنجة في منتصف القرن، ثم انتقلت إلى الدار البيضاء حوالي سنة 1890.

وبعد وفاة السلطان مولاى الحسن وتزايد نشاط البحرية الدولية المستعملة للبخار ذهبت الأهمية عن بعض المراسي التقليدية في مصبات الأنهار كالرباط وسلا والعرائش ومهدية.

وفي عهد وصاية أحمد بن موسى (1894 - 1900) تم بيع سفينتين كانتا زهرة ما تبقى من الأسطول، ولم يبق سوى السفينة المعروفة بسيدي التركي التي استمرت بضع سنين أخرى تتجول في البحر المتوسط.

وفي عهد السلطان مولاي يوسف، أي في الشطر الأول من عهد الحماية عاد النشاط إلى المراسي وخاصة الدار البيضاء وفضالة والرباط فارتبطت الدار البيضاء وطنجة بمرسيلية بواسطة الرحلة الأسبوعية لسفن شركة باكي Paquet التي كانت قد دشنت عملها بالمغرب منذ عام 1865، كما أقامت هذه الشركة ربطا آخر بين مرسيلية وبرشلونة ووهران وبين المراسي المغربية جنوبي الدار البيضاء. كما أنشئت خطوط اتصال أخرى لسفن النقل الصغرى مع الرباط والقنيطرة، وقد نمت حركة النقل التي كان معظمها قائماً على تجارة الحبوب وصناعة الفوسفاط الناشئة.

ولما ازداد حجم المبادلات قامت السلطات بربط اتصالات بحرية أخرى بمرسى الهافر ومرسى دانكيرك بواسطة زوارق نقل استخدمت لإحباط المبادرة الفردية في هذا الاتجاه.

ولدعم هذه الأنشطة البحرية قامت السلطة عام 1919 بوضع المسطرة التأديبية والجنائية للبحرية التجارية وسن قانون التجارة البحرية. وكانت تلك الإنجازات متميزة بالنسبة لعصرها، واستوحت من القوانين الجاري بها العمل في عدة بلدان.

وفي عام 1920 تم إنشاء مصلحة للبحرية التجارية والصيد البحري، ومعها ظهرت أولى السفن الحاملة للراية المغربية. ومن جملتها مجموعة حملت أسماء الرؤوس البحرية جهزها اتحاد المقاولات المغربية ومن سفنها "بوجدور" و"سبارتيل" و"تريفة" ومجموعة "القواد" ومنها "ميما" و"عزيز" و"حسن" و"الفاسي".

أصبحت الدار البيضاء ميناء لرسو السفن القاصدة والعابرة بكيفية منتظمة، وكان من السفن البخارية الدائمة التردد عليه "أگادير" و"الرباط" وهما تابعتان للشركة الشريفة للملاحة.

وفي عهد سيدي محمد بن يوسف أُحدثت تشريعات بحرية وطنية في ميدان تسجيل السفن أطلقت الحرية في هذا الباب وشجعت عدداً من أصحاب السفن الأجانب على أن يضعوا سفنهم تحت الراية المغربية، وبهذا غدا الأسطول التجاري الوطني يضم ابتداء من سنة 1932 أربع عشرة وحدة تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن.

وفي العام الموالي أدت المنافسة إلى صدور ظهير يقصر متاجرة السفن المسجلة في المغرب على منطقة الحماية الفرنسية، وأدى ذلك إلى تدهور ذلك الأسطول حتى إنه لم يعد يضم بعد اثنتي عشرة سنة سوى خمس وحدات مجموع حمولتها ثلاثة آلاف طن.

ابتداء من عام 1946 أدى النمو المتزايد لحركة الملاحة إلى انطلاق جديد في ميدان اقتناء البواخر المتخصصة مثل "مولاي بوشعيب" و"سعادة" التي أصلحتها شركات *ليكارگو فرويتيي شريفيان* (حاملات الفواكه الشريفة) لنقل الحوامض والبواكر وكذا اقتناء وحدات جديدة مثل الناقلة المسماة بـ "الغرب" التي جهزتها الشركة الشريفة لتجهيز السفن، و"جرادة" التي وقع اقتناؤها عام 1948 من طرف الشركة الفرنسية الشريفية وهي التي صارت كوماناف الحالية COMANAV و"الأودایة" وهي سفينة نقل عصرية طاقتها 2500 طن تتوفر على مخازن مكيفة الهواء.

وهكذا صارالأسطول التجاري المغربي في عام 1949 يضم من جديد خمسا وثلاثين سفينة حمولتها الإجمالية 32.000 طن، وكان من بينها ثلاث سفن مهيأة للمسافات البعيدة.

وقد عرفت هذه المدة تكاثر الشركات الصغرى التي أقبلت على الاستغلال التجاري للسفن الصهاريج التي استغنت عنها البحرية الأمريكية وحولتها إلى حاملات لخمور المغرب والجزائر. ولكن تدهور الصادرات من الخمور أدت عام 1956 إلى نقصان عدد قطع الأسطول الذي كان قد وصل إلى أربع عشرة قطعة حمولتها اثنا عشر ألف طن.

ومع إرسال قواعد الاستقلال تطور الأسطول وأصلحت الموانئ ووضعت أسس البحرية العصرية. وقد كان التوجه في ميدان البحرية في هذا العهد الجديد بداية الاستجابة لتطور التجارة الخارجية. ومن رموز هذا التجديد المستند إلى تقليد عريق إنشاء وزارة خاصة بالملاحة التجارية والصيد البحري عام 1981.

A. Timoul, *Les Chroniques maritimes du Maroc.*

عبد القادر تيمول

البحيرات بالمغرب، يتوفر المغرب على عدد كثير من البحيرات، وهي صنفان :

أ - بحيرات شاطئية : هي عبارة عن مساحات من الماء معزولة عن البحر، إلا أنها تبقى متصلة به وتحت تأثيره

المباشر بواحد أو عدد من المجاري. وإن ما يميز هاته البحيرات الشائية هو التقلبات الكبيرة في عواملها الهيدرولية كحرارة الماء وخاصة ملوحته التي يمكن أن تصل ما بين 4 و42٪.

مساحتها ثلاثة كلمترات مربعة وعمقها 2.5 أمتار بينما يتعدى عمق بحيرة خنيفيس أكثر من 20 مترا وذلك بسبب تيارات المد والجزر التي ساهمت في حفر خنادق عيمقة وسط البحيرة.

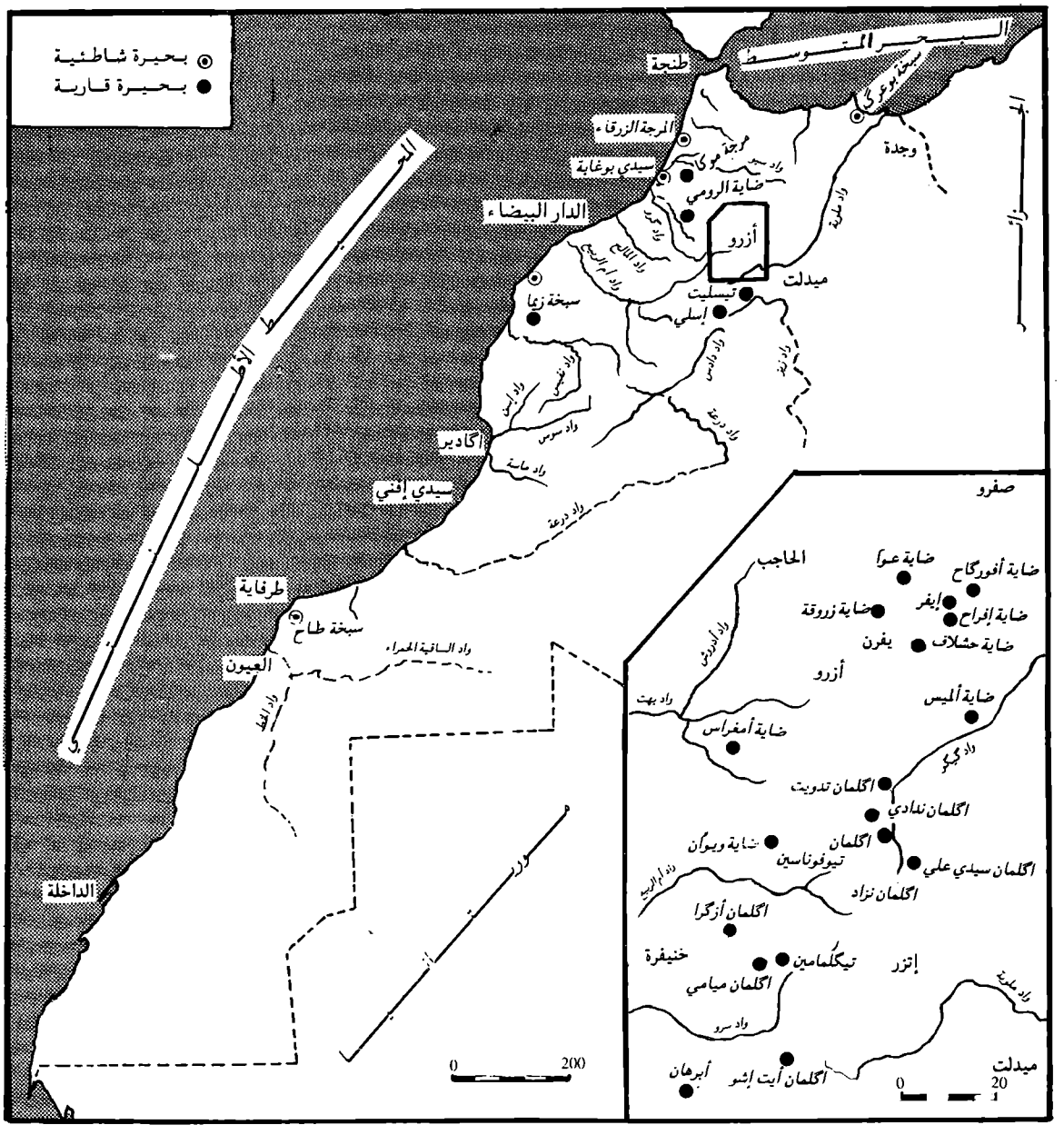

البحيرات الشاطئية والقارية

تتوفر السواحل المغربية التي يبلغ طولها أكثر من 3.000 كلم على عدة بحيرات شاطئية نذكر من بينها على الشواطئ الأطلسية : بحيرة مولاي بوسلهام قرب العرائش، وبحيرتا سيدي موسى والوليدية قرب مدينة الجديدة، ثم بحيرة ناحية طرفاية. أما الشواطئ المتوسطية فتتوفر على بحيرة بوعرگ ناحية مدينة الناضور. وهي أكبر هاته البحيرات مساحة حيث تتعدى 115 كلم مربع، بينما لا يتعدى عمقها ثمانية أمتار. أما بحيرة الوليدية فلا تتعدى

تقع البحيرات المغربية بشكل عام محتجبة بالتلال الشاطئية الرملية مما يجعلها محمية من الرياح والعواصف وبالتالي متوفرة بداخلها على هدوء نسبي. وينتج عن هذا كله تراكم حبات الرمل في قعر البحيرة وندرة في الدعامات الصخرية.

يساعد تراكم الرمال والأوحال في قعر البحيرات على نمو العديد من النباتات باديات الزهر المائية التي تشبه الزهرات البرية. ومن بين هاته النباتات يمكن أن نذكر عدة

أنواع من جنس Posidonia Cymodocea Zostera والتي تبرهن بوجودها فقط عن هدوء وسكون البحيرة.

تعيش في البحيرات الشاطئية أيضا عدة أنواع من الطحالب وخاصة منها الطحالب الخضراء كأجناس Caulerpa Enteromorpha Ulva وأعداد أخرى من الطحالب العالقة. تبقى الطحالب الحمراء نادرة في معظم البحيرات المغربية ويبقى وجودها مرتبطا أكثر بالتيارات المائية وبمدى تأثُّر البحيرة بمياه البحر. تلعب هاته الطحالب الحمراء وخاصة Jania rubens دوراً هاماً في تثبيت وتركيز الرواسب في قعر البحيرات.

وحيش البحيرات الشاطئية المغربية متنوع جدا وكثير الشبه بنظيره في البحيرات المتوسطية. تتكون اللافقريات من المنخريات Ammonia Etphidium والاسفنجيات Sycon وشقائق البحر Actinies والقشريات مزدوجات الأرجل Gammarus Corophium ومتساويات الأرجل Idotea وعشاريات الأرجل (الاربيان) بالإضافة إلى الحلقيات Cirratulides والرخويات Hydrobia.

تتكون الأسماك من عدة أنواع يتميز أغلبها بقدرة كبيرة على التكيف مع تقلبات الملوحة، إلا أن منها ما ياتي من البحر ومنها ما ياتي من المياه العذبة.

لا يمكن اقتصاديا أن تُتجاهل الأهمية البالغة لهاته البحيرات وخاصة في ميادين الصيد وتربية بعض الحيوانات البحرية. وبالفعل فإن مياه البحيرات غنية بالأملاح المعدنية والعضوية وبالتالي بمواد التغذية بالنسبة لبعض الحيوانات ذات الأهمية الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك فإن البحيرات الشاطئية سهلة البلوغ مما يجعل استغلالها أقل تكلفة من استغلال عرض البحر أو المحيط.

من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى ما تعيش طول عمرها في البحيرات، ومنها ما تأتي من البحار أو المياه العذبة لتكمل نموها، وأخرى تاتي لتتوالد ثم ترجع إلى موطنها الأصلي. كما تدخل البحيرات أيضا كبحيرة الناضور كميات هامة من الأربيان في مراحلها الأولى لتكمل نموها وتعود لتتوالد في أعالي البحار.

تعتبر البحيرات إذن ربطا طبيعيا لتجمع صغار الأسماك والقشريات والرخويات... وهي بالتالي تكون منجما طبيعيا سهل الاستغلال. نذكر على سبيل المثال وفرة الأربيان من نوع Penaeus Kerathurus والمحار Venerupis Seccussata.

منذ سنة 1956 أنشئت ببحيرة الوليدية عدة أحواض لتربية محار الترق C. Gigas, Crassostrea angulata يصدر معظم إنتاجها إلى الخارج. أما بحيرة الناضور فقد جُهزت أخيراً بأحدث وسائل تربية المحار وتنمية الأربيان والأسماك. يصدر أيضا معظم إنتاجها إلى الخارج.

قد تتعرض البحيرات للتلوث الناتج في أغلب الأحيان عن أنشطة الإنسان، مما يؤدي إلى اختلال توازنها البيئي. فبحيرة الناضور، مثلا، تتلقى مجاري ملوثة من مدينة الناضور، من قرية أركمان، من بني أنصار وأسوان، مما أدى في بعض مناطق هاته البحيرة إلى نمو سريع في اعداد الطحالب الخضراء Ulva وبالتالي قلة نسبة الأكسجين واندثار كل الحيوانات بما فيها الأكثر قابلية للتلوث.

من البديهي أن يكون هذا التلوث خطراً على «الحالة الصحية» للبحيرات وعلى النباتات والحيوانات بها، وعبر السلسلة الغذائية يكون خطراً على الإنسان، لذا يجب حمايتها وعقلنة استغلالها خاصة إذا علمنا أنها، بيئيا، من أكثر المواطن حساسية، بالإضافة إلى أنها مواطن ضرورية لتوالد ونمو عدة أنواع ذات أهمية كبرى في اقتصاد البلاد.

ب - بحيرات قارية : يعد المغرب، بسلاسله الجبلية العالية وبجواره للمحيط الأطلنتي والبحر المتوسط، من أغنى البلدان أمطاراً في شمال إفريقيا مما أدى إلى تعدد بحيراته القارية الطبيعية منها والاصطناعية (بحيرات السدود).

نتج عن تعدد المناخات والطبقات الجيولوجية السطحية بالمغرب حميلات بيئية مختلفة بالمياه الراكدة. توجد معظمها في المناطق الرطبة وشبه الرطبة من البلاد، تميز منها :

- بحيرات طبيعية دائمة يفوق عددها العشرين منها ثلاثة في الأطلس الكبير، وأربعة في السهول الغربية والباقي في الأطلس المتوسط نظراً لتوفره على كمية هامة من الأمطار ولطبقاته الكلسية والدلوميتية. تسمى محليا في الأطلسين أگلميم وإگلمان وتگلمامين، وفي سائر مناطق المغرب المرجة والبحيرة والضاية.

- بحيرات طبيعية مؤقتة وهي كثيرة في المغرب تغمرها المياه في فصل الشتاء والربيع فقط. منها عذبة المياه وتسمى الضايات، ومالحة أو سبخات وتوجد في المناطق الجافة والصحراوية من البلاد.

وهناك بحيرات قارية اصطناعية أو بحيرات السدود. نظراً لما للماء من قيمة قصوى في نشاط الإنسان وأهمية حيويته في التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الري، توليد الكهرباء، المياه الصالحة للشرب وللصناعة، تربية الأسماك...) وقع التفكير منذ سنة 1929 في خزن مياه الأمطار وكان سد سيدي سعيد معاشو على نهر أم الربيع هو أول سد بُني في المغرب لتغطية حاجيات سكان الدار البيضاء من المياه الصالحة للشرب وللمعامل والمصانع. ارتفع عدد السدود إلى ثلاثة عشر قبل الاستقلال لسقي 136.000 هكتار وستة عشر سداً قبل 1966 تخزن مليارين متر3. وابتداءً من سنة 1967 ركز المغرب سياسته على الاعتناء بخزن مياه الأمطار في جميع المناطق، وهكذا بلغ عدد السدود الكبرى خمسة وثلاثين تفوق سعتها عشرة مليارات متر3، على رأسها سد سيدي محمد بن عبد الله، والمسيرة الخضراء، وبين الويدان، وإدريس الأول، ومحمد الخامس. أنشئت إلى جانب هذه البحيرات عدة سدود تلّية

في مختلف المناطق وتلعب دورا هاما في الاقتصاد المحلي.

مميزات البحيرات الكميائية والبيولوجية : أغلب البحيرات الطبيعية لا تتعدى مساحتها مائة هكتار، وعمقها خمسة عشر متراً باستثناء بحيرة أگلمان سيدي علي الممتدة على ثلاثمائة هكتار، وأربعين متراً عمقاً ؛ وبحيرة إفني بالأطلس الكبير (61 متراً) وأگلمان تسليت (92 متراً).

تتلقى البحيرات الطبيعية المياه من الينابيع والعيون المجاورة ومن ذوبان الثلوج ومن الأمطار. أما بحيرات السدود فيبقى نظامها الهدرولوجي طول السنة ومن سنة لأخرى. فهي تمتلئ بعنف في فصل الشتاء وينقص منسوب المياه في فصل الصيف بصفة ملحوظة. تنساق إلى بحيرات السدود كميات هائلة من المواد العضوية والمعدنية بسبب الانجرافات مما يؤدي إلى تراكم التربة داخل البحيرة.

تتراوح الحرارة بالنسبة للبحيرات الجبلية، ما بين 5 و25 درجة مائوية قرب سطح الماء وما بين 5 و8 في الأعماق. وبالنسبة لبحيرات السهول تتراوح الحرارة ما بين 10 و35 درجة مائوية قرب سطح الماء وما بين 12 و18 درجة قرب الأعماق مما يدل على طبقتين حراريتين في كل بحيرة يطلق عليهما : البحيرة الأفقية أو Epilimnion والبحيرة السفلى أو Hypolimnion وهي باردة وقليلة الأوكسجين. تنخفض الحرارة في فصل الشتاء، وحين اقترابها من أربع درجات يصير الماء ثقيلا بالسطح فيهبط إلى الأعماق وتحل محله مياه الأعماق الأقل كثافة. وهكذا يتم جريان المياه من الأعلى إلى الأسفل مرة في كل سنة بالنسبة لبحيرات المغرب باستثناء بحيرة إفني التي يكسوها الجليد مدة طويلة في فصل الشتاء مما يجعل البحيرة الأفقية أكثر برودة من السفلى وبذلك يتم جريان المياه مرتين "Dimictique" في السنة.

ساعدت هذه الحرارة المرتفعة إلى جانب وفرة الأوكسجين والمواد العضوية والمعدنية بالبحيرة الأفقية على نمو وازدهار كل من الطحالب العائمة والنباتات المائية وبهذا تعد معظم بحيرات المغرب من النوع الخصوب Eutrophe.

يعيش في مختلف البحيرات المغربية ما يزيد على ألف نوع من الحيوانات المائية جلها من اللافقريات وفي صدارتها كمّاً وكيفاً القشريات التي تأكل الطحالب العائمة وتشكل البلانكتون الحيواني المتكون من مجدافيات الأرجل، وبراغيث الماء، والمحار الذي يعتبر أساساً لتغذية كثير من أنواع اللافقريات الأخرى والأسماك والضفادع والطيور.

تتكون الحشرات المائية من عدة فصيلات، وفي مقدمتها مغمدات الأجنحة ومزدوجات الجناح ومختلفات الجناح واليعاسيب. تفضل يرقات الناموس (البعوض) العيش في جوانب البحيرات المرتفعة الحرارة والغنية بالنباتات ويعد نوع Anopheles labranchiae هو العنصر الرئيسي لنقل حمى المستنقعات للإنسان.

تعيش أيضاً وسط النباتات عدة أنواع من العلقة التي تمتص دم الحيوانات الداجنة، وعدة أنواع من الحلزونات والحلقيات والضفادع ونوع واحد من السلاحف Emys leprosa وأحياناً نوع واحد من الثعابين Natrix maura.

من بين الأسماك التي تعيش في البحيرات الطبيعية هناك نوعان فقط : التروتة الخضراء التي تعيش في بحيرة إسلي في الأطلس الكبير، وتروتة بلاري Salmo pallaryi التي كانت تعيش في أگلمان سيدي علي وانقرضت بعد إدخال أنواع أخرى من طرف مصلحة المياه والغابات.

في نطاق تنمية الصيد الرياضي والتخفيف من النباتات المائية، أُدخل إلى البحيرات اثنا عشر نوعا من الأسماك موطنها الأصلي أوربا وأمريكا الشمالية والصين. أهمها الزنجور والشبوط الفضي والصيني والبجن والبرعان والصندر والمكه والغجوم وأحمر الأذنين والفرخ.

توجد أيضاً عدة أنواع من الطيور في البحيرات وفي مقدمتها البطيات والطيور المائية وبعض الكواسر التي تأكل الأسماك كالسرنوف، وكذلك بعض العصافير.

R. Boue, H. Chanton, *Biologie animale Zoologie-Invertébrés*, t : I, Paris, 1962 ; G.Bitar, *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution comparaisons biogéographiques*. Thèse Doct. Et et Univ. Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la Faune et de la Flore littorales du mers d'Europe* , Genève, 1986 ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranénne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*, thése Doct, Et et Univ. MohamedV ; *Les peuplements des milieux lagunaires, G.E.M (faune)* 1, 1987 ; C. Davadie, *Etude de Balane d'Europe et d'Afrique*, Paris,1963.

محمد منيوي

البُحيرَة ـ جغرافيا ـ، سهل بجنوب المغرب الأطلنتي يمتد على شكل طولي من الشرق إلى الغرب من سهل تادلا إلى هضبة الگنتور وهضبة الرحامنة في الشمال والجبيلات بالجنوب. مساحته حوالي 1200 كلم^2. يقع بإقليم قلعة السراغنة ؛ دائرتي سيدي بوعثمان والرحامنة. وهو عبارة عن حوض مغلق كانت تتوسطه بحيرة موسمية تعرف لدى السكان بگلتة بني حسان وفي الخرائط بسد مجنون، تتسع مساحتها في السنوات الكثيرة الأمطار حيث يصل عمق مياهها إلى ميتر. وهي تعكس صعود المياه الجوفية إلى السطح، لكن بتوالي سنوات الجفاف وتقدم الضخ الميكانيكي انخفض مستوى المياه الجوفية واختفت البحيرة تاركة في مكانها قشرة ملحية بيضاء. وقد استمد الحوض تسميته منها ويقال من كثرة البحاير أي البساتين المروية التي انتشرت في بعض أطرافه قديما.

والسهل عبارة عن منخفض بنيوي علوه عن سطح البحر 410 م، عرف التهدل خلال الحركة الأطلسية، يندس على شكل طولي بين طيتين عميقيتين هرسينيتين هما الجبيلات جنوبا والرحامنة شمالا ويتكون من صخور متنوعة : حث طفل كلس ترجع إلى الزمن الثاني تليها طبقات فوسفاطية من الإيوسين تظهر بالأطراف الشمالية، ويغطي الكل توضعات رباعية ونيوجينية قارية يختلف سمكها من جهة لأخرى، تتكون من سحنتين رئيسيتين : الأولى كلس

مستنقعي يظهر خاصة غرب وشمال سد مجنون يحتضن فرشة مائية غنية. والثانية تتكون من رصيص بليوسين الأعلى، مغطى جزئيا بطبقة طينية رقيقة.

يسود سهل البحيرة مناخ شبه جاف ذو طابع قاري قليل الأمطار : 200 إلى 300 ملم. وحرارة مرتفعة مع مدى حراري يومي وشهري كبير، ونسبة رطوبة ضعيفة ودرجة تبخر كبيرة. كما يعرف السهل درجات حرارة قصوى تتجاوز 40 صيفا ودون الصفر في بعض ليالي الشتاء مما يعرضه للصقيع. وأهم مجرى مائي هو وادي گاينو الذي ينبع من شرق الجبيلات مكان مجرى سابق لتساوت لكنه ينتهي بجريان منتشر كما تنتهي كل السيول الأخرى النابعة من الجبيلات من هوامشه بجريان منتشر أو نحو منخفض سد مجنون.

السكان والنشاط الاقتصادي : كان السهل مرعى تكميليا لسكان الدير والأطلس الكبير. وفي القرون الأخيرة استوطنت قبائل الرحامنة معظم جزئه الغربي بينما بقي الجزء الشرقي الذي يضم أفضل المراعي "أرض الحدرة" تابعا لقبائل السراغنة. ونظراً لشح الأمطار فقد كان السهل أصلح ما يكون للرعي، ولهذا كان السكان الذين يقيمون بقرى كبيرة للاحتماء يهتمون بتربية الأغنام التي تجد كذلك مراعي احتياطية أخرى في شعاب الجبيلات الفارغة،

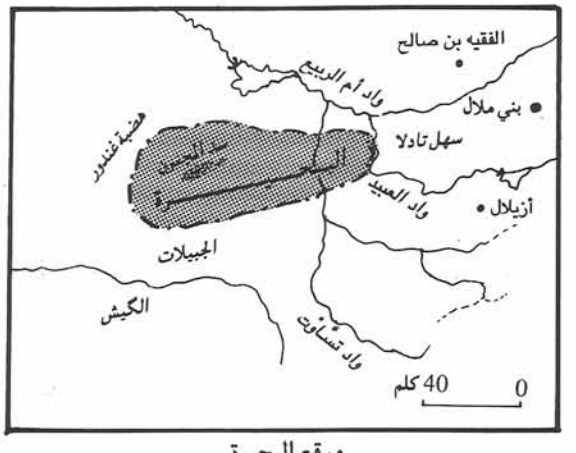

موقع البحيرة

ويمارسون زراعة واسعة يناصيبية للحبوب. إلا أن الهوامش الجنوبية كانت تستفيذ من مياه فيض وديان الجبيلات التي تتلقى مقادير لا بأس بها من الأمطار مما يجعل زراعة الحبوب على حادورها تعطي إنتاجا أفضل. ويتزايد السكان والحاجيات والبحث عن موارد فلاحية أخرى ظهرت ميزة البحيرة وهي وجود فرشة مائية غنية قريبة من السطح وتربة متنوعة لا بأس بها. فبدأت المنطقة تعرف تحولات بعد الاستقلال عندما وجدت شركة "تيسير" التي تنقب عن الفوسفاط فرشة مياه عذبة يبلغ سمكها حوالي 300 م بشرق البحيرة. فأسست أول ضيعة رائدة مساحتها 840 هـ وسرعان ما انتشرت حولها ضيعات أخرى وبدأ المستثمرون الحضريون من مراكش وأگادير والدار البيضاء والرباط بصفة خاصة يشترون الأراضي لتكوين ضيعات تهتم بزراعة مسقية للزيتون والمشماش واللوز والشهدية والبرتقال وبعض الخضر خاصة البطيخ الأصفر. كما أنشأ بعض المستثمرين حضائر لتربية الأبقار الحلوب. وفي إطار تدعيم الري الصغير بدأت مصالح وزارة الفلاحة تتدخل ابتداء من 1969 فأنشأت أجهزة تقنية وطبقت مشاريع إصلاح زراعي لحل مشكل الأراضي الجماعية التي تمثل 30٪ من أراضي البحيرة وتفتيت الملكية في مكان الملك الخاص. فكونت مزارع نموذجية وتعاونيات تمنح أربع هكتار مسقية لكل فرد مقابل التنازل عن نصيبه من الأرض الجماعية للدولة، إلا أن التعاونيات لم تحقق النتائج المرجوة فسعى المسؤولون الزراعيون لنشر زراعة عنب الزبيب والسكر (مشروع تقنية إيطالية يتناول 5000 هـ). وبعد ملاحظة انخفاض مستوى الفرشة المائية لضعف تغذيتها بسبب قلة الأمطار وانعدام وديان كبرى، وفي إطار ترشيد استعمال المياه نشر المسؤولون أساليب ري جديدة : التنقيط للأشجار والأدرع الميكانية المتحركة لإنتاج القمح الذي يعطي مردوداً مرتفعاً (60 ق / هـ) باستعمال الأسمدة والأدوية، معظمها بأراضي الدولة التي تغطي 1700 هـ. ومازالت زراعة القمح العصرية تتوسع ويستعمل إنتاجها كبذور تباع في الأقاليم الشمالية. وهكذا اتسع النطاق المسقي الذي لم يكن له وجود قبل سنوات قليلة، إذ وصل إلى 8300 هـ سنة 1990. لقد أدت هذه التدخلات إلى تقلص المجال الرعوي للسكان المحليين الذين لا يزالون محافظين على نمط إنتاجهم البدائي القائم على تربية الأغنام وزراعة واسعة للشعير، لكن الكثيرين من الشباب يتحولون إلى عمال زراعيين، ويلاحظ أن مساحة بحيرة سد مجنون لم تستغل نظراً لملوحة التربة والمياه بهوامشها كما أنها تعاود الظهور في بعض السنوات الكثيرة المطر. وهكذا يساهم سهل البحيرة في مسلسل التخصص الزراعي الإقليمي ويندمج تدريجياً في السوق الرأسمالية الوطنية مستفيداً من موقعه بوسط المغرب. وبعد تكوين إقليم السراغنة، صار السهل بفضل موقعه المركزي رابطاً بين قطبيه : قلعة السراغنة وبن گرير، مما أعطى أهمية كبيرة للطريق الرابط بينهما والذي يستقطب حركة النقل الوطني من شرق الحوز وقسم من الأطلس الكبير الأوسط وإقليم ورزازات لعبوره باعتباره أقصر طريق نحو العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء.

لقد انعكس هذا النمو الاقتصادي على بعض المراكز السكنية مثل الهيادنا واثنين المحارا ونزالة العظم بصفة خاصة إذ تحولت إلى قيادة ومركز فلاحي مهم حظي بمنشآت تقنية مثل معلم معالجة عنب السكر والزبيب ومخزن للحبوب، كما يعقد بها سوق أسبوعي يوم الخميس، وقد استفادت من مجاورتها للقاعدة العسكرية الكبيرة ومن تحولها التدريجي إلى محطة على طريق مراكش ـ الدار البيضاء. لكن أكبر مستفيذ من الانعكاسات الاقتصادية لمسلسل تحولات البحيرة هي المراكز الحضرية والسكنية

كلية الآداب أكادير

القديمة الواقعة بهوامشه على شكل مثلث : قلعة السراغنة وبن گرير وسيدي بوعثمان.

بحث ميداني : معلومات مرشدين فلاحين بالمركز الفلاحي لسيدي بوعثمان ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب ؛ دراسة خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

أحمد هوزالي

البُحيرة - تاريخ - بكسر الحاء وفتح الراء تجمع على بحايْر. وهي باللسان الأمازيغي تَبْحرْت أو تبْحرْت جمع تبْحرنْ أو إبْحرْ جمع إبْحرنْ. وتعني السهول المتصلة أو البساتين المغروس بأشجار مختلفة أو بنوع واحد منها كالزيتون، أو المخصص للخضر وأنواع البطيخ وفواكه أخرى أو المحتوي على كل ذلك في آن واحد. كما تطلق البحيرة كذلك على الحقول المسقية المبنية على شكل مدرجات على جوانب الأودية الجبلية في الأطلس الكبير الغربي. فهي إذن مختلفة من حيث المساحة كذلك، ولكنها غالبا ما تكون مسورة أو مسيجة بطريقة أو بأخرى.

ويبدو أن أهم ما يميز البحيرة عن أگدال، هو أن هذا الأخير كان في الأصل على الأقل ملكية جماعية أو خاضعة لقانون الجماعة، في حين كانت الأولى منذ البداية ملكية خاصة، يتصرف فيها مالكها كما يشاء.

تتحدث المصادر التاريخية عن هذا النوع من البساتين في مراكش وضواحيه بصفة خاصة، منذ عهد المرابطين. وهذا يجعلنا نتساءل عن الأسباب الموضوعية التي أدت إلى استعمال كلمة «البحيرة» العربية بدل كلمة تُورْتيتْ التي تعتبر أقدم منها، خصوصا في بلد مصمودة المتمرسين بفنون الفلاحة والزراعة منذ أقدم العصور، وفي زمن كزمن المرابطين الذي كانت فيه العربية غير مستعملة إلا لدى قلة من المتعلمين.

ذكر الإدريسي في وصف افريقيا من *نزهة المشتاق*، (ص 43 - 44)، أن رجلا اسمه «عبيد الله بن يونس المهندس جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد» وأضاف بأنه هو الذي أوصل المياه الجوفية من قدم الجبل إلى مراكش بطريقة الخطارات. «ثم إن الناس نظروا إلى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض، ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها».

وإذا صح ما أخبر به الادريسي، فإن ابن يونس هذا، قد يكون هو الذي أطلق اسم «البحيرة» على بساتين مراكش، إذا افترضنا أنه جاء من الأندلس... وهو المرجح. وبقيت متداولة في أفواه الناس، بجانب كلمات أخرى مثل : جْنانات، عْراصي، إگْرانْ، تورْتيتينْ.

وهكذا أصبحت مراكش في عهد الموحدين بصفة خاصة بلد «البحاير» بكل معنى الكلمة، سواء بداخل السور أو خارجه. ففي كتاب *الاستبصار* مثلا نقرأ ما يلي : «وحولها (مراكش) من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها، ما لا يحصى كثرة، وغرس (عبد المومن بن علي) بحيرة عظيمة بغرب المدينة (مراكش) قبَل نفيس دورها ستة أميال، وبنى فيها وخارجها صهريجين عظيمين...»، وهذه الأخيرة هي ما يعرف اليوم بجنان المنارة. «وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب بحاير مثلها في نفس الغرس بل أجمل...» (ص 209 - 210). والجدير بالذكر أن حي القصبة الآن ، الذي بنيت فيه تمراكشت الموحدية، كان قبل ذلك عبارة عن بحاير اتسعت على أرضها المدينة.

غير أن كل الدلائل سواء منها التاريخية أو الحالية تشير إلى أن بحاير مراكش الواقعة خارج السور، تجمعت بصفة خاصة في شرق المدينة، على طول الضفة اليمنى لواد إسيل. وهناك توجد بحسب كتاب *التشوف* بحيرة الصفصفة وبحيرة الرقائق (ص 243، 245، 456).

وكان لبني أمغار إخوة ابن تومرت بحيرة بباب الدباغين (*البيذق*، 118). ومعلوم أن هذه البحاير انتشرت فيما بعد في الجهة الشمالية من المدينة ما بين السور ونهر تانسيفت، وبقيت كذلك إلى وقت قريب حيث تحولت في غالبيتها إلى أحياء سكنية.

ومعلوم أن عبد المومن بن علي اتخذ البحيرة معسكرا لجنوده حين حصاره لمراكش قبيل استيلائه عليها بصفة نهائية. فبعد أن هزم الموحدون بقية جيش المرابطين بضاحية مراكش، جهة باب دكالة "انتقلت المحلة الموحدة إلى دار الفتح وسط البيحرة في صدر شوال من سنة إحدى وأربعين (وخمسمائة)، فلم تزل هناك، وامر المدينة في كل يوم يزيد ضعفاً وأحوالها ترق إلى أن كان يوم السبت السابع عشر من شوال ففتحت مراكش ودخلها الموحدون" (*البيان*، ص 23 - 24).

ويبدو أن عبد المومن اعتبر البحيرة دار الفتح تخليداً لذكرى المعركة الأولى التي انهزموا فيها أمام المرابطين قبل سبع سنوات مضت.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* (1928)، ص 28، 78 - 79 وغيرها ؛ م. ابن عذاري، البيان، طبعة ميراندا، ص 23 - 24 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* (1984)، ص 243، 245، 317، 456، 592 ؛ الحميري، *الروض المعطار* (1984)، ص 540 ؛ م. شفيق، *المعجم*، ص 169.

E. Destaing, *Vocabulaire*, p. 160 - 161 ; E. Laoust, *Mots et Choses*, p. 409 ; E. Lévi-Provençal, *Documents*, p. 232 - 233 ; J. Berque, *Glossaire* ; R. Dozy, *Supplément* (1968), t. I, p. 53 - 54 ; *E. I.* (1975), t.I, p. 949-950 ;P. Pascon, *Haouz*, t. I, p. 211 n. 75.

صدقي علي إزايكو

البُحيرة، معركة جرت بين قوات الموحدين والمرابطين، خارج سور مراكش من ناحية الجنوب الشرقي، دامت أربعين يوما : ربيع الثاني - جمادى الأولى 524 / أبريل - ماي 1130، (*أخبار*، 39 - 40).

تمثل هذه الأحداث خطة هجوم واضحة، وهو تحرك جديد في عمل الموحدين العسكري ضد العاصمة مراكش. فهل

توفر لمصامدة الأطلس ما شجعهم على نقل المواجهات إلى مركز ثقل المخزن المرابطي ؟

إن تصرفاً من هذا النوع كان يقتضي من جهة اتخاذ احتياطات أمنية دقيقة، وتوفر قوة مهيأة كَمًا ونوعاً تسمح بالإقدام على عمل من هذا الحجم. ومن جهة ثانية معرفة دقيقة بالمقدورات العسكرية للطرف الآخر، قصد ضمان نسبة نجاح أكبر لتحقيق أهداف هذا العمل العسكري.

ويبدو أن الموحدين لم تغب عنهم هذه العناصر أثناء التهيىء لمعركة البحيرة. فالاحتياطات الأمنية تلاحظ من خلال :

ـ حماية حركتهم بعدما تم الاطمئنان إلى عدم وجود ما يفاجئها من الخلف.

ـ توقف هجمات المرابطين على الجبل.

ـ تصفية العناصر المناوئة والمشكوك في إخلاصها عن طريق التمييز.

أما الجانب الخاص بالقوة الموحدية فتظهر أهميته من جهة في اكتسابها خبرة عالية على مستوى التنظيم (*المعجب*، 188 ـ 191)، وتجربة عسكرية غنية مما ساهم في فعاليتها الاحتكاك بميدان صعب هو ميدان التضاريس الجبلية، ثم القرب من قاعدة وجود الخصم. ومن جهة ثانية تبدو قوة الموحدين في حجم المشاركة الكبيرة التي يوضحها الجدول التالي :

مصدر	مواجهات البحيرة					
	توالي الهجمات	طبيعة الهزائم		مواجهات بارزة	هزائم معدودة	
		مرابطون	موحدون		مرابطون	موحدون
أخبار المهدي	- •	-	-	01	00	01
نظم الجمان	+	-	-	02	01	01
البيان	+	-	-	03	02	01
الحلل	+	-	-	02	01	01

أما تقدير إمكانيات الطرف الآخر فأمر غير مستبعد لعدة اعتبارات، منها : تشتت قوات المرابطين على مناطق مختلفة من مجال سيادتهم خاصة في الأندلس التي شكلت إحدى نقط استنزاف هذه القوة. يضاف إلى ذلك وجود قوات محدودة بالمدينة لم يكن في مقدورها مواجهة الموحدين وهو ما تعكسه أهمية الاستغاثة بجنود وعساكر مناطق مختلفة من البلاد (*أخبار*، 40).

اختيار موقع القاعدة : لعل موقع البحيرة المقصود يوجد في النصف الجنوبي من الواجهة الشرقية لخارج المدينة حيث بحيرة الرقايق (*نظم*، 118).

إن الايجابيات التي يقدمها هذا الموقع لتبعد أي عنصر صدفة لنزول حيش المصامدة به، وذلك بالنظر إلى الامتيازات الحمائية والاقتصادية التي يوفرها.

امتيازات حمائية : ساهمت في ضمان المزيد من الأمن للمصامدة بفضل وجود عنصر حمائي طبيعي هو وادي اغزر (إسيل حاليا) الذي يفصل بين المدينة وموقع البحيرة. وفي هذا إمكانية إبعاد عنصر مباغتة جيش المرابطين للموحدين.

وقد تم دعم هذا العنصر ببناء حصن له باب وحيد ومستلزمات عسكرية كالأبراج (*المقتبس*، 24) لجعله قاعدة قيادة الجيش ومكانا للتحصن ضد العدو، يضاف إلى ذلك أن الموقع في اتجاهه الجنوبي والشرقي ينفتح كله على الأطلس الكبير الغربي حيث مجال نفوذ المصامدة.

تمكن المعلومات المتوفرة بهذا الخصوص من التمييز بين جانبين :

المواجهات، لم يقدم البيذق ـ باعتباره مشاركا ـ ما يفيد آن مواجهات وقعت بين الطرفين خلال الأربعين يوماً السابقة لمعركة البحيرة. بالمقابل قدمت مصادر أخرى من بينها ما هو موحدي معلومات تفيد أن هذه المدة لم تعرف الهدنة، وتمادى الحصار على مراكش مدة أربعين يوما يقاتلونهم في كل يوم منها أشد قتال (*نظم*، 118)، وعليه تكون معركة البحيرة خاتمة لسلسلة هذه المواجهات المباشرة بين جيش المرابطين وجيش الموحدين زمن الحصار.

مؤشرات القوة التي شاركت في أحداث البحيرة

	إحصائيات		أوصاف ودلالات الكثرة	
	عدد المشاركين	مصدر	من خلال حجم المشاركة	مصدر
الموحدون	أكثر من 40.000 • • •	*نظم الجمان* * *الحلل* 114	مدة التميز دامت 40 يوما. خروج الناس كافة للبحيرة. المشاركة "بجيش عظيم" المشاركة "بجيش كثيف"	*أخبار*، 39. *أخبار*، 39. *المعجب*،192 *الكامل*،3 : 302
المرابطون	أكثر من 40.000 أكثر من 100.000	*نظم الجمان* * *الحلل* 114	المشاركة "بجيش ضخم" وصول الحشود والعساكر	*المعجب*،192 *البيان*، 764

* ذكره ابن عذاري في *البيان*، 5 : 75 ـ 76 نقلا عن ابن القطان، ولا يوجد في النسخة المتداولة من كتاب *نظم الجمان*.

مما يستفاد من هذا الجدول أن المواجهات التي جرت بين الطرفين قبل معركة البحيرة كانت كلها لصالح الموحدين، وتكبد فيها جيش المرابطين خسائر بشرية كبيرة خاصة المواجهتين الأولى والثانية اللتين قادهما علي بن يوسف (*نظم*، 117). وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يتم اقتحام المدينة ؟.

إن معطيات واردة في مصادر أخرى تمكن من تلمس بعض عناصر الإجابة، إذ يبدو من خلالها أن اقتحام المدينة في هذه الفترة كان فيما يبدو أمراً صعباً، وذلك بالنظر إلى القدرة الدفاعية الهامة التي كانت تتوفر عليها والتي تلاحظ في جانبين بارزين هما :

1 ـ جانب معماري : يتجلى في السور ومكوناته من أبراج وأبواب وشرافات للمراقبة، ومواجهة الخصم عن بعد بواسطة فرق الرماة.

2 ـ جانب بشري : يتمثل في أهمية القوة العسكرية الموجودة بداخل المدينة "من الفرسان نحو أربعين ألفا، ومن الرجالة ما لا يحصي عددهم إلا خالقهم والغزاة كثير... يعني الرماة" (*الحلل*، 114 ـ 115).

ولعل في هذه القدرات ما يسهم في تفسير بعض أسباب تمكن المرابطين من أخذ زمام المبادرة في المواجهات وذلك بتطويل أمدها لإعطاء الفرصة لوصول النجدات،

ولاستنزاف قوة الخصم قبل المواجهة الحاسمة، اعتمادا على خطة ترمي إلى كسب الوقت من خلال :

1 ـ تحصين المدينة بشكل قوي وتقوية الحرس الخاص بالسور والأبواب.

2 ـ استعمال الرماة بالخصوص لإبعاد خطر الموحدين عن أبواب المدينة وسورها.

3 ـ الدفع ببعض الفرق إلى خارج سور المدينة للمناوشة واختبار قوة الخصم بعد الاطمئنان إلى التغطية الأمنية للمدنية.

أمام هذه الوضعية الاستراتيجية التي لم تكن في صالح جيش المصامدة، من غير المستبعد أن هذا الأخير كان يراهن على المواجهة في مجال مفتوح، وهذا ما يفسر كون الحصار كخطة لم يقم به الموحدون، بل كان وسيلة نهجها فيما يبدو جيش المرابطين للوقوف ضد عدم التوازن في القوة، وإبعاد فرصة تحقيق نصر موحدي حاسم في هذه المواجهات.

الحصار : لا يكشف البيذق بوضوح عن مسألة الحصار، في وقت تؤكد أغلب المصادر التي تعرضت لأحداث البحيرة وجوده. فهل كان هناك فعلا حصار ضد هذه الأحداث ؟

إن مجموعة من القرائن التاريخية لا يستبعد معها كون الحصار كان فعلاً، من أبرزها سكوت البيذق نفسه عن أي عمل عسكري خلال الأربعين يوما السابقة لمعركة البحيرة.

المصادر التي ذكرت الحصار اعتبرته من صميم استراتيجية موحدية، وهو اعتبار مشكوك فيه جدا لسببين على الأقل :

ـ سكوت البيذق عن هذا العمل والاكتفاء فقط بإيراد كلمة "البقاء" المرتبطة بالانتظار.

ـ لو كان الحصار موحديا لاستوجب عزل المدينة عن خارجها، والبيذق يثبت بقاء التواصل بين المدينة والخارج زمن الحصار.

بناء على ذلك من غير المستبعد أن الحصار الذي عرفته المدينة في هذه الأحداث لم يكن واردا في تقديرات الموحدين، وإنما ظهر كإجراء طارئ في عمل المرابطين، يقوم على تحصنهم داخل المدينة، لعدم قدرة القوة المتوفرة لديهم آنذاك على مواجهة عساكر الموحدين بشكل يضمن الحسم لصالحهم. وذلك في انتظار وصول دعم المناطق الأخرى.

إذن فالحصار بالشكل الذي تم به، يتخذ صبغة الحصانة والحماية والتمنع ضد التهديد الخارجي المتمثل في هجوم عساكر المصامدة الذي تعرضت له المدينة، وبعد تراجعا تكتيكيا في استراتيجية المرابطين نظراً لعدم تكافئ قوى الطرفين المتصارعين. وهو صادر عن الطرف الأقل قوة بهدف الدفاع.

النتائج : جرت المعركة الأخيرة خلال نهار يوم واحد وانتهت لصالح المرابطين. ودون شك فإن ضراوة المواجهة كانت حاضرة اعتباراً لوجود ما يقوي ذلك خاصة كثافة جند الطرفين.

ولعل من أبرز انعكاسات هذا الوضع آنذاك أن صلى الناس صلاة الخوف وجمعوا بين صلاتي الظهر والعصر (*نظم*، 119).

وقد ترتبت عن هذه المعركة خسائر بشرية هامة كانت حصيلة جيش الموحدين فيها ثقيلة جدا. فإلى جانب ارتفاع نسبة القتلى، فقد الموحدون خمسة عناصر من مجلس العشرة الذي يشرف على قيادة الحركة وعلى رأسهم قائد الجيش في أحداث البحيرة، البشير الونشريسي (*المقتبس*، 23.30.31).

ولعل هذه الخسائر كانت ستكون أكثر فداحة لولا نزول أمطار قوية في عشية يوم المعركة وفرار ما تبقى من جيش الموحدين (*نظم*، 120).

يلاحظ أن البيذق لا يذكر شيئا عن خسائر المعركة. فمن ضمن خمس جمل خصصها لاختصار نتائج هذه المواجهة نجد جملة واحدة فقط فيها اعتراف بالهزيمة "وهزمونا بالعشية" وجملة ثانية ترد الاعتبار "ونجى الموحدون". ولعل الإشارة هنا تحيل إلى قول ابن تومرت "بقى الأمر" أي أمر الموحدين كحركة سياسية مقابل المخزن المرابطي (*البيان*، 4.76). يضاف إلى ذلك ثلاث جمل بانطباع المحايد المتأسف وبالتعميم.

يبدو إذن أن هناك تسترا ما، فهل هو محاولة للتخفيف من فداحة الخسائر والتأكيد على سلامة حركة المصامدة ؟ لعل من مبررات ذلك :

ـ أسلوب الاختصار الشديد لنتائج البحيرة في وقت كان فيه المؤلف في وضع يسمح له بمعرفة دقائق أمور هذه المعركة.

ـ تغيب المصطلحات التي ترمز إلى الموحدين كحركة سياسية وذلك في حالة الهزيمة، وفي المقابل يتم إحضارها إذا كان الغرض يرمي إلى إثبات سلامتها أو انتصارها. يبقى التساؤل بعد ذلك عن أسباب تحول ميزان القوة لصالح المرابطين ؟

توحي مادة البيذق بما يمكن اعتباره أحد الأسباب وهو عدم تكافؤ قوة الطرفين الذي يلاحظ من خلال الجدول التالي :

قوة الطرفين من خلال مادة أخبار المهدي

الموحدون	المرابطون
ـ خرج الناس كافة ـ اجتمع معنا 3000 ـ كان معنا أخلا إيلان ⇓ كل قوة الموحدين المشاركة في البحيرة	ـ عسكر هسكورة ـ عسكر صنهاجة ـ عسكر الغرب ⇓ قوة دعم فقط

وفي هذا ما يدل على أن الحصار قد حقق نتائجه. إذ من غير المستبعد أنه ساهم أيضا في استنزاف قوة

الموحدين. الشيء الذي يفسر المدة القصيرة للمعركة وهو نهار يوم واحد.

وأخيراً، فإن خطة المواجهة التي اتبعها جيش علي بن يوسف كانت ذات أهمية، حيث لعب فيها الرماة دوراً بارزاً ساهم في حسم المعركة لصالح المرابطين (*الحلل*، 115).

أ. البيذق، *القتبس*. ط الرباط 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ت. محمود علي مكي ط بتطوان ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ت. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4، ت. احسان عباس، بيروت 1967 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة.

محمد رابطة الدين

بُحَيْرة أمسنا، أشار ابن حوقل التاجر والرحالة العراقي إلى بحيرة على الساحل الأطلنتي سمّاها أريغ : "أصلها من البحر المحيط ـ صغيرة ترسى فيها المراكب الأندلسية التي تحمل غلات الناحية وفيها يركب أهل البصرة ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياثة" (*صورة الأرض*، 81) منها من جهة الجنوب (مرحلة إلى مصب وادي سبو).

الإشارة الثانية وردت عند الحميري، يقول :"وبقربها (تشمس) بحيرة كبيرة تسمى أمسنا يصب فيها البحر سبعة أعوام وتصب فيه سبعة أعوام وينقطع البحر فيظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك" (*الروض المعطار*، 141) هذا الوصف نقله الحميري حرفياً عن *الاستبصار* (ص. 140)، فهل بحيرة أريغ هي بحيرة أمسنا ؟.

من خلال الإشارات الثلاث السابقة، يتضح أنها نفس البحيرة، فأصلها من البحر أو على الأصح اتصالها بالبحر عن طريق فتحات طبيعية. أما اختلاف الوصف في الكبر والصغر فهذا راجع إلى الاختلافات المناخية، إذ أن العهد الموحدي الذي عاش فيه صاحب *الاستبصار* كان أكثر أمطاراً من العهد الذي عاش فيه ابن حوقل (القرن الرابع (10 م). أما مسألة سبعة أعوام الواردة في نص *الروض المعطار* المنقول عن *الاستبصار* فلها علاقة بالأساطير والاعتقادات الدينية، فرقم سبعة له مكانة خاصة عند بعض المسلمين، وتفسير تبادل الماء بين البحيرة والبحر علمياً معروف اليوم ومرتبط بالمد والجزر وبوفرة الأمطار أو قلتها ونشاط التعرية والتبخر إلى غير ذلك من العوامل.

حسب البعد والمراحل التي قدمتها الإشارات السابقة فإن موقع بحيرة أمسنا اليوم هو نفس موقع بحيرة مولاي بوسلهام (أو المرجة الزرقاء) كما هو معروف في كتب الجغرافيا، طبعاً مع تغيير ناتج عن ظروف طبيعية وبشرية. فالمرجة الزرقاء أكبر من الأوصاف المقدمة آنذاك ويرجع كذلك إلى الأعمال التي أنجزت في فترة الاستعمار لاستصلاح سهل الغرب، وأهمها صرف مياه المستنقعات والمرجات التي تحول الرمال والتلال دون وصولها إلى البحر، تم صرفها إلى المرجة الزرقاء المتصلة بالبحر. بقي أن أشير إلى أن الاسم وتغيره مرتبط بطبيعة البحيرة ونشاطها في النقل في العصر الوسيط الأعلى أريغ، أما أمسنا فيفهم منها التسطح والانبساط لأن اسما مماثلا أطلق على السهل المجاور لسهل الغرب من الجنوب "تامسنا" وكلها أسماء زناتية، وقد خضعت هذه المناطق منذ تدهور الوجود الروماني بالمغرب وفي بداية العهد الإسلامي إلى زناتة.

عدم ذكر المصادر اللاحقة لهذه البحيرة لا يعني اختفاءها بل يعني فيما يعنيه إغفالا لها بسبب انحرافها عن الطرق الكبرى آنذاك ولا يصل إليها إلا من ركب البحر أو الأنهار. فالأوصاف الأولى عن المغرب الساحلي عند القدامى كانت انطلاقاً من المحيط.

أشار الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (233 ـ 236 ـ 237) في معرض حديثه عن منطقة الغرب (أزغار) والهبط إلى كثرة المرجات والمستنقعات لكنه لم يفصل الحديث عن إحداها، مع أنه أسهب في وصف بحيرة الجبل الأخضر بدكالة (*وصف افريقيا*، 128) فالسبب هنا بسيط، فبحيرة الجبل الأخضر شاهدها وأقام على ضفافها إلى جانب الملك الوطاسي، أما بحيرة أمسنا وغيرها من المرجات، فإنه لم يشاهدها لعدة اعتبارات منها وعورة المنطقة وتعدد مخاطرها (حمى المستنقعات، ووجود الأسد وقطاع الطرق والحروب والغزو البرتغالي...).

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المغرب*. 1911 و1965 ؛ ش. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

محمد حجاج الطويل

بَحيرة الصالحة ـ مراكش ـ تعرف أيضاً بجنان الصالحة. تقع خارج الواجهة الجنوبية لسور المدينة المرابطية، ومنها أخذ باب الصالحة اسمه باعتباره الباب المؤدي إليها. ولعل اسم الصالحة هو اسم لإحدى أخوات الأمير المرابطي علي بن يوسف (*Note*, 226).

أنشأ المرابطون هذه البحيرة ضمن مجموعة البساتين والجنان التي أقاموها حول السور داخل المدينة وخارجها. ولعلها أول إنجاز لهم في تشكيل المجال الفلاحي المسقي للمدينة، وإحدى العلامات الدالة على قيمة ما أنجزوه في ميدان هندسة المياه. فقد كانت لا شك تتوفر على مساحة واسعة جداً لدرجة أن مدينة بكاملها بنيت على جزء منها فقط. كما توفرت على تجهيزات مائية هامة من ضمنها صهاريج لجمع وتوزيع المياه (*Marrakech*, 1 - 88)،

وعلى جزء كبير منها بنيت المدينة المخزنية الموحدية في أواخر القرن السادس (12م) (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 174). وأضيف قبلها في الجنوب أيضا بستان المسرة، طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منه (*الحلل*، 145).

إن هذه المنجزات الفلاحية والمعمارية الهامة التي قام بها الموحدون في جنان الصالحة لتثير التساؤل حول اختيار هذا الموقع للأغراض السابقة، ألم يكن هناك قصد في محو ماخلفه المرابطون من منجزات بهذا المكان من مجال المدينة؟

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الأعمال لم تمنع من بقاء اسم بحيرة الصالحة ملتصقا بهذا الموقع كعنصر من مكونات ما عرف فيما بعد بأگدال، حيث ذكر نفس الجنان في القرن الثامن (14م) (*إثمد*، 1. 233. 234) وفي الثالث عشر (19م) (*الاستقصا*، 2 : 257) وما تزال إلى الآن. أكثر من ذلك فإنه بقي محفورا في ذاكرة أهل المدينة إلى زماننا هذا، ضمن تراثهم الشفوي الخاص بالأطفال، الكلام المسجوع الآتي : "أَجْرَادَ مَالْحَة، فين بَتّ سارْحة ؛ في جنان الصالحة، آش كَلْتِ واش شْرِبْتِ، غير التفاح والنفاح".

م. ابن عذاري، *البيان* ؛ ت. محمد ابراهيم الكتاني، *وآخرين* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ؛ ابن تللات، *إثمد العينين*، ت. محمد رابطة الدين، ر. د. د. ع. الرباط سنة 1986 ؛ *أشغال الملتقى الأول حول مراكش* من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، كلية الآداب، مراكش ـ 1988.

G. Deverdun, *Marrakech*, T. I ; A. Sarda, *Note sur Marrakech.*

بَحيرَة أبي **مروان**، ذكرت هذه البحيرة ضمن بحاير مراكش في أواخر القرن السادس (12م). والمرجح أن وجودها يعود إلى ما قبل هذا التاريخ. وهي تقع في شرق مراكش، ومن غير المستبعد أنها كانت داخل السور نظراً لوجود السكنى بها، ولعل موقعها يتحدد في المكان المعروف حاليا بتابحيرت (*التشوف*، 317).

مما تميزت به أنها كانت تحتضن مقر إقامة إحدى صوفيات مراكش المشهورة وهي منية بنت ميمون الدكالي (ت 595 / 1199) (*التشوف*، 316. 317).

لا ندري من هو أبو مروان الذي تنسب إليه، وتبقى البحيرة الثانية التي تنسب إلى شخص إذا ما تأكد أن بحيرة الصالحة تنسب لأخت الأمير المرابطي علي بن يوسف (*Note* : 226).

ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق، البيضاء 1984 ؛ *أشغال الملتقى الأول حول مراكش* من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، كلية الآداب ـ مراكش 1988.

A. Sarda, *Note sur Marrakech et l'agriculture du Haouz des Almoravides aux Almohades.*

محمد رابطة الدين

البخاري (صحيح ـ) في المغرب، ويسمى أيضاً *الجامع الصحيح* لأمير المومنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري (ت. 256). يحتل هذا الكتاب عند المسلمين، لما اشتمل عليه من صحاح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكانة الثانية بعد القرآن الكريم كلام الله القديم. وقد روى المغاربة والأندلسيون *الجامع الصحيح* عن مؤلفه الإمام من طريقين : إبراهيم النسفي (ت. 295) ومحمد الفربري (ت. 320) اللذين يرويانه عن شيخهما البخاري. واشتهر في المغرب سرد *صحيح البخاري* تبركاً، وختمه في رمضان، سواء في الحواضر والبوادي إضافة إلى تدارسه وتفهمه. وأقدم المحدثين المغاربة المعروفين من رواة *صحيح البخاري* أربعة رووه عن أبي ذر الهروي المالكي المكي (ت. 434 هـ) الذي يتصل سنده بالفربري تلميذ البخاري. وهم أبو بكر بن مجرز السجلماسي (ت. 413)، ويوسف بن حمود خلف الصدفي السبتي (ت. 428)، وأبو عمران الفاسي (ت. 430)، وبكار ابن الغرديس الفاسي ثم السجلماسي (ت. بعد 492).

ويعد ابن الغرديس أول من اشتهر عنه *صحيح البخاري* بالمغرب لأنه عمّر نحو مائة سنة حتى انفرد بروايته، وأخذه عنه خلق كثير، أشهرهم، علاوة على الأندلسيين، يوسف ابن الملجوم الفاسي (ت. 492) ومحمد ابن الصيقل الشاطبي الفاسي (ت. 500) وإبراهيم بن فرتون السلمي الفاسي (ت. 538)، وأبو القاسم ابن ورد التميمي (ت. 540) وعيسى بن يوسف ابن الملجوم الفاسي (ت. 543).

وعرف المغرب، إلى ذلك، خلال القرون الهجرية الخمسة التالية (من أواخر القرن الخامس إلى العاشر) روايات أخرى *لصحيح البخاري* عن طريق الفربري والنسفي، وتميز في هذا المضمار مركزان أساسيان هما سبتة وفاس.

ففي سبتة اشتهر عدد من المحدثين رواة *صحيح البخاري*، في طليعتهم القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت. 544) صحح نسخته من *صحيح البخاري* على أصل الامام عبد الله بن إبراهيم الأصيلي بخطه وعارضها بها حرفاً حرفاً، كما عارضها بأصل عبدوس الطليطلي وقابل بها مواضع إشكال من نسخته. وأبو الحسن الشاري (ت. 649) كان يعقد مجلساً لإقراء *صحيح البخاري* بالجامع الأعظم من سبتة، ويُحضر وقت القراء أصولا عتيقة منها أصل عبد الله الأصيلي، وأصل أبي القاسم بن ورد والقابسي وغيرها. وعبيد الله بن أبي الربيع السبتي (ت. 688) وأبو علي الحسين ابن أبي الشرف السبتي (ت. 702) اللذان تتعد طرق رواياتهما *للصحيح* عن أبي ذر الهروي وغيره. والرحالة محمد بن رشيد السبتي (ت. 721) الذي حمل من تونس أصل أبي الحسن بن النعمة العتيق المسموع عن أبي ذر بعد أن رواه هناك. وعبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت. 749) الذي يروي *صحيح البخاري* عن بلديه ابن أبي الشرف بأسانيده المشار إليها آنفاً.

وفي فاس اشتهر كذلك عدد من المحدثين رواة *صحيح البخاري*، منهم أحمد اليفرني الشهير بالمكناسي (ت. بعد 800) مؤلف *شرح غريب البخاري* حيث يذكر من مصادره تعاليق أبي علي الغساني على أصله من البخاري المكتوب بخطه. ولا يبعد أن يكون أصل الغساني معتمداً في فاس قبل شيوع نسخة ابن سعادة التي سنتحدث عنها فيما بعد.

الأصول الباقية بالمغرب من *صحيح البخاري* حسب التسلسل التاريخي للرواية :

1 ـ المجلد الأول من *صحيح البخاري* بخط عبد المهيمن ابن حرز التميمي عام 698، وهو منقول ومقابل بأصل أبي الحسن ابن مغيث القرطبي المعروف باب الصفار (ت. 532) المكتوب بخط أبي عمر الطلمنكي (مخطوط، خ. الجامع الأعظم بتازا). مع قطعة من *صحيح البخاري* تشتمل على أوراق من السفرين الرابع والخامس بخط علي بن غالب ابن حزمون الكلبي فرغ منه في 12 شوال عام 535 بمدينة باغة الأندلسية. انتسخه من أصل قوبل بأصل محمد ابن عتاب المنقول بخطه من نسخة الإمام عبد الله الأصيلي. (مخطوط، خ، ابن يوسف بمراكش رقم 301).

2 ـ السفر الأخير من *صحيح البخاري* ابتداء من أواخر كتاب الأدب كتب في غرة رمضان عام 490، انتسخه لنفسه محمد بن عبد الله بن أحمد ابن القاضي من كتاب قوبل بكتاب الإمام عبد الله الأصيلي (مخطوط خزانة المعهد الأصيل بتارودانت).

3 ـ الاسفار الثلاثة الأولى من *صحيح البخاري* سماع أبي بكر بن أبي محرز السجلماسي من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام عام 413 (مخطوط، خ ح رقم 4330).

4 ـ السفر الرابع التابع للأسفار الثلاثة السابقة (السادس حسب التجزئة الأصلية) من *صحيح البخاري* سماع أبي القاسم مضر بن الحباب النفزاوي من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام سنة 413 (مخطوط، خ. ح رقم 4330).

5 ـ نسخة عشرينية من *صحيح البخاري* كتبها بفاس أحمد بن أحمد بن علي ابن سودة وانتهى من نسخها في ربيع الثاني عام 1029. وهي من رواية محمد ابن منظور عن أبي ذر الهروي (مخطوطة تامة في خزانة تمگروت رقم 312).

6 ـ السفر الأول من *صحيح البخاري* في نسختين بخط مغربي من رواية علي بن المفرج الصقلي عن أبي ذر الهروي (مخطوطة خزانة تمگروت رقم 1431 و1451).

7 ـ نسخة من *صحيح البخاري* في مجلد ضخم بخط أندلسي دقيق مدموج مليح مكتوب بالمداد الباهت مع تلوين عند الاقتضاء بالأحمر والأزرق والذهب المصور بالمداد على ورق متين عتيق. كتب في الرابع من جمادى الثانية عام 825. قوبلت بالأصل المكتوب بخط أبي علي الصدفي (ت. 514) المنقول من نسخة أبي الوليد الباجي (مخطوط، خ. ح رقم 5053).

8 ـ أصل أبي ذر الهروي من *صحيح البخاري* الذي استجلبه إلى المغرب الأمير المرابطي ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني (ت. 530) عندما ذهب إلى الحج عام 497. وذلك بعدما سمعه بمكة المكرمة من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي عن أبيه، وابتاع منه أصل أبيه بخطه. وقد رواه عن ميمون كثير، منهم أبو بكر ابن خير الإشبيلي. كانت قطعة من هذا الأصل معروفة في خزانة ابن يوسف بمراكش ثم اختلطت مع مر الزمن ضمن الخروم.

9 ـ نسخة القاضي عياض من *صحيح البخاري* من روايته عن أبي علي الصدفي ظلت معروفة بالمغرب حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، كانت عند محدث فاس إدريس العراقي (ت. 1183 / 1769) ومن هذا التاريخ اختفى خبر هذه النسخة بالمرة.

10 ـ الجزآن الأولان وبعض الثالث من *صحيح البخاري* في مجلد ضخم يبدو أنه من أصل أحمد ابن الحطيئة الفاسي ثم المصري (ت. 560) من طريق أبي ذر الهروي، مكتوب بخط شرقي نسخي مليح عتيق مقابل مع تتميمه في بعض المواضع بخط مغاير عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ. هوامش النسخة كلها تكاد تكون مملوءة بالتعليقات الشارحة بخط مباين فضلا عن تعليقات المقابلة والسماع. وقد دخلت هذه النسخة إلى المغرب حديثاً نحو عام 1358، وهي محفوظة بالخزانة الأحمدية بفاس.

وهناك سفر أول من *صحيح البخاري* منتسخ من أصل أحمد ابن الحطيئة بخزانة تمگروت (مخطوط رقم 1437).

11 ـ نسخة ابن سعادة من *صحيح البخاري* التي اعتُمدت في المغرب منذ القرن العاشر الهجري، وقال عنها محمد العربي الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص 50) :"وهذا الأصل أجلُّ الأصول الموجودة بالمغرب"، وهي منسوبة إلى موسى ابن سعادة البلنسي ثم المرسي (ت. 522) كتبها مجزأة في خمسة أسفار وفرغ من تعليقها في العشر الأخير من ذي القعدة عام 492. وقد انتسخها من أصل شيخه وصهره أبي علي الصدفي المكتوب من نسخة محمد بن علي بن محمود المقروءة على أبي ذر الهروي وعليها خطه. وقد طاف الصدفي بأصله من *صحيح البخاري* في الأمصار وسمعه وقابله على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والأندلس. وكتب الصدفي بخطه على أول السفر الثاني من نسخة ابن سعادة تصحيح سماع تلميذه لسائره عنه بتاريخ ربيع الأول عام 493.

وقد تداول المحدِّثون نسخة ابن سعادة في القرون التالية وكتبوا عليها سماعاتهم وتصحيحاتهم بالأندلس والمغرب. وأقدم ذكر لها معروف في المغرب يرقى إلى أوائل القرن التاسع حيث تمت مقابلة نسخة من *صحيح البخاري* بأصل ابن سعادة قراءة على محمد بن يحيى السراج بمسجد إمامته من زنقة حجامة بفاس في مجالس وهو يمسك أصل ابن سعادة إلى أن كمل أواخر ربيع الثاني عام 836 (مخطوط، خ. ح رقم 9576). ثم وقعت معارضة نسخة خماسية من *صحيح البخاري* بأصل ابن سعادة كتبت عام 838 برسم خزانة الوزير علي بن يوسف الوطاسي (مخطوط خزانة ابن عاشور بتونس) وأخرى في ثلاثين جزءاً صححت عليها في رجب عام 846 (مخطوط خزانة تمگروت رقم 312). ومن ثم يختفي ذكر نسخة ابن سعادة إلى نهاية القرن العاشر، حيث تعود للظهور وتذكر بانتظام ويتأكد وجودها كاملة في خزانة القرويين بفاس. وانتسخ منها فرع خماسي لأبي المحاسن الفاسي (ت. 1013) بخط محمد بن

علي المُري الفاسي. فصارت القراءة فيه عند سرد *صحيح البخاري* في رمضان بمجلس الشيخ أبي المحاسن، مع معارضته بأصل ابن سعادة عند القراءة، فكان الحافظ أحمد ابن يوسف الفاسي يتولى سرد الفرع بينما يمسك عمه عبد الرحمان العارف الأصل الأندلسي، وتعددت هذه المقابلة مرات.

أصبحت نسخة أبي المحاسن الفاسي تعرف في فاس "بالشيخة" لوفرة المنتسخات منها مباشرة أو بواسطة، ولكثرة تداول المحدِّثين لها واعتمادهم عليها (مخطوط النسخة الشيخة تام عند أبناء السفير الحاج الفاطمي ابن سليمان، ومنها ميكرو فيلم في خ.ع رقم 736). أما نسخة سعادة الأصلية فلم يبق منها إلا الأجزاء 2 و4 و5 (خ. ع رقم 1333 د) وجدد السفر الأول الضائع بأمر السلطان محمد الرابع بخط محمد الهادي الفاسي عام 1285 (خ. ع رقم 1332 د) وأما السفر الثالث بخط ابن سعادة فاستعاره المستشرق ليڤي بروفنصال ليصوره فمات وبقي عنده. وكان هذا المستشرق قد نشر بباريز سنة 1347 / 1928 السفر الثاني من نسخة ابن سعادة بالتصوير مع مقدمة بالعربية بعنوان *التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة* للمحدث عبد الحي الكتاني، وأخرى بالفرنسية للناشر.

ومن الفروع المنتسخة من النسخة "الشيخة" *لصحيح البخاري* :

- نسخة محمد ميارة الفاسي (ت. 1072 / 1662) في أربعة أسفار (خ. ع رقم 662 ج).
- نسخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 / 1680). وكان ينسخ *صحيح البخاري* كثيراً، ويرغب الناس في النسخ التي بخطه، وهي عديدة بالخزائن العامة والخاصة منها مخطوطات بخزانة الزاوية الحمزاوية، ومشهد أبي يعزي، وجامع القصبة بالصويرة. والجامع الكبير بمكناس زيادة على خزائن الجزائر وباريس.
- نسخة محمد بن علي الحريشي الفاسي (ت. 1102 / 1690) (خ. ع أرقام 444 د و509 د و1865 ك).
- نسخة محمد المهدي بن أحمد الفاسي (ت. 1109 / 1597) كانت موقوفة على مسجد زقاق الماء بفاس واختفت.

بالإضافة إلى نسخ أحمد بن العربي ابن سليمان الفاسي، وأحمد بن قاسم حبوس الفاسي، ومحمد بن محمد الدلائي، وأحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد محمود الصقلي، وعبد العزيز بن محمد الحلو وابنه محمد الحلو، ومحمد الفضيل الإدريسي الشبيهي الزرهوني. وهي موزعة في المكتبات العامة والخاصة داخل المغرب وخارجه.

12 - النسخة اليونينية من *صحيح البخاري*، نسبة إلى القائم بتصحيحها على روايات البخاري علي بن محمد الهاشمي اليونيني اللبناني الحنبلي (ت. 701) وهي آخر الروايات ظهوراً بالمغرب، استجلبها من الشرق أحمد بن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي (ت. 1129 / 1717). وقد اشترى من مكة فرعاً من هذه الرواية من 528 ورقة في عشرة أجزاء بخط شرقي واضح مليح وقع الفراغ من انتساخها تجاه الكعبة يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة عام 1117 بخط إبراهيم المكي بن علي القيصري الحنفي، منقوله من الأصل اليونيني مباشرة بخط محمد بن عبد المجيد بن زيد في 28 رمضان عام 669. (الفرع اليونيني مخطوط في خ. ع رقم 481 ق).

وهناك نسخة من هذا الفرع اليونيني في ثلاثين جزءاً (باعتبار جزء لكل يوم من رمضان) ندب لانتساخها أحمد ابن ناصر الدرعي عام 1138 بخط محمد بن محمد بن محمد حجي الفاسي (خزانة تمگروت رقم 949) وبها كان يقرأ *صحيح البخاري* في رمضان بالزاوية الناصرية بتمگروت. وهناك نسخة يونينية أخرى مبتورة بخط شرقي في مجلدين (خ. ح رقم 10806).

عياض، *المدارك* ؛ *المشارق* ؛ *فهرس الغنية* ؛ ابن خير الاشبلي، *فهرس* ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، نشر العطار ؛ مجهول، *مقدمة المورد الأحلى*، ت. م إبراهيم الكتاني، مجلة معهد المخطوطات العربية، نونبر 1958؛ ي.الحموي، *معجم البلدان* ؛ ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، ط. مصر ؛ عيسى الرعيني، *برنامج الشيوخ*، ط. دمشق؛ ابن الآبار، *المعجم في أصحاب الصدفي* ؛ *التكملة*، ط. مجريط ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر الخامس - بيروت ؛ وجزء الغرباء ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ م. ابن أبي الربيع السبتي، *برنامج*، ت. عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 1، 1-2 ؛ م. ابن رشيد السبتي، *الرحلة ملء العيبة*، مصور ؛ أبو القاسم ابن الشاط السبتي، *الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال البخاري*، مخطوط ؛ تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى* ؛ م. ابن حجر العسقلاني، *مقدمة فتح الباري* ؛ *الدرر الكامنة* ؛ أحمد البلوي الوادي آشي، *ثبت الشيوخ*، مصور مخطوط ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة* ؛ م. ابن غاري، *فهرس التعلل برسوم الاسناد*، ت. الباهي التونسي ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ *درة الحجال* ؛ عبد الرحمان الفاسي العارف، *تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع*، ط. حجرية بفاس ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ *أزهار الرياض* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب* ؛ م. المحبي، *خلاصة الاثر*، القاهرة، 1284 / 1867 ؛ م. بن عبد الرحمان الفاسي، *فهرس المنح البادية في الأسانيد العالية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *الاكليل والتاج*، مخطوط. ر.د.د. ع الرباط 1989 ؛ س. الحسوات، *البدور الضارية*، مخطوط ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *المزايا*، مخطوط ؛ مح. ابن الحاج، *نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري*، ط. الحجرية بفاس ؛ يحيى البكري الجراري السوسي، *فهرس ضوء المصباح في الأسانيد الصحاح*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ غ. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ *التنوية والإشادة بمقام رواية ابن سعادة*، ط. باريس.

محمد المنوني

البخاري، (عبيد -) هم جيش السود الذي أسسه مولاي إسماعيل، ولقبوا بعبيد البخاري لأنهم أقسموا

بصحيح *البخاري* على أن يخلصوا إلى السلطان ويقوا يحتفظون بالنسخة التي أقسموا عليها، يقدمونها أمامهم في كل حركاتهم. وإذا كانت تفسيرات المؤرخين للأسباب التي دفعت مولاي إسماعيل إلى اللجوء إلى جيش من العبيد، متعددة ومختلفة، كالصعوبة التي لاقاها مع أهل المدن والبوادي لمده بالحراك، وخصوصا مدينة فاس والمناطق الجبلية، وكقصة أبي حفص عمر الملقب بعليلش الذي كان أبوه كاتبا للمنصور السعدي وأبنائه حيث قيل إنه أطلع السلطان مولاي إسماعيل على ديوان عبيد المنصور موحيا إليه بفكرة جمعهم من جديد، فالشيء المؤكد هو أن مولاي إسماعيل بدأ منذ السنة الثانية لتوليه الملك، بعد استيلائه على مراكش، في جمع السود والحراطين. ويغلب على الظن أن مولاي إسماعيل بدأ يجمع سلالة العبيد الذين كانوا في جيش المنصور، إذ يظهر من الصعب أن نتصور أنه كانت هناك بقية من هؤلاء العبيد، كما يؤكده كاتب مولاي إسماعيل ووزيره أبو العباس اليحمدي، للفارق الزمني الذي يفصل بين عهد المنصور وعهد مولاي إسماعيل والذي يناهز قرناً من الزمن. وقد يكون عززهم بالسود الذين أتى بهم أمير إليغ من تنبكتو، وكذلك بالسود الذين جاء بهم ابن أخ السلطان من السودان سنة 1083 / 1672 والسود الذين كانوا في المغرب عبيدا وأحراراً.

وعلى كل حال بدأت عملية جمع عبيد البخاري في مراكش وأحوازها وقبائل الدير ثم تعممت في مجموع المغرب حيث قام مبعوثو السلطان معززين بقواد القبائل وعمال المدن بجمع السود ذكورا واناثا، إما بشرائهم إذا كانوا عبيداً أو بأخذهم مجاناً إذا كانوا أحراراً. فأبو عبد الله بن محمد العياشي المكناسي مثلا جمع كل السود في قبائل الغرب وبني حسن. كما جمع عبيد فاس ومكناس، وعبيد الهبط وعبيد تامسنا ودكالة حتى لم يبق عند أحد عبد ولا أمة، وكان هؤلاء السود في الأول يساقون إلى مكناس حيث تعطى لهم الكسوة والسلاح، ومنها إلى المحلة من مشرع الرملة، ثم صاروا يرسلون مباشرة إلى مشرع الرملة الذي يقدر موقعه من طرف بعض المؤرخين بين مكناس وسلا في نواحي تيفلت، في حين حدده البعض في نواحي سيدي يحيى الغرب معتمدين في ذلك على كلام الزياني الذي يقول إن محلة مشرع الرملة تعرضت لنهب بني حسن الغرب حوالي عام 1161 / 1748، وكذلك على آثار بنايات بالآجر تدل على وجود معسكر كبير فيما سبق بقرب سيدي يحيى الغرب، وغالب الظن أنه وجد معسكران للعبيد أحدهما في الطريق الرابطة بين مكناس وسلا ومن الراجح أن تكون هي المحلة الأولى، والآخر بناحية سيدي يحيى الغرب.

وقد قدر العبيد الذين جمعوا باثنى عشر ألفا، منهم ألفان من تامسنا، وألفان من دكالة أُنزلوا في الأول بوجه عروس من أحواز مكناس، إلى أن بنى مولاي إسماعيل قصبة أدخسان فأرسل إليها عبيد دكالة وأرسل عبيد تامسنا إلى زاوية الدلاء. زيادة على ألفي حرطاني قد يكون مولاي إسماعيل رجع بهم من حملته على شنقيط عام 1089 / 1678. وقد تزايد هذا العدد باستمرار طوال عهد مولاي إسماعيل، إما عن طريق تجنيد السود الذين كانت تأتي بهم القوافل بانتظام كل سنة من السودان، أو بجمع كل السود والحراطين الذين كانوا لايزالون إما في ملك الخواص أو مفرقين في القبائل إذ أصبح من المحظور على أي كان أن يتملك عبدا أسود، أو عن طريق التناسل إذ منذ البداية ظهرت واضحة إرادة مولاي إسماعيل في جعل العبيد الذين جمعوا في مشرع الرملة أداة للإنجاب إلى جانب دورهم العسكري الاحتياطي حيث كان يعقد لهم على الإماء قبل أن يرسلهم إلى المحلة.

وفي سنة 1100 / 1688 - 1689 تسلم السلطان أول دفعة من هذا الانتاج البشري حينما زار محلة مشرع الرملة ونقل كل الأطفال البالغين عشر سنوات إناثا وذكورا إلى مكناس ليتربوا في ظل قصره منذ نعومة أظفارهم ويهيأوا للمهمة التي كان المولى إسماعيل يؤهلهم لها، بعيدين عن كل التأثيرات الخارجية.

فقد كان الأطفال الذكور يفرقون على أصحاب مختلف الحرف ليتعلموا لمدة ثلاث سنوات كل ما يتعلق بفن البناء من نجارة وصناعة الآجر وزليج وقرميد وضرب ألواح الطابية (المقدار) ثم يتلقون بعد ذلك، ولمدة ثلاث سنوات أخرى، تداريب عسكرية مكثفة يدخلون بعدها الحياة العسكرية بعد أن يزوجهم السلطان من الإماء اللواتي يكن تدرين في قصره على أعمال المنزل، ويولي عليهم قواداً من أكابر عائلاتهم، ثم يفرقون على مختلف القصبات أو يرسلون إلى محلة مشرع الرملة.

ومن خلال نوعية هذه التداريب والعدد الهائل الذي عمل المولى إسماعيل على جمعه تظهر جليا الغاية من تأسيس هذا الجيش، فهو لم يكن يرمي فقط إلى تكوين حرس خاص به وبقصوره المتعددة، أو نخبة عسكرية يكل إليها المهام الصعبة، على غرار المسيحيين والعلوج الذين كانوا داخل الجيش المرابطي والموحدي مثلا، بل كان بالإضافة إلى كل هذا، يسعى لتكوين قوة عسكرية دائمة بعيدة عن التقلبات والأحلاف القبلية تقيم باستمرار وبأعداد كافية في كل أنحاء البلاد لفرض احترام السلطة المركزية، وهكذا نجد مولاي إسماعيل كلما أخضع منطقة بنى بها قلعة ووطن فيها عددا من العبيد بنسائهم وأطفالهم.

وهذه السياسة بدأ فيها السلطان حتى قبل أن يعطي مشرع الرملة أول نتاجه، واتسعت بتزايد عدد العبيد.

ففي سنة 1096 / 1685 اتجه مولاي إسماعيل نحو ملوية عبر صفرو وفي طريقه بني تسع قلاع وأنزل بكل قلعة منها أربعمائة من العبيد بخيلهم ونسائهم. وتعممت هذه العملية حيث أحاط المغرب سياج من القلاع يقدر بأربع وسبعين على طول كل الطرق سواء الساحلية أو الداخلية التي تصل

العاصمة بمختلف جهات المملكة كسلسلة قلاع الدير التي كانت تحرس السهل، والطريق بين مراكش ومكناس وسلسلة القلاع الممتدة من قصبة مديونة إلى مكناس سواء عن طريق الساحل عبر سلا أو من الداخل عبر غابة بن سليمان أو عن طريق سيدي بطاش والرماني وضاية الرومي وطريق قصبة تادلا والدير.

كل هذه القلاع كانت تذكّر القبائل بوجود المخزن وتذكرها كذلك بوجوب أداء الزكوات والأعشار خصوصا وأنها كانت ملزمة بدفعها مباشرة لها، وملزمة كذلك بالسهر على خيل عبيدها.

وسواء كان عدد جيش العبيد قد بلغ مائة وخمسين ألفا كما يؤكد المؤرخون المغاربة أو كان مبالغا فيه كما يستنتج بعض المؤرخين الأوربيين الذي يقدرونه بثمانين ألفا، فإن الشيء المؤكد هو أن جيش العبيد صار له ثقل سواء من ناحية العدد أو من ناحية القدرة العسكرية، الأمر الذي غير العلاقات التقليدية بين المخزن والرعية. فقد استطاع مولاي إسماعيل بفضل هذه القوة على الخصوص، أن يقضي على التمرد التقليدي للقبائل، وأن ينزع منها السلاح والخيل ويحصر نشاطها في العمل الفلاحي ويجعلها تؤدي الضرائب التي ارتفعت ولا شك بارتفاع عدد العبيد ومتطلبات كسوتهم ونفقاتهم، حتى إن جباة المملكة جروا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم، وشربوا الدم، وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس لا دينا ولا دنيا، كما يقول الشيخ اليوسي في *رسالته* الشهرة إلى مولاي إسماعيل. وقد يكون نزع السلاح وارتفاع الضرائب من الأمور التي جعلت العلماء والقضاة، وخصوصا علماء فاس قضاتها، يتعصبون في موقفهم من قضية تجنيد العبيد، التي طلب منهم مولاي إسماعيل الفتوى فيها مرتين، في سنة 1108 / 1697 وفي سنة 1121 / 1709، إذ أن تفسير هذا الرفض بتشبث العلماء والقضاة بحكم الشرع فيما يخص تمليك السود والحراطين، وبالدفاع عن حقهم في الحرية، يظهر تفسيرا غير تام، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن السود المسجلين في ديوان الجيش لم يكن ينطبق عليهم كلهم قانون العبيد، فقد كانوا يقسمون إلى ثلاث فئات : فئة الأرقاء الخلص وفئة الأحرار الخلص، وفئة بينهما، وإن هؤلاء العبيد كانوا يتمتعون برعاية وحماية خاصة من طرف مولاي إسماعيل جعلتهم في كثير من الأحيان فوق الخواص والعلماء كما أن مولاي إسماعيل أعطاهم حق تملك الأرض كالأحرار.

وقد استطاع مولاي إسماعيل أن يجعل من جيش العبيد قوة منظمة ومدربة سخرها لأغراض المخزن، وفي مقدمتها نشر الأمن في مجموع البلاد وتوسيع رقعة حكم المخزن والدفع بحدودها إلى تخوم السودان في الجنوب ونواحي تلمسان في الشرق، واستطاع طوال ملكه أن يتحكم في هذه القوة الهائلة التي كانت مجبرة على الإخلاص له لأنها كانت تستمد منه وحده وجودها وقوتها، كما أنه لم يتم لها فرصة الاستبداد إلا بأوامره، وإعطائها كل الوسائل لتكون قوة عسكرية دون أن تصير قوة سياسية.

وقد بقي هذا الجيش تحت رأي السلطة على النظام في ظل سلطة مركزية طالما بقيت موحدة في شخص مولاي إسماعيل، ولكنه أصبح عنصراً من عناصر الفوضى والاستبداد حينما تشتتت هذه السلطة بعد وفاة السلطان.

فسياسة المولى إسماعيل في التأطير العسكري للبلاد، والتحكم في الطرق والهجرات والتحركات القبلية، والقضاء على قوتها العسكرية بنزع الخيل والسلاح، تركت السلاطين من بعده وجها لوجه مع القوة العسكرية المتمثلة على الخصوص في العبيد والأوداية.

وقد دخلت علاقة السلاطين العلويين مع جيش العبيد في حلقة مفرغة لمدة تناهز ثلاثين سنة. فالعبيد انقطعت عنهم الزكوات والأعشار التي كانت القبائل تؤديها لهم، وبدأوا يتعرضون لانتقامها، ففارقوا قلاعهم وخرجوا حتى من مقرهم مشرع الرملة، ناشرين الرعب والنهب في الطرق، وبين القبائل والمدن متجهين نحو فاس ومكناس، لجعل قوتهم في خدمة سلطان من أبناء مولاي إسماعيل يجزل لهم العطاء، ويتخذونه درعا يحميهم من انتقام السكان.

كما أن السلاطين كانوا في حاجة لمساعدة العبيد للاستيلاء والبقاء على العرش، ولإخماد الفتن، واستخلاص الضرائب. ولكن سلاطين هذه الفترة وجيش العبيد رغم حاجة كل طرف لقوة الآخر، كان كل طرف يسعى لإضعاف الطرف الآخر حتى يضمن طاعته، وقد وجد العبيد في تنافس أبناء المولى إسماعيل على الملك وسيلة لذلك، إذ توالى على العرش في مدة ثلاثين سنة تقريباً، سبعة سلاطين كلهم بايعهم العبيد، ثم نقضوا بيعتهم، فالمولى أحمد الذهبي مثلا، بايعه العبيد مرتين ونقضوا بيعته مرة، والمولى عبد الله الذي تسلطن أربع مرات وخُلع ثلاث مرات بايعه العبيد سبع مرات وخلعوا طاعته ست مرات.

أما السلاطين فقد كانوا مضطرين لاستعمال جميع الوسائل للحصول على المال الذي يرضي العبيد ويضمن مساندتهم، فالمولى علي ابن إسماعيل الملقب بالأعرج الذي بويع سنة 1141 وخلع في 1149 قام في بحثه عن المال الذي ينفقه على العبيد بالقبض على أم السلطان عبد الله بن إسماعيل خناتة بنت بكار، وامتحنها لاستخلاص ما بيدها من المال. والسلطان محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية لجأ إلى استخراج الحبوب والأموال من دور أهل مكناس غصبا، والاستيلاء على الحبوب التي كان أهل البادية يدخلونها للمدن لبيعها، وضرب الحصار على أهل فاس، وقبض على عدد كثير من أثريائهم وقتلهم واستصفى أموالهم. والسلطان المولى المستضيء الذي بويع سنة 1151 م وخلع في 1152 بعد أن استنفد كل الوسائل لجمع المال الذي يرضي به العبيد، قام بنهب ما بقي في المخازن الإسماعيلية حيث استخرج الحديد والكبريت وملح البارود، واقتلع كل

ما في القصر الإسماعيلي من نحاس وحديد وباعه لأهل الذمة وألزمهم بأداء ثمنه وأنزل المدافع النحاسية وكسرها وضربها نقوداً، وامتحن تجارفاس بالسجن حتى افتدوا أنفسهم بالمال وصادر أموال أشراف فاس. ولكن كل هذه الوسائل لم تكن كافية لأداء نفقات العبيد وضمان تأييدهم، فكان السلاطين يلجأون في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بالقبائل لتكسير شوكة العبيد، خصوصا منهم قبائل الجيش كالأوداية وبعض القبائل البربرية وهذا ما كان يسميه مولاي عبد الله بسياسة "ضرب التيس الأسود بالكبش الأبيض".

وقد خرج جيش العبيد من هذه الفترة ضعيفاً لأنه تعرض لانتقام جميع الأطراف سواء منها القبلية أو السلطانية، فمولاي عبدالله وحده قتل أثناء عهود ملكه المتعددة والمتقطعة، ما يناهز ألف عبد، كما أن كثيراً منهم حينما انقطعت عنهم الزكوات والأعشار، خرجوا من القصبات، وتفرقوا بين القبائل التي كانوا ينتمون إليها في الأول. واستمر عددهم وقوتهم في التناقص خصوصاً وأن تزايدهم لم يبق إلا عن طريق التناسل، إذ لا يوجد ما يدل على أن المخزن استمر بعد مولاي إسماعيل في سياسة جمع العبيد لا في الداخل ولا في الخارج.

كما أن السلاطين لم يحتفظوا بهم إلا في إطار توازن بين مختلف فآت الجيش من جهة وللحفاظ على التوازن بين القوات المخزنية والقبائل من جهة أخرى، ففي عهد سيدي محمد بن عبد الله، أعيد جمعهم لمواجهة قوة الأوداية، ثم فرقوا من جديد حين صارت قوتهم خطراً على التوازن السياسي، فوزعوا بين طنجة والعرائش والرباط ومراكش وسوس، ثم لما كبرت قوة عبيد طنجة والعرائش نقلهم السلطان إلى دار عريبي من بلاد سفيان، وسلط عليهم قبائل الغرب وبني حسن الذين تقاسموا العبيد وأولادهم ونساءهم وأخذوا خيولهم وسلاحهم.

وقد اتبع سيدي محمد سياسته هذه مع العبيد إلى وفاته بجمعهم تارة وتشتيتهم أخرى، وبنقلهم عدة مرات مراعيا في ذلك توازن القوى السياسية والعسكرية في البلاد.

وقد حاول مولاي سليمان إعادة قوة العبيد والاعتماد عليهم لمواجهة القبائل التي بدأت «تخرج من قماقمها» من جديد، فجمعهم في مكناس، ولكن عددا كبيرا منهم يقدر بخمسة آلاف هلكوا في الهزة الأرضية التي عرفت بزلزال لشبونة الذي وقع سنة 1755/1169. ويصور الناصري الضعف الذي تردى فيه جيش البخاري في أوائل القرن التاسع عشر حينما يصف دخول مولاي عبدالرحمن لمكناس بعد بيعته «فلما دنا منها خرج العبيد إلى لقائه بالأعلام مرفوعة على العصي، وكانوا جماعة يسيرة، فقال لهم السلطان: أين جند البخاري؟ فقالوا: هذه البركة التي تركتها الفتنة، وعلى الله وعليك الخلف».

وقد لجأ سيدي محمد بن عبدالرحمان من أجل تقوية جيش البخاري إلى إضافة بعض العناصر الجديدة كأهل تولال، الذين نقلهم من نواحي فاس إلى ناحية مكناس وأدخلهم في جيش البخاري. وكذلك قسم من الخلط الذين نقلهم من بلاد سفيان وأحواز العرائش وأنزلهم بأرض مكسر وزگوطة إلى أن صار عددهم ألفا وخمسمائة وأضافهم إلى عبيد قصبة حرضان بمكناس. وإلى جانب الضعف العددي وقع التهاون والفساد في تسيره الإداري والعسكري فصار عدد هذا الجيش غير مضبوط، كما أن قيمته العسكرية ضعفت لانعدام التداريب العسكرية، وذهبت هيبته وحرمته وامتيازاته، فبعد أن كان مولاي إسماعيل يعاقب بالقتل كل من تجرأ على عبد من عبيد البخاري، وزيرا كان أم شريفا، نجد مولاي عبدالرحمان يحجم عن معاقبة رجل عادي جرح أحد عبيده.

ويمكن القول إن جيش البخاري في القرن التاسع عشر فقد كثيراً من عدده ومميزاته العسكرية وأصبح ضعيفا لا تقيم له القبائل وزنا، ولا يحتفظ به السلاطين إلا في إطار التوازن بين مختلف أنواع الجيش وخصوصا لمواجهة الأوداية، وأصبح دوره أثناء الحركة دفاعيا، إذ يوكل إليه الدفاع عن أفراگ السلطان أو المحلة الخليفية، كما أن أغلبيته صارت تشكل المسخرين في حناطي القصور السلطانية، وأغلبيتهم كانت تسكن في نواويل حول القصور السلطانية في مكناس ومراكش وفاس، وبقي عدد قليل منهم في بعض القصبات الساحلية كقصبة المهدية.

وقد صار جيش البخاري في أواخر القرن التاسع عشر ينقسم فقط إلى ست أرحاء يضاف إلى كل رحى منها بعض القبائل: كزعير وبني حسن وتادلا والخلط وسفيان وبني مالك وأيت الربع وأيت عصم.

وهذه الأرحاء هي:

- رحى عبيد الزنقة
- رحى سعادة
- رحى الزمراني
- رحى سعود
- رحى الكوارم
- رحى تافيلالت

وفي سنة 1899 بعد التغييرات التي طرأت على الجهاز العسكري المغربي أسست عدة طوابير من البواخر والعبيد تقدر باثنين وثلاثين طابورا عدد أفرادها ألف وخمسمائة فرد. في حين بقي ما يناهز ثمانمائة وخمسين في الجيش وثلاثمائة مسخرين (مخازنية) في مكناس وأربعين في الطبجية.

أ. الزياني، *الترجمان*؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف: العز والصولة*.

Archives du Ministère de la Guerre, *Rapport de la mission Française au Maroc le 31 janvier 1899*; L. Arnaud, *Au temps des Mhallas*; Le Coz, *Le Rharb*, t: 1; M. Morsy, *Moulay Ismaïl et l'Armée de métier*, *R. H. M. C.* Avril-Juin 1967; *La Relation de Thomas Pellow*; N. Cigar, *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès*, *H. T.* 1974, p. 105-118; M. Delafosse, *Les débuts des troupes noires au Maroc*, *H. T.* 1983, pp. 1-33.

ثريا برادة

البخاري، أو البْواخَر، شخصيات نابهة من الجيش البخاري، استقرت غالبيتهم بمكناس عبر العصر العلوي، وإلى جانب المثقفين منهم، ساهم آخرون بالعمل في مختلف

أطر الدولة، وفي *إتحاف أعلام الناس* مجموعة من تراجم الفريقين، كما أن الحاج العربي المشرفي في *الحسام المشرفي* استعرض طائفة مهمة، من الأطر البخارية أيام السلطان محمد الرابع، وثالثا : فإن أحد متأخريهم : محمد العلمي ابن أحمد بن رحال، ألمّ في مذكرته بنخبة من البواخر النابغين في الرياضيات خلال القرن الثالث عشر (19 م).

محمد المنوني

البخاري، أحمد بن **القايد الحاج رحال** المكناسي. فقيه نبيه، أستاذ عارف بالتجويد والحساب والتوقيت، ناسك ذاكر محب لآل البيت النبوي. كان يعلم الصبيان وينوب عن أمين أمناء مكناس بوعزة بن العربي النشار في خطة أبي المواريث، كما كان يتعاطى الشهادة في سماط العدول، ونساخة الكتب بخطه المليح. وكان قد درس بمسقط رأسه مكناس على الأستاذ اليزيد، والعدل أبي يشو البخاري وغيرهما. وممن أخذ عنه إدريس ابن السلطان المولى سليمان.

توفي بمكناس أواخر شوال عام 1329 / أكتوبر 1911، ودفن بضريح سيد عمرو الحصيني.

البخاري، أحمد بن القايد محمد الشادلي المكناسي. "كان فقيها حيسوبيا متضلعاً في جميع أنواعه، وله إلمام تام بمهمات فن الهندسة. وجهه السلطان سيدي محمد (بن عبد الرحمان) لقراءة الفنون المذكورة بحاضرة فاس". (*إتحاف*، 1 : 467). أخذ بفاس عن العالم الرياضي أحمد الصويري ومن في طبقته، وتتلمذ له في هذا الفن محمد بن المدني الملكف بخزائن العدة أيام السلطان عبد العزيز، ومحمد الرجراجي وغيرهما.

البخاري، أحمد بن مبارك، كان والده وإخوته من وصفان السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1171 ـ 1205 / 1757 ـ 1790). أهداهم هذا الأخير لابنه مولاي سليمان، ومن ثم نشأ أحمد، منذ صباه، في كفالته، وتخلق بأخلاقه، وكسب مودته وثقته. حتى إذا بويع مولاي سليمان بالخلافة سنة 1207 / 1792، بادر إلى توليته حجابته ووزارته فقام بهما خير قيام. ورغم عظم الجاه ونفوذ الكلمة وطول مدة الخدمة فإنه ظل متواضعا زاهدا في أمور الدنيا، لا يفارقه كتاب *دلائل الخيرات* في قبّ جلبابه.

وكانت نهايته على يد عبيد البخاري الذين قتلوه سنة 1235/19.1820، إثر هزيمة مولاي سليمان في وقعة زيان. في هذا السياق كتب المؤرخ الناصري قائلا :«ثم لما سقطت هيبة السلطان وزال وقعه من القلوب سرى فساد القبائل إلى الجند، فإن العبيد عدَوا على كبيرهم القائد أحمد بن مبارك صاحب الخاتم فقتلوه افتياتا على السلطان، مع أنه كان من أخص دولته لنجابته وكفايته وديانته، واعتماد السلطان عليه في سائر مهماته. ولما قتلوه اعتذروا للسلطان بأعذار كاذبة فقبل ظاهر عذرهم وطوى لهم على البت» (*الاستقصا*، 8 : 136.137).

ومما أورده محمد أكنسوس عنه قوله :«حدثنا السلطان العادل رحمه الله تعالى (أي مولاي سليمان) وقد ذكره يوما وأكثر من الثناء عليه حتى قال : والله لولا أنني كفنته وجهزته ما وجد ما يكفّن به. فإننا وجدنا في صندوقه الذي وجدنا مفتاحه معلقا معه ستمائة مثقال، ووجدنا زماما بخطه عليه من الدين ستمائة مثقال، فقضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيا كيوم وضعته أمه» (*الجيش*، 307).

ومن بين أولاده الذين تبوأوا مكانة رفيعة في جهاز الدولة، سواء في عهد حكم سيدي محمد أو خلفه مولاي الحسن، نخص بالذكر موسى وعبدالله.

م. أكنسوس، *الجيش*، مخطوط خ. ع. 965 د ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 8.

البخاري ← أحمد بن موسى

البخاري، إدريس بن أحمد بن محمد المكناسي المدعو البرنوصي "فقيه وجيه حيسوبي جليل القدر نبيه، له مهارة كبيرة في الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس" (*إتحاف*، 2 : 29).

تولى أمانة دفع مؤن الجيش أيام الحسن الأول، وحضر معه وقعة فاس الشهيرة عام 1290، وهو الذي تولى رمي منار مدرسة الطالعة.

ولما مرض إدريس البخاري بفاس واشتد به المرض أذن له السلطان بالتوجه إلى أهله بمكناس فتوفي في الطريق في 28 محرم عام 1323 / 4 أبريل 1905.

البخاري، إدريس بن المكي المكناسي، أستاذ يتقن رواية ورش والبصري وقالون إتقاناً جيداً، ماهر في الحساب والأوفاق واستخدام الجان، عارف بالسياسة ونوامس المخزن وضوابطه. "كان متوليا رآسة الجيوش المخزنية وقوراً مهابا، مهما حل بالبساط الملوكي يقوم إجلالا له كل من به من الجيوش، ولم يكن لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر". (*إتحاف*، 2 : 29).

توفي بمكناس عام 1288 / 1871.

محمد حجي

البخاري، إدريس بن موسى بن أحمد بن مبارك، يكنّى أبا العلاء، ظل اسمه مغمورا ـ مثل أخيه سعيد ـ إلى تاريخ انفراد أخيه أحمد بن موسى (ابًا احمد) بالسلطة سنة 1312 / 1894. فولاه حاجبا، كما ولى أخاه سعيداً ـ الآنف الذكر ـ وزيراً للحربية. وبخلاف أخيه سعيد الذي اهتم، من بين ما اهتم، ببناء القصور ومظاهر الأبهة، فإن إدريس، على حد قول محمد غريط :"كان متشبهاً بوالده في جل أخلاقه وعوائده، يُظهر إلى الخير ميْلا، ويذكر ما شاء الله نهار وليلا" (*فواصل الجمان*، 89).

هناك خاصية ثانية، اتسمت بها شخصيته، تتمثل في انهماكه في تناول الأطعمة إلى حد الشراهة، متجاوزا ذلك ما عرف عن أخيه سعيد في هذا الجانب، حتى إن محمد غريط كان حريصاً على ربط وفاته بنهمه المبالغ فيه :"كان

مملوك نهمه (...) وخشنت بنيته بعد أن كانت لطيفة، ثم مرض أياما قلايل، فتُوفي والحيُّ في الفناء آيل". (نفس المصدر ونفس الصفحة).

كانت وفاة إدريس البخاري في شهر ذي القعدة عام 1317 / مارس 1900، أي بعد وفاة أخيه بحوالي شهرين، وقد دفن إلى جانبه، في نفس روضة مولاي علي الشريف بمراكش.

م. غريط، فواصل الجمان.

عبد العزيز الخمليشي

البخاري، بنعيسى بن عبد الكريم ـ باشا مكناس ـ ولد سنة 1275 / 1858، وكان أبوه عبد الكريم أحد البواخر (عبيد البخاري) الذين عاشوا في دار المخزن بمكناس، فتربى الابن بدوره داخل هذه الدار تربية مخزنية، وبعدما اشتد عوده تدرج في عدة مناصب عسكرية بجانب شخصيات مرموقة في الجهاز المخزني، وتحمّل مسؤوليات في هذا الإطار في عهد السلطانيين مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز، وقد قربه إليه وزير حربية مولاي عبدالعزيز، المهدي المنبهي، كما شارك في بعثة محمد الجباص التي كلفت برسم الحدود بين الجزائر والمغرب. وصار كبير المحلة في عهد السلطان مولاي حفيظ الذي أنعم عليه يوم فاتح ماي 1911 بوسام الدرجة الرابعة نظرا لخدماته وإخلاصه للمخزن الحفيظي، ومما جاء في ظهير الإنعام، «...أنعمنا على وصيفنا الأنجد الطالب بنعيسى بن عبد الكريم البخاري بالمرتبة الرابعة من وسامنا الحفيظي السعيد وحليناه به عنوانا على نجدته وإخلاصه في كل ما ارتبط به من خدمات جنابنا الشريف واستحقاقه بذلك رضا مقامنا... فليتقلده بمزيد الاحترام وليجعله شاهداً على فوزه برضانا التام...»

شارك بنعيسى بن عبدالكريم في محلة الشراردة سنة 1911، وفي الدفاع عن مدينة فاس حين حاصرتها القبائل بزعامة بني مطير في ربيع هذه السنة، ومن فاس قدم في محلة الجنرال موانيي Moinier صحبة الخليفة السلطاني بالدارالبيضاء محمد الأمراني إلى مكناس للقضاء على برابرة بني مطير الذين احتلوا المدينة ونصبوا بها مولاي الزين ـ أخ مولاي حفيظ ـ سلطانا خلفا للمولى حفيظ بفاس، وكان دخول الجيوش الفرنسية والمخزنية إلى مكناس صحبة بنعيسى بن عبدالكريم البخاري الذي يدلها على الطريق، يوم الخميس 8 يونيه 1911. وفي اليوم الموالي لاحتلال مكناس نصب بنعيسى بن عبدالكريم باشا للمدينة. وفي هذا الصدد قال عبدالرحمان ابن زيدان في جزء مخطوط من كتاب *الإتحاف*: «... ولما كان الغد قُرئ ظهير تولية بنعيسى بن عبدالكريم باشا على مدينة مكناس وزرهون وما أضيف إليهما وذلك بعد صلاة الجمعة بالمسجد الأعظم...»، ونظرا للخدمات التي قدمها هذا الباشا لحكومة الحماية الفرنسية بالمغرب وشح بوسام فارس جوقة الشرف Chevalier de la légion d'honneur إلا أن هذا التوشيح والإنعام لم يزد من قوة سلطته، فمنذ سنة 1915 انتزعت منه عدة مهام كانت من اختصاصه، كالمحافظة على الأمن بداخل المدينة التي أوكلت للجيش والبوليس الفرنسي، كما صار المراقب المدني ريفيو Reveillaud الساهر على الأعمال الإدارية الخاصة بالسكان الأهالي، وكذا نظافة المدينة ومراقبة سير الأسواق بها، وتحديد أثمان السلع والبضائع، مكلفا أيضا بالأملاك البلدية والميزانية الخاصة بالمصالح البلدية، بل صار هذا المراقب الذي عين في نفس الوقت رئيسا لهذه المصالح يراقب أعمال الباشا وكأنه مندوب مخزني يقوم بمهام وكيل الدولة.

بقي بنعيسى بن عبدالكريم يزاول مهامه كباشا لمكناس دون تمتعه بكامل سلطاته المخولة للباشوات قبل سنة 1912، والظاهر أن هذا التهميش والتقليل من أهمية هذا الباشا كان وراء عدم رضاه عن المسؤولين الفرنسيين، فربط عدة علاقات اعتبرها الفرنسيون مشبوهة مع بعض المناوئين لهم، لدرجة أنهم اتهموه بالعمالة للألمان عن طريق الريسوني المتمرد في الشمال.

في نهاية سنة 1918 أعلنت السلطات الفرنسية بمكناس عن اكتشافها «مؤامرة» كان يدبرها الباشا بنعيسى وأعوانه على حكومة الحماية الفرنسية، وكان قد استعد لها استعداداً جيداً سواء من الناحية البشرية أو السياسية كربطة لعلاقات مع بعض القواد كما هو الشأن مع حدو بليماني قائد زرهون بقرية بني عمار، وسي منصور قائد شراردة، وعبد المالك بشرق المغرب، فضلا عن الريسوني السالف الذكر، أو من حيث تجميع الأسلحة التي وصل عددها ـ حسب مذكرة للقنصل الإسباني بفاس ـ : 14.000 بندقية وبعض المدافع وجدت في دار الباشا، واختار بنعيسى بن عبدالكريم توقيت هذه «المؤامرة» في غياب أكثرية القوات الفرنسية المرابطة بمكناس، لقيامها بعمليات حربية في الأطلس المتوسط وتافلالت، كما استغل أيضا مناسبة عيد المولد النبوي الذي تكون فيه مدينة مكناس غاصة بالزوار نظرا لاحتفال الزاوية العيساوية بهذا العيد. ومن بين فصول هذه العملية دس السم في الطعام لبعض الضباط العسكريين بمكناس، إلا أن السلطات اكتشفت هذه «المؤامرة»، وبعد تأكدها من نسبتها إلى الباشا ألقت عليه القبض يوم 12 دجنبر 1918، حيث عزل من وظيفه، ووضع تحت الإقامة الإجبارية ونفي فيما بعد إلى مدينة الجديدة بعد مصادرة أملاكه وحجزها.

وثائق مخزنية؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، مخطوط.

بوشتى بوعسرية

البخاري، الجيلالي الشهير بالقصعة، صالح مكناسي كان في البداية شرطياً في الجيش السلطاني مدة طويلة "إلى أن جذبه الله إليه، وكان مكاشفاً بالمغيبات تواتر عنه ذلك على ألسنة أهل العدل والدين وغيرهم. يلبس صيفاً وشتاءً نحو العشرين جلابة لا يفتر عن إيقاد النار..." (*إتحاف*، 2 : 111).

توفي يوم الجمعة 13 قعدة عام 1304 / 3 غشت 1887.

البخاري، الجيلالي بن **الباشا حمّ** بن الجيلالي المكناسي، "فقيه نجيب، دراكة كاتب أديب لبيب، له إلمام بالفقه والنحو والتصريف والمنطق، متجرد من لباس الدعوى متصف بالإنصاف لمن دونه فضلا عمن هو أعلم منه" (*إتحاف*، 2 : 114)، درس بمسقط رأسه مكناس ورحل في طلب العلم إلى فاس، فكان من شيوخه محمد بن عبد السلام الطاهري، ومحمد القصري، والمفضل السوسي، والطاهر بوحدي، ومحمد بن رشيد العراقي، وأحمد بن الجيلالي، والمهدي الوزاني وغيرهم. لا يعرف عنه أنه اشتغل بالتدريس، لأنه أصبح منذ رجوعه من فاس خليفة لابن أخيه الباشا صالح بن بنعيسى البخاري في صدر الدولة الحفيظية.

توفي فجأة بعد عشاء الثامن عشر من ربيع الأول عام 1341 / 8 نوفبر 1922.

البخاري، الجيلالي بن حم **المكناسي**، "فقيه ماهر في فن الحساب والوقت والتعديل وأحكام النجوم والزيارج والجفر والرمل والأوفاق وسر الحرف، وكان يدرس ذلك بمدرسة جامع الدار البيضاء من أجدال بالحضرة المكناسية". وإلى جانب علمه كان بطلا شجاعاً عارفاً بمكايد الحروب، تقلد مناصب مخزنية أزيد من خمسين سنة، إذ قربه السلطان عبد الرحمان بن هشام وجعله في حاشيته ثم أسند إليه رئاسة مشوره، وعينه سيدي محمد بن عبد الرحمان عاملا على مراكش ثم على الزراهنة، وأخيراً جعله الحسن الأول عاملا بمدينة فاس بعد خلع إدريس السراج في حادثة ثورة الدباغين ضد الأمين محمد بن المدني بنيس عام 1290. وفي السنة التالية عين عاملا بطنجة وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل عام 1295 / 1878.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، 2 : 110.

محمد حجي

البخاري، الحبيب بن محمد بن الحاج الحبيب الأسفي. لعله من سلالة جيش البخاري انتقل أبوه أو جده إلى أسفي، وبها ولد الحبيب ونشأ وتعلم القرآن ومبادئ اللغة والدين. وفتح مكتبة اشتهرت ببيع الكتب الأمهات المطبوعة والمخطوطة، وباجتماع مثقفي المدينة فيها، وكان للسيد الحبيب البخاري نشاط سياسي ملحوظ في الحركة الوطنية، إلى أن أدركته الوفاة بأسفي سنة 1393 / 1973.

عبد الرحيم العطاوي

البخاري، سعيد بن موسى بن أحمد بن مبارك. هذا الوصيف سعيد ابن الحاجب موسى آتي الترجمة، لم يظهر على مسرح الأحداث السياسية، أو بالأحرى في قائمة المناصب الإدارية السامية، إلا بعد أن استتب الأمر لأخيه الحاجب أحمد بن موسى (ابّا أحمد)، إثر وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1312 / 1894، وانفراده بالحكم، بعد أن تمكن من إزاحة منافسيه التقليديين من الأسرة الجامعية، وبعد أن فرض ما يشبه وصاية على السلطان الشاب مولاي عبد العزيز. في هذا السياق ظهر اسم سعيد كوزير للحربية، واسم أخيه إدريس كحاجب.

وفيما يخص صاحبنا سعيد، فإن أهم ما يميز شخصيته، هو اهتمامه المفرط، بل والمبالغ فيه، بأمور المأكل والمسكن والملبس. اهتم بتشييد القصور، وبالاعتكاف على تزيين المائدة بكل ألوان الطعام، فترتب عن ذلك أن أصيب بالسمنة التي كانت سبب وفاته في رمضان عام 1317/ يناير 1900. وفي هذا المعنى كتب محمد غريط (ص 87) قائلا :« ... كان معتكفا على خوانه، مغتبطا بالتقام ألوانه، حتى كثر شحمه، وعظم جسمه، وظهر سقمه، فحار في معالجته، وهلك غما ... » وما زالت داره بمراكش (دار سّي سعيد) تحفة فنية رائعة.

م. غريط، *فواصل الجمان*.

عبد العزيز الخمليشي

البخاري، صالح بن يوسف المكناسي، "فقيه أستاذ يحفظ السبع والعشرين حفظاً متقناً. وكانت له مشاركة كاملة في الحساب والتوقيت والتعديل. وكان من جملة موقتي الحضرة السلطانية الذين يظعنون بظعنها ويقيمون بإقامتها في الدولة الرحمانية".

درس في مسقط رأسه على بلديِّه الأستاذ الصديق البخاري، وفي ثغري العرائش وطنجة، وقضى حياته متنقلا في خدمة المخزن. ولما ضعف لكبر سنه أُسندت إليه رآسة الحامية العسكرية بمكناس فاستقر وأخذ يلقي دروساً على طلبة مكناس وانتفع به جماعة.

توفي بعد 1280 / 1863، ودفن بضريح سيدي عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة.

البخاري، الصديق الاجراوي المكناسي، "فقيه أستاذ ماهر يحفظ العشرين حفظاً متقناً، انتفع به جم غفير من حملة القرآن وحفاظ السبع، وكان من أهل الدين والفضل والخير والصلاح". وكان من المتخرجين على يده قراء مشهورون بمكناس.

توفي بعد 1270 / 1854، ودفن بضريح سيدي عمرو بوعودة في حومة حمام الحرة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*.

محمد حجي

البخاري، عبدالله بن أحمد بن مبارك، برز اسم هذا الوصيف كموظف مخزني سام في عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان، لما عُين علاقاً كبيراً، أي وزيراً للحرب. وكان أول من أسند إليه هذا المنصب، باعتباره منصباً جديداً ظهر أول ما ظهر، في عهد السلطان سيدي محمد، بهدف تنظيم العسكر وفق أسلوب جديد، إثر هزيمة المغرب في معركة إسلي أولاً سنة 1844، وحرب تطوان سنة 1859 . 1860 ثانيا.

ولما بويع مولاي الحسن 1290/1873، ولاه باشا على مدينة فاس. ويبدو أن هذا التعيين ارتبط بالهزة الاجتماعية

التي عرفتها هاته المدينة من جراء انتفاضة الدباغين ومطالبتهم بإسقاط المكوس مقابل تقديم البيعة للسلطان الجديد.

ويتضح من إحدى الرسائل التي وجهها له أخوه موسى بتاريخ 24 شوال 1292 / 23 نوفمبر 1875، أن هذا التعيين تم قبيل فترة وجيزة من هذا التاريخ. ومما ورد في هذه الرسالة :«... فغير خاف على أخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما طلب منا حين كنا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس وأن يبارك لك فيها ولم يساعد على ذلك في تلك الساعة... وهاهو يرد عليك استوص به خيراً لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزنياً مثلنا».

هذا ما يستشف من هاته الرسالة. ومهما يكن فإن من بين الخاصيات التي تميزت بها شخصية الباشا عبدالله أنه كان رجل فقه وأدب وعلم، وكان أحب شيء إليه، كأخيه موسى، مجالسة الأدباء والعلماء. إلى جانب هذا كان يبجله غاية، كما يتضح من ديباجة الرسائل التي كان يوجهها له :«أخانا الأعز الأسعد، الفقيه الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان ... سيدي عبدالله»، وغيرها من التعابير المشابهة. وقد كانت تلك المراسلات تدور حول ضرورة الوقوف مع بعض الأشخاص إن على مستوى توظيفهم، أو تقديم مساعدات لهم مادية كانت أو معنوية، يتضح منها، من بين ما يتضح، أنه كان الحاكم الأول بالمدينة وأحوازها.

وقد ظل عبد الله البخاري في هذا المنصب إلى تاريخ وفاته سنة 1305 / 1887.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج : 2 و4 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج : 8 ؛ *الوثائق*، دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية. المجموعة الثالثة 1386/1976.

عبدالعزيز الخمليشي

البخاري، علي بن صانْبَة، "الفقيه المدرس المفتي"، حسب تحليه رفيقه في الدراسة : محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، وذكره السلطان مولاي سليمان في عداد الآخذين عن محمد بن عبد السلام الفاسي، ووصفه "بالشيخ العلامة، الأديب، الأستاذ المحقق"، وفي تعبير ابن زيدان : "علامة أديب، استاذ محقق فاضل نبيل، جهبذ نقاد ألمعي أريب، أصله من عبيد البخاري... وكان من عدول سماط عاصمتنا المكناسية المبرزين". يعرف من أشياخه بمكناس، العالمان عبد السلام بن محمد بن قاسم البيجري، والغازي ابن العربي ابن عبود.

وإلى حلقات الدروس، كان المترجم يعمل مع بعض رفقائه في إطار تكوين أدبي، ساهم فيه مع ابن صانبة : أحمد بن الراضي ابن عثمان الذي سيصير شاعر عصره، وثالث الفئة محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، وهو الذي يحدث عن هذه الناشئة الأدبية :"... وذلك أنا كنا نجتمع قبل مجيء الشيخ إلى المجلس على مذاكرة كالمناظرة، وكان معنا أبو الحسن ابن صنبة، على مثل تلك الصحبة، فكان كل واحد منا يوري زنده، ويرى ما عنده... وكنا نجتمع بعد الدرس ـ أيضاً ـ للتحصيل، وتحقيق الإجمال والتفصيل، فانتفعنا بذلك والحمد لله... وعند ذلك لاح لنا شعاع الأدب، فله ـ حينئذ ـ آثرنا، وعليه تضافرنا، وبه تنافرنا، فتدارسنا *مقامات الحريري* مرات، حتى أدركنا بها المسرات... وتدارسنا كتباً أخرى من الأدب والسير والأخبار، فانطلق بذلك من قلمنا العنان...".

ومن آثار هذه الخلية الأدبية، صارالمترجم يقرض الشعر، وقد احتفظ له رفيقه البيجري، بقصيدة قالها بمناسبة بعض ختمات شيخه عبد السلام البيجري، مطلعها :

خلّ التلذذ بالربيع الأزهر وغناء غانية ورنة مزهر

وخلف المترجم *كناشة*، نقل منها بعض طلبته ـ الذي لم يُسمّ ـ معلومات من علم الكلام وغيره. على أن هذه الكناشة لا يعرف منها الآن سوى مقتبسات تلميذه المشار له.

توفي علي بن صانبة عام 1220 / 5. 1806.

م. البيجري، *تقييد في التعريف بأسرته*، مخطوط ؛ سليمان العلوي، *عناية أولى المجد*، المطبعة الجديدة بفاس 1347 هـ ؛ *مقيدات بخط أحد تلاميذ علي بن صانبة*، مصورة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1220.

البخاري، أبو القاسم بن علي الشاوي العلأوي ثم المكناسي، المعروف بلقب "دْراوه"، أحد موالي السلطان مولاي إسماعيل، عالم مبرز في الرسم والقراآت والتجويد، مؤلف في هذه المواد، من المنتصبين لإقرائها، انتفع به من أهل السَّبْع جمع كثير، وجم غفير، حسب شهادة أستاذه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري.

ومن الباقي من مؤلفاته، *حفظ الأماني ونشر المعاني*، حاشية كتبها على *كنز المعاني*، الذي شرح فيه البرهان الجعبري قصيدة *حرز الأماني للشاطبي*. (خ.ع، ك 314 : السفران 1، 2 ؛ خ. ح 510 ؛ 8427 : السفر الأول مبتور من بدايته). *تنبيه السالك إلى جنى ثمار داليه ابن المبارك*، وهو شرح للقصيدة الدالية في تخفيف همز الوقف على قراءة حمزة وهشام (خ. ق رقم 1042 : في جزء متوسط بأوله تقريظ بخط محمد بن عبد الرحمن الدلائي. خ. ح. 119 : خامس مجموع ص 557. 610).

وقد كانت سكنى المترجم بمكناس في درب الحمام من حي حمام الجديد، وفي إحدى استرعائيات رسم هذه الدار، جاء اسم ولده هكذا :"يشهد من يضع اسمه عقبه، بمعرفة الصائر لعفو الله تعالى الفقيه الأجل، الأستاذ المبجل، سيدي عبد الله، بن الفقيه الأستاذ المجود، شيخ الجماعة، سيدي أبو القاسم بن دراوة الشاوي أصلا... في أواخر شعبان عام واحد وستين ومائة وألف.

ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط خ. ع. 2276 ك ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ م. العابد الفاسي، *فهرس مخطوطات خزانة*

القرويين، ج 3 ؛ م. المنوني، *مقيدة عن نشاط دراسة الرياضيات والفلك بمكناس في القرن 19*، *مجلة المناهل*، عدد 30 ؛ *ملخصات من وثائق دار سكنى المترجم*.

محمد المنوني

البخاري، محمد بن **عبد السلام السلاوي**، غلبت عليه نسبة السلاوي حتى عفّت على أصله البخاري وأصبح لا يذكر إلا بالسلاوي سواء في الرسائل السلطانية أو في كتابة معاصريه المؤرخين كالزياني والضعيف الرباطي. حلاه في *جمهرة التيجان* "بالفقيه الكاتب".

نشأ ببيت الإمارة، وقرأ على السلطان المولى سليمان وغيره من فقهاء العصر وأدبائه، وتولى الكتابة بالديوان الملكي قبل أن يترقي إلى الوزارة والحجابة وإمارة الثغور وقيادة الجنود. كان المولى سليمان يثق به ثقة مطلقة فخرج معه من فاس حيث ذهب لتنفقد أحوال مراكش، وفي يوم ثالث عيد الفطر من عام 1218 / 16 يناير 1804 لما وصلوا إلى قصبة الجياد بين مكناس وسلا، خاطب المولي سليمان حاجبه محمد البخاري بقوله "قد وليتك على مدينة سلا ومدينة الرباط وأعطيتك بني حسن. فاقدم على سلا واقبض على قائدها الحاج عبد اللطيف الحافي، واقبض على عامل بني حسن وهو عبد القادر بن الغماري واسجنهما بسجن قصبة الرباط..." (*الضعيف*، 329).

وصل محمد بن عبد السلام إلى سلا يوم الاثنين 9 شوال عام 1218 فاستلم مقاليد الأمور ونفّذ ما أمره السلطان به. ومن ثم أصبح المسؤول الرئيسي عن بلاد الغرب الساهر على تطبيق السياسة المخزنية في المنطقة. وما كاد يشيع خبر مرض السلطان بمراكش في أواخر السنة حتى ارجف الناس بموته خاصة يهود الرباط الذين أخذوا يخرجون لاعتراض القوافل وشراء الزرع جملة، فتوجه إليهم العامل محمد السلاوي وزجرهم أشد الزجر معيداً الطمأنينة إلى النفوس.

وفي 14 صفر عام 1220 / 14 ماي 1805 ورد خطاب السلطان يامر محمد بن عبد السلام بأن يتخلى عن عمالة سلا والرباط وبني حسن وعرب الويدان للطالب الغازي المزمزي الشاوي، وأن يتوجه إلى مكناس ثم يخرج إلى ناحية طنجة وتطوان والعرائش، فقد ولاه السلطان على هذه المراسي، وعلى أهل الجبال والغرب من سفيان وبني مالك والخلط وطليق والقصر الكبير، وفوض إليه في أمر التفاوض مع النصارى إذ أتوا إلى هذه المراسي. فامتثل محمد بن عبد السلام وخرج من سلا متوجهاً إلى مقر ماموريته الجديد بالعرائش، وظل المولى سليمان ـ علاوة على ذلك ـ يعتمد عليه في المهمات الحربية والمدنية.

هكذا نجد محمد بن عبد السلام على رأس جيش عبيد البخاري، في شهر ذي الحجة من عام 1224 / يناير 1810 مع السلطان في حركته إلى أيت أُمالو، ثم في ربيع الثاني من عام 1226 / ماي 1811 في الحركة التي وقعت فيها فتنة لمحلة السلطان في الأطلس المتوسط. كما نجد في آخر هذه السنة محمد بن عبد السلام قد رجع إلى العدوتين لإصلاح ما اختل من شؤونهما، فسجن أمناءهما والقاضي وعدول المرسى وألزمهم بدفع سبعة قناطر ذعيرة لسوء تصرفهم في مال الدوة، وعين بدلهم موظفين آخرين.

وفي متم صفر عام 1229 / 20 فبراير 1814 قُرئ كتاب مولاي سليمان،وهو يومئذ بالرباط، على أهل الرباط وسلا، أن السلطان أراد أن يحضر عشرة من أهل الرباط وعشرة من أهل سلا مع عدلين من كل منهما، ويخبر قائدا الرباط وسلا الفقيه السيد محمد السلاوي على رأس كل شهر بما وقع في العدوتين من قليل أو كثير. وكل من فعل ذنبا يخبران به محمد السلاوي، فطلع الحاج محمد السويسي قائد الرباط في اليوم الذي قُرئ فيه كتاب السلطان لملاقاته وقال له :"إني لم آكل من أحد شيئا وها أنا ذا".

وكانت وفاة محمد بن عبد السلام البخاري السلاوي بمدينة مكناس يوم الخميس فاتح قعدة عام 1230 / 5 أكتوبر 1815، ووصل خبر موته إلى السلطان يوم تاسع الشهر عند دخوله لمراكش "فتأسف لفقده وتوجع لموته".

قلت : لا علاقة للمترجم هنا بآل ابن عبد السلام السلويين العلماء وسياتي ذكرهم في حرف العين.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أحمد العماري، 329 ـ 393؛ أ. الزياني، *جمهرة التيجان*، مخطوط ؛ *ألفية السلوك*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط 1230 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 142 ؛ ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 186 ـ 187.

البخاري، المعطي بن العناية الغرباوي السفياني من أولاد علال. درس بمكناس على الشيخ عبد الرحمان بن محمد بصري، وكانت له مهارة تامة في التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون. يحسن كل ذلك ويتقنه إتقاناً تاماً. وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظاً متقناً، كثير التلاوة والذكر...".

اتخذه السلطان عبد الرحمان بن هشام في جملة موقتيه الملازمين له حضراً وسفراً، بعد أن كان مستخدما لديه مع أصحاب الفراش. ثم رشحه لإقراء بناته. ولما تقدم سنه تقاعد عن الخدمة السلطانية، وانقطع للتدريس بداره بمكناس فانتفع به خلق كثير خاصة في الحساب والتوقيت.

توفي في ربيع الثاني عام 1276 / أكتوبر ـ نونبر 1859، ودفن بروضة سيدي أحمد الضاوي خارج باب بريمة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، 4 : 313.

محمد حجي

البخاري، موسى بن **أحمد** أحد أبناء الحاجب أحمد بن مبارك (حاجب السلطان مولاي سليمان) يكنى أبا عمران ولا يعرف تاريخ ولادته، لكن يبدو أنه كان ما يزال صغير السن لما فقد والده الذي قتل سنة 1235/1820.1819. ويبدو أنه قضى طفولته وجزءا من مراهقته في حفظ القرآن والتفقه في أمور الدين، ومن بين أساتذته الذين أخذ عنهم

نصيبا من علوم الدين ـ إلى جانب أخيه عبدالله ـ ادريس بن التهامي أجانا المكناسي.

ونظراً للكثير من المؤهلات التي كان يتوفر عليها، من ذكاء ودهاء ونباهة ـ على حد تعبير المؤرخ ابن زيدان ـ ولاه السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام الحجابة. أما عن تاريخ توليه هذا المنصب، فإن أقدم رسالة وقفنا عليها في هذا الصدد تعود إلى أوائل سنة 1281 / 1864. ومما ذكره صديقه الأديب محمد غريط في شأنه :"كان حليف دين وأمانة وإنه لاف، وميل للأشراف، وتوسط بين التقتير والإسراف".

وإثر وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان 1290 / 1873، لعب دوراً لا يستهان به في أخذ البيعة لخلفه وولده مولاي الحسن، مما ترتب عن ذلك أن ازداد نجمه تألقاً، وزاحم الوزير الصدر إدريس بن الطيب برعشرين في منصبه حتى لم يبق له منه سوى الاسم، قبل استعفائه والانتقال إلى الحجاز، إلا أن أجل الحاجب موسى لم يطل بعد استعفاء الوزير الصدر، إذ سرعان ما توفي في محرم 1296 / يناير 1879، نتيجة إصابته بوباء التيفوئيد.

ومما يدل على الحظوة التي كان يتمتع بها لدى السلطان مولاي الحسن أنه شيعه بنفسه إلى مثواه الأخير، ودفنه بجوار والده السلطان محمد بن عبد الرحمان بضريح مولاي علي الشريف بمراكش، بباب أيلان.

أما الأعمال التي كان يباشرها فقد وزعها بين ابن خاله محمد بن العربي بن المختار الجامعي، وبين ابنه أحمد بن موسى، المعروف بـ "ابّا احمد". وأسند إلى الأول الصدارة العظمى، أي شؤون الدولة الخارجة عن القصر، وأسند إلى الثاني الحجابة، أي شؤون القصر الداخلية.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1397 / 1977، ج 7 ؛ *الوثائق*، المجموعة الثالثة، 1396 / 1976.

عبد العزيز الخليشي

البخاري، موسى بن **يومين** بن باكر بن ياسين بن الحكم بن زيري الحساني الهسكوري النسب، الفاسي الاستقرار، بقي حيا حتى عام 723 / 1323 حسب ابن القاضي (*درة الحجال*، 3 : 5) وحفظ أمهات الفقه وكتاب سيبويه وصحيح *البخاري* حتى قيل عنه إنه "من أحفظ أهل زمانه للفقه والأثر" (*جذوة*، 345). ولعل اشتهاره بلقب البخاري راجع إلى إتقان حفظه لصحيح الإمام البخاري الذي كان يقوم على تدريسه إلى جانب كتاب سيبويه بجامع القرويين.

عُرف موسى بن يومين بالدعوة إلى الاجتهاد ومساهمته في خلق تيار مخالف للمذهب المالكي الذي عاد إلى الظهور في العصر المريني، ولم يكن هو الفقيه الوحيد الذي ذهب في هذا الاتجاه، بل شاركه علماء آخرون إما بالدعوة إلى الاجتهاد أو بالانتساب إلى بعض المذاهب الأخرى التي انتشرت في ذلك الوقت خاصة المذهب الظاهري. ومن أشهر هؤلاء محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة بمراكش (ت 682 / 1284) وعبد المهيمن بن محمد الأشجعي البلذودي الذي قتل عام 697 / 1298، ومحمد بن عمر ابن رشيد الفهري (ت 721 / 1321) وأبو الحسن بن أبي بكر المليلي قاضي الجماعة، وابنه محمد (ت 737 / 1337) ومحمد الدكالي (ت 797 / 1395) ثم عبد الرحمان المعافري المعروف بالوقاد (ت 827 / 1424) (*ورقات*، 233 ـ 235).

ومن الأشياء التي ارتبطت باسم موسى البخاري وذاع صيته بها أنه راجع يوماً زوجته عائشة بنت عمر بن عبد السلام اليفرني بعد ثلاث تطليقات مخالفاً ما اشتهر عند المالكية متعللا بأنه طلقها طلقتين وخلعاً، والخلع عند كثير من الفقهاء ليس بطلاق (*المعيار*، 4 : 493، 494)، فكانت هذه الواقعة إضافة إلى ادعائه الاجتهاد من الدوافع التي أثارت عليه فقهاء المالكية المنتقدين لتصرفاته المنكرين لدعوته. ومن ردود الفعل على ذلك أن كتب الفقيه إبراهيم بن علي المعافري السريفي الفاسي (ت 716 ـ 1317) رسالة مطولة إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يصف فيها تلك النازلة بالقضية الخطيرة والسابقة التي يجب ردعها معتبراً "مسألة البخاري المُضل قد ظهر فيها من عظيم المنكر المستبيح لوجهه ما ظهر من عقوبته بين أيديكم ما نفذ على ما هو به مما كان مستحقاً له قبل ظهور تلك الكبيرة عليه لجرأته على العلم والعلماء وعلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعواه الاجتهاد في دين الله..." (*المعيار*، 4 : 506 ـ 509) كما أن بعض فقهاء فاس وقضاتها ناقشوه فيما ذهب إليه وأنكروا عليه بل حاكموه وأفتوا بضربه ورجمه كما فعل القاضي الزريهني (أو الزرهوني) وأبو الحسن الصغير (*جذوة*، 346)، فارتحل البخاري تحت هذه الضغوط من فاس إلى الأندلس، ثم إلى تونس.

ومن الكبائر الأخرى التي تنسب إلى البخاري ما أشار إليه ابن القاضي من أنه "لما كان في الطريق مر بقرية، وبال في مسجدها، فانتهره الناس، فاحتج بأنه صلى الله عليه وسلم رأى أعرابيا يبول في المسجد فقال، دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه" (*درة*، 3 : 4).

مع كل هذا يظهر أن أفكار البخاري في الاجتهاد لقيت تجاوبا لدى بعض المناصرين لدعوته من عامة الناس الذين أصبحوا يقتدون به، كما كانت له مخالطة للقضاة والحكام وذوي الجاه والسلطان (*المعيار*، 4 : 506 ـ 509).

أ. الونشريسي، *المعيار*، الرباط 1981، الجزء الرابع ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ت الاحمدي أبو النور، الجزء الثالث ؛ *جذوة*، الرباط، 1974 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979.

رشيد السلامي

البخاري ـ موسم ـ اعتاد فقهاء المدرسة النحلية بقبيلة مزوضة ومدرسة بوعنفير بقبيلة أولاد بوالسباع قراءة صحيح *البخاري* طيلة شهر رمضان من كل سنة، وجرت

العادة بختم الصحيح في وقت آخر يحضر فيه فقهاء النواحي المجاورة ويجد فيه الطلبة القدامى المتخرجون من هذه المدارس فرصة لزيارة أشياخهم وتجديد اعترافهم بفضل المدرسة عليهم، كما يكون موسم الختم مناسبة لتوديع المتخرجين الجدد.

وسرعان ما اتخذ الزوار من هذه التظاهرة الدينية والثقافية مناسبة للتبادل التجاري. وتدريجيا صار يواكب هذه المواسم الدينية مواسم تجارية دون طمس الجانب الثقافي (*المعسول*، 18 : 275) ويحضر هذه المواسم سكان قبائل مختلفة من أهل السهول والجبال. وقد ازدهر بها النشاط التجاري ولا سيما ما يتعلق بالحبوب والمواشي والدواب والزرابي. وصارت كلمة بخاري ترادف عند معظم سكان المنطقة كلمة موسم، فهناك :

بخاري سيدي احماد أ'علي للموسم الذي مازال ينعقد إلى الآن يوم 14 غشت، وبخاري بوعنفير لموسم مازال يعمر إلى الآن يوم 4 شتنبر من كل سنة.

رسالة سلطانية بتاريخ 14 قعدة 1302 / 24 غشت 1885. خ. ح. رقم 364، ص 160 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر. د. د. ع. 1988.

م. حسن كفناني

بختي (ابن ـ)، العباس بن يعلى بن محمد المغراوي، آخر أمراء بني يعلى المغراويين الذين كانوا قد اتخذوا من تلمسان عاصمة لإمارتهم الزناتية الصغيرة. (*العبر*، 7 : 92 ؛ *Histoire*, 1 : 174) ويعاني تاريخ هذه الإمارة الزناتية من نقص كبير في المعلومات مثل العديد من الإمارات التي ظهرت بعد نهاية الأدارسة ؛ وذلك ما ينطبق على أميرها العباس بن بختي الذي لا نعرف عنه سوى أنه "من ولد يعلى بن محمد بن الخير محمد المغراوي" (*الاستقصا*، 2 : 32)، وأنه كان أميراً على تلمسان عندما شن المرابطون هجوماتهم الأولى على الإمارات الزناتية سنة 472، إذ يذكر صاحب *القرطاس* أنه في هذه السنة، بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلي بن تيلكان اللمتوني لغزو تلمسان والمغرب الأوسط، فظفر بمعلى (أويعلى حسب ابن خلدون) بن الأمير العباس بن بختي فقتلوه. أما وفاة الأمير العباس بن بختي فقد جاءت عقب الحركة التي قادها يوسف بن تاشفين إلى تلمسان عام 474 هـ :"فافتحها وقتل العباس بن بختي أميرها من بني يعلى" (*العبر*، 7 : 94)، فكان آخر أمراء بني يعلى بتلمسان التي عين عليها يوسف بن تاشفين عامله محمد بن تينغمر، بل وكانت آخر إمارة زناتية تسقط تحت قبضة المرابطين.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلد السابع ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1949 - 50.

عمر بنميرة

بَخّات، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، وكان من بين أفرادها بَخّات، العربي بن العربي، الذي كان حيا سنة 1280 / 1864.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البخور، اسم يقع على أية مادة عطرية إذا احترقت انبعثت منها رائحة حادة نفاذة، ثم يتوسع في معناه فيطلق على أي تدخين يثور من أية مادة.

والبخور كان من أقدم العقود يحرق تكريما للآلهة واسترضاء لنفوسها، وهو كان يقدم بصحبة القرابين أثناء المراسم الإلهية، وكان المصريون من أقدم الشعوب التي تحرق البخور زُلْفَى للآلهة، وكان لهم بخور معروف يتركب من ست عشرة مادة يحرقونه في احتفالاتهم الدينية مشفوعا بتلاوات من كلامهم المقدس، وكان للبخور عند العبرانيين مقام وشأن، وكان من بخوراتهم بخور مزيج من الميعة والقنة واللبان والملح، يحرقونه كل صباح ومساء عند هيكل الرب، واستعملت المسيحية البخور من أبكر عصورها، ودامت عليه إلى اليوم.

ثم ننبه على أن البخور لك يمتزج بأية شعيرة إسلامية، فإما نشاهد استعماله في مسجد أو في حلقة ذكر، أو في حفل مولد فإنه إنما يحرق هناك للتطيب والتعطر ليس إلا، فإن رمز به إلى معنى ديني أو حمل اعتقادا ما فإنه يوشك أن يكون ابتداعا، وذلك ما رآه ابن الحاج في *المدخل* (1 : 291) في البخور المعروف ببخور عاشوراء.

وبمعزل عن استعمال البخور لأغراض دينية ومقاصد نسكية، وبمعزل عن استعماله للتطيب والتنعم، ولتطييب الهواء وقطع النتونة فإن عامة الشعوب ومن قديم الأزمان كانت تستعمل العديد من الأبخرة في التداوي من الأمراض، فمن ذلك التبخير على الحميات، وعلى البواسير (بالباء) والنواسير (بالنون) وعلى بثور الجُدَري وعلى سائر القروح الرطبة لغرض تجفيفها وإيباسها، وعرفت أبخرة يستشفى بها من الزكام والسعال والربو، وأخرى استعملت في إسقاط الأجنة وإخراج المشائم وإخراج العلق الناشب في الحلوق.

واستعملوا أبخرة لإبطال السحر، ولحل المعقود، ولرد العين، ولدفع النَّظْرة (الإصابة بالعين من الجن) ولعلاج الصرع بنوعيه : المزاجي والروحاني، ولتزويج العوانس ولتنفيق التجارات.

ويقف القارئ لكتب الطب التراثية العربية والمعربة، وكذا كتب الأعشاب ابتداء "بالمقالات الخمس" لديوسقوريدس اليوناني، فإلى *كشف الرموز في بيان الأعشاب* لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري على أسماء العديد من الأبخرة بما نسب إليها من المنافع والخواص الصادقة أو المزعومة.

وكان التأذي بالهوام فاحشا مزعجا بكل أرض في حاضرة وبادية. فالتمس الناس من قديم الأزمان ما ينفرها عنهم تنفيراً أو يقتلها قتلا ذريعاً، فوقعوا من ذلك على أبخرة وأدخنة يقف القارئ على أكثرها في عامة كتب النبات والحيوان التراثية مما سندل على بعضه في جريدة المصادر.

ومواد البخور فيها النباتي وهو الغالب العام، ومنها الحيواني وهو دون ذلك، وقل التبخير بالمادة المعدنية قلة لا تذكر.

والبخور لفعل الخير يغلب فيه أن يكون بالطيب المحبوب مثل العود الهندي والصندل والجاوي والمصطكي والكندر...والغالب عليه في فعل الشر أن يكون بمواد كريهة أو ذوات نتونة، مثل التنكار، والزفت والحلتيت والصبر والكبريت.

وقد كان المغاربة يستعملون الأبخرة استعمالا فاشيا من قديم العهود، وأكثر ذلك - فيما يبدو - مأخوذ عن كتب الطب والعقاقير، ومن عامة كتب النبات والحيوان مما كانوا يتداولونه منها خلال العصور، ومازال - إلى اليوم - غير قليل منهم في بوادي المغرب وحواضره العتيقة يستعمل أبخرة نذكر منها بَخور ليلة السابع والعشرين من رمضان، وبَخور عاشوراء، وبَخور النفساء، وأبخرة لطرد الجان، ولإبطال السحر، ولفتح الكنوز. واشتهر عندهم بَخور يعرف باسم إشْگاف، وهو يتركب من بضع عشرة مادة فيها الفيجن والشونيز والحرمل والحلبة وسلخ الحية وشوك القنفذ والشب والكبريت، وهو يبخر به لطرد الأرواح الشريرة، ولإبطال السحر، ولرد العين، ولرفع المانع من تزويج العوانس، ولتنفيق السلع الكاسدة وغير ذلك من المكاره والأسواء.

ومازلنا نرى بالمغرب - إلى اليوم - رجالا طوافين على الأسواق وبأيديهم مباخر موقدة، ومعهم أكياس بخور، وعملهم أن يبخروا في الأسواق، وهم يترنمون بأزجال تتكلم بأذكار وصلوات وأدعية، فينفحهم المبخرون ببعض المال. ويخبرنا التاريخ أنهم بقية أقوام كانوا يحترفون التبخير في الخانات والأسواق بأكثر البلاد الشرقية على معلوم موقوت بالشهور أو بالأسابيع، وكان القصد من ذلك إلى التطهير والتعطير، ونبصر إلى اليوم رجال يسميهم المصريون المبخراتية، وشأنهم أن يبخروا في الأسواق، وأحيانا أمام الجنائز.

وبعد فقد أخذ الاعتقاد في البخور ينحلُّ ويسترخي من تأثير التحاليل العلمية الحديثة التي أنكرت الكثير مما نسب إليه من المنافع والخواص، وعلى ذلك فإنه لا ينبغي أن نلوي رؤوسنا عندما يجري الحديث عن البخور، ذلك بأن أشياء من الطب القديم كانت موضع سخرية من الطب الحديث، ثم أصبحت بعد التفتيش موضع تصديق واندهاش من معرفة القدماء بما يكمن فيها من الخفايا والأسرار، وعسى أن يكون بعض ما ينسب إلى البخور من ذلك.

م المجريطي، *غاية الحكيم* ؛ ح. ابن سينا، *القانون في الطب* ؛ م. البوني، *منبع أصول الحكمة* ؛ ع. ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* ؛ ز. القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات* ؛ الملك المظفر يوسف بن عمر التركماني، *المعتمد في الأدوية المفردة* ؛ داوود بن أبي النصر الاسرائيلي، *منهاج الدكان ودستور الأعيان* ؛ م. الدميري، *حياة الحيوان الكبرى* ؛ د. الانطاكي، *تذكرة أولي الألباب، الجامع للعجب العجاب* ؛ أبو القاسم الغساني الوزير، *حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار* ؛ أ. الديربي، *فتح الملك المجيد، المؤلف لنفع العبيد* ؛ ع. ابن حمادوش، *كشف الرموز في بيان الأعشاب* ؛ المعلم بطرس البستاني، المجلد الخامس من *دائرة المعارف* ؛ م. ف. وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين* ؛ أ. أمين، *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية* ؛ مفتاح رمزي، *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* ؛ نادية بلحاج، *التطبيب والسحر بالمغرب*.

أحمد الشرقاوي إقبال

بَخُوشْ (أيت -)، قصر صغير يوجد على الضفة اليمنى لوادي دادس، جنوب قبائل أيت إحْيَا السدراتية، سمِّي باسم القبيلة التي تسكنه. ويدخل هذا القصر ضمن قصور أيت تْلاگْلُو التي تشكل بالإضافة إلى قصور أيت سْعيدْ قبائل إشْححنْ. وتمثل هذه القصور نهاية امتداد قبائل أيت سدرات على وادي دادس ؛ ذلك أن قبائل أيت سَكْري (أوزكْرى) المغرانية الهسكورية تقف في وجه انتشارها بهذه المناطق.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

البدالي، سيدي رحال، أبو العزم السملالي التَّمدُلْتي، نسبة إلى مدينة تمدلت السوسية المندثرة. وينسب إلى الشرف الحسني، على النحو التالي : رحال بن أحمد بن الحسن ابن القاضي عبد الواسع بن محمد بن عبد الله بن سفيان بن جابر بن علي بن سليمان بن عبد الله الكامل، إلى آخر عمود النسب المشهور (*الاعلام*، 3 :224).

كان أسلافه الأوائل يقيمون بتمدلت، ثم رحل بعضهم إلى بلاد سملالة، قبل أن تنتقل أسرته إلى مدينة مراكش. وفي هذه المدينة ولد سيدي رحال في العشرة التاسعة من القرن التاسع الهجري (15 م)، وبها نشأ وتعلم. ولسواد بشرته لقب بالكوش، وصار يعرف برحال الكوش (*ممتع*، 41؛ *الإعلام*، 3 : 224 - 226).

وبعد أن أخذ العلم الظاهر بمراكش، تاقت نفسه إلى سلوك طريق القوم. على غرار كثير من أقرانه، فانضم إلى زاوية الشيخ عبد العزيز التباع بمراكش (ت- 914 / 1509) وأصبح من أخص أتباعه ومريديه. إلى جانب عبد الله الغزواني، وعبد الكريم الفلاح وأبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، وغيرهم (*دوحة*، 96، 100، 102). وهذا يعني أن رحال الكوش جزولي الطريقة، ومن الطبقة الثانية فيها،

إذ لا يوجد بينه وبين الشيخ المؤسس مَحمد بن سليمان الجزولي، سوى واسطة واحدة. بل يعتبر رحال الكوش من رواد هذه الطريقة وأقطابها الكبار الأوائل، زهدا وشهرة وكثرة أتباع. كان أحد المتنافسين، إلى جانب سعيد بن عبد المنعم الحاحي وعبد الله الغزواني وعبد الكريم الفلاح، حول منصب الزعامة (القطبانية) في الطريقة الجزولية، خلفا لشيخهم عبد العزيز التباع، وارث حال الشيخ الجزولي (*ممتع*، 37. 38).

وفي هذا الصدد يفهم من كتب التراجم أن النزاع المذكور كان السبب المباشر في انتقال رحال الكوش من مراكش إلى أغماي بحوز هذه المدينة. يقول صاحب *الممتع* (ص 38) :"إن سيدي رحال الكوش، فيما يقال ظهر بمراكش ظهوراً يضاهي سيدي عبد الله الغزواني. فقال له سيدي عبد الله : إما أن تتركها لي أو أتركها لك، وأما حنشان في غار فلا يجتمعان. فقال له سيدي رحال : أنا أخرج عنك وأتركها لك. فخرج إلى أغماي، فذنك الذي أسكنه هناك".

وفي أغماي ـ الواقعة على بعد أربعين ميلا من مراكش في طريق تادلا ـ أصبحت له شهرة عظيمة، وبعُد صيته، وكثر أتباعه حتى إن عبد الله الغزواني كان يشعر إزاءه بالغيرة وهمٍّ أكثر من مرة بمنازلته في أغماي نفسها، (*ممتع*، 42). ولم تكن هذه الشهرة مرتبطة بما يؤثر عنه من كرامات فحسب، وإنما لمميزات تصوفه أيضا، ولا سيما تقشفه الذي لم يضاهه فيه أحد من أولياء زمانه، رغم كثرتهم. فقد ذكرت المصادر "أنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل لقوته"، (*دوحة*، 101). ولذلك اعتبر الصوفية رحال الكوش، من الأولياء الأبدال ـ المرتبة الثانية من مراتب الولاية الصوفية السبع بعد الأقطاب، (*دوحة*، 101 ؛ *ممتع*، 41). وهذه هي الصفة التي اشتهر بها فدعي رحال البدلي، أو البُدالي (*الإعلام*، 3 : 223).

وقد عاصر رحال البدالي حكم الدولة الوطاسية في شمال المغرب، وقيام الدولة السعدية بالسوس، ودخول زعمائها إلى مراكش. وفي هذا الصدد يفهم من المصادر التي ترجمت له، على غرار سائر معاصريه من أولياء مملكة الجنوب، ومنها مراكش، أنه لم يكن له أي اتصال مباشر أو غير مباشر ببني وطاس، وإنما على العكس من ذلك كان من المساندين لنشاط الحركة السعدية معنويا وماديا لملء الفراغ السياسي في الجنوب وتحرير الثغور المحتلة، كما كان أيضاً من بين الذين مهدوا للأميرين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ الدخول إلى مراكش والتخلص من ناصر بوشنتوف سنة 930 / 1524 (*شمس*، 87 ؛ *الأولياء*، 2 : 632. 633).

وإذا كانت المصادر لم تخبرنا عن دور رحال البدالي في مساعدة السعديين على صد هجوم السلطان أحمد الوطاسي عن مراكش سنة 933 / 1527، كما فعلت بالنسبة لرفيقه عبد الله الغزواني، فإنها تشير إلى أن الصلح الذي عقد بين الوطاسيين وأحمد الأعرج السعدي أمير مراكش، عقب معركة أغماي، التي جرت بين الطرفين عام 935 / 1529، تم تحت إشراف الأولياء (*L'Etablissement*, 67) ومن ثم، ليس من المستبعد أن يكون للشيخ رحال البدالي، الذي جرت المعركة بجوار زاويته، دور في هذا الصلح، (*الأولياء*، 2 : 638).

على أن أبرز وآخر دور قام به الشيخ رحال البدالي لصالح الدولة السعدية هو توسطه في النزاع الذي نشب بين الأخوين السعديين، أحمد الأعرج ملك مراكش، ومحمد الشيخ ملك سوس، عقب فتح أگادير وتحريرها من البرتغاليين عام 1541 م. إذ تذكر المصادر أنه بمجرد ما شرع الشريفان في الاستعداد للحرب تحرك الشيخ رحال ـ الذي غدا آنئذ قطب أولياء الجنوب ـ بعد وفاة سائر منافسيه (*ممتع*، 86) في محاولة لختق الصراع (*افريقيا*، 1 : 461). وهكذا اتصل الشيخ رحال بأحمد الأعرج ودعاه للتسمك بجانب الحكمة تلافيا لقطع العلاقات مع أخيه... وحتى يترك له فرصة عرض وساطته على المولى محمد الشيخ. وقد توجت مساعيه فعلا "بتنظيم لقاء بين الشريفين على ضفاف نهر إسل، حيث حضر كل منهما ومعه خمسمائة فارس..." (*افريقيا*، 1 : 461).

وإذا كنا لا ندري فحوى الاقتراح الذي تقدم به الشيخ رحال البدالى لتحقيق الصلح بين الطرفين، فإن أهم ما أسفرت عنه وساطته هو تأجيل الصدام المباشر سنة كاملة، إذا استثنينا بعض المناوشات بين قوات الأميرين، التي تطورت، كما نعلم، إلى معركة أمسكرود في أكتوبر 948 / 1542. ولم يعمر رحال البدالي بعد ذلك إلا نحو أربعة شهور، إذ توفي سنة 949 / يناير 1543 م. ودفن بزاويته، وعليه حتى الآن، بأغماي التي تعرف أيضا بسيدي رحال، قبة هائلة.

ومن أولاد هذا الشيخ : عبد العزيز بن رحال، وهو صوفي كوالده، غدا شيخاً للزاوية خلفاً له بعد وفاته. ثم حفيده أحمد ابن عبد العزيز، وكان ملامتيا، (الإعلام، 3 : 225).

وأشهر تلامذته الشيخان أحمد العروسي صاحب الرباعيات كرباعيات عبد الرحمان المجذوب، ومحمد بن محمد بن ويسعدن السگتاني دفين الأطلس الكبير.

وهناك جماعات يسمون "أولاد سيدي رحال البدالي"، ويدعون أنهم ورثة بركته، التي تتيح لهم الإخبار بالمغيبات والقيام ببعض الخوارق.

م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع* ؛ أ. الحلفاوي، *شمس المعرفة في سير غوث المتصوفة*، مخطوط خ.ع، رقم 1720 د؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط خ.ع، رقم 1240 د؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 3 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م*، ر. د. د. ع. بفاس.

A. Cour, *L'Etablissement des Dynasties des Cherifs au Maroc*, Editeur, 1904.

أحمد الوارث

بداوة، قبيلة تقع بناحية الهبط (إقليم العرائش حاليا) وتحيط بها قبائل : جبل حبيب، بني عروس، بني گرفط، البدور، امزورة، الغربية، وتقدر مساحتها بـ 49 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1940 : 1579 نسمة يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة ثمانية مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : الدويبات والزاوية والگليلات والجهمة. ويُوجد بكل واحد منها ثلاثة مداشر.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبائل البدور وامزورة وعامر وجزء من قبيلة بني عروس جماعة قروية واحدة باسم جماعة أربعاء عياشة.

Aranda, Coronel, *Geografia* ; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos* ; Comision historica, *Geografia* ; A. Domenech, *El Habt*, p. 16 ; Domenech, Angel, *Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte* ; *Vademecum, (1948) de la Intervencion Territorial del Lukus*, p. 120.

البَداوْدي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، وكان من بين أفرادها بتطوان :

البداودي، الطاهر بن محمد، معلم صانع كان حيا سنة 1275 / 1859.

البداودي محمد بن أحمد، تاجر ممن وقعوا على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 7 مارس 1821.

البداودي، محمد بن محمد فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1102 / 1691.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296. 302 / 3 : 269 / 7 : 305 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* (año 1931) (B).

البْداوْري، أسرة تطوانية لعل أصلها من قبيلة بني يدّر وكان من بين أفرادها :

البْداوري، أحمد بن الحاج المفضل الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1308 / 1891. ولعله توفي حوالي سنة 1317 / 1900، وبذلك انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَداي ولد البَرْدي، ينتمي أصل البردي بالصحراء الأطلسية إلى فصيلة أولاد موسى من اللف الساحلي لقبيلة الركيبات. وقد عرفت القبيلة تعدد الأشخاص الذين تمكن مقارنتهم ببداي، بل إن تعدد هذه النماذج هي التي قلبت القبيلة المسالمة أصلا إلى رابطة قبلية للمواجهة العسكرية والمطالبة.

فكلما استنطقنا الأحداث التاريخية حول هذه القبيلة نصطدم بحقيقة هامة وهي أن العصبية إطار تنظيمي تلتئم فيه الفاعليات وتنتظم داخله التحالفات في مجتمع لا يفرق بين أهله إلا الانتماء إلى هذه العصبية أو تلك. فقد عرفت نهاية القرن التاسع عشر تسيد بداي ولد البردي على فصيلته في مرحلة أصبحت فيها قبيلة الركيبات في مصاف المحاربات. لقد تميز جيل الثلاثينات من هذا القرن بمجابهة تسلط أولاد دليم المعقليين. وهو دور محدد جعل لزاما على الأجيال اللاحقة تجاوزه سياسيا وعسكريا. فبدا عادياً أن يطور جيل بداي مفهوم مراقبة المجال والتوسع إلى أبعد النقط الجنوبية، فعلماً بأن الشمال (وادي نون وباني) يعد ملكا لتكنة الذين يستحيل التصدي لهيمنتهم المطلقة، تستمد العصبية الركيبية قوتها من مجابهة القبائل الأخرى جنوب الساقية الحمراء وداخلها. وهكذا نجد بداي ولد البردي على رأس غزوة وصلت حتى تاودني لتناوش قبيلة البرابيش وتفقدهم عددا هاما من إبلهم. وإذا كانت هذه القبيلة معروفة بوزنها العسكري الثقيل، فإن عملية بداي تكسب قبيلته وزناً لا يقل أهمية. ذلك أنه لا بد لعملية حربية بمثل هذه الأهمية من ضمانات فعلية يفترضها نظام التحالفات القائم الذات. فلا بد أن تكون وراء هذه الخطوة الاستراتيجية عوامل موضوعية خفية هي التي تؤطر مفهوم التعاون والتعاضد داخل التناحر والتنافس. وهو ما يمكن أن نكتشفه إذا ما ركزنا على انتصار الركيبات على مجمل القبائل المعقلية الواقعة يومها جنوب الساقية الحمراء.

لقد أصبح الأساس الذي تقوم عليه العلاقات هو نصرة الأقوى ظالما ومظلوما مخافة تسلطه. فكان لا بد للركيبات قبل الشروع في الغزو من الاعتماد على أولاد المولات القريبين من البرابيش كقاعدة خلفية أكيدة يتم الالتجاء إليها عند الضرورة. وهكذا ندرك لماذا عهد البرابيش بعد تتبعهم أثر بداي ولد البردي ومجموعته إلى الأخذ بثأرهم من أولاد المولات محصلين بذلك على قدر كبير من الإبل. أقام يومها بداي مدة مع أولاد المولات إلى أن قرر مغادرتهم عائداً إلى فصيلته. على أنه اعتباراً لطبيعة ميزان القوى بين القبيلتين وتثبيتا للأمر الواقع، فإن بداي ولد البردي لم يغادر أولاد المولات إلا بعد أن غزا قدراً من إبلهم. وقد لحق مباشرة بفصيلته التي عززته ورفضت إعادة الإبل إلى أهلها (*جوامع*، 74. 91. 92).

واضحٌ إذن أننا هنا أمام نموذج للرئيس الخبير بقواعد ومبادئ نظام التحالفات، المستوعب لأسباب كل حادث. وبذلك فهو يمثل أحد الأمثلة التي تجعل من التاريخ شاهدا على نفسه.

محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الركيبات*، دراسة وتحقيق ناعمي مصطفى، 1991.

S. Caratini, *Rginbat* (1610 - 1934), L'Harmattan, 1989.

مصطفى ناعمي

البَدّادْ، من فعل "بدّ" الذي يعني بالأمازيغية "وقف"، ومنه أبْدّادْ أي الوقّاف أي الرجل الذي يقف مراقبا وموجها لأعمال عمال مشتغلين مأجورين أو مسخرين في

ورش بناء أو حرث أو حصاد أو غير ذلك. وإدخال الألف واللام في صيغة "البداد" من إدماجه في العربية التي نجدها في وثائق المخزن أو وثائق بعض أعوانه من القواد وغيرهم. والبداد ليس عاملا بسيطاً وليس "متعلماً" صاحب صناعة، فهو قبل كل شيء محرض وحارس ومستحث وزاجر للمتهاون ممن يقف على رؤوسهم. كانت أجرة البداد قرابة ثلاث مرات أجرة العامل في البناء.

كناش القائد الجيلالي الدمناتي، (النصف الثاني من القرن التاسع عشر).

أحمد التوفيق

البَدّوزة، رأس يقع غرب منطقة عبدة حيث يطل على الساحل الأطلنتي، على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً شمال مدينة أسفي.

مميزات طبيعية : على ارتفاع يناهز 53 م فوق سطح البحر ينبثق رأس البدوزة من ساحل عبدة حيث تسود الكثبان الرملية المتحجرة المتوازية فيما بينها ومع الشاطئ والمكونة من حُث كلسي يرجع إلى أوائل الزمن الرابع يظهر محليا عاريا في مساحات شاسعة، أو تغطيه تربة رقيقة من نوع "الرمل" تكسوها في فصل الأمطار (350 مم) نباتات سفلى عابرة.

يشرف رأس البدوزة على المحيط بواجهتين مختلفتين من حيث المظهر.

- الواجهة الأولى متركبة من جرف مهجور شبه مستقيم يمتد في اتجاه شمالي شرقي وتفصله عن البحر كثبان رملية متحركة تغيب في شريط المد والجزر حيث تبرز نتوءات وسطوح صلبة تحمل بصمات التعرية البحرية (حافات متقطعة، شخاريب ساحلية...).

- الواجهة الثانية متشكلة من جرف ملطوم شبه مستقيم يمتد في اتجاه جنوبي شرقي وتتقدّمه كتل صخرية كبيرة انفصلت عنه بفعل التعرية.

يمتد شاطئ البدوزة تحت سطح البحر في شكل رصيف قاري شديد الانحدار تحده حافة تحتبحرية حيث يتكسر العباب بعنف لا تضاهيه إلا برودة الماء التي يبثها تيار الكناري عبر مياهه القطبية.

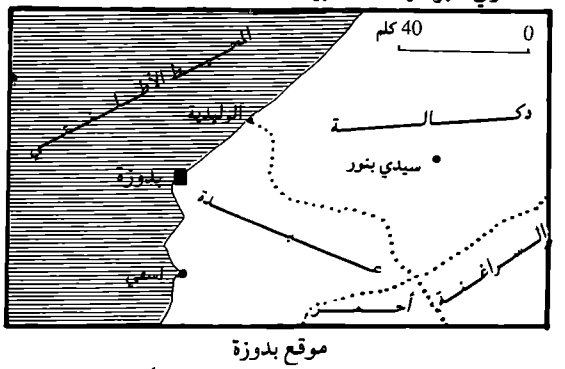

موقع بدوزة

رغم قساوة الظروف الطبيعية (قلة الأراضي الزراعية وفقرها، ضعف التساقطات، خطورة الشاطئ...) عرف رأس البدوزة حضوراً بشرياً منذ أقدم العصور.

معالم تاريخية : ترك إنسان ما قبل التاريخ بصمات مرتبطة بنمط عيشه، وذلك على طول قدم الجرف المهجور، في شكل مواضع الكيوكنمودين Kjökkenmödding (كدس من فتات صدفات الحلزون والبلح المتراكمة في أماكن الطهي). توجد هذه المواضع على مقربة من مغارات قبلتاريخية نُسجت حولها معتقدات وأساطير تسرّب بعضها إلى عصرنا. ومن أشهر هذه المغارات توفري محضار وخلوة سيدي الزلزولي.

يلوح العصر القديم من خلال مؤشرات ما زالت تثير العديد من التساؤلات، ففي قلب الجرف المهجور، على بعد كيلومتر ونصف تقريبا شمال صَريح للاتاساولت توجد مغارة على شكل غرفة مستطيلة لها باب يشبه نافذة، على ارتفاع نسبي يناهز ثلاثة أمتار. هذه الغرفة تحمل آثار النقش بأدوات معدنية على غرار مثيلاتها في سواحل القطر التونسي حيث تدعى حوانت وتنسب إلى قوم نشروا استعمال البرونز.

في العصر القديم عُرف رأس البدوزة باسم رأس الشمس Solis Promuntorium. وقد حظي بمكانة رمزية مرموقة حيث اعتبره سيلاكس Scylax أشهر وأقدس مكان في ليبيا بأسرها. أما حانون القائد والرحالة القرطاجني فقد شيد به، حسب ما رواه بلين، معبداً على شرف إله البحر بوسايدون. ولعل في عناصر البناء الكائنة قرب ضريح سيدي ششكال (1.5 كلم شمال بداية رأس البدوزة) تزكية لهذه الرواية. تشمل هذه العناصر المشكّلة من حُث جد صلب جزءاً كبيراً من عمود أعيد استعماله كعتبة بئر محلي وأحجار منحوتة، متوسطة الحجم استعملت كدعامة للصخرة التي شُيد فوقها الضريح المذكور.

آثارالعصر القديم تتجلى كذلك على صعيد بعض الظواهر الثقافية التي تُنسب أصولها إلى تقاليد فينيقية أو قرطاجنية. ففي المقابر العتيقة تحمل المسلات نقوشاً هندسية تَبرز فيها المثلثات على غرار مثيلات لها بمدينة سلا. على أنه يوجد تشابه كبير بين هذه الرسوم وتلك التي تزين جل قوارب الصيد العتيقة على مستوى الجؤجؤ والكوثل.

نجد بالمنطقة آثاراً رمزية من العصرين الوسيط والحديث من بينها هندسة المساجد العتيقة المجاورة لبعض الأضرحة. تتميز هذه المساجد بشكلها الطولي وسقفها المقوس المعروف «بظهر الكيدار» ومقطورتها الذائرية التي تتصدر المسجد وتبرز بسقفها المخروطي. يمثل مسجد للاتساولت نموذجاً لهذا النمط الهندسي. ومن بين ما تركته هذه العقود الغابرة الاسم القديم الذي ظل يُطلق على رأس البدوزة إلى عصرنا هذا، ألا وهو رأس كانتان Cap Cantin ويرجع أصل هذا الاسم - فيما يبدو- إلى كونتي Conte المدينة التي أشار إليها حسن الوزان J. L. L'Africain بكونها مدينة خربة على بعد عشرين ميلا عن مدينة آسفي في ساحل خضع فيما مضى إلى حكم القوط. ولعل مكان هذه المدينة الصغيرة هو ذلك الذي يُعرف الآن باسم للاحاجّة، ويوجد

على بعد أربعة كيلومترات شمال شرق رأس البدوزة حيث تبرز آثار في شكل برج وبقايا جدران عريضة، إضافة إلى مقبرة عتيقة وكبيرة تدعى للامائة أحمد ومحمد، إشارة إلى أن عدد الأموات المدفونين بها يكاد لا يحصى، بيد أن الإشارة إلى أسماء «أحمد ومحمد» فحسب قد تدل على قدسية الظاهرة نظراً لعلاقتها المحتملة مع الجهاد ضد الوجود البرتغالي على السواحل (أسفي، الجديدة). وتتوفر المنطقة على مؤشرات أخرى تدعم هذا الطرح. توجد قرب منارة البدوزة آثار مقبرة كبيرة بجوار ضريح يُدعى سيدي مجمع الصالحين، مما يشير مرة أخرى إلى جماعة (من الصالحين) مع التلميح إلى عادتهم في التجمع. على نطاق أوسع، تعرف المنطقة كثافة قلّ نظيرها من الأضرحة، مما طبع محليا الثقافة الشعبية حيث يرد الحديث عن «رجال الساحل» ويُذكر المجال بنوع من الخشوع والإجلال مصداقا للقولة المتداولة «في الساحل كل حَجرة بصالح» أي أن عدد الصالحين يُضاهي عدد الحجارة.

استقرت بدوار البدوزة خلال عصر الحماية جالية أوربية قليلة العدد نَظّمت حياتها «الثقافية» حول مقهى اشتهر في أدبيات السياحة بمهارته في طهي وتقديم الأسماك والقشريات. وتُعتبر منارة رأس البدوزة أهم معلمة شيدت في أوائل هذا العصر.

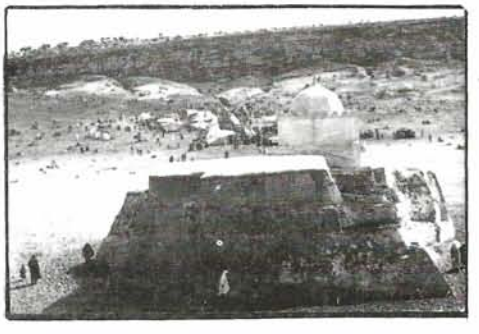

في عهد الاستقلال، عرف رأس البدوزة الذي أصبح يحمل اسم الدوار المجاور ميلاد بعض المشاريع الادارية والاجتماعية التي أخذ بعضها يتحقق ابتداء من أواسط السبعينات (مكتب الحالة المدنية، مكتب بريدي، مستوصف، مدرسة ابتدائية، دور لفائدة بعض رجال السلطة المحلية). ومن أهم ما أنجز في أواخر الثمانينات تزويد المنطقة بالماء الشروب والكهرباء. بيد أن التجهيزات الاقتصادية تبقى منعدمة مما يساهم في تفسير هجرة قوية خصوصا نحو مدينة أسفي المجاورة.

عناصر اقتصادية : يرتكز اقتصاد المنطقة على الفلاحة التقليدية والصيد البحري. وتعتمد الفلاحة على زراعة خفيفة للحبوب (شعير، ذرة) وتربية الماشية بأعداد متواضعة ترعى في الأماكن المتدهورة التي انجرفت تربتها.

وظل الصيد البحري أشهر نشاط اقتصادي يميز المنطقة منذ أقدم العصور. وإن كانت أنواع الأسماك وكمياتها ما فتئت تتقلص نتيجة استنزاف هذه الثروة خصوصاً من طرف أساطيل الصيد الدولية.

من المؤشرات التي تبين الطابع العتيق لممارسة الصيد، مانلاحظه من استعمال حالي لمصطلحات بربرية في تسمية أماكن (وارزاق، أقصري...) وأسماك (أمول تاروزيت...) وأجزاء القوارب (اماون، توزومين...) مع العلم أن سكان المنطقة لا يتكلمون الأمازيغية.

يمارس الصيد أساسا بواسطة القوارب الصغيرة. ويمكن في هذا الإطار التمييز بين ثلاث مراحل : تتميز المرحلة الأولى باستعمال القوارب العتيقة Pirogues التي صممت في غالب الأحيان بحيث لا يختلف فيها الكوثل عن الجؤجؤ الشيء الذي يمكنها من شق الأمواج والتخفيف من قوة دفعها وهي تتأهب للخروج من البحر بعد كل «طلعة». كانت هذه القوارب تحرك بواسطة المجاذيف ويمتطيها طاقم مؤلف من ستة أشخاص يقودهم رئيس. وقد كانت تصاد أساسا سمكا يدعى ساركال (سمك أزرق معدل وزنه خمسة كيلوغرامرات) الذي كان يتم تسويقه على ظهر الدواب في مختلف أرجاء المنطقة. لم يعد لهذه المرحلة أثر إلا في ذاكرة السكان.

تميزت المرحلة الثانية بتغييرات أساسية. فقد تقلص حجم القوارب قليلا وازداد عددها (حوالي 60 قاربا حاليا) ولم تعد تخرج إلى اليابس بعد كل طلعة بل تبقى راسية خلف خط الملطم على الواجهة الجنوبية الشرقية لرأس البدوزة حيث يحميها الجرف الملطوم من الرياح الشمالية. وقد تخصصت هذه القوارب أساسا في صيد القشريات (سرطان وجراد البحر) بواسطة سلات معدة لهذا الغرض. وقد كانت تصدر هذه القشريات إلى الخارج عبر الدارالبيضاء.

وتميزت المرحلة الثالثة والأخيرة بإدخال وسائل جديدة حيث حل المحرك محل المجذاف واستبدلت السلات بأشباك متخصصة. وفي السنين الأخيرة تقلصت كمية القشريات المصطادة وارتفعت التكاليف مما حدا بالبحارة إلى الاعتماد شيئا فشيئا على صيد الأسماك العادية.

يتميز الصيد البحري بمردوده المتواضع نظراً لتكاليف التجهيز وعدم استقرار المحاصيل وارتفاع حصة الوسطاء في تجارة الأسماك. ولا يستفيد البحارة من أي تأمين مع العلم أنهم يعملون في ظروف خطيرة بدون أجهزة الوقاية، وأغلبهم لا يحسنون السباحة.

أخذ رأس البدوزة يعرف انتعاشا في مجال السياحة الداخلية حيث أصبح قبلة المصطافين من مدينة أسفي. وقد ساهم في هذا الانتعاش ترشيد وسائل النقل، وكذا التلوث الذي عم الشواطئ القريبة من أسفي من جراء المعامل الكيماوية. بيد أن هذه السياحة ما زالت تفتقر إلى التجهيزات الأساسية وإلى التدابير التي من شأنها أن تحد من الغموض والمضاربات العقارية، وإلى وضع تخطيط متكامل وقار قصد استصلاح أحد أجمل شواطئ المغرب.

A. Guilcher et F. Joly, *Recherches sur la morphologie de la côte atlantique du Maroc*. Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien. Série Géologie et Géographie Physique n° 2, Editions Internationales, Tanger 1954 ; M. Rousseaux, *Hannon au Maroc*, Société Historique Algérienne, Alger 1949, p. 71 ; J-L. L'Africain, *Description de l'Afrique*, Traduit par A. Epaulard, Adrine - Maisonneuvre éditeur, Paris 1956, p. 319 ; A. Antona, *La Région des Abda*, Chambre mixte d'Agriculture, de Commerce et d'Industrie de SAFI, Imprimerie Officielle, Rabat 1931, p. 211.

محمد زگور

البدراوي، أسرة فاسية شريفة يرتقي نسبها إلى محمد ابن إدريس بن إدريس الأكبر. خرجوا من فاس ـ كسائر الأدارسة ـ بعد انحلال دولتهم فراراً من عسف موسى بن أبي العافية، واستقروا أجيالا بفگيگ في قصر الوداغير، ثم انتقلوا إلى وادي الرتب بسجلماسة، ومنها عادوا إلى فاس في أواخر القرن الثاني عشر (18 م).

كان أول عائد منهم إلى فاس عبد الله بن عبد القادر البدراوي فسكن داراً بدرب بوحاج من حومة الطالعة، وتوالى عقبه في الإقامة بها حتى اشتهرت بهم وعرفت بدار البدراويين. ويُدعى البدراويون أيضاً بالودغيريين اعتباراً لمقر أسلافهم بقصر الوداغير بفگيگ، وبالبگراويين ـ بقاف معقودة ـ إلا أنهم كانوا لا يحبون هذا اللقب، كما يعرفون بالجماليين والشماسيين نسبة إلى جديهم جمال بن محمد وشماس.

البدراوي، أحمد بن **أحمد** بن الطيب الحسني، فقيه تخرج من القرويين بعد تنظيمها، ومارس التدريس بها مدة ثم عين قاضياً غير أنه أُخر فيمن أخروا من القضاة أواخر عهد الحماية. وبعد الاستقلال عين قاضياً بصفرو ثم بتازا، وأخيراً عضواً بمحكمة الاستيناف بالرباط إلى أن أدركته الوفاة بالرباط عام 1389 / 1969.

البدراوي، أحمد بن **اليزيد** الحسني. ولد بفاس وقرأ بها على كبار شيوخ عصره كأحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي وأحمد بن المامون البلغيثي وعبد الله الفضيلي وغيرهم. وبعد أن اشتغل مدة بالتدريس في ثانوية مولاي إدريس، انتصب عدلا بسماط العدول قبل أن ينتقل عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم قاضياً بمدينة الرباط، حيث اشتهر بالعدل والاستقامة. وفي نفس الوقت كان يلقي دروساً في فروع الفقه وأصوله. إلى أن أوقف عن عمله بعد نفي محمد الخامس.

وبعد الاستقلال أصبح رئيس الاستيناف الشرعي، وشارك في وضع مدونة الأحوال الشخصية. ولما أدرك سن التقاعد أُصيب بمرض ألزمه الفراش عدة سنوات إلى أن مات بالرباط صباح السبت عاشر شعبان عام 1388 / 2 نونبر 1968 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب خارج باب العلو.

البدراوي، إدريس بن **عبد الله** بن عبد القادر الحسني. أستاذ فقيه مدرس خطيب صالح ناسك، شيخ جماعة القراء في وقته، أخذ هذا الفن عن والده، وعن الأستاذ محمد بن عبد السلام الفاسي. "وكان يدرس *المختصر وألفية ابن مالك* من الزوال إلى الظهر، وإذا أتم نصابه منها نزل لآخر درجات الكرسي وأخذ في قراءة السبع مع جماعة من الطلبة يُعرِّفهم القراءات وتوجهها وينبههم للمخارج والأصول، هذا دأبه ـ رحمه الله ـ مع عفاف وصيانة، وزهد وديانة"، (*فهرس الوزاني*).

كان إدريس البدراوي خطيباً مفوهاً، خطب بفاس العليا، ثم بمسجد الرصيف، ثم بجامع القرويين في أوائل عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم أُخر عن الخطبة في رجب عام 1247 بعد أن استنكر حوادث الأوداية المعروفة.

ذكر الفضيلي أن له أربعة عشر تأليفاً، فصلها ابن سودة كما يلي، ومعظمها في القراءات :

ـ *التوضيح والبيان في مقرأ نافع المدني ابن عبد الرحمن.*

ـ *عمدة البيان في اختصار مورد الظمآن.* فيما ورد من حذف الألفات وتبقيتها التي وردت في المصاحف كما رواها نافع عن السلف الصالح مرتبة على حروف التهجي...

ـ *شرح عمدة البيان* في ثمانية كراريس.

ـ *قاموس قراءة نافع*، بناه على حروف التهجي.

ـ *أزهار الحدائق في مخرج الوصف والحقائق*، في مخارج الحروف.

ـ *تأليف في الضبط وحكم الشدة.*

ـ *شرح دالية ابن مبارك السجلماسي.*

ـ *حاشية علي الجعبري.*

ـ *طرر على فرائض مختصر خليل* وجدول عى مقاصاته.

ـ *خطب وعظية.*

ومنها منظومات وأراجيز تعليمية :

ـ *أرجوزة في الحذف والثبت* ومقرإ السبع عن قالون ومن معه.

ـ *أرجوة العشرة الكبيرة* وحمزة.

ـ *منظومة في همزة الوصل والحرف بعدها.*

ـ أرجوة في سبعمائة وثلاثة وعشرين بيتاً سماها *سلم الفرائض.*

ـ *طرر على سلم الفرائض.*

توفي بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء سادس عشر محرم عام 1257 / 9 مارس 1841، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح قريباً من الشيخ أحمد اليمني.

البدراوي، إدريس بن **محمد** الحسني، فقيه مشارك اشتغل مدة بالنيابة عن قاضي الرصيف بمدينة فاس. وتوفي صباح يوم الأربعاء 29 ربيع الثاني عام 1383 / 19 شتنبر 1963.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 128 - 133 ؛ ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 18 ؛ عباس الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ أحمد الوزاني، *فهرس*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

البدراوي، بدرالدين بن الفاطمي بن ادريس، أحد شباب مدينة فاس الذين استهوتهم الحركة الاصلاحية التي شهدتها تركيا بزعامة مصطفى كمال في بداية العشرينات من القرن الجاري. كما احتك بأفكار الاشتراكيين الفرنسيين المقيمين بالمغرب، على رأسهم الصحافي كاريط بوڤي Carette - Bouvet.

ورغبة منه في بث اقتناعاته السياسية بين الشباب المغربي، أصدر جريدة عربية بالدارالبيضاء تحت عنوان *الأخبار المغربية*، وذلك بتعاون مع كاريط بوڤي. فظهر عددها الأول يوم 26 مارس 1921، وتعتبر هذه الجريدة بذلك أول جريدة عربية رخصت إدارة الحماية لمغربي بإصدارها. لكن نشاطها لم يدم طويلا، ذلك أن الإقامة العامة لم تستسغ انتقاداتها للسعادة، ولا تعاطفها مع حركة مصطفى كمال، ولا نداءاتها بإصلاح التعليم بالمغرب.

Bulletin Oficiel, N° 444, du 29 mars 1921, p. 546 ; Margot, *La presse arabe en 1927*, Publication de la Résidence Générale au Maroc, Rabat, 1927 ?.

جامع بيضا

البدراوي، بَنَّصَر بن إدريس الحسني، هكذا اشتهر اسمه على الألسنة، بينما تفصحه مصادر أخرى فيكتب أبو النصر أو أبو نصر.

تخرج على يد والده ومن في طبقته من شيوخ فاس، واشتغل طوال حياته بالتدريس إلى أن وافاه الأجل في رابع ذي القعدة عام 1286 / 5 فبراير 1870 ودفن بروضة أهله في خلوة بوعزة من حومة البليدة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 130 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط.

البدراوي، الطيب بن محمد بن بَنَّصَر الحسني، فقيه ناسك مدرس نفاع، نقيب الشرفاء بفاس "كان من أهل الطبقة الأولى من العلماء. وهو النقيب العام على جميع الأشراف بفاس غير أصحاب الإراثة" (*إتحاف*).

توفي في الساعة العاشرة من ليلة الأحد ثالث شعبان عام 1361 / 16 غشت 1942، عن سن تناهز التسعين، ودفن إثر ظهر الأحد بروضة البدراويين بالبليدة المعروفة بروضة سيدي بوعزة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1361 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، عبد الله بن إدريس الحسني، ولد بفاس عام 1237 / 1821. ودرس بها على والده ومن في طبقته، وكان "علامة مشاركاً مطلعا محققا مدرساً له الفهم الثاقب، يحضر دروسه فحول الطلبة. تولى نقابة جميع الأشراف بفاس إلى وفاته". (*إتحاف*).

وممن قرأ عليه إدريس ابن الماحي الإدريسي الذي قال في ترجمته :"حضرت عنده في *صحيح البخاري* بمسجد الحدادين من طالعة فاس، وهو يرويه عن سيدي الوليد العراقي". (*وفيات*).

توفي يوم الأربعاء تاسع وعشري ذي الحجة عام 1316 / 10 ماي 1899. ودفن بروضة سيدي بوعزة بحومة البليدة وكانت له جنازة حافلة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 131 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1316 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، محمد بن **إدريس** بن **بَنَّصَر** الحسني. ولد بفاس وبها درس على أعيان علماء عصره، كعم والده عبد الله بن إدريس البدراوي، وأحمد بن الخياط، ومَحمد گنون، وعبد السلام الهواري، ومَحمد القادري. وبعد أن تم تكوينه اشتغل بالتدريس مدة غير قصيرة قبل إدخال النظام في القرويين، وكان من الآخذين عنه فيها عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة الذي ترجم له في كل من *الاتحاف* و*الفهرس*. وبعد ذلك أصبح محمد البدراوي عضواً بالمجلس العلمي بالقرويين، ثم قاضياً بفاس الجديد أواسط عام 1346 / 1927، ثم قاضياً بمقصورة الرصيف بفاس في أوائل ربيع الأول 1350 / يوليوز 1931 وبقي بها إلى أن أدركته الوفاة صبيحة يوم الأربعاء سادس شوال عام 1354 / فاتح يناير 1936، ودفن بروضة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

وقد اشتهر في قضائه بالعدل والنزاهة والإنصاف، وفصلت مرثية الشاعر عبد المالك البلغيثي جوانب عدل القاضي البدراوي، وهي طويلة تامة في *صل النصال*، مطلعها :

أقاضيَ المسلمين مَنِ البديلُ ومثلُك في محاكمنا قليلُ
أقاضيَ المسلمين رحلتَ عنا فكم أسفٍ يُجرِّعُنا الرحيلُ

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 175 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1354 ؛ *سل النصال*، الترجمة، 164 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، محمد بن **إدريس** بن **عبد الله** الحسني، عالم مشارك، درس على والده القراءات والعلوم الشرعية، كما درس على غيره قواعد اللغة والمعقولات، فكانت "له اليد الطولي في المعقول والمنقول" قضى حياته في التدريس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس ومدارسها إلى أن أدركته الوفاة في حادي عشر رجب عام 1286 / 17 أكتوبر 1869 ودفن بروضة أهله في خلوة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، محمد بن **بَنَّصَر** الحسني، فقيه مشارك قرأ بفاس على والده وعمه محمد بن إدريس البدراوي ومحمد الحمادي المكناسي وعمر ابن سودة وغيرهم. قضى معظم حياته في التدريس، وتولى قضاء مدينة الصويرة مدة. وتوفي بفاس زوال يوم الاثنين تاسع عشر شعبان عام 1311 / 26 فبراير 1894 ودفن بروضة أهله بخلوة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 175 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1311 ؛ إ، بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 123.

البدراوي، محمد بن **عبد الله** بن إدريس الحسني، ولد بفاس عام 1299 / 1881 وبها نشأ ودرس على شيوخ عصره، وفي مقدمتهم والده وأعمامه العلماء، إلا أنه لم يوغل في الدراسات الفقهية، إذ كانت له نزعة أدبية، وهي التي اشتهر بها. كان شاعراً مجيداً أكثرُ شعره في الغزل، وبعضه في التصوف. وله قصيدة بليغة عارض بها تائية البوصري إلا أن شعره لم يجمع في ديوان.

توفي يوم الاثنين خامس صفر عام 1347 / 23 يونيه 1928، ودفن بروضة سيدي بوعزة من حومة البليدة بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

البدراوي، محمد بن **اليزيد** الحسني، فقيه متمكن قضى حياته في التدريس بفاس إلى أن أدركته الوفاة في سابع وعشري محرم عام 1342 / 9 شتنبر 1923.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1342.

محمد حجي

بَدرو دي سلزار Petro de Salazar عاش في كنف الملك فليب الثاني الإسباني، وبأمره أخرج كتابه *Hispania Victrix* ليقص فيه تاريخ الحروب الواقعة بين المسيحيين والمسلمين، سواء البحرية منها أو البرية. وتتعلق جل تلك الحروب بالجانب التاريخي المغربي. وعلى الرغم من أن المؤلف حصر أخباره ما بين 1545 و1570 فإنه رجع إلى سنة 1508. وبالبحث عن مواد التاريخ المغربي نجد أن هناك ثلاثة محاور :

1) تاريخ مدينة بادس وصخرتها بدءاً بالاحتلال الإسباني الأول سنة 914 / 1508 (الفصل الثالث)، ثم استرجاع المغاربة للصخرة سنة 922 / 1522 (الفصل 4) وصد المغاربة الحملة الإسبانية سنة 932/ 1525 (الفصل 5) وحملة سنة 971 / 1563 (الفصول : 33. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85). وقص علينا إجراءات الهجوم والاستيلاء الثاني على الصخرة سنة 972 / 1564 (الفصول : من 89 إلى 119). وما اتصل بذلك من المقاومة (الفصول : من 121 إلى 123). ويتضمن هذا الجرد التاريخي معلومات عن وصف الصخرة ومقاييسها وتحصيناتها خلال الفترة الممتدة بين الاحتلالين الأول والثاني (الفصول : 3. 32. 33. 79. 83. 85. 92. 108) ومعلومات أخرى عن القلاع المجاورة، لاسيما قلعة صنهاجة (الفصول : 3. 4. 79. 83. 85. 109. 110. 111. 113. 122. 123). ويمكن استخراج جانب من تاريخ مدينة بادس خلال هذه الفترة، متعلق بتحصينات المدينة وقوتها الدفاعية، وما لاقته على يد الإسبان من إجلاء أهلها وتخريبها في الأخير (الفصول : 82. 108. 122). ويقدم المؤلف أخبار تمرد صخرة بادس على الوطاسيين والسعديين إلى أن تم احتلال الأتراك لها، بعد تردد سابق على مياهها (الفصول : 3. 17. 18. 92. 98).

2) اهتم المؤلف بأحداث مغرب النصف الأول من القرن العاشر الهجري، ملتفتا إلى قيام الدولة السعدية (الفصلان 6. 7) ليصل إلى الصراع السعدي ـ الوطاسي على الملك، والمراتب التي درج فيها أبو حسون الوطاسي منذ خروجه من فاس سنة 956 / 1549 والتجائه إلى بادس، ثم خروجه منها بحثاً عن المساعدات الإسبانية فالبرتغالية والتركية في آخر المطاف، واحتلاله لفاس ومقتله بها (الفصول : 17. 18. 19. 20. 27).

3) أشار المؤلف إلى الأسباب والعمليات التي تظلبت من الإسبان إغلاق مصب واد تطوان (مرتيل فيما بعد) سنة 973 / 1565 (الفصلان : 120. 126).

حسن الفگيگي

بَدْري، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الرهونة، ومنهم محمد بن المختار البدري، فقيه ناسك توفي سنة 1895/1312. وبموته انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

Isidoro de las Cigigas, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بدري، عمر، أو البدري، أستاذ جزائري الأصل من طبقة قدور بن غيريط، قدم إلى المغرب سنة 1908. حل أولاً بطنجة حيث اتصل بشرفاء وزان فيها، مولاي علي بن عبدالسلام وإخوانه (أولاد سنيورا) ومنها انتقل إلى الدارالبيضاء كمدرس للعربية والفرنسية. ثم جاء إلى الرباط سنة 1917 ليدرس بثانوية مولاي يوسف، وكان مثال الأخلاق الفاضلة، محبوبا من لدن زملائه وتلاميذه.

امتاز الأستاذ بدري عن سائر الجزائريين بتأقلمه وانسجامه التام مع الوسط المغربي، فأصبح لباسه لا يختلف في شيء عن لباس أعيان البلد، يرتدي «الجبادول» و«الشاشية و الرزة» المحكمة الصنع مع الجلباب والسلهام، كما أصبح من رواد النادي الأدبي بروض سيدي عبدالكريم الوزاني الشهير بالرباط، الذي كان يغشاه جماعات من العلماء والأدباء.

ومما يدل على كمال مروءة الأستاذ عمر بدري، تطوعه بإلقاء دورس باللغة الفرنسية في أول مدرسة حرة بالزاوية الحراقية في درب والزهرا حي بوقرون، في حين كان الأديب المؤرخ محمد بوجندار يلقي فيها دروسا باللغة العربية.

كان لعمر بدري ولد توفي في حياته فلم يعقب، وأدركته الوفاة بالرباط في شهر شعبان عام 1361/ 15 غشت 1942.

تقاييد ومعلومات شخصية.

م. الأمين بلغناوي

البِدَع باب كبير من أبواب فهم الدين وتطبيقه. أثار جدالا طويلا بين علماء الإسلام وفقهائه على مر العصور ما بين المتشددين والمتساهلين.

والكلمة مشتقة من فعل بَدَعَ الذي يفيد - حسب لسان العرب - أنشأ الشيء، وبدأه واستنبطه وأحدثه. و البِدْع - بكسر الباء - هو الشيء الذي يكون أولا.

وقد وقع الخوف على الإسلام منذ ظهوره من أن تتسرب إليه أشياء ليست منه هي التي دعاها النبي صلى الله عليه وسلم بدعة، كما جاء في الحديث :"وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار". ولهذا استعملت الكلمة عند علماء الشريعة في معرض الذم. وهي تناقض ما هو معروف باسم السنة، أي ما أُثر عن الرسول - عليه السلام - من قول وعمل. وهو ما تؤكده أحاديث نبوية أخرى مثل : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

لكن يجب فهم هاته الأحاديث على حقيقتها ووضعها في سياقها. فهي لا تعني تحريم الرأي والاجتهاد، بل تعني كل ما تعارض مع السنة وتجاهل أصول الشريعة. ولذا ميز ابن الأثير بين بدعتين : بدعة هدى وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر به الله ورسوله فهو في حيز الذم والإنكار؛ وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه رسوله، فهو في حير المدح. يضاف إلى ذلك كل ما ليس له مثال منصوص عليه في الكتاب والسنة من أفعال الخير والبر. فقد ورد في الحديث النبوي : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها. كما ورد أيضا: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. ومن الأمثلة على ذلك قيام رمضان لأنها من الأفعال التي لم يسنها النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك استحسنها عمر بن الخطاب وقال عنها : نعمت البدعة، وجمع الناس عليها وندبهم إليها، معتبرا إياها من الأعمال الصالحة.

وقد اهتم علماء المغرب والأندلس بموضوع البدعة وتجندوا عبر التاريخ لمقاومة كل ما ظهر لهم أنه بدعة، ونجحوا إلى حد كبير في تغليب مذهب السنة والجماعة على غيره من المذاهب الأخرى، بحيث لم تبق إلا مجموعات صغيرة من الإباضية في بعض المناطق الصحراوية المنعزلة بليبيا والجزائر. كما نجحوا في توحيد الشرع المعمول به في الأحكام باختيارهم للمذهب المالكي وتنحية غيره من المذاهب. وكانوا صارمين في مقاومة كل الانحرافات الطارئة على الفكر السائد لدى جمهرة العلماء. فتصدوا لبعض المفكرين مثل ابن مسرة وعدد من الفلاسفة وعلماء الكلام والمعتزلة بالأندلس فاضطهدوهم وحرضوا السلطان عليهم. ففسح المجال لتدخل الدولة لقمع كل الذين يخرجون عن الرأي السائد، ومطاردة الأفكار والتيارات التي لا يرضى عنها فقهاء المذهب.

ومن الأمثلة على ذلك الاضطهاد الذي تعرض له العالم المشهور ابن حزم الظاهري الذي أحرقت كتبه وتصدى له عدد من علماء وقته للتشنيع عليه، ومنهم أبو بكر بن العربي، الذي ألف كتاب *الدواهي والنواهي* للرد عليه وانتقاد مذهب الظاهرية. كما يجب أن نذكر الحملة التي قامت على الغزالي بالأندلس والمغرب والتي انتهت بإفتاء العلماء بإحراق كتاب *إحياء علوم الدين*. ومن جملة ذلك الاعتقال الذي تعرض له بعض رجال الصوفية مثل أحمد بن العريف وأبي الحكم بن برجان اللذين وقع ترحيلهما بأمر من السلطان من الأندلس إلى المغرب حيث انتهت حياتهما. وكان سبب نكبتهما انتحالهما للفكر الصوفي وتصديهما لنشره بين الناس. وآخر مثال نورده هو النكبة التي حاقت بالفيلسوف أبن رشد بأمر من الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بعد أن نال حظوة كبيرة عنده وعند والده.

لم يكتف العلماء باستنكار البدعة والافتاء بتحريمها، بل تصدوا للتأليف فيها، فنذكر من بين أولئك المؤلفين، على سبيل المثال، أبا بكر بن العربي (ت 543 / 1148) الذي ترك عدة تآليف في الموضوع مثل :

- *مشكل القرآن والحديث* : يتحدث فيه، على ما يظهر، عن مشكل القرآن والسنة والرد على المبتدعة وتأويلاتهم (*الطالبي*، 72).

- *العواصم من القواصم* : ولعله أهم مؤلفاته في هذا الصدد، تناول فيه عدداً من القضايا التي اعتبُرها انحرافاً من عدد من العلماء والمفكرين عن جادة الشرع وسماها قواصم. والكلمة يمكن اعتبارها مرادفة للبدع.

- *الدواهي والنواهي* : وهو كتاب ألفه في الرد على ابن حزم.

- *كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد، والرد على من خالف السنة وذوي البدع والالحاد.*

- *سراج المريدين في سبيل المهتدين.*

وممن تصدى للموضوع، نذكر :

- أبا الحجاج يوسف ب محمد المكلاتي (ت 626 / 1237). الذي ألف كتاباً ضخماً في نقد الفلسفة بعنوان *كتاب لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*، وهو في الحقيقة، لا يقتصر فيه على الرد على الفلاسفة بل يتجاوزهم إلى نقد عقائد بعض الفرق الأخرى مثل المعتزلة والكرامية.

- عبد الرحمن ابن خلدون الذي تعرض في مقدمته لموضوع البدعة في جملة من الفصول حين حديثه عن علم الكلام أو عن "المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السيئة والمبتدعة في الاعتقادات" (*مقدمة*، 848) أو عن علم التصوف (863) أو عن العلوم العقلية وأصنافها أو عن علم الإلاهيات (920).

ـ أبا إسحاق الشاطبي (ت 790) الذي أولى الموضوع أهمية خاصة في مؤلفاته. ومنها كتاب *الاعتصام بالكتاب والسنة من الحوادث والبدع*. وعاد إليه في كتابه المشهور *الموافقات*، بحيث إن الذي أراد أن يتعمق في الموضوع من وجهة نظر علماء الأصول، لا غنى له عن الرجوع إلى هذا الكتاب.

ـ أبا الحسن الصغير (ت 719) الذي كانت له سلطة معنوية كبيرة بفاس كقاض وخطيب ومفت. وله تأليف خاص في الموضوع بعنوان *كتاب البدعة*، وفتاوى تناولت عدة قضايا في المجتمع جمعت بعنوان *الدر النثير في أجوبة أبي الحسن الصغير*.

والقائمة طويلة يمكن أن نضيف إليها عدة أسماء مثل ابن الحاج، صاحب *المدخل*، وابن السكاك، وأحمد رزوق، وأحمد الونشريسي صاحب *المعيار*، وعبد الله الهبطي والحسن اليوسي. وفي القرن التاسع عشر، اشتهر العالم محمد گنون بمواقفه الصارمة تجاه البدع والمنكرات التي تكاثرت في عصره، فكان من أول الدعاة للسلفية. وتجسمت في عصرنا مقاومة البدعة في الحركة السلفية المغربية التي تمتد جذورها إلى التطورات التي طرأت على الفكر الديني بالمشرق منذ قيام الوهابية بنجد إلى انطلاق الفكر الاصلاحي بمصر على يد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وتلاميذهما. فكان من رجالها بهذا العصر الشيخ أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وأبو بكر زنيبر وعلال الفاسي وعبدالله گنون الخ...

إلى جانب المقاومة الفكرية التي كان يضطلع بها العلماء في كل عصر، كانت السلطة بدورها تراقب كل الانحرافات التي تمس الدين داخل المجتمع. ومن القضايا المنصوص عليها في بيعة الملوك حماية الدين وتطبيق الشرع واتباع السنة ومحاربة البدع. وهذا الالتزام نجده مذكوراً في المصادر منذ عهد الأدارسة ونذكر هنا على سبيل المثال :

ـ التزام المرابطين بتطبيق الفقه المالكي والضرب على يد كل من لا يرضى عنه فقهاء المذهب ويستنكرونه، كما حدث بالنسبة لكتاب *الإحياء* للغزالي.

ـ مواقف الملوك الموحدين الأولين، وبخاصة يعقوب المنصور في محاربة أصناف من البدع والانحرافات.

ـ قيام المأمون الموحدي باستنكار ادعاء ابن تومرت للمهدوية.

ـ تحرك السلطان محمد بن عبد الله أثناء حكمه في مقاومة بعض البدع المنسوبة للطرقية وفي تحديد نهج التعليم بالقرويين وغيرها من المعاهد حتى لا يندس إليها ما هو مخالف للدين. وقد سار خلفاؤه من بعده، أثناء القرن التاسع عشر، على نفس النهج. إلا أن الصراع مع بعض الزوايا كانت له، في بعض الأحيان، صبغة سياسية أكثر منها دينية. ومهما يكن، فإن موضوع الاصلاح أثير بحدة أثناء هاته الفترة ودعا إلى جدال وتدخلات مختلفة كان من أهدافها اجتناب كل ما هو مخالف للشرع.

برغم كل هاته الجهود التي بذلت سواء في الحقل العلمي أو في الحقل العملي، تبقى هنالك مشكلة أساسية مطروحة على المستوى النظري ألا وهي التمييز بدقة بين ما هو بدعة مرفوضة وما هو عمل مستحسن ومقبول. فهنالك بعض العلماء المتشددين الجامدين الذين يستبعدون كل عمل أو سلوك لم يُوثَر عن الرسول. وقد رأينا من خلال أحد الأحاديث النبوية كيف أن الرسول كان متساهلا في الموضوع، فقبل من المومن أن يسن سنة حسنة بمحض اجتهاده. كما أن عمر بن الخطاب اعتبر قيام رمضان بدعة حسنة.

ومهما يكن، فإن اجتهاد العلماء وإدلائهم بالرأي الخاص في الأحكام التي لم يرد بها كتاب ولا سنة، لا يتم إلا إذا حظيت البدعة الحسنة بالقبول. وقد طرح ابن العربي هاته القضية عند تعرضه لتفسير آية :"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" (البقرة، 28) إذ قال ما معناه إن كثيراً من الناس فهموا منها أن أصل الأشياء الإباحة إلا ما قام عليه دليل بالحظر. وهنالك طائفة ثانية ذهبت إلى أن أصل الأشياء الحظر حتى يأتي دليل الإباحة. وهنالك قول ثالث مفاده أن الآية لا حكم لها حتى يأتي الدليل بأي حكم اقتضاه فيها. ويختلف أصحاب الإباحة أو الحظر بين الاستناد إلى العقل أو الشرع. فتمييز البدعة عن غيرها يعود بنا إلى أصول الشريعة. ويطرح موضوع حرية المومن في الاجتهاد وتسخير عقله في إدراك الأمور.

ويتناول الشاطبي موضوع المسكوت عنه في الشرع فيذكر الرأي المستند إلى الحديث النبوي :"وما سكت عنه فهو عفو" ويورد أن النبي ـ عليه السلام ـ كان يكره كثرة السؤال فيما لم ينزل فيه حكم بناء على حكم البراءة الأصلية، إذ هي راجعة إلى هذا المعنى. ومعناها أن الأفعال معفو عنها. وقد قال صلى الله عليه وسلم :"إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم عليهم، فحرم عليهم من أجل مسألته" (*الموافقات*، 1 : 163). لكنه يورد رأيا آخر مفاده أنه ليس ثم مسكوت عنه بحال، بل هو إما منصوص أو مقيس على منصوص. وهذه الأشياء المسكوت عنها قد تترك لاجتهاد الناس وتفكيرهم، وقد يؤتى إليها من جهة علوم أخرى لا علاقة لها بالعلوم الدينية. فالشاطبي يلح على "أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب" ويستنتج من ذلك أن الناس تجاوزوا الحد في نسبة كل العلوم المعروفة إلى القرآن من "علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيها الناظرون من هذه الفنون وأشباهها". فالقرآن إذ نزل على العرب، أولا، لكي يفهموه ويتجانس مع بيئتهم ما كان فيه "تقرير مما زعموا". وهكذا، يبقى لهاته العلوم الكونية استقلالها في البحث والاستنباط، وجلب المنافع. ونستنتج من هذا الكلام أن الخوض في هاته العلوم لا يمكن أن ينسب إلى البدعة.

وابن خلدون، من جهته، يتشدد في استعمال العقل، خصوصا في القضايا العقدية، إذ يعتبره مطية للانحراف عن العقيدة الصحيحة. فهو، في حديثه عن علم الكلام مثلا، يبين أن العقل البشري غير قادر على إدراك الأسباب والدلائل المفضية إلى توحيد الله "إذ للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته. فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه" (1 : 825). ويرى أن التوحيد يتوقف على "التصديق الإيماني" الذي هو تصديق بالقلب واعتقاد دائم في النفس وإقرار باللسان وتجنب للخطإ في تأويل الآيات المتشابهات. ويرى ابن خلدون أن علم الكلام لم تعد له ضرورة، إذ أن "الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم، المتقدمين الذين وقفوا عند حدود الشرع، والمتأخرين الذين تجرأوا في آرائهم، فادعوا كشف الحجاب والوصول إلى ما وراء الحس وتحدثوا عن الحلول والوحدة.

وقد فصل أحمد الونشريسي (ت 914هـ) في *المعيار* الحديث عن البدعة، فصنفها إلى خمسة أنواع :

1 ـ بدعة واجبة بالإجماع : كتدوين كل ما يخشى عليه الضياع من أصول الشرع، مثل تدوين القرآن والشرائع.

2 ـ بدعة محرمة بالإجماع : كالمكوس، وتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعية بالتوارث.

3 ـ بدعة مندوب إليها : كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة والولاة بالملابس.

4 ـ بدعة مكروهة : كالزيادة في العبادات أكثر مما حده الشرع.

5 ـ بدعة مباحة، وهي ما تناولته قواعد الإباحة : كاللباس الحسن، والسكن الحسن.

إذا تركنا الآن الجانب النظري في الموضوع ونزلنا إلى التطبيق العملي للشريعة، نجد العلماء ينبهون إلى عدد من البدع الصغيرة والجزئية. وقد عرض لها ابن الحاج في *المدخل* وكذلك الونشريسي في *المعيار*. ولنذكر، على سبيل المثال، البعض منها :

ـ الاقتصار على الضروري من اللباس دون الزيادة فيه : "لا يجوز للإنسان أن يزيد في ثوبه ما ليس فيه حاجة إليه". (*المدخل*، 1 : 124).

ـ ذبح أضحية العيد في غير وقتها وقبل أداء صلاة العيد.

ـ زيارة القبور في يوم عاشواء.

ـ تزين النساء بالحناء يوم عاشوراء.

ـ صنع الحلاوات "المحتوية على الصور المحرمة شرعا" (*المدخل*، 285).

ـ التغني في ليلة المولد النبوي بأغاني مصحوبة بآلات الطرب "من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع" (*المدخل*، 2 : 3).

ـ الأذان بالألحان "وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد أحدثها بعض الأمراء بمدرسة بناها" (249).

ـ الصياح ولطم الخدود على الميت (3 : 257).

ـ السجود بين يد المشايخ وغيرهم (*المعيار*، 1 : 359).

ـ لبس الرجال للحرير (1 : 348).

ـ قراءة القرآن على الميت في صباح القبر (335).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة بقدر المحدثات التي أدخلت على الشرع، إما كإضافة وإما كتعديل. والعلماء متفقون في الغالب، على استنكار ما هو حرام منها وظهرت حرمته بصورة لا تترك مجالا للشك. لكنهم، في الكثير منها، مختلفون ما بين متشدد ومعتدل ومتسامح.

ولعل الاتجاه الذي غلب في عصرنا هو الاعتدال والتسامح، نظراً للتطورات السريعة والعميقة التي دخلت على المجتمعات الإسلامية، وضمنها المغرب، غداة احتكاكها بالغرب منذ قرنين تقريبا، وبذلك تغيرت أشياء كثيرة فيه وظهرت ضرورات لا مناص من الاستجابة إليها. لكن المجتمع الإسلامي، في نفس الوقت، نظراً لما تفشي فيه من عوامل الانحطاط والجهل، حدثت فيه انحرافات من الناحية الدينية نفسها. فانتشر فيه التعلق المغالي بالأولياء وأضرحتهم وتعددت مظاهر الشعوذة. فكانت موجات مختلفة من البدع. وكل هذا دفع ببعض رجال الدين إلى التصدي للدفاع عن العقيدة الصحيحة وتطهيرها من كل طوارئ الفساد. فنشأ عن هذين العاملين، عامل التحديث والعصرنة، وعامل التصحيح والعودة إلى الأصول، تياران مازالا يتحكمان إلى اليوم في حياة المجتمعات الإسلامية.

إلى جانب التيار الذي اتخذ مرجعيته إلى الإسلام، بالأساس، يجب أن نذكر تيار التحديث الذي لا يعارض الدين، ولكنه يستند قبل كل شيء إلى نموذج الحضارة الغربية ليتخذ منه منطلقاً للإصلاحات الضروري إجراؤها في المجتمعات الإسلامية. وبالنسبة لعدد من المفكرين الإسلاميين، أدى هذا التيار إلى حدوث عدد من البدع الخطيرة، مثل حصر الشريعة الإسلامية في نطاق الأحوال الشخصية واستحداث تشريع مدني مقتبس من المدونات المطبقة في المجتمعات الغربية، وتشريع مالي يتجاوز الضرائب الشرعية بإقرار ضرائب متعددة من صنف المكوس المحرمة، وإنشاء مصارف عصرية تتعامل بالفائدة أي بنوع من الربا، والتي كان لا مناص منها للأخذ بسياسة التنمية الاقتصادية ومساعدة المقاولات والمشاريع الجديدة، وتحرير المرأة بصورة تتجاوز المسموح به في الشريعة.

وعلى العموم انطبق على المغرب ما انطبق على غيره من الأقطار الإسلامية في العصور الحديثة. فظهرت مقاومة البدع على يد بعض ملوك الدولية العلوية مثل محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) والمولى سليمان (1792 ـ 1822) اللذين اتجه عملهما بالخصوص إلى مواجهة بعض الزوايا باسم تصحيح العقيدة. وظهر في القرن التاسع عشر عدد من العلماء الذين ساروا في نفس الاتجاه أمثال محمد بن المدني گنون، وأحمد بن خالد الناصري، ومحمد بن عبد الكبير الكتاني، ومحمد بن جعفر الكتاني. وكلهم تجندوا للدفاع

عن الإسلام والتحذير من البدع والتوعية بخطر الاستعمار الذي كان يتربص بالمغرب الدوائر، وبوجوب القيام بالإصلاح الداخلي، كل حسب رأيه الخاص.

وجاءت بعد هؤلاء في القرن الحالي جماعة من علماء السلفية من الذين عاشوا في عهد الاستعمار، وذكرنا أسماء بعضهم آنفاً فكانوا يقومون بدعوة إصلاحية شاملة ويحاربون البدع لا سيما الطرقية التي مدت يدها للاستعمار وظلت تدافع عن بعض التقاليد والأفكار المنحرفة عن السنة، باستثناء زوايا أخرى عرفت بمقاومتها للاستعمار ومشاركتها في النشاط الوطني.

وعلى أي، فالحركة السلفية المغربية بدعوتها للرجوع إلى التعاليم الإسلامية الصميمة، تصدت للبدع التي تسربت إلى الدين بسبب طغيان الجهل والشعوذة، وقطعت الطريق على الاستعمار الذي كان من مصلحته أن تسود العقلية الخرافية الداعية إلى التواكل والخنوع والاستسلام. فهي، بهذه الصفة، شكلت المرحلة التمهيدية للحركة الوطنية التي اهتمت بإصلاح شؤون الدين والدنيا.

القرآن الكريم ؛ *صحيح البخاري* ؛ *صحيح مسلم* ؛ صاعد، *طبقات الأمم*، بيروت 1985 ؛ م. الغزالي، *الإحياء* ؛ *تهافت الفلاسفة* ؛ أ. ابن العربي، *أحكام القرآن*، القاهرة 1949 ؛ الشهرستاني، *الملل والنحل*، القاهرة 1961 ؛ م. ابن رشد، *تهافت التهافت* ؛ *بداية المجتهد*، القاهرة 1329 هـ ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، بيروت والرباط ؛ المكلاتي، *كتاب لباب العقول*، القاهرة 1977 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 1، بيروت 1967 ؛ إ. الشاطبي، *الموافقات*؛ *الاعتصام* ؛ ابن الحاج، *المدخل*، بيروت 1972 ؛ أ. زروق، *كتاب البدع*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ج 1 و6 ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ رشيد رضا، *تفسير المنار*، القاهرة 1346 هـ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ أحمد أمين، *زعماء الإصلاح* ؛ *فجر الاسلام*، القاهرة 1956 ؛ *ضحى الإسلام* ؛ *ظهر الإسلام* ؛ ع. النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة 1965 ؛ م. أبو زهرة، *تاريخ المذاهب الإسلامية* ؛ *ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي*، أصيلة 1989 ؛ أ. بالنثيا، *تاريخ الفكر الأندلسي*، القاهرة 1955 ؛ *مجلة المنار*، *العروة الوثقى*.

محمد زنيبر

البْدُور، قبيلة تقع بناحية الهبط (إقليم العرائش) وتحيط بها قبائل امزورة، بداوة، بني گرفط، الخلط، عامر، وتقدر مساحتها بـ 45 كلم مربع، يتكلم سكانها باللهجة العربية الدارجة، ويوجد المركز الرئيسي للقبيلة بسوق اثنين سيدي اليمني، وتحتوي القبيلة على أحد عشر مدشراً وتسعة مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية.

وفي التقسيم الاداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبائل امزورة وبداوة وعامر وجزء من قبيلة بني عروس جماعة قروية واحدة اسمها أربعاء عياشة.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 51.

Aranda, Coronel ; Belazquez y Delgado, *Estudios geograficos* ; Comission historica, *Geografia* ; A. Domenech, *El Habt, Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزور حكيم

البدوي، أحمد بن **أحمد** الشهير بزويتن فقيه وشيخ صوفي من أهل فاس، نشأ بها ودرس على كبار شيوخها أمثال الطيب ابن كيران وحمدون ابن الحاج وعبد السلام الأزمي، غير أنه لم يوغل في علم الظاهر، إذ لقي الشيخ الشهير العربي الدرقاوي عام 1215 / 1800 فسلك على يده طريق القوم ولازمه حتى صار من أقرب مريديه إليه.

وبالرغم على كثرة مريدي الشيخ العربي الدرقاوي من أبنائه وغيرهم، فإن أحمد البدوي عُرف بأنه "وارث سر الشيخ وخليفته من بعده" وأنه أدرك رتبة الغوثية. وبعد وفاة الشيخ الدرقاوي تكاثر أتباع أحمد البدوي فكوّن طريقة صوفية حملت اسمه "الطريقة البدوية"، وهي مقتبسة من الطريقة الدرقاوية وتعتبر فرعاً من فروعها. ويبدو أن الزوايا البدوية كانت تبالغ في الرقص والسماع أثناء عقد حلقات الذكر الأمر الذي أثار انتقاد بعض العلماء لها، فأشار الشيخ البدوي على تلميذه محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري بالرد عليهم، فألف في ذلك كتاباً عرّف فيه بشيخه البدوي إلى جانب الرد على المنتقدين. كما ألف في نفس الموضوع عبد الرحمن بن هاشم الحسني كتابا طويل العنوان "*المشرفي المسلول في إبطال دعوى كل جهول، لنصرة الفقير الآوي، إلى كهف الشيخ البدوي الدرقاوي، في الرد على من زعم بطلان طريقته من كل دعاوي*"، اشتمل على خمسة فصول كتب في الأول منها ترجمة مطولة لشيخه البدوي.

لم يكن لأحمد البدوي كثيرٌ من الأتباع بفاس ومكناس، وإنما انتشرت زواياه بالبادية في بلاد فركلة وغريس ومدغرة بتافيلالت، وبني حسن وغيرها من منطقة الغرب. وله رسائل صوفية كان يبعث بها إلى مريديه جمعت في مجموعتين : *الرسائل الكبرى* وتسمى أيضا *المناجاة الفردية الإلهية، في تبيين معالم الطريقة المحمدية* ؛ *والرسائل الصغرى*، وكلها ماتزال مخطوطة في الخزانات العامة والخاصة.

توفي أحمد البدوي بفاس في 13 ذي الحجة عام 1275 / 14 يوليوز 1859 ودفن بزاويته القريبة من دار سكناه برأس عقبة حومة گرنيز ـ السياج.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 30 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 260 ـ 262 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1275 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، وفيه أن أحمد البدوي توفي يوم الأحد 23 قعدة 1274.

البدوي، أحمد بن **أحمد** السرايري الرباطي، الفقيه المدرس الخطيب المحاضر، عاش بمسقط رأسه الرباط يدرس للطلبة إلى أن توفي في ثامن وعشرين جمادى الأولى عام 1295 / 30 ماي 1878.

محمد حجي

البدوي، أحمد بن **علي** بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن اسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن حسن بن جعفر بن علي الهادي بن محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول الكريم ص، (*العظة*، 113).

انتقل أجداده إلى بلاد المغرب حوالي عام 692/73، في أعقاب الفتح الإسلامي، وحطوا الرحال بمدينة فاس بعد بنائها. وبهذه المدينة ولد أحمد البدوي في حي شهير يعرف باسم زقاق الحجر. ويحتمل أن يكون ذلك في سنة 1200.1199/596. (*دائرة*، 1 : 465). وكانت أحوال أحمد في نشأته وحداثة سنه غريبة عجيبة. فقد ذكروا أنه كان يلزم الصمت ولا يكلم الناس إلا بالإشارات، وأنه يظل أكثر أوقاته شاخصا بعينيه إلى السماء. (*الأدب*، 147). ويذكر أيضا أن ميوله نحو التصوف أخذت تظهر منذ ذلك الدور المبكر، حتى لقبه قومه في طفولته بالزاهد، كما يقال إنه لبس خرقة التصوف في فاس على يد الشيخ عبدالجليل النيسابوري. (*الجواهر*، 20).

وفي سنة 1206/603 غادر أحمد البدوي رفقة سائر أفراد أسرته مدينة فاس في اتجاه مكة، ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز السابعة. (*دائرة*، 1 : 465). وفي طريقهم إلى الحجاز، نزلوا بمصر، حيث قضوا حوالي ثلاث سنوات، فلم يصلوا إلى مكة إلا سنة 1211/607. وفي هذه المدينة عاشت أسرة البدوي عيشة طيبة، إلى أن فجعت بوفاة الشريف الوالد علي سنة 1230/627، ثم أربعة من أبنائه، فلم يبق من أنيس لأحمد سوى شقيقه الأكبر الشريف حسن، الذي تولى رعايته (*الطرق الصوفية*، 163).

وقد اشتهر أحمد البدوي في مكة بالفروسية والفتوة، إلى جانب تضلعه في العلوم الفقهية، وخصوصا الفقه الشافعي (*دائرة*، 1 : 465). لكنه سرعان ما تجاوز كل ذلك، فاعتزل الناس وعكف على العبادة، متخذا مغارة في جبل أبي قبيس، قرب مكة لخلوته. (*الطرق*، 163). وفي حوالي سنة 1236/633، رحل عن مكة في اتجاه العراق، وعمره آنذاك حوالي الثامنة والثلاثين، فزار بيوتات العلم والتصوف، وأضرحة الأولياء والصوفية، وخصوصا منها أم عبيدة مركز الطريقة الرفاعية، ومقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني ببغداد، وضريح أبي الفضائل عدي بن مسافر الهكاري، صاحب الطريقة العدوية، وضريح الحلاج. وفي السنة الموالية رحل أحمد البدوي إلى طنطا بمصر، واستقر بها، إلى أن وافته المنية سنة 1276/675 (*دائرة*، 1 : 466 ؛ *الطرق*، 168.166).

وقد أدت رحلته المفاجئة إلى طنطا بالبعض إلى القول بأن أحمد البدوي كان داعية للشيعة الفاطميين بمصر، وأنه انتحل صفة التصوف للتستر خشية بطش الأيوبيين به (*ضحى الإسلام*، 3 : 246) لكن المتفق عليه أن علاقة أحمد البدوي بحكام مصر كانت طيبة جدا، كما أن تصوفه لم يتضح في أي مكان أكثر مما اتضح ونضج في طنطا. (*دائرة*، 1 : 466) ومن أهم ما سجل عن حياته الصوفية في أعقاب نزوله بطنطا أنه كان يصعد إلى سطح البيت الذى سكنه ويرفع عينيه صوب الشمس حتى تحمر وتقرض وتصبح أشبه بالجمرتين المتقدتين. ويقال أيضا إنه كان تارة يطول صمته وتارة يتصل صراخه، وكان يواصل الصيام ما يقرب من الأربعين يوما، مع قيامه الليل في تلاوة القرآن. أما فيمايتعلق بحاله فقد قيل إن حضوره أكثر من غيابه (*دائرة*، 1 : 466. 467). وقد أحرز أحمد البدوي في طنطا شهرة كبيرة حتى بذ سائر أوليائها، فاعترف له بالتقدم كثير منهم، بينما ضعف شأن خصومه، واضطروا إلى هجر البلدة. ومن ثم، لا غرابة إذا اعتبره الصوفية قطبا من الأقطاب، في مقام أحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي.

ولعل أهم ما ميز أحمد البدوي، وأتباعه من بعده، ثلاثة أشياء :

أولا : الخرقة البدوية، وهي من صوف أحمر مع عمامة حمراء. قال البدوي يوصي خليفته عبدالعال :«يا عبد العال اعلم أني اخترت هذه الراية الحمراء... علامة لمن يمشي على طريقتنا». أما شروط حملها فقد لخصها الشيخ أحمد البدوي في قوله : من شروط (حملها) أن لا يكذب ولا يأتي بفاحشة، وأن يكون غاض البصر عن محارم الله تعالي طاهر الذيل عفيف النفس خائفا من الله تعالى عاملا بمتاب الله تعالى، ملازما للذكر دائم الفكر» (*الطرق*، 169).

ثانيا : الأوراد البدوية، ومن أهمها أوراد ما بعد الصلوات الخمس، والمسماة بالمفاتح، أو مفاتح الخير. وهي آية الكرسي، وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك أيضا، ولاإله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي (ص) مائة مرة، وذكر الله ثلاثمائة مرة. وكذلك مداومة قراءة الفاتحة كل يوم مائة مرة على الدوام، هذا إلى جانب أوراد خاصة بكل يوم. (*الطرق*، 169).

ثالثا : ملازمة صوم يومي الاثنين والخميس، (*الطرق*، 169).

أما ما عدا ذلك، فإن الطريقة البدوية لا تختلف في شيء عن غيرها من الطرق الصوفية الملتزمة بالكتاب والسنة. وتسمى الطريقة البدوية بالسطوحية، كما يسمى أتباعها بالسطوحيين، لأن سيدي أحمد البدوي كان يجتمع بأصحابه فوق سطح المنزل (*الطرق*، 169) وللبدوية فروع عدة في سائر أنحاء العالم الاسلامي.

وأخيرا إن مقام أحمد البدوي مزارة شهيرة، وذكراه أعياد ومواسم، وجامعه هو المسجد الجامع لعاصمة وسط الدلتا (طنطا)، وباسمه أسس «المعهد الأحمدي» من أكبر وأعرق المعاهد الدينية للأزهر الشريف.

أ. م. حجاب، *العظة والاعتبار : آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية* ؛ ع. زين الدين، *الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية* ؛ أ. أمين، *ضحى الاسلام* ؛ ع. صافي حسنين، *الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري، دراسة في الأدب المصري* ؛ *دائرة المعارف الاسلامية المعربة*، المجلد الأول، حرف ألف ؛ النجار عامر، *الطرق الصوفية في مصر*.

أحمد الوارث

البدوي، أحمد بن محمد السلوي، فقيه متمكن عاش طوال حياته بمدينة سلا يدرس ويفتي إلى أن أدركته الوفاة بها زوال يوم الاثنين ثالث وعشري شعبان عام 1182 / 2 يناير 1769.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1182.

محمد حجي

البدوية، طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة الدرقاوية أسسها بفاس في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) الشيخ أحمد بن أحمد البدوي زويتن الفاسي من أبرز مريدي الشيخ العربي الدرقاوي. وهي طبعاً غير الطريقة البدوية الأحمدية المصرية الشهيرة. وقد عُرفت الطريقة البدوية الفاسية، منذ عهد الشيخ المؤسس، بالاكثار من الرقص والسماع في حلقات الذكر، الأمر الذي أثار استنكار الفقهاء، فقام فقيهان من شرفاء سجلماسة الحسنين، بطلب من الشيخ البدوي، بالرد على المنكرين وألفا كتابين بيّنا فيهما مزايا هذه الطريقة ومبادئها، وعرّفا بالشيخ البدوي وكراماته.

وقد أسس أتباع الشيخ أحمد البدوي في بلاد تافيلات وغيرها عدداً من الزوايا الفرعية. منهم محمد العربي بن عبد الرحمان بن هاشم المدغري صاحب زاويتي گاوز ورحمة الله بمدغرة، و مولاي عبدالملك صاحب زاوية إياسين بدادس، والعربي بن عبدالله الهواري صاحب الزاوية الجديدة بفركلة، وابنه علي في واد زيز الذي عارض دخول جيوش الغزو الفرنسي مع أنصاره ثم هادن الفرنسيين فحاربه من أجل ذلك المجاهد بلگاسم النگادي فأسروه في نونبر 1919 وقتلوه.

ومن تلاميذ البدوي كذلك الذين أصبحت لهم زوايا ببلادهم الصديق الگداري مؤسس زاوية فضل الله بتافيلالت، ومولاي أحمد أُلحسن مؤسس زاوية فضل الله بدويرات الصباح، وعلي العمري المراكشي المعروف بالشميط، وعلي أمهاوش، ومحمد العربي من تيزوگارين بين غريس وفركلة، ومحمد بن أحمد العلوي المدغري مؤسس زاوية بصفرو، ومحمد البزيوي، ومولاي أحمد العناية العلوي بسوس، ومحمد بن عبود بسلا. وكان مريدو هذه الزوايا يحملون الخمار الأخضر ذكرى للشيخ البدوي.

ع.ابن هاشم المدغري، *نصرة الفقير الآوي*، مخطوط. خ. ح. رقم 7785 ؛ ع، بنعبدالله، *الموسوعة*، 3.

D. Depont et X. Coppolani, *Les Confréries*, Rinn, *Marabouts et Khouan* ; G. Drague, *Esquisse*.

المالكي الملكي

البديع (قصر ـ) من المعالم التاريخية والأثرية المغربية الهامة وأعجوبة الزمان، بناه أحمد المنصور السعدي وخصصه للاستقبالات والحفلات العظيمة التي أراد بها إظهار عظمة ملكه وتخليد ذكره كقاهر للبرتغاليين في موقعة وادي المخازن وكمنافس للعظماء من ملوك زمانه. ولعل هذا الهدف كان هو الغالب في قرار المنصور على غيره، من كونه مثلا أراد ذكر أول دولة لآل البيت بالمغرب كما يوحي بذلك صاحب *مناهل الصفا*.

وقد اختار المنصور لتشييده الركن الشمالي الشرقي من قصبة مراكش، وكان موقع جنان موحدي قديم لم يُعتن به فأصبح شبه مكان قفر. وتحيط بقرار التشييد وباستقرار رأي المنصور على وقت إعطاء انطلاق الأشغال والبدء في الإنجاز أخبار وخرافات كثيرة أهمها أنه استشار عدداً من العلماء والعارفين والمنجمين وتبرك بهم واستنار بآرائهم. ومهما يكن فإن الأشغال بدأت حسب الإفراني في شهر شوال من سنة 986 / دجنبر 1578، أي خمسة أشهر فقط بعد انتصار وادي المخازن. لتنتهي بعد ستة عشر عاماً، أي سنة 1002 / 1593 ـ 1594. لكن الآراء في الحقيقة تتضارب حول تاريخ الانتهاء من الأشغال حيث إن الإفراني (*نزهة* ص 187) احتفظ بنص رسالة تبين أن المنصور كان لايزال في سنة 1602 يهتم ببناء بعض المرافق وتوقيف بعض الأعمدة، وهو ما حدى ببعض الدارسين إلى القول بأن الأشغال لم تنقطع طيلة حكم المنصور إلى وفاته سنة 1603 (*Marrakech*, p. 393).

وحول اسم البديع يظهر أن المنصور لم يبتدعه ابتداعاً. فإلى جانب كونه اسماً من أسماء الجلالة فقد كان له وجود سابق في قرطبة حيث كان يطلق على جناح من القصر الأموي وبمدينة بجاية الجزائرية حيث أطلق على جناح كان أحدثه الحماديون ورممه بعدهم الموحدون. لكن البديع السعدي فاق سابقيه في الحلة والزينة وجمع بين المسكن والجنان.

لم يبق قائماً من البديع اليوم سوى جدرانه الخارجية وبعض أجزاء بيوته، فلقد اندثر مجموع البنايات وأصبحت في خبر كان. ويظهر أن سبب هذا الاندثار لم يكن بفعل تأثير الزمان أو ضعف صلابة مادة البناء وإنما بتدخل الإنسان. ذلك أن السلطان المولى إسماعيل هو الذي أمر بهدمه. ولا يعرف الدافع الحقيقي لهذا الأمر. إلا أن كثيراً من مواد بناء البديع نقلت إلى مكناس وأدمجت في مرافق من القصبة الإسماعيلية التي شيدها هذا السلطان بعاصمة ملكه. وتروي المصادر في هدم البديع حكاية مفادها أن المنصور لما فرغ من تشييده نظم حفلا كبيراً رائعاً دعا إليه من أكابر القوم وأعيانهم نفراً كبيراً، وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت، فقال له المنصور مباسطاً :"كيف رأيت دارنا يا فلان ؟ فقال له " إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب" (*الاستقصا*، 5 : 143). ويزيد الإفراني في ذلك ويقول :"وقد

ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى إسماعيل ابن الشريف فإنه أمر بهدمه" ؛ إلى أن قال :"تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر، وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديع قائما، فإنه فرغ منه سنة اثنتين وألف، وشرع في هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف، فمدة عمره مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه". (*نزهة*، ص. 102 ـ 103).

مدروس في أقصى جزئياته. ونظراً لما تتسم به مكوناته من تشابه واضح مع قصر غرناطة، فإن بعضهم ذهب إلى الاعتقاد أنه إنجاز من وضع مهندس أو مهندسين أندلسيين.

ومهما يكن فإن ما هو مؤكد أن المنصور استعمل في إنجاز مشروعه العمال والصناع والفنانين من المغرب ومن خارجه، "وحشد له الصناع حتى من بلاد الأفرنجة، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق

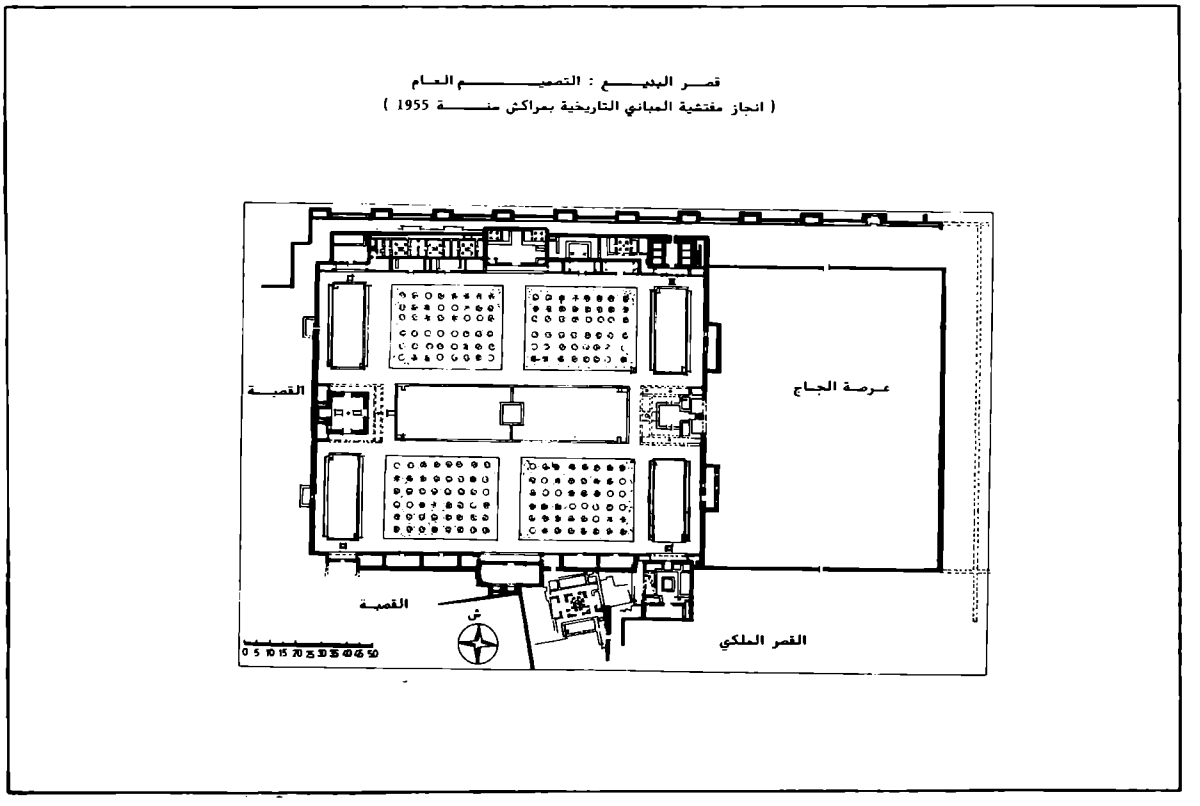

ولكون معظم مكوناته لم تصل إلينا، فإنه من الصعب وصف البديع وصفاً معمارياً دقيقاً. ولا يمكن في غياب البنايات ومرافقها الاتكال كليا على الأوصاف المعاصرة له لعدم دقتها ولاهتمام أصحابها بجوانب من القصر دون أخرى. فالإفراني مثلا لم يول اهتمامه لوصف القصر ومكوناته مثلما أولاه لمحتوياته من النصوص الشعرية والنثرية المنقوشة على الجص والخشب والزليج، ولا نجد عند الفشتالي ولا عند غيره ما يعوض هذا النقص. أما ما خلفه الأجانب فمثل ذلك أو أكثر، وأهم ما هو معروف اليوم من هذه الكتابات الأجنبية نص برتغالي معزز بتصميم عام من سنة 1585 م للقس فرانسيسكو دي سان خوان (P. Fransisco de S. Juan del Porto) وتصميم للأنجليزي ويندوس (Windus) يعود لسنة 1727. على أن هذه النصوص والوثائق تبقى هامة وتساعد على تكوين فكرة عما كانت عليه هذه المنشأة الضخمة.

وأهم ما يسترعي الانتباه، لأول وهلة، في تصميم البديع، التوازن الكبير الذي يطبعه والذي يوحي بأنه إنجاز

عظيم حتى كان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس أعلاقهم، وجلب له الرخام من بلاد الروم..." (*الاستقصا*، 5 : 135).

شُيد البديع فوق مساحة مستطيلة الشكل وليست مربعة كما جاء بذلك بعض المؤرخين أمثال الناصري وغيره. وتتوسط بناياته ساحة مكشوفة طولها 135 مترا، وعرضها 110 أمتار ؛ في وسط هذه الساحة صهريج كبير مستطيل طوله 90.40 مترا وعرضه 21.70 متراً تتوسطه بدوره نافورة فخمة، وتحده من جانبيه الكبيرين مساحتان مغروستان تنخفضان عن مستوى الصهريج ببضع عشرات من السنتيمات. وفي كل زاوية من زوايا الساحة الأربع نجد صهريجا مستطيلا صغيراً، كسيت أرضيته بقطع الزليج الملون، ويُنزل إليه بسلم من ثلاث درجات. وبين صهريجي كل جانب قبة عظيمة فاخرة تشرف على الصهريج الكبير. ولاتزال أجزاء من جدران القبة الغربية قائمة إلى اليوم بينما إندثرت القبة الشرقية كلية، وقد أبانت الحفريات الأثرية التي أجريت داخل القصر في الخمسينات عن أسسها

الأرضية ليتضح تصميمها المطابق لتصميم أختها المقابلة لها. وقد كانت كل واحدة من هاتين القبتين مربعة الشكل (15 متر x 15 متر) ومغطاة بسقف من أربع انحدارات تحمله اثنتا عشرة سارية وهو نفس عدد سواري القاعة الكبرى من ضريح الملوك السعديين بمراكش نفسها. أما أرضيتهما فكانتا من زليج ويتوسط كل واحدة صهريج ماء صغير بينما تحيط بها من الخارج أروقة مغطاة.

أما وسط الضلعين الكبيرين من الساحة فشيدت فيه قبتان أخريان أكبر من السابقتين إذ تحتل كل واحدة منهما مساحة 345 متر2 في شكل مستطيل طوله 23 متراً وعرضه 15 متراً.

ولعل أعظم القباب وأفخمها على الإطلاق القبة الخمسينية ـ وقد سميت كذلك "لأن فيها خمسين ذراعا بالعمل" (*الاستقصا*، 5 : 136) ـ التي كانت تحتل الجانب الشرقي من القصر، قريبا من بابه الرئيسي. وقد كانت جدرانها الخارجية والداخلية حاملة لأشعار رقيقة وكثيرة تجعلها تفتخر بزينتها ورونقها، منها قول أبي فارس عبد العزيز الفشتالي على لسان القبة وقد نقش خارجها :

سموت فخر البدر دوني وانحطا وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وضعت من الإكليل تاجا لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا

وقوله مما نقش داخلها :

جمال بدائعي سحر العيونا ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت بقوسي واستطارت سنا يغشى عيون الناظرينا

وقد كان لكل قبة اسم يميزها عن غيرها، فهناك قبة الذهب، وقبة الزجاج (وقد استنتج دوفردان أن كلا الاسمين يطلقان على نفس القبة وهي تلك التي كانت تتوسط الضلع الأصغر الشرقي من الساحة). وقبة الخَيْزران (وهو اسم إحدى نساء المنصور ولعلها أم ولديه الشيخ وأبي فارس) والقبة الخضراء، التي يرجح أن تكون هي تلك التي لاتزال جدرانها قائمة بالجهة الشمالية.

ومما يلاحظ في مرافق القصر غياب مسجد أو قاعة للصلاة، وهو ما يؤكد أن البديع لم يكن قصر إقامة بقدر ما كان قصر استقبالات واحتفالات واستمتاع.

م. الإفراني، *نزهة*، ط. ح. فاس، 1307 هـ ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الخامس.

G. Aimel, *Le Palais d'el-bédi' à Marrakech et le Mausolée des chorfa saadiens*, *A. B.*, III, Rabat, 1918 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; J. Goulven, *Une ambassade portugaise à la cour de Marrakech au XVIIè S.*, *France - Maroc*, 1924 ; G. Marcais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

عبدالعزيز توري

بَدِيّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Padilla. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1140/1728.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

براءة، كلمة دخلت إلى العامية المغربية، فخففت من الهمزة والتاء إذا لم تكن مضافة، فأصبحت صيغتها بْرا. وإذا أضيفت ظهرت تاء التأنيث بها، فتقول : براتي، براتك، براة علي. وتجمع على براوات، وتستعمل مصغرة بصيغة بْرَيّة. وهي الكلمة الأكثر استعمالا عند المغاربة للدلالة على الرسالة والخطاب الموجه.

وهي مأخوذة من الكلمة الفصيحة براءة المستعملة في القرآن في مستهل سورة التوبة التي تبتدئ هكذا :« براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين». فهي هنا تحمل، أيضا، معنى الخطاب الموجه والرسالة. إلا أنها في الاستعمال القرآني لا تعني أي رسالة كيفما كان نوعها. بل تعني الخطاب الذي فيه إعذار وإنذار، كما ورد في *لسان العرب*. وفسرها ابن عطية في *المحرر الوجيز* بكونها خطابا يدل على التخلص والتبرؤ من العهود التي كانت بين المسلمين وبين الكفار البادئين بالنقض. وإلى هذا المعنى ذهب ابن العربي في *أحكام القرآن*.

أما رشيد رضا، فإنه يذكر في *تفسير المنار*(10 : 250) أن البراءة مشتقة من برئ كتعب وأن معنى آية براءة :«هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين، كما تقول هذا كتاب من فلان إلى فلان».

لكن الاستعمال العامي في المغرب لم يحتفظ لها بمعنى التبرؤ والإنذار، بل أطلقها على الرسالة بوجه عام، كيفما كان نوعها. فتستعمل في معنى التبرؤ في التعبير الذي يدل على الطلاق :«وجه للمرأة براتها» أي الإنذار بالطلاق. وتستعمل في معنى المجاملة، فتقول :«وجهت لصديقي برا أدعوه لزيارتي».

معاجم لغوية، تفاسير القرآن على اختلافها.

محمد زنيبر

برابرة الدولة، مصطلح يطلق على بعض قبائل الأطلس المتوسط التي أصبحت تشكل انطلاقاً من القرن السابع عشر حليفاً استراتيجيا للدولة وعنصراً أساسياً من عناصر التوازن السياسي والعسكري بالبلاد. وهذه القبائل هي أيت إدراسن وگروان وأيت زمور وبني حكم، وكلها تنتمي إلى منطقة رأس ملوية التي تعتبر موطنها الأصلي. وعندما يطلق على هذه القبائل تسمية «برابرة الدولة» فإن الدولة المقصودة هي الدولة العلوية التي اتخذت من هذه القبائل حلفاء تعتمد عليهم. لكن يظهر أن أول دولة ارتبط بها هؤلاء البرابرة هم الدلائيون الذين كانوا متمركزين في السفح الشمالي ـ الغربي لجبال فزاز أو الأطلس المتوسط. فالقبائل التي أسكنها محمد الحاج الدلائي (ت. 1082 / 1671) بعاصمته هي تقريبا نفس القبائل التي أصبحت مرتبطة فيما بعد بالدولة العلوية، وهي، كما عددها محمد حجي : مجّاط وأيت إمُّور وأيت نضير (أو بني مطير، الذين كانوا يمثلون محور اتحادية أيت إدراسن) وگروان. وباختفاء الإمارة الدلائية لم يجد العلويون بُداً من التعامل

مع قاعدتها البشرية التي بقيت في منطقة بالغة الأهمية وذلك لعدة اعتبارات. تأتي في مقدمة هذه الاعتبارات أنه أصبح من الصعب حصر هذه القبائل في المناطق الجبلية بعد أن ألفت حياة الترحال بالدير والمناطق المنخفضة. ثم إن هذه القبائل كانت تسكن منطقة شديدة الحساسية نظرا لماضيها الدلائي. وقد ظهر جلياً للمولى إسماعيل، على سبيل المثال، أن احتمالات التمرد بالمنطقة بقيت قائمة حتى بعد تدمير الزاوية الدلائية وإبعاد أهلها. أضف إلى ذلك أن مجال هذه القبائل كان يخترقه الطريق المخزني الهام الذي يربط فاس ومنطقة الغرب بتافيلالت والمناطق الصحراوية. لذلك فإن كسب هذه القبائل، أو بعضها على الأقل، لجانب الدولة أصبح ركناً أساسياً من أركان السياسة القبلية للمولى إسماعيل وعنصراً مكملاً لنظامه العسكري الذي كان من بين مراميه الأساسية حصر القبائل الصنهاجية في جبالها.

كان للحلف الذي جمع هذه القبائل بالدولة بعدٌ آخر يتمثل في التناقضات الداخلية لقبائل الأطلس بصفة عامة. وتدور هذه التناقضات أساساً حول استغلال المجال الصالح للرعي والزراعة. فقبائل الجبل مثل أيت أُمالو كانت تمارس ضغوطا قوية على قبائل دير الأطلس وتحاول دفعها للنزول أكثر نحو الأراضي الواطئة، خاصة في فصل الشتاء عندما تغطّي الثلوج المراعي في الجبال والمرتفعات. ويُشير أبو القاسم الزياني بشكل واضح إلى هذا التناقص الحاصل بين برابرة الدولة (أو «برابرة الوطا» كما يسميهم الضعيف) وبرابرة الجبل :«إن بني مطير وأيت إدراسن وگروان وزمور وإمّور وحكم هم برابرة الدولة وتحت قهرها وغلبتها، ولهؤلاء أيت أُمالو غلبة عليهم وقهر لهم من قديم الزمان، وفي كل عام يغيرون عليهم في رحلة الشتاء والصيف ويطردونهم من بلادهم إلى أن كادوا أن يستولوا على جميعها».

إن أهم ما يميز سياسة المولى إسماعيل تجاه قبائل الأطلس المتوسط هو تصميمه على حصر هذه القبائل في مواطنها ومنعها من النزول إلى السهل. ومن أجل ذلك بنى سلسلة من الحصون على امتداد دير الأطلس المتوسط وأسكن بها حاميات من جيش العبيد لتكون سداً منيعاً في وجه القبائل الأطلسية. لكن المولى إسماعيل لم يعتمد فقط على خطة الحصار العسكري بل حاول إشراك القبائل المحلية في المحافظة على الاستقرار بالمنطقة. وهكذا كلف أيت إمور برئاسة قائدها علي أُبركة بمراقبة منطقة تادلا والتصدي لأيت أُمالو. وأصبحت قبائل زمور كذلك ضمن حلفاء المخزن خاصة بعد أن أسند المولى إسماعيل قيادة البربر كلّهم لرئيس زمور علي ويشّي الذي كلف على وجه الخصوص بردع گروان، وكان هؤلاء في ذلك العهد ما زالوا يتنقلون بين رأس ملوية ووادي زيز. ومع أيت إدراسن عقد المولى إسماعيل اتفاقاً من نوع خاص حيث جردهم من الخيل والسلاح ودفع لهم في المقابل الآلاف من رؤوس الماشية لرعيها.

ومع وفاة المولى إسماعيل «خرجت البربر من أقمامها» كما يقول الزياني، واشتغلوا بشراء الخيل والسلاح من جديد. وبعد أن ضعف أمر الدولة وخلت الحصون الأطلسية من جندها لم يعد هناك ما يمنع قبائل فزاز من النزول إلى الدّير وما وراء الدّير من الأراضي المنخفضة. فنزلت أيت إمور إلى بسيط تادلا واندفعت گروان وأيت إدراسن باتجاه الشمال الغربي لتصل إلى مشارف الدير المُطل على فاس ومكناس. وبما أن المولى عبدالله 1729.1757 كان عاجزاً عن احتواء توسع هذه القبائل وحصرها في مواطنها فقد أصبح ملزماً بالتعامل معها، بل إنه وجد فيها قوة عسكرية وظفها بدهاء لكسر شوكة جيش العبيد والحد من طغيانه. والواقع أن سياسة المولى عبدالله في مواجهة الأزمة الداخلية كانت تعتمد على «مصادمة الكبش الأبيض (البربر) بالتيس الأسود (العبيد)» حسب مقولة منسوبة إلى هذا السلطان. وقد حاول المولى عبدالله أن يبني تحالفاً يجمع بين «أخواله» الأوداية وقبائل أيت إدراسن وگروان، وبفضل هذا التحالف استطاع أن يقضي على أهم خصومه وأن يثبت سلطته في البلاد.

ولما وصل سيدي محمد بن عبدالله إلى الحكم في سنة 1757 استمر في الاعتماد على برابرة الدولة، وعلى قبائل أيت إدراسن بصفة خاصة «إذ هم شيعة أبيه». ويقول الزياني إن سيدي محمد أنزل هؤلاء بأحواز مكناسة وولي عليهم رئيسهم محمد وعزيز المطيري الذي أصبح بمثابة عامل المخزن على القبائل الأطلسية كلها. كما استمر هذا السلطان في الاعتماد على قبيلة أيت إمور التي نقلها من تادلا إلى ناحية زرهون حتى تكون له سنداً في حفظ الأمن بالمنطقة. ومما لا شك فيه أن مجموعة أيت إدراسن أصبحت تشكل أهم قوة قبلية اعتمد عليها المخزن خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والدليل على ذلك، الدور الحاسم الذي لعبته هذه الإتحادية في مبايعة المولى سليمان سنة 1792 ثم في مساعدته على تمهيد البلاد.

وإذا كان المولى سليمان قد استفاد من قوة أيت إدراسن في إخضاع البلاد وتوحيدها تحت سلطته فإنه كان يفتقر إلى سياسة منسجمة تسمح له بدعم حليف هام للدولة وتوظيف هذا الحليف كقوة عازلة بين المخزن وبرابرة الجبل. وهكذا يمكن القول إن هذا السلطان بشنه الحملات التأديبية ضد بعض القبائل مثل گروان وأيت إدراسن، وإحجامه عن مؤازرتها في مواجهة أيت أُمالو وحلفائهم قد ساهم في إضعاف جبهة برابرة الدولة وفتح الباب لاحتمالات المواجهة المباشرة مع برابرة الجبل المنضويين تحت لواء أبي بكر أمهاوش. وظهرت الآثار السلبية لهذه السياسة في وقعة آزرو 1811 ووقعة زيان 1819 التي شهدت انهيار برابرة الدولة كقوة حليفة للمخزن.

وبموازاة ذلك شهد برابرة الدولة تغيرات داخلية كان أهمها أُفول نجم أيت إدراسن كأهم قوة بشرية وعسكرية، خاصة بعد هزيمتهم ومقتل رئيسهم محمد بن محمد وعزيز

سنة 1814. ويتفكك اتحادية أيت-إدراسن خلال الربع الأول من القرن الماضي ظهرت اتحادية زمور كقوة بديلة تصدرت جبهة برابرة الدولة خلال معظم القرن التاسع عشر.

أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 7 و8 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

M. El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Cambridgeshire, 1990.

محمد المنصور

بْرابُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bravo، ومعناه الشجاع، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي قضى على عدد كبير من سكان المدينة.

Delegacion, *Familias Ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرابيش، من أعراب بني معقل المستقرين في الصحراء الغربية قبل منتصف القرن العاشر (16 م)، وكانوا يشكلون آنذاك فخذاً من الأفخاذ السبعة المكونة لبطن أولاد حسن، وهي دليم، والبرابيش، والأوداية، والرحامنة، واحمر، وذوي عبد الله.

كان البرابيش يعيشون في الصحراء على الترحال وتربية الإبل معتمدين في تغذيتهم على ألبان النوق، بعكس فخذي الرحامنة وأولاد احمر المجاورين لهم اللذين كانا يتوفران على القمح واللحوم والعسل.

كان البرابيش في الصحراء يتوفرون على أزيد من خمسين ألف محارب من بينهم سبعمائة فارس. وبدؤوا ينزحون تدريجياً نحو الشمال منذ القرن العاشر فاستقروا شمال مراكش في المجال الحوزي الذي سبق أن استوطنه بنو عمهم الرحامنة الذين هاجروا مبكراً حيث قدموا من السوس الأقصى في ركاب الأشراف السعديين. بعد أن كان البرابيش في الصحراء يشتركون مع الرحامنة في الانحدار من بطن أولاد حسن انصهروا تدريجيا بعد هجرتهم إلى الحوز داخل مجموعة الرحامنة فأصبحوا يشكلون خُمسا من أخماس القبيلة. وينقسم هؤلاء البرابيش إلى ثلاث فرق : برابيش بني حسن، وبرابيش الجعافرة، وبرابيش أولاد عبد الله.

ك. مارمول، *افريقيا*، الترجمة العربية، 1 : 106. 107 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 153.

E. Doutté, *Marrakech*, Comité du Maroc, Paris, 1905, p. 392; V. Fernandes, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal 1506 - 1507*, tr. De Cenival, Paris, 1938, p 69.

عبد الرزاق الصديقي

بْراد أحمد أوعلا. ولد سنة 1910 بتزمورت، بأيت اعمر، است لحسن، ناحية إموزار مرموشة بإقليم بولمان.

انخرط في صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الوحدة التي كانت تحت مسؤولية إلياس ميمون أُعقى منذ 20 غشت 1953 إلى ثاني أكتوبر 1955 حيث شارك في الهجوم على دار حارس المياه والغابات بمرموشة فسقط شهيداً.

شهداء الاستقلال، ح : 2.

عزالدين العلام

البرادعيين (باب.) أحد أبواب مدينة مكناس الشهيرة، التي كان يتجمع بها صناع «البرادع» الخاصة بالبهائم. ولا يعادل شهرة هذه الباب سوى باب منصور العلج المعروف عالميا كرمز أو شعار لمكناس.

يقع هذا الباب شمال المدينة، ويُطل على حوائر مكناس القديمة، وجاءت الإشارة إلى هذا الباب عند ابن غازي في *الروض الهتون* حيث قال :«... وتاورا أقرب الحوائر إلى المدينة من جهة باب البرادعيين...» ووردت إشارة أخرى لنفس المؤلف في نفس الكتاب لهذا الباب حينما تحدث عن أبواب مكناس الستة :«... وللمدينة ستة أبواب، باب البرادعيين وباب المشاورين ... وباب عيسى وباب القلعة... وباب أقورج وباب دردورة.

لم نتمكن من العثور على تاريخ بناء باب البرادعيين بالتدقيق، لكن من خلال الإشارات السالفة، إضافة إلى ما ذكره الأستاذ محمد المنوني في دراسته المعنونة *بالتخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور* (*الثقافة الجديدة*، 7 : 1972) تبين أن هذا الباب مرابطي التأسيس، وليس هو الباب الشاهق البنيان الذي يحيط به برجان مرتفعان، ولكن المقصود الباب المؤدي إلى حومة جناح الأمان يمين الداخل من باب البرادعيين المعروف عند ابن زيدان (*الإتحاف*، 1 : 170) بباب البرادعيين القديمة التي يربطها سور بباب البرادعيين الجديدة. وأمام هذا السور قصبة تيزمي الكبرى. وجعل ابن زيدان موقع هذا الباب غرب المدينة، ونقل عنه عبدالوهاب بنمنصور نفس الخطإ عند تحقيقه للروض الهتون، وهو توطين غير صحيح. وجاء في *الإتحاف* (1 : 226) : فأما باب البرادعيين فموقعه قديما وحديثا في الجانب الغربي للمدينة... وهو باب في غاية الارتفاع والسعة والإتقان وإحكام البناء يكتنفه برجان..." والواقع أن الباب يقع شمال المدينة ـ كما سبقت الإشارة ـ ومنه نخرج لضريح مولاي عبدالله بن حَمد الذي تجاوره مقبرة الشهداء التي هي جزء من المقبرة الكبرى التي بها ضريح الشيخ الكامل محمد بن عيسى الولي الشهير الذي تنسب إليه الطريقة العيساوية. إن الباب الذي يقصده ابن زيدان في النص السابق يرجع بناؤه إلى السلطان مولاي إسماعيل، وهو ما يمكن تسميته بالباب البراني ذي الثمانية عشر قوسا، وكانت بداية بنائه سنة 85. 1686 ونهايته عام 1695 ولم يبق منه سوى خمسة أقواس فقط لأن الباقي زحلق على حد تعبير ابن زيدان، وذلك زمن السلطان سيدي محمد بن عبدالله 1757. 1790، وأشار ابن زيدان لهذا التزحلق لما قال: "وأما الأقواس الثمانية عشر فمنها ما هو قائم العين والأثر حتى الآن ومنها ما هُدَّ وبقيت أساطين أو بعضها شاهدة له."

وأسس في عهد المولى إسماعيل المسجد الذي ينسب لباب البرادعيين، وأسند مهمة بنائه لوزيره علي بن يشّو ذلك عام 1709 كما هو مرسوم بخشب باب مقصورة المنبر، وجدد هذا المسجد السلطان سيدي محمد بن عبدالله.

بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني سبتمبر 1937*، ر.د.د.ع، الرباط.

بوشتى بوعسرية

البَرّادُو أو البَرّدْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Prado أو هكذا Prada وهو اسم تحمله عدة قرى بإسبانيا، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1746/1159.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرازيل والمغرب، ترجع العلاقات السياسية بين المغرب والبرازيل إلى منتصف القرن التاسع عشر. حيث كانت للبرازيل قنصلية في طنجة استمرت من 1861 إلى 1929. واستؤنفت العلاقات الثنائية بعد استعادة المغرب لسيادته الخارجية.

وبين المغرب والبرازيل صلات غير مباشرة ترجع إلى أن المستوطنين الأوربيين الأوائل ينحدرون من أصل برتغالي، وصلات مباشرة ترجع إلى هجرة يهود من تطوان وطنجة إلى البرازيل، وإلى نشاط قنصلية البرازيل بطنجة في مجال منح الحماية لبعض المواطنين المغاربة. وكذلك هجرة البرتغاليين المستوطنين لمازاغان (الجديدة بعد تحريرها) إلى ولاية أمابا Amapa، ومن جراء هذا وذاك توجد في لغة البرازيليين وعاداتهم بعض مؤثرات مغربية.

إن العلاقات المغربية البرازيلية هي أقدم علاقات سياسية للبرازيل مع العالم العربي وافريقيا. وعلى عكس ما كان يتردد من قبل في الادبيات المغربية والبرازيلية من أن العلاقات الثنائية قد بدأت في 1906، فإنها بدأت في العقد السادس من القرن التاسع عشر.

وتوجد في المكتبة الوطنية في ريو دي جَانيرو رسالة موجهة من وزير خارجية مولاي سليمان محمد بن عثمان إلى رودريغو كوتينيو (وزير خارجية ضون جواو السادس) الذي أصبح فيما بعد أول وزير خارجية للبرازيل بعد إعلان استقلالها. وكان ضون جواو السادس قد نقل البلاط البرتغالي من لشبونة إلى ريو دي جانيرو لدى احتلال البرتغال من لدن فرنسا بتاريخ 1798/5/26. وواضح أنها من وثائق البلاط البرتغالي التي لم ترجع إلى لشبونة.

وفي مديرية الوثائق الملكية بالرباط رسالة من مولاي العباس، بوصفه خليفة لأخيه محمد الرابع بتاريخ 16 ذي الحجة 1277 (موافق 6 يونيو 1861) موجهة إلى الامبراطور ضوم بيدور الثاني، ثاني ملك مستقل لبرازيل، يشكره فيها الأمير المغربي على إهدائه مدفعا، ويهنئه بسلامة من نجا من بحارة السفينة البحرية (إيزابيل) التي حرثت بساحل طنجة قرب رأس اسبارطيل في 1860/11/11.

وورد في كتاب *Catastrophe da Ceorete* D. Izabel الذي ألفه A. J. Victorino De Barros (طبعة ريو دي جانيرو 1861) وصف مسهب لتلك الفاجعة. وذكر المؤلف نقلا عن الناجين من الحادث أن ثلاثين بحارا من ضحايا الحادث دفنوا بالأرض المغربية. وأما من نجوا فقد هاموا على وجوههم إلى أن قادهم الناس إلى خيمة مولاي العباس الذي كان في طنجة قائما على تصفية آثار حرب تطوان 1860.59. فأحسن معاملتهم وأشرف على ترحيلهم بمساعدة وزير بريطانيا في طنجة آنئذ السير درا موند هاي إلى جبل طارق ومنها إلى لشبونة فريو دي جانيرو.

وفي تقرير للحكومة الامبراطورية أمام المجلس التشريعي في ريو دي جانيرو أن الإمبراطور ضوم بيدرو الثاني، وجه رسالة شكر إلى مولاي العباس ورد عليها الخليفة السلطاني برسالة هي التي أومأنا إلى أنها موجودة في مديرية الوثائق.

ولعل هذه الحادثة هي التي أدت إلى فتح قنصلية للبرازيل في طنجة. ويشير الأستاذ مصطفى بوشعراء في كتابه : *الاستيطان والحماية بالمغرب* إلى وجود محفظة برازيلية استقى من الوثائق التي تتضمنها، المعلومات التي أوردها عن المحميين البرازيليين في المغرب. ووقفت في سجلات وزارة الخارجية البرازيلية على ست عشرة محفظة تتضمن مراسلات القنصلية المذكورة التي عملت ثمانا وستين سنة.

وتتضمن هذه الوثائق معلومات عن نشاط هذه القنصلية في ميدان منح الحمايات. وأورد أبو شعراء في إحصائه أن عدد المحميين البرازيليين وصل فيما بين 1863 و1900 إلى مائة وخمسين منهم ثمانية وعشرون مسلمون والباقي يهود، مما يمثل 9.19٪ من مجموع المحميين من لدن دول أجنبية في الفترة المذكورة. ويبدو أن الدستور البرازيلي الليبرالي والاستفادة المالية الشخصية للقناصل الذين مثلوا البرازيل، ساعدا على أن تكون البرازيل سخية في منح حمايتها لبعض المغاربة. وقد هيمن التباس رئيسي على هذه المسألة، إذ كانت البرازيل تعتبر أن المحميين يحملون جنسيتها. ولم يكن المسؤولون المغاربة إذ ذاك حسبما يبدو من الوثائق القنصلية يفرقون بين الحماية والتجنس.

ونشأ من جراء ذلك سوء تفاهم بين الحكومتين المغربية والبرازيلية، إذ أن السلطات المغربية كانت عملا بمبدأ عدم سقوط الجنسية المغربية عن المغربي المتجنس بجنسية أخرى، تحرص على إخضاع المحميين، للقوانين المغربية حالما وجدوا في التراب المغربي. وأشارت المراسلات القنصلية البرازيلية إلى أن الحكومة البرازيلية كانت بصدد القيام بمسعى تشريعي لدى برلمان بلادها وصولا إلى إيجاد حل لهذه المسألة.

وتناولت الوثائق القنصلية المشار إليها تقارير سياسية عن أحوال المغرب، وعلاقاته مع بعض الدول خاصة إسبانيا وفرنسا. ويستفاد من هذه الوثائق ومما عند بوشعراء أنه

كان للبرازيل ممثلون قنصليون في كل من طنجة والرباط والدارالبيضاء والجديدة وأسفي.

وكان لفتح قنصلية للبرازيل بطنجة، ونتائج حرب تطوان التي انحاز فيها يهود المدينة إلى جيش الاحتلال، الأثر المباشر في حمل العديد من عائلات تطوان وطنجة اليهودية على الهجرة إلى البرازيل التي تميز دستورها بحرية التدين منذ إعلان الملك ضوم جواو السادس منع قيام محاكم التفتيش في البرازيل في 1810. ومع ذلك فإن اليهود المغاربة المهاجرين إلى البرازيل تلافوا العواصم الكبرى مثل باهيا العاصمة الأولى، وريو دي جانيرو، واستوطنوا في أقاليم الشمال مثل پارا وأمازوناس بعيدا عن تأثير الكنيسة الكاثوليكية الذي ظل جد قوي. وكان هناك سبب آخر وهو أن المنطقة كانت تتجاوز طور المطاط وهي زراعة صناعية خلفت ازدهاراً كبيراً، وكانت في حاجة إلى مسيرين لهم حظ من التكوين. وكان المهاجرون من تطوان وطنجة لا يقل مستواهم التعليمي عن الابتدائي بفضل مدارس الأليانسا الإسرائيلية في موطنهم الأصلي. وعلى يد هؤلاء نشأت محلات تجارية ومؤسسات صناعية. وألف أحدهم وهو الجنرال أبراهام بينطيس، أبوه من طنجة، ثلاثة كتب عن مساهمة اليهود المغاربة في صنع نهضة البرازيل. وقال إن الهجرة لم تكن لأسباب دينية أو سياسية بل للبحث عن الارتقاء الاقتصادي. ونال هذا الضابط وسام العرش من درجة ضابط في 1890. وكان قبل وفاته يرأس الجمعية الخيرية لليهود المغاربة في ريو دي جانيرو وهناك مثلها في بيلين بولاية پارا وأخرى في ماناوس بولاية أمازوناس. ولهم معابد خاصة بهم. ويرتبطون عاطفيا وثقافيا بموطنهم الأصلي متميزين عن اليهود الاشكنازيين.

ويعزى إلى العلاقات القنصلية المغربية البرازيلية وإلى مسألة الهجرة المتقدم ذكرها تردد اسم البرازيل إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في الوقائع المغربية أكثر من غيرها من دول العالم الجديد. ويذكر عبدالهادي التازي في كتابه عن *الرموز السرية في المراسلات المغربية* أن البرازيل كان رمزها في المراسلات الرسمية المغربية هو 399 ومدينة ريو دي جانيرو هو 400.

وقد سعى المغرب إلى إشراك البرازيل في مؤتمر مدريد 1880 رغبة منه في ألا تنفرد بالكلمة في الدول التي تمارس عليه الضغط. وكانت الدبلوماسية المغربية تتطلع - على عكس ما آل إليه الأمر فيما بعد - إلى أن يتم في ذلك المؤتمر الحد من التجاوزات الخاصة في ميدان الحمايات. ووسّط المغرب بريطانيا لإقناع البرازيل بالاشتراك في مؤتمر مدريد، ووعد المستشار البرازيلي موريرا دي بارس بالمشاركة إلا أنه أحجم عن ذلك تلافيا للاحتكاك مع ذوي المصالح من الأوربيين.

وهناك عنصر آخر دخل في نسيج العلاقات البرازيلية المغربية وهو هجرة البرتغاليين الذين كانوا يستوطنون الجديدة قبل تحريرها، إلى أقصى الشمال البرازيلي في ولاية أماپا التي يخترقها خط الاستواء. وكان هؤلاء قد وقع ترحيلهم جماعيا إلى البرتغال بعد تحرير الجديدة في عام 1768. ولكنهم ظلوا مستائين من ذلك. فقر عزمهم على الارتحال إلى أماپا وهناك أسسوا في 1770 مدينة خاصة بهم سموها "مازاغان" وهو الاسم القديم للجديدة. وهي تقع على نهر نُوتُوَاكا Nutuaca قريبا من مدينة ماكاپا عاصمة الولاية. وكانوا في البداية نحوا من ثلاثمائة وستين عائلة. وما زال سكان مازاغان حتى الساعة يتكونون من أحفاد المؤسسين. وهو يقيمون احتفالا سنويا يمتزج فيه الفلكلور بالعاطفة الدينية يشخصون فيه المعارك التي جرت في الجديدة.

وإلى جانب هذا وذاك فإنه قد تسربت إلى البرازيل ملامح من مؤثرات مغربية كقولهم - كما في كلام البرتغاليين - عن القنينة «غراف» وهي لفظة عربية لا يستعملها عربُ المشرق للدلالة على الإناء الذي يحوي الماء. ومنها اشتقوا كلمة اينغارافامينطو أي اختناق السير ونحوه. وهناك أيضا كلمة «الزليج» المأخوذة عن المغرب بينما تستعمل في باقي الأقطار العربية لفظة الفسيفساء. وكذلك لفظة «الواد» بمعنى النهر. وكلمة «طانجرينا» أي البرتقال الطنجي الذي يسمى عندنا كليمانطين، وغير ذلك. وينص قاموس أوريليو على أن كلمة كسكس أصلها مغربي. وهو يذكر ثلاثة أنواع من الكسكس شائعة في البرازيل.

وقد درجت هذه الكلمة على الألسن بفعل عاملين : التأثير غير المباشر المضمن في التراث الإيبيري الذي انتقل إلى البرازيل، وكذلك العبيد الذين كان يؤتى بهم من غرب افريقيا وهي مناطق إسلامية متأثرة كثيرا بالمغرب. وتوجد في باهيا وثائق قليلة لهؤلاء العبيد الذين كانوا يؤسرون وهم ذوو حظ من التعليم حتى قال João Jose Reis مؤلف كتاب تمرد العبيد في البرازيل : إن هؤلاء كانوا في جل الحالات في مستوى تعليمي أفضل من سادتهم. وأن الأوراق القليلة التي حُفظت عن ثورة 1830 للزنوج في باهيا مكتوبة بخط مغربي واضح المعالم.

ويذكر الجنرال أبراهام بينطيس المتقدم الذكر أن المغرب قد تسبب دون أن يقصد في أن تكسب البرازيل حوالي ستة ملايين كلمتر مربع من الأراضي. ذلك أنه بعد معركة وادي المخازن وضم البرتغال وممتلكاتها إلى التاج الإسباني، وقع توسع كبير في اتجاه الداخل، بعد أن كانت الممتلكات البرتغالية تقتصر على ما دون الساحل بقليل. وبعد أن استرجعت البرتغال استقلالها من إسبانيا اتفق على أن حدود البرازيل مع الممتلكات الإسبانية تصل إلى حيث وصلت أعلام الفتح في الفترة الإسبانية. وبذلك ربحت البرازيل كل أمازونيا الحالية.

وبعد معركة وادي المخازن نشأت الفكرة «السبَاسْتيانية» كناية عن نزوع الوطنيين البرتغاليين إلى رفض السيطرة الإسبانية فتعللوا بأن سباستيان لم يمت في

المعركة وإنما هو مختف، وسيعود إلى ممارسة حقوقه كملك للبرتغال المستقل. وقد انتقلت السباستيانية إلى البرازيل وعاشت زمنا.

وأخيرا يمكننا أن نشير إلى أن البرازيل هي التي تقدمت بأول مشروع قرار قدم في الأمم المتحدة سنة 1952 بمناسبة الشكوى المغربية بالممارسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب. وكان ذلك المشروع نابعا من مجموعة الدول الأمريكية اللاتينية التي أيدت عشرٌ منها تسجيل القضية المغربية في جدول أعمال الأمم المتحدة.

وقبل ذلك بكثير كان الشاعر إلياس فرحات قد أسس مع مجموعة من المهاجرين العرب "لجنة تحرير العرب" للتضامن مع الثورة الريفية، وله فيها قصيدة طويلة. وفي 1953 حينما نفت فرنسا محمد الخامس أنشأ شاعران مجيدان من شعراء المهجر البرازيلي هما الشاعر القروي وأسد موسى قصيدتين في تحية كفاح الشعب المغربي.

وتمت في 1989 إقامة نصب محمد الخامس على هية «سقاية» مغربية في وسط ساحة فسيحة في مدينة صاوباولو تقع قبالة الكاتدرائية الأرثوذكسية.

محمد العربي المساري

البراشوة، فرقة كبيرة من فرق قبيلة أولاد ميمون التي تنتمي إلى قسم المزارعة من قبائل زعير. فالبراشوة يكوِّنون مع إخوانهم الگصيصات وأولاد ليلى وأولاد عياد وأولاد مسعود وأولاد صالح غيث قبيلة أولاد ميمون التي تمتد أراضيها فوق هضبة حد البراشوة ومنطقة النخيلة ووادي كريفيلة غرباً إلى حدود قبيلة أولاد عزيز ووادي گرو والسهول في الشمال الشرقي، وتحد شرقاً بقبيلة النجدة، وجنوباً بأولاد كثير.

وهناك سوق أسبوعي مشهور يسمى احد البراشوة يعمّر وسط فرقة البراشوة يوم الأحد، وهو يقع على الطريق الرابطة بين الرماني ومدينة الرباط حيث مركز القيادة التي تراقب جماعتي حدّ البراشوة ومولاي إدريس أغْبَال، وبه مركز للدرك تابع لدائرة الرماني، وإعدادية للتعليم.

دراسة ميدانية.

علال الخديمي

برّاطيل، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكان من بين أفرادها بتطوان :

براطيل، المكي بن الحسن، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان وكان حيا سنة 1771/1185. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1801/1215 وهي غير أسرة بَرْطيل.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias Ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْراكة Braca، اكتفى فيفيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin بترديد ماجاء به بلين القديم Pline L'Ancien من معلومات في كتابه 5، الفقرة 10، وكان بلين القديم أول مؤلف أورد هذا المصطلح نقلا عن صاحبه الرحالة والمؤرخ الاغريقي بوليب.

قال فيفيان بأنه، مباشرة بعد نهر درعات Darat، تطرق المؤرخ والرحالة الإغريقي بوليب Polybe لخليج يمتد على مسافة 606 ميل (وتعادل أحد عشر يوم إبحار) يبتدئ عند رأس سرنتيوم Cap Surrentium المكون بدوره من امتداد جبل براكة، وأضاف بأن الرحالة لم يذكر لنا أين ينتهي الخليج.

وانتبه بوزنيي Besnier لوجود المصطلح في صيغته المفردة : براكس Praxe. وفي صيغة الجمع : جبال براكاي Móntes Bracae عند جغرافي راڤين Geographe de Ravenne، وورد المصطلح عند هذا الجغرافي في الفقرة 3 من كتابه الأول والفقرة 10 من كتابه الثالث، وتحدث عن خاصيتهما البركانية، وبذلك فهي جبال تشبه في هذه الخاصية جبال الاتنا Etna.

وتوافق جبال جغرافي راڤينا، وحسب تيسو Tissot الأطلس الكبير البطوليمي، وطابقها بزنيي بجبل براكة الوارد عند پوليب أو أگريبا. وحدد بزنيي موقعه عند مصب نهر درعة وخارج حدود موريطانيا (الطنجية).

وطابق ثوڤنو R. Thouvenot جبل براكة بأدرار السطوف وحصر خليج سرنتيوم بين رأس جوبي Cap juby والرأس الأبيض.

وعرف موني R. Mauny براكة على أنها سلسلة الأطلس التي تنتهي عند البحر برأس سرنتيوم وتقع على بعد 25 كلم جنوب موگادور وتمنار.

وعدد موني أسماء الأماكن التي لها صيغة قريبة من المصطلح ضمن خط طوله 30 كلم. فأبان تعددها إذ اكتشف خمسة أضرحة تحمل اسم سيدي امبارك، وثلاثة تحت اسم سيدي بوالبركة ودوار باسم الشيخ امبارك... ولاحظ بأنه لا يوجد في ورقات أخرى هذا المصطلح بنفس الكثافة التي ورد فيها ضمن هذا الخط وخلص إلى القول بأننا أمام الارتفاعات المهمة للأطلس التي تظهر بصفة مفاجئة على الساحل عند رأس Tafelney. وبما أننا ببلاد بربرية فلا شك أن الصلحاء استمدوا تسمياتهم من المنطقة التي استوطنوها. وقد حاول موني الدفاع عن فرضيته بتقديم مثال لذلك سيدي مگدول من موگادور، فهو تغيير للاسم المحلي : ولي مگدول.

وتساءل موني عما إذا كانت هذه المنطقة التي تكثر فيها هذه المصطلحات توافق مكان جبل براكة الوارد ضمن الرحلة البوليبية. وحسب موني أثر هذا المصطلح على التسميات المحلية وهي بدورها أنقذت المصطلح من الاندثار. وليؤكد فرضيته أكثر ذكر بأن القبيلة التي تستوطن المنطقة تسمى إدا ـ و ـ اسارين (Ida ou Issarene)، فتسميتها قريبة من مصطلح (Surrentium) وأيضا من مصطلح (Arnisarion) الذي حدده بطوليمي عند

رأس ريزاديون (Rhyssadion) وبالضبط شماله، ويوافق هذا المصطلح الأخير عند جل الباحثين المعاصرين ومنهم موني نفسه ودوزانج رأس گير، ونحا بديش (P. Pedech) منحى آخر عندما طابق براكة بهضبة القعدة التي تنتهي عند المحيط الأطلسي بشاطئ صخري شديد الانحدار.

وانتبه بديش بدوره لوجود هذا المصطلح عند جغرافي راڤينا الذي دل عنده على المنحدرات.

وحاول دوزانج (Desanges) من جهته مقاربة براكة عند بلين وبوليب بفوكرا أروص (Phocra Oros) عند بطليموس وانتقذ بطليموس على تحريفه للمصطلحات.

ويمتد فوكورا عند بطليموس على طول البحر من رأس ريساديون (Ryssadion) أو (Russadeiron) إلى الأطلس الصغير الذي موضعه بطليموس في وصفه للساحل الموريطاني بين شالة وروزبيس (تيط).

وحدد بوزنيي فوكرا كما ذكرها بطليموس عند سلسلة التلال القريبة من الساحل والتي تمتد من رأس سيم إلى رأس گير.

ويتوقفنا عند جغرافي راڤينا وتمعن كلماته نستخرج من خلاله مجموعة معطيات منها اعتباره بأن جبال براكاي (Montes Bracae) تشكل ساحل المحيط نفسه وقد وطنها بموريطانيا الايجيلية (Maurétanie Egel) التي توجد بأقصى غرب افريقيا وجنوب موريطانيا القاديتانية أو موريطانيا القريبة من مضيق الأعمدة.

وتوافق موريطانيا الإيجيلية بلا ريب موريطانيا السلسلة الأطلسية،وعليه فجبال براكاي هي الجزء من هذه السلسلة القريب من المحيط الأطلنتي والذي يظهر انطلاقا من رأس گير.

والملاحظ أن دوزانج بدوره انتهى إلى نفس النتيجة التي انتهينا إليها عندما ذكر بأنه من الصعب تحديد جبل براكة (Braca) في موطن آخر غير الموطن الذي توجد به المرتفعات الغربية للأطلس الكبير شرق بلاد حاحة.

Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, imprimerie imperiale, 1863, p. 340 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc (Maurétanie Tingitane)*, *A. M.*, I, 1904, p. 350 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 32 ; R. Thouvenot, *Défense de polybe*, *Hesp.* XXXV, 1948, p. 89 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien contraversé, Le periple de polybe* (146 Av. J.C.), *Hesp.* XXXVI, 1949, p. 59 ; P. Pedech, *Le voyage de polybe en Afrique*, *R. E. L.* XXXIII, 1955, p. 329 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe au IVe ap J.C)*, Ecole française de Rome, 1978, pp. 137 - 138.

بلكامل البيضاوية

البراكين، تضاريس خاصة ترتبط بنشاط باطني، صدرت آثاره إلى سطح الأرض فخلفت أشكالا وصخوراً، تدعى بركانية. وفي المغرب توجد براكين متعددة، إلا أنها كلها خامدة، بل لا توجد آثار براكين نشأت في وقت قريب منا، إذ أن أحدث الآثار البركانية ترجع إلى الرباعي الأوسط، بينما أقدمها نشأت في عهود غابرة في القدم، سابقة للزمن الأول. إلا أن عبارة بركان تطلق خصوصا على المظاهر التي تتجلى في شكل السطح والصخارة معا، وهذا ما تختص به البراكين الحديثة نسبيا المنتمية لنهاية الثلاثي وللرباعي، بينما الظواهر الأقدم، غالبا لا يتبقى منها إلا المخلفات الصخارية وأشكال تضاريسية جد متدهورة، كثيراً ما تكون مدفونة تحت رواسب لاحقة، وبالتالي لا تلعب أي دور عند السطح.

فإذا ركزنا اهتمامنا على البراكين الفعلية في المغرب أي البارزة عند السطح، فإننا نجدها تميز فترة زمنية خاصة، ونطاقا مجاليا مضبوطا.

- من الناحية الزمنية، ينطلق النشاط البركاني الذي خلف اثاراً تضاريسية واضحة في الميوسين، ويستمر إلى الرباعي الأوسط. بينما في الحقيقة، تم في المغرب نشاط بركاني في كل العهود، قبل الكمبري في الأطلس الصغير وخلال الزمن الأول في الأطلس الكبير، والهضاب الأطلنتية والمغرب الشرقي وخلال الترياس عند انطلاق انفتاح المحيط الأطلنتي، في كل المجال المغربي تقريبا وخلال الجورسي والطباشيري. ويتأكد النشاط البركاني لهذه العهود بما خلفه من طفوح ممتدة وسميكة، وعروق صخرية وتركزات معدنية حرمائية مرافقة، بل أشكال طبغرافية مازالت واضحة رغم قدمها في بعض الحالات، كما هو الشأن بالنسبة لبركان ألوگوم بناحية فم زگيد مثلا، والذي مازال يتضح فيه مركز مكون من سيينيت، على جوانبه طفوح أندزيتية ومقذوفات سميكة، وفرشات فليسية. هذا البركان القديم، كل أجزائه تختفي تحت طبقات الرصيص والكلس الأدودوني، أي أول الرواسب المنافرة للقاعدة القديمة الملتوية والبركانية في الأطلس الصغير.

- من الناحية المجالية، نلاحظ أن جل البراكين الحديثة والمتمثلة في تضاريس حقيقية، توجد في نطاق خاص هو الأقاليم الشمالية للمغرب، وأن استثناء أساسيا يخرق هذا القانون، ويتمثل في سلسلة سيروا الموجودة عند اتصال الأطلسين الكبير والصغير. والموقع الشمالي للبراكين، داخل القارة، وكذلك في بحرالجوران، يدل على ارتباط البركنة بالنشاط التكتوني الذي عرفته خلال الثلاثي والرباعي، هذه الأقاليم وخاصة منهاالمجالات الأطلسية، ومجال الريف.

هذه البراكين النيوجينية والرباعية، هي مراكز نشاط دائم، تشكلت على إثره أجهزة معقدة وطبقية (كما هو الحال في الريف الشرقي وفي سيروا)، أوهضاب وطفوح بركانية ممتدة (كما هو الحال في الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى). وقد انطلقت هذه البركنة منذ الأوليگوسين.

يمكن معرفة نوعية النشاط البركاني الذي عرفه المغرب حسب نوعية التضاريس والصخور، وحسب تركيبها العداتي والكيماوي. هكذا نرى غلبة نوعين من الطفوح البركانية : الطفوح أندزيتية غالبة في الأجهزة الثلاثية، وطفوح بزلتية، تصبح هي الأساسية منذ نهاية الزمن الثالث.

1) ـ تمثل البراكين الطبقية المعقدة أجهزة جبلية حقيقية، أو على الأقل أشكالا تلية، انطلق تكوينها منذ الميوسين الأعلى، وبالضبط منذ الطرطوني وتصاحبها في بعض الحالات انسلالات لصخور بلورية، من گرانوديوريت مثلا. وجل هذه الأجهزة مركزة في الريف الشرقي وتحت البحر في البوران، وكذلك على الجانب الأندلسي لهذا البحر. هذا الوجود على الجانبين للقوس الجبلي الريفي ـ البيتي، يدل على ارتباط البركنة بآخر الحوادث البنائية التي عرفتها المنطقة، والتي تمت فترات الانضغاط الأساسي بها خلال الميوسين الأوسط.

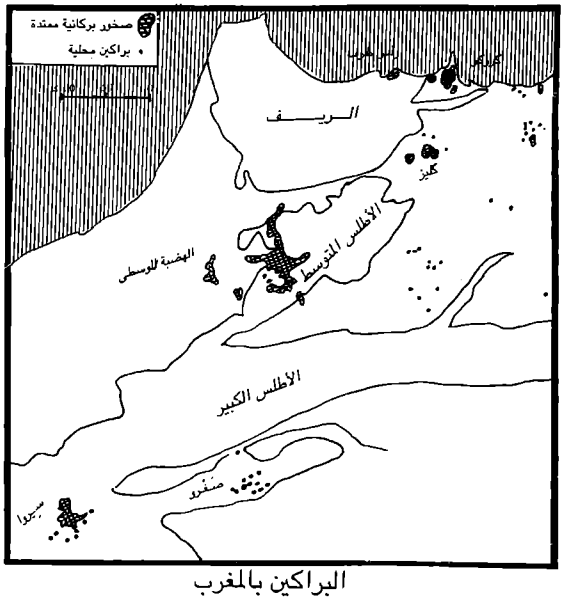

البراكين بالمغرب

نوعية البركنة، هي عبارة عن صخور أندزيتية أو طراكيتية، أي صخور كلكألقلية ومحليا شوشونيتية. هذا النوع من البركنة، أولع المؤلفون بأنه مرتبط ببحر البوران (البرهان) الذي يمثل حوضا هامشيا نشيطا، تحده مجالات انغماس يتعمق جانبها الشمالي تحت إسبانيا، والجنوبي تحت المغرب. لكن هذا الافتراض تعترضه إشكالات تتلخص في كون قشرة هذا البحر ليست محيطية بل هي قارية مرققة، الشيء الذي لا يسمح بالتأكيد على وجود وضعية انغماس عند الساحل الريفي. على كل هذه التسللات الاندزيتية لها دلالة على استمرار حركات الانضغاط خلال الميوسين الأعلى وحتى خمسة ملايين من السنين قبل الحالي.

ضمن هذه المجموعة الأولى الطبقية والمكونة من أندزيت، يمكن أن نعرض لثلاثة أمثلة.

جبل سيروا كتلة بركانية حديثة، ترتفع حتى 3300م لارتفاع القاعدة الصخرية التي تحملها، ويرتبط هذا البركان الضخم بانكسارات أساسية تمثل امتداد الحادث جنوب الأطلسي. والجهاز عبارة عن سطراطو بركان، أي بركان طبقي معقد، مشيد من طفوح ومقذوفات ومواد قفصية، إضافة إلى عروق منسلة متنوعة.

گوروگو، جبل ضخم كذلك، يوجد في منطقة گلاعة، مطلا على مدينتي الناضور ومليلية، بدأ تشييده منذ تسعة ملايين من السنين. وهو مكون أساساً من صخور شوشونيتية وطراكيتية، وقد يحتوي على صخور غنية بالبوطاس من نوع الأندزيت. وهو يمثل أهم كتلة بركانية في الريف الشرقي، تم تشييده فوق قاعدة جوراسية كلسية وصلصالية، وقد صاحبته تسللات ميكروديوريتية كوارتزية هي عبارة عن عروق تخترق الكلس والفليش، أو وسادات تحتل الفواصل بين الطبقات، كما صاحب البركنة صعود مياه حارة عملت على تركيز الحديد، مكونه المنجم الحالي لويشان شمال بني بوإفرور.

أما كتلة گليز فهي مكونة أساساً من طفوح أندزيتية تميل إلى الألقلية، انطلق تشييدها منذ ثمانية ملايين من السنين، وصدر أغلبها بين 7،5 و5،7 مليون سنة. وتاريخ آخر الطفوح الاندزيتية تم تحديده في 4،9 مليون سنة. والطفوح محليا مغلفة بطبقات رسوبية من صلصال ورمل بحري، إضافة إلى رماد وأطيان نفوخة قارية، توجد عند ملقى الويدان على ملوية. وهذا يشير إلى أن أول الطفوح كانت بحرية، بينما استمر التشييد في مجال قاري خلال الميوسين الأعلى.

2) براكين العهد الثاني، هي عبارة عن مواد صهيرية أكثر سيولة تمتاز بالقاعدة وبغلبة العنصر البزلتي، انطلق تكوينها منذ نهاية المسيني ودام حتى الرباعي الأوسط. وتتمثل الأشكال الموفلوجية الخاصة بهذا النشاط بطفوح تغطي مجالات واسعة وتتبع السيلان والأودية، وتنزل إلى المنخفضات، ولا تظهر بها الفوهات والمخاريط الجبلية إلا محليا، لغلبة النوعية السائلة من البزلت خصوصاً أو محليا بنزيت، فنوليت، أنقرطريت.

تنفرد بهذا النوع من البركنة المناطق الأطلسية أوالمسيطية، مثل الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى. فالأطلس المتوسط يتميز بطفوح تنطلق منذ الفلفرنشي حيث تم تكوين براكين بومية وإتزر وتالزاست، تم تتعمم خلال الرباعي الأوسط، حيث صدرت طفوح بزلتية عادية، تمتاز بشدة سيولتها، غلفت هضاب الأطلس الشمالي الغربي، ونزلت إلى هوامش هذه الهضاب، تابعة أودية أم الربيع في اتجاه تادلا، أو متساقطة على الأجراف في اتجاه حوض أزرو أو سايس. تكون الطفوح البزلتية هضابا متدرجة عليها مخاريط مكتملة في بعض الأحيان، أو مفتوحة ومتدهورة في أحيان أخرى أكبرها مخاريط الكديات قرب يفران وهبري وتمحضيت. كما تتميز الطفوح بمظاهر انفجارية تعطي منخفضات مغلقة كبيرة تدعى "لشمين" في الأطلس المتوسط مثل منخفض مشليفن أو لشمين إقطان. وأخيرا تظهر إما محليا أو على شكل خطي منخفضات دائرية صغرى يعزى بعضها لأسباب انفجارية والبعض الآخر لاستمرار الكرستة من تحت اللاڤا البركانية، وتهدل هذه فيما بعد ذلك.

كما أن هذا النوع من البركنة يعم المناطق التي عرفت الجيل الأول الاندزيتي، وعلى الخصوص المجال الخارجي من الريف ومقدمته. وهكذا تجد گليز وگوروگو يحتويان على طفوح بركانية بليورباعية ورباعية، ذات سيولة عالية، تغلب فيها الصخور البزلتية. وقد انطلق هذا النشاط الحديث في الريف الشرقي منذ خمسة ملايين سنة ودام حتى مليون أو مليوني سنة قبل الحالي. في گوروگو مثلا، أول الطفوح البزلتية، تم تأريخها بحوالي 5.3 مليون سنة، بينما عمر آخر الصدورات الباطنية مليونين ونصف المليون من السنوات. أما في گليز فإن النشاط البزلتي انطلق عند 4.9 مليون سنة، وتجدد مرتين، عند 2.5 مليون سنة حيث خلف طفوح جبل الأكحل وعند 1.7 حيث تكونت لافا عين الزهرة، وأخيراً عند مليون سنة، لما نزلت طفوح إلى منخفض گرواوو.

إن توالي المرحلتين البركانيتين الكبيرتين له دلالة جيولوجية وبنائية أكيدة.

فالعهد الأول من البركنة يتزامن مع الحركات الاوروجينية النهائية، على إثر تكوين السلسلة الريفية، ومرافقتها من تحولات بنائية داخل السلسلة الأطلسية. ونوع الصخور المتميز بغلبة الاندزيت والطفوح الكلكألقلية دليل على ذوبان محلي للقشرة ومساهمتها في الصادرات البركانية.

أما العهد الثاني البزلتي فهو يدل على بركنة لاحقة للحركات الأوروجينية في وقت صار فيه الصهير يصعد مباشرة عبر شقوق تجزئ القشرة الباردة.

تنفرد بعض المناطق بأحد الجيلين، فالأطلس المتوسط مثلا، ينفرد بالجيل الثاني، وكذلك الهضبة الوسطى. أما في مناطق أخرى فإننا نلقى آثار الجيلين متوالين، متداخلين أو متدرجين. في گوروگو مثلا نجد حالة التدرج، حيث الجهاز الجبلي مشكل في الطفوح والمقذوفات القديمة، بينما البزلت الحديث مركز في أودية متعمقة على هوامش الجبل وينزل منه إلى خارج الكلتة. أما في ناحية وجدة، فإننا نجد الجيلين متداخلين من الناحيتين الزمنية والمجالية. من الناحية الصخارية، كل الطفوح عبارة عن بزلت ألقي تحت مشبع بالسليس ودال حسب تركيبته الكيماوية على انتمائه إلى نوع الصخور الصهيرية التي تصدر بداخل الصفيحة الواحدة وليس من هوامشها. أما التأريخ الإشعاعي فهو يتأرجح بين ستة ملايين ومائتي ألف سنة بالنسبة لأقدم العينات إلى ثلاثة ملايين سنة بالنسبة لأحدثها. ويمكن الفصل بين مجموعتين إحداهما قديمة ميوسينية متفسخة، تغلفها رواسب نهرية وبحيرية جيرية، وثانيهما حديثة تغطي الأولى، وتنتمي للبليوسين.

وعلى كل يتضح أن استمرار البركنة إلى عهود قريبة، دلالة على استمرار البنائية في هذه الهوامش النشيطة من المغرب الأطلسي والريفي، المطل على بحر البوران الذي يتميز هو نفسه بكثرة البراكين تحت البحرية على طول الحوادث الانكسارية الاساسية.

J. Hernandez, *Le volcanisme du Rif Oriental*, thèse sciences, Paris, 1983, p. 418 ; H. Bellon et R. Brousse, *Le magmatisme périméditerranéen occidental, Bull. Soc. géol. Fr.*, (7), t. XIX, n°3, 1977 ; D. Tisserant, A. Laouina et N. Claner, *Datation K - Ar des basaltes de la plaine des Angad au S. d'Oujda, Sci. Géol. Bull.*, 38, 2, 1985.

عبد الله لعوينة

براندت، فريدريك F. Brandt تاجر ألماني ولد سنة 1856 وحل بالدار البيضاء سنة 1879 وأصبح شريكا لعدة تجار ألمانيين. وكان وكيلا قنصليا للمملكة النمساوية الهنغارية بالدارالبيضاء سنة 1897، وكان له سماسرة وخلطاء بالشاوية ودكالة. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى اعتقلته سلطات الحماية الفرنسية وحكمت عليه بالسجن والأشغال الشاقة عشر سنوات بتهمة الجاسوسية.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 834 . 835 ؛ *الوثائق المغربية*.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, 56 (4).

مصطفى بوشعراء

البرانس، أطلق هذا المصطلح حسب التصنيف التقليدي على إحدى الكتلتين الكُبرَيَيْن اللتين تكوِّنان غالبية المجموعة الأمازيغية. والكتلة الأخرى، عرفت بـ(البُتْر). وهذا التصنيف كما يذكر (گوتيي) لم يعرفه مؤرخو اللاتين ولا الإغريق ولذلك فهو من وضع نسَّابة البربر، انطلاقا من المصادر التي يرددها ابن خلدون كسابق المطماطي وأيوب بن أبي يزيد. وبالتالي فـ (گوتيي) لا يصدق بوجود بر، ولا مادغيس ولا برْنس كأصُول تناسل منها الأمازيغ. وتقسيم هؤلاء إلى بُتْر وبَرَانس، هو من مخيلة العرب والبربر منذ القرن الرابع (10م). والحقيقة أننا نجد هذا التقسيم في المصادر الإسلامية قبل هذه الفترة. فقد ورد الحديث عند ابن عبدالحكم عن البُتْر و البرانس عدة مرات. وهكذا يذكر أن حسان بن النعمان ولّى على البُتْر الموالين له أحد ابني الكاهنة. وأن عامة نصارى البربر بافريقية كانوا حينئذ من البرانس. أما بطنجة فكان يوجد الفريقان معا (البُتْر والبرانس). وكان ولاة إفريقية لا يتخذون حرسهم إلا من البُتر. وهكذا يبدو البُتر أو أكثريتهم أسرع إلى مُوالاة العرب من البرانس خلال شطر كبير من مرحلة الفتح. حتى إن حسان بن النعمان نُسب إليه أنه أقر علانية بقرابة زناتة من العرب وسجل بذلك وثيقة (رسمية) كما يزعم مؤلف الذخيرة السنية. وكانت زناتة تكون معظم البُتر. وينقل ابن خلدون عن عدد من نسابة البربر أن الأمازيغ فرعان كبيران، بُرنس، ومادغيس الملقب بالأبتر. فبرنس ينتهي نسبه إلى كنعان بن حَام. أما البتر فمن نسل بُرّ بن قيس بن غيلان. غير أن ابن خلدون بعد مناقشة مختلف النظريات التي تعتمد على الأنساب يفضّل إرجاع الجميع إلى أصل حَامي فيما عدا صنهاجة وكتامة الذين يُحتمل أن تكون لهم أصول عربية يمنية. وعلى هذا فإن ابن خلدون رجع إلى النظرية الشجرية بعد أن انتقدها. وتأثر المحدثون به حتى من دارسي اللغات الشرقية الذين وضعوا الأمازيغية ضمن اللغات الحامية.

ويُرجع ويليام مارسي W. Marcais التقسيم الثنائي (بتر وبرانس) إلى القرن الثامن الميلادي على الأقل. ويعتمد على فروق الزي كما وجدها العرب لدى البربر، ففريق من هؤلاء يرتدون البرنس فهم البرانس وفريق بلباس قصير أولاً (قُبٌّ) فيه، فهم البُتر. وتفسير التصنيف على هذا النحو غير دقيق، لأن البرانس لم يختصوا وحدهم بالبرنس وصنهاجة الصحراء وهوارة كانت ترتدي لباساً طويلاً دون برنس، مع أن صنهاجة تصنف ضمن البرانس.

ويرد (گوتيي) التصنيف إلى الخلافات العميقة بين الكتلتين، أي من حيث نمط الحياة والبيئة الاجتماعية والجغرافية، بينما اعتمد تقسيم العهد القديم على أسس جغرافية (نوميديا وموريتانيا). وفي مرحلة متأخرة استعمل تصنيف (الرحل والمستوطنين). وهكذا فتغير المصطلحات مرده إلى مراحل تطور متعاقبة. ثم إن البتر كما يقول (گوتيي) هم صحراويون غرباء، وأثروا أيضا في غيرهم من السكان الأصليين. أما البرانس فهم بالدرجة الأولى سكان المناطق الجبلية. ثم إن هذا المؤرخ الذي لا تخلو ملاحظاته من عمق، يجد فروقا في هندسة المباني بين البُتْر والبرانس، لكن هذه الفروق يصفها كما رآها هو، وليست كما خضعت للتطور عبر مآت السنين. ومن جهة أخرى فيتبين من استقراء التطور الحضاري والسياسي أن اعتبار البرانس كمجموعة مستوطنة تفوق في تحضرها البُتْر، وأن هؤلاء ما هم إلا صحراويون رحل ليس إلا إغفالا لطبيعة التطور ومراحله لدى كل من الفريقين. فمعظم الواحات الصحراوية النائية جنوب المغرب الكبير من عمل البُتر، وهو ما نجده أيضا لدى نفُوسة في منطقة الجريد. وأغلبية المراكز الحضرية الاقتصادية ذات العلاقات الواسعة نشأت أو ازدهرت في ظل الزناتيين البُتر، كتلمسان قبل الإسلام وفي ظل بني عبد الواد، وكسجلماسة ووارغلة وفاس المرينية وتازا. والقلاع الزناتية بالمغرب يضرب بها المثل في الصمود والمتانة لا سيما قلاع الأطلس المتوسط وأشهرها قلعة فازاز التي أتعبت جيوش المرابطين، ولم يأمنوا من خطرها بعد فتحها إلا حين دكّوها. وعلى هذا فإن استئثار البرانس بنمط الاستيطان وتخصيص البُتْر بالطبيعة الصحراوية وروح التقلب وهْم أوقعنا فيه گوتيي ومن سايره.

والآن أصبح ممكنا إعادة الاعتبار إلى البُتر الذين إذا كانوا مهمشين قبل الإسلام فقد تحولوا إلى قوة مؤثرة بعده في كل المجالات. وما يقال عن العداء بين البُتر والبرانس لم يكن شاملا قط، بل هو من شكل العداء الداخلي بين الكتل من نفس الصنف، لا كالعداء بين مغراوة وبني يفرن وكلهم من البتر الزناتيين، وكصراع صنهاجة والمصامدة وكلهم برانس. فيبقى تصنيف الأمازيغ إلى بتر وبرانس مجهول الأصل والأسس، وكل ما قيل بشأنه حتى الآن مجرد افتراضات، خصوصا وأن التصنيف الداخلي للبرانس حسب نظرية ابن خلدون التي تجعل صنهاجة من البرانس، لا يخلو من ارْتباك، لأن أغلبية صنهاجة المغرب عاشوا رحلا مدة مآت من السنين. أما اعتبار العرب مغرمين بالتصنيف الثنائي على غرار ما فعلوا من تصنيف أنفسهم إلى قيس ومضر، ففعلوا مثل ذلك بالنسبة إلى تقسيم الأمازيغ إلى بتر وبرانس، فمجرد تصور محدود الأفق، لأن الرومان أيضا قسموا الشعوب إلى متحضرة هي الرومان والإغريق، وبرابرة وهي سائر الشعوب. والأوروبيون من الباحثين، قسموا عرب الجزيرة إلى عرب الشمال وعرب الجنوب. والآن نسمع عن دول الشمال ودول الجنوب، وعن أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية وهلم جراً.

وإذا كان البتر إنما يتكونون في غالبيتهم من زناتة، فإن بتر المغرب بوجه خاص برهنوا عن قابلية عجيبة للتحضر والاندماج. أما برانس المغرب وصحرائه فهم صنهاجة ومصمودة. ويعرف صنهاجة الجزء الشرقي للأطلس المغربي باسم زناگة ـ بكاف معقودة ـ وهناك الملثمون عبر الصحراء من الذين كونوا دولة المرابطين وأكثرهم كانوا رحلاً. ويعرف ملثمو شرق الصحراء الكبرى بالهُگار، ولكن قيل إنهم بتر من هوارة، والواقع أن هناك أخذا وردا بشأن هوارة وحتى صنهاجة. وابن خلدون في *العبر* (6، 282) يضع هوارة بين البرانس باتفاق نسابة العرب والبربر كما قال، لكن لا ندري كيف يؤكد گوتيي انتماءهم إلى البتر (*Les Siècles*... p. 215) كما أن ابن خلدون يربط هوارة بالنسب الصنهاجي. وعلى ذلك، فبطون البرانس الرئيسية عنده هي مصمودة وصنهاجة وأوربة وكتامة وعجيسة واوريغة وأزداجة، وبالنسبة للمغرب فالثلاثة الأولى أهمها من حيث الدور التاريخي والاجتماعي ومن حيث سعة الانتشار. ويضيف ابن خلدون مسطاسة إلى البرانس في مكان آخر.

1 ـ المصامدة شغلوا بالأخص منذ القرن الأول (7 م)، عموم السهول الأطلسية ومنطقة سوس ومنطقة غمارة، لكن الزحف الزناتي ثم المرابطي (قرن 3 ـ 5 هـ) قلص جموعهم بالسهول الأطلسية شمال أسفي ثم انصهر الباقون منهم في المجموعة العربية. وربما كان المصامدة أقدم مجموعات بربر المغرب.

2 ـ صنهاجة، وهم موزعون بين صنهاجة الظل المستوطنين بالأطلس المتوسط وجوار الريف وصنهاجة الشمس أو الصحراء، وهم رحل، انحدروا أصلا من الشمال منذ القرن الثالث للميلاد واكتسحوا الصحراء الكبرى وبعض المناطق الحضرية المجاورة لها جنوبا. ومنهم تكونت دولة المرابطين، كما أسس الدلائيون من صنهاجة الأطلس إمارتهم خلال القرن 17/11 م.

3 ـ أوَرْبَة، كانت مواطنهم فيما بين الأوراس وضواحي تلمسان جنوبا. وتزعمهم كُسَيْلة في بداية الفتح الإسلامي، ثم تعقبتهم جيوش زهير البلوي بعد مقتل عقبة، فلاذوا بالمغرب وانتشروا بين وليلي ومر تازا وضفاف ورغة. وعلى أكتافهم قامت دولة الأدارسة وما تزال بعض فروعه بأعالي ورغة واللكوس وسبو.

4 ـ كتامة، كان فريق منهم بالريف وأكثرهم بحوض اللكوس ومنطقة الهبط، وأهم مراكزهم الحضرية القصر الكبير، وقد اندمج معظم كتامة المغربية في عناصر سكانية أخرى.

5 ـ ازداجة، لا يبدو أنه كان لهم وجود مؤثر بالمغرب، وكانت مضاربهم بنواحي وهران. وسطا بهم العامريون. وهناك من نسبهم إلى زناتة. وربما كانت منهم مسطاسة الموجودة حالياً بالريف.

6 ـ عجيسة، كان وجودهم ضعيفا بالمغرب. ويظهر أنهم انصهروا في قبائل أخرى خصوصا صنهاجة المجاورة لهم.

7 ـ أوريغة، وإليهم تنسب هوارة حسب ابن خلدون، وكذا مسيلية بالمغرب الشرقي شمالا. أما هوارة فتجمعهم بإقليم سوس. وقيل أيضا إنهم من أصل عربي.

ع.ابن عبدالحكم، *فتوح افريقية والأندلس*، ت. فرنسية لألبير گاتو، ص : 78، 80، 88، 114 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، (افريقية والمغرب) ت. دوسلان، ص : 90، 108، 110، 114، 117؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، 13 ـ 14، ت. ابن أبي شنب ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 :176، 192، 293. 296 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، الأعداد : 20/ 1973، 31/ 1980، 1982/33.

Léon. L'Africain, *Description de l'Afrique*, p. 10. 15 ; Quedenfeldt, *Répartition de la population berbère au Maroc* 1904 ; Gautier, *Les Siècles obscurs du Maghreb*, p. 190-218 ; *Le passé de l'Afrique du Nord*, p. 227-244 ; H. Lhote, *Les Touareg du Hoggar* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 1, 20, 24 ; G. H. Bousquet, *Les berbères*, Collection que sais-je, N° 718.

إبراهيم حركات

البُرَانية ← الباذنجان

براهيم (أيت ـ) تمثل هذه القبيلة الصحراوية الدعامة المركزية لتجزئة أيت النص التي تشكل مع تجزئتي أيت الخمس وأيت بلة لف أيت عثمان. ومعلوم أن هذا اللف ينضاف إلى لف أيت الجمل ليشكلا معا اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء. يمتد تراب أيت براهيم بهذه المنطقة بموازاة منعرجات باني الغربية عبر سهول ومعادر تفصلها مرتفعات تصل أحيانا إلى 1.000 م. وتعتبر آخر مرتفعات الأطلس الصغير الحد الشمالي لهذه القبيلة بينما يحدها باني جنوبا وأعالي وادي صياد غرباً. على أن هذا الوادي وروافده الأساسية وادي كلمت ووادي خيبر ووادي إفران ووادي مايت تمثل كلها المصدر الأساسي للري كما يؤكد ذلك التوزيع الجيومورفلوجي لتراب أيت براهيم.

متى وفي أية ظروف تبلورت قبيلة أيت براهيم ؟ إذا اعتبرنا، حسب ما تؤكده الرواية الشفوية، بأن عثمان الجد الأسمي للف أيت عثمان هو ابن مندى الذي كان عاملا لعبدالله بن ياسين على نول لمطة عاصمة وادي نون زمن المرابطين، أدركنا البعد الحقيقي للغور «الأهلي» لهذه القبيلة الذي يقول بانتمائه لإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى. فمن حيث هو كحفيد لعثمان بن مندى يزامن هذا الجد الأسمي للقبيلة نهاية حكم المرابطين الذي عرف خلال حكم علي بن يوسف بن تاشفين تعدد القلاع و التحصينات الدفاعية ضد الهجومات الموحدية. وإذا كانت تحريات Dr. Dargassiés وTerrasse الميدانية خلال العشرينات من هذا القرن قد ردت قلعة تاغجيجت (اگدير أ گليد ـ اگدير أزناگ) إلى نهاية العهد المرابطي، فإننا نتحسس علاقة وثيقة بين الجد الاسمي مؤسس نواة أيت براهيم والقلعة، يُزكي هذا الاحتمال قدرة الجد على بلورة النواة الفعلية للقبيلة عبر ممارسة تبدو عسكرية أكثر منها دينية. وهو ما لا تكذبه الرواية الشفوية حين تفيد بأن أيت براهيم قد رحلوا إلى حيث استمر انتجاعهم بواحات توات أزيد من قرنين. ذلك أن التسلط الموحدي سنة 1153/548 (البيذق، *أخبار*، 77) يبدو المسبب الرئيسي لهذه الهجرة التي لن تنتهي إلا بحلول القرن الثامن (14 م). لقد كلف عبدالمومن أكبر قواده أبا حفص بتدمير المنطقة كما رأى ذلك كاتب مدونة أسا. هذه الوثيقة الهامة ستكشف استمرارية الحكم الموحدي حين تؤكد بأن عامل يعقوب المنصور الموحدي على المنطقة هو منصور بن عدي البرقوقي. وهو ما يحفزنا إلى تصور المراحل الانتقالية التي حولت أيت براهيم من نواة مهاجرة إلى قبيلة مطالبة بالدفاع المستميت عن نفسها من أجل البقاء. وإذا كنا نجهل تفاصيل هذه المراحل، فإن عودة أيت براهيم إلى عاصمتهم تاغجيجت خلال القرن الثامن (14 م) تعد تأكيدا منطقيا لأهميتها العسكرية. لقد كانت منطقة تاغجيجت جد غنية اقتصاديا بما توفره من مراع ونخيل ومزارع ومعادن. وإذا علمنا بوجود قبيلة أيت حربيل ذات السمعة الحربية الكبيرة يومها أدركنا مدى ما تعنيه عودة أيت براهيم من منافسة عسكرية وسياسية. لقد عادت هذه القبيلة مدججة بخبرة عسكرية وحنكة سياسية أثبتها انسحاب إذا أُوزيكي من الشمال الشرقي لتگموت المجاورة لتاغجيجت إلى إيمي ـ ن ـ تانوت حيث ما يزالون. وإذا ما نحن ركزنا على مستوى العلاقات الثنائية بين أيت براهيم وجيرانهم أيت حربيل وجدنا بأن السمعة الحربية لأهل تاغجيجت ستزداد على حساب منافسيهم ذوي السمعة العسكرية المتميزة. بل إن التناقص المتزايد لأيت حربيل سيؤدي بهم إلى الدخول في إطار محميي أيت براهيم. وبذلك نتأكد من أن سيرورة التصادم بين أيت براهيم وغيرهم من القبائل المجاورة قد انطلقت على إثر شروع هذه القبيلة في تثبيت قاعدتها محليا وجهويا.

تمر حدود قبيلة أيت براهيم بتمنارت حتى أگجگال ومن تامگروت ـ ن ـ توزونت حتى رأس جبل أغبالو وقمة تيگديرت وامان وتيگديرت ام گجد وبئر بوگلين، وهي حدود ترسم سعي القبيلة الدائم للحفاظ على التحامها والدفاع عن كيانها إزاء كل خطر خارجي. فمراقبة المجال هنا هي بمثابة رد فعل ضروري اتجاه فقر الطبيعة وضعف التقنيات وتقلب الأحوال السياسية والاجتماعية. إننا إذا ربطنا بين مفهوم الانتماء إلى نفس القبيلة من خلال

منظورين يختلفان باختلاف الرحل عن المستقرين، اتضح بأن القرابة بين هذه الفصائل الناطقة بالأمازيغية تؤكد فعلا أهمية التجذر في إبرام التعاقدات القائمة الذات. بل إن لوائح وحدات وفصائل وتجزئات القبيلة تلعب دور الجرد الذي يحد من عمق وحقيقة البنية القرابية المتجذرة. فالتصور الذي يمكننا تشكيله انطلاقا من البحث الميداني المباشر يكشف عن تنوع المستويات البنيوية المتفاعلة والمتداخلة. ذلك أنه انطلاقا من الروابط التي تجمع بين النواة الأصلية «الأحرار» داخل كل فصيلة يمكننا تقويم التمييز بين تعدد المستويات القرابية عبر مقارنتها. هذه العملية قد تتطلب مجالا أوسع إذا هي شملت كل فصائل القبيلة متجهة نحو البناء الثلاثي الذي يفصل «النواة الأصلية» عن المتحالفين معهم والمستوردين. لذلك فإننا نحصر دائرة معارفنا هنا حول سيرورة التلاحم والتحالف بين هذه الفصائل مكررين بأن مشروعا كهذا يعد جديراً بكل أهمية. يحدد الغور «الأصلي» نفسه في إد احماد أ ُلحسن وإد سالم وإد علي أ ُموسى النازلين من سعيد أ ُبراهيم وإدلمبارك أ ُبراهيم وإد احماد أ ُمسعود وإد علي بن حمو وإد بنسالم وإد بوتيكجدة إنغاتن وإد طالب وإد شيبان وإدالشيخ النازلين من سعيد أ ُلحسن وإد رضوان وإد لحور وإد لماغراو. وهؤلاء يعتبرون أنفسهم النواة الأصلية «الأحرار» للقبيلة رغم صغر حجمهم الديمغرافي الذي لا يتجاوز في أحسن الحالات خمسمائة عائلة حسب الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948. على أن قبيلة أيت براهيم تتمثل أساسا في :

- إد سعيد أ ُلحسن الذين ينقسمون إلى إداوْسعيد والخندق وإغيرن تزغوات وإگرامن وبوتيكجدة وبلة أ ُحمو وبونايدون وإيرز. هؤلاء يمثلون المستقرين من إد سعيد أ ُلحسن خلافا لرحالتهم المتمثلين في إدْحْماد أ ُمسعود وإدْمبارك أ ُبراهيم وإد عبدالقادر وأيت واحمان وأيت تارگمايت.

- إد سعيد أ ُبراهيم الذين يتمثل مستقروهم في بوموسى وتاوريرت ورحالتهم في إداوبيان وبودرارة.

- إد الحر المتمثلين في إد الحر وإد رضوان وكلاهما ينتجعْ جنوب وادي درعة وباني الغربية. على أن لهم مخازن جماعية بتگموت.

- إد موسى أ ُداود ويتمثلون في إد عبد المولى وإد بوقيود وأيت تمزيغت. وهم رحل يتوفرون على مخازن جماعية بقصبة أيت موسى.

- إدا زولگان الموزعين بين القصور والمداشر. وينقسمون إلى إدا بولحسن وبويعلى وأگادير إدران.

- أيت إغرمان الموزعين كذلك بين القصور والمداشر، وينقسمون إلى أيت جرار وإنزيفت وتيسلان وإغرغار وإيكم وإغْرم إگزولن.

إننا إذا انتقلنا بهذه اللائحة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع أيت براهيم، فإنه ينبغي لها أن تعمل لعلاقات انتاجية تشمل مجمل الوظائف على اختلاف مستوياتها. وآنذاك نكون بالضرورة قد وصلنا إلى مجمل الإشكالات التي يمكن أن تكشف عنها دراسة هذه القبيلة على المستوى الفلاحي والتجاري والعسكري والسياسي.

1 - على المستوى الفلاحي نلاحظ بأن أيت براهيم مهما تنوعت فعالياتهم وتعددت أدوارهم وأنماط معيشتهم، فإنهم في كل الأحوال يظلون تحت تأثير الشروط الموضوعية لحياتهم.

- معدر وادي خيبر وواحات تاينزورت وأگادير إدران سيدي منصور بإدا اولگان وتيخبرني بأيت براهيم.

- سهل وادي صياد المحيط بتاغجيجت وما يجاورها من مداشر وقصور تاوريرت ودواودار وإداوبيان وبوموسى وإد سعيد والخندق وإيرن تيغورات وإد بوعشرة وإگرامن وإد نوتكجدة وإد بلة حمو وإد بونايدون وإرز وواحة تگموت وقصر قصبة ن إد موسى أ ُداود وواحة وقصر إغرم إگزولن.

- سهل وادي افران حيث تصطف قصور وواحات أيت جرار أو نزيفت وتيسلان وإغير غار وإيكم.

- أعالي بسيط مايت حيث توجد تارگمّايت.

من هنا فإن الفلاحة ترتبط أساسا بالتساقطات المطرة لما لها من أهمية على هذه الروافد التي تتسبب في فيض المعادر. أما الغطاء النباتي فهو غني على العموم حيث تعد تربية الأغنام والأبقار من بين الأولويات المحلية. لقد اعتمدت فصائل أيت براهيم منذ عودتها إلى تاغجيجت على اليد العاملة الرخيصة (الحراطين والعبيد) في تطور وتسيير الرعي والفلاحة. وهو عامل أساسي أدى بالقبيلة إلى إحكام سيطرتها على الأسواق الاعتراضية المجاورة.

2 - يرتبط المستويان الفلاحي والتجاري لارتباطهما بفعالية العملية الإنتاجية للأسواق. فبموازاة الاعتماد على اليد العاملة المسخرة في الميدان الفلاحي، لجأت القبيلة إلى توسيع نفوذها عبر الاستفادة من عدانة زكندر ومن القنوات التجارية التي فتحها الصناع المحليون يهوداً كانوا أم حراطين. بهذا المنظور أقبلت قبيلة أيت براهيم على استغلال الدور الاستراتيجي لتاغجيجت. فقد شكلت هذه القاعدة الاقتصادية مقياسا للنفوذ الجهوي الذي يحظى به كل مجال مركزي. لم تكن عدانة زكندر تقتصر على مادة النحاس كما يعتقد صاحب *الاستقصا*، بل كانت تنتج كل المعادن المصاحبة من فضة وأمْيَانْتْ وغيرهما.

3 - لكل هذه الأسباب بات ضروريا البحث عن محاور جهوية للتكتل في إطار نظام التحالفات القائم الذات. ندرك إذن لماذا التزم أيت براهيم بلف أيت عثمان الذي يعد من بين تجزئاته الأساسية أيت بلة ذوي البأس الشديد. لقد شكلت العلاقة بين أيت بلة (ازوافيط) وأيت براهيم مقياسا ثابتا للتعامل داخل بنية تحالفية لم تعرف أي تغيير كبير منذ تشكل اتحادية تكنة. ومما لا شك فيه أن سيرورة التحالف هنا تنطلق من مفهوم المصالح المشتركة سياسيا

وعسكريا واقتصاديا ومجاليا. هذا ما أكدته الأحداث غير ما مرة مبرزة أنه طالما مثلت آاليات الانقسامية مجالا لإقرار علاقات أفقيه بين القبائل، أصبحت مشاركتها في الإشراف على شؤونها تكريسا لمنطلقها العملي المركزي والمعايير الثابثة.

وليس من باب الصدفة كذلك أن تحتوي هذه المنطقة بداخلها خلافات وتباينات بين القبائل القريبة من أمهات القرى والبعيدة عنها وما بين الأراضي الخصبة والأراضي الضعيفة الإنتاج. فنجد مختلف القبائل ذات الوزن التجاري المركزي منصهرة بشكل أكثر التزاما واستمرارية ضمن آليات التحالف الجزولي الذي أدى إلى نشأة دولة السعديين (دولة إگُزُولْنْ). فإذا كان هذا الانصهار قد تحدد استناداً إلى ما كان بهذا المجتمع الجبلي شبه الصحراوي من أشكال الصراعات المصلحية، فإن أشكال الملكية والتبادل التجاري لم تعمل من جهتها إلا على تكريس هذا الواقع. وليتسنى لنا تقدير مدى اندماج قبيلتي أزوافيط وأيت براهيم في هذه السيرورة فإنه يكفي أن نشير إلى دورهما في مساندة السعديين. لقد قام الصوفي المشهور الحسين الشرحبيلي بإداولتيت أواسط القرن العاشر (16 م) بتأسيس سوق الخميس في تاغجيجت بمساندة من صديقه احماد أ ُمسعود الجد الأسمي للفصيلة التي تحمل اسمه بقبيلة إدا أ ُبراهيم . وقد جاءت صورة هذا السوق في حد ذاتها كافية لتحديد العلاقات التي ظلت إلى حد بعيد مطبوعة بالطابع الديني المسالم لهذا المكان. وهي مرحلة واكبت الرواج التجاري الاقتصادي الذي شجع سيدي امحند أ ُبراهيم الشيخ قطب الأطلس الثاني على الرغبة في احتكار مداخيل السوق من أعشار. لقد انضاف سوق الخميس منذئذ إلى المسجد المركزي (أگدير مقورن) الموغل في القدم كمعلمتين جماعيتين يذكران بتعدد الأدوارالاقتصادية والدينية والخطابية والسياسية والشعائرية. وإذا كان أيت براهيم قد رفضوا أداء الأعشار لسيدي امحند أ ُبراهيم الشيخ فذلك لأنه كان يعتبر تمنارت مقر المخزن المحلي الممثل الشرعي لسلطة السعديين. لم تقم الهياكل المخزنية السعدية يومها على أنقاض التقسيمات القبلية، ولم تسع إلى استحداث وحدات جديدة تلغي الحدود والمعالم القبلية التي كانت تميز يومها أهل تمنارت عن أيت براهيم وحلفائهم. بل إن المخزن السعدي انضاف إلى هذه الحدود والمعالم ليتبناها كمجالات لتعايش سلطته إلى جانب الهياكل المحلية. وهكذا ندرك لماذا فضل أيت براهيم التعامل بعد انحطاط الدولة السعدية مع سليلي سيدي احماد أ ُموسى قطب سوس الأول بدل سليلي القطب التمنارتي المجاور. لم يجد علي بودميعة من قبيلة أيت براهيم إلا المساندة الفعلية التامة كما تؤكد ذلك إحدى المدونات الخاصة. وتضيف هذه المدونة بأن تمثيلية عن أهم قبائل تكنة من أزوافيط وأيت لحسن كانت حاضرة بتاغجيجت لمساندة بودميعة الذي لم يلبث أن ابتنى له منزلا سمي بالدار البيضاء. وقد كان الولي سيدي صالح دفين قصر أهل توزونت من أكبر المساندين لعلي بودميعة. فلم يجد أية صعوبة في الدفع به إلى محاربة مجاط الذين التجأوا إلى الخديعة للاستيلاء على هذا القصر. هذا التحالف الفعلي بين أيت براهيم وسيد إليغ كشف إلى حد بعيد من امكانياته وأضعف تدريجيا قدرات القبائل المهمشة من طرف حلف إگزولن. وبانهيار إمارة إليغ يكون أيت براهيم قد دخلوا في صراع مفتوح مع الحكم المركزي الجديد. فما تزال بعض وثائق أيت حربيل تؤكد ثورة أيت براهيم على مولاي عبدالمالك خليفة المولى اسماعيل إثر فرضه ضريبة تقدر بـ 1.000 غرارة من الذرة (حوالي 200 كلغرام للغرارة الواحدة). على أن رسائل مخزنية معاصرة تؤكد استعانة مَحمد بن إسماعيل العلوي بالقبيلة ضد اعدائها من أهل الساحل سنة 1115. هذا التحالف يأخذ كما نرى طابعا قبليا محلياً أكثر منه مخزنيا كما هو الشأن بالنسبة لتحالف أيت براهيم وأيت حربيل تحت لواء محمد العالم بن المولى إسماعيل في نفس السنة 1118 التي ستعرف مقتله من طرف والده. ومن الملاحظ أيضا أن القرن الثاني عشر (18 م)، قد عرف غياب السلطة المركزية عن الأطلس الصغير والصحراء المجاورة. فلم تكن قبائل المنطقة المتجذرة ترغب بحماس في المشاركة في حركات المخزن خاصة منها تلك التي كانت تستهدف إقرار سلطة فوق سلطتها. وقد تجلى ذلك من خلال الصراعات العنيفة بين أيت براهيم وإد بوعشرة حول أدرار نداوثلاتا. هذا الموقع الحصين استعمله أيت براهيم كقاعدة متقدمة مضيفين من خلالها إد بوعشرة إلى لائحة المنهزمين، بل إن ما عمق من أهمية هذا القرن دخول أيت براهيم في صراع مفتوح مع غريمتها الأولي أيت احماد سيدة تجزئة أيت الخمس الهامة زهاء نصف قرن. لقد كانت قبيلة ايت احماد تنتمي إلى لف أيت الجمل شأنها في ذلك شأن أيت أسا. وكانت السمعة الحربية لهاتين القبيلتين قد تجلت في احتلالهما قصر إيرز بتاغجيجت. غير أن نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، قد حملت معها انتصار أيت براهيم بمساندة من أزوافيط وتحرير قصر إيرز ودخول أيت احماد في حلف أيت عثمان لتلحق بها قبيلة أيت أسا. ونظراً لما اتسمت به هذه الصراعات من حدة متعاظمة، فإن القرن الثالث عشر (19 م)، حدد معالم مرحلة جديدة عبر هذه التحالفات التي تجاوزت نطاق المحلي إلى مستوى الاتحادية. لقد حاول الحسين أوهاشم سيد إليغ تحطيم تجارة أهل بيروك المتنامية. ولكن تلاحم حلفي أيت عثمان وأيت الجمل سهل مأمورية هزيمته. وقد كان أيت براهيم من بين المنتصرين عليه بإفران معلنين بذلك تناقص تأثيره الروحي والسياسي. ندرك من هنا أنه لم يكن من باب الصدفة أن يتزايد يومها تأثير التمنارتي الذي استطاع أن يجمع حول قصبته بأگرض إگزولن مختلف المحاور الجزورلية الكبرى معيدا بذلك أمجاد سيدي محند أ ُ براهيم الشيخ. واكبت هذه المرحلة التاريخية مضاعفات التغلغل التجاري البحري الأروبي

الذي أخذ يشل الدنياميكية التجارية لمسالك الصحراء. وهو عامل جوهري في تعدد التحالفات وكثرتها بين مختلف التجزئات القبيلة على اختلاف أحجامها. وعلى الرغم من أن سوق خميس تاغجيجت قد عرف مضاعفات التدهور الذي عرفته تجارة القوافل. فإن قبيلة أيت براهيم حافظت إلى حد كبير على كثافتها الديمغرافية حتى نهاية القرن. على أن مشكل الماء الذي ازداد حدة وتطور مجاعات وأوبئة هذه الفترة قد مهدا لظاهرة الهجرة نحو الموانئ الأطلسية.

جاءت بذلك معطيات السنوات الأولى من القرن العشرين لتؤطر لمعطيات القبيلة ديمغرافيا واقتصاديا. وهنا يمكن أن نشير إلى أن الحجم الديمغرافي لأيت براهيم بالنسبة لباقي قبائل اتحادية تكنة يعد الثاني بعد قبيلة أيت أ ُسا حيث قدره الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948 بحوالي 1286 عائلة. وهو رقم استدلالي يبرز أهمية القبيلة على المستوى العملي اقتصاديا وفلاحيا. فهو يعني من بين ما يعنيه المقدرة الفعلية على استغلال أكبر قدر من الأراضي الخصبة بورية كانت أم مسقية. كما أنه يعبر عن الاستعدادات العملية لتأطيرأيت النص مادياً ومعنويا عندما يتعلق الأمر بتحديد ميزان القوى المفترضة محليا وجهويا. وهي معطيات تكشف الوجه الحقيقي للنفوذ البين لأيت براهيم وتجذرهم الاجتماعي والتاريخي. فإذا كان سوق الخميس الذي تأسس منذ أربعة قرون فقط قد عرف تدهوراً كبيراً، فإن «معروف» ودور مسجد أگدير مقورن الذي يرجع إلى زمن المرابطين على الأقل ما يزال يعرف نفس التجمعات السنوية المبرمجة. ذلك هو المسلسل التاريخي الذي أسهم في بلورة عوامل الانسجام بين تاغجيجت وأيت براهيم منذ عثمان بن مندى. فرغم مضاعفات النكسات الاقتصادية والديمغرافية حافظت هذه القبيلة على مكوناتها اللغوية والحضارية الجوهرية. ونجدها ما تزال تفرض وجودها بنفس الإصرار وبما يكفي من الحزم والجدية. إلا أن استمرارية التصادم طيلة القرنين الماضي والحاضر يحملنا على أن ننظر بعين التساؤل لعلاقة القبيلة بمستقبلها في ضوء التقلص الكبير الذي لحق النشاطات الأساسية.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. ناعمي، *الصراع من خلال بلاد تكنة*.

La Ruelle, *Les Id Brahim Du Oued Noun*, CHEAM, 1948, p. 80.

مصطفى ناعمي

البراودي، أسرة تطوانية كل ما نعلم عنها أنه كانت لها دار بحومة الترنكات سنة 1841/1257 حسب الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البربر، سبق تناول الموضوع في مادة أمازيغ. وإنما نقدم هنا بعض الإضافات والاستدراكات. ففيما يخص الكلمة، في حد ذاتها، يجب أن ننبه إلى أن لفظة بربر ظلت أزيد من اثني عشر قرناً هي الاسم التاريخي الذي أطلق على مجموع الشعوب الأمازيغية في عموم الشمال الأفريقي، كما نجد ذلك في سائر المصادر التاريخية باللغة العربية منذ ابن عبد الحكم (ت 257 / 871) إلى اليوم. ولا نجد المؤرخين يستعملون كلمة أمازيغ، مما يدل على أنها لم تكن رائجة بكثرة ولا معممة في سائر جهات أفريقيا الشمالية. وابن خلدون نفسه، المعروف بتقديره للبربر وإعجابه بهم، لم يستعملها، وكذلك عدد من الكتاب المنتمين للمناطق الأمازيغية مثل اليوسي وأبي القاسم الزياني والمختار السوسي الخ.

لكن، منذ أواسط هذا القرن، ظهر اتجاه لدى بعض المفكرين المغاربة لاستبدال كلمة بربر بكلمة أمازيغ، محتجين بأن هذا هو الاسم الذي يفضله المعنيون بالأمر في تسمية أنفسهم. وأما الاسم الآخر فهو مأخوذ عن اليونان، ثم الرومان الذين كانوا يطلقونه على الشعوب الأخرى من باب التنقيص والإهانة. وهكذا أطلقوه مثلا، على الشعوب الجرمانية والسلافية التي اكتسحت الامبراطورية الرومانية في الغرب ابتداء من القرن الرابع الميلادي للدلالة على توحشهم وبداوتهم.

لكن المؤرخ الأنتربولوجي گ. كامبس يعترض على الربط بين هذا الاسم وكلمة بربار Barbare الدالة على التوحش. فقد اعتاد الرومان أن يسموا الشعوب البربرية بأسمائها القبلية أو بأسماء أكثر شمولية مثل النوميديين والجيتوليين والمور. ولذلك، فهو يرجح أن تكون كلمة بربر محرفة عن اسم بڤار Bavares الذي يدل على اسم قبيلتين من المور عانى معهم ولاة موريتانيا الأمرين في آخر القرن الثالث الميلادي. وقد ظهر تحريف اسم بڤار إلى بربر في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة (انظر : G. Camps, *Les Berbères*, p. 86).

فالعرب حينما وصلوا بفتوحهم إلى أفريقيا الشمالية أخذوا هذا الاسم كما وجدوه مستعملا آنذاك، وميزوا بين طوائف من السكان في أفريقيا الشمالية، فذكروا الروم والأفارقة، وهم في الغالب الحضريون من بقايا القرطاجيين وغيرهم، والبربر، وهم عامة السكان في البوادي والصحارى. ولذلك، فإن كلمة بربر في النصوص العربية، قديمها وحديثها، بريئة من معنى التنقيص والازدراء، وإنما تدل عل اسم مجموعة من الشعوب لا تختلف في ذلك عن أسماء شعوب أخرى مثل الفرس والعرب واليونان الخ... وحينما كان الوطنيون المغاربة في الثلاثينات يستنكرون الظهير البربري، مرددين اللطيف في المساجد بعبارة "اللهم يا لطيف الطف بنا فيما جرت به المقادر، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر"، كانوا يشحنون الكلمة بكل معاني العطف والتضامن والتقدير.

وإذا كانت المصادر العربية القديمة ملأى بالأساطير والروايات التي قد لا يقرها النقد التاريخي عن أصول

البربر، فإنها، مع ذلك، لا تخلو من دلالة لما تشير إليه من التقارب الذي بدأ ينمو بين العرب والبربر، منذ الفتح الإسلامي. فابن خلدون، الذي يخصص جزئين ضخمين من تاريخه للبربر ينقل عن عدد من النسابين البرابرة ربط عدد من كبريات قبائلهم بأنساب عربية مثل صنهاجة وزناتة ومكلاتة الخ... كما أورد جملة من أقوال العلماء العرب في هذا الصدد مثل ابن حزم والمسعودي والطبري وابن عبد البر. وإذا اعتبرنا أن مثل هاته الروايات لا تستند إلى حجة تاريخية فاصلة، فإنها، مع ذلك، تدفع بالمؤرخ إلى السؤال: لماذا تكاثرت الروايات من هذا النوع الذي فيه إلحاح على ارتباط النسب بالعرب ؟ ولماذ لم ترد روايات أخرى مناقضة؟.

من المؤكد أن هذا راجع للتربية الإسلامية التي تغلغلت في مجتمع البربر، فجعلتهم يتعاطفون بسهولة مع العرب، قوم النبي عليه السلام. ولئن ثاروا على بعض الولاة الظالمين في آخر عهد الخلافة الأموية بالمشرق، فإنهم رحبوا بعد ذلك بإدريس بن عبد الله لما جاء يبشر بتطبيق الشريعة الإسلامية على حقيقتها، فساعدوه على تأسيس أول دولة إسلامية كان لها شأن في تاريخ المغرب.

ما هي منزلة البربر في التاريخ ؟ هنالك ما قبل التاريخ، وهنالك التاريخ. والاكتشافات الأثرية تبرهن على وجود الانسان بالمغرب منذ عهود سحيقة. وليس من السهل التأكيد بأن البربر ينحدرون من ذلك الإنسان القديم. كما أنه ليس من السهل الاتفاق على الأصول التي ينحدر منها البربر. فالمؤلفون يختلفون في آرائهم واستنتاجاتهم. هل جاءوا من الشرق ؟ هل جاءوا من الشمال أم من الجنوب ؟.

هنالك النظرية التي تريد أن تتجنب المشكل من أساسه فترى أن البربر لم يأتوا من أي جهة، بل إن أصلهم من البلاد التي يوجدون بها اليوم. ولكنها نظرية لا تصمد أمام الوقائع التاريخية. ونحن نعلم، مثلا، أن الفينيقيين أتوا من الشرق إلى الغرب، فنجد أثرهم في المغرب منذ ألف سنة قبل الميلاد، وكذلك الشأن بالنسبة للقرطاجيين، مما يدل على أن أفريقيا الشمالية لم تكن مقفلة أمام القادمين من الشرق. وحتى إذا افترضنا وجود عنصر محلي من السكان، فذلك لا يتنافى مع ورود عناصر أخرى من الخارج واختلاطها به.

وهذا ما تؤكده الأبحاث الأنتربولوجية، إذ تشير إلى ظهور رجل آخر ابتداءً من الألف الثامن قبل الميلاد يتميز عن النوع الذي وُجد قبله بعدة مميزات جسمانية، وهو ينتمي لفصيلة دعيت قريب من المتوسطي protoméditerranéen، ظهرت أولا في الشرق. مما جعل كامبس قائلا :

"إن هذا السير من الشرق إلى الغرب يدل على أنه من الضروري أن نبحث خارج حدود المغارب عن ظهور هذا الصنف البشري القريب من المتوسطي. وهنالك إجماع عام ما بين المختصين في الانتربولوجيا وعلم ما قبل التاريخ، في الوقت الراهن على أنه جاء من الشرق الأدنى" (ص 41).

بل يذهب هذا العالم المختص في الانتربولوجيا وما قبل التاريخ إلى أبعد من ذلك. إذ يبين في فقره أخرى كيف أن الضغط البشري على أفريقيا الشمالية كان ظاهرة مستمرة من الشرق وأن القريبين من المتوسطيين أصبحوا هم أساس الساكنة المغاربية، وأن الحركة التي أتت بهم من الشرق الأدنى لم تنقطع في أي وقت من الأوقات، وأن علماء التاريخ والاركيولوجيا أبرزوا، بالخصوص، "الغارات" أو "الفتوح" في حين أنها تدخل في حركة بشرية لم تنقطع (48).

كما أن الأبحاث اللسانية المعاصرة تنتهي إلى تصنيف اللغات البربرية ضمن مجموعة كبيرة تسمى الحامية ـ السامية، وتجمع بين اللغة المصرية القديمة والكوشية والسامية. بحيث إن التقارب الملحوظ داخل المجموعة الحامية ـ السامية بين البربرية والمصرية والسامية يؤكد انتماء البربر لأصل شرقي قديم. وفي هذا الصدد يقول كامبس :

"إن هذه التوازيات ليست مجرد تشابهات معجمية. بل إنها تمس بنيات اللغات ذاتها مثل نظام الفعل وتصريف الأفعال والصبغة الثلاثية للأصول" (ص 55).

من هاته الملاحظات وغيرها، يتضح أن ماورد في المصادر العربية القديمة عن أصول البربر لا يصح طرحه ونبذه بالمرة. فابن حزم وابن خلدون وغيرهما حينما تحدثوا عن قبائل البربر وأنسابها استندوا إلى نسابين من البربر. وهؤلاء بدورهم كانوا يقدمون الروايات الشفوية (أو المكتوبة) التي كانت متداولة عند القبائل. ولا يهم أن تكون تلك الروايات صحيحة أو غير صحيحة. المهم هو أنها تترجم الاعتقاد السائد لدى تلك القبائل. وهذا الشعور الجماعي كانت له أهمية قصوى على مدى التاريخ. فهو الذي يفسر التعاطف الذي حصل بين البربر والقرطاجيين في العصور القديمة، وهو الذي يفسر اليوم نجاح الاتصال والالتحام الذي حصل بين البربر والعرب في العهد الإسلامي. فقد شعر البربر أن العرب، بسلوكهم وأسلوب عيشهم، من نفس الأسرة البشرية التي ينتمون إليها. وهذا بخلاف ما حدث لهم مع الرومان أو مع الدول الاستعمارية المعاصرة التي رفضوها رفضاً باتاً.

ومهما يكن، فنحن حينما نلقي نظرة شاملة على تاريخ البربر، نجد أنهم لم يستطيعوا أن يبرزوا بروزاً قوياً في التاريخ القديم بين شعوب البحر المتوسط مثل المصريين أو الفينيقيين أو اليونان أو الرومان، بل ظلوا، في الغالب، على هامش تلك الحضارات الكبرى، لسبب بسيط وهو أن "أفريقيا الشمالية ـ حسب الأركيولوجيا وكذلك النصوص ـ لم تعرف لا وحدة سياسية ولا ثقافية، سواء في عهود ما قبل التاريخ أو العهود القريبة من التاريخ أو في العهود التاريخية" (ن. م 77).

حقا، تأسست بعض الممالك والإمارات، وبرزت شخصيات ذات وزن مثل "ماسينيسا" أو "يوغرطا"، ولكن

أفريقيا الشمالية ظلت، بالإضافة إلى انقسامها وتشتتها، تحت النفوذ المباشر أو غير المباشر لدول أخرى مثل قرطاج، ثم روما، ثم بيزنطة، بحيث لا يسجل التاريخ طوال تلك العهود القديمة بروز دولة بربرية مستقلة بلغت درجة كبيرة من السطوة والأهمية وساهمت مساهمة ملحوظة في الحضارة.

وكان الإسلام أعظم حدث في تاريخ البربر، فقد حررهم من كابوس تلك السيطرة الاستعمارية القديمة التي كانت قاسية وامتدت على قرون، ومحا ذكراها من أذهانهم بفتح صفحة جديدة في تاريخهم. صحيح أن بعض الاصطدامات وقعت وبعض الأخطاء ارتكبت أثناء عمليات الفتوح. ولكن البربر رحبوا بالدين الجديد واعتنقته طوائف كثيرة منهم. وإلا كيف نفهم الثقة التي وضعها موسى بن نصير فيهم، حين أسند إليهم مهمة فتح الأندلس وجعل على رأس جيشهم قائداً منهم هو طارق بن زياد ؟.

ثم إن الفتح الإسلامي للمغارب لم يعن سيطرة عربية ثقيلة الوطأة ولم تصحبه مشاريع استعمارية واستغلالية أضرت بالسكان. يقول "كامبس" في هذا الموضوع :

"إن ثاني حدث تاريخي أثار انقلاباً في البنية الاجتماعية في العالم الأفريقي كان هو الفتح العربي. فخلافا لرأي منتشر بأوربا وما زال يتجرجر في الكتب المدرسية، فإن هذا الفتح لم يكن محاولة استعمارية، أي مشروعاً إسكانياً (لفائدة الفاتحين). بل إنه يتراءى كسلسلة من عمليات عسكرية التقى فيها حب الغنيمة مع الروح التبشيرية". (ن. م 129). بحيث إن البربر بعد جيل واحد إثر الفتوح تمكنوا من الاستقلال عن دولة الخلافة الشرقية، ومن تأسيس عدة دول كان من الممكن أن تتراجع عن الإسلام ولما يزل طرياً في البلاد، لكنها حرصت على أن تكون دولا إسلامية باختيار منها وتبنت أشد المذاهب إمعاناً في تطبيق تعاليم الإسلام، ألا وهو المذهب الخارجي. ولئن تمكن العباسيون من المحافظة على جزء من أفريقيا الشمالية تحت سيطرتهم، فإن كلا من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى تمتع بكامل حريته وأصبح مصيره بيد أبنائه من البربر. ففي تلمسان دولة بربرية، وفي تاهرت دولة بربرية وفي سجلماسة دولة بربرية، وفي سبتة دولة بربرية، وفي تامسنا دولة بربرية،. وحتى الدولة الإدريسية نفسها يمكن اعتبارها بربرية، لأن إدريس بن عبد الله أتى وحده من المشرق لا يصحبه إلا مولاه راشد، والدولة التي أسسها قامت بفضل أوربة وغيرها من القبائل البربرية التي ذكرت في *القرطاس* وغيره من المصادر. وكذلك حدث بالنسبة للدولة الفاطمية بأفريقية التي قامت بفضل مساعدة قبيلة بربرية أخرى هي كتامة وغيرها من قبائل جبال جرجرة بشرق الجزائر الحالية.

وهذا الاستقلال التام الذي استمتع به البربر لأول مرة في تاريخهم بعد الفتح الإسلامي كان موضوع كتاب مهم لمؤرخ معروف بتخصصه في الاسلاميات وتاريخ أفريقيا الشمالية هو "جورج مارسي". وكتابه الذي صدر سنة 1946 يحمل عنوان *بلاد البربر الإسلامية والشرق في العصر الوسيط La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*. وبعد أن درس التطورات التي مرت منها المغارب منذ الفتح الإسلامي وبين كيف أن الاتجاه السياسي العام كان هو الاستقلال عن الشرق، عرض للطفرة الجديدة التي حدثت في هذا الخط التحرري، قائلا :

"إن التحرر من تلك الوصاية إثر الغارة الهلالية، ذلك هو الموضوع الذي سنتابعه في مضاعفاته طوال أربعة قرون رسمنا خطوطها منذ قليل. فلئن كان المرابطون والموحدون والحفصيون والعبد الواديون والمرينيون يعترفون بسلطة روحية للمشرق أو يظهرون لها بعض التبجيل، فإنهم لا يدينون بسلطانهم إلا لأنفسهم ولا يطيعون أحداً. على أن هؤلاء الحكام المستقلين لبلاد البربر هم من سلالة بربرية محضة، برغم النسب العربي، وأحيانا الشريفي، الذي يمنحه بعض المؤرخين المتحببين" (ص 234).

شهادة لها أهميتها لأنها صادرة عن عالم فرنسي ينتمي لتلك المدرسة الاستعمارية التي لا تُجهل حساباتها الخاصة مع العرب والبربر حينما يتعلق الأمر بأفريقيا الشمالية. ومع ذلك، فقد كان لا مفر له من الإذعان إلى الأحداث والظواهر التي لا سبيل لتجاهلها.

وعلى أي، فإننا، حين نبحث عن ألمع العصور في تاريخ البربر وأزهاها، لا نجدها في التاريخ القديم بل في التاريخ الوسيط بعد دخول الاسلام إلى البلاد. فلأول مرة في التاريخ نشأت دول بربرية قوية ومستقلة مثل الدول الزيرية والحمادية في أفريقية، والدولة المرابطية التي كانت على رأس أمبراطورية كبيرة ضمت الصحراء الكبرى والمغرب الأقصى ونصف الجزائر الحالية والأندلس. ناهيك بالدولة الموحدية، وهي الدولة الوحيدة في التاريخ التي استطاعت أن تجمع بين أطراف بلاد البربر من حدود مصر إلى المحيط الأطلنتي. ثم نجد، في خاتمة المطاف، دولا بربرية أخرى اقتسمت الارث الموحدي : بني مرين في المغرب الأقصى والزيانيين في المغرب الأدنى، والحفصيين بأفريقية. وكلها دول شهد لها التاريخ بفترة من الصعود واللمعان، ثم دخلت طور التدهور والاندثار. ودخلت البلاد في عهد جديد أثناء القرن السادس عشر وتغيرت المعطيات السياسية رأساً على عقب، وانتهى عهد الدول البربرية، دن أن يغيب البربر عن الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية.

لكن هاته الامبراطوريات والدول الكبيرة لم يقتصر حضورها التاريخي على تولى السلطة، بل أهم ما يقترن به ذكراها هو عطاؤها في ميدان العمران والحضارة والثقافة. ومازال البحث في هذا الشأن لم يستوف كل العناصر والمعطيات. ولكن ما نعرفه كاف الآن للحديث بكامل التحري واليقين عن أهمية مساهمتها.

فلدينا الهندسة المعمارية التي جلت فيها تلك الدول ولئن لم يبق لنا إلا القليل من مخلفات المرابطين ـ وهو قليل

نفيس وقيم ـ فلدينا مآثر الموحدين التي تزخر بها مراكش والرباط وسلا والأندلس وعدد من الأماكن الأخرى، إنها هندسة أصيلة تملأ العين بفخامتها ومتانتها وإتقانها وانسجام أطرافها كما يتجلى ذلك في مسجد الكتبية ومئذنتي حسان بالرباط والخيرالدا بأشبيلية. ولدينا بقايا من المصنوعات المختلفة من الخشب والخزف والجلد والنسيج تصعد بنا إلى تلك العهود البعيدة. ناهيك بالمعمار المريني من مدارس ومساجد وغيرها وما تميزت به من زخرفة على الخشب والجبس والزليج، مترسمة خطا الفن الأندلسي مع المحافظة على الطابع المغربي. مما دعا مؤرخي الفن إلى تسمية هذا الفن بالفن *الإسباني ـ المغربي* - *hispano - mauresque*.

والحضارة تتجلى، أيضاً، في إقامة عدد من المؤسسات العمومية. وفي هذا الصدد نجد لتلك الدول ذكرا، إذ ساهموا في نشر التعليم عن طريق المدارس التي ذكرنا وعن استحداث أوقاف خاصة بالتعليم كانت مشجعاً لاضطلاع بعض المساجد الكبرى كالقرويين بتنظيم تعليم دائم. وهنالك بعض المؤسسات الصحية مثل المارستانات التي كانت تستقبل المرضى بعدد من المدن.

ومن أهم ما قامت به تلك الدول البربرية هو التنمية الثقافية التي سارت بخطى حثيثة في المغرب منذ عهد المرابطين. فإليها يرجع الفضل في نشر اللغة العربية بالمغرب وتنشئة أجيال متلاحقة من العلماء والأدباء والشعراء. فالمرابطون هم الذين أقاموا الترسيل العربي الجيد في دواوينهم واختاروا لذلك أجود الكتاب الأندلسيين مثل ابن الجد وأبي بكر بن القصيرة وابن أبي الخصال. فلما جاء الموحدون ساروا قدما في نفس الطريق وأقاموا حركات علمية واسعة كما يتضح ذلك من الرجوع إلى كتاب عبد الله گنون *النبوغ المغربي* وكتابي محمد المنوني *العلوم والآداب والفنون، وورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*.

وكان التعريب يجرى بصورة طبيعية على يد تلك الدول البربرية، بدون ضغط ولا إكراه، لأنها لم تكن ترى في ذلك أي غضاضة أو أي تنكر لهويتها. بل إنها كانت تشعر يومئذ بأنها تقوم بواجب مقدس : خدمة الدين عن طريق تعليم لغة القرآن، وخدمة العلم الذي أصبحت لغته الرسمية في العالم الإسلامي هي العربية. ولم يكن أي تصادم بين الثقافات المحلية التي تختلف من جهة إلى أخرى وهذه الثقافة العربية الإسلامية المشاعة بين الجميع والتي كانت تمثل، عن جدارة واستحقاق، الثقافة الأكاديمية.

بل إن التاريخ يبرز ما هو أدعى للاعتبار من ذلك. ففي كل المناطق البربرية التي حدث فيها تحرك ثقافي كبير، ازدهرت اللغة العربية وعلومها وآدابها. نشاهد ذلك في الأطلس المتوسط عندما بزغ نجم الزاوية الدلائية فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م)، فأصبحت في وقتها أعظم مركز ثقافي في المغرب، وتخرج منها نبغاء يأتى في طليعتهم أبو علي اليوسي. ونشاهده في سوس، أيضاً، التي آوت العديد من المدارس في كل الجهات وأنجبت مئات العلماء، واحتضنت خزائن ملأى بالمخطوطات العربية. ويكفي أن نذكر أن المختار السوسي احتاج لعشرين مجلداً ضخماً ليكتب تاريخ العلم والعماء بسوس.

وهكذا، فإن التعريب بالمغرب لم يفرضه أحد على المغاربة. ولم تكن وراءه لا قوة ولا سيف ولا ضغط معنوي، وإنما حمله التطور الطبيعي عبر القرون ونماه بينهم عن رضى وطواعية.

وكان من الطبيعي أن لا يروق هذا التطور المستعمرين، حينما جاءوا إلى أفريقيا الشمالية وأن ينهجوا سياسة فرق تسد. وظنوا أنهم وجدوا الثغرة التي يمكن أن ينفذوا منها لإحداث التفرقة حينما اكتشفوا وجود سكان يتكلمون البربرية وآخرين العربية. ولأول مرة في تاريخ المغرب بدأ يقع الإلحاح على الفوارق اللغوية بصورة مريبة. فالمغاربة عاشوا قروناً جنباً إلى جنب دون أن يلمسوا في تلك الفوارق أي خطورة. لكن الاستعمار أبى إلا أن يخلق ما دُعي "السياسة البربرية".

وقد بدأ تطبيق تلك السياسة منذ سنة 1859 بالجزائر حيث صدر قانون بفصل منطقة القبائل عن القضاء الشرعي تمهيداً لإلحاقها بالمحاكم الفرنسية. واستفاد الفرنسيون من تجربتهم بالجزائر لإعطاء فعالية أكبر لسياسيتهم البربرية بالمغرب. وقد بدأت محاولاتهم منذ 1914 أي بعد سنتين على إمضاء عقد الحماية، وذلك بصدور مرسوم يعترف لقبائل العرف البربري بأن تحكم وتنظم طبق قوانينها وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطات. الشيء الذي يعني كسر الوحدة القضائية والتشريعية التي كان يعيش عليها المغاربة منذ قرون.

وقد كان المريشال ليوطي نفسه وراء هذه السياسة فهو الذي أصدر منشوراً جاء فيه :"ليس من حقنا، قبل كل شيء، أن نعلم اللغة العربية لأن اللغة العربية من عوامل الإسلام. فهي لغة القرآن. وتقضي مصلحتنا بأن يتطور البربر خارج نطاق الإسلام. أما فيما يتعلق باللغة، فيجب أن ننتقل من البربرية إلى الفرنسية".

وفي نفس الوقت كانت الجهات المسيحية تسعى لاستغلال هاته السياسة لتحويل البربر عن الاسلام. يقول "دولاسال" :"سنترك المسيحية تؤثر في النفوس البربرية كما أثرت من قبل في نفوسنا، من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية، ولكن بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعاكسها. هذا ما يسهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام في أفريقيتنا الشمالية لفائدة حضارتنا وجنسنا".

وتوجت تلك السياسة البربرية في المغرب بصدور "الظهير البربري" بتاريخ 16 مايو 1930. وهو الحدث الذي أقام الشعب المغربي وأقعده، فواجه لأول مرة بجد ومسؤولية تلك السياسة. وتجند المغاربة في كل جهة للاحتجاج عليها

ومقاومتها. وكانت منطلقا للحركة الوطنية في مرحلة التنظيم والنضال السياسي.

ولم يجن رجال الحماية من وراء سياسيتهم إلا الشوك، إذ واجههم السكان في المناطق البربرية بالاستنكار والمعارضة، وانخرطوا، هم أيضاً، في صفوف الحركة الوطنية، بحيث أفسدوا حسابات الاستعماريين، الذين برغم فشلهم ظلوا يعاندون الواقع ويواصلون تطبيق سياسيتهم. وجاءت المرحلة الأخيرة من معركة الاستقلال، فكان البربر من أول العناصر الذين ساهموا بنضالهم في سبيل تحرير البلاد سواء كمقاومين أو كجنود في جيش التحرير.

بقي أن نقول كلمة عن الثقافة البربرية التي يتحدث عنها البعض كمشكل، في حين أنها ليست بمشكل. والذي حال دون الاهتمام بها إلى حد الساعة هو أنها تراث غير مكتوب، في الغالب. وقد بدأ يهتم بعض الباحثين بجمع بعض ما تبقى منه في ذاكرات الناس. والتعريب الذي سار فيه المغرب بخطى حثيثة منذ الاستقلال لا يتنافى في شيء مع المحافظة على ذلك التراث إلى جانب التراث المكتوب باللغة العربية الدارجة. فهو تراث مغربي صميم يستحق كل عناية من جانب العلماء، لأنه سيفيد المؤرخ، والسوسيولوجي، والجغرافي، والاثنوغرافي، والأديب، والشاعر، والناقد الخ..

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، بيروت، 1964 ؛ ابن حزم، *جمهرة الأنساب*، دارالمعارف، 1962 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، بيروت، 1959 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، الرباط، 1976 ؛ *رسائل*، الدار البيضاء، 1981 ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، نشر وزارة الأنباء ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. الفاسي، *السياسة البربرية في مراكش*، القاهرة، 1952 ؛ *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ *المعسول* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، 1988 ؛ م. شفيق، *معلمة المغرب*، مادة أمازيغ ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الرباط، 1987.

E.I, 2ème éd. art. : *Berbères* ; G. Marçais, *La berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age*, Paris, 1946 ; G. Camps, *Berbères*, Ed. des Hespérides 1980 ; *Archives Berbères* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950 ; Revue *"Maghreb"*.

محمد زنيبر

بَرْبْرو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barbaro، إلا أنها انقرضت بتطوان سنة 1786/1200 ولم يبق بالمدينة ما يذكّر بوجودها سوى قبر سيدي أحمد البربرو الذي يوجد بدار تقع في زنقة الصفصافة بحومة العيون، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

بَرْبْرو، محمد، جندي كان تابعا لحامية تطوان سنة 1830/1246.

بَرْبْرُو، محمد عدل كان ممن شهدوا ضد باشا تطوان سابقا عبدالكريم ابن زاكور في تصرفه الغير المشروع في أموال الأحباس، بمقتضى رسم عدلي مؤرخ في فاتح صفر 1767/1180، كما كان من بين أفراد هذه الأسرة :

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 261، 8 : 216 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

البَرْبْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berbera، وهو كذلك اسم قرية بمقاطعة غرناطة، ومن المعروفين من بين أفراد هذه الأسرة :

البربري، عبدالقادر بن أحمد في عداد فقهاء المدينة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1733/1145. وهي غير أسرة البريبري.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البربوشي (أسرة ـ) ← **البرابيش**

البربوشي، أحمد بن البشير الرحماني باشا تزنيت. ولد حوالي 1293 / 1876 ودرس في زاوية النعيمي، لكنه كان ميالا إلى الفروسية فانخرط صغيراً في جيش المخزن وظهرت نجابته الحربية فرقي إلى قائد مائة، وبعد فرض الحماية على المغرب ظل يعمل في صفوف الجيش الفرنسي وشارك فيما يسمى بعمليات "التهدئة"، يقال إنه خاض نحو ثلاثمائة معركة أبدى خلالها شجاعة فائقة.

وفي سنة 1340 / 1921 عين باشا بمدينة تزنيت وظل مدة طويلة معدوداً من كبار قواد الجنوب. لم نقف على تاريخ وفاته.

J. et M. Gouvion, *Aayan al-Maghreb al-Akça*, 440 - 444.

محمد حجي

البربوشي، البشير بن عبد الحي الصحراوي. كان علامة فاضلا صوفيا، أخذ الطريقة الكنتية عن الشيخ المختار الخليفة بن محمد بن المختار، وأخذ عنه إذن الدعوات والأذكار. توفي المترحم بمراكش في حدود عام 1290 / 1873 ودفن بروضة الإمام السهيلي.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 3 : 77.

عبد الرزاق الصديقي

البربوشي، العربي (الحاج ـ) بن رحال بن علال الطلوحي الجعفري الزيني المراكشي. ولد بالرحامنة عام 1847/1264. وتلقى القرآن ومبادئ اللغة على الفقيه السيد البشير الصحراوي بحربيل. ثم رحل لمصر حيث أتم دراسته بجامع الأزهر، كما درس بالقدس والأردن. وفي أيام السلطان مولاي الحسن الأول استدعاه ليعلم أبناءه : مولاي أحمد، ومولاي الطاهر ومولاي بوبكر ومولاي حفيظ ومولاي جعفر ولالا فاطمة بمدرسة احمر بزيمة، وكانت هذه المدرسة تضم نخبة من العلماء، كالفقيه السيد عبدالقادر بن قاسم الدكالي. ثم انتقل إلى الدار البيضاء بطلب من بعض طلبة العلم.

وفي أيام السلطان المولى عبد الحفيظ ذهب إليه المدني الأگلاوي طالبا منه باسم السلطان العودة إلى مراكش، فاستجاب لهذا الطلب وعُيِّن قاضيا على الرحامنة وزمران والسراغنة، وعيّن هو نُواباً عنه في كل جهة من هذه الجهات الثلاث، وأناب على منطقة تامصلوحت ابنه محمداً.

كما تولى القضاء في جهات أخرى كفاس والصويرة والبيضاء ومولاي بوشعيب بالجديدة. وقضى جل أوقاته في حلقات الدرس بجامع ابن يوسف زهاء ستين سنة، مثابرا على الدرس، لا يعرف الملل ولا السآمة، حتى إنه كان يختم مختصر *خليل* في أربعة أعوام. ومن شيوخه المغاربة : الحاج البشير البربوشي نزيل تركرت غربي مراكش على شاطئ نهر تانسيفت ؛ ومحمد ابن عبد الرحمان السريفي نزيل مدشر ابن مرقى ؛ وأحمد بن مبارك الجرناوي. وفي عام 1868/1285 رحل لفاس وقرأ بها على عبدالله بناني المدعو فرعون، ومحمد گنون، ومحمد بن عبدالرحمان العلوي، وأحمد بناني كلا، وغيرهم وأجازه جمع من أعيانهم.

ومن آثاره : *تهذيب البيان والجمع، في الفرق بين خطاب التكليف والوضع*. وبأوله تقريظ لعبدالله العياشي بن إبراهيم بن محمد بن زيدان المراكشي في فاتح شعبان 1909/1327.

توفي عام 1935/1354. ورثاه شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 137-152 ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 119 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

البربوشي، محمد المعطي بن محمد الرحماني المراكشي، كان فقيهاً مشاركاً، درس بمراكش على علمائها كالفقيه السباعي، ولازم تدريس مختصر *خليل* و*ألفية ابن مالك* بجامع أبي العباس السبتي سنين عدة، وانتفع بعلمه طلبة كثيرون منهم الفقيه حمّ الضرير، وله *تأليف في التوحيد*.

توفي يوم الخميس سادس عشر محرم عام 1331 / 1913.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*. 7 : 181.

عبد الرزاق الصديقي

بربيس، جنس سمك من فصيلة الشبوطيات Cyprinidae. يسمى علميا Barbus ويعرف في الشرق بالبني نسبة إلى Barbus Binni الشائع في نهر النيل. يعرف في المغرب تحت اسم «الباربو» وهو مأخوذ من الفرنسية Barbeau.

يتميز البربيس عن باقي أجناس الفصيلة بأربع زوائد لحمية طويلة على شفتيه وبفم مفتوح أسفل رأسه. زعانفه الظهرية والشرجية قصيرتان ولونه أصفر بني لامع. الحراشف كبيرة وواضحة. يتراوح طوله ما بين 25 و 50 سم، ويصل وزنه إلى كلغ واحد.

يعد البربيس من الأسماك الشائعة في جميع الأنهار المغربية المرتفعة الحرارة. يعيش وسط مجموعات صغيرة وسط المياه الصافية السريعة المجرى. يختفي نهارا تحت الأحجار قرب الشلالات ويخرج ليلا ليأكل القواقع والقشريات الصغيرة والحشرات وبيض الأسماك وأحيانا النباتات. تأكل الكبار منه أحيانا الأسماك الصغيرة.

تتوجه المجموعات في فصل الربيع نحو أعالي الأنهار لتضع البيض على الصخور والحصى ويتم التلقيح، يتراوح عدد البيض حسب الأنواع من 3.000 إلى 32.000 بيضة مصفرة اللون تلتصق بالأحجار وتفرخ بعد أسبوعين أو ثلاثة. يصير الصغير بالغا بعد أربع أو خمس سنوات.

يتكون لحمه من عدة شويكات ويصير لذيذا عند الكبر. يسهل صيده بالصنارة في الصباح الباكر وفي المساء.

أغلب الأنهار المغربية ينقص ماؤها كثيرا في فصل الصيف وتتعدى حرارة مياهها 30 درجة مما يفسر وجود البربيس وحده فيها من بين الأسماك الأخرى وذلك لتحمله ارتفاع الحرارة.

تعيش في مياه المغرب ثمانية أنواع من جنس Barbus و ثلاثة أو أربعة أنواع من جنس Labeobarbus تعيش في الأنهار التي تصب في المحيط الأطلنتي.

من بين الأنواع الشائعة في نهر سبو وبو رقراق وأم الربيع وتانسيفت وسوس وماسة وفي بعض البحيرات والسدود نذكر Barbus callensis و B. L. fritschi و B. L. paytoni و B. L. reini.

J. Pellegrin, *Les poissons des eaux douces* ; C. Almaca, *Sur Les barbeaux (genre et sous-genre Barbus) de l'Afrique du Nord. Bull. Mus. Nat. Hist. Nat.* 2e série,42, 1 :141-158, 1970 ; P. Berrebi, *Contribution à l'étude du sous genre Labeobarbus (Genre Barbus, Poisson Cyprinides) Bul. Inst. Sci*, Rabat, nº 5 : 59-7.

محمد رمضاني

بربيش، أسرة جعلها بوجندار ضمن الأسر الأندلسية في تقسيمه لأهالي الرباط في كتابه *مقدمة الفتح*. ومن الراجح أنها هاجرت من الأندلس أثناء الجلاء الأخير بعد قرار فيليب الثالث سنة 1609، كمثيلاتها من الأسر المهاجرة، مثل مورينو وبرگاش وبريس الخ.

لكن لا يوجد في كتب الحوليات ولا عند النسابين والمؤرخين ذكر لهذه الأسرة عدا ما جاء عند *الضعيف* من أن

قائداً يدعى بوجيدة بربيش توفي سنة 1130. وحتى هذا الشخص لم يشر المؤرخ إلى المنطقة التي كان قائداً فيها، ومن خلال سياق كلامه يفهم أنه مات بوباء ذهب ضحيته أيضا القائد أحمد بن حدو والوزير الشاعر أحمد اليحمدي. ولا يمكن التعرف على مدى قرابة بوجيدة بربيش من أسرة بربيش الرباطية.

وعلى كل حال فإنما برز من هذه الأسرة من يستحق الذكر بعد القرن التاسع عشر حسب مصادرنا.

بربيش، محمد بن عبدالله، من علماء الرباط الذين كانت لهم دراية واسعة بالنحو واللغة حتى قيل عنه «سيبويه عصره وشيخ النحاة في مصره». وكان له كامل الإلمام *بالأجرومية وألفية* ابن مالك *وكافية* ابن الحاجب. قال فيه القاضي محمد الرندة :"ما رأيت أعرف منه بالتوجيهات النحوية ومذاهبها، بل والمذاهب الشاذة وما فيها من الخلاف القائم بين أصحابها. وكان يلقي دروسه بمسجد الجزاء، كما كان منزله مأوى للطلبة والمتعلمين. وممن تخرج على يده أحمد بن إبراهيم وعبدالسلام الزيادي الخ".

مات عزبا يوم الأربعاء 24 ذي القعدة 1898/1316، ودفن بمقبرة لعلو بضريح سيدي حسن المسكيني.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أحمد العماري، 96 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 220 ؛ *مقدمة الفتح*، 194 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 102 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 258.

عبدالاله الفاسي

بربيش، المكي بن أحمد الرباطي، أستاذ مجود عارف بالقراءات السبع أخذها عن الشيخين الأستاذين عبد السلام ملين ومحمد المهدي متجينوش وأجازه هذا الأخير، كما درس *الشاطبية* بشرح ابن القاصح في علوم القرآن على الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي.

اشتغل المكي بربيش طوال حياته مدرراً يعلم الصبيان القرآن الكريم، ويدرس للكبار متون علم القراءات، كما كان من بين الأساتذة الذين يقرؤون الحزب بالروايات السبع في الزاوية الرحمانية بعد صلاة العصر إلى أن أدركته الوفاة بمسقط رأسه في عاشر شوال عام 1373 / 12 يونيه 1954.

ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 463 ـ 464.

محمد حجي

بربيش، قرية من القرى المندثرة بسبب الاحتلال البرتغالي لسبتة ولوجودها داخل النطاق المحتل. ففي ديسمبر سنة 1415 أعلن من سبتة عن هجرة سكان القرية بعيدا إلى الجبال الداخلية. فقرية بربيش من القرى الوادية، حسب تعبير الأنصاري، متصلة بتل مرتفع، اعتاد مجاهدو جزولة، المرابطون حول المدينة، اتخاذه طالعا لمراقبة تحركات حامية سبتة. ويعرف هذا التل لدى البرتغاليين بجبل جزولة. ويقع المدشر في الزاوية الجنوبية الغربية من جبل غمارة (ظهر سبتة).

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*, t. I, chp. 47, p. 186,187,189, t : II, p. 95.

حسن الفگيگي

بَرْبِيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berbel، وقد انقرضت بتطوان سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

بَرْبِيلَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعل الاسم محرّف عن كلمة مربيبا Marbella على غرار التحريف الذي وقع لاسم مالضوناضو Maldonado الذي أصبح يكتب بلضوناضو، وعلى كل حال فإن أسرة بربيلية انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي قضى على عدد كبير من سكان المدينة سنة 1677/1088.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرتغال في المغرب، (818 ـ 1183 / 1415 ـ 1769) اختلف المؤرخون البرتغاليون المحدثون اختلافا كبيرا حول السبب الرئيسي لغزو سبتة والدخول فيما عبر عنه "بالمغامرة المغربية". ودون الخوض في مناقشة مختلف الآراء، يمكن القول إن غزو المغرب مر بمرحلتين متميزتين تختلفان من الناحية الزمانية والجغرافية ومن ناحية الأسباب والدوافع والوسائل المسخرة لها، وكذا الغايات المتوخاة منها.

ففي مرحلة أولى تخص القسم الشمالي من سواحل المغرب، سيطرت الدوافع الإستراتيجية سيطرة مطلقة (حماية أمن البرتغال وضمان سلامة ملاحته والقضاء على الجهاد البحري والحيلولة دون سقوط تلك الثغور في أيدي العثمانيين الخ.) ولتحقيق هذه الأهداف كان الغزو والاحتلال غاية في حد ذاته، استعملت فيه الأساطيل ووسائل عسكرية ضخمة كان الملوك والأمراء وكبارالنبلاء على رأسها. وقد تمت هذه المرحلة خلال القرن الخامس عشر إذ دخلت جيوش يوحنا الأول سبتة يوم 21 غشت 1415، بينما احتل القصر الصغير يوم 23 أكتوبر 1458. وتمكن ألفونصو الخامس من دخول أصيلا يوم 24 غشت 1471 بينما استسلمت طنجة دون حرب بعد ذلك بخمسة أيام، وذلك بعد أن افشلت ثلاث محاولات عسكرية برتغالية سابقة (1437، 1463، 1464). وهكذا يبدو أن الغزو في هذا القسم من المغرب لم يكن شاملا ولو للسواحل التي بقيت بها بعض المدن حرة كتطوان والعرائش. كما امتاز الغزو بانعدام الاستمرارية والتعثر إذ بين تاريخ احتلال ثغر وآخر مدد تفوق العقدين. ورغم ضعف المرينيين والوطاسيين فقد مني البرتغاليون في هذا القسم من المغرب بهزائم كبرى : فاجعة طنجة سنة 1437، فشل الهجومين على طنجة (1463 ـ 1464) والهزيمة بجزيرة المليحة قرب القصر الكبير (1489) (*دكالة*، 161).

أما المرحلة الثانية فتهم السهول الممتدة جنوب أبي

رقراق. وتختلف عن الأولى اختلافا كبيرا. (على الأقل على مستوى تصور الإدارة المركزية البرتغالية).

فقد سيطرت العوامل التجارية سيطرة مطلقة نظرا لخصوبة أراضي هذه الربوع وكثرة إنتاجها لمواد زراعية وحيوانية كان البرتغال في أمس الحاجة إليها. ففضلا عن الحبوب التي كان البرتغال يحتاج إليها لسد حاجته الخاصة وحاجة حاميات الثغور الشمالية (2000 طن/سنة) وكذا لعرضه بمركز أرگان (Arguin) (بالساحل الموريطاني الحالي) أصبحت تلك السهول تكتسي بالنسبة لملك البرتغال، الذي كان أكبر تجار بلاده، أهمية قصوى لتوفرها كذلك على الخيول والأنسجة الصوفية والنحاس، الخ. وقد كان البرتغاليون يبادلون سود غرب افريقيا بتلك السلع المغربية ـ وخصوصا منها الأنسجة الصوفية ـ مقابل التبر والعبيد. وبذلك تزايدت مكانة أسفي وأزمور وأگدير لدى البرتغاليين الذين أوكلوا لكل واحدة منها دوراً تجارياً معيناً. وقد انعكست هذه الأهمية التجارية على الوسائل المستعملة للتحكم في تلك الثغور. فقد اعتمد البرتغاليون هنا على الدبلوماسية وإشراك الحكام والأعيان في الربح لدفعهم إلى الاعتراف بالسلطة البرتغالية وإدخال مدنهم تحت حماية التاج البرتغالي.

وقد نجح البرتغاليون في تحقيق هذه السياسة بأسفي (قبل 1481) وأزمور (1486) وماسة (1497). إلا أن هذه الحقبة لم تطل لتضارب مصالح التجار والعسكريين البرتغاليين، وللمقاومة العنيفة التي واجه بها سكان المدن التغلغل المسيحي. وبذلك اضطر البرتغاليون إلى الانتقال إلى مرحلة الاحتلال الفعلي ابتداء من مطلع القرن السادس عشر : أگدير (1505) امگدول (1506) أسفي (1508) أزمور (1513) ومازيغن (1514). وقد انعكس الغزو على الثغور وظهيرها. فقد قلص البرتغاليون من رقعة المدن المحتلة ـ التي هجرها سكانها المغاربة ـ وأحاطوها بأسوار سميكة من الحجر وبخنادق مائية. وزيادة في الحيطة شيدوا داخلها قصبات منيعة. وقد استغل البرتغاليون ضعف السلطة المركزية وتناحر القبائل ومساعدة بعض الشيوخ كيحيى ابن تعفوفت بدكالة، ومالك بن داود بالسوس الخ، لانتهاج سياسة الأرض المحروقة والقيام بغارات خاطفة استهدفت المغاربة وأنعامهم. وقد وصلت تلك الغارات ألى نقط بعيدة عن الساحل كشرق مراكش وضواحي الرباط (بالنسبة لحامية أزمور) وجبل الحبيب ووزان الحالية (بالنسبة لحامية أصيلا).

نتج عن هذه الغارات خسائر بشرية فادحة، إذ بلغ عدد الأسرى ـ دون الإشارة للقتلى ـ أكثر من 5000 بجبل بني گرفط وحده. واعتمادا على مصدرين إخباريين برتغاليين يغطيان الفترة الممتدة من 1494 إلى 1550 أحصينا حوالي عشرة آلاف أسير مغربي، مع أن المصدرين لم يذكرا عدد الأسرى إلا بالنسبة لـ 72 غارة من مجموع 186.

وبالطبع لم تتأخر ردود الفعل المغربية. فقد سارع الأولياء والفقهاء وبعض شيوخ القبائل إلى تأطير الجهاد والحث عليه (ابن عسكر، *الدوحة*) وذلك قبل أن يضطر الوطاسيون، خصوصا في عهد محمد البرتغالي إلى التحرك وزعزعة المكتسبات البرتغالية بالهبط والمعمورة (حررها الناصر الوطاسي سنة احتلالها 1515) وبدكالة. غير أن الضربة القاضية جاءت البرتغاليين على يد ابني القائم بأمر الله السعدي وخصوصا على يد ابنه الأصغر محمد الشيخ الذي انتزع منهم اعتمادا على مدفعيته وجيشه المدرب على تقنيات الحرب الحديثة أگدير في ربيع 1541. وخوفا من هزيمة جديدة أخلى البرتغاليون أسفي وأزمور 1541، وبعد دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس 1549 أخلوا من جديد أصيلا والقصر الصغير 1550. وبذلك انحصر الوجود البرتغالي في طنجة وسبتة ومازيغن. وقد حاول دون سبستيان الهجوم من جديد على المغرب إلا أن حملته انتهت في معركة وادي المخازن بالمصير المعروف 1578 حيث امّحت الدولة البرتغالية من الخريطة السياسية وأصبحت هي ومستعمراتها تحت سيطرة التاج الإسباني أزيد من ستين سنة. وقد تحررت طنجة على يد المولى إسماعيل سنة 1684، ومازيغن على يد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1769، وما تزال سبتة في الأسر بعد ان انتقلت إلى أيدي الإسبان سنة 1640.

أ. بوشرب، *دكالة*.

R. Ricard (Traducteur), *Les Portugais au Maroc*... Rabat 1937 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, Paris 1940, T. XIV N 39, 1939 ; *S.I.H.M.*, 1ère série, *Portugal*, 5 Vol.

أحمد بوشرب

البرتغال والمغرب، (العلاقات السياسية) لا شك في أن أول اتفاقية أبرمها المغرب مع البرتغال كانت في الوقت الذي لم تكن هذه الدولة قد استكملت كيانها، وإنما كانت مجرد إمارة صغيرة على رأسها الأمير الفونصو انريكيث Alfonso Enriquez الذي وقع مع السلطان يوسف بن عبد المومن على اتفاقية هدنة لمدة خمس سنوات أبرمت بأشبيلية في شهر ربيع الأول عام 569 / أكتوبر 1173.

ومرت عشرات السنين دون أن تكون هناك أية علاقة سياسية بين المغرب والبرتغال بسبب الحروب التي كانت بينهما بدليل أن السلطان المذكور مات من جراء الجروح التي أصابته أثناء معركة شنترين التي جرت بأرض البرتغال سنة 580 / 1184. وكان الفاتيكان يعلق على البرتغال آمالا كبيرة في أن تكون الدولة المسيحية التي تتزعم الحملة الصليبية ضد المغرب، حيث نجد البابا گريگوريو التاسع يصدر يوم 20 أكتوبر 1232 صكاً يأمر فيه الأمير البرتغالي سانشو الثاني Sancho II بأن يتابع الحرب ضد المسلمين بأرض الأندلس والمغرب.

ويقول ابن مرزوق في *المسند* إن السلطان أبا الحسن المريني فقد المصحف العثماني في معركة طريف المعروفة عند الإسبانيين والبرتغاليين بمعركة وادي الملح Rio Salado التي جرت يوم 8 جمادى الأولى عام 741 / 30 أكتوبر 1340،

هذه المعركة التي شارك فيها الملك البرتغالي الفونصو الرابع Alfonso IV بجانب ملك قشتالة الفونصو الحادي عشر Alfonso XI ويبدو أن الجنود البرتغاليين هم الذين استولوا على المصحف الكريم الذي من أجل استرجاعه بعث السلطان المريني إلى لشبونة التاجر الحسن بن جمي الزموري فاستطاع أن يفدى المصحف سنة 745 / 1344 "بآلاف من الذهب".

ويقول النميري في *فيض العباب* إنه على إثر الهجوم الذي قام به الأسطول المغربي على ميناء لاگوش Lagos البرتغالي سنة 756 / 1355 بعث الأمير البرتغالي الفونصو الرابع Alfonso IV سفارة إلى السلطان أبي عنان المريني في شهر شوال عام 757 / أكتوبر 1356، لا شك أن الغرض منها كان هو افتداء البرتغاليين الذين أسرهم المغاربة بالميناء المذكور.

وفي سنة 787 / 1385 استكملت البرتغال وحدتها الترابية على إثر انتصار الأمير خوان الأول Juan I على ملك قشتالة خوان الثاني Juan II في معركة الخوبروطا Aljubarrota التي جرت يوم 7 رجب 787 / 14 غشت 1385 حيث اعترف ملك قشتالة بالأمير خوان الأول كملك لدولة البرتغال المستقلة.

وفي تلك الأثناء كان السلطان محمد بن عبد العزيز المريني قد تخلى عن آخر معقل مغربي بالأندلس وهو مدينة جبل طارق التي انسحبت منها القوات المغربية سنة 776 / 1374، الشيء الذي جعل البرتغاليين يفكرون في الاستيلاء على مدينة سبتة، فتم لهم ذلك يوم 14 جمادى الثانية 818 / 12 غشت 1415.

وفي سنة 841 / 1437 قام الملك البرتغالي دوارطي الأول Duarte I بأول محاولة من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة، غير أن الجيش البرتغالي عندما كان يحاصر المدينة المذكورة وجد نفسه مطوقاً من طرف القوات المغربية فاضطر الأمير البرتغالي دون أنريكي Don Enrique إلى التفاوض مع القائد المغربي صالح بن صالح العزفي على أساس أن يسمح للقوات البرتغالية بالانسحاب من أرض المغرب مقابل إرجاع مدينة سبتة لحظيرة الوطن، (معاهدة 15 ربيع الثاني 841 / 16 أكتوبر 1437) وبقي الأمير البرتغالي دون فيرناندو Don Fernando رهينة عند المغاربة إلى أن يتم تسليم مدينة سبتة.

وفي 5 يناير 1443 أصدر البابا أوخينيو الرابع Eugenio IV صكاً يخول ملك البرتغال الفونصو الخامس "حق" احتلال الأراضي المغربية الممتدة من مدينة سبتة إلى الرأس الأبيض بالمحيط الأطلنتي. ومن المعلوم أن هذا "الحق" تم إقراره بمقتضى الصك الذي أصدره البابا نيكولاس الخامس Nicolas V يوم 8 يناير 1455، والصك الذي أصدره البابا كاليكسطو الثالث Calixto III يوم 13 مارس 1456.

وفي يوم 23 أكتوبر 1458 تمكن الأسطول البرتغالي بقيادة الملك الفونصو الخامس من احتلال مدينة القصر الصغير. ثم احتل البرتغاليون مدينتي أصيلا وطنجة يومي 24 و28 غشت فاضطر الأمير محمد الشيخ الوطاسي الذي كان يطالب بعرش المغرب إلى مهادنة البرتغال ليتمكن من متابعة حصار عاصمة فاس، فأبرم مع الفونصو الخامس معاهدة هدنة لمدة عشرين سنة تم توقيعها على ضفة وادي الحلو قرب أصيلا يوم 12 ربيع الأول 876 / 29 غشت 1471، ووقع محمد الشيخ أيضاً اتفاقاً سرياً مع ملك قشتالة فيرناندو الكاثوليكي Fernando el Catolico لإقامة حصار مشترك مغربي قشتالي على مدينة سبتة سنة 881 / 1476.

وفي سنة 884 / 1479 احتد النزاع القائم بين البرتغال وقشتالة حول المغرب لدرجة أن البابا سيكسطو الرابع Sixto IV اضطر إلى التدخل وفرض على الدولتين الدخول في مفاوضات تحت إشرافه، انتهت بالتوقيع على معاهدة الكاثوباس Alcaçobas ليوم 4 سبتمبر 1479 التي اعترف فيها ملك البرتغال بحق قشتالة في احتلال الجزر الخالدات كما اعترف ملك قشتالة بحق البرتغال في احتلال المغرب، وأقر البابا هذه المعاهدة بصك أصدره يوم 9 يونيو 1481.

وفي رابع فبراير 1489 قام الأسطول البرتغالي باحتلال جزيرة المليحة La Graciosa الواقعة داخل وادي لكوس، غير أن الحامية التي تمكنت من السطو على الجزيرة لم تستطع الصمود في وجه المغاربة الذين حاصروها، فاضطر قائدها إلى التفاوض مع السلطان محمد الشيخ لكي يُسمح له بمغادرة الجزيرة وأسفرت المفاوضات عن إبرام معاهدة هدنة لمدة عشر سنوات تم التوقيع عليها بشمس Lexus يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489.

وعندما تمكنت قشتالة من القضاء على مملكة غرناطة المسلمة سنة 897 / 1492 بدأت الملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica تطالب بـ"حقها" في الشاطئ المغربي الموالي للجزر الخالدات، ضاربة بالمعاهدة المبرمة مع البرتغال سنة 884 / 1479 عرض الحائط، وتدخل البابا من جديد وأمر بإجراء مفاوضات انتهت بالتوقيع على معاهدة طورديسياس Tordesillas يوم 3 رمضان 899 / 7 يونيو 1494 التي اعترفت بمقتضاها البرتغال بـ"حق" قتشالة في احتلال مدينتي مليلية وفساسة.

وفي سنة 910 / 1505 اعتلى عرش المغرب محمد البرتغالي ابن السلطان محمد الشيخ الوطاسي، وفي أيامه قام البرتغاليون باحتلال عدة ثغور في جنوب المغرب، منها فونتي بالقرب من أگادير والقلعة الملكية Castella Réal وحصن گوز، ومدينة أسفي (6 يوليوز 1508).

ولما احتل الإسبان جزيرة بادس والحصن المجاور لها يوم 24 ربيع الأول عام 914 / 23 يوليوز 1508. عملاً بوصية إيسابيل الكاثوليكية بمتابعة غزو المغرب، طالب ملك البرتغال مانويل الأول Manuel I بأن تسلم له جزيرة بادس لأنها من "حقه" فتدخل البابا من جديد وأبرمت معاهدة ثالثة بخصوص المغرب في مدينة ثينطرا Cintra يوم 18 سبتمبر 1509.

وتابع البرتغاليون غزو الشواطئ المغربية فاحتلوا مدينة

أزمور (3 شتنبر 1513) وحصن البريجة ـ مازيغن ـ (يونيه 1514) وقصبة المعمورة (المهدية) على مصب واد سبو (24 يونيه 1515) لكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بها إلا بضعة أسابيع خرجوا بعدها مدحورين متكبدين خسائر فادحة. وفي هذه الأثناء كانت تجري مكاتبات بين ملك البرتغال وأمير مراكش ناصر الهنتاتي قصد إقامة علاقات تجارية بينهما، لكن لم يتم شيء من ذلك بسبب سقوط مدينة مراكش في يد الأمير السعدي أحمد الأعرج.

وبالرغم عما عرف به الملك الوطاسي محمد البرتغالي من حركات جهادية متتالية ضد الثغور المحتلة وخاصة أصيلا، فإننا نجده يوجه إلى ملك البرتغال مانويل الأول رسالتين بتاريخ 23 جمادى الأولى 920 / 16 يوليوز 1514 و28 ذي القعدة / 14 يناير 1515 يطلب منه ألا يعترض الأسطول البرتغالي طريق السفن المغربية المتوجهة إلى الجزائر وتونس.

وتحسنت العلاقات بعد ذلك بين البرتغاليين والوطاسيين حكام فاس لكن الشرفاء السعديين ما لبثوا أن قضوا على هؤلاء وأولئك.

وعن علاقات البرتغاليين بالشرفاء السعديين في الطور الأول لتأسيس إمارتهم، فقد غلب طابع الحرب والقتال، لكن هناك اتصالات ذات طابع سلمي في فترات محدودة ولدواع ظرفية قصيرة. فقد بعث حاكم أسفي القبطان البرتغالي كونثالو مينديث Conzalo Mendez في شوال929/ سبتمبر 1523 مبعوثه بيدرو ماشادو Pedro Machado للتفاوض مع أحمد الأعرج بمراكش من أجل إبرام اتفاقية هدنة لم نعرف عنها شيئا، ولو أن هناك من يقول إنه تم التوقيع على هدنة لمدة ثلاثة أشهر، في حين أن الهدنة المحققة هي التي أبرمت سنة 931 / 1524 لمدة ثلاث سنوات بين حاكم فونتي أنطونيو لايْطاو Antonio Laitao والأمير محمد الشيخ السعدي.

وتبودلت مراسلات بشأن الأوضاع العسكرية ببلاد عبدة بين الأمير أحمد الأعرج صاحب مراكش والملك البرتغالي خوان الثالث، ووقعت اتفاقيات أخرى قصيرة المدى بين هذا الأمير وأخيه محمد الشيخ المهدي مع حكام الثغور المحتلة أو مع مبعوثي الملك البرتغالي. لكن الحرب لم تضع أوزارها إلا بعد معركة وادي المخازن.

ومن المعلوم أن محمداً المتوكل السعدي عندما خلعه عمه عبد الملك وفقد الأمل في استرجاع عرشه لأن النصر كان حليفاً لعمه في جميع المعارك التي جرت بينهما استنجد المتوكل حينئذ بملك البرتغال دون سيباستيان Don Sebastian الذي استجاب لطلبه لحاجة في نفس يعقوب وهي تحقيق حلم كان يراوده منذ أن اعتلى عرش بلاده، وهو احتلال المغرب وضمه إلى إمبراطوريته. وأراد أن يُشرك خاله ملك قشتالة فيليب الثاني Felipe II فقابله بمدينة گوادالوبي يوم 24 نوفمبر 1576 وكانت النتيجة أن رفض العاهل القشتالي عرض ابن أخته ونصحه بعدم الإقدام على غزو المغرب. لكن سيباستيان لم ينتصح وبقي مصراً على تنفيذ فكرته. وبعد استعدادات هائلة نزلت القوات البرتغالية ومن انضاف إليها من المرتزقة الأوربيين الصليبيين بقيادة الملك سيباستيان في مدينة أصيلا التي سلمها المتوكل المخلوع للبرتغاليين.

وبعد أن جرت معركة تامذا المعروفة بمعركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578 حيث استشهد الملك عبد الملك، ولقي حتفه الملك سيباستيان ومات غريقا السلطان المخلوع، عندئذ حاول الملك البرتغالي الجديد الكاردنال دون إنريكي Don Enrique الحصول على جثة سيباستيان. لكن السلطان أحمد المنصور الذهبي فضل تسليم الجثة إلى الملك الإسباني فيليب الثاني حسب ما جاء في الرسالة التي وجهها إليه يوم ثاني رمضان 986 / 2 نوفمبر 1578، وقد تم تسليم الجثة إلى حاكم سبتة يوم 4 شوال / 4 ديسمبر.

وفي شهر جمادى الأولى 987 / يوليوز 1579 وصل إلى مراكش السفير البرتغالي فرانثيسكو دا كوستا Francisco da Costa من أجل التفاوض في أمر إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين بمعركة تامذا.

وعند وفاة الكاردنال إنريكي يوم 31 يناير 1580 تمكن ملك إسبانيا فيليب الثاني من احتلال البرتغال، وعندئذ أصبحت العلاقات المغربية ـ البرتغالية متناسقة مع العلاقات المغربية ـ الإسبانية إلى غاية سنة 1640.

خلال هذه المدة كان ملك إسبانيا يضغط على أحمد المنصور باستغلال وجود كل من الأمير الشيخ ابن المتوكل وعمه الناصر بن عبد الله الغالب الملتجئين إلى البرتغال ثم إلى إسبانيا بعد معركة وادي المخازن، فصار فيليب الثاني يستعملهما كمطالبين بعرش المغرب. وفي المقابل لعب أحمد المنصور ورقة مساعدة الأمير البرتغالي دون أنطونيو Don Antonio المطالب بعرش جده مانويل الأول Manuel I بمساعدة ملكة انگلترا إليزابيط الثانية.

تبودلت رسائل بين المنصور وإليزابيط ودون أنطونيو، وتنقل السفراء بين مراكش ولندرة. وفي شهر ديسمبر سنة 1588 حل بمراكش الأمير دون كريطوبال Don Cristophal ابن الأمير دون أنطونيو ليظل رهينة بالمغرب. ويبدو أنه عندما كان بالمغرب السفير البريطاني برين إدوار Prynne Edwerd في شهر فبراير 1589 وقع الاتفاق على أن الأسطول المغربي سيشارك في الهجوم الذي سيشنه الأسطول البريطاني على عاصمة لشبونة لمساعدة الأمير دون أنطونيو على استرجاع عرش أسلافه، وقد قام الأسطول البريطاني بحملته الفاشلة على لشبونة في شهر يونيو من نفس السنة دون مشاركة الأسطول المغربي لأسباب غير واضحة. ولعل عدم المشاركة المغربية في الهجوم على لشبونة هو الذي حمل العاهل الإسباني على تسليم مدينة أصيلا إلى المنصور في يوم 3 ذي القعدة 997 / 13 سبتمبر 1589.

ثم تحسنت علاقات حاكم البريجة البرتغالي خورخي ماسكارنهاس Jorge Mascarenhas بالسلطان زيدان ابن

أحمد المنصور، وحل بأسفي في 13 يناير 1619 مبعوث هذا الحاكم للتفاوض في أمر إطلاق سراح بعض الأسرى البرتغاليين.

وتقول المصادر البرتغالية إنه في يوم 25 يوليوز 1624 تقابل الملك زيدان مع حاكم البريجة ـ مازيغن ـ گونثالو كوطينيو Gonzalo Coutiño بضواحي المدينة، ويجهل فحوى المحادثات التي جرت بينهما. وتوالت الاتصالات الحبية وهدايا الحاكم البرتغالي للسلطان زيدان.

وفي 16 شعبان 1050 / فاتح ديسمبر 1640 ثار الشعب البرتغالي ضد الاحتلال الإسباني وتمت مبايعة دوق ذي براگانثا Dugue de Braganza كملك للبرتغال باسم جوان الرابع Juan IV وكان مصير الثغور المغربية المحتلة من طرف البرتغال أن أعلن حاكم البريجة اعترافه بالملك الجديد في حين تمكن الإسبانيون القاطنون في كل من سبتة وطنجة من إلقاء القبض على الحاكم البرتغالي والإعلان عن ولائهم للملك الإسباني فيليب الرابع.

وبعد ثلاث سنوات تمكن السكان البرتغاليون بطنجة من إلقاء القبض على الحاكم الإسباني وإعلان ولائهم للعاهل البرتغالي يوم 12 جمادى الثانية 1053 / 24 غشت 1643، إلا أن البرتغال لم تحتفظ طويلاً بطنجة حيث سلمها الملك البرتغالي الفونصو السادس Afonso VI إلى ملك بريطانيا العظمى كارلوس الثاني Charles II في يناير من سنة 1662، فلم يعد البرتغاليون يحتلون بأرض المغرب سوى مدينة البريجة ـ مازيغن ـ.

وفي عهد مولاي إسماعيل بعث إليه الملك البرتغالي بيدرو الثاني سفيره انطونيو دا سيلفا بيريرا Antonio Da Silva Pereira مصحوباً بحاكم البريجة كريسطوبال وتم استقبالهما من طرف الملك يوم 30 جمادى الثانية 1088 / 30 غشت 1677.

وحلت بمكناس سفارة برتغالية أخرى بعثها نفس الملك في شهر محرم 1101 / أكتوبر 1689 للعمل على إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين، غير أن مولاي إسماعيل رفض استقبالها مادامت البرتغال تحتل مدينة البريجة، في حين نجد مولاي إسماعيل يستقبل بمكناس السفير البرتغالي خوسي الفاريس Jose Alvarez ويتفاوض معه في أمر الأسرى ولكنه اشترط عليه أن تنسحب البرتغال عن البريجة لإطلاق سراحهم، (ربيع الثاني 1102 / 1690).

وبعد تردد سفراء برتغاليين آخرين على مكناس وجه مولاي إسماعيل رسالة إلى العاهل البرتغالي في 3 صفر 1108 / فاتح سبتمبر 1696 يقول فيها إنه مستعد لقبول مبدإ التفاوض لافتداء الأسرى إذا كان المبعوث عضواً في مجلس الملك البرتغالي، وفي أواخر سنة 1706 بعث مولاي إسماعيل أسيره الإسباني خوسي دياث Jose Diaz لدى الملك البرتغالي في مهمة سرية. وتوقفت العلاقات بين البلدين في عهد الملك البرتغالي خوان الخامس Juan V (1716 ـ 1750).

واستؤنفت العلاقات المغربية ـ البرتغالية بعد أن استرجع سيدي محمد ابن عبد الله مدينة البريجة (الجديدة) في 3 ذي القعدة سنة 1183 / 11 مارس 1769. وبعث برسالة إلى ملك البرتغال مانويل بونطيس Manuel Pontes يحتج على ما قام به حاكم البريجة گريگوريو دي ميلو Gregorio de Mello من تحطيم المدينة بالألغام قبل الجلاء عنها. فكان رد الملك البرتغالي خوسي الأول في 18 يوليوز 1769 مهذباً معتذراً عما حدث، مقترحاً إقامة صلح دائم بين البلدين. وبعد أن تم التوقيع على معاهدة الهدنة التي حملها السفير البرتغالي خورخي بيدرو كولاسو J.P. Colaço في فاتح شتنبر من نفس السنة، أصدر سيدي محمد بن عبد الله أمره إلى الأسطول المغربي بعدم التعرض للسفن البرتغالية.

وبعد أن جُددت الهدنة في 17 يوليوز 1770 لمدة قصيرة وقع القنصل العام البرتغالي بمراكش خوسي رولي فان ديك J.R. Wan - Dek معاهدة صلح بين المغرب والبرتغال بتاريخ 12 رمضان 1187 / 27 نوفمبر 1773. وعاد السفير البرتغالي إلى بلاده مصحوباً بالسفير المغربي عمر الداودي الذي حل بلشبونة يوم 7 أكتوبر 1774 وعاد إلى المغرب يوم 17 نوفمبر من نفس السنة، وكانت هذه هي السفارة المغربية الأولى التي توجهت إلى البرتغال بعد استرجاع مدينة الجديدة.

وعند وفاة الملك البرتغالي خوسي الأول بعث سيدي محمد بن عبد الله السفير عبد المجيد الأزرق لتقديم التعازي وتهنئة الملكة دنيا ماريادا گلوريا D.M. Da Gloria فوصل إلى لشبونة يوم 15 نوفمبر 1777 وعندما عاد إلى المغرب كانت ترافقه بعثة برتغالية مكونة من عدة خبراء في سك النقود يحملون معهم القواليب الضرورية، وظلوا يعملون بالمغرب مدة سنة ونصف.

وفي شهر ديسمبر 1779 بعث السلطان المذكور التاجر الطيب بوهلال من أجل تأسيس دار تجارية بلشبونة وكان يحمل رسالة إلى الملكة البرتغالية، وفي نفس المهمة التجارية بعث السلطان التاجر الحاج محمد العناية الذي ظل بلشبونة شهري سبتمبر وأكتوبر 1780 برفقته كل من رئيسي البحر الحاج محمد التيال والحاج عبد الرحمن بريطل.

وفي يونيو 1785 توجهت إلى البرتغال بعثة مغربية برآسة عباس مورينو، وفي 20 سبتمبر من نفس السنة وجهت البرتغال رسالة إلى السلطان تطلب منه فيها أن يتدخل لدى داي الجزائر لكي يوافق على إبرام اتفاقية هدنة لمدة ستة أشهر.

ولما اتفق جميع قناصل الدول الأوربية بطنجة على مقاطعة السياسية التي كان ينهجها السلطان سيدي محمد ابن عبد الله تجاه بلدانهم، بعثت ملكة البرتغال إلى قنصلها بالمغرب خوسي بيدرو كولاسو J.P. Colaço تأمره بعدم التوقيع على الوثيقة المعادية للمغرب والمحررة يوم 18 يونيو 1788. فوجه العاهل المغربي في أكتوبر من نفس السنة إلى الملكة خديه البرتغالي مانويل دي بونطيس M. De Pontes حاملاً هدية مكونة من مجوهرات ثمينة، واستمرت هذه

العلاقات الودية بين المغرب والبرتغال أيام مولاي يزيد والمولى سلامة. ولما بويع المولى سليمان بعث إلى ملكة البرتغال رسالة مؤرخة بثامن صفر 1207 / 25 شتنبر 1792 يعبر عن رغبته في استمرار علاقات الصداقة بين البلدين.

وفي يونيو 1798 حل بفاس السفير البرتغالي خورخي بيدرو كولاصو J.P. Colaço وحصل على موافقة مولاي سليمان على إقرار المعاهدة المغربية البرتغالية المبرمة سنة 1773 بمقتضى الظهير الصادر يوم 8 محرم 1213 / 22 يونيو 1798.

وفي أكتوبر 1807 تحالفت إسبانيا وفرنسا ضد البرتغال واتفقتا على توزيع المستعمرات البرتغالية فيما بينهما، وقامت القوات الفرنسية باحتلال معظم التراب البرتغالي، الأمر الذي جعل العائلة البرتغالية المالكة تغادر بلادها وتتوجه إلى البرازيل في الشهر التالي.

سارع المولى سليمان حينئذ بتوجيه رسالة مؤرخة في 26 فبراير 1808 إلى الوصي على العرش البرتغالي الأمير دون خوان D. Juan يواسيه فيما أصاب البرتغال من غزو واحتلال. وقبل طلب المجلس الأعلى للمقاومة لغرب البرتغال قرضاً بمبلغ مائة ألف ريال ثقيل Peros duros لولا تدخل القنصل الفرنسي بطلب من الامبراطور نابوليون. ثم كانت محاولة برتغالية ثانية لاقتراض مائتي ألف ريال ثقيل.

وفي 17 ربيع الثاني 1238 / فاتح يناير 1823 أصدر السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام ظهيراً يقضي بتجديد المعاهدة المغربية البرتغالية ليوم 27 نوفمبر 1773.

ثم نفتقد الوثائق الخاصة بالعلاقات المغربية البرتغالية في عهد الملك بيدرو الرابع Pedro IV والملكة ماريا گلوريا الثانية Maria Gloria II وابنها الملك بيدرو الخامس Pedro V (1826 . 1861).

وقد سلم الملك البرتغالي لويس الأول Louis I إلى سيدي محمد بن عبد الرحمان وسام گران كروث ذي لاطوري إلا إسبادا Gran Cruz de la Torre y la Espada (الصليب الأعظم للبرج والسيف) بعد أن عين القنصل العام بطنجة خوسي دانييل كولاصو J.D. Colaço سفيراً مكلفاً بتسليمه إلى العاهل المغربي بمكناس يوم 14 يونيو 1865.

وفي يونيو 1889 استقبل السلطان مولاي الحسن الأول بفاس سفارة بعثها ملك البرتغال لويس الأول برآسة القنصل العام بطنجة كولاصو الذي كان يحمل رسالة من عاهله أجاب عنها السلطان برسالة مؤرخة في 16 شوال 1306 / 15 يونيو 1889 وقد ألف السفير المذكور في هذه السفارة رحلة سماها *فاتح Fatah* وطبعت بلشبونة سنة 1902 ثم ترجمت إلى الإسبانية سنة 1914.

وعندما اعتلى عرش البرتغال الملك كارلوس الأول بعث السلطان مولاي الحسن لتهنئته في ديسمبر 1889 سفارة تتكون من القائد محمد بن أحمد الموذن والأمين محمد بن عبد الرحمن بريشة والكاتب العربي المنيعي. ومن المعلوم أن البرتغال كانت من الدول التي شاركت في مؤتمر الجزيرة الخضراء ووقعت على وثيقة 7 أبريل 1906.

وفي 4 أكتوبر 1910 أطيح بالنظام الملكي بالبرتغال حيث تم خلع الملك مانويل الثاني Manuel II، فكانت الجمهورية البرتغالية من بين الدول الأوربية التي قبلت نظام الحماية المفروض على المغرب، واعترفت بالحماية الفرنسية بجنوب المغرب في 9 مارس 1914. وبالحماية الإسبانية على شمال البلاد في 20 يوليوز 1918 وانضمت البرتغال إلى المعاهدة المبرمة بين فرنسا وإسبانيا وانگلترا بخصوص النظام الدولي بطنجة يوم 18 ديسمبر 1923.

ولما أعلن استقلال المغرب سنة 1956 كانت البرتغال من الدول التي اعترفت بذلك، ووقعت مع المغرب على البروتوكول الخاص بالنظام الموقت لمنطقة طنجة يوم 5 يوليوز 1956، وعلى التصريح النهائي للمؤتمر الذي أقر إنهاء النظام الدولي بالمنطقة المذكورة يوم 24 أكتوبر. وفي 18 ديسمبر من نفس السنة قدم أول سفير للبرتغال بالمغرب المستقل مانويل هوميم ذي ميلو Manuel Homem de Mello أوراق اعتماده إلى الملك محمد الخامس.

محمد ابن عزوز حكيم

البرتغالي، محمد بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي. ولد بأصيلا حوالي عام 870 / 1465 وأسره البرتغاليون فيها وهو طفل صغير فمكث عندهم سبعة أعوام تعلم أثناءها اللغة البرتغالية وأتقنها ثم افتداه والده بمال كثير، ولذلك دُعي بالبرتغالي.

ولما تُوفي محمد الشيخ الوطاسي عام 910 / 1505 بويع ابنه محمد البرتغالي خلفاً له، فعمل على تمهيد البلاد وتوسيع منطقة نفوذه في الشمال والجنوب. وكان شجاعاً طموحاً دائم الحركة، عمل في بلاطه الحسن الوزان وشهد معه معارك عديدة خاضها ضد البرتغاليين وبعض القبائل المتمردة، وفصّل القول في ذلك في كتابه *وصف افريقيا*.

حاول محمد البرتغالي مراراً أن يثأر من آسريه القدامى ويطردهم من الثغور التي يحتلونها بشمال المغرب. وفي هذا الإطار هاجم أصيلا في المرة الأولى على حين غرة "وحطم قسماً كبيراً من أسوارها ودخلها وأطلق سراح جميع من كان بها من المسلمين" (*وصف*، 1 : 313) لكن البرتغاليين التجؤوا إلى الحصن ومكثوا فيه يومين إلى أن وصلتهم النجدة من طنجة، فاضطر الملك الوطاسي إلى التخلي عنها والرجوع إلى فاس. ثم أعاد محمد البرتغالي الكرة على أصيلا مرتين أو ثلاثاً بدون جدوى، كما هاجم البرتغاليين في مدينة طنجة وبالغ المجهود لاستردادها لكن لم يتمكن من ذلك بسبب التحصينات والدفاع المستميت من طرف المحتلين. وقد تم ذلك فيما بين 914 و921 / 1508 . 1515.

وقد وصف مارمول بدوره هجومات محمد البرتغالي المتكررة على أصيلا وطنجة بكثير من التفصيل.

هذه الحركات الجهادية الطويلة صرفت نظر محمد البرتغالي عما يجري في الجنوب من تواطؤ بين شيوخ

الزوايا والشرفاء السعديين لإقامة دولة جديدة قوية تستطيع أن تعيد للمغرب وحدته وتطرد المحتلين المسيحيين من شواطئه.

لذلك لم تُجد شيئاً الحركة العسكرية الكبرى التي قادها محمد البرتغالي ضد السعديين، ولو أنه حاصروهم مدة طويلة في مدينة مراكش. فقد اضطر في النهاية إلى أن يرفع الحصار بعد أن بلغته أنباء مقلقة عن قيام بني عمه عليه بفاس ونبذهم دعوته. وكانت وفاة محمد البرتغالي بفاس عام 931 / 1524، بعد أن ملك إحدى وعشرين سنة.

ج. الوزان، *وصف أفريقيا*، الترجمة العربية، الطبعة الثانية، 1 : 112. 117. 312. 313. 315 ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، الترجمة العربية، 2 : 205. 212 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 132 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 20 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 140. 148.

محمد حجي

بُرتيل أو بُرطيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Purchil. وهو اسم مدينة بناحية غرناطة، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1151 / 1769.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرج بالمغرب، بناء عال محصن، قد يكون لاحقاً بغيره من البناءات (أسوار، أبواب الاسوار...)، أو منعزلا عنها، ويتخذ أشكالا مختلفة، فنجده مربع الشكل، أو مستطيله، أو دائريا أو متعدد الاضلاع ؛ كما تختلف مادة بنائه فتكون حجراً أو آجراً أو طابية، أو بعض هذه المواد مشتركة. وتدعم بناية البرج كما تدعم الجدران العادية بمواد أخرى أهمها الخشب.

أما اختلاف الشكل والمادة فتُمليه الحاجة من البرج أو طبيعة الموقع، أو العادات المتبعة محلياً في البناء، كما يُمليه هَوى الآمر بالبناء. لكن هذا العنصر الأخير لا يمكن التسليم به إلا في حالة البرج غير الموجه لغرض الدفاع أو الحراسة.

وللبرج في الحضارة الإسلامية تاريخ طويل وحافل، ووجود مستمر اقترن بالفتوحات والتنظيمات الدفاعية التي اعتمدها المسلمون لحماية وحراسة الأراضي والتحكم فيها. على أن البرج ليس وليد حضارتنا، وإنما كان له وجود شائع قبلها سواء في المشرق أو المغرب.

ومن الأنواع السابقة للعهد الإسلامي التي أظهرت الدراسات المهتمة بتاريخ البرج في الإسلام أن المسلمين الأولين، إستقوا منه انجازاتهم الأولى، "البرج ـ الدعامة" (Tours - contreforts)، وكان أصلا مجرد شكل معماري يضفي على ما حوله نوعاً من الجمال، خاصة إذا اصطحب البنايات والقصور الترفيهية.

أما بالمغرب الإسلامي فتُظهر كافة الدراسات أن عنصر البرج يرتبط بسلسلة تطورية لعبت فيها النماذج الرومانية ثم البيزنطية ـ عن طريق البلاد التونسية والأندلسية ـ دوراً كبيراً. ذلك أن النماذج الأولى استقت مادتها من هذه الأخيرة وعززتها بعناصر شرقية خاصة أيام الأغالبة والفاطميين، بالنسبة لشرق المغرب الكبير، وأيام الأمويين بالأندلس بالنسبة لغربه. وبطبيعة الحال، فالانجازات بالمغرب الأقصى تجد نفسها في ارتباط وثيق بالإنجازات الأندلسية بالدرجة الأولى وإن كانت المنشآت المرابطية الأولى، توحي في مادة بنائها (الحجارة) وفي بعض تفاصيلها، بتأثير أفريقي ـ تونسي.

أما الارتباط بالأندلس فنجده في المادة (الطابية) وفي الشكل الذي اتخذته الأبراج : مستطيلة أو مربعة، وبارزة بروزاً واضحاً خارج جدار البناية، ومرتبة ترتيباً منتظماً على طول الجدار، أو على واجهتي الأبواب. وهذا النظام من صنع الموحدين ، في المغرب والأندلس، عرفوا كيف يدمجون العناصر في بعضها ويخلقون تقليداً رفعوه إلى مستوى قانون، بقي سائر المفعول بعدهم، ولم تدخل عليه سوى بعض التعديلات الطفيفة إلى حدود ظهور الأسلحة النارية التي أملت مراجعة قواعد التحصينات الدفاعية بما تستدعيه فنون الحرب الجديدة. وفي هذا الباب انساقت الانجازات مع النماذج الأوربية. وقد كانت بعض القلاع من انجاز الأوربيين الذين كانوا في خدمة السلاطين أو محجوزين لديهم.

هذا في ما يخص المنشآت الدفاعية، لكن المغرب غني كذلك بنوع آخر من الأبراج، وهو الذي نجده ملازماً لبعض الضيعات الفلاحية بالبوادي أو لبعض القصور الفخمة في المدن. وكان الغرض الأول من هذه الأبراج هو راحة صاحبها واستمتاعه في أوقات فراغه بجمال الطبيعة واعتدال الجو حوله.

ومن أقدم هذه الأبراج "برج السويحلة" بقرية بليونش على ساحل البحر المتوسط بالقرب من سبتة السليبة ويعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي. ويظهر أن قصر البديع بمراكش كان يضم كذلك برجا شامخا كان المنصور السعدي يأخذ منه نظرة على فضاء عاصمته. ومن هذه النماذج كذلك برج قصر الأوداية العلوي بالرباط وهو القصر الذي يأوي الآن مقر المتحف الإتنوغرافي.

أما بجنوب المغرب على طول الواحات والأودية الكبيرة، دادس، وتدغة، وتافيلالت، فنجد سلسلة من الأبراج الطينية أو المبنية بالآجر غير المشوي، يطلق عليها اسم "أگديم" تتوسط الحقول، وتعلو الربوات، وشكلها هرمي. وهذه كانت طبعاً للحراسة لا للاستمتاع.

E.I., 2ème éd., p. 1355 - 1362 ; Ch. de Foucault, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1888 ; D-J, Meunié, *Architecture et habitat du Dades*, Paris, 1962 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

برج الدار بالرباط، يقع وسط السور المحاذي للشاطئ من جهة الشمال الغربي، مقابل مقبرة العلو التي تفصله عنها اليوم الطريق الشاطئية المؤدية إلى الدار البيضاء.

أغلب الظن أن باني برج الدار هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) وأنه شيد مكان أسقالة ابن عائشة التي اندثرت. وكان هذا الإنجاز الذي لا يعرف بالتحديد سبب تسميته ببرج الدار، أحد ثلاثة عناصر دفاعية هي برج الصراط وأسقالة وبرج الدار، وقد جاء قرار السلطان سيدي محمد الثالث في إطار سياسة دفاعية شاملة مست أهم المدن الشاطئية وذلك للحد من الهجومات الأوربية البحرية على التراب المغربي.

برج الدار : منظر عام قبل الترميم (1981)

وبرج الدار بناية كبيرة يبلغ طولها 71.88 متر وعرضها 15.73م تتكون أساساً من أرضية فسيحة (61.50م x 13.90م) ومن بنايتين.

شكل مربع منحرف غير متساوي الأضلاع، إذ نجد جداره الغربي يمتد على طول 10.39 م وجداره الشرقي لا يتعدى 9.84 م، بينما يبقى عرضه قاراً في حدود 3.10 م.

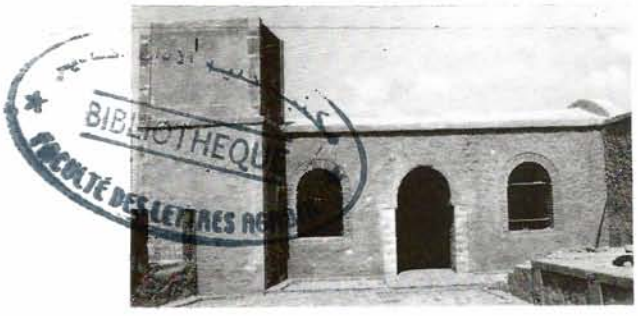
BIBLIOTHEQUE
FACULTÉ DES LETTRES

برج الدار : منظر داخلي بعد الترميم (1982)

وفي الزاوية الشمالية ـ الغربية للأرضية، هناك برج صغير ملاصق للبناية الشرقية، مربع القاعدة (2.10م x 2.10م) يصل علوه إلى 6.10 م، ويحتوي على درج داخلي يمكن من الوصول إلى سطح البناية المحاذية وإلى أعلى البرج نفسه. وقد فتحت بجدران هذا الأخير في أعلى نقطة منها، أي مباشرة تحت السقف، نوافذ صغيرة (اثنتان في الشمال، وواحدة في كل من الجدار الجنوبي والجدار الغربي) للحراسة ومراقبة تحركات السفن دون أن يفطن أصحابها بذلك.

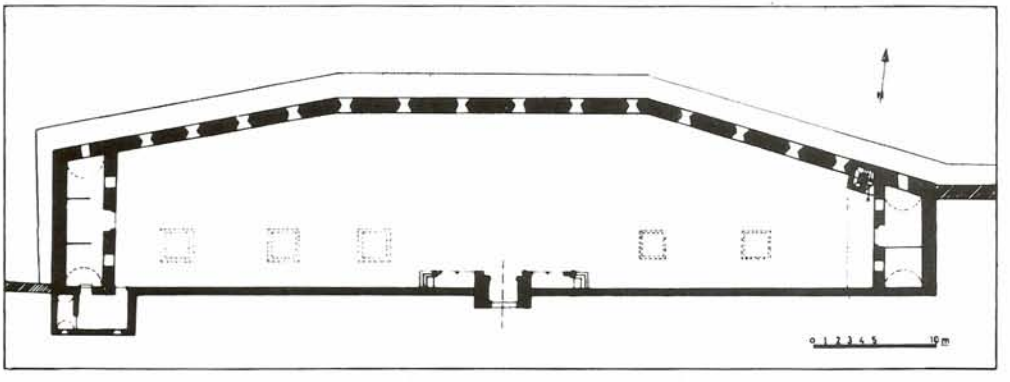

برج الدار : تصميم عام (حسب كابي)

أما الأرضية فيحدها من جهتي الشمال والجنوب جدار سميك، يختلف سمكه حسب الجهة وأهميتها في مواجهة الهجومات، فمن ناحية البحر، أي في الشمال، يصل عرض الجدار إلى 1.15 م / 1.20 م، وعلوه إلى خمسة أمتار من جهة البحر وإلى معدل 1.89 م من الجهة الداخلية.

وقد فتحت بهذا الجدار أربع عشرة فتحة للمدافع تعلو سطح الأرضية بـ 0.90 م. أما من ناحية البر، أي في الجنوب، فسمك الجدار لا يفوق 0.65 م / 0.70 م، وعلوه 3.35 م من الداخل و2.90 م إلى 3.15 م من الخارج.

أما البنايتان اللتان تحدان الأرضية من الشرق والغرب، فطول الأولى 8.25 م وعرضها 7.35 م، بينما شكل الثانية

ويبقى أن المادة التي شيدت بها مرافق برج الدار هي الحجارة، وهي نوعان : حجر غير منجور وبه شيدت الجدران، وحجر منجور استعمل في المدخل وفي فتحات المدافع. وقد كانت توجد بأعلى المدخل رصيعة بيضاوية الشكل كتب فيها بخط مغربي ما نصه "الحمد لله وحده، جدد بناء هذا البرج السعيد أمير المومنين سيدنا عبد الرحمان بن هشام تولى الله تأييده سنة 1239 هـ".

وقد أتلفت اليوم تلك الرصيعة واستبدلت بأخرى من نفس الشكل لكنها فارغة من كل نص.

وقد كان برج الدار إلى نهاية السبعينات شبه خراب تام رغم ما سبق أن مسه من ترميم طفيف في عهد الحماية.

برج الدار : المدخل بعد الترميم

لكنه اليوم مرمم بفضل الأعمال التي قامت بها مفتشية المباني التاريخية للرباط. وقد أعيد توظيفه كمقهى يأتيه الناس للاستمتاع بهواء البحر ومنظره.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 194 - 195.

L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé*, Paris, 1920 ; J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au Protectorat français*, Paris, 1949.

برج الصراط بالرباط، شيده محمد بن عبد الله، كما يفيد ذلك التاريخ المنقوش بأعلى المدخل : 1189 / 1775 - 1776. ويستفاد من بعض النصوص كذلك أن القيِّم على بنائه كان رجلا يدعى أحمد الانجليزي.

يقع هذا البرج على الشاطئ الأطلنتي في الزاوية الشمالية الغربية للسور الموحدي، حيث يلتصق به من الغرب ويبرز عنه بحوالي 48 متراً من الشمال. وحسب بعض الوثائق والرسوم البيانية التي اعتمدها جاك كايبي J. Caillé في دراسته عن مدينة الرباط، يظهر أنه كان بالموقع قبل هذا البرج بناء محصن مصحوب ببرج. فتكون بناية القرن الثامن عشر امتداداً وتجديداً لهذا الحصن وذلك في إطار الأشغال التحصينية التي قام بها هذا السلطان في عدة مواقع ساحلية من البلاد.

وبرج الصراط في حالته الأخيرة هذه، بناء ضخم مكون من أرضية مسطحة فسيحة ومن برج نصب في الركن الجنوبي الغربي، ومن قاعتين محاذيتين لهذا الأخير. أما الأرضية فيشكل تصميمها شبه منحرف يصل ضلعه الشمالي إلى 46.65 م وضلعه الجنوبي إلى 70.60 م، بينما لا يتعدى كل من ضلعه الشرقي والغربي 23 متراً. أما البرج الجنوبي الغربي فسداسي التصميم جدرانه من حجر وعلوه 4.75 م ويتوفر على قاعة وحيدة مغطاة بسقف نصف دائري بُني بالآجر. وكان هذا البرج عنصر مراقبة هام يتتبع منه الحراس كل حركة بحرية باتصال مع برج الدار القريب. وقد كان هؤلاء الحراس يستريحون بالقاعتين الصغيرتين المحاذيتين للبرج السداسي.

أما البناء نفسه فأساسه الحجارة : منجورة وذات حجم كبير على طول السور المواجه للبحر، وغير منجورة وذات حجم متوسط في السور المقابل للداخل. على أن الحجر المنجور يوجد كذلك بهذا الأخير في أعلى نقطة منه وعلى طوله، حيث يُكون متْراساً (Parapet) ببروز طفيف على الواجهتين وبانحدار واضح من الجهة الخارجية.

من جهة البحر وعلى طول الجدار الذي يعلو الأرضية، فُتحت عشرون فتحة للمدافع : خمس في الجدار الشرقي، وثلاث في الجدار الغربي، واثنتا عشرة بالشمال. ومما يسترعي الانتباه أن الفتحة الوسطى في الجدار الغربي متسعة أكثر من غيرها إذ تصل إلى 4.60 متر وذلك لاستقبال مدفع عظيم، محمول على قاعدة متحركة، ومجهز بعجلات تتحرك في حركة نصف دائرية داخل ممر جوانبه من خشب. ويحمل هذا المدفع تاريخ 1215 / 1800، وهو ما يفسر أن الفتحة العظيمة هذه ليست أصلية وإنما أقيمت في مستهل القرن الماضي للغرض المشار إليه.

هذا، ومع دخول الحماية إلى المغرب وتثبيت استقرارها به، نصب على أرضية برج الصراط المنار البحري الذي تهتدي بنوره السفن ليلا، وهو المنار الوحيد بالرباط. ولايزال بهذا الموقع إلى اليوم.

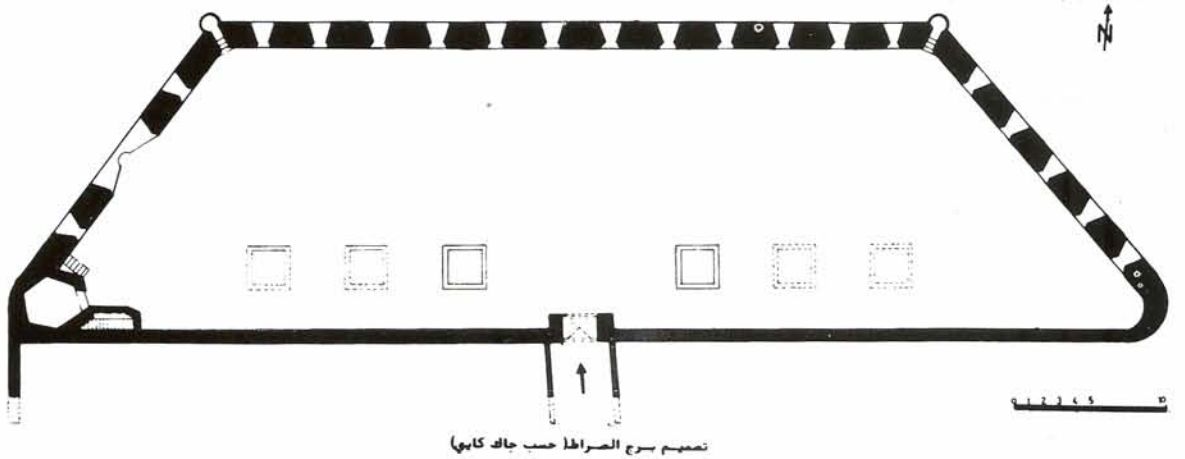

تصميم برج الصراط حسب جاك كايي

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*.

G. Lemprière, *Voyage dans l'empire du Maroc et le royaume de Fez pendant les années 1791 et 1792*, Paris, 1801 ; L. Chenier, *Recherches Historiques sur les Maures et histoire de l'empire de Maroc*, Paris, 1887 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé*, Paris, 1920 ; J. Caillé, *La ville de Rabat des origines à 1912*, Paris, 1949.

عبد العزيز توري

البرج، مكان بفرقة البحراويين من قبيلة أنْجرة لم يكن له أية أهمية إلى أن أُحدثت منطقة طنجة الدولية وتم اختطاط الحدود الوهمية بينها وبين منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، فأصبح المكان المذكور يكوِّن نقطة وصل بين المنطقتين حيث تقرر أن تكون بالبرج إدارة للجمرك وشرطة للحدود مزدوجتان، وتم تنفيذ ذلك غداة احتلال البرج من طرف الإسبانيين يوم فاتح ماي 1916، واستمرت الحالة هكذا إلى أن استقل المغرب سنة 1956 حيث عطّل البرج وأصبحت بناياته مهجورة.

J. M. Cordero Torres, *Organizacion de la zona de protectorado español en Marruecos*, Madrid, 1943.

البُرجي، أو البُورْجي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Borge وهو اسم قرية بمقاطعة مالقة، وكلمة Borge مأخوذة من العربية "برج" واشتهر من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان سنة 1156 / 1743 فقيهان هما :

البُرْجي، علي بن قاسم.

البُرْجي، محمد بن أحمد، وقد انقرضت أسرة البرجي بتطوان سنة 1220 / 1805.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 344 ـ 345 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرحلي، أسرة إزناسنية من جماعة أولاد موسى ومَحمد من بني منقوش، منهم المجاهد البطل الحاج محمد البرحلي الذي ربط نفسه وولديه بحبل مع شجرة لمقاتلة الفرنسيين المهاجمين لوجدة سنة 1907، فظلوا يقاتلون إلى أن استشهدوا رحمهم الله.

البرحلي، إدريس بن عبد القادر الإزناسني. ولد حوالي 1328 / 1910 وقرأ القرآن ومبادئ العربية والدين بمسجد جماعة "حركات" من بني وريمش الجنوبيين ملحقة تافوغالت على الأستاذ عبد السلام ابن البقال الوريمشي، ثم بمعهد وجدة. كان "متطرفاً في النظافة وتحرِّي الكلمة الطيبة لا يستطيع أن يُخرج غيرها من بين شفتيه... وإذا كان جالساً في مجلس وسمع لغواً فارق المجلس. وعلى فتوته كان مطرق الرأس جيئةً وذهاباً إلى الدرس". (*ذكريات*، 166).

انتقل إلى فاس عام 1351 / 1932 لطلب العلم بالقرويين، وسكن بيتاً في المدرسة البوعنانية فبقي هناك أربعة أعوام انتقل بعدها إلى تطوان ليلتحق بالبعثة الطلابية التي كانت ستتوجه إلى القاهرة لكن لم يتيسر له ذلك، فالتحق بالناضور وتزوج هناك، واستقر أخيراً به المقام في فگيگ إماماً وخطيباً بالمسجد الجامع إلى أن توفي بالطاعون المنتشر سنة 1360 / 1941.

قدور الورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، 163 ـ 173.

محمد حجي

البَرَد ـ بفتح الباء والراء ـ نوع من التساقطات، وفي اللهجة المغربية الدارجة : التِّبْروري أو التبريرو. ولعل أصل اللفظة الدارجة من البربرية إبرور، أو إبرين. وهو ظاهرة طبيعية معروفة علمياً كسائر التساقطات من مطر وثلج، ومعروف توزيعها الجغرافي ومناطق تساقطها العادي، إلا أن ما نشير إليه هنا هو تكرر الظاهرة عبر تاريخ المغرب ومدى وقعها وتأثيرها على الإنسان، أي أننا نرمي إلى رصد الحالات غير العادية التي أثارت انتباه المؤرخين فسجلوها في حولياتهم.

انفرد صاحب *القرطاس* (99 ـ 100 ـ 413 ـ 414) بذكر أحداث البرد مفصلة، ونقلها عنه الناصري في *الاستقصا*. ومما ذكره أن الناس كانوا يهرعون إلى المساجد لقراءة اللطيف والاستغفار ليرفعها الله عنهم لأنها غضب من الله، وقبل أن نستعرض هذا النوع من الكوارث لا بد من الإشارة إلى أن نفس الذهول ونفس الخسائر مازالت تحدثها العواصف البردية اليوم رغم التقدم العلمي والتكنولوجي. فقد جاء في خبر صحفي (*الاتحاد الاشتراكي*، ع 2471، 13 ماي 1990) أن منطقة صفرو "تعرضت لعاصفة رعدية محملة بالبرد الغليظ الذي وصل وزنه ما بين 20 وحوالي 250 گرام واستمرت حوالي دقيقتين" مثل هذا الخبر يذهل العارفين وعامة الناس، وبمقارنته بشهود عيان فإننا نصدق روايات الحوليين التي كان يعتبرها البعض إلى وقت قريب من المبالغات، من هذه الروايات استخرجنا الجدول التالي على سبيل المثال :

الزمن	المكان	تقدير العاصفة	الخسائر
951-50/3399	المغرب (فاس والنواحي)	برد عظيم كبير الحجم زنة الحجر رطل وأكثر	قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس
954-53/342	المغرب (فاس والنواحي)	برد عظيم كبير الحجم	قتل المواشي وأهلك الثمار
1325-24/724	المغرب (ضواحي فاس)	برد عظيم كبير الحجم نزل منه (مثال الجبال زنة الحجر منه أربع أواقي وأقل وأكثر	أتت منه سيول طاغية حملت الدواب والمواشي والدواوير....

وللمقارنة فالخسائر التي أحدثتها العواصف البردية في المغرب في ربيع هذه السنة 1990 وبداية الصيف قدرت بملايير السنتيمات وأضعفت الانتاج الفلاحي (*الاتحاد الاشتراكي*، ع 2512، 22 يونيو 1990) وحسب شهود عيان من إقليم الخميسات فإن الخسائر لم تحدث في الأرواح

البشرية لسبب واحد هو أنها (العاصفة البردية) وقعت قبيل المغرب بقليل وقد دخل الناس إلى منازلهم استعداداً لتناول الفطور (إذ الشهر رمضان) مثل هذه المقارنة تجعلنا نقدر الكارثة حق قدرها في تلك القرون. بل إن كثيراً من المجاعات كان من بين أسبابها سقوط البرد. العاصفة البردية من طبيعتها التقطع وعدم تغطية مساحات كبيرة، بل وجدت حقول متجاورة أصاب بعضها البرد ولم يصب الأخرى، وقد اعتبر ذلك غضباً من الله يصيب به من يشاء من عباده العصاة المذنبين، واعتبر ذلك من كرامات أحد الصالحين (*المنهاج الواضح*، 140) لكن إرّادة الله وحكمته فوق كل شيء، قال تعالي :"ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء..." (سورة *النور*، الآية 42).

أما التقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل في ميدان مكافحة الكثير من الظواهر الطبيعية التي تسبب أضراراً فلاحية وغيرها، فإنه يصطدم بعراقيل تعوق تطبيقه، فتبديد السحب المحملة برعدة بردية مثلا يتطلب تقنيات وتكاليف باهظة تفوق أحياناً ما تحدثه الرعدة البردية من خسائر في المحاصيل (*Guide 1978*, 347).

القرآن الكريم ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. الماكري، *المنهاج الواضح* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي* 13 ماي و22 يونيو 1990.

Ch. Bois, *Disettes et calamités au Maroc*, in *revue pour l'étude des calamités*, n 26 - 27, Genève, 1949 ; *Guide* 1978 (climat).

محمد حجاج الطويل

بُّردال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pardal. وهواسم قرية بناحية البسط الإسبانية. وهي غير أسرة بردان الآتية. وقد انقرض آل بُّردال بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088 / 1677.

بُّردّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت سنة 1153 / 1740.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بردة البوصيري، قصيدة *البردة* في المديح النبوي لمحمد البوصيري (ت. 696 / 1296)، وهو صنهاجي مغربي أصلا، مصري منشأ ومدفنا. اشتهرت بردته "أمن تذكُّر جيران بذي سلم" في أقطار العالم الإسلامي، واكتسبت قداسة خاصة في المغرب الأقصى لما تفيض به أبياتها من محبة وتفان في الجانب النبوي الكريم. وإذا كانت البردة التي كَسَا بها الرسول ـ عليه السلام ـ كعب بن زهير حين مدحه بقصيدته الشهيرة "بانَتْ سعاد" هي المتبادرة إلى الأذهان في أصل تسمية قصيدة البوصيري، فإن صاحب *كشف الظنون* (2 : 1331 ـ 1332) أورد سبباً آخر لهذه التسمية وروايات في التبرك بها تدخل في باب الكرامات.

وقد اعتاد بعض متصوفة المغرب أن يُنشدوا أبياتاً من *البردة* في حلقات أذكارهم على نغمات نوبات الآلة الإحدى عشرة، وفي ليلة المولد النبوي وسابعه ينشدون *البردة* و*الهمزية* كاملتين، ويمزجونهما بأشعار وموشحات وأزجال ويراول في المديح النبوي لشعراء مغاربة وأندلسيين ومشارقة. وإذا كان تاريخ بداية عادة ختم *البردة* في أعياد المولد النبوي بالأنغام غير محدد فإن من الأكيد أن ذلك كان معروفاً بالمغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) خاصة في الزاويتين الدلائية والفاسية. وانتشر ذلك أكثر في القرون التالية مع فروع الزاوية الدرقاوية لاسيما الحراقية، وفي زوايا شرفاء وزان.

ولشدة اعتقاد المغاربة في بركة *البردة* يُنشدونها في حفلاتهم الاجتماعية كالزواج والعقيقة والختان، وفي جنائزهم أيضا بعد تلاوة القرآن الكريم.

وقد وضع عدد من علماء المغرب وأدبائه شروحاً مطولة ومختصرة *للبردة*، كما عارضوها وخمسوها. من ذلك :

ـ *شرح البردة*، لسعيد بن سليمان السملالي.

ـ *شرح البردة*، لإسماعيل بن يوسف ابن الاحمر نزيل فاس.

ـ *شرح البردة*، لأحمد بن عبد الله القصار.

ـ *خواص بعض أبيات بردة البوصيري*، لعبد السلام بن إدريس المراكشي.

ـ *تخميس البردة*، لعبد الرحيم ابن يجبش التازي.

ـ *التوشيح بشرح بردة المديح*، لمحمد بن المعطي بن أحمد السرغيني.

ـ *شفاء القلب الجريح، بشرح بردة المديح*، لعبد الواحد ابن عاشر الأنصاري الفاسي.

ـ *شرح بردة البوصيري*، للقاسم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الله الماجري.

ـ *لبس البردة، لمحاذاة البردة*، لعلي بن محمد السملالي.

ـ *الكوكب اللامع الدري، على شرح البردة للأزهري*، حاشية لمحمد بن قاسم القادري، طبعت بفاس.

ـ *الموارد الشهية، في شرح البردة البوصيرية*، لمحمد بن المبارك الهشتوكي في جزئين.

ـ *المنهل الفسيح، على بردة المديح*، لأحمد بن جعفر الكتاني.

ـ *تعليق مليح، على بردة المديح*، لمحمد بن عبد الواحد النظيفي. طبع بفاس.

ـ *الوردة في تخميس البردة*، لأحمد سكيرج.

ـ *نسيم الوردة في تنسيم البردة*، لأبي حامد محمد المكي البطاوري.

ـ *شرح البردة بالأمازيغية*، لعبد الله بن يحيى الحامدي السوسي.

م. البوصيري، *ديوان شعر*، ت. م. سيد كيلاني ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، ج 4.

E.I. 2, 1975 ; R. Basset, *Introduction à la traduction de la Bûrda*, 1894.

محمد أديوان

بردة، لباس عربي نال شهرة كبيرة يوم أن جاء كعب بن زهير، الشاعر المخضرم إلى النبي صلى الله عليه وسلم نادماً وتائباً، فأنشده قصيدته المشهورة بانت سعاد، فلما قال فيها :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

خلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردته بعد أن أمنه، ثم اشتراها معاوية من ورثته، وظلت عند الأمويين إلى أن أخذها منهم العباسيون فصارت متوارثة عندهم، وأصبحت أهم جزء من لباسهم الرسمي، إذ كانوا يطرفونها على أكتافهم جلوساً وركوباً، وكان الخليفة يضعها على كتفه في اليوم الأول من أيام عيد الفطر. وإلى ذلك أشار الشاعر البحتري في مدح المتوكل عند خروجه لصلاة عيد الفطر :

ووقفت في بُرد النبي مذكِّراً بـالله تنذر تارة وتبشر

وفي *لسان العرب* وصف للبردة، فهي "كساء يلتحف به. وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب، فهي بردة" ويذكر *القاموس المحيط* أنه ثوب مخطط يلتحف به. وكان شائعاً عند عرب الجزيرة قبيل الإسلام وينسج في اليمن، ويباع في كل الجهات من الجزيرة. وقد اشتهرت برود اليمن بجودتها.

وإذا علمنا أن عدداً كثيراً من اليمنيين جاءوا مع جيوش الفتوح بالمغرب والأندلس، أدركنا أنه من المحتمل جداً أن يكونوا نقلوا معهم صناعتهم وطوروها نظراً لتوفر مادة النسيج من صوف وقطن وكتان وحرير بهاته البلاد. ويؤكد "مورينو" التأثير المشرقي على صناعة النسيج الأندلسي في كتابه *الفن الإسلامي بإسبانيا* جاعلا منها المعبر الأساسي للأسلوب المشرقي نحو أوربا (ص 411) ولحسن الحظ مازالت بقايا من تلك الأقمشة القديمة تساعد على معرفة نوع الملابس وأنسجتها. فمازالت هنالك مطرزات وأقمشة مخططة في بعض الأديرة تحمل اسم الخليفة الأموي هشام المؤيد. وقد أتى عبد الرحمن الداخل من المشرق بمؤسسة *دور الطراز* وهي مناسج تعمل تحت إشراف الدولة لصنع ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته من أقمشة.

ونظراً لتأثير الأندلس على المغرب في الفنون الصناعية النفيسة، فقد بقيت لنا في بعض المصادر إشارات إلى بعض الملبوسات المستعملة في المغرب ومنها ما يذكّر بالبردة. فنجد، مثلا، في إحصاء هدية يوسف بن تاشفين إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني ذكر ملبوسات من هذا النوع. منها "سبعمائة كساء بيض ومصبوغة" والكساء هو هذا النوع من اللباس الذي كان يلتحف به الفقهاء والوجهاء في الأعياد والمناسبات ومنها "مائتان من البرانس" والبرنس أو السلهام أقصر من الكساء، ويلتحف به أيضا وهو قريب من الوصف الذي بقي لنا عن بردة الخلفاء (*الحلل الموشية*، ص 27).

وابن خلدون الذي عاش مدة في المغرب وعاصر بني مرين في أوج عزهم ذكر في *المقدمة* إتقان المغاربة لصناعة الجلد والنسيج، وخاصة نسيج الصوف. ونجد في الهدية التي وجهها السلطان أبو الحسن المريني ذكراً لبعض الأنسجة التي تذكر بالبردة إذ فيها "من نسج الصوف المحكم ثياباً وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسيج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوناً وغير ملون" (*الاستقصا*، 3 : 128).

وفي عهد السعديين، نجد شهادة مارمول الذي يصف لباس أهل مراكش فيذكر أنهم كانوا يلبسون جبات من الجوخ الملون وسترات قرمزية أو من الحرير الملون. وفي حديثه عن الفاسيين يذكر أنهم يرتدون ملابس مختلفة الألوان من الصوف تصل إلى نصف ساقهم، وفيها أكمام نصفية ضيقة جداً. كما يلبسون "أردية (سلاهم) من صوف أو من حرير وصوف ممتزجين معا" (2 / 175) كما قد يتزين النبلاء منهم بسترات من صوف وأردية قصيرة من صوف ولئن كان مارمول لم يستعمل الألفاظ المغربية الخاصة بالألبسة، فنحن نفهم من وصفه أنه يعني تارة البردة وطوراً البرنس.

ونظراً لاختلاف مناطق المغرب من حيث الطقس، فإن هاته الألبسة تختلف شكلا ونسيجاً تبعا لذلك. ولكن، في كبريات الحواضر والمدن المخزنية، على الخصوص ساد لدى الطبقات العليا في المجتمع نموذج للباس المحترم في الحفلات الرسمية والاستقبالات الملكية، أعنى الجلابية والسلهام الأبيضين، ويمكن للفقهاء أن يضيفوا إليهما تلك الشملة الكبيرة المعروفة باسم الكساء التي تكون من نسيج صوفي خفيف.

وهكذا تكون البردة العربية تطورت عند وصولها إلى بلاد الغرب الإسلامي، وأخذت أشكالا محلية خاصة بالمغرب.

أ. القرشي، *جمهرة أشعار العرب*، القاهرة د. ت. 1936 ؛ ابن هشام، *السيرة* ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ الفيروزابادي، *القاموس المحيط* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت 1968 ؛ ك. مارمول، *أفريقيا*، الرباط 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. ج. مورينو، *الفن الإسلامي في إسبانيا*، القاهرة 1968.

محمد زنيبر

البردعي، أسرة فيلالية الأصل من مدينة سجلماسة. انتقل بعض أفرادها إلى فاس وشفشاون وتطوان وسلا والصويرة في تواريخ غير محددة، غير أن آل البردعي التطوانيين كانت لهم سنة 1257 / 1841 دار بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 355 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

BIBLIOTHÈQUE FACULTÉ DES LETTRES AGDAL

البردعي، الرگراگي ـ اسما ـ ابن الحاج مبارك البوزفتوني الصويري، فقيه اشتغل في أول أمره بطلب العلم ملازماً مجالس علماء الصويرة، لكنه تصدى بعد ذلك للتجارة والفلاحة "وكان يتعهد كتاب الله قائماً بالصوائر على الزاوية الجزولية التي أسسها والده".

توفي في ثامن رمضان عام 1377 / 8 أبريل 1958 ودفن بالزاوية الجزولية بالصويرة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 166.

البردعي، عبد القادر بن التهامي الفاسي "الفقيه المدرس المشارك له بعض التآليف، طبع واحد منها صغير".

توفي في جمادى الثانية 1358 / يوليوز ـ غشت 1939، ودفن بالقباب قرب روضة الشاميين.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1358.

البردعي، مبارك (الحاج ـ) بن علال البوزفتوني الصويري تاجر ثري ومحسن صالح. ولي نظاره أحباس مدينة الصويرة أيام حوادث البيعتين للمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وأسس الزاوية الجزولية بحومة آل اجدير في الصويرة.

توفي في سابع رجب عام 1335 / 1916.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 154.

البردعي، محمد الأسود، من أهل سجلماسة "كان عبداً صالحاً شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة".

ذكر ابن الزيات في *التشوف* انه سمع محمد بن أبي القاسم يقول : حدّثوا عنه أنه كان إذا جنه الليل تفتح له أبواب المدينة فيخرج إلى المقابر يعتبر فيها. وأنشد في ذلك قصيدة مطلعها :

يا خاطراً بالقبور منطلقا ... لسانُهُ قِفْ وقوفَ معتبِرِ

ولم يذكر تاريخ وفاته.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 278.

محمد حجي

بردلّة ـ بضم الباء والدّال ـ أسرة أندلسية شهيرة بفاس، عرف منها فقهاء وقضاة منذ العصر العلوي الأول. منهم :

بُرْدلّة، محمد العربي شيخ الجماعة بفاس وقاضيها على عهد المولى إسماعيل (1727.1672). وصفه المترجمون بآخر قضاة العدل بالحضرة الإدريسية. ولد في ثاني جمادي الثانية من عام 1631/1042 بفاس. ويُجمع الذين ترجموا لهذا العالم على طول باعه في جميع العلوم، وهو ما أهله لأن يصبح شيخ الجماعة بفاس «يُرجع إليه في المعضلات ويعتمد على ما يقوله في النوازل والمشكلات». وقد تولى خطة القضاء عدة مرّات كما تولى خططاً شرعية أخرى.

إن المعلومات المقتضبة والإشارات القليلة التي نجدها عند أصحاب التراجم لا تفيدنا كثيراً في تتبع حياة هذا العالم أو معرفة نوع العلاقة التي كانت تجمعه بالمخزن الإسماعيلي. إلا أن المؤكد هو أن هذه العلاقة تعرضت لهزات متعددة وربما سادها بعض التوتر في كثير من مراحلها.

ولي محمد العربي بردلة القضاء بفاس لأول مرة في سنة 1678.1677/1088 ثم أُخِّر عنه بعد سنتين. إلا أنه رجع إلى خطة القضاء خلال نفس السنة وبقي متقلداً لها إلى حدود سنة 1700.1699/1111. وفي هذه السنة «أنهي للسلطان أمور على سيدي العربي بردلة فأمره أن يغرم أموالاً... ثم تبيّن للسلطان براءته مما نُسب له» فعفا عنه ورده إلى القضاء في سنة 1702.1701/1113. وفي السنة التي تلتها 1702/1114. 1703 عُزل للمرة الثالثة قبل أن يقلد القضاء من جديد في سنة 1705.1704/1116. وبعد ثلاث سنوات عزل عنه للمرة الرابعة والأخيرة، حيث لم يعد إليه بعد ذلك.

فما الذي أوجب عزل محمد العربي بردلة عن القضاء أربع مرات ؟ أكان ذلك بسبب مواقفه من بعض القضايا الشائكة التي كانت مطروحة على الساحة الفاسية مثل مسألة جيش العبيد وتمليك الحراطين للمخزن، وهو أمر نعلم أنه تسبب في توتر العلاقة بين المولى إسماعيل وعلماء فاس ؟ أم كان ذلك بسبب تناقضات المجتمع الفاسي وانعكاس ذلك على أسرة بُردلة، خاصة وأن صاحب *نشر المثاني* يشير إلى أن بردلة كان يحظى بعطف البلديين من أهل فاس، وهم الفئة التي لم يكن السلطان راضياً عنها. ومما يدل على معارضة بردلة لسياسة المخزن الإسماعيلي، ولو في بعض جوانبها على الأقل، ما يذكره القادري من كثرة المراسلات التي كانت بينه وبين السلطان، وهو أمر يذكرنا بعالم آخر هو محمد بن عبدالقادر الفاسي وكان هو الآخر متحفظاً من مسألة تمليك الحراطين. ويظهر من كلام القادري دائماً أن بردلة كان يتهرب من الإجابة عن أسئلة السلطان مشافهة ويفضل أن يجيبه «بالقلم في الأجوبة والرسائل».

ومما يؤكد عدم مسايرة هذا العالم للمخزن في بعض الأمور على الأقل ما وصفه به المترجمون من «عالم عامل» وهو وصف لم يكن يخص به إلا من كان يتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال تجاه السلطة السياسية

لم تكن خطة القضاء هي الخطة الشرعية الوحيدة التي مارسها محمد العربي بردلة، فقد زاول إلى جانب القضاء الإمامة والخطبة بجامع القرويين، كما اشتغل بالتدريس فتتلمذ عليه العديد من العلماء أمثال محمد بن عبد السلام بناني، وعبد المجيد بن علي المنالي، ومحمد المسناوي، ومحمد بن الطيب القادري وغيرهم. وقبل وفاته بخمس سنوات ولي النظر في أحباس فاس فأحسن تدبيرها. والحقيقة أنه كان في جميع ما تقلده من خطط شرعية قدوة في الاستقامة ومثالاً في العفة. ويذكر صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس* أنه كان قانعاً بمستفاد فلاحته وأملاكه لا يدخل عليه من بيت المال والأحباس إلا مرتب مسجد القرويين عندما كان إماماً وخطيباً به.

لم يكن محمد العربي بُردلة من المشتغلين كثيراً بالتأليف، وأهم ما وصلنا من انتاجه الأجوبة الفقهية التي جمعها وطبعها بفاس أحمد بن الخياط الزكاري سنة 1344/1925.1926، كما تذكر له المصادر *رسائل* عديدة وجهها إلى المولى إسماعيل في قضايا مختلفة ومن جملتها قضية تمليك الحراطين.

توفي محمد العربي بردلة عن سن عالية تزيد على التسعين سنة، في منتصف رجب من عام 1133/ماي 1721.

ع. الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط خ. ع. رقم 12815 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ت. حجي والتوفيق، ح : 3 ؛ *التقاط الدرر*، ت. هاشم العلوي القاسمي.

محمد المنصور

البردوز، محمد بن علي من فقهاء مدينة سلا في القرن الثالث عشر (19 م). ولا يُعرف أحد من أفراد هذه الأسرة بسلا قبل هذا الفقيه ولا بعده، ولعله من الطارئين على المدينة، عُرف كنائب لقاضي العدوتين السيد الهاشمي أطوبي في ولايته الثالثة سنة 1232 / 1816، فكان الفقيه محمد البردوز ينوب عنه في سلا، والفقيه الطيب بسير ينوب عنه في الرباط. ولم نقف على تاريخ وفاته.

ج. الناصري، *قضاة سلا*، مخطوط خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 153.

محمد حجي

بَردُوگو، Berdugo أسرة يهودية كثيرة العدد في المغرب وبخاصة في مدينة مكناس، برز منهم في القرون الثلاثة الأخيرة عدد من الربيين والقبالين والمدرسين والمؤلفين، أمثال :

بَردُوگو، بيطاحي مردخاي (1764.1820)، ربي أكبر بمكناس، صاحب كتاب *نوفيت صوفيم* (عسل على الرفوف) وشروح تلموذية عنوانها : *بيتوحي حوتام* (أبواب المختومات)، (طوليدنو، نيرهمغرب، 197).

بَردُوگو، رفائيل ابن مردخاي (1747.1822)، كان هو أيضا ربيا بمكناس. تصدر طليعة الربيين المغاربة في عصره، ألف *ميشپّاتيم بشاريم* (القوانين العادلة) في جزئين، طبع الكتاب بكراكوفيا عام 1891، وضمن المؤلف الفتاوي، ثم له : *مي مينحوت* (المياه الهادئة) طبع بالقدس عام 1901 ـ دراسات في التوراة ـ شريط زاهاب (صولجان الذهب) ـ دراسة عن التلمود ـ توجد بعض مخطوطات المؤلف بخزانة معهد الدراسات اليهودية بنيويورك وكلها تحتوي على شروح ودراسات لنصوص القوانين الدينية *سلحان هاروح* وحول *مشباط*، وحول الربي شلومو بن اضريت الحبر الأكبر ببرشلونه 1235.1310 وله كذلك *مختصر شرح تقنوت* (في القوانين العرفية المحلية) لربيي قشتالة التي كانت جارية في البداية في أوساط اليهود المغاربة النازحين من إسبانيا، وهي الأعراف التي امتد تطبيقها إلى قطاعات أخرى من الحياة، مثل الذبائح (شخيطة) وكاف زهاب (كف الذهب)... ثم ألف باللهجة المغربية العربية *شرحا للتوراة* يوجد مخطوطا بمعهد بنزوي بالقدس (رقمه م ـ س 1303 و1329)، وصفه حييم الزعفراني في كتابه *البداغوجية اليهودية بأرض الإسلام*، ويتعلق الأمر بتفسير وشرح المفردات المترجمة الصعبة لأسفار التوراة الأربعة والعشرين ولبعض العبر الواردة في التلموذ أو التي يتداولها الربيون مرتبة حسب الترتيب الألفبائي.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, pp.196-197 ; H. Zafrani, *Pédagogie juive en Terre d'Islam*, 67-69.

بردوگو، شلومو، (1750.1810) ربي بمكناس، له *شروح التوراة* (مخطوط).

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 198.

بَرْدُوگو، شلومو بن دانيال (1854.1905) ربي وقاض بمكناس، له ديوان شعر عنوانه *شيري شلومو* (أناشيد سليمان) نشر عام 1950، وعدد من المخطوطات مضمونها تأويلات ذات طابع شرعي وقانوني للتوراة.

Y. M. Tolédano, *La Saga des Familles* ; Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; A. Larédo, *Les noms des Juifs du Maroc*, 429.

بردوگو، مردخاي، معروف بلقبه هَمَرْبيسْ ثم مردخاي الصَّديق ـ شقيق يهودا (الربي القاضي بمكناس، ت. حوالي عام 1730) ـ ربي أكبر بمكناس مدة عشرين سنة، توفي عام 1763. ألف كتبا مضمونها فتاوي قضائية وشروح، عنوانها *دُريش طوب* (الخطيب الموفق) و*مِشْنِي المليخ* في الأمثال.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 152.

بردوگو، موشي، معروف هو أيضا بلقب هَمَشْبير، كان ربياً بمكناس عام 1723 بعدما قضى مدة طويلة في التدريس وتكوين الربيين القضاة، توفي عام 1731، كان محبوبا في الأوساط اليهودية المحلية بما عرف عنه من عدل وإنصاف وتبصر وحكمة، ترك شروحا ودراسات عن التوراة والتلمود عنوانها *روش مشبير*، نشرت في جزئين بمدينة ليفورن عام 1840، ثم له أيضا كتاب عنوانه *كنيف رنانيم* (العصافير المغردة، القدس، 1909) والذي يحتوي على فتاوي شرعية.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 147, 148.

بَرْدُوگو، موشي بن يوسف، ربي بمكناس خلال القرن التاسع عشر، ترك مخطوطا يتضمن فتاوي شرعية ومخطوطا آخر في موضوع التوراة والتلمود.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, 429.

بردوگو، ميمون (1770.1824)، ابن رفائيل السابق، ربي وقاض بمكناس لقبه هامبين، ألف فتاوي وشرحا لكتاب والده حول الذبائح الشرعية، وله أيضا سفر *بيني مبين* المنشور عام 1951، وشروح لقانون موسى بن ميمون الأندلسي عنوانه *حوش مشباط*.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 197 ; *La Saga des Familles, 119*.

بردوگو، يشواع (1953.1878)، ربي أكبر بمكناس ثم رئيس المحكمة العليا اليهودية بالرباط، من عام 1941 إلى عام 1949، وفي هذه الفترة انعقدت تحت رئاسته أولى المجامع الدينية اليهودية بالمغرب كان هدفها وضع مشروع لتحديث القضاء اليهودي. وبعد وفاة يشواع بردوگو، واصلت هذه المجامع لقاءاتها تحت رئاسة خلفه الربي صاؤول داسون.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, 429.

بردوگو، يعقوب (1843.1783) كان ربيا قاضيا بمكناس ألف ديوان شعر عنوانه *قول يعقوب* (صوت يعقوب) ضمنه أناشيد وتراتيل دينية (كيشوت) طبع بلندن عام 1840 وله كذلك عدة مخطوطات تتضمن فتاوي *سفريا دي يعقوب ويغل يعقوب* (تراتيل).

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs au Maroc*, 428.

بردوگو، يهودا، تم تعيينه ربيا قاضيا بمكناس عام 1730، توفي بين 1740 و1744، مؤلف مييم عموكيم (مياه عميقة) وهو عبارة عن شرح مختصر للتوراة لم يفلح في نشره، ثم له *محان يهودا* (معسكر يهودا) ضمنه نخبة من الخطب الوعظية انتهى من تأليفه عام 1712، ثم مكوي مييم (حوض الماء)، يحتوي على شروح لما يسمى عندهم هفطروت، أي القراءات الدينية الأسبوعية المقتبسة من كتب الأنبياء والملوك وغير ذلك.

M. Tolédano, *Ner Hama Earab*.

بردوگو، يوسف (1855.1802) ربي قاض بمكناس، ألف كتنوت يوسف (قميص يوسف) في ثلاثة أجزاء نشرت بين 1922 و1943، له شرح لموسى بن ميمون عنوانه *الربي موشي بن ميمون*، وله كذلك فتاوي عنوانها *كوتروت يوسف* (تاج عمود يوسف).

ويزيد طوليدنو على ذلك فينسب إلى هذا الربي كتابا آخر حول قواعد اللغة والصرف في العبرية، عنوانه : *سفر هشراشيم* (كتاب الجذور، مخطوط)

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

بَردوگو، يوسف (1968.1899) رئيس الطائفة اليهودية بمكناس من عام 1935 إلى وفاته، كاتب عام لمجلس الجماعات اليهودية بالمغرب من عام 1957 إلى عام 1961. وكان أحد ممثلي اليهود في مجلس شورى الحكومة في عهد نظام الحماية الفرنسية، ثم كان عضوا في الوفد الذي تشكل من يحيى الزگوري (الدارالبيضاء) وعاميل (الرباط) وغيرهما والذي استقبله المغفور له محمد الخامس في الوقت الذي سعت فيه حكومة فيشي الفرنسية إلى فرض نظام خاص على يهود المغرب، وقد أكد الملك الراحل رفضه لقرار فيشي وأكد رعايته وحمايته لليهود المغاربة.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

سيمون ليڤي

بُرديكاريس، يون Perdicaris Ion أمريكي من أصل يوناني تجنس واستوطن مدينة طنجة نحواً من عشرين سنة حتى وقع سنة 1904 هو وصهره كروموبل فارلي C. Varley أسيراً بيد أحمد الريسوني، ولم يفرج عنهما إلا بأداء فدية مالية. كان من الأثرياء الأمريكيين بالمغرب ذا خلطة كبيرة بالمغاربة في الفلاحة وتربية المواشي، من المولعين بالفنون الجميلة، رسم لوحات زيتية بريشته. كما كان حر الفكر، شهماً، سخياً. واشتهر بمناهضته لتعسفات القناصل والأجانب، وألف عن شجاره مع الكولونيل فيلكس ماتيوز F. Mathews القنصل العام الأمريكي بطنجة كتيبا نشر بلندن سنة 1886 بعنوان : *مطالب أمريكية وحماية الأهالي من لدن مستوطن أجنبي*. *Americain Claims and the Protection of Native Subjectes by a Foreign Resident*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 470.469.

J.L. Miège, *Le Maroc et L'Europe*, 1 : 153.

مصطفى بوشعراء

بريديل، قرية تقع جنوب غرب مصطاف تافوغالت على السفح الجنوبي من جبل بني إزناسن في قسم قبيلة بني وريمش. اشتهرت بريديل باحتضانها قصر القائد محمد بن البشير بن مسعود الإزناسني الذي صار فيما بعد عاملا على "عمالة وجدة"، غير أن هذا القصر تعرض للنهب والتدمير بعد أن قبض السلطان مولاي الحسن على القائد المذكور سنة 1876، وشُرِّد أفراد عائلته، فمنهم من نُقل إلى فاس، ومنهم من فرّ إلى غرب الجزائر. وقد عاين أحد الرحالة الجزائريين معالم القصر المذكور في نهاية القرن الماضي، ومازالت بعض آثاره موجودة حتى الآن.

ق. الورطاسي، *بنو إزناسن*. الرباط 1976، ص. 83 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873. 1907*، الدار البيضاء 1989.

M. Ben Rahhal, *A Travers les Beni Snassen*, *B.S.G.A.O.*, 1889, pp. 5 - 50 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*. Oran, 1912, pp. 214 - 218.

عكاشة برحاب

البُرّ ← القمح

البَـرّ، (جزيرة ـ) تعرف بهذا الاسم Isla de Tierra عند الإسبان وهي جزيرة صغيرة مجاورة لجزيرة النكّور، كما تعرف بجزيرة القديس كارلوس Isla de San Carlos في حين أن اسمها الحقيقي هو جزيردة تازروت النكور وتقع على بعد مائتي متر من شاطئ قبيلة بني ورياغل.

هذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي تعرف بـ Ad Sex insulas في *دليل المسافر* لأنطونينو Itinerario de Antonino ولم نجد لها ذكراً في المصادر المغربية.

ويزعم الإسبان أنهم احتلوها يوم استيلائهم على جزيرة النكور في 28 غشت 1673.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*. Madrid 1613 (*Itinerario de Antonino*) ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan 1951, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرَّابَحْ، مكان بأرض قبيلة الزيايدة إحدى قبائل الشاوية، على وادي نفيفيخ إلى الجنوب الغربي من مدينة بن سليمان. في هذا المكان جرت معركة شديدة بين جيش الاحتلال الفرنسي ومجاهدي قبائل الشاوية يومي 16 و17 فبراير 1908.

وقد وقعت هذه المعركة في إطار تنفيذ خطة الجنرال داماد، للقضاء على مقاومة قبيلة المذاكرة وأولاد علي. وهكذا قسم القائد الفرنسي قواته إلى ثلاثة طوابير، كلف الطابور الأول بقيادة الكلونيل Taupin أن يهاجم بلاد المذاكرة من الشمال. تحركت قوات هذا الطابور من مدينة برشيد نحو مدينة فضالة (المحدية). ثم اتجهت شرقاً نحو بوزنيقة. ومن بوزنيقة اتجهت نحو الجنوب. كانت هذه القوات تسير في أرض متعرجة تكسوها الغابات، ولما اقتربت من أرض المذاكرة هوجمت في بَرَّابَح حيث شبت معركة حامية الوطيس، دامت يومين، اضطرت على إثرها القوات الفرنسية إلى الانسحاب نحو مكان انطلاقها، دون أن تحقق أهدافها.

وقد وصف كونجو Conjeaud قتال يوم 17 فبراير، فذكر أن القوات الفرنسية لما أرادت قطع الوادي صباح هذا اليوم هوجمت من طرف "عدو شديد الاندفاع" فكانت المعركة دامية تدافع الجانبان خلالها على مقطع الوادي بحدة، واستخدم السلاح الأبيض عدة مرات مما بيّن عنف الهجوم المغربي.

وبصرف النظر عن خسائر المغاربة الغير المعروفة، فإن الرواية الفرنسية تشير إلى أن جيش الاحتلال الفرنسي فقد ثلاثة وثلاثين رجلا بين قتيل وجريح. من بينهم الضابط بُول بُولْهُو Boulhaut الذي أطلق اسمه على مركز بن سليمان في عهد الحماية. وقتل ضابط آخر يدعى أحمد بن محمد (من أصل جزائري أو تونسي).

ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء*، د. د. ع. 1985.

H. G. Conjeaud, *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894*, Casablanca, (s.d).

علال الخديمي

البرّاح، ـ بفتح الباء وتشديد الراء المفتوحة ـ يستعمل في العربية الدارجة والأمازيغية بنفس اللفظ والمعنى، ويقابله في الفصحى كلمة (المنادي). ويرى دوزي في *تكملة المعاجم العربية* أن برّاح بوزن فعّال يدل على الحرفة من برح بمعنى أظهر وأعلن، وهو مضمون حرفة البراح.

فالبرّاح في المفهوم الحضاري هو الشخص الذي يتولى مهمة الإعلام، وذلك بإطلاق النداء بأعلى صوته في الأسواق والمواسم وأمام المساجد وساحات المدينة ودروبها، وفي مختلف القرى والمداشر. وكان يعلن ما جدّ من الأحداث العامة منها والمحلية، وما يتخذه المخزن أو مجلس القبيلة أو الهيئة الحضرية من القرارات والمواقف، كما يعلن أحياناً عن حاجات الأسر والأفراد. وكان لإعلان البراح اعتبار خاص : يسري بسرعة فيتناقله الناس ويبلّغ الشاهد الغائب، ويوضع مقتضى كلامه موضع السمع والطاعة والتنفيذ.

ووظيفة البرّاح تعتبر من المظاهر الحضارية العتيقة التي شاعت في مختلف العصور وكانت معروفة في حضارة الشرق وفي البلدان الأوربية. وقد رسخت في البلاد العربية في العصر الجاهلي، فلما جاء الإسلام أقر هذه الظاهرة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ المنادين لإعلان قضايا الوحي، ووردت بشأن الظاهرة أحاديث كثيرة (*الترتيب الإدارية*، ص 290) وقد تواتر بعد ذلك في أعمال الفقهاء والقضاة أن يُطلقوا البراح للنداء بالأحكام الشرعية كما نجد عند الشيخ خليل في قوله :"ونادى بمنع معاملة يتيم وسفيه".

وتأصلت وظيفة البراح في المغرب فاعتبر "البريح" من وسائل الإعلام المعتمدة إلى أوائل القرن الرابع عشر (20 م) حيث بدأت وسائل الإعلام الحديثة تنتشر وتحل تدريجياً محل البرّاح سواء منها المقروءة والمسموعة والمرئية، وكانت المناشير والصحف والخطب والمجلات أسبق في الانتشار من الإذاعة والتلفزة.

غير أن هذا لم يمنع من الاحتفاظ بوظيفة البرّاح في بعض المرافق الاجتماعية حتى اليوم، سواء في المدن أو القرى. ومازال البراح يمارس مهمته لكن في أضيق مجال، إذ تنحصر في الإعلان عن بعض الممارسات الفلاحية في العالم القروي، وتشييع جنازة أحد أعيان المدينة أو مسنّيها، وبذلك مايزال منظر البراح وهو ينادي أمام حوانيت التجار والحرفيين في بعض المدن العتيقة مثل الرباط وسلا أمراً مألوفاً.

وإلى جانب البراح يوجد الدلاّل والعلاّم، فوظائف هؤلاء متميزة مختلفة. وقد حدث هذا الخلط فعلاً في الكتابات الأجنبية عن المغرب خصوصاً في عهد الحماية، وهو ما يلاحظ في ترجمة كلمتي البراح والدلال فكلاهما معاً تُرجم بعبارة Cricur. وقد تنبهت بعض الكتابات إلى الفرق بين هاتين الحرفتين، فترجمت كلمة البراح بعبارة Crieur public في حين ترجمت كلمة الدلال بـ Vendeur à la criée وهو الصواب.

أما العلاّم فله مهمة محدودة مثل علاّم الحركة العسكرية الي ينادي في وقت الرحيل ووقت الإقامة، وعلاّم البارود الذي يعطي الإشارة أثناء لعبة الخيل، وعلاّم نوبة الماء الذي ينادي أثناء توزيع حصص مياه السقي التقليدي في بعض القرى، وهناك علاّم النوبة الخاصة بإطعام فقيه المسجد، وعلاّم نوبة رعاية الماشية الجماعية، وعلام إشارات الرقص والغناء.

أما الدلال فله أيضاً مهمة محدودة تنحصر في المجال التجاري، يعلن عن أثمان البضائع بالمزايدة، سواء كان ذلك في حلقة المزاد العلني أو كان متنقلا بين حوانيت التجار بتلك البضائع، ولكل نوع من البضاعة دلال خاص، ويتعدد الدلالون في أسواق الجلد والزربية والخيل والجوطية

والقيصارية، وقد أحصى 66 دلالا في أسواق مكناس وحدها سنة 1924.

وبهذا يتضح أن مهمة البراح كانت أعم وأشمل بحيث تستقطب مختلف المجالات في الحواضر والقرى، ولقد وقع تصنيف وظيفة البراح ضمن الحرف التي يوكل أمرها لنظر المحتسب في النظام المغربي، ففي قوائم إحصاء الحرف في المدن المغربية لسنة 1924 وردت حرفة البراحين لدى محتسبي مدينة سلا ومدينة تازا، ولم يكن عددهم يتجاوز اثنين في كل مدينة، وهذا لا ينفي وجودهم في بقية المدن، ويسري عليهم ما يسري على بقية الحرف الأخرى من ضوابط وشروط.

وكانت مواصفات البراح لا تستلزم خبرة معينة أو سعة من الثقافة، وإنما يشترط أن يكون جهوري الصوت حسن الهندام لبقاً حسن التصرف، يقوم بالإعلان عن الأمور المهمة والمتواضعة على السواء.

وبالنسبة للمصادر التي يتلقى منها البراح الأوامر، فقد كانت متعددة تشمل مختلف أصحاب القرار بما فيهم ممثلو المخزن من عمال وقواد وقضاة وأمناء وشيوخ وأعوان، وكذلك تشمل بعض الأعيان مثل شيوخ الزوايا والفقهاء بشأن استفحال بعض القضايا. وكذلك رؤساء الجماعة لدى القبائل فيما يخص أعراف القبائل وشؤونها الداخلية. وقد يكون المصدر شخصاً عادياً ممن ضاعت منه أشياء ثمينة، غير أن هذه المصادر وقع تقنينها تدريجيا في المغرب منذ عهد الحماية بحيث أصبح المخزن يتحكم في الإعلان بفرض الرخص.

وكانت العادة أن يحضر العدول نداء البراح في الأمور المهمة مثل البيعة والقرارات المخزنية ويسجلوا شهادة خاصة كوثيقة تثبت وقائع ذلك النداء وتاريخه، ونجد ضمن نماذج الوثائق التقليدية التي يستعملها الفقهاء عادة نموذج الإشهاد بالتبريح ومضمنه :"حضر كاتبه عفا الله عنه حيث برّح فلان بن فلان على سطح مسجد كذا أو وسط سوق كذا حتى سمعه القريب والبعيد وقال في تبريحه كذا، وهذا ما حضرناه بتاريخ كذا...". ولدينا شهادات عدلية مختلفة من وثائق القرن الثالث عشر (19 م) تشهد بشيوع هذه الظاهرة، منها شهادات بإعلان المخزن للتغييرات الحاصلة في صرف النقود (*مسألة النقود*، ص 332) وكذلك شهادات أخرى تهم العلاقات القبيلة وغيرها، وتلقّينا إلى جانب هذا بعض الروايات الشفوية تدل على أن البراح كان مصدراً لإنتاج كثير من النكث والأقصوصات المتداولة.

أما مصير هذه الظاهرة اليوم فقد تقرر على يد وسائل الإعلام التي أصبحت وسائل بديلة عن "التبريح" خاصة منها التلفزة والإذاعة والصحف، وأحياناً إذا اقتضى الأمر الاستعجال في شؤون محلية تجهز سيارة "براحة" بمكبرات الصوت وتطوف بأرجاء المدينة لنشر الإعلان المقصود. وبذلك آلت ظاهرة البراح إلى الزوال ولم تبق إلا في نطاق محدود كما ذكرنا. وقد وقفنا على نماذج من متأخري البراحين، أحدهم من مدينة سلا يدعى القائد التهامي كان أصلا من قواد الرحا في الجيش العزيزي، ولظروف لا نعلمها تحول ليقوم بمهمة البراح بسلا إلى أن توفي في أوائل الأربعينات من هذا القرن. والثاني من مدينة إنزگان يدعى مبارك أُبلخير، (انظر الصورة) كان ما يزال حياً سنة 1990، وقد توقف عن هذه الحرفة في أوائل السبعينات بعد أن قام بالتبريح طوال حياته. يقول عن نفسه أنه في الأصل من عبيد سيدي المدني الماسي حيث كان يسكن بالمرس بقبيلة ماسة قرب ضريح سيدي محمد أُحمد، وانتقل إلى مدينة إنزگان حيث تولى مهمة البراح فترة من الحماية وفي عهد الاستقلال. ويتحدث عن قواد المدينة أمثال القائد ابن المدني، والقائد أموگاي وغيرهما من قواد عهد الاستقلال، ومن هذه الحرفة كان يستطيع ضمان مورد عيش له ولزوجته وأولاده.

ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية*، جزءان ؛ خليل بن إسحاق، *مختصر خليل* ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر* ؛ مجهول، *الوثائق العدلية للصويرة وضواحيها* ؛ *روايات شفوية مع أحد البراحين ومع بعض المسنين*.

Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçant au Maroc (1923 - 1924), in *Revue du Monde Musulman*, Tome 58, Paris, 1924 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Bayrouth, 1981, 2 vol.

عمر أفا

بَرّادة، أسرة أندلسية كبيرة، استقرت عندما انتقلت إلى العدوة المغربية، بفاس وتطوان ومكناس. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل حتى اليوم نفس الاسم Barrada.

وقد انتشرت اليوم هذه الأسرة كثيراً، فلم يعد وجودها قاصراً على المدن الثلاث المذكورة، بل لا تكاد تخلو منها مدينة.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

برادة الطيب بن الخياط. لا يعرف عنه إلا ما ذكره تلميذه الباحث المحقق التهامي بن المكي ابن رحمون الفاسي (ت 1263 / 1847) في مجموع إجازات أشياخه. ويظن عبد السلام ابن سودة أنه من أهل فاس.

توفي في خامس وعشري رجب عام 1235 / 8 ماي 1820.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1235.

برادة، عبد الجليل بن محمد الفاسي "الفقيه العلامة المحدث الرواية المطلع، له عدة إجازات من عدد من علماء المغرب". انتقل إلى المدينة المنورة وجاور بها مدة طويلة إلى أن أدركته الوفاة بها عام 1325 / 1907.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1325.

برادة، عبد الرحمان الفاسي، صوفي صالح، من أكبر مريدي الشيخ أحمد التجاني. لا ندري القرابة العائلية بينه وبين علي حرازم برادة آتي الترجمة، إلا أنهما كانا معاً من خاصة الشيخ التجاني.

توفي بفاس عام 1234 / 1818 ودفن بروضة الشيخ ابن عمرو داخل باب عجيسة.

ع. ابن سودة، إتحاف، مخطوط، 1234.

برادة، عبد السلام بن الحاج أحمد، صوفي ناسك زاهد، من أسرة ثرية، كان والده يتجر بالسودان ذا ثروة طائلة طالما أغدقها على ولده البكر عبد السلام الذي أراده أن يكون تاجراً مثله، لكن الابن أعرض عن متاع الحياة الدنيا إعراضاً تاماً سواء في حياة والده حيث منحه والده ما عمل به حانوتاً في سوق العطارين بفاس فتخلى عنها لعمه، أو بعد أن توفي والده وتركه مقدماً على إخوته، فأعرض عن الجميع وبقي متجرداً منقطعاً إلى الله تعالى. حلاه صاحب *السلوة* بقوله :"الفقير الأرضى، الخير المترضى، المعرض عن الدنيا وأهلها، الزاهد فيما ينسب إليها، مقدم الطائفة العيساوية".

كان من أصحاب الفقيه الصالح عبد المجيد المنالي الزبادي لا يكاد يفارقه، وحج معه سنة 1158 / 1745، وقال عنه المنالي في رحلته *سلوك الطريق الوارية* :"كان محباً صادقاً ذاكراً قانتاً، صيامه كثير من فطره".

وكان عبد السلام برادة شيخاً مربياً لأصحابه، يرشدهم في سلوك طريق القوم، إلى أن توفي بوباء عام 1164 / 1750، فدفن في حي فندق اليهودي بفاس، وبنيت عليه زاوية يجتمع فيها الذاكرون من فقراء الطريقة العيساوية.

ع. المجيد المنالي، *سلوك الطريق الوارية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، 4 : 93 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1164.

محمد حجي

برادة، عبد القادر بن عمر نشأ في حجر والده المعروف في الوسط التجاري بفاس، ودرس دراسة عصرية في المدارس الابتدائية وثانوية مولاي إدريس، ثم اشتغل مع والده في التجارة. كان من الرعيل الأول في الوطنية، وقد نفته فرنسا على إثر حوادث 1937 إلى طنجة، فاستوطنها وأصبح رئيس الغرفة التجارية بها. ولم ينقطع عن نشاطه الوطني وقد أصبح مجال العمل أمامه فسيحاً نظراً لوضعية طنجة الدولية، فكان بيته ملتقى الوطنيين القادمين من منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية، يساعدهم ويسهل مأمورياتهم مستخدماً في ذلك ذكاءه وماله وجاهه، خدمة للقضية الوطنية المقدسة.

وبعد الاستقلال اختُطف من باب داره مع صهره وحُمل

إلى جنان بريشة بتطوان حيث قضى نحبه رحمه الله تحت التعذيب الوحشي أواخر سنة 1376 / 1956.

وثائق عائلية، ومعلومات شخصية.

أحمد معنينو

برادة، علي حرازم بن العربي الفاسي، أكبر خاصة الشيخ أحمد التجاني. كان من كبار العارفين رغم أميته وبلغ الذروة العليا. كان بوجدة عندما لقي سنة 1191 شيخه التجاني الذي كان متوجهاً من تلمسان إلى فاس لزيارة المولى إدريس الأزهر فصحبه إلى الحضرة الفاسية.

وفي عام 1213 شرع في تأليف كتابه *جواهر المعاني وبلوغ الأماني* مع كونه لا يد له في العلوم الرسمية كما يقول أبو المواهب العربي بن السائح العمري الشرقي دفين الرباط في *بغية المستفيد*، وقد ظهرت عليه آثار الفتح فخاض لجج المعارف وتبلورت بعض عناصرها الظاهرة في كتابه المذكور الذي أمره شيخه بجمعه ونظم فرائد فوائده، وترتيب فصوله وتهذيب مسائله وتأسيس قواعده، كما يقول أبو المواهب ابن السائح. ومعظم ما انطوى عليه الكتاب من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني حول المفاهيم الصحيحة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية وقضايا عم بلواها فانبرى لتحليلها في منهج فذ جدير بكبار الأئمة. وقد عرف علي حرازم كيف يرتب ذلك في قوالب رائعة رغم بضاعته المزجاة في العلم وصناعة التأليف. وهذا ـ كما يقول سيدي العربي بن السائح ـ أدخلُ في الكرامة مما وقع لبعض العارفين الموصوفين بالأمية من تأليف بعض مهرة العلماء في مآثرهم وأذواقهم الوهبية، والإشارة إلى كتاب *الذهب الابريز* الذي جمع فيه العلامة أحمد بن مبارك إملاءات الشيخ عبد العزيز الدباغ.

وقد نسخ كتاب *الجواهر* في حياة الشيخ التجاني الذي "أجازه ي سائر ما فيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك في مسجد الديوان" بفاس وأخذت نسخ كثيرة عن هذا الأصل، وفي خزانتي الخاصة إحدى هذه النسخ مذيلة بامضاء العلامة سيدي العربي بن السائح، ثم طبعت *الجواهر* مراراً. ولعل بعض التحريفات والانحرافات لوحظت في النسخ المطبوعة لا وجود لها في الأصل. وقد أشار العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه *كشف الحجاب* إلى ما

أثاره صدور هذا الكتاب من إعجاب وتقدير لترتيبه ومحتواه، وحررت حوله تقاريظ نثراً وشعراً.

وما لبث الشيخ علي حرازم أن غادر مدينة فاس متوجهاً نحو الحجاز مصحوباً في رحلته بعبد الوهاب ابن الاحمر الفاسي، ولقي في سفرته هذه شيخ الاسلام سيدي ابراهيم الرياحي بتونس الذي نظم في سيدي علي حرازم قصيدة من أربعة وثلاثين بيتا طرزها ببعض شمائله مطلعها :

كرم الزمان ولم يكن بكريم وصفا فكان على الصفاء نديمي

إلى أن قال :

وأجلها نظري إلى ابن حرازم وتمتعي من خلقه بنسيم

وتعرفي من عرفه بعوارف ومعارف ولطائف وفهوم

توفي الشيخ علي حرازم برادة بالحجاز عام 1214 / 1799.

ع. ابن السائح، *بغية المستفيد* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*.

عبد العزيز بنعبد الله

برادة، عمر بن إدريس الفاسي أقام مدة طويلة بإشبيلية حتى تجنس وتزوج من إسبانية أنجبت له أولاداً سماهم بأسماء مسيحية : خوليو الذي كان طبيباً بتطوان، وسالْبَادُور الذي هاجر إلى البرازيل، وألفونصو. ثم استوطن فاساً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأصبح يمثل إسبانيا بهذه المدينة.

كان مثقفاً حاد الذكاء حسن المعاشرة إلا أنه كانت له بعض الخلافات مع السلطات المحلية، ومع ذلك كانت تطلب مساعدته عندما يحل بالمدينة أجانب ليترجم عنهم لمعرفته بعض اللغات. وكانت له خلطة مع الإسبانيين والألمانيين وغيرهم. ولما صدرت جريدة *"المغرب"* بطنجة سنة 1889 كان مراسلا لها.

مصطفى بوشعراء

برّادَة، محمد بن **أحمد** بن المفضل، ولد بمكناس سنة 1900. وفيها تلقى دراسته بمختلف مراحلها وفنونها سواء الدراسات الإسلامية أو اللغة العربية وآدابها. عُرف بتضلعه في الفقه والنحو والأدب، وكانت له ذاكرة قوية للحفظ، وبراعة فائقة في إنشاد القصائد الشعرية الوطنية بطريقة حماسية على النهج المصري وبصوت جهوري، فكان يلهب حماس المكناسيين، وزاد من تأثيره على الجماهير نظراته أثناء إلقاء خطبه وقصائده، فكان في هذه الظاهرة وحيد عصره، علما أنه لم يرحل إلى الشرق، ولم يشاهد سوى بعض التمثيليات المشرقية التي قدمت في مكناس، كما كان اتصاله بالمشرق العربي عن طريق المجلات والجرائد التي كانت تصل آنذاك إلى مدينة مكناس بطرق متعددة، فأكسبه هذا الاطلاع الواسع ثقافة سياسية جعلته يحلل الأوضاع المحلية والعالمية بدقة، غالبا ما يحالفه الصواب في تحاليله، وبهذا الكم المعروف المعتبر استحق محمد برادة لقب أستاذ جيله في مكناس.

كانت دروس برادة على دسامتها وعمقها تتخللها النكتة فتضفي عليها بعض المرح، وما أحوج الطلاب إليه أحياناً، وكأنه بذلك أستاذ تربية وعلم نفس. وأديب موهوب وعالم مقتدر. كان يعطي دروسه بانتظام بمسجد الأنوار بسوق السباط وبجامع النجارين الذي درّس فيه *الكامل* للمبرد.

امتازت مواقفه الوطنية بالوضوح وعدم الخوف من خصوصه السياسيين، كما أنه لم يكترث لانتقادات فقهاء عصره ولم يتردد ـ عن اقتناع ـ في الانضمام إلى الحركة القومية في مستهل سنة 1937 بعدما كان عضواً نشيطاً في فرع كتلة العمل الوطني بمكناس قبل حلها. كما أنه ساهم مساهمة فعالة في الإعداد لأحداث بوفكران بمكناس، فألقي عليه القبض في فجر ثاني شتنبر 1937 وسيق إلى محكمة الباشا أحمد السعيدي الذي حكم عليه ـ صحبة أربعة وطنيين آخرين ـ بثلاثة أشهر سجناً نافذة، قضاها رُفقة إخوانه الوطنيين في سجن سيدي سعيد بمكناس.

بعد خروج محمد برادة من السجن واصل عمله التدريسي ونشاطه السياسي دون ملل أو كلل، إلى أن كانت سنة 1944 سنة تقديم أعضاء الحركة الوطنية لوثيقتي المطالبة بالاستقلال للسلطات الفرنسية، فكان من بين الموقعين على عريضة الحركة القومية، كما تحمل مسؤولية الكتابة العامة للحركة القومية بمكناس، التي صارت تعرف بحزب الشورى والاستقلال منذ 1946، وبقي يزاول مهامه السياسية إلى سنة 1947.

إن ثقافة الفقيه برادة الواسعة والمتنوعة وذكاءه الوقاد جعلا تصرفاته سابقة لعصره حيث كان يطلق العنان لحريته الشخصية في وقت كان يعتبر فيه هذا التصرف من أكبر الكبائر في نظر فقهاء عصره. فيدخن جهاراً، ولا يتزيى بزي "العلماء" إلا قليلا ليحظى بالوقار على حدٍّ فهم العامة والخاصة من المكناسيين، ولا يتحفظ في مجالسة الذين لا يشاكلون مقامه العلمي، وينتقد جهاراً التزمت والجمود في أشياء سبق بها عصره، هذه التصرفات جلبت عليه كثيرا من المشاكل داخل مجتمع من سماته الأساسية الحفاظ على كل ما هو عتيق، والرجوع إلى التراث وما خلفه السلف الصالح واتخاذه قدوة ونموذجا للتغلب على مشاكل العصر، فصار محمد برادة وسط هذا التزمت والجمود نشازاً. فكان ذلك سبب نكد عيشه وسد أبواب الرزق في وجهه، فزاد فقره، وعسرت حاله لدرجة أنه لم يكن يجد ما يسد به رمقه. وللخروج من هذه الضائقة، طلب العدالة ـ بتدخل المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان ـ وطلب كتابة المعهد الإسلامي، فرفضت طلباته، لأن خصومه السياسيين كانوا له بالمرصاد، فزادت فاقته وحرمانه، مما اضطره إبان الأزمة المغربية سنة 1953 إلى قبول إدارة المعهد السالف الذكر، فسبب له ذلك عدة مشاكل، فقد وزع طلاب المعهد منشوراً ينددون فيه بمديرهم، مما جعل أعداءه الحزبيين والدينيين يتهمونه بالخيانة والزندقة وارتباطه بالفرنسيين، وهي تهم

مبالغ فيها، فأثر كل هذا في نفسه ولم يجد سنداً يتكئ عليه في بداية حصول المغرب على الاستقلال، خاصة وأن هذه الفترة امتازت بتصفية الحسابات الشخصية تحت رداء وطني، ذهب ضحيتها العديد من الوطنيين والمقاومين الذين تم اغتيالهم أوتعذيبهم في ظروف غامضة أو أرغم بعضهم على الابتعاد عن الحقل السياسي لما أصبح يتميز به من تعفن، وكثرة الدسائس والكمائن، في وقت كان من المنتظر أن يشهد المغرب المستقل مزيداً من الوعي لأطره السياسية لمواجهة مخلفات الاستعمار. وكان محمد برادة أحد ضحايا تلك الفترة المتوترة حزبيا، فمرض مرضا عضالا لم ينفع معه علاج، بعدما تضاعف ندمه وإحساسه بالغربة لما تبرأ منه أغلب أصدقائه وكل خصومه، في وقت لم ينفع فيه ندم، وتعاظم لديه تأنيب الضمير، فسقط طريح الفراش من شدة الألم والسقم إلى أن توفي يوم السبت 9 شوال 1378 / 18 أبريل 1959 ودفن بمقبرة سيدي عمرو بوعوادة في حي حمام الحرة بمكناس.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

برادة، محمد بن **الطيب** كان وكيلا مغربيا بمصر. وتوفي قبل غشت 1845.

برادة، محمد بن **عبد السلام** استوطن مدينة إشبيلية مدة طويلة ثم عاد إلى تطوان سنة 1884 واستقر بها.

برادة، محمد بن **العربي** أمين بمختلف المراسي ومنها الجديدة التي أصبح عاملا لها، وبها توفي سنة 1894.

وهناك شخص آخر يحمل نفس الاسم :

برادة، محمد بن **العربي**، تاجر له شركاء في هامبورغ وإفريقيا الشمالية والشرق الأوسط والسينغال ومصر في مطلع القرن العشرين.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 : 78، 103، 107، 316 ؛ 3 : 673، 1164 ؛ 4 : 1553 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

برادة، محمد بن **محمد** (الحاج ـ) الفاسي. «كان يدرس بالقرويين الفقه والنحو وغيرهما، أخذ عن الفقيه العلامة سيدي عبد الله بن إدريس البكراوي (البدراوي) وغيره» (*سلوة*).

توفي بفاس بعد زوال يوم الأربعاء ثامن ربيع الأول عام 1306 / 12 نونبر 1888، ودفن بروضة الشيخ علي المصالي داخل باب الجيسة.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 326 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1306.

محمد حجي

بَرّادُو، أسرة رباطية أصلها من الأندلس قطنوا في درب مولاي عبد الله بحي العلو وظلوا يسكنون فيه، ويُصهرون بصفة خاصة إلى الأسر الأندلسية العريقة من أمثال بلامينو، وملين، ورديـاس، وبرقوق. وكانت لهم جميعاً وجاهة وثروة وحظوة لدى الحاكمين، وعرف منهم تجار وصناع وأساتذة ومدررون.

بَرّادُو، إدريس (الحاج ـ) من حفاظ القرآن الكريم المجودين، اشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله في مسجد الحرارين مدة، ثم انتقل إلى كتّاب فوق جامع النخلة بحي بوقرون بعد وفاة صاحبه الشيخ بوشعيب ابن يعگوب، فحلّ محله في التعليم بالكتّاب وإمامة الصلاة في مسجد ضريح سيدي يحيى الإفراني بحي بوقرون كذلك. كما كان إدريس

برادو من بين حفظة القرآن الذين يُصلون التراويح بالسلطان مولاي يوسف ثم محمد الخامس. وبعد الاستقلال شارك في حملة محاربة الأمية بإعطاء دروس ليلية للعوام.

توفي بالرباط في 4 جمادى الثانية عام 1379 / 5 دجنبر 1959.

بَرّادُو، محمد (الحاج ـ) فقيه أستاذ حيسوبي اشتغل مدة طويلة مع آل برق الليل الذين كانت لهم تجارة واسعة في الرباط تمتد إلى مختلف مدن الجنوب. ولما نقلوا مركز تجارتهم إلى الجديدة انتقل معهم الحاج محمد برادو فحمدت سيرته وأمانته. ثم رجع إلى مسقط رأسه الرباط واشتغل ـ كأخيه إدريس ـ بتعليم كتاب الله تعالى بكتّاب الزاوية الناصرية، وإمامة الصلاة بمسجد ضريح للاّ البيضاء المقابل لكتّابه.

وبعد الاستقلال توجه للحج فأدركته الوفاة بالطائرة حوالي سنة 1378 / 1958 وحمل إلى الرباط حيث أقبر.

تقاييد ومعلومات شخصية ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 435-436.

محمد الأمين بلكناوي

برّاز بن **محمد** المسوفي أبو إسحاق، من أبرز الشخصيات التي كان لها دور سواء في عهد الدولة المرابطية أو الدولة الموحدية. ليس لنا علم بتاريخ ولادته. ولكننا نفترض أنه ولد في أواخر القرن الخامس أي أنه من أقران علي بن يوسف، نظرا لارتباطه به أولا برابطة الوفاء، ولكونه عند وفاة هذا الأخير سنة 537، كان يعد من أشياخ مسوفة وزعمائها ومن القواد الذين يعتمد عليهم الجيش

المرابطي، وتلك صفات لا يتقلدها إلا من بلغ سنا يدل على معرفة وتجربة وأدرك جاها وحرمة. فيكون سنه آنذاك بين الخمسين والستين.

وقد سكتت المصادر عن الفترة الأولى من حياته إلى أن برز الخلاف داخل صفوف المرابطين وتمثل في النزاع والتقاطع بين قبيلتي لمتونة ومسوفة في سنة 537. ومن المعلوم أن مسوفة هي إحدى القبائل الكبرى في صنهاجة اللثام، مؤسسي الدولة المرابطية. ويذكر ابن خلدون عنهم أنهم كان لهم في دولة المرابطين "حظ من الرآسة والظهوز".

وكان علي بن يوسف مثل أبيه ضامناً للتفاهم والوئام بين قبائل صنهاجة، بشخصيته والاحترام الذي كان يفرضه على الجميع. إلا أن المشاكل العويصة التي دخلت فيها الدولة المرابطية في المغرب والأندلس في العقد الأخير من حكمها زعزع هيبة الدولة فبرزت الإحن الدفينة والمؤاخذات المخبوءة والمنافسات المستبعدة. وعند وفاة علي بن يوسف انفجر الخلاف على أشده، وافتقدت مسوفة حاميها وضامن أمنها فخاف زعماؤها على أنفسهم. وكان من بينهم يحيى بن تاكفت ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار، والي تلمسان وبراز بن محمد وعدد كثير من أبناء قبيلتهم. ونتج عن ذلك، حسب ابن عذاري، أن "زاد الخلل في أمر تاشفين، وفسدت نيات اللمتونيين لقبيل مسوفة، وترقبوا لهم الوقائع المخوفة، وتباغضوا بغضا، وقتل بعضهم بعضاً" (*البيان*، قسم الموحدين، ص 17).

وهكذا، انفصمت العصبية الصنهاجية التي قامت عليها الدولة المرابطية وانحاز زعماء مسوفة إلى معسكر الموحدين هم وطائفة كبيرة من قبيلهم، وكان ذلك من العوامل التي ساهمت في ترجيح كفة الموحدين وتدهور المرابطين، وربما يعرض هنا للمؤرخ تساؤل : ألم يكن لعبد المومن دور في إثارة النزاع بين القبيلتين ؟ ألم يكن له اتصال سري مع زعماء مسوفة وإغراء لهم ؟ لسنا نستطيع الجواب على هذا السؤال لأن المصادر ترجح أن الخلاف نشأ عن صراع داخلي بين صنهاجة اللثام. لكن المصادر ربما اكتفت بتسجيل الروايات المعلنة، دون أن تكلف نفسها عناء التحقيق في الموضوع.

ومهما يكن، فنحن لا نستبعد أن يكون عبد المومن بما عرف عنه من دهاء، كان عالما بتفاقم الخلاف بين القبيلتين، فصب الزيت في النار، ومنّى زعماء مسوفة بالوعود وفتح لهم الباب، وهكذا استطاع أن ينفذ من الداخل إلى عصبية صنهاجة ويهدّ ركناً من قوة المرابطين.

والذي يقوي في نظرنا حظوظ مثل هذا التفسير هو أن عبد المومن لم يكتف بحدوث الخلاف في صفوف المرابطين بل إنه كافأ زعماء مسوفة مثل يحيى أنجمار وبراز بن محمد. فعيّن هذا الأخير قائدا على أول جيش موحدي بعث به إلى الأندلس، بعد قدوم ابن قسي، أحد رؤساء الثوار الأندلسيين على المرابطين سنة 541 على عبد المومن، وإلحاحه عليه بالتدخل في الأندلس لتلافي أحوالها. وأصبح براز يحمل لقب الشيخ أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي. ولقب الشيخ لم يحمله إلا أعيان الموحدين ونخبة رجالهم مثل أبي حفص الهنتاتي. وكان لعبد المومن حسابه السياسي في هذا التعيين. ذلك أن براز بوصفه من رجال المرابطين سابقاً، كان أحسن المرشحين لتولي هذا المنصب في المرحلة الأولى من دخول الموحدين إلى الأندلس. فبالإضافة إلى كفاءته كقائد عسكري، كان أعرف برجال المرابطين الذين مازالوا متولين بالأندلس، فكان في مستطاعه فتح الحوار معهم واجتذابهم بالأسلوب السياسي إلى جانب الموحدين، وتوفير عدد من الجهود العسكرية التي تكلف ثمناً غالياً.

وظهرت، في الحين، مقدرة براز كقائد عسكري ورجل سياسي. فتقدم أولا إلى مدينة شريش التي كانت على الولاء للموحدين، ومن هنالك تحرك بقواته نحو لبلة بعد اجتياز الوادي الكبير، فإلى مرتله الموالية، فإلى شلب التي اضطروا إلى فتحها، فإلى باجة حيث أعلن سدراي بن وزير طاعته للموحدين وأدخلهم إلى المدينة. وبالجملة، فقد حصلت هاته الحملة العسكرية الأولى التي قادها براز بن محمد على دخول "جميع أهل الغرب والجوف من الأندلس" في طاعة الموحدين.

واضطر براز للتوقف عن العمليات في إبان الشتاء. وما أن تحسنت الأحوال الجوية حتى استأنفها بدعوة زعماء الثوار بالأندلس وجنودهم إلى الانضمام إليه بقصد افتتاح اشبيلية التي كانت ما تزال بيد لمتونة. وتم فتحها يوم 12 شعبان سنة 541. وجلا عنها اللمتونيون. ومما قاله ابن صاحب الصلاة عن دور براز :"وملك الموحدون المدينة وقصبتها التي كانت قصر ابن عباد، وكان شيخ الموحدين الذي يرجعون إليه أبا إسحاق بن محمد المسوفي". (*البيان*، قسم الموحدين، ص 36).

وبعد إتمام هذه العمليات الأولى من إخضاع الأندلس، جاءت مرحلة التفكير في إقامة إدارة إقليمية بالأندلس يكون مركزها هو إشبيلية. وكما كان براز موفقا في أعماله العسكرية. فقد برهن عن كفاءته الإدارية، واكتسب ثقة عبد المومن وتقديره بعد النتائج العسكرية التي توصل إليها في ظرف وجيز، فعينه في تسيير الشؤون الإدارية والمالية كما يفهم من رواية معاصره ابن صاحب الصلاة. فقد وجه عبد المومن إلى أشبيلية الشيخ أبا يحيى بن الجبر "معيناً لمن فيها من الموحدين... واجتمع مع أبي إسحاق براز عن رأي واحد وسعد مساعد، ناظراً في المجابي، شريكاً في التدبير والنظرللموحدين" (*البيان*، ص 36).

لكن أخوي المهدي ابن تومرت عبد العزيز وعيسى جاءا في هاته الأثناء إلى الأندلس وحلا بأشبيلية وصدرت منهما أعمال منكرة أضرت بموقف الموحدين بتلك البلاد وأساءت لسمعتهم لدى سكانها حتى ثاروا على الموحدين وتراجعوا عن ولائهم. مما حدا بعبد المومن تلافيا للأمر إلى توجيه رسالة جامعة لكل البلدان، وبخاصة إلى الأندلس أكد فيها

"قوانين العدل والفضل، والسياسة والرياسة، فكانت حجة بأيدي الناس، ومؤمنة لهم من الباس". كما بادر إلى تعيينات جديدة في أشبيلية، لكنه حافظ على براز بن محمد في منصبه الخطير، منصب "الناظر في المخزن" المكلف بالجبايا والشؤون المالية. ومن ثم نفهم أن كلمة مخزن كانت تعني في الأصل الإدارة المكلفة بالضرائب. فهي التي كانت تشعر الناس بوجود الدولة وسلطتها.

نجح براز في مهمته الجديدة نجاحا باهراً. فيذكر ابن عذاري أنه وجد حالا في غاية من الشدة من كل نوع، فاستطاع أن يعيد السكينة إلى أهلها "بعدله وساس أعاديه بدهائه وعقله"، وأن يفتح أبواب السياسة للوالي الجديد يوسف بن سليمان. وهكذا تولى بنفسه الاتصال بأحد رجال المرابطين الأفذاذ يحيى بن غانية الذي كان متوليا على قرطبة، يحاول الاحتفاظ بما بقى من سلطان المرابطين في تلك البلاد، وهو بين نارين، نارالقشتاليين بقيادة ألفونسو السابع الذي كان يضغط عليه باستمرار، ونار الموحدين الذين جاءوا عازمين على أخذ الأندلس كلها من يد المرابطين. وكان في مستطاعه أن يقاوم ويصمد في مقاومته. لكن براز استطاع في اجتماعه به بإستجة أن يقنعه بضرورة التخلي عن التردد ووضع يده في يد الموحدين والتوصل إلى حل يكون فيه سداد بين الطرفين، فيتنازل عن قرطبة وقرمونة ويستقر في جيان. وهكذا انضم ابن غانية إلى معسكر الموحدين، وتوجه براز بنفسه إلى مراكش ليعلم عبد المومن بالنتائج التي توصل إليها بفضل مساعيه الدبلوماسية، وسر الخليفة الموحدي بذلك ووجه مع براز رسالة ود وعطف إلى ابن غانية زادت في تشجيعه وثباته على موقفه.

وسُقط في يد ألفونسو الذي كان معولا على انحياز ابن غانية إلى جانبه. فهب بجيشه لاحتلال قرطبة. وأمكنه أن يدخل إليها سنة 543 / 1148. إلا أن براز الذي كان واليا على أشبيلية لم يمهله حتى جهز حملة موحدية يقودها قائدان أندلسيان، وتعززت الحملة بورود قوات جديدة من المغرب. وتخوف ألفونسو من الحملة الموحدية فانسحب من قرطبة وأمكن للموحدين أن يستولوا على المدينة في نفس السنة. وكان لبراز في تلك الأثناء دور مهم في عودة زعماء المريدين إلى الولاء للدولة بعد مواقف التمرد التي صدرت منهم وهكذا توجه البعض سنة 544 إلى مراكش للاعلان عن طاعتهم مباشرة لعبد المومن.

واحتفظ براز بسلطته سنوات أخرى من بعد، إذ نجده يساهم في اعتقال يحيى بن يومور الذي صدرت منه أعمال سفك شنيعة في سكان لبلة سنة 549، ويقوم في نفس الوقت بتثقيف أموال تلك المدينة في المخزن. ولما عين عبد الله بن أبي حفص واليا على أشبيلية، كان أول ما اهتم به هو القيام بالجهاد، فاستشار براز في ذلك الشأن وكان ما يزال متوليا على المخزن. فأشار عليه بما يشجعه على المضي في تحقيق نيته.

وفي سنة 555، انتدبه الخليفة عبد المومن ليكون ضمن لجنة تشرف على بناء مدينة سلطانية بجبل الفتح (جبل طارق). وقد وردت الإشارة إلى ذلك في إحدى الرسائل الموحدية التي تتحدث عن "اختطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق" ثم تتحدث الرسالة بعد ذلك عن المكلفين بإنجاز المشروع :"واستخرنا الله تعالى ووجهنا الشيخ أبا إسحاق براز بن محمد والحاج يعيش ـ أكرهما الله للاشتغال بذلك على ما وادعناهما عليه وذاكرناهما به في كيفية الاشتغال، وصورة الاعتمال" (*رسائل موحدية*، ص 97) ثم تذكر الرسالة، في الأخير، أفراد اللجنة المكلفين بالسهر على إنجاز المشروع. وقد شيدت بالفعل تلك المدينة وفق الطموح الذي كان للموحدين.

وقرر عبد المومن في آخر حياته أن يحول عاصمة الأندلس من أشبيلية إلى قرطبة، كما كانت في عهد الأمويين. وكان براز هو الذي تولى الإشراف على هذا الانتقال الذي لم يكن يخلو من صعوبات ومشاكل، إذ كان يقتضي نقل الدواوين والأموال وترحيل عدد كثير من الموظفين والكتاب وإيجاد كل المتجهيزات الضرورية لذلك. وهكذا "عمرت قرطبة بعد قفرها" كما يقول ابن صاحب الصلاة الذي يؤدي هاته الشهادة المنوهة ببراز، وهو في الأعوام الأخيرة من حياته :

«وأظهر أبو إسحاق عادته في النصح لجميع المخازن، في داخل قرطبة وخارجها وجميع الأقطارالتي للموحدين والمواطن، واستعمل على أشبيلية من أصحابه من وثقه، واختصه وصدقه. ولم يزل في عمله من النصح، وشغله البين الوضوح كالصبح، مدة حياته إلى أن توفي بقرطبة بعد ذلك في عام تسعة وخمسين وخمسمائة من علة النقرس المزمنة به».

يتضح لنا باستعراض حياة براز، أن الرجل قدم خير مثال للموظف السامي، لخادم الدولة المغربية، غير متأثر لا بالعصبية العرقية ولا بالتقلبات السياسية، وإنما همه أن يؤدي مهامه باخلاص وإتقان.

رسائل موحدية، الرباط، 1941 ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

بُرّاس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Porras. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1733/1145.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

البرّاق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان من بين أفرادها :

البرّاق، أحمد مدفعي كان ينتمي إلى حامية المدينة سنة 1830/1246.

البرّاق، عبدالله بن محمد المنتمي لنفس الحامية سنة 1292/1875.

البرّاق، محمد بن علي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1144/1732 إلى سنة 1188/1774. وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 170، 297، 8 : 215، 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* .

البَرّاني، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1178/1764، وكان من بين أفرادها بنّاء ماهر مشهور اسمه :

البَرّاني، علي بن المهدي وكان حيا سنة 1175/1761.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323، 351 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* .

محمد ابن عزوز حكيم

البرّانية (وزير الشؤون ـ) ← **الخارجية**

البرّجالي، أسرة سلاوية أصلها من قبيلة أولاد برجال أحد فروع قبيلة بني حسن الهلالية الكبرى المستقرة شمال مدينة سلا، ولعلها من فرع أولاد عامر المهدية. عرف منهم مجاهدون بحريون وغيرهم.

البرّجالي، محمد من رجال البحر المنقطعين للجهاد، ورد اسمه في قائمة الصلة التي وصل بها الحسن الأول هؤلاء البحارة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

البرّجالي، محمد آخر من حفظة القرآن المشتغلين بالجهاد البحري، ورد اسمه في قائمتي الصلات المخصصة من طرف الحسن الأول إلى الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، الأولى بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، والثانية في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

البرّجالي، محمد. فقيه كان أمين المستفاد بسلا وتوفي في الأربعينات.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، الوثيقة 84 و170.

Villes et tribus, Rabat et sa région.

محمد حجي

برّجان (ابن ـ)، أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبدالرحمان اللخمي. أصله من المغرب. وكان من أبرز رجال التصوف بالأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وبالتدقيق في الفترة المعاصرة لنهاية الدولة المرابطية، إذ كانت وفاته، على أرجح الروايات في محرم 536/غشت 1141.

لابن برجان جانبان أساسيان في شخصيته : جانب العالم والمفكر والصوفي، وجانب الرجل العامل، ونستطيع أن نقول، حسب الاصطلاح العصري، المناضل الذي اهتم بشؤون الأندلس وأوضاعها السياسية والاجتماعية في الفترة الأخيرة من حكم المرابطين التي عرفت أزمات ومشاكل مستعصية.

فبالنسبة لتكوينه العلمي، ليست لدينا معلومات دقيقة عن شيوخه وإجازاته، كما هو الشأن بالقياس إلى غيره من كبار العلماء المعاصرين. ونلاحظ أن الكثير من كتب التاريخ والتراجم تحاشت ذكره، لسبب سنحاول تفهمه فيما بعد، وقد اعتبره آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه *تاريخ الفكر الأندلسي* من المنتمين إلى مدرسة ابن مسرة المتأثرة بالغنوصية والأفلاطونية الحديثة. والواقع أن مؤثرات أخرى قوية برزت آنذاك في الأندلس أهمها كان هو ورود تآليف الإمام أبي حامد الغزالي وفي مقدمتها كتاب *إحياء علوم الدين* الذي أثار ضجة فكرية كبرى في أوساط العلماء بالأندلس والمغرب. وقد اهتمت طائفة منهم بتدريس الكتاب وحفظه ونسخه ونشره بين الناس. فابن برجان، فيما يخص تثقيفه من الناحية الصوفية استفاد كثيرا من تلك المصادر المختلفة قديمها وحديثها.

لكن ثقافته لم تقف عند حدود التصوف بل كانت أشمل وأكثر تنوعا. وإذا أخذنا برواية ابن الزبير عن ابن فرتون، فإننا نجد أنفسنا بإزاء فكر موسوعي، إذ يذكر عنه أنه من أجلّ رجال أهل المغرب، وأن له الإمامة في علم الكلام ولغات العرب والأدب وأنه كان «عارفاً بالتأويل والتفسير، نحويا بارعا، نقادا ماهرا، إماما في كل ماذكر، لا يماثل بقرين، مشاركا في علم الحساب والهندسة وغير ذلك. قد أخذ من كل علم بأوفر حظ مؤثراً لطريقة التصوف وعلم الباطن متصرفا في ذلك، عارفا بمذاهب الناس...» (*صلة الصلة*، ص :31).

كما ذكر عنه ابن الأبار أنه تلقى *صحيح البخاري* على أبي عبدالله بن منظور وحدث به، وأنه كان ذا معرفة بالقراءات. والذي جعله يقبل بلهف على العلم هو إعراضه عن الدنيا ومغرياتها. فكان يقضي جل وقته بين العبادة والدراسة. وذكرت له جملة من التآليف منها : *تفسير القرآن*، لم يتمه ؛ *شرح أسماء الله الحسنى* ؛ *كتاب الإرشاد*.

تلك هي التآليف التي استطعنا أن نضبط عناوينها من خلال المصادر القليلة التي تحدثت عنه. وليس من المستبعد أن تكون له تآليف أخرى ضاعت في أيام فتنة المريدين. وكان ابن برجان من جملة من وجهت إليهم أصابع الاتهام آنذاك. كما أن المترجمين لم يظهروا حرصا كبيراً على تتبع آثاره وإحصاء تآليفه بكل تدقيق. فمعاصره ابن بشكوال تجاهل وجوده، ولم يهتم به إلا المتأخرون عن جيله مثل ابن الزبير وابن الأبار. فما السبب في هذا الموقف ؟

الظاهر أن ابن برجان لم يحظ بعطف الفقهاء التقليديين وتقديرهم. ولعله أثار حنقهم لأنه أتى بطريقة جديدة في تناول النصوص الدينية والموضوعات التي عالجها في كتاباته. فتفسيره للقرآن ، مثلا، يختلف عن التفاسير

المعهودة بما أدخل فيه من الأفكار الصوفية والباطنية حتى إن ابن الزبير يعلق عليه بقوله :«وجرى فيه على *طريقة* لم يسبق إليها، واستقرأ من آيات عجائب وكوائن من الغيوب. إلا أنه أغمض في التعبير عن ذلك. فلا يصل إلى مقصوده إلا من فهم كلامه وألف إشاراته وإلهامه». وهو ما يؤيده فيه ابن خلكان حين يقول عن ذلك التفسير :«وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات» (*وفيات*، 4 : 237).

وكذلك الشأن بالنسبة لكتاب *شرح أسماء الله الحسنى* فقد جمع فيه أكثر من مائة وثلاثين اسما متداولة ومروية. وخصص لكل اسم ثلاثة فصول : الأول في استخراجها، والثاني في الطريق إلى مسالكها، والثالث يتعرض فيه للتعبد بحقائقها. هكذا قدم صاحب *كشف الظنون* هذا الكتاب الذي يغرق هو، أيضا، في الاتجاه الصوفي.

هذا الموقف الفكري ما كان ليروق الفقهاء المالكية بالأندلس والمغرب الذين دأبوا على استنكار كل ما يخالف فقه الفروع والفتاوي الذي كان سائداً منذ أيام الدولة الأموية بالأندلس. فقاوموا أصحاب الفلسفة وعلوم الأوائل، ونددوا بأصحاب الفرق من معتزلة وشيعة وغيرهم، وتصدوا للظاهرية التي صعد نجمها على يد ابن حزم. وأخيرا، استقبلوا كتاب *الإحياء* للغزالي بالاستنكار وأفتوا بإحراقه. وكانوا في كل قراراتهم ومواقفهم يحظون بعطف الدولة وسندها، ويستعملون سلطتها. وظهروا، في الأخير، بمظهر المتواطئين مع المرابطين في وقت بات الأندلسيون ينظرون إليهم كمتسلطين أجانب ويضربون أكثر فأكثر على وتر القومية الأندلسية كما ظهر ذلك في عدة أحداث أهمها ثورة المريدين، وثورة القاضي ابن حمدين بقرطبة.

وكان من نتائج ذلك أن اتجهت معارضة المرابطين سواء بالأندلس أو المغرب إلى احتضان موقف التصوف. وكل القرائن تشير إلى أن ابن برجان كان هو الزعيم، أو على الأقل، أحد الزعماء الكبار لهذا التيار الصوفي الناشئ. ونجد بالمصادر ما يشير لزعامته. فابن الأبار يذكره إلى جانب ابن العريف وأبي بكر الميورقي ويقول إنهم «كانوا نمطا واحدا في الانتحال والانصاف بصلاحية الحال» إلا أنه يستدرك مؤكدا أن ابن برجان كان له الشفوف عليهم «حتى قيل فيه : غزالي الأندلس» (*المعجم*، ص : 16) وهذا التفوق اعترف به ابن العريف بنفسه في رسائله التي جمعها في كتابه *مفتاح السعادة وتحقيق طريق الارادة*، فهو يدعوه، تارة «الشيخ الإمام» و طورا «الشيخ إمامي وكبيري»، وطورا «المقتبس منه والمتطلع إلى ما لديه » وخاطبه كذلك بقوله : وأنت، يا إمامي بحرمة الشيب اذكرني»، الخ. فمراجعة رسائل ابن العريف تقدم لنا عدة دلائل، كما أن الشعراني ذكر أنه خُطب لابن برجان في حوالي مائة وثلاثين بلدة مما يعني أنه بويع كإمام بها.

وهنا نلمس جانب العمل والتحرك السياسي في شخصية ابن برجان، ويتضح من تتبع نشاطه واتصالاته أنه كان شيخا وأستاذا لعدد من العلماء الذين انغمسوا في حركة المريدين. فقد اتخذ مقره بأشبيلية التي أصبحت آنذاك هي عاصمة الأندلس وأخذت الزمام من يد قرطبة، عاصمة الأمويين. فكان من أول تلاميذه، على ما يتراءى من النصوص، أحمد بن العريف، وكذلك أبو بكر الميورقي، وكلا الرجلين امتحنا معه، مما يدل على اتصالهم العلمي والمذهبي. ومن تلاميذه أيضا :

أبو عبدالله المجاهد، الذي كان من الزهاد والأولياء، وأبو الحسن بن غالب، الذي كان ينحو منحى التصوف السني. وكان له دور مهم في قرطبة، وأبو محمد عبد الغفور الذي أصبح شيخ المريدين بلبلة، وأبو محمد عبدالجليل القصري، وعبدالملك بن عياش، وأبو بكر بن عياش، وأبو الحسن بن عامر الذي كانت له منزلة متميزة بين المريدين بقرطبة، وأبو محمد بن يوسف بن الأبار، وأبو بكر بن عتيق بن مومن، وأبو القاسم أحمد بن قسى، الذى كان له دور كبير في ثورة المريدين، وأبو الوليد بن المنذر، وأبو عبدالله محمد بن سالم، وأبو محمد الاشبيلي، وابن الخراط، ومحمد بن الكبش.

تلك قائمة بأسماء بعض الرجال الذين اتصلوا بابن برجان وأخذوا عنه وانحاشوا عن فقهاء المالكية التقليديين ولم يكونوا راضين عن سلوكهم وموقفهم السياسي. ولم يقتصروا في نشاطهم على النقد، بل تجاوزوه إلى تنظيم نفوسهم كحركة معارضة قادرة على اللجوء إلى العنف، هي حركة المريدين.

ونظرا للدور القيادي والتربوي الذي اضطلع به ابن برجان، فقد كان من الطبيعي أن يتعرض لنقمة الفقهاء المذكورين الذين نعتهم صديقه ابن العريف بعلماء السوء وكبراء أهل الدنيا المغترين بها في جمع الأموال والجاه. ولم يتردد الفقهاء في اللجوء إلى السلطان. فكان ذلك سببا في نكبته. نستخلص ذلك بكل وضوح من رواية ابن الأبار حين يتحدث عن ابن العريف بقوله :«وبعد صيته في الزهادة والعبادة، وكثر أتباعه على طريقته الصوفية حتى نُمي ذلك إلى أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين. ويقال إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذاهبه فسعوا به إلى السلطان وحذروه من جانبه، فأمر بإشخاصه إليه من ألمرية مع أبي بكر محمد الحسين الميورقي من غرناطة وأبي الحكم بن برجان من أشبيلية».

يبقى لنا أن نتساءل : هل كان السبب في نكبة ابن برجان وأصحابه هو انحرافة عن خط السنة وأخذه بالبدعة؟.

هذا ما لم يقل به أحد من الذين تعرضوا لترجمته. بل إنهم أكدوا عكس ذلك. فابن الزبير يذكر عنه أنه «كان بريئا من تعمق الباطنية، بعيدا عن تحية الظاهرية شديد التمسك بالكتاب والسنة، جاريا في تأويل ذلك على طريقة السلف وعلماء المسلمين وما عليه السواد الأعظم».

فالسبب، إذن، لا علاقة له بالدين. وإنما هو سياسي. فالفقهاء، من جهتهم، كانوا متخوفين من تصاعد نفوذ

المتصوفة ومضايقتهم. وأما الحكم المرابطي، فكان هو الآخر يشعر بأن طائفة المتصوفين النشيطة في الأندلس والمغرب كانت غير راضية عنه وتعمل على النيل من سمعته والانتقاص من سلطته. فكان حتما على الجهتين أن يتفقا على قمع حركة المتصوفة، وهي ما تزال في مهدها.

وهكذا أشخص ابن برجان مع ابن العريف وأبي بكر الميورقي إلى مراكش. وإذا كان الأمير علي بن يوسف عامل ابن العريف بكثير من الرفق والتسامح، فإنه صب جام غضبه على ابن برجان وأمر بالتحقيق معه في أقواله وأفكاره، ولم يبد أي استعداد للصفح عنه. وتوفي ابن برجان بعد ذلك بشهور في سنة 1141/536، فأمر علي بن يوسف أن تطرح جثته على المزبلة ولا يصلى عليه. مما يدل على مبلغ مؤاخذته واستنكاره له.

وعلى أي، فقد نال ابن برجان منزلة ملحوظة عند أهل التصوف، ووصلت كتبه إلى المشرق ونسبت له كرامات، منها تنبؤه في تفسيره بتاريخ استرجاع بيت المقدس من يد الصليبيين، انطلاقا من تأويل القرآن. ولذلك فإن متصوفة المغرب تضامنوا معه، ضدا على المرابطين، إذ أشرف علي ابن حرزهم على انتشال جثته من المزبلة وأمر خادما له بالبريح في أسواق مراكش لحضور جنازته. ودفن جنباً إلى جنب مع ابن العريف.

إن حياة ابن برجان تكشف لنا عن طور دقيق من تاريخ الأندلس في نهاية حكم المرابطين. كما أنها تقدم لنا صورة من الصور الأولى عن الصراع بين طائفتين من المسلمين المثقفين : طائفة أهل الشريعة المقتصرين على الفقه وما يتضمنه من أحكام، وطائفة أهل الحقيقة الآخذين بالتصوف وما يسمح به من تأويل وتعمق في فهم القرآن والحديث. وهو صراع استمر عبر القرون إلى يومنا هذا.

ابن العريف، *مفتاح السعادة*، مخطوط خ. ح. 1562 ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ م. ابن الأبار، *التكملة* ؛ *معجم* ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ م. ابن شاكر، *الوافي بالوفيات* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 2 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. ع. عنان، *عصر المرابطين* ؛ ع. دندش، *الأندلس في نهاية المرابطين*، بيروت 1988 ؛ ع. لحمنات، *التصوف المغربي في القرن السادس الهجري*، ر. د. د. ع. الرباط، 1990.

محمد زنيبر

بَرْزُوق (سيدي ـ) من أولياء الرباط الذين لا تعرف له ترجمة، وضريحه بدرب النجار المتصل بشارع الجزاء الذي يعد اليوم امتدادا لشارع محمد الخامس. ولا يُعرف شيء عن حياته.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 276.

عبدالاله الفاسي

بَرّْشيد، أسرة تنتمي إلى قبيلة أوْلاد حريز، إحدى القبائل الكبرى المكونة لاتحادية الشاوية. تقع أرض أولاد حريز بجوار قبيلة مديونة التي توجد مدينة الدارالبيضاء في أرضها.

وآل برشيد من الأسر الشهيرة بإقليم الشاوية، توارث أبناؤها زعامة أولاد حريز منذ أواخر القرن الثامن عشر على الأرجح، ومنذ عهد مولاي سليمان على أقل تقدير. فحسب بعض الروايات التاريخية نجد أن المسمى عثمان بن محمد الصغير، وهو جد آل برشيد، وكان من الأعيان المسموعي الكلمة في أولاد حريز، تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي سليمان (1796 ـ 1822).

لكن الذي أعطى اللقب للأسرة، والذي يعتبر المرجع لآل برشيد هو رشيد بن عثمان الذي تولى زعامة أولاد حريز في عهد مولاي عبدالرحمان. بيد أننا يجب أن ننبه إلى أن مؤسس الأسرة ومؤسس قيادة آل برشيد يبقى هو القائد محمد بن رشيد بن عثمان آتي الترجمة.

ينتسب آل برشيد إلى إدريس بن إدريس الأكبر، فهم شرفاء حسنيون استقرّ أجدادهم بالمنطقة منذ وقت مبكر، وينتمون اليوم إلى دوار أولاد علال، الذي ينتمي بدوره إلى فخذة أولاد يوسف، إحدى الفرق المكونة لقبيلة أولاد حريز.

نالت أسرة برشيد حظوة خاصة عند ملوك الدولة العلوية منذ عهد مولاي عبدالرحمان (1822 ـ 1859)، وهكذا نجد ابنه سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 و1873) يتزوج من آل برشيد مرتين (Gouvion, 553)، كما تزوج منهم مولاي عبدالعزيز (1894 ـ 1908). وازدادت هذه الحظوة كثيراً في عهد القائد عبدالسلام برشيد الذي رشح للسفارة إلى بلاطات أوربا في عهد مولاي الحسن (1873 ـ 1894).

ومما يؤكد نفوذ آل برشيد بالمخزن، واستمرار حظوتهم، أن الأسرة حافظت على قيادتها لقبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي في عهد الصدر الحاجب أحمد بن موسى البخاري (1894 ـ 1900)، الذي تزعزع فيه حكم أسر كبيرة بالشاوية وغيرها من القبائل، كما تجدر الإشارة إلى أن آل برشيد حافظوا على حكمهم ونفوذهم بالشاوية في عهد الاحتلال الفرنسي الذي بدأ منذ 1907.

برّْشيد، رشيد، بن محمد بن رشيد، تولى قيادة أولاد حريز بعد وفاة أبيه، وكان عهده قصيراً إذ حكم حوالي ثلاث سنوات من 1283 إلى 1286هـ. ويظهر أن اعتلال صحته، في زمن كثرت فيه الاضطرابات وانتشرت فيه الأوبئة بالشاوية خاصة والمغرب بصفة عامة، يظهر أن كل ذلك جعل أخاه عبدالسلام يتولى القيادة بدله.

برّْشيد، عبد السلام، يعتبر القائد عبد السلام بن محمد بن رشيد من بين القواد المغاربة الكبار الذين عرفهم القرن التاسع عشر، فقد تعدت شهرته النطاق المحلي بالشاوية لتعرف في المغرب كله، كقائد يعتمد المخزن على استشارته في الأمور التي تتعلق بخلافات القبائل فيما

بينها، وكذا في الأمور التي تهم علاقات المخزن الإدارية والتسخيرة مع قبائل الشاوية وقبائل الجوار، مثله في ذلك مثل القائد المعطي بن عبد الكبير المزامزي، والقائد محمد بن أحمد المزابي، وقائد مديونة أحمد بن العربي المديوني.

تولى عبد السلام برشيد القيادة سنة 1286 / 1869 - 1870 وكانت قيادته تشمل قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي. وتمتع بحُظوة في أوساط المخزن، لا يفارق السلطان مولاي الحسن في حركاته إلى أطراف البلاد. نظراً لتفانيه في الطاعة والنصح للمخزن، فقد رشحه السلطان مولاي الحسن إلى درجة السفارة إلى أوربا.

ففي سنة 1888 كلفه السلطان بترأس سفارة مغربية إلى ألمانيا. وعندما تساءلت الحكومة الألمانية عن شخصية السفير ومرتبته قدمه السلطان في رسالة إلى النائب المغربي محمد الطريس بهذه الكلمات :

"فأما السفير فهو الخديم القائد عبد السلام بن برشيد الحريزي. وأما مرتبته فالعمالة. وهو من خواص العمال وأرفعهم مكانة لدينا، ودارهم دار ولاية خلف عن سلف، مع مالهم من الاتصال بنا وبأسلافنا المقدسين ومن النصح في خدمتنا الشريفة ولأجل ذلك رشحناه لهذه السفارة وانتخبناه". (*عبير الزهور*، 312).

وخلال هذه السفارة، قام عبد السلام برشيد بمهمة أخرى في البلاد الإيطالية. فزار إيطاليا في طريقة لألمانيا، وقدم هدية معتبرة إلى رئيسها الذي ناوله بدوره خاتمه هدية للسلطان مولاي الحسن، تعبيراً منه عن صداقته وتقديره لسلطان المغرب. كما التقى السفير بطلاب البعثة المغربية الذين كانوا يدرسون بإيطاليا.

ظلت علاقة عبد السلام برشيد وطيدة مع المخزن، خلال عهد صدارة أحمد ابن موسى، الذي مارس ضغوطاً متزايدة على قواد القبائل بصفة عامة وعلى قواد الشاوية بصفة خاصة، كنتيجة لتزايد التدخل الأوربي بالمنطقة. وهكذا وعلى الرغم من الاضطرابات والتوترات التي عرفتها قبائل الشاوية بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، تمكن قائد أولاد حريز من المحافظة على مركزه، وخرج من الخلاف الذي نشب بينه وبين قائد مزاب، محمد بن أحمد المزابي منتصراً، إذ سجن هذا الأخير، بل أُبعد إلى العرائش ليسجن فيها، بتدبير من عبد السلام برشيد. (*حادثة الدار البيضاء*، 1 : 234).

وقد ظلت قيادة عبد السلام برشيد هادئة، وسلطته نافذة بالرغم من الانتفاضة التي عرفتها قبائل الشاوية في نهاية 1902. ولهذا استدعاه السلطان مولاي عبد العزيز على رأس حركة إخوانه لمواجهة بوحمارة الذي أعلن تمرده على السلطان أواخر سنة 1902. وفي هذه الحركة توفي قائد أولاد حريز سنة 1903، في وقت اشتدت فيه الأزمة على مستوى البلاد بعامة وفي بلاد الشاوية بصفة خاصة. ومن مظاهر هذه الأزمة، أن قيادة عبد السلام برشيد، أصبحت محل نزاع بين أبنائه من جهة وبين خليفته الحاج حمو بن أحمد بن الجيلالي، وهو من أقرباء القائد المتوفي من جهة أخرى. وقد تمكن الحاج حمو من الاستيلاء على القيادة. ثم أضاف إليه السلطان قيادة الدار البيضاء. لكن بعد وفاته أصبحت قيادة أولاد حريز والمذاكرة محل منافسة شديدة بين محمد بن عبد السلام برشيد وبين الحاج محمد بن حمو الذي كان مقدماً وزعيماً من زعماء انتفاضة الشاوية التي امتدت من 1903 إلى 1908.

برشيد، محمد بن **عبد السلام** المعروف بولد شميشة، كان آخر قائد من أسرة برشيد تولى قُبيل الاحتلال الفرنسي للشاوية. لكن حكم هذا القائد عرف في بدايته كثيراً من المصاعب والمتاعب.

إن أحداث الانتفاضة التي عصفت بقيادات كثيرة في قبائل الشاوية، تأثرت منها أسرة برشيد بدورها. بيد أن التغيير كان داخلياً ومؤقتاً. فقد عمد خليفة القائد عبد السلام برشيد الحاج حمو بن أحمد بن الجيلالي إلى الاستيلاء على القيادة من 1903 إلى 1905، وبعد وفاته، اشتدت المنافسة بين محمد برشيد وبين الحاج محمد بن الحاج حمُّ. وبما أن محمد برشيد كان يستند إلى حظوة أسرته داخل المخزن ونظراً كذلك لكونه كان صهراً للسلطان مولاي عبد العزيز، فقد تمكن من تسلّم ظهير القيادة، بدل ابن الحاج حمُّ، لكن ظهير الولاية السلطاني لم ينق طريق محمد برشيد من الأشواك.

فقد عمد الحاج محمد بن حمُّ، وكان زعيماً من زعماء انتفاضة الشاوية، كما كان مقدماً في قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي، عمد إلى جمع أتباعه وساعده زعما آخرون من قبائل الشاوية، وحاصر محمد برشيد في قصبته.

ولما اشتد الحصار على القائد محمد برشيد، خرج من قصبته فاراً ودخلها الثوار، فنهبوا وخربوا، وتولى الحاج محمد بن حمُّ القيادة أواخر سنة 1905 بيد أنه لم يتمكن من سلفه الذي سيعود إلى مركز قيادة آبائه مع بداية الاحتلال الفرنسي للشاوية أواخر 1907، ليظل قائداً نافذ السلطة، متمتعاً بالاحترام والاعتبار والشهرة بين قواد الشاوية. وساعده على تلك الشهرة والجاه، رصيده المعنوي من إرث آل برشيد، وخاصة ثروته الكبيرة. وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن القائد محمد بن عبد السلام برشيد كان قائداً يتمتع بكثير من الحس السياسي، يشهد على ذلك مبايعته لمولاي عبد الحفيظ (رجب 1325 / 8 شتنبر 1907)، بالرغم من خضوعه للمحتلين وعلى الرغم من معاداة هؤلاء لسلطان الجهاد. وقد استمر حكم محمد برشيد إلى ما بعد 1923.

برشيد، محمد بن **عثمان** تولى القيادة على قبيلة أولاد حريز في إطار توزيع السلطان مولاي عبد الرحمان قيادة الشاوية إلى قيادات صغرى، وقد حكم من 1260 / 1844 - 1845 إلى 1283 / 1867. استطاع القائد محمد بن رشيد أن يكوِّن له شهرة ونفوذاً في قبائل الشاوية، نتيجة لجده واجتهاده في تنفيذ أوامر السلطان مولاي عبد الرحمان.

فقد قام هذا القائد بدور كبير في إخضاع القبائل الثائرة على السلطان، وبذلك استحق الحُظوة والاعتبار عنده، يشهد على ذلك كتاب من مولاي عبد الرحمان يهنئ فيه القائد محمد بن رشيد على ما قام به، وينوه بجده واجتهاده وصبره في قتال الخارجين. والكتاب مؤرخ في 7 رمضان 1263 / 19 غشت 1847، (*عبير الزهور*، 221).

ويروى أن القائد محمد بن رشيد، كان ملازماً للسلطان في جميع الحركات التي يقوم بها إلى الأقاليم إلى أن توفي سنة 1284 / 1867 وعمره يناهز 75 سنة تاركاً ذرية كثيرة : اثني عشر ولداً وستاً وعشرين بنتاً.

برشيد، مدينة صغيرة تبعد بحوالي أربعين كلمتراً إلى الجنوب من الدار البيضاء على الطريق الرابطة بينها وبين مدينة سطات. ظهرت مدينة برشيد انطلاقاً من قصبة اتخذها قواد أولاد حريز من أسرة برشيد مقراً لسكناهم، ومنها كانوا يحكمون ثلاث قبائل هي قبيلة أولاد حريز حيث توجد المدينة، وقبيلة المذاكرة، وقبيلة أولاد علي.

والجدير بالذكر أن قصبة برشيد، التي لاتزال قائمة، خلفت قصبة أخرى شهيرة بأولاد حريز، هي قصبة مرجانة التي بناها القائد كريران الحريزي الذي كان يحكم كل بلاد تامسنا في عهد مولاي سليمان. وإذا علمنا أن محمد بن الطيب العلوي الذي ولاه السلطان مولاي عبد الرحمان على تامسنا وكالة حوالي 1240 (*الاستقصا*، 9 : 12). هو الذي هدم قصبة مرجانة، ويجب أن نذكر كذلك أنه هو الذي ولّى أحد أجداد أسرة آل برشيد قائداً على إخوانه (*مدن وقبائل المغرب، الدار البيضاء والشاوية*، 2 : 76). ويظهر أن التفكير في بناء قصبة برشيد بدأ منذ هذا التاريخ أي حوالي الثلث الأول من القرن التاسع عشر. والأكيد أن بناء القصبة قد بدأ مع القائد محمد بن رشيد (1845 - 1867) وتم في عهد القائد عبد السلام بن محمد بن رشيد (1868 - 1903). ومدينة برشيد اليوم قريبة من موقع قصبة مرجانة، التي توجد إلى الجنوب قرب سيدي العايدي ومازالت بعض أطلالها بارزة.

كانت قصبة برشيد في الأصل عبارة عن حصن، يحيط به سور مرتفع مستطيل الشكل، مبني بالتراب المضغوط (الطابيا) يوجد بداخل السور سكنى القائد وحاشيته المقربة وحرسه. وتعتبر قصبة برشيد واسعة بالمقارنة مع القصبات الأخرى بحيث تحتوي على مسجد بداخلها.

وقد عرفت مدينة برشيد نمواً واضحاً في أواخر القرن التاسع عشر، حيث وصل عدد سكانها قبيل الاحتلال الفرنسي إلى حوالي 2000 نسمة. وشكلت بهذا العدد، مع قصبة سطات، وقصبة بن أحمد أهم المراكز الحضرية بالشاوية بعد مدينة الدار البيضاء.

تأثرت مدينة برشيد بأحداث وتقلبات كادت تجعل منها أثراً بعد عين، لكنها سلمت في النهاية. ففي 1905، تمكن ثوار الشاوية من اقتحامها وتخريب أجزائها. وفي صيف 1907 رابطت بها محلات المجاهدين المحاصرة للفرنسين بالدار البيضاء. وبعد قتال دام حوالي خمسة أشهر تمكن جيش الاحتلال الفرنسي من دخول مدينة برشيد واحتلالها بدون قتال صباح 13 يناير 1908. إذ كان سكان القصبة والمجاهدون قد انسحبوا منها قبل وصول جيش الاحتلال.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن مدينة برشيد عرفت خلال القرن العشرين نمواً متواصلاً نظراً لموقعها وسط منطقة غنية فلاحياً، ولوجودها على الطريق الرابطة بين الدارالبيضاء ومراكش، ولتركز كثير من الصناعات بها في الوقت الحاضر 1990.

ح. الزعري، *مذكرات*، مخطوط ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1973 ج 1 ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية*. د.د. ع، 1985 ؛ هـ، المعروفي، *عبير الزهور*، 1987 ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*.

Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia, T. 2 ; E et M Gouvion, *Kitab Aayane El Maaghreb El Aqça*, Alger, 1939.

علال الخديمي

بَرْشِينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barrachina، وهو اسم قرية بمقاطعة *طرويل* Teruel الإسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1150 / 1738.

بَرّو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berro، وهو اسم النبات المعروف بقرة العين. هذه الأسرة غير أسرة أُبَرّو الريفية.

بَرّوسو، أو بن رُوسُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barroso والكلمة معناها طيني، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088 / 1677.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

برّي، عبد القادر، قائد مكناس على عهد مولاي إسماعيل العلوي. ذكر من بين مالكي أسرى فرنسيين سنة 1672 ومن الأسر النابهة في مكناس.

S. I. H. MI, Série filalienne, t. I, II.

عبد اللطيف الشاذلي

برّي (ابن -)، **علي** بن محمد بن الحسن التازي الشهير أيضاً بالرباطي نسبة إلى رباط تازا ؛ وفي بعض الروايات: الرياضي نسبة إلى أحد أرباض المدينة، وهو تسولي من فخذ بني لنت ؛ ولد في حدود 660 / 1261 وبدأ تعليمه الأولي ببلده تسول، ثم استوطن مدينة تازا وبها أنهى دراسته. ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في القراءات : أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي، (ت 709 / 1309). وكانت مدينة تازا في هذا العصر من أهم

المراكز الثقافية بالمغرب، وكان على ابن بري ـ إلى جانب تبحره في علوم القرآت ـ عالما نحويا، أديبا لغويا، فقيها فرضيا، له إلمام بالحديث وتبصر بصناعة التوثيق، قضى مدة في سماط العدول بتازا إلى أن ألحقه السلطان أبو سعيد المريني بديوانه في حدود سنة 715 / 1315، وجعله كاتب ولده أبي الحسن وأستاذه الخاص ؛ وظل في ركابه إلى أن أدركته الوفاة بتازا سنة 731 / 1333، وضريحه مشهور خارج المدينة ـ وعليه قبة.

ومن آثاره :

ـ *اختصار شرح الإيضاح* في النحو لابن أبي الربيع الاشبيلي السبتي.

ـ *شرح تهذيب البرادعي* في فقه مالك ـ لم يكمله.

ـ *شرح عروض ابن السقاط*.

ـ *شرح وثائق الغرناطي*.

ـ *تأليف آخر في الوثائق*.

ـ *الكافي في علم القوافي*.

ـ وأشهر مؤلفاته : *الدرر اللوامع، في أصل مقرأ نافع*. وهي أرجوزة في 273 بيتاً، وقع إقبال الناس عليها منذ حياة ناظمها وأخذوها عنه، وعليها أكثر من أربعين شرحا ما بين مطول ومختصر، وذيول وتكميلات.

ومن تلامذة ابن بري : عيسى بن عبد الله الترجالي، ولي قضاء تازا، وكان من شيوخها المرموقين، ويقال إنه هو الذي أوعز إلى السلطان أن ينقل علي ابن بري إلى فاس ؛ ويذكر الآبلي ـ شيخ ابن خلدون ـ أنه مر بتازا فنزل ضيفاً على ابن بري ومعه تلميذه الترجالي ؛ قال : فبتنا ليلتنا نتجاذب أطراف الحديث ونتذاكر شئون الأدب.

ومنهم : أبو عمرو بن أحمد الميموني الفشتالي، ويحتفظ لنا أبو عبد الله الحصار بإجازة لابن بري ـ بعث بها إلى تلميذه هذا ـ مع نسخة من *الدرر* بخط يده، أضاف إليها طررا وتعاليق تشرح مضامينها. ويحدثنا أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي ثم الغرناطي أنه كان يحضر مجالس إقراء ابن بري بجامع القرويين بفاس سنة 723 / 1323، وهناك أخذ عنه منظومته *الدرر اللوامع*، وأقرأها هو بدوره بالمدرسة اليوسفية بغرناطة سنة 774 / 1372.

وخلف ابن بري في كرسي الإقراء بالقرويين تلميذه المقرئ عبد الرحمان بن محمد بن سعيد، من شيوخ يحيى السراج، ذكره في فهرسه وقال إنه سمع عليه كتاب *الدرر* بجامع القرويين سنة 765 / 1363.

هكذا اشتهرت *منظومة* ابن بري بالأندلس والمغرب، فرأينا أبا محمد القيطاجي يقرئها في نفس الوقت بالمدرسة اليوسفية بغرناطة خلفا عن أستاذه المكناسي السالف الذكر.

ومن هنا كان كتاب *الدرر* لابن بري أول دراسة بالمغرب في مقرأ نافع ـ المذهب الرسمي للدولة ـ استوفت حروفه ومسائله وهذبت أصوله وفروعه.

ع. ابن بري نفسه، *الدرر اللوامع* ؛ أ. الونشريسي، *الوفيات* (*ألف سنة من الوفيات*) ؛ ع. ابن القاضي، *الفجر الساطع على الدرر اللوامع*، مخطوط ؛ أ، بابا السوداني، *كفاية*، رقم 351 ؛ ع. بعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

بَـرْيَـانُـو، أو بَـرْيَّـانُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Beriano، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1147 / 1735.

بَـرِّيـرُش، أو البَـرِّيـرُوش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barreiros وهو اسم قرية بمقاطعة لوگو Lugo الاسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب سكان المدينة سنة 1088 / 1677.

بَـرِّيـرُو، أو البَـرِّيـرُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Barrero أو هـكـذا Borrero وهو اسم لبعض القرى في مقاطعة أوفييدو Oviedo الاسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1086 / 1675.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ـ 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمدابن عزوز حكيم

بَـرِّيـمة، باب، وجامع، وحي بمراكش. يقع حي بريمة في الشمال الشرقي لقصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي بناه إبان خلافته لأبيه على المدينة. وربما كانت كلمة بريمة تعني إحدى قبائل تافيلالت التي نزحت إلى مراكش مع ملوك الدولة العلوية، واستقرت بمكان قريب من القصر، فأصبح المكان ينسب إليها. وهناك أماكن أخرى تحمل أسماء قبائل حلت بجوار القصر من كل الجهات مثل : باب احمر، ودرب شتوكة، ودرب شبانات. وهذا الافتراض أرجح مما يقال إن بريمة تحريف لابن ريمة، اسم علم.

في هذا الحي باب يسمى باب برِّيمة تشير معظم الكتابات التاريخية إلى أنه بُني من طرف السلطان مولاي إسماعيل لتسهيل إخراج مواد قصر البديع بعد تخريبه. كما استُغل من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله لإدخال مواد البناء والتجهيزات الضرورية لبناء قصره المشار إليها آنفاً.

أما جامع برِّيمة فقد شيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله إبان خلافته بمدينة مراكش (1159 ـ 1171 / 1746 ـ 1757) يقول أكنسوس (... أسسه على هيئة عجيبة، بديعة الشكل، متينة الوضع، تُحيِّر من تأملها، وتروي من أبصرها).

يتكون الجامع من المحراب الذي تحيط به زخرفة من الجبص تسمى (تحگة) فوقها ثلاث شماسيات، وتحيط بالكل كتابة (العافية الباقية) وقوس المحراب (قوس السلة) بداخله قبة صغيرة على شكل طاسة مزخرفة.

ويحتوي الجامع على أربعة أساكيب تتوسطها قبة كبيرة.

أسكوب المحراب واسع، وسقفه من الخشب (الورقة والگايزة) على شكل تضليع. ويحتوي هذا الأسكوب على بابين، أحدهما يدخل منه السلطان، والآخر يدخل منه الخطيب. أما المنبر فهو قديم مزخرف بالصباغة.

يلي هذا الأسكوب أسكوبٌ أقل منه اتساعاً، سقفه من الخشب عار من الزخرفة، بعدهما قبة كبيرة مثمنة الشكل، مزخرفة بالصباغة النباتية، وتحت هذه القبة إزار من الشماسيات تحته كتابة (العافية الباقية). ويلي هذه القبة أسكوبان، الأول صغير، والثاني أوسع، سقفه من الخشب بالتضليع المزخرف بالصباغة، وتحته إزار من الجبص، نقش عليه ما يسمى (أربع مطارق) وبطرفي هذا الأسكوب قبتان مربعتا الشكل، سقفهما (بالورقة والگايزة)، مرخرف بالصباغة، وتحت كل قبة إزار من الشماسيات، وتحته كتابة (العافية الباقية). ولكل من القبتين باب كبير مزخرف بالصباغة، نصفه العلوي به دائرة تسمى (الخمسيني) والنصف السفلي زخرفته تسمى (المطعّم أسطشري). أما الصحن فيحمل اسم (المشور) به نافورة من الرخام على شكل أسطواني. وفي الصحن أربعة أبواب : بابان في الجهة الشمالية خاصان بالمصلين، وباب في الجهة الغربية يؤدي إلى دار المخزن، والباب الرابع في الجهة الجنوبية يؤدي إلى دار المخزن أيضاً، وقد أغلق منذ سنوات. وفي أعلى حائط الصحن إزار (إفريز) من الزخرفة المسماة (العقبان) فوقها شرافة. وللجامع مرافق بُنيت معه، وهي كتّاب قرآني، ومدرسة لطلبة العلم، وحمام، ومرحاض.

عرف جامع بريمة عدة أنشطة فكرية وسياسية، منها : أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يجلس كل جمعة بمقصورة الجامع مع علماء مراكش، ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه، مع تخصيص أوقات لسرد الأحاديث النبوية وتفهم معانيها.

وفي يوم الجمعة 29 جمادى الثانية عام 1373 / 5 مارس 1954 إبان الأزمة الوطنية، قام ابن عرفة والباشا التهامي الاگلاوي وأتباعهما بأداء صلاة الجمعة فيه، وعند إقامة الصلاة ألقى الشهيد أحمد أقلا قنبلة إلى جهة ابن عرفة، وتبعه ببعض ثوان محمد بن العربي فألقى هو الآخر بقنبلة أخرى وأصيب ابن عرفة بجروح خفيفة في عينه ووجهه ويديه، أما الاگلاوي فلم يصب بأذى. وفي هذا اليوم استشهد أحمد أقلا رمياً برصاص الاگلاوي.

وخطب في الجامع عدد كثير من العلماء والفقهاء، منهم : محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي، وولده الحسن، وحفيده المكي القاضي أيام السلطان مولاي عبد الرحمان. ثم الفقيه السلفي أحمد اگرام، والفقيه ابن نوح.

م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*.

أحمد متفكر

بَرِّيمَة، قصبة أسسها المولى إسماعيل بمكناس، في الجهة الغربية من المدينة قرب حارة اليهود ـ الملاح المحدث سنة 1093 / 1682 ـ بناها على أرض حبسية كانت خاصة بأوقاف جامع الخضراء، بعد أن أدى ثمن هذه الأرض ـ علما بأن ممتلكات الأحباس كانت لا تباع ولا تعوض إلا بصعوبة وفي ظروف استثنائية ـ وأمر ببناء حوانيت خارج باب المشاورين بذلك الثمن في أرض بريمة الحبسية، على أن تكون هذه الحوانيت حبساً مؤبداً مخلداً على جامع الخضراء كما جاء في رسم التحبيس، وأمر المولى إسماعيل خديمه أبا العباس أحمد بن أبي يعزى العرائشي بالقيام بهذه المهمة.

اشتملت قصبة بريمة على مسجد ومدرسة، وتم تجديد هذا المسجد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1757 ـ 1790) وتغيرت حاليا معالم هذه القصبة بما أضيف إليها من بناءات وما تهدم منها من آثار.

بوشتى بوعسرية

البَرْسلوطي، من الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246، وكان جل أفرادها يعملون بفرقة البحرية التابعة لحامية المدينة حيث نجد من بينهم في السنة المذكورة محمد البَرْسلوطي الذي كان رايس البحر، وفي سنة 1832/1248 نجد أحمد البَرْسلوطي ومصطفي البرْسلوطي وعبدالعزيز البرْسلوطي كلهم بحارة، كما نجد في سنة 1250/ 1834 البحارة البرسلوطيين عبدالرزاق والعباس وعبد الله.

وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion , *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرْسيم، يطلق على جنس تريفُوليوم Trifolium، وفي بعض الحالات على بعض أنواع الفصة ميديكاگو Medicago، وكلا الجنسين المتشابهين ينتميان إلى فصيلة الفراشيات Papillonaceae.

يشمل جنس البرسيم أعدادا كثيرة من الأنواع في العالم. وفي المغرب وحده يوجد منه ستة وأربعون نوعاً.

إنه نبات عشبي حولي أو معمر، تختلف قامته حسب الأنواع. أزهاره إما بيضاء أو وردية أو صفراء.

والجنس الأكثر استعمالا في الزراعة العلفية هو البرسيم الاسكندري Trifolium Alexandrinum الذي زرعه الإغريق والرومان، وأدخل إلى آسيا وأروبا وأمريكا مثل الفصة التي عرفت نفس الانتشار. ومنذ ذلك الوقت تكونت من النوعين عدة سلالات.

إن البرسيم الاسكندري عشب حولي ذو قيمة في الدورات الزراعية، إذ أنه يحسّن خصوبة التربة بإغنائها من النيتروجين، بالإضافة إلى كونه أصبح في المغرب من المحصولات الهامة للعلف في المناطق السقوية، وهو

يستعمل في تغذية المواشي إما طريا أو مجففا كالتبن أو مُخَمّراً.

البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر: زهر عبدالمجيد وآخرين ؛ بحث *ميداني*.

عبدالمالك بنعبيد

بَرْطال، أو البرطال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Partal . وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1786/1200.

البَرْطقيز ← البرتغال

برْطيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وليست هي أسرة بَرَاطِيلْ. وقد انقرضت بتطوان سنة 1735/1148.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرْعَان، سمك أبيض من فصيلة الشبابيط Cyprinidae ويسمى علميا Rutilus (Lenciscus) rutilus L. وبالفرنسية Gardon.

يعيش في الماء العذب ببحيرات الأطلس، وهو أحمر العينين، تكسوه حراشف فضية كبيرة منها 41.46 على طول خطه الجانبي، أسنانه موزعة على خط واحد. الزعانف الصدرية مكونة من 16 شعاعاً. يتراوح طوله عادة ما بين 10 و20 سم ونادرا 35 سم، ووزنه 200.1000 غ بعد عُمر يتراوح ما بين 7 و12 سنة.

يعيش وسط مجموعات عديدة الأفراد تتنقل وسط الربيع قرب ضفاف البحيرات والأنهار الهادئة. يقترب أحيانا من مصب الأنهار ويتحمل العيش داخل المياه المالحة. يتكون قوته من الحشرات والرخويات والقشريات الصغيرة ومن النباتات الملتصقة بالأحجار والعائمة.

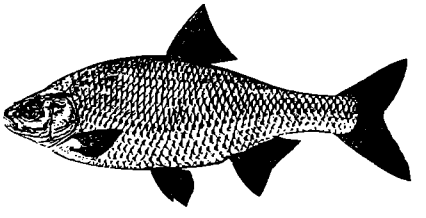

يتوالد ما بين أبريل ويونيه. تضع الأنثى ما بين 5.000 و200.000 بويضة تلتصق بالأحجار والنباتات وتعطي الصغار بعد 6.10 أيام. تظهر الحراشف عند صغار البرعان بعد 3 سم من الطول ويصير بالغاً بعد 3 سنوات.

موطنه الأصل أوربا وآسيا الشمالية الغربية وقد أدخل إلى المغرب ليعيش في معظم بحيرات جبال الأطلس الصغير والكبير.

يلعب البرعان دوراً هاما في تنقية البحيرات من النباتات التي تسبب التخصيب Eutrophisation وفي تحويل المأكولات النباتية والحيوانية بأعماق البحيرات لكثير من الأسماك ذات أهمية اقتصادية كالزنجور Brochet والفرخ Perche والأنقليس. يستهلك البرعان محليا ويصاد بواسطة الصنارة والشّباك. كثيراً ما تستعمل الصغار كطعم جاذب للزنجور.

P. Dahlström, B. J. Muus, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Lausanne 86 - 88, 1973 ; P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et rivières d'Europe*, Paris, 116 - 117, 1977.

محمد رمضاني

بَرْغَز أو بَرْغَاز، يطلق ـ لغةً ـ على «ولد البقرة أو إذا مشى مع أمه». ويطلق أيضا على «السيء الخلق». إلا أن هذه الكلمة تحمل معنى آخر في بعض المناطق المغربية وهو تاجر البقر. وقد يَرِدُ كذلك هذا المصطلح بنفس المعنى في صيغته الأمازيغية : أبَرْغَزْ (منطقة إيمنتانوت ـ إقليم شيشاوة). وهكذا، فالبرغز يكون له إلمام واسع بعالم الأبقار: يشخص أمراضها ويعرف أصنافها وأعمارها وأثمانها إلخ. وهو بهذا المعنى الأخير يكون قريب الشبه ببُومْهَوْت. وتجدر الملاحظة أيضا إلى أن البرغز يطلق كذلك في بعض الجهات المغربية على تاجر الحبوب أو الإنسان الماكر الذي يستاء الناس من تصرفاته.

بطرس البستاني، *محيط المحيط* ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حمام

برغواطة، شغل مصامدة المغرب قبل الإسلام ولفترة بعده، شطراً كبيراً على الأقل، من السهول الأطلسية بما فيها تامسنا ودكالة وسوس بالإضافة إلى القسم الغربي من منطقة الريف. وكانت برغواطة من أقدم قبائل المصامدة حسب ابن خلدون. وابتداء من القرن الرابع (10 م). تمكنت مجموعة من بني يفرن الزناتيين من إنشاء إمارة بسلا. ويظهر أن جموعاً أخرى من الزناتيين تلاحقت بتامسنا قبل ذلك. فهادن بعضها برغواطة، وصارعها فريق آخر، ولذلك اعتبر البكري تامسنا زناتية، كما أن غيره جعل من برغواطة مزيجا من القبائل اعتباراً لمن دان بالمذهب البرغواطي من غير برغواطة. وعلى هذا فبرغواطة مصمودية ساكنتها في اتجاه مُعاد أو مُسالم مجموعات زناتية وغيرها، ولو أن البكري ينقل عن زمور البرغواطي أن تامسنا كانت ملكاً لزناتة وزواغة عند اختلال أمر الصفرية،، بينما في مكان آخر، ينعت البكري تامسنا بأنها بلد برغواطة.

أنشأ البرغواطيون مملكة قاومت باستماتة كل الأطراف التي تصدت لإخضاعها، واستغل المؤسسون النزاعات الداخلية التي سادت صفوف الخوارج بعد سنة 123، وبالأخص بعد أن قتل زعيمهم ميسرة المطغري على يد بعض معارضيه. لكن إذا كانت الحركة الخارجية في انطلاقتها قد ركزت اهتمامها على طنجة لتتخذ منها عاصمة تواصل دورها السياسي والإداري الذي اختاره لها

موسى ابن نصير وطارق قبل ذلك، فإن البرغواطيين أنشأوا مقر حكمهم في السهول الأطلسية لأنها أوسع الأراضي الخصبة مساحة، وبالتالي فاستغلالها الاقتصادي يتفق مع العقلية المصمودية التي تتساكن فيها النزعتان، البراغماتية والميثافيزية.

وفيما يرجع إلى المصادر التي تناولت المجتمع البرغواطي يكاد الكل يحصرها في ابن حوقل والبكري الذي يعتمد هو نفسه على زمور البرغواطي. ويتعين النظر في هذه النقطة من جهات ثلاث :

1 ـ زمور البرغواطي رجع إليه آخرون بشكل مباشر كمؤلف *الاستبصار*. وابن أبي زرع في *القرطاس*، وهو يحيل أيضاً على كتاب له في حكم المفقود، وهو *أزهار البستان* الذي ذكر أن فيه أخباراً مستوفاة عن برغواطة، وابن عذاري.

2 ـ البكري يروي أيضاً عن فضل بن مفضل المذحجي، كما أن ابن عذاري يضيف رواية أخرى لابن القطان وغيره.

3 ـ زمور البرغواطي عاش في القرن الرابع. ومن جهة أخرى فبعض المعلومات التي نقلها عنه البكري تختلف عما نقله غيره كابن أبي زرع. أما الفترات اللاحقة بعد زمور فنجد عنها شذرات قد تكتسي أهمية خاصة لا سيما عند الحسن الوزان كما سيتضح.

وتتفق المصادر في جملتها على تَنَاقُل قصة تأسيس الدولة البرغواطية بشكل متقارب، حيث تبدأ بشخص طريف الذي يذكر ابن عذاري أنه هو قائد الطليعة التي حلت بموقع طريف في الأندلس قبل حملة طارق، وكان يلقب بأبي زرعة، واسمه طريف بن ملوك الذي قيل إنه من سلالة شمعون بن يعقوب، وعلى هذا فيُحتمل أن يكون أصله يهودياً بربرياً لكنه أسلم وحافظ على إسلامه حتى وفاته. وانضم في ظروف غامضة إلى خوارج المغرب وتولى قيادة جيوش ميسرة المطغري. وبعد وفاة ميسرة، التحق طريف بتامسنا. فولاه سكانها أمرهم بسبب خدماته السابقة. وكان له نجل باسم صالح، قيل في رواية أخرى إنه هو الذي التحق بتامسنا وتولى أمرها. بل قيل إن أصله من برباط الأندلسية وأنه درس على غيلان القَدَري وغيره بالمشرق، وادعى أنه صالح المومنين وتنبأ وأنشأ ديانة أوصى ولي عهده إلياس بإظهارها، لكن إلياس دان بالإسلام فلم يُكتب لعقيدة صالح أن تظهر إلا على يد نجله يونس. وكان من توجيهات صالح السياسية أن يكون النظام البرغواطي موالياً للنظام الأموي بالأندلس. وقد احترم هذا الجانب من توجيهات المؤسس لفترة طويلة. غير أن اختيار إلياس للعقيدة الإسلامية حتى وفاته بعد ملك دام أكثر من نصف قرن، يجعل من الغرابة أن لا يقوم بعملية إعدام لتعاليم والده وسلفه صالح، حتى ياتي حفيد صالح ليجدها محفوظة ويتولى إظهارها ونشرها بحد السّيف.

ومهما يكن من أمر، فصالح ابن طريف هو محور العقيدة البرغواطية وقطب رحاها، وهو كوالده قيل عنه إنه بربري مصمودي وربما يهودي العقيدة أصلا. أما إلياس نجل صالح، فإن ابن الخطيب يذكر أنه إنما كان يتظاهر بالإسلام، وهيأ بعض خاصته لتقبل عقيدة صالح، ثم تولى يونس عندئذ إظهارها مما يدل على أن المجتمع البرغواطي في غالبيته كان بحاجة إلى وقت طويل لمسايرة هذه العقيدة واعتناقها. وقد كان هذا المجتمع يشكل بالتأكيد قوة عددية وسياسية كبيرة قُبَيل الإسلام وبعده، وهذا بالإضافة إلى المساندة الفعلية من الكتل المصمودية الأخرى التي يحتمي الكثير منها بجبال دَرَن (الأطلس) والباقي موزع بين سهول المحيط الأطلنطي.

وينقل البكري رواية عن فضل المذحجي تفيد أن يونس بن إلياس تلقى دراسته بالمشرق مع رفقاء له من نزعات صفرية وواصلية وغيرها، وأنه تلقى عن غيلان القَدَري، ثم حل بين أهل تامسنا وأذاع فيهم عقيدته التي تمزج بين عدة اتجاهات. لكن هذه الرواية لا تخضع لحقيقة الأحداث لأن يونس بعيد زمناً عن غيلان المتوفى قبل ظهور الدولة البرغواطية، ثم إن رواية المذحجي تَنْسُب إلى يونس ما نُسبَ بالأولى إلى صالح جده.

أما النسب اليهودي لصالح بن طريف فيرفضه ابن خلدون، كما يرفض إرجاع تسمية برغواطة إلى بَرْبَاط التي هي قريةٌ وواد بفحص شريش. وأخيراً فهو يؤكد على مصمودية برغواطة وعدم انتمائها إلى زناتة، ويقرر أنه «لا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل، لمنقطع جذمه دخيل في نسبه». لكن هذا الحكم غير سليم. فقد أسس العبيديون دولة قوية في وسط غريب عنهم، ومؤسس الدولة مطعون في نسبه. وتأسست إمارة القرامطة بالبحرين واتسع نفوذها وليس لها عصبية قبلية، ومؤسسوها عرب وفرس مغمورون. والأمثلة أكثر من أن تحصر. وابن خلدون مُحق في الاستخفاف بمن يردّ نسبة برغواطة إلى برباط وربطها بأصل صالح بن طريف. لأن برغواطة قبيلة كبيرة عرفت كذلك قبل الزحف الإسلامي، وليس لها أيضا علاقة بالـ Baquates الذين يحتمل أن المقصود بهم (بقيوة) وقد كانت ذات وزن وانتشار شمال المغرب أيام الرومان. والأنسب رد مصطلح (برغواطة) إلى برگوتن ـ بكاف معقودة ـ التي تعني التنطع والتمرد كما يشير إلى ذلك باحث معاصر.

ولكي يتاح للمذهب البرغواطي الانتشار على النطاق الشعبي لزم انتظار فترة خمسين سنة لإظهاره على يد يونس حفيد صالح بن طريف، أي فيما بين سنة 176 و195/ 792 ـ 811. وعندما قام إدريس الأول بالهجوم على مناطق برغواطة التي زحف إليها قبل غيرها سنة 172 هـ لم تكن العقيدة البرغواطية قد أخذت طريقها إلى سكان تامسنا، المعقل الرئيسي لبرغواطة. وبفضل مساندة أوَرْبة وزناتة وغمارة تمكن من الاستيلاء على شالة وتامسنا وتادلا بسرعة ودون مقاومة قوية. واستعاد البرغواطيون قواهم بعد عدة سنوات على يد محمد ابن معاذ الذي عاصر إدريس

الثاني، وأخذت العقيدة البرغواطية شكلها النهائي وأصبح المجتمع البرغواطي يقاوم من أجل دولته وأرضه وعقيدته في آن واحد. لكن نشبت صراعات دموية عنيفة بين قوات إدريس الثاني وقوات ابن معاذ البرغواطي الملقب بأبي عُفير (روي بعين مهملة ومعجمة)، كما أنّ كلا من محمد ابن معاذ وسلفه، اشتبك في صراع مرير مع خصومه، ودارت بين الأنصار والخصوم معارك طاحنة لا سيما بوادي بهت باتجاه مكناس. وفي رواية *القرطاس* وغيره أن منطقة تامسنا وعاصمتها شالة كانت ضمن عملية التقسيم الإداري الذي قام به محمد بن إدريس الثاني، فعين عليها أخاه عيسى الذي استبد بالمنطقة ونكث بيعته، فطرده أخوه عُمر منها وتولاها هو بأمر العاهل محمد بن إدريس. وتسكت المصادر كلياً عن المقاومة البرغواطية بعد إدريس الثاني كأن الأمور سارت على ما يرام لخير الأدارسة بعد ذلك، فكيف يقوم ملوك برغواطة بعمليات قمع داخلية وعلى نطاق واسع، وتصل جيوشهم إلى مشارف مكناس والوضع قار للأدارسة في مهد الدولة البرغواطية ؟ على أن الدولة البرغواطية فقدت شالة بالتأكيد، مع الزحف الإدريسي، وعوضتها بأزمور في فترة غير محدّدة. ومن ثم أصبحت شالة والعدوة المقابلة لها من نهر أسمير (أبي رقراق) رباطاً تحتشد بهما ألوف المسلمين المناهضين للحركة البرغواطية. وفي مكان قصبة الأوداية الحالية على الأرجح أُنشئت قصبة أو رباط جهادي خلال القرن الثالث على ما عند ابن حوقل. بلَ إن الحركة حوصرت عقائدياً وسياسياً وحربياً بمجموعة أخرى من الرباطات القديمة والناشئة كرباط شاكر ورباط نفيس ورباط أغمات ورباط گوز ورباطات دكالة ورباط داي. فدور هذه الشبكة الرباطية تجاوز بكثير آثار القمع الحكومي العسكري العابر حتى مع تكراره. لأنها ساهمت سلمياً في نشر الإسلام والتوعية الدينية والثقافية محتضنة جموع الفلاحين في مناطق حضرية خصبة، في مواجهة النمط الحضاري البرغواطي المرتبط بعقيدة مستقلة.

وشهدت برغواطة أوج عزها السياسي خلال القرنين الرابع والخامس (10 ـ 11 م) فارتبطت بعلاقات ودية مع خلفاء بني أمية حكام الأندلس خصوصا عبدالرحمان الناصر والحكم المستنصر الذي استقبل وفداً رسمياً برغواطياً سنة 963/352 م يرأسه زمور بن صالح. غير أن العلاقات ساءت مع العامريين الذين تغاضوا عن الحملة غير الموفقة التي قادها جعفر بن علي والي المنصور بن أبي عامر، إلى جانب كتائب أندلسية حوالي سنة 366. ثم إن شيعة إفريقية جردوا حملة كبيرة بقيادة بُلكين بن زيري لإخضاع المغرب، وتواصل غزوهم لبرغواطة على فترات فيما بين 368 ـ 372 ففقد البرغواطيون أعداداً كبيرة من شبابهم وسبيت نساؤهم وقتل عاهلهم عيسى بن أبي الأنصار. ثم جدد العامريون غزوهم لبرغواطة بقيادة واضح سنة 389 بمساعدة الأطراف المغربية الموالية للمنصور بن أبي عامر.

وخلال شطر كبير من القرن الرابع يبدو بنو يفرن مهادنين لبرغواطة في أغلب الأحيان. لكن الإمارة اليفرنية بفاس، بزعامة أميرها الكبير تميم بن زيري جردت حملات متواصلة ضد برغواطة، ابتداء من عشرينات القرن الخامس إلى وفاة تميم هذا سنة 448. وقيل عنه إنه كان يغزوهم مرة كل سنتين ويسبي منهم. بل إنه وضع يده على منطقة تامسنا وولّى عليها عاملا، ولكن مقاومة برغواطة استمرت أثناء ذلك وبعد ذلك، واستطاع بنو يفرن أن يضربوا حصاراً كلياً حول المناطق البرغواطية فيما عدا سبتة وطنجة المستقلتين عن حكم تامسنا. فبنو يفرن وضعوا يدهم على فاس وأحوازها، وعلى سلا وتادلا وحتى على أوريكة وأغمات، لكن برغواطة تامسنا ظلوا قوة ثابتة أمام الأكتساح اليفرني لمدة ربع قرن.

ثم كان على برغواطة أن تواجه هجوم المرابطين الذين وجهوا همهم فوراً إلى تامسنا بعد سجلماسة، فزحفوا إليها بزعامة عبدالله بن ياسين وبعد حروب عنيفة صرع عبدالله ابن ياسين سنة 1058/451 بمنطقة زعير حيث مدفنه بكريفلة. وكانت تسانده قوات ضخمة من صنهاجة ومصمودة المناوئة لبرغواطة. ثم صرع زعيم ديني آخر أقامه المرابطون خلفاً لعبدالله بن ياسين، وهو سليمان بن حدّو. لكن الغزو المرابطي تواصل بزعامة أبي بكر بن عمر، على رواية *القرطاس* الذي يؤكد أن أبا بكر بدد جموع البرغواطيين «... وتفرقت برغواطة في الصحراء وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا إسلاماً جديداً، ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر إلى اليوم». والحقيقة أن الأحداث في تطوراتها تخالف كل هذه التأكيدات تقريباً. فإذا كان أبو بكر بن عمر قد واصل غزو برغواطة بعد ابن ياسين فإن هؤلاء قاوموا الهجوم المرابطي بتحَدٍّ وقوة، ولذلك كان على ابن تاشفين بعد انسحاب أبي بكر بن عمر، أن يغير من أسلوب الشدة في محاولة لإخضاع برغواطة سلمياً. فوجه من مراكش إلى أنفا، حيث عاهل برغواطة وحاشيته، وفداً من العلماء لمفاوضة هذا العاهل (عبدالله بن أبي عبيد محمد). فكان رده عنيفاً إلى درجة أن عمد إلى قتل أعضاء الوفد وجرد خمسين ألفاً من أنصاره ثم زحف باتجاه مراكش، لكن ابن تاشفين لم ينتظر وصول الجيش البرغواطي، بل قصد على الفور طريق أنفا. والحسن الوزان يقول إن أهل تامسنا فروا أمام الزحف المرابطي وتوجهوا بشكل فوضوي نحو طريق فاس، فسنحت الفرصة للمرابطين من أجل القيام بمذابح مُروّعة وتخريب المزارع وعشرات المدن. وقد تكون هناك خيانات وقعت في صفوف برغواطة ومن إليهم من زناتة وغيرهم، لكن أنفا نفسها، وكانت مسورة ومحصنة، صمدت لحصار طويل الأمد امتد أكثر من خمس سنوات. وقد جرت هذه الأحداث ابتداء من سنة 1061/453 تقريباً أي في الوقت الذي استقر فيه المرابطون في خيام حول مراكش قُبيل بنائها. أما جموع برغواطة الفارة أمام ابن تاشفين بقيادة عاهلها المذكور فقد أضناها العطش والجوع وتعقبتها كتائب المرابطين عند وادي

أبي رقراق ثم حاصرتها فهلكت غرقاً أو تحت السيوف. ومع أن الوزّان يقدم صورة قاتمة عن حالة تامسنا وانهيارها الكلي إلى حين توطين العرب بها، فإن الوقت الآن مناسب لتصحيح هذه الصورة جزئياً على الأقل، من خلال الوصف الإيجابي الذي قدمه الإدريسي بالنسبة للنصف الأول من القرن الخامس (11 م) كما سيتضح، وقد أسندت ولاية تامسنا ضمن منطقة جغرافية كبيرة إلى تميم بن يوسف سنة 467 هـ.

تابع المرابطون غاراتهم على برغواطة بالريف الغربي، لكن الصراع هناك كان سياسياً بالدرجة الأولى، فقد كان على سبتة وطنجة حاكم برغواطي يمسك بزمام المنطقة بحزم، وهو سكوت البرغواطي الذي كان أصلا من عبيد الأدارسة الحموديين، فولّوه على سبتة سنة 1036/427 وولّوا رزق الله البرغواطي، وكان أيضا من مواليهم، على طنجة، وكلاهما اعتنق الإسلام. ثم أصبحت طنجة تحت حكم سكوت أيضاً فاستقر بها، وكان نجله ضياء الدولة والياً باسمه على سبتة. وأنشأ سكوت علاقات حسنة مع بني عباد الأندلسيين وبعض أمراء زناتة المناهضين للمرابطين. وكانت سبتة وطنجة من آخر ما فتحه المرابطون بالمغرب، بل كانت سبتة آخر معقل فتحوه بهذه البلاد. وهكذا كان استيلاؤهم على طنجة سنة 1077/470م. بعد مقتل سكوت، ثم على سبتة سنة 477 بعد مقتل ضياء الدولة، وبفضل أسطول المعتمد الذي تخلى عن حلفائه البرغواطيين.

ومفهوم ضمنياً أن البرغواطيين الذين بقوا على قيد الحياة أرغموا على تجديد إسلامهم كما قال ابن الخطيب في *أعمال الأعلام* (3 : 231). غير أن انتفاضة تامسنا تجددت بشكل عنيف بزعامة ابن هود الماسي الذي تزعم ثورة عارمة ضد الموحدين، انطلقت من تامسنا بالذات سنة 542 وهُزمت فيها جيوش عبدالمومن قبل أن تسترد أنفاسها خلال السنة التالية. ثم تجددت ثورة برغواطة سنة 1149/544 بزعامة بومزگيدة الذي انطلقت ثورته من جزولة. وقد أسند عبد المومن أمر قمعها إلى كبار القادة كأبي حفص وعبدالله بن فاطمة اللمتوني الذي انضم إلى الموحدين. وإذا كانت برغواطة قد تعرضت للتشريد في ظل السلطة الموحدية بعد أن فقدت عشرات الألوف من أبنائها على إثر الزحف المرابطي، فإن توطين عشرات الألوف من العرب أيام الموحدين، ومثلها من زناتة على يد يعقوب المريني، أدى إلى صَهْر تدريجي لبربر تامسنا ودكالة في البوتقة العربية، بالنظر لدور القبائل العربية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. وسجل مؤلف *القرطاس* وجود محاربين من برغواطة بالأندلس ضمن الجيوش المرينية بقيادة العاهل يعقوب. وخلال القرن الثامن (14 م) فقدت برغواطة كل بقايا مميزاتها ككتلة بشرية ذات وزن، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: «... وقَبيلُهم اليوم قبيل ضعيف، لَعِبَ سيف الملثمين فيهم، ثم سيف المهدي (أي سيوف المَوحدين) بعده».

كانت برغواطة مثلاً فريداً في الشدة على الآخرين في بعض فترات تاريخها خصوصا في مرحلة إفشاء دعوتها، وفي التعامل مع مهاجميها إذا سنحت لها الفرصة فيهم. ونزعة العنف هاته أيضا من سمات كل الأنظمة التي انطلقت باسم التصحيح العقَدي والإيديولوجي كالموحدين والعبيديين وحتى المرابطين. وقد نُسب إلى البرغواطيين إحراق المدن وتخريبها، كما لو أن مدن المغرب بلغت الكثرة والاكتظاظ أن كان يلاصق بعضها بعضا وهذا ما لم يرد في وثيقة ولا مصدر، كما لا تشهد به الآثار القائمة. ويذكر الوزّان أن البرغواطيين خربوا شالة وأن المنصور الموحدي جددها أو شاد بها زاوية فخمة، لكن مسألة تخريب المدينة يتناقض مع سياق الأحداث (دولة بني يفرن واستقرارهم بالمنطقة ثم الوجود المرابطي).

أما أنفا فتبدو ميناء نشيطاً في بداية القرن السادس وخلاله، سواء كميناء عسكري أو تجاري له علاقات تبادل مع إيبيريا، تشحن منه الحنطة والشعير، وحول المدينة ثلاثة آلاف رحى لطحن الحبوب. وهذا ما يذكره الإدريسي.

وبالنسبة لأزمور فقد كانت تقع في قلب المنطقة المصمودية، لأن قبيلة صنهاجة التي كانت تعمر منطقتها هي قبيلة مصمودية، أي أن اسمها كان على غير مُسَمّى، خصوصاً وأنها مُحاطة بقبائل أخرى مصمودية كرجراجة وحاحة. وعبدالواحد المراكشي هو صاحب هذا التوضيح، وبينه وبين ابن خلدون الذي تأخر عنه زمناً، حوالي قرن ونصف. ومعنى هذا أن برغواطة عندما تجعل من أزمور إحدى عواصمها فهي في عقر دارها مهما كانت قوة المعارضة في صفوف المصامدة. والمصادر التي ترفض أن تتناول الازدهار الاقتصادي للإمارة البرغواطية يشذ عنها الإدريسي بشكل ملحوظ فيأتي بتفاصيل عن آثار هذا الازدهار واستمراره بالنسبة لمجموع المناطق البرغواطية القديمة والداخلة في ولائها، وهكذا فأرض دكالة كلها منازل وقرى ومناهل، ومنطقة تادلا غنية بالقطن إلى درجة أنها تحقق الاكتفاء الذاتي للمغرب، وكانت ضفاف أم الربيع طافحة بهذه المادة وغيرها من المزروعات. كما أن تامسنا كانت منطقة زراعية غنية بمواشيها وأنعامها، وهذا يخالف الصورة القاتمة التي يقدمها الوزان عن هذه الفترة بالذات. وابن خلدون (ج 6) يصف المنطقة الشاسعة التي تكوِّن مثلثا يبدأ من تامسنا ورأسه المقابل بسوس، وثالثه بدرعة، وصفاً أدبياً رائعاً وهو يتناول عمران هذه المناطَق المصمودية في معظ ها ونشاطها التجاري والزراعي والاستيطاني، منذ فجر الإسلام حتى عصره. ولم يفُت الحسن الوزان أن يشير إلى الطابع الاستقراري والعمراني لتامسنا التي كانت تحتوي، حسب قوله، على أربعين مدينة وحوالي ثلاثمائة حصن معمور. وكانت أغلب مدنهم مسورة شأن النمط المصمودي الذي ينزع إلى التحصن والاحتياط. وهم لم يتركوا محطاً بحرياً بساحل تامسنا إلا استغلوه في حركة التصدير والاستيراد. وعلى سبيل المثال فإن فضالة

(المحمدية) كانت ترسو بها مراكب الأندلس وتشحن منها الحنطة والشعير والقطاني والمواشي. وبلغ من كثرة العرْض بالنسبة لمادة القمح خلال العصر البرغواطي أن حمْل جَمل كان يقايض أحياناً بفَرْدَتَيْ نعل بسوق النخيلة جنوب فضالة. غير أن السهول الأطلسية تأثرت بدخول قبائل العرب ثم القبائل الزناتية التي رحّلها المنصور المريني إلى تامسنا. فالنظام الزراعي الذي تركه البرغواطيون لم يَخْتف، لكنه تراجع بالتأكيد خلال هذه المرحلة الطويلة، لصالح النظام الرعوي الذي عاش عليه هؤلاء العرب والزناتيون قبل استئناسهم بالنمط الزراعي.

هل كانت برغواطة على الإسلام السني ؟ أم هل كانوا خوارج صفرية ؟ أم لهم عقيدتهم الخاصة ؟ فالبنسبة للاحتمال الأول، كل المصادر تنفيه وهي في مجملها سنية. والاحتمال الثاني ليس هناك ما يرجحه إلا جانب العنف تجاه الخصوم، وهو عنف سياسي عسكري. وهناك قبائل حالفت برغواطة وليست منها ولم تأخذ بعقيدتها المنسوبة إليها، ولم تكن مبادئ الصفرية تسمح بتقديم تنازلات لمن لا يدين بها. وخضعت برغواطة فيما يظهر على الأقل، لسلطة أُوليغَارْسية تعتمد السرية، ولا يبدو التشاور في اختيار ملوكها، وقليلا ما كان الأمر بهذه الصورة لدى أئمّة إباضية المغرب الأوسط أو خوارج سجلماسة، فيبقى الاحتمال الثالث الذي هو موضع إجماع المصادر تقريباً بما فيها ابن خلدون الذي قال عن صالح بن طريف :«انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده». وأما تنويه ابن حوقل بمكارم برغواطة فلا يتناول شعائرهم واتجاههم العقدي بوضوح. والأخلاق الاجتماعية قد تنشئها العادات والمحاكاة. ولربما نصت عليها العقيدة البرغواطية على نمط الكونفوشيوسية ذات التوجّه العملي، لكن حتى هذه العقيدة البرغواطية الغريبة لم تقدّم إلينا كاملة ولا مباشرة عبر مصادرها الأصلية. فأغلبها مما نسبه البكري إلى زمور البرغواطي وإن كنا نجد بعض الاختلاف بين المصادر بعده فيما أخذ عن زمور.

ويمكن المقارنة بين البكري وصاحب *الاستبصار* مثلا. ودون استعادة تفاصيل هذه العقيدة هنا لا بد من الالتفات إلى ما ياتي : 1 ـ تعتمد العقيدة على قرآن مزعوم. 2 ـ تنشئ صلاة وزكاة وصياما وشريعة زواج وعقوبات جنائية، ولها صيغ مخالفة للشريعة الإسلامية. 3 ـ في بعض العبارات الدينية المستعملة ما يدل على إقرار البرغواطيين بوحدانية الله. ومن جهة أخرى فإن سور "القرآن" البرغواطي تحمل أغلبها أسماء أنبياء خصوصاً أنبياء بني إسرائيل بالإضافة إلى سور ترمز إلى أحداث وصُنّاع لها من بني إسرائيل. وعندما تتناول العقيدة موضوع الدية فهي تجعلها من البقر شأن كثير من الحالات التي وردت في التوراة. وأخيراً فبعض ملوك برغواطة ادعوا النبوءة أيضا. ومعلوم أن عدداً من أنبياء بني إسرائيل جمعوا بين الملك والنبوة كسليمان وداود. أما أخذ بوغواطة، أو بعض أوساطهم بالفلك والسحر والكهانة فقد كان هذا مما عرف عن المجتمع المصمودي في جهات أخرى كغمارة وسوس. وهكذا فإن العقيدة البرغواطية لا تخلو من مؤثرات إسرائيلية إلى جانب المؤثرات الوثنية والتشريعات الخاصة، وكل هذا بطبيعة الحال في حدود ما وصلنا من معلومات عن العقيدة البرغواطية، وهي في كل حال لا تكتمل إلا بمعرفة النصوص الكاملة والأصلية للشريعة البرغواطية.

وقد تحدث البكري عن إسلام كل برغواطة في أواسط القرن الخامس (11 م) على يد المرابطين، وقيل مثل هذا عن العصر الإدريسي، لكن النزعة الاستقلالية لبرغواطة ظلت بارزة السّمات مدة طويلة كما دلت على ذلك انتفاضتها على عهد عبد المومن الموحدي.

أما الجانب الثقافي فقد مُحي كلّ أثر تقريباً لنمطه ومؤثراته فيما يرجع إلى الثقافة المدونة علماً وإبداعاً، مع أن ملوك برغواطة كانوا على مستوى رفيع من المعرفة. وزمور البرغواطي كان صاحب الصلاة في النظام البرغواطي، أي مكلّفاً بالشؤون الدينية لا سيما الصلاة ومعابدها. وفي ظل السلطة البرغواطية المسلمة بسبتة وطنجة خلال القرن الخامس كانت هناك حركة ثقافية جيدة خصبة كما يستخلص ذلك من كتب التراجم الأندلسية و*مدارك* عياض. ومن البرغواطيين المتأخرين يحيى بن إبراهيم الذي نقل المقري ترجمته عن *الإحاطة* وهو معاصر لابن الخطيب. وكان نقاداً صوفياً مع روعة أفكار وأسلوب ومع معالجته لموضوعات تتصل بعلم الاجتماع الديني.

وتعدّد المصادر، انطلاقا من البكري ومروراً بمؤلف *الاستبصار* وانتهاء بابن خلدون، القبائل التي دانت بالعقيدة البرغواطية مع انتمائها السياسي إلى الدولة البرغواطية، وكذا القبائل المسلمة التي دانت لها سياسياً. ومن الفريقين زناتيون وصنهاجيون ومصامدة، لكن ليس بينهم غماريون. ولذلك يمكن القول إن المجتمع البرغواطي يعتمد في نظامه على الدولة التوحيدية لا دولة العصبيّة الضيقة. والتوحيد هنا يرتكز على تحالفات ونظام للمقاومة والمواجهة كان بالتأكيد صارماً وملتحماً بالنظر لفترات التجديد والانبعاث في الحركة، كما أن النظام الحاكم حافظ على نوع من الشعبية في فترات السلم حسبما يتبين ذلك من عدم أخذه بمظاهر الملك الفخمة المعاصرة له.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* (إفريقية والمغرب) ص : 87، 135، 141 ؛ أ. البيدق، *أخبار المهدي*، ص : 67، 69 ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* (وصف إفريقيا والأندلس) ص : 71، 75 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ص : 107، 200، تـ : سعد زغلول عبدالحميد ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ص : 340 ؛ ط. ياقوت، *معجم البلدان*، مادتا سبتة وطنجة ؛ ابن عذاري، *البيان*، 1 : 319، 2 : 6 ؛ م. الدمشقي الأنصاري، *نخبة الدهر*، ص : 236 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص : 110، 190 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال*

الأعلام، 3 : 184، 231، ت. م. م. عبادي وم. إ. الكتاني ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 428، 436، 376، 379 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 8 : 298 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ص: 241، 248، ع : 28 ؛ إ. حركات، *ملامح من تاريخ طنجة في العصر الوسيط*، مجلة دار النيابة.

Léon l'Africain, *Description de l'Afrique*, p. 157 - 161. Notes de Epaulard, Paris, 1956 ; A. Bel, *La religion musulmane en berbérie*, T. 1, Paris, 1931 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 1, 128 - 132, Casablanca, 1949 ; R. Basset, *Berghawata*, *E. I.* 2, Paris ; G. Martinet, *Naissance de Casablanca et son évolution commerciale*, in *Actes du Colloque de Casabanca*, Faculté des Lettres I, Casablanca, 1982.

إبراهيم حركات

البرغواطي، سكّوت، اختلفت المصادر في إثبات اسمه : فهو سَقوت، عند ابن بسام (*الذخيرة*، 2 : 657)، وسكُوت، عند ابن أبي زرع وابن خلدون (*القرطاس*، 140 ؛ العبر، 4 : 335) وسكات، عند المراكشي (*المعجب*، 101) ويعرف أيضا في بعض المصادر باسم سوّاجات (*البيان*، 3 : 231 ؛ *أعمال الأعلام*، 141).

اسمه الكامل هو سكوت بن محمد، ينحدر من قبيلة برغواطة البربرية التي كانت تتعرض باستمرار لغارات الحموديين الغماريين، وفي إحدى هذه الغارات أسر سكوت هذا وهو في سن دون البلوغ. فاشتراه أول الأمر شيخ حداد من شيوخ غمارة، ثم بيع بعد ذلك إلى أحد الأمراء الحموديين قد يكون على الأرجح علي بن حمود الذي كان آنذاك حاكما لسبتة من قبل الخليفة الأموي سليمان المستحيي (*مفاخر البربر* ، 58 ؛ *العبر*، 6 : 456 ؛ *الذخيرة*، 2: 657). يبدو أن سكوت كان له من الخصال الحميدة والشجاعة والذكاء ما جعل مولاه ينعم عليه بالحرية ويفتح أمامه الأبواب ليشغل أهم المناصب بسبتة خلال العصر الحمودي.

في سنة 1021/412 عين سكوت حاكما على سبتة وطنجة وأحوازهما من طرف الأمير يحيى بن علي الذي التحق وقتها بالأندلس ليتولى منصب الخلافة خلفاً لأبيه المتوفى (*المعجب*، 78 ؛ *البيان*، 3 : 250 ؛ *العبر*، 4 : 331 ؛ *الذخيرة*، 2 : 657) انطلاقا من هذا التاريخ بدأ الدورالسياسي لسكوت البرغواطي. إلا أن أهم ما يميز هذه المرحلة الأولى من العهد البرغواطي أن سكوت لم يكن يحكم وحده، بل كان يقاسمه نفس المنصب وبأمر من الأمير الحمودي مولى ثان من موالي آل حمود يعرف بأبي العطاف، (*الذخيرة*، 2 : 657)، وتنعته باقي المصادر باسم «رزق الله» (*البيان*، 3 : 250 ؛ *المعجب*، 101) وفي غياب السلطة الشرعية استبد سكوت وشريكه رزق الله بالحكم، وإن ظلا يعترفان بخلافة بني حمود ويحتضنان أمراءهم جرياً على عادة ألفها آل حمود تتمثل في إبقاء ولاة عهدهم في سبتة منطلق حكمهم، كما أنهما لم يترددا في حسن استقبال وفادة الخليفة إدريس الثاني المخلوع، وإن كان في واقع الأمر أسيرا لديهما. وبالرغم من أن الظروف، كما يستفاد من المصادر، كانت مهيأة للثورة ضد الحاكمين البرغواطيين بسبب تذمر الأهالي من حكمهما فإن سماحة إدريس الثاني لم تدفعه فقط إلى رفض عرض الثائرين، بل أخبر الحاكمين بالمؤامرة، فكان رد فعل سكوت ورزق الله أن أمرا بنفي المتآمرين. أما مصير إدريس الثاني فقد اختلفت المصادر في شأنه : فرواية المراكشي تفيد أن الأمير الحمودي لقي نفس المصير بحيث طرد إلى الأندلس، بينما احتفظ بابنه واستمر الاعتراف بشرعية خلافته (*المعجب*، 102) أما ابن عذاري فيذهب إلى أن الحاكمين البرغواطيين احتفظا به إلى غاية وفاته سنة 52/444 . 1053 (*البيان*، 3 : 218).

بعد وفاة إدريس الثاني، عزم سكوت وشريكه على قطع علاقتهما بالحموديين في الأندلس. هكذا لم يتردد سكوت في إصدار أوامره باغتيال الحسن الماسي عندما علم بنزوله في ريف غمارة (*البيان*، 3 : 218 ؛ *المعجب*، 95) وفي سنة 54/446 . 1055 تباطأ سكوت في طلب القاسم لمؤازرته لرد عدوان المعتضد بن عباد المتربص آنذاك بالجزيرة الخضراء، وعندما وقعت المدينة في قبضة بني عباد، خشي سكوت على سلطانه من الأمير الحمودي المهزوم، فرفض احتضانه الشيء الذي دفع بهذا الأخير إلى اللجوء إلى قرطبة حيث بقي إلى أن مات (*البيان*، 3 : 213).

انطلاقا من سنة 1061/453 بدأ سكوت عهده الجديد بقتل رزق الله شريكه ومنافسه في السلطة، ثم أعلن نفسه أميراً مستقلاً على سبتة وطنجة، واتخذ من الألقاب السلطانية، لقب «المنصور المعان» (*مفاخر البربر*، 45 ؛ *الذخيرة*، 658 ؛ *البيان*، 3 : 250 ؛ *أزهار الرياض*، 1 : 37). وقد برهن على استقلاله بأن ضرب سكة خاصة به تحمل على وجهها الأول اسمه ولقبه «المنصور المعان ـ سكوت» في حين أثبت على وجهها الثاني اسم ولقب ابنه «الحاجب ـ بهاء الدولة ـ الغر» ولكي يضفي نوعا من الشرعية على ملكه، أثبت على السكة اسم الخليفة العباسي عبدالله القائم بأمر الله (1031/421 . 1075/467).

ولم تفدنا المصادر بأي شيء عن سياسته الداخلية، أما بالنسبة لعلاقاته الخارجية فقد تميزت على العموم بالصراع على الواجهتين الأندلسية والمغربية.

إن كراهية سكوت لابن عباد صاحب أشبيلية كانت كرد فعل لكراهية هذا الأخير لبني جلدته بربر الأندلس. استفحل العداء بين الطرفين وأصبحت الحرب على وشك الانفجار انطلاقا من سنة 1065/457. تروي المصادر أن من الأسباب المباشرة لاندلاعها اعتقال المعتضد لتاجر سبتي في حضرته فردعليه سكوت بالمثل بحيث اعتقل عدداً من التجار الأشبيليين في سبتة فدارت معارك طاحنة بين الطرفين بمضيق جبل طارق، وقد انكشفت هذه الحروب أول الأمر عن قوة سكوت العسكرية، ولم تنهر قوته هذه إلا عندما عزز المعتضد أسطوله البحري بأسطول ثان يشتمل على ثمانين سفينة كان قد فرغ من صنعها كما يروي ابن حيان، ويبدو أن الحرب توقفت عند النصر أو الهزيمة، ذلك أن المعتضد لم يسع إلى قطف ثمار نصره بضم سبتة إلى ممتلكاته بالرغم

مما عرف عنه من جشع. فاكتفى بالانسحاب تاركا المضيق تحت سيطرة سگوت (*الذخيرة*، 2 : 659).

استمرت القطيعة بين الطرفين مدة طويلة. ولم يكن وقتها خافيا على سگوت ما يقوم به ابن عباد ضد الإمارات الأندلسية الصغرى. فكان حذرا من كل ما يأتي به البحر. فقد خشي احتضان حتى أولئك البربر الذين شردهم ابن عباد بعد أن نزع منهم ممتلكاتهم (*البيان*، 3 : 273).

أما بالنسبة للواجهة الإفريقية فيبدو أن علاقة سگوت البرغواطي بالإمارات البربرية المستقلة خصوصا مع إمارة مغراوة الزناتية المحاذية لمملكته من جهة الجنوب، كان يطبعها الود والتحالف، إذ لم تسجل المصادر أي صراع إقليمي أو قبلي بين الطرفين، بيد أن أهم مظهر لهذا التحالف تجلى أثناء الصراع الزناتي ـ المرابطي. ذلك أن تميم بن معنصر زعيم مغراوة الذي يعتبر حجر عثرة بالنسبة للفتح المرابطي بإقليم فاس، كان على اتصال بسگوت البرغواطي، وربما كان يدين له بنوع من الولاء. تذكر المصادر أن تميماً هذا لما قتل المهدي بن يوسف قائد جيوش الملثمين بعث ـ كما يقول ابن خلدون ـ برأسه إلى وليه ومساهمه في شدته الحاجب سگوت البرغواطي (*العبر*، 6 : 378 ؛ *القرطاس*، 140).

يستفاد من هذا أن سگوت كان في مركز قوة بالنسبة للقوى المحيطة به، وكان بإمكانه أن يحافظ على قوته لمدة طويلة في الوقت الذي انهارت فيه إمارة مغراوة الزناتية تحت ضربات الملثمين وتحول زعماؤها إلى سجناء حصن الدمنة الواقع قرب طنجة (*الذخيرة*، 2 : 660)، ذلك أن سگوت كان بوسعه أن يلعب بالورقة السياسية للحفاظ على ملكه ولو إلى حين، فينحاز إلى الحلف المرابطي عندما دعاه هؤلاء إلى مؤازرتهم ضد الزناتيين المعتصمين بحصن الدمنة. إلا أنه رفض الطلب بإيعاز من ابنه وولي عهده العز ضياء الدولة، فكان حدث سقوط حصن الدمنة وجبل علودان ببلاد غمارة في يد المرابطين سنة 465/72 . 1073 أو سنة 471/78 . 1079، مؤشراً بوقوع الحرب بين الجانبين (*العبر*، 6 : 380 . 457 ؛ *القرطاس*، 142 ؛ *الذخيرة*، 2 : 660) كما أن تطور الأحداث بالأندلس الجاثم تحت وطأة الخطر المسيحي ومحاولة المرابطين الاستفادة من هذه الأحداث باسم الجهاد، أضعف موقف سگوت العسكري، ففي سنة 467/1075، استقبل يوسف بن تاشفين وفداً أشبيلياً بعث به ابن عباد قصد التفاوض مع الملثمين وليعرض عليهم العبور إلى الأندلس (*القرطاس*، 142).

هكذا وبالرغم من أن كل الأحداث كانت تسير ضد سگوت، فقد أبى إلا أن يصمد في وجه المرابطين «وألا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين ما دام حياً أبدا» فخرج بالرغم على كبر سنه لملاقاة جيوش المرابطين التي كان يرأسها صالح بن عمران، والتقى الجيشان قرب وادي منى بأحواز طنجة سنة 471/70 . 78/1079 فأسفرت المعركة عن مقتل سگوت عن سن تناهز 86 سنة، ودخل المرابطون طنجة، في حين بقيت سبتة تحت حكم ابنه ضياء الدولة (*القرطاس*، 142 ؛ *الذخيرة*، 1 : 661).

سار سگوت البرغواطي سيرة ملوك الطوائف العظام. فأحاط نفسه بثلة من الشعراء والعلماء، أولاهم رعايته وأغدق عليهم نعمه. ولعل من أهم الأدباء الذين حفلت بهم هذه المرحلة وتجاوز صيتهم حدود سبتة حتى حسده عليهم جاره ابن عباد ثلاثة رجال : ابن مرانة الفرضي، وابن غازي الخطيب، وابن عطاء الكاتب (معجم *البلدان*، 3 : 183 ؛ *المطرب*، 89 . 90).

اهتم سگوت أيضا بالفقه والفقهاء ولعل من أهم الفقهاء الذين حظوا بعنايته ومنّه، كبير فقهاء عصره أبو الأصبغ بن سهل بن عبدالله الأسدي الجياني صاحب كتاب *الإعلام بنوازل الأحكام* (*الديباج*، 181 . 182).

وحسبنا ما رواه ابن عذاري لتبرير مدى اهتمام سگوت بالعلم والعلماء من أن الوليد بن جهور صاحب قرطبة ذكر في أحد مجالسه أنه توصل في يوم واحد بثلاثة كتب : اثنين منهما لابن صمادح صاحب ألمرية ولابن عباد صاحب أشبيلية يطلبان مغنية، والثالث لسگوت البرغواطي يطلب قارئا يقرأ القرآن. فتعجب ابن الوليد من الأمر وقال : «جاهل يطلب قارئا وعلماء يطلبون الأباطيل» (*البيان*، 3 : 250).

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، ج : 2 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 4 . 6 . 7 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ ابن دحية، *المطرب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج : 3 ؛ ابن فرحون، *الديباج* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مجهول، *مفاخر البربر* ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج : 1 . 3 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان*، ج. 3.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles*. Thèse 3ème cycle, Aix- Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

بَرْغُوت، أسرة تطوانية أصلها من غمارة، وكان من بين أفرادها فقهاء مثل :

بَرْغُوت، أحمد بن المكي الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1313/1896 إلى سنة 1316/1899.

بَرْغُوت، محمد بن عبد الصادق الذي كان يتعاطى نفس الخطة بتطوان من سنة 1301/1884 إلى سنة 1305/1888.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

برق الليل، أسرة رباطية أخذت هذا اللقب حديثاً، وكانت تسمى «ابن عبدالرحمان» نسبة لصالح شهير في الريصاني بتافيلالت، أما سبب هذا اللقب فترجعه الرواية الشفوية إلى أن جداً قريباً لهذه الأسرة كان يتوجه إلى صلاة العشاء أو الفجر لابساً البياض على متن حصان أبيض،

فكان لونه هذا يلمع في ظلام الليل فأطلق عليه السكان برق الليل ولا يعرف اسم هذا الشخص بالضبط.

برق الليل، محمد بن عبدالرحمن بن علي المدعو الفيلالي، الذي قدم من تافيلالت ليقطن الرباط كان من العدول المدرسين، وقد رأى محمد بوجندار من آثاره الحوالة القديمة للأحباس الكبرى الرباطية سجل فيها أيام السلطان المولى سليمان بقيادة عامل الرباط آنذاك الغازي بن المدني الشاوي المزيمزي ما يتعلق بأوقاف الرباط، وأحصاها وحددها وجمعها، وهي مبوبة على مسطرة ما تضمنته حوالة السلطان المولى إسماعيل المؤرخة بعام 1112، وكان ترتيب هذه الحوالة في عهد ناظر الرباط الفقيه الحاج العربي بن بناصر ملين بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1223. وعليها توقيع محمد برق الليل وشكله.

كان محمد برق الليل من خواص الأديب الشهير ابن عمرو، ويستفاد من بعض الرسوم أنه سجن أيام القاضي يوسف البوعناني لتبذيره حانوت أبيه وتضييعها على نفسه وعلى إخواته الذين كانوا تحت كفالته.

وكان يقوم بالتدريس ونشر العلم وقد رأى بوجندار ظهيراً للسلطان المولى سليمان يكلفه بالتدريس في الجامع الكبير وينفذ له راتباً شهرياً لمؤونته وكسوته من أوقاف الرباط، وهو مؤرخ بـ 18 محرم 1234. وبعد وفاة المولى سليمان شمل السلطان المولى عبدالرحمان أسرته برعايته. وحسب ظهير رحماني مؤرخ بربيع الثاني عام 1240 أمر السلطان بأن ينفذ لأولاده بعد وفاته مؤونة شهرية من أوقاف سلا إعانة لهم على يتمهم وفقرهم. وكانت وفاته في رمضان عام 1234 / 1818.

وهناك في القرن التاسع عشر شخص في الجديدة يحمل اسم عبدالرحمان برق الليل لعله كان أميناً بمرساها ولا يعرف إن كان هو والد الفقيه محمد المترجم أعلاه.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 153 ؛ *رواية شفوية* أدلى بها السيد قاسم برق الليل إسكاف بدرب وزّهرة ببوقرون بالرباط يوم الأربعاء 23 ماي 1990.

عبدالاله الفاسي

برقوق، فاكهة من أنواع جنس برونس Prunus الذي ينتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae. شجرة البرقوق متوسطة القامة لا تتعدى أربعة أمتار، جذعها مستقيم ومشقق شيئا ما. الأوراق عنقية وبيضوية الشكل، مسننة ومجتمعة على شكل ياقات على الأغصان، تظهر عادة في فصل الربيع ابتداءً من مارس وتسقط في فصل الخريف. الأزهار بيضاء وصغيرة تظهر مع الأوراق، لها خمس تويجيات. الثمار بيضوية الشكل ومتوسطة الحجم حيث يتفاوت قطرها حسب الأنواع والضروب من سنتمتر واحد إلى أربعة سنتمترات مختلفة الألوان بحسب الأنواع : صفراء وحمراء وبنفسجية ومسودة. يُعرف في العالم أكثر من ثلاثمائة نوع من البرقوق، منها الحلوة المذاق ومنها الحامضة. غزيرة العصير وكثيرة اللب بداخلها بذرة يكسوها غشاء صلب. وقد عُرف البرقوق منذ قديم العصور، ويُرجح أن الشجرة الأصلية هي نوع Prunus Spinosa ونوع Prunus Insitia الذي نتج عن تهجينها نوع Prunus domestica .

عرفت زراعة البرقوق في المغرب الحديث، تطوراً كبيراً نتج عنه أصناف أخذت تلعب دوراً هاماً في اقتصاد البلاد. تتطلب الزراعة كميات هائلة من الماء وتنبت الأشجار في بيومناخات باردة ومعتدلة حيث نجدها متوفرة في الريف والأطلس المتوسط والكبير والسهول السقوية (سهول الغرب وحوض سوس ونواحي مراكش).

تعتبر الثمار من الفواكه التي تستهلك في الصيف ومن بين الضروب هناك ما يُجَفّف ويُعلّب ليؤكل بعد طبخه. إنها ثمار منعشة المذاق تتكون من 70غ من السكريات ومن كميات هامة من الكلسيوم وڤيتامين pp, B2, B1. كثيرا ما ينصح الأطباء الأطفال بتناول البرقوق المجفف زيادة عن شهرته المعروفة منذ القدم لكونه مسهلا ومُخففا للنزيف والإفراز.

تتم زراعة البرقوق بواسطة البذور أو التطعيم أو بالافتسال، ويفضل الفلاح العمليتين الأخيرتين، وذلك للتأكد من الضرب الذي يريد غرسه. تعد أشجار اللوز المر والبرقوق الشائك والمشمش من النباتات القابلة لتطعيم البرقوق.

Cl. Ch, Mathon, *Phytogeographie appliquée, l'origine des plantes cultivées*. Masson, 1981 ; A. Akoka, *Medecine naturelle*, Paris, 1978.

نجاة الخياطي

برقوق، أسرة رباطية شريفة تنتسب إلى إدريس بن إدريس الأكبر، أصلها من الأندلس، عرف أفرادها بالنسك والصلاح، إلى جانب التجارة والعدالة. وكان لآل برقوق أملاك واسعة تمتد من ضريح سيدي محمد الضاوي الذي يتصرفون في فتوحاته والواقع قبالة باب قصبة الأوداية إلى الزاوية القادرية. وممن ذكرته المصادر المكتوبة منهم :

برقوق، إدريس الإدريسي الحسني، من أعيان أشراف الرباط في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 ـ 20 م). لقيه الشيخ محمد يحيى الولاتي حين وصل إلى الرباط في طريقه إلى حج بيت الله الحرام سنة 1313 / 1895 وأصهر إليه بابنته خديجة واستقر معها بمنزلها خمسة أشهر قبل أن يتابع رحلته إلى الحجاز. وبعد رجوع الشيخ الولاتي من الحج استقر مع زوجته بنت برقوق في منزلها أيضاً شهراً. وذكر في *رحلته الحجازية* الشريف إدريس برقوق وأثنى عليه خيراً.

م. يحيى الولاتي، *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، بيروت، 1990، 157 و315 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198، رواية شفوية عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

البرقوقيون، إحدى الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة أنجرة، يجاورهم الحوز وقبيلة وَدْراس وفرقة الغابويين شرقا إلى حدود مدينة سبتة.

كانت فرقة البرقوقيين في عهد الحماية الإسبانية تابعة لمقاطعة جبالة الشرقية، ولكن في التقسيم الجماعي الحالي أصبحت تسمى «جماعة خميس أنجرة» وهي قيادة تابعة لإقليم تطوان. ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1982 : 10,911 نسمة.

يرتكز نشاط البرقوقيين على الفلاحة وتربية المواشي، ويرجع بعض السكان اسم فرقتهم لوجود عدد كثير من أشجار البرقوق بها. وأهم مركز تجاري بها هو سوق خميس أنجرة الذي يرتبط بتطوان وسبتة وطنجة.

من بين أهم مداشر فرقة البرقوقيين : بني معدن الذي يوجد به ضريح «سيدي النعيمي» حيث يجتمع سكان القبيلة للتداول في المسائل العامة، وكان يعيش به شريف يدعى سيدي أحمد الوزاني، يلجأ الأنجريون إليه لحل نزاعاتهم. وبني حلو الذي تذهب نساؤه إلى سوق الخميس القريب منهم لبيع اللبن والزبدة وبعض المناديل و«الكرزيات» التي يصنعنها. وبني عتاب حيث كان يعيش قائد القبيلة الدواس. وبوزاكي التي كان بها في عهد الحماية جوق للغياطة يلجأ إليها سكان القبيلة لإحياء حفلاتهم. وبلعشيش، أغلب سكانه من أولاد بولعيش المشهورين بالشجاعة المنتمين إلى الطريقة التجانية وأغلبهم طلبة، يذهب كثير منهم لاستكمال تعليمه بالقرويين بفاس.

وكان بأحد دواوير هذه الفرقة (الشّعيْريّين) مقلع مهم من الرخام وأحجار الجير وذلك قبالة جزيرة البقدنوس.

دراسة ميدانية.

أحمد بوجداد

البركات (أبو ـ) ← **بو بركات**

بركات، علي (مولاي ـ) بن **الضو**، ولد سنة 1919 بأولاد حريز من أولاد بو السباع إقليم الصويرة. وبدافع الغيرة الوطنية والشجاعة التي كان يتسم بهما أسس خلية سرية بشيشاوة تابعة للفرقة السرية التي كان يرأسها الشهيد حمان الفطواكي.

كانت بداية أعمال تشكيلته قطع الأشجار وتوزيع المناشير وزرع الرعب برسائل التهديد وقطع أعمدة التيلفون مع محاولات جادة للحصول على السلاح، فقد حصل بركات على مسدسين وقنبلة، لكن افتضاح أمره أدى به إلى الاعتقال يوم 25 غشت سنة 1954 حيث سيق إلى مركز الدرك بشيشاوة وهنالك تعرض لأبشع طرق التعذيب لكنه لم يرضخ لسجانيه وآثر التعذيب على البوح بأسرار فرقته إلى أن استشهد يوم 24 شتنبر 1954 بمركز الدرك الفرنسي.

المندوبية السامية للمقاومة، *كتاب الشهداء*، ج 3.

عزالدين العلام

بَـرْكات، (رأس ـ) يقع بشاطئ البحر المتوسط المقابل لمليلية، وقد أشارت إليه الخرائط البحرية الأوربية القديمة

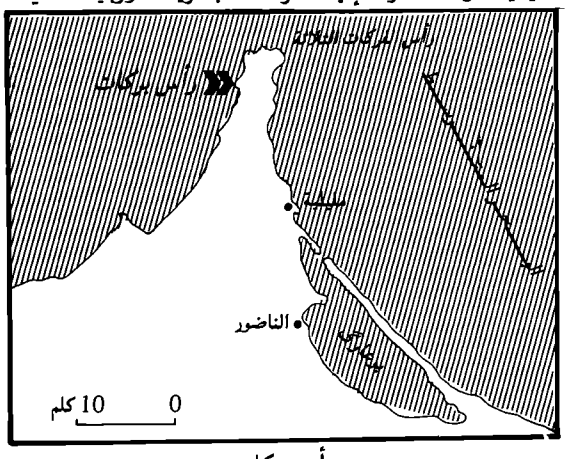

رأس بركات
باسم رأس *طرامونطانا* Cabo Tramutana.

محمد ابن عزوز حكيم

بركات بن **محمد** (الشيخ ـ) ← **التّدسي بركات**

بركاتو، علي بن عبد القادر السباعي، تولى منصب القيادة على فخذ أولاد عمران من قبيلة أولاد بو السباع سنة 1312 / 1894 وذلك عندما قُسمت القبيلة السباعية إلى ثلاث إيالات بعد وفاة السلطان الحسن الأول. وكان مقر قيادته في قرية أولاد الزير بالمنطقة المسماة بُوجمادى على مقربة من وادي بوعنفير. وقد ناصبه القائد عبد المالك المتوكي العداء فعمل على خلعه سنة 1899 تطبيقاً لسياسته التي كانت تهدف إلى بث التفرقة بين القواد السباعيين ليحول الصراع بين مختلف أفخاذ القبيلة السباعية دون توحيد كلمتها تمهيداً للاستيلاء عليها. وتولى مكانه القائد بِّيه بن بلعبيد السباعي. ولما اغتيل هذا الأخير في ثلاثْ ـ نْ ـ يعقوب من طرف بعض اگلاوة، انتقاماً منه لخضوعه للقائد الطيب الگنتاني، عاد القائد علي بركاتو إلى منصبه.

وقد ظهرت عدة خلافات بينه وبين قائدي فرقة أولاد عمرو وهما مبارك بن البشير السباعي ويرعاه السباعي. وكانا يطالبانه بأداء نصف الواجبات المخزنية والقيام بنصف الكُلف. بينما كان متشبثاً بأداء الثلث الذي يلزمه فقط بدعوى أن أرض القبيلة كانت مقسمة أثلاثاً بين الإيالات الثلاث. ولما تدخل المخزن قُسمت أرض القبيلة مناصفة ساقيةً وبوراً بين أولاد عمرو وأولاد عمران. فصار يلزمه وحده نصف المتطلبات المخزنية من كُلف ووظائف وغيرها.

ظهير تعيين القائد علي بركاتو مؤرخ بـ 26 شوال 1314. خ. ح. رقم 199 ؛ *نظير رسالة سلطانية* إلى القائد بركاتو بتاريخ 16 محرم 1314 / يونيو 1896 ؛ *نظير رسالة إلى القواد الثلاثة* بتاريخ 9 جمادى الثانية 1314 / نونبر 1896، خ. ح. الرباط 635، ص 213 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر.د.د.ع. 1988.

L. Baritou, *Les grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua*, CHEAM, N° 45, pp. 8 - 50.

بركاتو، محمد بن علي السباعي، قائد ابن القائد علي بركاتو السالف الذكر، نصّبه القائد عبد المالك المتوكي قائداً على فرقة أولاد عمران السباعية عندما صارت قبيلة أولاد بوالسباع خاضعة لنفوذه غداة انهزام أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان على يد الفرنسيين.

رواية شفوية : م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر.د.د.ع. 1988.

م. حسن كفناني

برگاش، أسرة أندلسية شهيرة تنتمي إلى أحد رفقاء عبدالرحمان بن معاوية (الداخل) في فراره من العباسيين إلى الأندلس في منتصف القرن الثاني الهجري. وقد نزح آل برگاش إلى المغرب في جملة النازحين بعد سقوط غرناطة. وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسمVargas الذي تعرف به أيضا مدينة بمقاطعة لوگرونيو Logroño الإسبانية. وقد استقر آل برگاش عند التحاقهم بهذه العدوة في تطوان والرباط، إلاّ أن فرع تطوان انقرض منذ سنة 1778/1192، بعكس فرع الرباط الذي تكاثر واتسع، واشتهر أفراده بالعمل في أسطول الجهاد البحري إلى أيام السلطان مولاي عبدالرحمان (1238 ـ 1276/1822 ـ 1859) وتولى عدد منهم وظائف مخزنية سامية كعمالة مدينة الرباط ونظارة الأحباس بها، وكان منهم وزراء وسفراء وأمناء.

برگاش، إبراهيم بن شعيب، لعله الجد الأول لآل برگاش الرباطيين المهاجرين من الأندلس. وقد وجد اسم إبراهيم برگاش في لائحة أعضاء الديوان الأندلسي الذي حكم القصبة في العشرينات من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). فقد أمضى بمعية القبطان محمد بن عبدالقادر مورينو وأعضاء الديوان الذين يبلغ عددهم ستة عشر عضوا، باسم كل أندلسيي القصبة وسلا الجديدة، مشروع اتفاقية مع جون هاريسون الإنجليزي في 10 مايو 1627 في إطار العلاقات بين الإنجليز وحكام القصبة الأندلسية التي تميزت تارة بتبادل الهجومات وأسر السفن وسلب الغنائم وطورا بالهدنة. وكان الحاكم العام للقصبة الأندلسية محمد بن عبدالقادر سيرون قد وقع مع ممثل فرنسا الفارس إسحاق دورازيلي Isaac de Razilly وقبطان سفينة du Chalard هدنة في هذا المضمار في 2 إكتوبر 1629. ويعطي دوكاستر أسماء الأشخاص القاطنين بالقصبة، فإلى جانب برگاش أو Vargas هناك Pelafres أو بلافريج، وبلانكو، وباركو وردوريكيز. ـ وقد انقرضت اليوم هذه الأسر الثلاث الأخيرة ـ وكراسكو (كراكشو)، وسانتياگو وگولان وكوزمام ـ وهي أسماء لم يبق لها وجود اليوم ضمن العائلات الرباطية. وكان أعضاء الديوان أنفسهم يستعملون الإسبانية سواء في مراسلاتهم أو في كتابة المعاهدات مع أوربا.

لقد كان إبراهيم برگاش ضمن حكام ما سمي بجمهورية أبي رقراق التي كانت مستقلة في الواقع عن سلطة السعديين على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين عزموا على احتوائها، وبقيت مستقلة حتى سنة 1641.

وإذا كان العلويون وضعوا حداً لهذا الاستقلال فإن أبناء إبراهيم برگاش وأحفاده وغيرهم من العائلات الأندلسية لعبوا الدور الأساسي في تسيير مدينة الرباط طوال العهد العلوي.

برگاش، حجي بن الغازي، فقيه وصفه محمد بن علي دينية صاحب *الانبساط* بخصال نقتطف منها ما يلي :«الفقيه...العدل، كان من ذوي المروءة والأخلاق كثير المفاكهة» وقد تصاهر مع القاضي محمد عاشور فتزوج من ابنته وكان من العدول أيام القاضي الطيب بسّير الذي يعرف أنه كان قاضيا سنة 1834.33/1249. ولما تولى عبدالرحمان البربيري نفس الخطة من 1850.49/1266 إلى 1865.64/1281. أخره عن خطة العدالة، لكنه رجع إليها عندما ولي محمد بن إبراهيم النيابة عن البربيري وبقي بها إلى أن توفي في 21 رجب 1/1294 غشت1877.

برگاش، الصديق، ابن ثانٍ لمحمد برگاش النائب السلطاني بطنجة. تقلب في عدة وظائف مخزنية فاستخدم أولا أمينا بمرسى الرباط لمدة طويلة أيام الحسن الأول الذي كلفه ببناء قصره بداخل الروض الموجود بدار المخزن بالرباط، وببناء ضريح السلطان محمد بن عبدالله، ثم عينه خليفة لعامل الرباط محمد السويسي. وفي سنة 1900 عينه المخزن عاملا على مدينة طنجة، ثم استخدم أمينا بمرسى الرباط مدة، ثم رشح كخليفة للعامل أحمد السويسي بالرباط وبقي في هذا المنصب إلى أن ولي عمالة الرباط سنة 1909، وعلى يده انتهت عمالة أسرة السويسي التي استمرت أكثر من نصف قرن بالرباط.

توفي الصديق برگاش يوم الجمعة 17 محرم 2/1336 نونبر 1917 ودفن بالزاوية التهامية.

برگاش، عبدالرحمان رئيس البحر الشهير الذي عمر ما يقارب القرن. وكان قد ورث حرفة «القرصنة» عن أجداده. ومن المعلوم أن السلطان المولى سليمان كان قد ألغى الجهاد البحري في حدود 1817 ووزع قطع الأسطول المغربي على بعض أقطار الشمال الأفريقي، فتوقف الجهاد البحري، لكن السلطان عبدالرحمان بن هشام رغب في إحيائه. ففي سنة 1827/1243 أصدر أمره إلى رئيس البحرية المغربية آنذاك عبدالرحمان بريطل وإلى عبدالرحمان برگاش الذي كان قائداً لإحدى السفن، بالتطواف بسواحل المغرب، ومنع كل سفينة أجنبية من اختراق المياه المغربية إذا لم تتوفر على الإذن بالمرور، وهو ما كان يصطلح عليه بـ«الباسبورط» وفعلا استطاع الرئيسان أسر سفينتين نمساويتين واقتاداها إلى ميناء أبي رقراق، وكانتا محملتين ببضاعة كثيرة متنوعة، وكان الاستيلاء على هذه الغنائم بداية لسلسلة من العمليات البحرية التي ساهم فيها عبدالرحمان برگاش.لكن العملية المذكورة أدت مباشرة إلى توتر في العلاقات المغربية ـ النمساوية بعد هجوم الأسطول النمساوي على مدينة العرائش ونزول النمساويين إلى بر

المدينة نزولا باء بالفشل بعدما أرغمهم العرائشيون على التراجع السريع إلى سفنهم.

كان عبدالرحمان برگاش يمتلك سفينة لتدريب الشبان، وقاد عمليات جهادية موجهة لمحاربة التهريب، ويمثل آخر نماذج رؤساء البحر الذين اشتهروا ليس في داخل المغرب فحسب بل لدى الكثير من الدول الأوربية، ولا يعرف تاريخ وفاته.

برگاش، عبد الرحمان بن محمد، حفيد النائب السلطاني وابن محمد وزير الحربية. ولد بالرباط سنة 1287 / 1870، وتعلم على يد أساتذة بطنجة وبخاصة الشيخ عبد السلام ملين بالرباط.

كلفه السلطان الحسن الأول باتمام مهمة أبيه في أوربا أي استيراد الأسلحة، فاصطحب القائد عبد السلام برشيد في السفارة المتوجهة إلى ألمانيا قصد التباحث في جلب مدافع من أجل التحصين البحري، ثم عين أميناً للديوانة ثم باشا للدار البيضاء بين 1892 و1896 وأخيراً باشا للصويرة.

وفي سنة 1895 كلفه الوزير أحمد بن موسى (بّاحماد) بمساعدة محمد الصفار خليفة نائب طنجة للنظر في الخلاف الواقع بين إسبانيا والريفيين، وفي سنة 1901 وجه ضمن أعضاء البعثة التي ترأسها وزير الحرب المتبهي إلى انجلترا وألمانيا. وبعد عودته استعاد منصبه كباشا للصويرة وبقي فيه حتى سنة 1907 حيث استدعاه السلطان المولى عبد العزيز إلى جانبه ليصبح عضواً في مجلس الوزراء. وفي سنة 1330 / 1912 عين خليفة للنائب محمد الگباص في طنجة، وفي سنة 1336 / 1918 عين باشا للرباط مكان عمه الصديق.

برگاش، عبد الله بن علي، تولى قيادة الرباط مرتين، الأولى في نهاية القرن الثاني عشر الهجري مدة غير مضبوطة، ولكن يمكن وضعها في فترة تتوسط المسافة الزمنية الواقعة بين سنة 1186 / 1776 وهي سنة تولي قيادة الرباط من طرف القائد عبد الوهاب أشكلانط، وبين سنة 1199 / 1785 وهي سنة تولية عبد الله الرحماني.

أما المرة الثانية فكانت سنة توليته القيادة هي 1206 / في 9 رجب / يبراير 1792. وقد لعب دوراً كبيراً في الأحداث التي عرفتها مدينة الرباط بعد وفاة السلطانين محمد بن عبد الله وابنه اليزيد، فبعد وفاة هذا الأخير تزعم الفريق المناضر للمولى سليمان في مدينة الرباط، والمناوئ لفريقين آخرين أحدهما يُناصر سلامة بزعامة أحد أعيان الرباط وهو عباس مورينو، والآخر يساند هشاما، لكن برگاش سرعان ما تحول إلى الدعوة لهشام مخافة أن يقتل الرهائن الرباطيين المحتجزين عنده. وقد عينه هشام قائداً على الرباط في الوقت الذي تولى فيه المولى سليمان الملك، وقد سمي برگاش بسلطان الرباط (*تاريخ الضعيف*، 255) لأنه ربما أراد أن يستقل بالحكم في مدينته متبوعا بربع سكان المدينة. ولما دخل المولى سليمان الرباط ألقى عليه القبض بسبب مواقفه السابقة التي يطول شرحها. وفي 23 ذي القعدة 1209 أرسله إلى فاس حيث سُجن بها. وبعد سنتين رجع إلى الرباط، ولا يعلم هل كان هذا الرجوع نهاية لمدة سجنه أو نقلا إلى سجن الرباط، فالمؤرخ الضعيف الذي يروي هذه الأحداث لم يدقق في تبيان ذلك وإن كان الراجع أنه نال حريته بعد تلك السنتين من السجن ولا يُعرف تاريخ وفاته.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*،ت. أحمد العماري، 201 ـ 207 ـ 242 ـ 248 ـ 253 ـ 301 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 25 ؛ ع، ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 135 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، ص 217 ـ 220 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 129 ـ 197 ـ 211 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 ـ 2 ـ 4 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية العشرين*، د. د. ع، 26 ـ 29 ـ 33 ـ 34 ـ 87 ـ 115 ـ 124 ـ 232 ـ 233 ـ 256 ـ 259 ؛ *وثائق*، خ.ح، كناش 121 ص 174 ملخص رسالة 23 شوال 1301، محفظة رقم 7، الموانئ والملاحة ؛ *وثائق وزارة الخارجية الفرنسية*، المراسلات السياسية رسالة 3 غشت 1886.

Gouvion, *Kitab Aâyane El - Maghrib L'Akça ; Livre d'or : Dictionnaire des personnalités passés, contemporains*, casa, 1934.

عبد الاله الفاسي

برگاش، محمد بن عبد الرحمان، النائب السلطاني بطنجة، ولد بالرباط حوالي 1229 / 1814، وبها نشأ وتعلم على أساتذة الجامع الكبير بدرب السويقة قبل أن يغادرها، وهو ما يزال يافعاً، لامتهان التجارة في جبل طارق ثم في لندن (De La Martinière : 29). والراجح أن ذلك تم بعد وفاة والده سنة 1833. وإذا كان حظ الرجل في تحصيل العلم قليلا، فيما يظهر، بسبب انشغاله بالتجارة في مرحلة الشباب، فقد تحصل له من الخبرات والمزايا ما جعل بلديه الفقيه محمد دينية في *مجالس الانبساط* (ص 211) يسميه :"الطالب النزيه الأمين الخبير ذو الأوصاف الحميدة، والآراء السديدة، الذي طارت الأنباء بمآثره، وتواردت الآثار بمفاخره... كان من أعيان الوجهاء، وذوي السياسة والعقل والذكاء، سمحا وقوراً، فاضلا صبوراً..." وهذه كلها

صفات من شأنها أن تجذب نظر المخزن إليه، في وقت كان يعاني فيه هذا الأخير من ندرة الأطر المهيأة لتقلد المناصب العليا في الدولة. مما فتح الباب أمام المترجم لولوج الإدارة المخزنية والتدرج في أسلاكها كعامل في عهد السلطان المولى عبد الرحمان على مدينة الدار البيضاء وأمين في نفس الوقت لمرساها (Gouvion, 283). ولما تولى الحكم ابنه سيدي محمد سنة 1859 رقاه للنيابة عنه في مباشرة الشؤون الخارجية إلى جانب النائب محمد الخطيب بطنجة، وذلك منذ سنة 1860 حسبما يستفاد من بعض الوثائق المخزنية في هذا الباب (Nehlil, doc. VI, VII)، في وقت كان ما يزال يشغل فيه وظيف الأمانة (داود، 7 : 75). وعند إعفاء محمد الخطيب من مهامه في ذي القعدة 1278 / ماي 1862 وتوجيهه للإقامة بمدينة تطوان بناء على إشارة قائدها آنذاك الحاج عبد القادر أشعاش (نفس المصدر، 6 : 20)، استقل محمد برگاش بإدارة شؤون دار النيابة بطنجة. وكان يوقع رسائله أحيانا باسم محمد برقش أو بارقش. وقد تزامن ذلك مع تصاعد نفوذ الحماية القنصلية الممنوحة للرعايا المغاربة بعد حرب تطوان، مما حدا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى تكليفه في السنة الموالية بأمر التفاوض بشأنها مع الممثلين الأجانب بطنجة، خاصة منهم ممثل فرنسا بيكلار (Béclard). بعد أن أوفد إليه كاتبه إدريس ابن إدريس العمراوي لإعانته على ذلك (*الوثائق*، 4 : رقم 501) وبعد شهرين من المفاوضات بين كل من برگاش والعمراوي من جهة وممثل فرنسا من جهة ثانية، توصل الطرفان إلى تسوية في 19 غشت 1863 تحدد شروط منح الحماية القنصلية للرعايا المغاربة (Miège, 2 : 404، *الوثائق*، 4 : 504) لم تلبث أن انخرطت فيها الدول الأجنبية الممثلة في المغرب بعد إمضائها باستثناء إسبانيا فإنها أمضت تسوية مماثلة مع ابن إدريس (*الوثائق*، 4 : 191-198). هذا ويفيد التوقيع على التسويتين معا من طرف ابن إدريس العمراوي أن محمد برگاش لم يكن حتى هذا التاريخ يتوفر على تفويض من قبل السلطان لإمضاء مثل هذه الأوفاق مع ممثلي الدول الأجنبية. لكن بعد مرور سنتين تقريبا من عقد تسوية بيكلا، أصدر إليه السلطان سيدي محمد ظهيراً بتاريخ 25 ذي القعدة 1281 / 20 أبريل 1865، مفوضا له الفصل في القضايا التي تنشأ بين المغاربة والأجانب تفويضا تاما، بما في ذلك قضايا الحماية القنصلية. وهذا نص المهم من هذا الظهير بعد المقدمة :

"فوضنا لخديمنا الأرضي، الطالب محمد برگاش في فصل الدعاوي التي بين المسلمين والنصارى على الوجه المعروف، والطريق المألوف... ما كان منها مرجعه للشريعة فيرد إليها، وما كان مرجعه للقوانين والشروط فيرد إليها، وأذنا له في إمضاء الحكم فيها من غير توقف على مشورتنا ولا على ردّ لعليّ جنابنا..." (*الوثائق*، 4 : 553).

وبهذه الطريقة أمضى المترجم، بعد مرور حوالي الشهر على صدور هذا الظهير له، على اتفاقية تعتبر من أخطر الاتفاقيات على السيادة المغربية، وهي اتفاقية منارة رأس اسبارتل في 31 ماي 1865 التي تم بموجبها إسناد إدارة هذه المنارة إلى الهيئة الدبلوماسية بطنجة (Miège, 2 : 403، *مجلة دار النيابة*، ع 1 : 66). وبمصادقة السلطان سيدي محمد على الاتفاقية بعد مرور سنتين تقريبا من إمضاء المترجم عليها يكون المخزن قد منح النواب الأجانب امتيازاً آخر يمكنهم من التدخل، بشكل جماعي، في شؤونه الداخلية، مما يزيد في تعقيد مهام النائب محمد برگاش، لما تطرحه هاته الامتيازات من نزاعات مستمرة لم يكن هؤلاء النواب يتوانون في الإلحاح عليه في حلها كامتياز الحماية والمخالطة. ومن أجل إعانته على حل النزاعات التي تنتج عن هذا الامتياز الأخير، أنشأ السلطان سيدي محمد سنة 1874 مجلسا للأحكام بطنجة بعدما كان تقرر إنشاؤه بأزمور للفصل بين الخلطاء المغاربة والأجانب (*الوثائق*، 4 : 508) أطلق عليه اسم "مجلس الفقهاء ونواب الأجناس" (*كناش خ. ح.* رقم 70) وقد أسند رئاسته إلى أحد العلماء يساعده قاضي طنجة وعالمان آخران للإفتاء، بالإضافة إلى كاتب يقوم باستدعاء الغرماء أو من ينوب عنهم للحضور في المجلس المذكور (*الوثائق*، 4 : 581).

محمد برگاش يستقبل في دار النيابة بقصبة طنجة أحد السفراء الأجانب.

لكن بالرغم من إنشاء السلطان سيدي محمد لهذا المجلس وغير ذلك من الجهود التي بذلها المخزن من أجل وضع حد للنزاعات الناتجة عن التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للبلاد، فإن هذه النزاعات لم يفتأ حجمها يتفاقم يوما عن يوم، مما كان يعرقل سير الإدارة المخزنية ويطرح على النائب السلطاني مشاكل لا حصر لها، والأمثلة كثيرة في هذا الباب خاصة منها المتعلقة بقضية الحماية القنصلية الممنوحة للرعايا المغاربة (*الوثائق*، 4 : صفحات متعددة). لذلك آثر السلطان المولى الحسن منذ توليه الحكم سنة 1873 هذه القضية على سائر القضايا وجعلها شغله الشاغل باعتبارها أصل كل المشاكل التي تنشأ بين المغرب والدول الأجنبية. فقرر سنة 1877 طرحها في مفاوضات جماعية مع الهيئة الدبلوماسية المعتمدة بطنجة، بعدما أسند أمر تلك المفاوضات لنائبه محمد برگاش، وكان قد أوفد قبل ذلك، في سنة 1876، الحاج محمد الزبدي سفيراً عنه إلى كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا وإيطاليا من أجل كسب تأييد هذه

الدول، لكن بدون جدوى (*إتحاف*، 2 : 302 ـ 311). وبعد ثلاث سنوات من المفاوضات بطنجة 1877 ـ 1879 لم ينته الطرفان إلى حل لقضية الحماية القنصلية بسبب تعنت أغلبَ الممثلين الأجانب ورفضهم لاقتراحات النائب السلطاني في هذا المضمار (Miège, 3 : 269 - 277، *الوثائق*، 4 : 68 ـ 76، 5 : 39 إلى نهاية الكتاب) فتقرر حينذاك وبإيعاز من الحكومة الأنجليزية، رفع هذه القضية إلى مؤتمر دولي يعقد خارج المغرب.

انعقد مؤتمر مدريد بعد موافقة كل الدول المعنية وبحضور ثلاث عشرة دولة، بما فيها المغرب، وذلك فيما بين 19 ماي و3 يوليوز 1880 (Miège, 2 : 277 - 292، *الوثائق*، 4 : 77 ـ 107). وبالرغم من الجهود التي بذلها النائب محمد برگاش الذي كان يرأس الوفد المغربي، باعتباره وزيراً للشؤون الخارجية، لإقناع المشاركين بوجهات النظر التي يقترحها المخزن لإصلاح نظام الحماية القنصلية، فإن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر بعد التوقيع على اتفاقية مدريد في 3 يوليوز 1880 جاءت مخيبة للآمال بتكريسها حق الحماية القنصلية في المغرب وإضفاء الشرعية الدولية عليه. وبهذا التكريس تكون اتفاقية مدريد قد "وضعت حول عنقه بإحكام طوقاً ما يزال يضيق ويخنقه حتى أفقده توازنه وشلّ حركته بعد اثنتين وثلاثين سنة".

وإلى ذلك اهتم محمد برگاش بمسألة حدود المغرب التاريخية، كما كان يضطلع بمهام أخرى تدخل ضمن وظيفته كنائب عن السلطان في مباشرة الشؤون الخارجية مع الدول الأجنبية، حسب تصور المخزن المغربي آنذاك لطبيعة هذا الوظيف. من ذلك الإشراف على مشتريات المخزن المختلفة من الخارج، وتدبير أمور البعثات الطلابية المتوجهة للدراسة بالخارج، والإشراف على المراسلات المتبادلة بين المخزن والأجانب، وضرب السكة المغربية، إلى غير ذلك من الأمور التي لها علاقة بالخارج (*إتحاف*، 2 : صفحات متعددة ؛ *العز والصولة*، 1 : 309).

وطيلة المدة التي قضاها المترجم على رأس دار النيابة بطنجة والتي تناهز ربع قرن من الزمن، كان مثال النزاهة والاستقامة، وتحمّل الكثير من المشاق في سبيل نصرة قضايا بلاده. ولم يكن هذا ليخفى على أنظار السلطان المولى الحسن. فقد ورد في رده على رسالة لمحمد الزبدي في نفس المضمار ما يلي :

".... وأما ما وصفته به (يقصد برگاش) من الصدق والنصح فهو المعهود منه والمعروف فيه، وكيف لا وهو وكيل المسلمين ونائبهم، سدده الله وأعانه ! وأما تحلمه المشاق فطوبى له بذلك ! لأنه في سبيل رب العالمين وفي مصالح المسلمين، أفاض الله عليه بركته دنيا وأخرى ! وأجزل له ثوابا وأجراً ! وأما إعانته، فقد كنا أذنا له فيها بولده الحاج محمد برگاش ! وأما الضعف فالله يزيد من قواه في ضعفه! وأما زيادة الكتاب له فسنرى فيها" (*الاستيطان*، 1 : 395).

لكن بالرغم من هذه الصفات، فإن المترجم لم يكن يتوفق دائما في مساعيه لتواطؤ الأجانب وضعف الحكومة المركزية من جهة، وتخلف الأفكار وقلة الولي والنصير من جهة أخرى (*الوثائق*، 4 : 20، هـ 1)، مما جعله مضطراً أحيانا إلى الاستعانة بالنائب الانجليزي هاي ـ صديقه الحميم ـ واستشارته في الكثير من القضايا التي كانت تعرض له في علاقاته مع النواب الأجانب، شأنه في ذلك شأن سلفه محمد الخطيب (*تاريخ تطوان*، 6 : 126)، كما كان السلطان يوجه إليه أحيانا "بعض المعينين.... لدرس النوازل التي يخشى النائب عواقبها (*العز والصولة*، 1 : 322).

كان النائب محمد برگاش يسكن بقصبة طنجة مقر أشغال دار النيابة، وبها كان يستقبل زواره المغاربة والأجانب (Amicis, 80)، قبل أن تنتقل هذه الدار إلى محل خاص على عهد ولاية محمد الطريس وذلك سنة 1301 / 1884 (*وثائق تطوان*، مج 33 / 10)، وكان هذا المحل قبلُ معداً لنزول أمناء الثغر الفاسيين. كما كان المترجم في عهد السلطان سيدي محمد يتقاضى مرتباً شهرياً مقداره 100 ريال (*كناش خ ح*، رقم 70)، بالإضافة إلى بعض الإنعامات التي كان ينفحه بها هذا الأخير، كلما اقتضت الظروف ذلك، ولما ولي الحكم المولى الحسن أقره على نفس المرتب من غير زيادة (*كناش خ. ح*، رقم 653)، لكنه قطع عنه ما كان ينعم به عليه في السابق، مما ألحق بالمترجم الكثير من الضرر فاستغل مناسبة سفره لحضور مؤتمر مدريد سنة 1880 ليلطب من السلطان إعانته بألف ريال لأن مرتبه لا يكفي للإنفاق عليه وعلى الوفد المرافق له. فأجابه برسالة طويلة نقتطف منها هذا الجزء لأهميته في توضيح جانب من الصعوبات المالية التي كانت تعترض سبيل المترجم أثناء مزاولته لأشغاله بدار النيابة. يقول المولى الحسن :

... وأما تصييرك على ما هو واجب على المخزن فلا علم لنا به لأن كل ما تكتب لنا به وتخبر أنك صيرته على دعاوي أو تفاصلت معهم فيه ننفذه لك... وأما ما ذكرته من كون راتبك لا يكفيك لصائرك بطنجة فضلا عن صائرك بالرباط فإنا نعرف ذلك ونعتقده ونحن أولى بمواساتك وإعانتك وكل ما يعطى لك ففي محله لولا أن المخزن اليوم واجب أن يعان. ولا يخفاك ما نخرجه كل شهر في مشاهرات النجليز والصبليون والآلات الجهادية والبناء لها. وأما ما ذكرته من كون سيدنا ـ رحمه الله ـ كان يعينك الخ فلم يتقدم منك إعلام بذلك قبل الآن ولو أعلمت به لوقع النظر فيه وأقررت عليه كما أقرت على غيره كالمشاهرة وتجديد ظهائر الخدمة ونحو ذلك. وعليه فبين لنا ذلك... وأما تصيير الألف ريال فيما تتوقف عليه لسفرك فلا باس..." (*إتحاف*، 2 : 406 ـ 407).

إلى جانب هذه الصعوبات التي تشرحها الرسالة السلطانية أعلاه، كان المترجم يعاني من قلة عدد الكتاب والأعوان العاملين معه في وقت اتسع فيه نطاق أشغال دار النيابة، مما كان يعرقل عمله حسبما يشير هو نفسه إلى

ذلك في إحدى رسائله إلى الحاجب موسى بن أحمد بتاريخ 20 حجة 1293 / 6 يناير 1876. من أن سبب تأخير بعض الأجوبة هو أن الوقت كله نستغرقه في الملاقاة مع الترجمانات والنواب وغيرهم... والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص قليلا... "ثم يضيف" : ولو وجدت الفراغ إلى الإعلام بها قبل، لقدمت الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور، لأجل الإعانة (*الاستيطان*، 1 : 396). ذلك أنه لم يكن معه غير كاتب واحد من مبرزي العدول (*العز والصولة*، 1 : 309) كان يتقاضى 25 ريالا مشاهرة سنة 1287 / 1870 (*كناش خ. ح*، رقم 70). وفي سنة 1294 / 1877 كان للمترجم كاتبان : كاتب أول وكاتب ثان أقل منزلة من الأول، إذ لم يكن يتقاضى سوى عشرة ريالات مشاهرة (*كناش خ. ح*، رقم 653). ولعل هذه الوضعية لم تكن قارة بدليل ما كتب به الحاج محمد الزبدي إلى المولى الحسن سنة 1301 / 1884 من أن محمد برگاش "هو الآن مخصوص بمعين وبزيادة الكتاب. وقد صرح لي بهذا مراراً، لأن أشغاله اليوم متعذرة بكاتب واحد..." (*الاستيطان*، 395). وهذا مع ما ذهب إليه المؤرخ ابن زيدان من أنه حتى سنة 1308 / 90 . 1891 لم يكن مع النواب السلطانيين غير كاتب واحد.

هذا ومن الذين شغلوا هذا الوظيف مع المترجم نذكر العربي بوشنتوف السلوي وهو من أقدم الكتاب بدارالنيابة (*الاستيطان*، 1 : 407) ثم أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي (*الاغتباط*، 55 ؛ *من أعلام الفكر*، 2 : 14). ولعله أتى بعد السابق، ثم محمد المكي البطاوري ـ صهر المترجم ـ الذي ولي هذا الوظيف سنة 1290 / 1873 وأقام فيه نحو العشر سنين، رافق أثناءها محمد برگاش إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، كما سافر معه إلى إسبانيا ومنها إلى فرنسا ثم أنجلترا، وذلك سنة 1301 / 1884 (*المصدر الأخير*، 2 : 214).

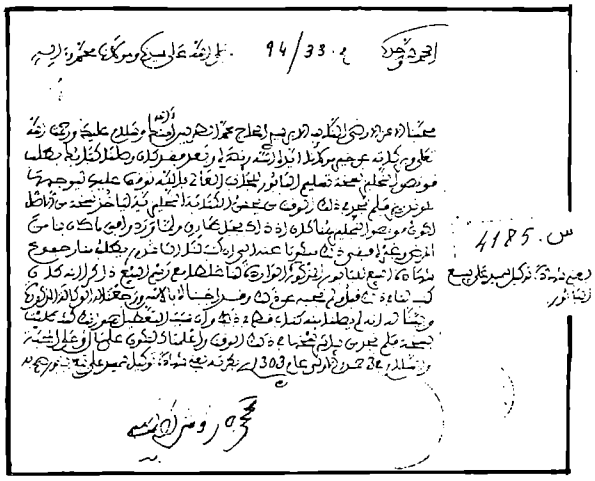

نموذج من مراسلات مَحمد برگاش للطريس أيام نيابته عنه في طنجة

لقد استمر المترجم في وظيفه إلى أن اعتلّت صحته وضعف بصره، فاستأذن السلطان في الذهاب للتداوي بالخارج، فأذن له وولّى محمد الطريس للنيابة عنه إلى حين أوبته وذلك في شهر مارس تقريبا من سنة 1884 (*الاستيطان*، 1 : 397)، ولم يلبث المترجم بعد ذلك أن غادر المغرب متوجها نحو مرسيليا التي وصلها يوم الثلاثاء 11 جمادى الثاني 1301 / 8 أبريل 1884 (*وثائق تطوان*، 33 / 15)، وقد رافقه في هذه الرحلة كل من ولديه الحاج محمد برگاش والصديق برگاش وكاتبه محمد المكي البطاوري (مح 33 / 29). وبعد أن عرض نفسه على بعض الأطباء هناك أثيرت قضية حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني (*الاستيطان*، 1 : 397)، فقرر السلطان، حينذاك، إيفاد بوشتى ابن البغدادي في سفارة إلى باريس للتفاوض مع أعضاء الحكومة الفرنسية بشأن هذه القضية، لكن باقتراح من المترجم تم تأجيل هذه السفارة (*وثائق تطوان*، مح 33 / 29) وأشخص هو مكانه إلى باريس التي وصلها يوم 13 رجب 1301 / 9 ماي 1884 حيث وجد "الأمر في غاية التخويض والجوازيط مشحونة بما تشمئز منه النفوس، وغاية ما أدرك ـ يقول المترجم في رسالة منه إلى الحاج محمد الطريس ـ أنه وقف الأمر في تلك الساعة حتى نتلاقى مع الوزير..." (*وثائق تطوان*، مح 33 / 2) وفي 16 ماي اجتمع بالوزير الفرنسي، ـ وزير الشؤون الخارجية ـ وتم حسم قضية حماية عبد السلام الوزاني بينهما (*وثائق تطوان*، مح 33 / 22). وبالرغم من حسم هذه القضية فقد بدا من جديد للمولى الحسن إشخاص القائد بوشتى ابن البغدادي إلى باريس : لكن تحفظ محمد برگاش من إرساله جعل السلطان يعدل عن ذلك :"لأنه في تأخر القائد بوشتى عن السفر ـ يقول المترجم ـ خير كثير" ويضيف :"وبعد فما عسى أن ينشأ من تحريك ما سكن لأن قضية وزان حسمت مادتها بالعزل عن المخزنية، والمقصود الأهم الذي هو سد باب الفتنة قد حصل والحمد لله، وأمر الحماية لازلنا في انتظار ما وعدنا به من جعل تاويل فيه. والحاصل أن العلاج النافع هو حسن السياسة وغض الطرف حتى ياتي الله بما لا نعلمه من ألطافه الخفية" (*وثائق تطوان*، مح 33 / 25).

هذا وبعد إنهائه لقضية حماية عبد السلام الوزاني وقضايا أخرى منها موافقة سفير إسبانيا بباريس على طلبه بتأخير الكلام بشأن إفني، عزم المترجم على العودة إلى المغرب عن طريق لندن (*وثائق تطوان*، مح 33 / 35) وفي يوم توجهه لها ـ فاتح شوال 1301 / 25 يوليوز 1884 ـ كتب إلى الحاج محمد الطريس قائلا :"وبعد فنعلمك أننا متوجهون للوندريز في ساعة 10 من صباح هذا اليوم المبارك السعيد لنتوجه من هناك لجبل طارق نسئل الله التيسير..." (*وثائق تطوان*، مح 33 / 36) ولم يمر وقت طويل على عودته إلى المغرب حتى عاوده المرض فطلب من السلطان في محرم 1303 / أكتوبر 1885 الإذن له من جديد بالرجوع إلى مرسيليا قصد متابعة العلاج (*الاستيطان*، 1 : 389). إلا أنه لم يسافر بالرغم من ترخيص السلطان له بذلك، ربما بسبب تفشي داء الكوليرا في أوروبا وفرض حجر صحي بمرسيليا آنذاك (نفس المصدر والصفحة).

وبالرغم من ملازمة المترجم لبيته بالرباط، فقد ظل على اتصال تام بالنائب محمد الطريس بطنجة الذي لم يكن يُغيِّب عنه شيئا من أشغال دار النيابة، ويتضح من أجوبة المترجم على مراسلات هذا الأخير له أنه (أي المترجم) كان هو المباشر العملي لهذه الأشغال. وكانت آخر رسائله إلى الطريس بتاريخ 27 ذي القعدة 1303 / 1 غشت 1886 (*وثائق تطوان*، مج 33 / 188).

ويظهر أنه منذ هذا التاريخ اشتد به المرض، بعد أن رزئ بفقد ولديه الحاج العباس فالحاج محمد، ولم يمهله المرض كثيرا حيث توفي بالرباط في 3 محرم 1304 / 2 أكتوبر 1886 ودفن بالعلو. وبوفاته طويت صفحة من أخصب صفحات الخارجية المغربية وأعقدها بوجه عام ودار النيابة برجه خاص خلال القرن التاسع عشر.

وثائق خ. ح، كناش 70 و653 ؛ *وثائق تطوان*، مج 33 ؛ *الوثائق*، دورية، ع 4، 5 ؛ ع. الفاسي، *خطوات وخطرات*، مخطوط خ . ع رقم 4401 د ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ج 2 ؛ ع. زيدان، *إتحاف*، ج 2 ؛ *العز والصولة*، ج 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب*، ج 2 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 6 و7 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 1 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 ؛ ع، ابن منصور، *مشكلة الحماية القنصلية*، الرباط 1985 (2) ؛ *مجلة دار النيابة*، ع 1، 1984 : ص 23. 24. 66.

E. Amicis, *Le Maroc*, Paris, 1882 ; M. Chapi, *Quelques grandes familles du Makhzen d'après Ben Zidane*. D.E.S, inédit, Rabat 1973 ; M et Ed, Gouvion, *Kitab Aâyane el-Maghrib l'Akça*, Alger, 1939 ; H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, Paris 1932 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t: II et III, Rabat, 1989 ; M. Nehlil, *Lettres chérifiennes*, Paris, 1915.

أحمنّ ميلود

برگاش، مُحمد بن **مَحمد** بن عبدالرحمان، الابن البكر للنائب السلطاني بطنجة. ولد بالرباط سنة 1245 / 1829، وكلفه السلطان المولى الحسن بعدة مهام في أوربا، منها حضوره في مؤتمر مدريد سنة 1298 / 1880 مع أبيه، كما كلفه بجلب الأسلحة من الخارج، ولم يلبث أن أصبح وزيرا للحربية.

وقد قام مع أبيه بدور كبير في توطيد علاقة أسرته مع الألمانيين انطلاقا من طنجة، وحول إقناع السلطان الحسن الأول الذي كان ينفذ سياسته الإصلاحية آنذاك برغبة الألمانيين في إنشاء مدفعية وبعض التحصينات الدفاعية والقيام ببعض المنجزات العسكرية بمدينة الرباط. ونظراً لميل آل برگاش الواضح لألمانيا فقد اعتبرت الأوساط الفرنسية محمد برگاش (الابن) عدواً لها، وأرسل ممثلها بطنجة فيرو Feraud إلى وزير الخارجية الفرنسي يقول له : إن محمد برگاش يكنّ عداء لفرنسا وإنه سمعه أثناء حديث له مع شريف وزان المحمي الفرنسي ينكر عليه دخوله في الحماية الفرنسية عندما كانوا بالقصر السلطاني.

وفي سنة 1884 توجه محمد برگاش بأمر من الحسن الأول إلى ألمانيا وبلجيكا وفرنسا قصد شراء العتاد الحربي، والتقى بالألماني كروب Krupp ابن التاجر المشهور الذي اتفق معه على التوجه إلى المغرب قصد إجراء المباحثات المتعلقة بجلب الأسلحة وبالعلاقات الحربية بين البلدين، وقدم له برگاش طلبات مهمة، وقد استقدم ضباطا مدرِّبين للجيش في سفره الثاني سنة 1886 الذي صحب فيه أباه، حيث استقبل من طرف بسمارك من أجل التباحث في العلاقات المغربية الألمانية. وقد حلّت البعثة الألمانية فعلا بمدينة الرباط وقامت بمنجزات قرب مصب أبي رقراق وبناء تحصينات دفاعية أهمها حصن روتنبرغ Rottenberg نسبة إلى اسم الضابط المهندس بالمدفعية. وقد بدأت الأشغال لإنجاز هذا الحصن في يونيو 1888 وفي سنة 1896، أرسلت دار كروب مايير Krupp Mayer مساعداً لها في هذا الإطار. وقد بنيت مدفعية عصرية على الساحل على بعد 800م من الجنوب الغربي لقصبة الأوداية، وكانت مساعي برگاش في جلب الألمان إلى الرباط مدعاة لتأجج التنافس بينها وبين البعثة العسكرية الفرنسية التي وإن أشاد قنصلها بالرباط بجدية الضابط الألماني ونجاحه في التداريب التي كان يقوم بها لصالح الفرق المغربية فإنه لم يخف تخوفه من الهدف الحقيقي لوجود الألمان بالرباط الذي كان يدعمه آل برگاش والمحتسب عبدالخالق فرج. وكان ذلك سببا في احتضان المدينة لعدد من المناصرين لألمانيا في الوقت الذي كانت البلاد تتقاذفها القُوى الأجنبية من كل جانب قبل أن تحل الحماية.

توفي محمد برگاش في حياة والده عام 1886/1304 وخلف عدة أبناء، منهم عبدالعزيز الذي أصبح خليفة لباشا الرباط بعد أن شغل منصب أمين ديوانتها، وأحرز على صيت دبلوماسي وسياسي.

برگاش، محمد بن **المكي**، عرف بابن المكي أو بلمكي، وإليه تنسب السقاية المعروفة بسقاية بلمكي قرب دارهم التي بالساباط في الرباط. كان قد سجن بفاس مع جده عبدالله المدعو سلطان الرباط، لكن سرعان ما أطلق سراحه. وفي سنة 1212 تنازع السلطة مع عضو آخر من عائلة برگاش له نفس الاسم محمد (لا يعلم نوع القرابة بين الرجلين) وكان هذا الأخير يمارس قيادة الرباط من مدة غير محددة، حيث كان قائدا سنة 1795/1209.

وفي سنة 1212 / 1797 وجه السلطان أخاه المولى الطيب إلى الرباط حيث تحايل على القائد المذكور وألقى عليه القبض بتهمة التلاعب بمال المخزن، ووجهه بدوره إلى سجن فاس، لكنه أطلق سراحه بعد أن أدى ما عليه من مال «خمسة قناطير» وفي نفس الوقت عين محمدا بن المكي برگاش قائداً مكانه، ولا يعرف تاريخ وفاته.

برگاش، المكي بن **عبدالله**، عُيِّن ناظراً لأحباس الرباط سنة 1772/1185، وكلفه السلطان محمد بن عبدالله سنة 1784/1198 بالسفر إلى بيت المقدس ومكة المكرمة والمدينة حيث انطلق إليها من تطوان، قصد توزيع تبرعات

مالية : مائتي قنطار صدقة (*تاريخ الضعيف*، ص 186) وفي سنة 1789/1203 سافر صحبة رؤساء البحر على متن أربع سفن، وهم الرايس محمد السبيع الرباطي، والرايس محمد العنقي الرباطي، والرايس يوسف الطرابلسي السلوي، والرايس تركي إلى إسطنبول حاملين هدية من مرسى سلا إلى السلطان العثماني، وبقي في العاصمة العثمانية مع بعض مرافقيه مدة، في حين رجع الآخرون. ولما رجع في السابع من ذي الحجة عام 1204 مثل أمام السلطان اليزيد مع رؤساء البحر الذين رافقهم بفاس حيث قدّموا له هديتهم، وفي نفس الشهر عينه المولى اليزيد قائداً على الرباط. وقد توفي في حياة والده أواخر سنة 1796/1211.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، من 217 إلى 220 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت: أ. العماري، 215 . 218 . 261 . 263 . 301 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 130 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، د. د. ع. 115.

عبدالاله الفاسي

بَرْكان، وتكتب أيضا بالهمزة «أبركان» هي اليوم نموذج للمدن الفلاحية المُتولّدة عن سياسة الرِّي التي نهجها المغرب ابتداء من أواسط النصف الأول من القرن العشرين في الدوائر المسقية الكبرى، لاسيّما وأنها تقع في سهل تْريفة (أو طريفة)، أحد أغنى السهول المغربية، الموجود في المَغرب الشرقي الذي يعدُّ من أفقر الأقاليم المغربية.

إن بروز بركان كمدينة ونموّها مرتبطان أوثق الارتباط بالقاعدة الفلاحية المحلّية، إلى حدود أن المنطقة هنا، وبدون مغالاة، هي التي خلقت المدينة وليس العكس، كما يحدث عادة في عملية التمدين، بل لا تزال المدينة تعيش حتى الآن على وتيرة نشاط المجال الفلاحي المحلي الذي تربطه بها حركة يومية متواصلة من اليد العاملة والبضائع والقرارات.

هكذا، ومن قرية متواضعة سنة 1936 (3.600 نسمة)، استطاعت بركان أن ترقى إلى صف المدن المتوسطة سنة 1982 (60.490 نسمة) وأن تأخذ المكانة الثانية بين مدن إقليم وجدة والثالثة ضمن مدن المغرب الشرقي.

كان يوجد سنة 1900 بجنوب موقع المدينة الأصلي سوق يعقد يوم الخميس وحوله دوار يضم بضع عائلات (90 نسمة). أما الولي المحلّي، سيدي امْحَنْد أبرشان (هي التسمية الرائجة محلياً بينما تشير المصادر إلى أحمد بن محمد أبركان) فكان يوجد على بعد كيلومتر في الشمال الغربي. ويقع كل من الدوار والسوق بين ثلاث كديات تتوسط مخروط انصباب يخترقه وادي الشراعة، غير بعيد عن عين السلطان ومقرن وادي وكلام وادي زگزل.

والموقع الوسط الذي اتخذه التجمع السكني جعله محطة التقاء الطرق المؤدية إلى وادي ملوية ووادي كيس وجبال بني إزناسن وسهل تريفة، وبالتالي ممراً اضطراريا بالنسبة للقبائل المنتجعة بالمنطقة التي كانت تفد إلى السوق لعرض فواكه وخضر الجبال وحبوب وأغنام السهل، بل إن الجبل والسهل هما اللذان سيفسران القاعدة البشرية والفلاحية الأساسية للتطور السكني والاقتصادي في هذا المكان.

بالرغم من الموضع الملائم والموقع الإستراتيجي، ظل التجمع السكاني الأصلي دوّارا دون إشعاع إلى حدود الثلاثينات. وكل المؤهلات الطبيعية والتجارية والبشرية لم تشكل أي حافز لتوسعه في تلك الفترة. إلاّ أن تحكم الجيش الفرنسي بالمنطقة سنة 1904 شجع استقرار المعمرين بسهل تريفة. وعند دخول هؤلاء المعمرين كان الدوار الأصلي يتكون من وحدتين سكنيتين مبنيتين بالطين على طريقة الأرياف حول سوق الخميس، وهما الگرابة الفواگة (الأكواخ الفوقية) والگرابة انبويقشار (أكواخ الاقرع) لكن سرعان ما قرر البعض منهم، الذين كانوا يترددون على سوق الخميس، إنشاء قرية لهم على بعد كيلومتر نحو الشمال الغربي لهذا الموضع، قرب مكان عبور وادي الشراعة. فشرعوا في بناء قنطرة وتكنة عسكرية وبعض الطرق والمنازل، كما أسسوا مدرسة لفائدة خمسة وخمسين تلميذاً أوربيّاً سنة 1909 ومركزا بريديا ومركزاً للتمريض سنة 1910.

إن المدينة الصغيرة التي قرر المعمرون إنشاءها في هذا الموضع بالأساس رُوعي فيه القرب من المناطق المستملحة بمنطقة مداغ (وسط السهل) التي بُنيت بها الطرق وتمت عمليات الاجتثاث وقلع الأحجار وإدخال الدورة الزراعية والمغروسات الجديدة.

في سنة 1917 كانت تقطن بقرية سيدي امْحَنْد أبركان 368 نسمة، وبعد الأزمة الاقتصادية العالمية التي أثرت على اقتصاد المعمرين بالجزائر اتجه البعض منهم إلى تريفة سنة 1930 وأدخلوا أسلوب الري بالضخ، مما أثار تغيير أسلوب الإنتاج الفلاحي نحو التكثيف والتنويع. أما الجبال المجاورة فظلت تعيش حياة فلاحية راكدة، اضطر معها السكان تحت الضغط الديمغرافي إلى أن يهاجروا ابتداء من 1930 إلى وجدة والجزائر بالخصوص، ثم إلى بركان وأحفير فيما بعد.

كثير من المهاجرين الذين أصبحوا عمالا في ضيعات المعمرين استقروا مباشرة في النواة السكنية المغربية التي أصبحت تتضخم وتزحف نحو الشمال. لذلك بادرت السلطات المحلية بترحيل السوق قرب الحي الأوربي وإنشاء مجموعة من المؤسسات العمومية في الحد الجنوبي للحي الأوربي، ومنعت كل بناء خاص به للزيادة من الميز المجالي بين السكن المغربي والمركز الأوربي. وتطور هذا الأخير في البداية نحو الشمال الشرقي، على طول طريق وجدة، ثم في مرحلة ثانية نحو الجنوب الشرقي بنسيج خفيف تتخلله كثير من المساحات الفارغة. وكان يضم هذا الحي معملا للنبيذ بني سنة 1929 وعشر محطات لتلفيف الفواكه قصد التصدير.

مع نمو المساحات المسقية (18.500 هكتار سنة 1957) وبعد بناء سد مشرع حمادي (1950 - 1956) أصبحت بركان مركزا فلاحيا ديناميا يشهد نمواً سريعاً في عدد سكانه. حيث انتقل عدد السكان من 3.600 سنة 1936 (من بينهم 1650 أوربي و200 يهودي) إلى 7545 سنة 1947. أما في الخمسينات فقد تضاعف العدد مرتين ونصفاً وانتقل إلى 20496 سنة 1960، رغم رحيل جزء من الفرنسيين الذين تقلص عددهم بين 1952 (1057 نسمة) و1959 (555 نسمة فقط) وعرف المركز أيضا توسعا في نشاطه الفلاحي، حيث أصبح سوق الثلاثاء أهم سوق فلاحي بالسهل، رغم إفلات تجارة المزروعات العصرية من قبضته. كما أن النشاط الإداري قد تدعّم بإصلاح 1959 الذي منح لبركان مقر دائرة تابعة لإقليم وجده، تضم القسم الأكبر من جبال بني إزناسن وكل سهل تريفة. مما يفسر أن 45٪ من سكان المدينة سنة 1971 ولدوا أساسا بتلك المناطق.

إلا أن التناقض الكبير الذي يلاحظ في تطور موارد المدينة الاقتصادية، هو قلة وتواضع المصانع بها خارج صناعة البناء، حيث إن 55٪ من الإنتاج الفلاحي المحلي يُصدر إلى الخارج (حوامض، نبيذ، بواكر) و10٪ فقط تحول محليا في معمل السكر بزايو أساساً ثم بمعامل النبيذ وتقطير العطر وسحق النيورا وتصبير الخضر ببركان أو بجوارها. أما محطات تلفيف الفواكه والخضر فإنها تعمل فصليا وتشغل قليلا من اليد العاملة القارة. أما معمل حلج القطن الذي بني سنة 1959 بعد إدخال زراعة القطن فقد أغلق أبوابه سنة 1968 وحول إلى مدرسة للتكوين المهني سنة 1978.

وتتوزع أهم المجالات الوظيفية على الشكل التالي. تتمركز الأنشطة الصناعية شرق حي مربوحة وعلى طول طريق وجدة، وتتمثل إجمالا في خمس عشرة مؤسسة للفلاحة والبناء ومطحنة للحبوب ومعمل للنبيذ ومعمل لبطاريات السيارات ومحطة للتبريد ومؤسسة صغيرة لمواد البناء ومواد التلفيف وواحد وثلاثين محلاً لإصلاح وتجارة الآلات الفلاحية، والأنشطة الإدارية (البلدية، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، الدرك، الشرطة، الجمارك، القباضة) تنتشر أساساً غرب حي مربوحة. أما التجارة التي تعد ثاني قطاع بعد الفلاحة من حيث نسبة المشتغلين به فتشتمل على سوق أسبوعي قديم بغرب الحي الأوربي وسوق بين حي الغربي وحي الزوبية، وسوق مغطي بحي الأندلس ومجزرة جنوب الحي الغربي وأخرى غرب مركز المدينة، إضافة إلى التجارة المتنوعة التي استقرت بالخصوص غرب مركز المدينة، من بينها 43٪ من المتاجر لبيع المواد الغذائية و16٪ لتجارة اللباس. كما توجد بالمدينة ثمانية فروع أبناك. وأخيرا تتميز التجهيزات الاجتماعية والثقافية بتجمعها في الحي الأوربي القديم وبعدم مسايرة حجم المدينة لا من الناحية الكمية ولا من الناحية النوعية، إذ يشتمل القطاع التعليمي على إحدى عشرة مدرسة وخمس إعداديات وثانويتين ومركز للتكوين المهني. ويعرف القطاع الصحي نقصاً كبيراً في الامكانيات المادية والبشرية (مستشفى صغير واحد). أما أهم المنشآت الأخرى فتتمثل في نادي المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ودار الشباب ودار الخبرية وثمانية مساجد وخمسة فنادق جد متواضعة تجمع كلها حوالي خمسة وثمانين سريراً.

بخصوص التشكيل الحضري، تغيرت كثيراً مدينة بركان بفعل النمو السكاني، وشهدت في العقدين الأخيرين حمى البناء الذي بوشر بشكل عشوائي على العموم، والذي يتسم حتى اليوم في كثير من الأحياء بالطابع الريفي. هذا، رغم تعاقب ثلاثة مشاريع لتهيئة المدينة، وضع أولها سنة 1949 والثاني سنة 1953 والثالث سنة 1973. غير أن التطور السّريع للسكن ابتداء من 1970 تحت ضغط طلب البناء من طرف العمال بالخارج والمضاربات الناتجة عنه وقوة الهجرة من الأرياف دفع الفئات الضعيفة إلى الاستقرار بالأحياء المنتشرة خصوصا في الجنوب والهوامش الأخرى. إضافة لذلك، عمل غياب القطع الأرضية المجهزة على تفاقم هذه الظاهرة، وما زالت حاليا 55٪ من العمليات العقارية بيد العمال بالخارج. وهناك عامل آخر يطرح مشكلا أمام التهيئة العمرانية المخططة، ويساعد على نمو المضاربة العقارية، وهو اختلال البنية العقارية الحضرية الذي يبرز ان 98,8٪ من الأراضي المبنية والمجهزة حاليا توجد بحوزة الخواص، وفي المقابل لا تملك الدولة والأوقاف على التوالي سوى 17 هـ و3,5 هـ.

كل هذه العوامل جعلت امتداد المدينة يظل سريعا ومتجاوزا بذلك كل التخطيطات العمرانية الثلاثة، كما جعلته يفرز بنية حضرية غير تامة، يطبعها التباين وانعدام الهيكلة في الوحدات الحضرية الأربع :

- مركز المدينة : حيث تتركز جل المصانع ومؤسسات الخدمات والتجارة، ويتكون من الحي الأوربي القديم في الشمال وما حوله مباشرة (حي مربوحة، جزء من حي مَرْسيوين وسلطان).

- الحي السكني المغربي الحديث الذي يتوفر على بعض الخدمات والتجهيزات التجارية (جزء من مرسيوين وحي الأندلس).

- الأحياء الشعبية الفقيرة (الگرَابَة انْبُويقْشار والگرابة الفواگة وشمال المحَال والمكتب وشمال سالم ومولاي الطيب وسيدي سليمان).

- المجالات الهامشية التي، بدون أن تكون أحياء للقصدير، تشكل أفقر الأحياء بُوهْديلة ولارْمُود والزوبية وتيوْدار وجنوب المحال وشرق مولاي الطيب).

لقد بلغ عدد سكان أحفير وبركان سنة 1947 على التوالي 6.000 و7.545 نسمة. لكن ابتداء من هذا التاريخ أصبحت لمدينة بركان المكانة الأولى وسط سهل تريفة من حيث الحجم والأنشطة المرتبطة بالفلاحة ونسبة الأوربيين

المستقرين بها، وذلك، نظرا لموقع تكامل الرساتيق الوسط الذي تحتله المدينة بين قبائل الجبل والسهل، وملتقى الطرق والمسارات المحلية الذي تتميز به، وقربها من المناطق المسقية منذ الثلاثينات في وسط السهل.

وهكذا، بلغ عدد سكان بركان 20.496 ن سنة 1960 وعدد سكان أحفير 10.794 ن. وفي الوقت الذي عرف عدد سكان أحفير تطوراً جد بطيء بين 1960 و1970، وصلت نسبته السنوية إلى 1,25٪، عرفت بركان نسبة عالية تبلغ 5,65٪، وظلت نسبة النمو السنوي بها مرتفعة نسبياً 3,89٪ بين 1971 و1982. ولو أنه إذا قارنا هذه النسبة بنسب نمو المغرب الحضري 4,26٪ والمغرب الشرقي 5,45٪ الحضري أو قارناها بنسب نمو بعض المدن المتوسطة الموجودة مباشرة بعد بركان في ترتيب المدن المغربية، ومن بينها على الخصوص ثلاث مدن فلاحية (سيدي قاسم، سيدي سليمان و الفقيه بنصالح)، سيتضح أن بركان تعرف حاليا أضعف نمو ضمنها.

إن أسباب السرعة النسبية للتمدين في سهل تريفة لا ترجع إلى التصنيع المترتب عن ازدهار الفلاحة المسقية أو نمو أنشطة القطاع الثالث بموازاة مع النمو السكاني للمدن، بقدر ما ترجع أصلا إلى تفتيت البنيات الريفية التقليدية بسبب التحول الفلاحي التقني والاقتصادي الذي دفع بالهجرة المحلية إلى المدن، وبسبب التحول الديمغرافي والاجتماعي الذي يتمثل في سرعة النمو السكني وتحسين مستوى العيش. أصبحت بركان تستمد وجودها من المنطقة الموجودة داخلها لا لأنها تزودها بالمواد الأولية للصناعة والتجارة والخدمات المتخصصة، ولكن بصفة خاصة لتجميع المنتجات وتهيئتها للتصدير وإيواء الملاكين والمشتغلين بالفلاحة والمهاجرين من الأرياف، كما تجدر الإشارة إلى أن دور القيادة الإدارية والتقنية لعب الدور الحاسم في إعطاء مدينة أبركان المكانة الأولى في السهل حيث أمدت السلطات الاستعمارية المدينة بسلطة إدارية محلية على القبائل المجاورة التي كانت تخضع مباشرة إلى عامل وجدة قبل 1912، ثم أصبحت المدينة سنة 1959 مركزاً لدائرة تضم ست جماعات قروية والآن تضم أيضا ثلاث جماعات حضرية (بركان، أحفير، السعيدية) التي تشكل شبكة حضرية فرعية تابعة لنظام وجدة الحضري، علاوة على اثني عشر مركزاً قروياً نشأوا بالمنطقة ابتداء من 1965 تبعاً لدراسة شاملة أقيمت سنة 1953 لتنظيم السهل الحضري ولتخفيف عبء الهجرة القروية على بركان. وأهم هذه المراكز حالياً زگزل 13.814 ن وأگليم 5.940 ن وعين الركادة 2.374 ن.

على الصعيد الإقليمي الذي تنتمي إليه منطقة بركان، يتميز المغرب الشرقي بعزلة إزاء المغرب الأطلنتي وإزاء الإقليم الغربي للجزائر الذي كانت تربطه وإياه علاقات اقتصادية، وخصوصا ميناء الغزوات مع ميناء مليلية اللذين كانا يصدران غالبية المنتجات الفلاحية والمعدنية.

غير أن الانسداد شبه التام لهذه الحدود منذ استقلال الجزائر، وارتباط النشاط الفلاحي والمعدني بالتصدير، ونظراً لضعف الصناعة، تمّ إنشاء ميناء الناضور ابتداء من 1978 (على بعد 80 كلم من بركان) ومركب حديدي ضخم بنفس المدينة، فعمل هذان العنصران بجانب عناصر صناعية أخرى حول مدينة وجدة (العيون، جرادة، بو بكر، وادي الحيمر) على رد الاعتبار إلى هذه المنطقة والتخفيف من اختلال هيكلتها والتقليل من عدم التوازن بينها والمغرب الأطلنتي. وأخذ إدماج المغرب الشرقي العالمي يمر بواسطة ميناء الناضور، المنفذ الوحيد إلى الخارج. أما الإدماج الوطني فلا يزال يمر عبر وجدة، القطب الجهوي بدون منازع، الذي تدعمت سلطاته الإدارية وخدماته المتخصصة. وهكذا أصبحت بركان حاليا مجرد محطة إدارية واقتصادية بين وجدة والناضور التي انتزعت منها المرتبة الثانية في صف مدن المغرب الشرقي من حيث عدد السكان منذ نهاية السبعينات، كما يتضح من خلال الجدول :

	1960			1971				1982			
	الصف الوطني	الصف الجهوي	عدد السكان	الصف الوطني	الصف الجهوي	نسبة النمو	عدد السكان	الصف الوطني	الصف الجهوي	نسبة النمو	عدد السكان
وجدة	7	1	128.645	7	1	٪2.8	175.532	7	1	٪3.88	255.711
الناضور	28	4	17.583	23	3	٪5.4	32.490	15	2	٪3.68	62.040
بركان	23	2	20.496	21	2	٪5.65	39.015	21	3	٪3.89	60.254
جرادة	25	3	18.872	24	4	٪4.31	30.633	30	4	٪3.06	43.016

مصطفى عياد

البَركاوي (القايد ـ) الحسن بن محمد الأگلوي، ولي منصب القيادة على قبيلة أگلو كافة، أثناء قيام السلطان الحسن الأول بزيارته إلى سوس سنة 1882/1299.

ظهير صادر بتاريخ 14 شعبان 1299 ؛ *رسالة* من ق. الحسن بن محمد الأگلوي إلى السلطان بتاريخ فاتح شعبان 1302.

علي المحمدي

البَركة، مفهوم البَركة سابق للإسلام، عرفته شعوب الجزيرة العربية كما عرفته شعوب أخرى تحت أسماء مختلفة. والبركة كمفهوم مستمدة من الاعتقاد فيما هو مقدس في هذا الكون. فقبل الاسلام كان يُعتقد في وجود البركة في الأصنام والمعابد والأضرحة وحتى في الشجر ومنابع المياه. وكان سكان الجزيرة العربية وشمال افريقيا يعتقدون في وجود قوة سماوية خفية تحمل عند التصاقها بالمخلوقات الخير والنفع. وبحضور هذه القوة السماوية يكثر النسل ويصلح الزرع والضرع ويعم الخير، وقد تزيد البركة وقد تنقص وقد تهجر كائناً بالمرة إذا أصابته لعنة سماوية. وبمجيء الإسلام أصبحت البركة ملكاً واختصاصاً لله وحده، يهبها لمن شاء من خلقه. فالبركَة عند المسلمين هي تلك القوة الإلهية الخفية التي تحمل معها الخير والتي يمنحها الله لمن اصطفاه من عباده وقربه إليه، إما عن طريق الولاية وإما عن طريق الانتساب لرسوله محمد عليه السلام.

وإذا كان محمد عليه السلام هو أفضل الخلق وأقرب الناس إلى الله فإن بركته لا تعادلها بركة، وهي أقوى وأوفر من أية بركة منحها الله لأي من رسله وأنبيائه. وقد ورث أهل البيت النبوي الشريف هذه البركة، أو بعضاً منها. وفي المغرب كان الناس وما زالوا يعتقدون أنه حتى في صفوف الشرفاء تختلف قوة البركة من أسرة إلى أخرى أو من فرع إلى آخر. وهكذا يأتي الشرفاء الأدارسة في المقدمة حسب ويسترمارك E. A. Westermarck وهو ما يفسر في نظره الإجلال والتقديس الذي كان يحظى به شرفاء وزان حتى بداية هذا القرن. وسلاطين الأسرة العلوية يتوفرون هم كذلك على قسط كبير من البركة إلا أن السلطان يستمد بركته من مصدرين : من كونه شريفاً أولاً ومن كونه أمير المومنين. وكان الناس يعتقدون أن بركة السلطان ضرورية لخير البلاد والعباد وبدونها تفسد الغلل وتموت الدواب ويهلك الناس من الوباء ومن شتى أنواع الجوائح. ويذكر ويسترمارك أن حتى القبائل البعيدة الموجودة ضمن ما كان يسمى ببلاد "السيبة" كانت تعتقد أنه بدون بركة السلطان لن تحصل لها بركة لا في زرعها وفي في نسلها، فكانت تتجنب بقدر الإمكان كل عمل يمكن أن يجلب سخط السلطان عليها، ولم تكن القطيعة السياسية التي تحدث أحيانا بين المخزن والقبائل النائية تؤثر في تشبث سكان هذه القبائل ببركة السلطان. وخير ما يظهر ذلك ما أقدمت عليه قبائل زيان بعد أن هزمت جيوش المولى سليمان في سنة 1819 حيث سارعت إلى خيمة هذا الأخير لتتوزعها أشلاء ابتغاءً لبركته.

وإذا كانت البركة تنتقل عن طريق الوراثة فإنها تُكتسب كذلك عن طريق الصلاح كما هو الشأن بالنسبة للأولياء والمرابطين. والمرابط الذي يكتسب بركة قد يترك وراءه ذرية تتوارث بركته أو بعضاً منها. كما أن الجهاد لإعلاء كلمة الله قد يصبح مصدراً للبركة كما هو الحال بالنسبة للعديد من المجاهدين الذين كانت تقام لهم أضرحة ومزارات يقصدها الناس من أجل التبرك. وبالإضافة إلى هؤلاء يعتقد أن البركة توجد كذلك عند الأطفال،وخاصة المنكبين منهم على حفظ القرآن "المحضرة" لذلك كان الناس وما زالوا يتشفعون بهم عند الأزمات كالجفاف، معتقدين أن دعاء الصبي القارئ لكتاب الله مستجاب عند الله أكثر من دعاء غيره. والآباء كذلك لهم بركتهم بالنسبة لأبنائهم، وهو ما يعبر عنه برضى الوالدين. كما يؤمن الناس ببركة المجاذيب أو حتى مجرد المجانين، ولذلك فإنهم يتجنبون إذايتهم مخافة أن يحصل لهم مكروه. وهذا الاعتقاد يدل على أن صاحب البركة قادر على جلب الخير ولكنه كذلك قادر على جلب الضرر عندما يفرض الموقف الانتقام من ظالم.

وليست البركة مقصورة على الأشخاص فقط. *فالقرآن* مثلاً له بركة كبيرة تُطلب عن طريق تلاوته أو بواسطة من يقوم بتلاوته من طلبة يحفظون كتاب الله. وسور *القرآن* نفسه ليست متساوية من حيث بركتها، بل إن بعض الآيات تُعتبر أعلى درجة من غيرها، ولذلك يتبرك بقراءتها في مناسبات متعددة. وهناك أرقام وأسماء تُنسب لها بركة خاصة، كما أن بعض الأماكن مثل الأضرحة والمزارات تعتبر ذات بركة خاصة بسبب ارتباطها ببعض الصلحاء المقبورين بها أو الذين مروا منها.

والبركة هي أساس تعظيم الأولياء وتقديسهم. فزيارة الأولياء وإقامة المواسم عند أضرحتهم يقصد منها أساساً الاقتباس من شعاع بركتهم والانتفاع بهم في الأمور الدينية والدنيوية.ويسود الاعتقاد بأن بركة الولي أو بعضاً منها يمكن أن تنتقل إلى الزائر عن طريق الملامسة إن كان حياً والتمسح بقبره إن كان ميتاً، لذلك كان الناس يحجون من أماكن بعيدة لزيارة أضرحة الصلحاء أو لقاء ذوي البركة من الأحياء. وكان لأتباع الطرق الصوفية اعتقاد كبير في بركة شيوخهم فيتقربون منهم ويقدمون لهم الهبات رغبة في بركتهم. ويمكن للمرء أن ينال بركة الولي أو الشريف عن طريق التعلق والمصاحبة والتفاني في الخدمة. فالفاسيون أصحاب زاوية القلقليين بفاس مثلاً يعزون بركتهم إلى سيدي عبدالرحمان المجذوب (ت. 1568) الذي خدمه وتتلمذ عليه جدهم أبو المحاسن يوسف الفاسي. وقد تحصل بركة ولي من الأولياء بمجرد السلام عليه أو مس ثيابه أو الأكل من طعامه.

ويمكن اعتبار البركة مظهراً من مظاهر الولاية إذا نظرنا إليها كقوة تسمح لصاحبها بخرق العادة والإتيان بما قد يُعتبر نوعاً من الكرامات. إن الذي يمتلك بركة غالباً ما يأتي بخوارق تشهد له بتلك القوة الإلهية التي اكتسبها عن طريق الوراثة أو المجاهدة. وكُتب المناقب ما هي في الواقع إلا تسجيل لكرامات الشرفاء أو الأولياء الذين استطاعوا بفضل البركة التي أودعها الله فيهم اختراق الزمن وطي المسافات والإخبار بالمغيبات والتوسل عند الله لقضاء الحاجات. إن امتلاك البركة يسمح لصاحبها بالتوسط بين العبد وخالقه، بل وحتى بين العبد وأخيه. وهنا يكمن دور الشرفاء والمرابطين كوسطاء في حل النزاعات الاجتماعية. فالمرابط أو الشريف المقيم وسط قبيلة نائية لا تمسها الأحكام المخزنية كان محل إجلال واحترام يقصده السكان في أمورهم الدينية أو الدنيوية. وغالباً ماكانت القبائل تتوجه إلى آل البيت الشريف لتطلب منهم الإقامة بين ظهرانيها اعتقاداً منها بأن وجود هؤلاء يضمن لهم البركة في مالهم ونسلهم ويوفر لهم حَكَماً منزهاً يحتكمون إليه لحل مشاكلهم. لذلك فإن البركة لم تكن فقط معتقداً دينياً بل وكذلك دعامة أساسية لحفظ التوازن الاجتماعي.

J. Chelhod, *Les Structures du sacré chez les Arabes*, pp. 59-62 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, pp. 202-210 ; E. A. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, Reprint, Vol. I, pp. 35-141.

محمد المنصور

البَركة، ـ مصطلح سياسي ومالي ـ كما ترد كلمة البَركة في كتب المناقب والتصوف ترد في كتب التاريخ كمصطلح سياسي ومالي، وإن كانت أصول المصطلح الذي كثر استعماله في العهد الموحدي ترجع إلى العامل الديني، فالمهدي ابن تومرت أسس دعوته وثورته على تركيب من المذاهب الإسلامية، وتشبّه بالرسول وقلّده في أفعاله ونسبه، ولذلك اعتبر عمله عملا مقدساً ومعصوماً، فكانت الحركة الموحدية في بدايتها تعتمد على بركته (الدينية)، ولما تحولت الثورة إلى دولة ورث عبدالمومن وأبناؤه فيما ورثوه عن الزعيم والإمام المعصوم بركته إلا أنها اتخذت في عهدهم بعداً آخر فلم تعد تعنى صدقة كما كانت من قبل، واستعملت بهذا المعنى بعدهم (*القرطاس*، 149)، بل أصبحت تعني عطاء للجيش أي رزقا أو راتباً أحياناً اتخذت صبغة منتظمة وأحياناً كانت البركة تخرج إلى الجند في مناسبات معينة (*المن بالإمامة*، 299 ـ 347) إلى جانب أنواع أخرى من العطاءات، كالمواساة والعلوفات والصدقة والحنان والإنعام والإحسان، وهذا النوع من العطاءات غالباً ما كان يتم أثناء سفر الخليفة أو في مناسبة من المناسبات الصعبة كالاستعداد للحرب أو للغزاة. وقد انفرد نوع من الجند بعطاء خاص سمّاه صاحب *المعجب* بالجامكية، وهو عكس البركة، إذ خص به يعقوب المنصور الموحدي الغز (الأتراك) وخلق ضجة بين الموحدين، إذ اعتبر امتيازاً استثنائياً، لأن جامكيتهم يتوصلون بها كل شهر بينما جامكية الموحدين لا يتوصلون بها إلا ثلاث مرات في السنة في كل أربعة أشهر مرة (*المعجب*، 414).

بتتبعنا للبركة ـ كعطاء ـ وتطور مقاديره وتتبع مناسباته والمستفيدين منه نستطيع التعرف على حالة بيت المال الموحدي، ومن خلاله على حالة المغرب الاقتصادية في العهد الموحدي. على أن أزهى هذه الفترات التي قبل فيها للزمن أنت خير زمان حسب تعبير مؤرخ معاصر لها هو ابن صاحب الصلاة (*المن بالإمامة*، 353)، والتي نتخذها كنموذج ملخصة في جدول، هي مدة الخليفة أبي يعقوب يوسف :

البركة	المناسبة	المستفيد
20 ديناراً	عودة ابن الخليفة أبي حفص من الأندلس منتصراً	لكل فارس
20 ديناراً	" "	لكل فارس من سائر عسكر العرب
100 دينار	" "	لكل واحد من أعيان الموحدين وأشياخهم.
10 دنانير	الاستعداد لغزاة الأندلس الأولى.	لكل جندي من سائر الأجناد عرباً وبربراً وموحدين.
ألف ألف دينار	أثناء غزو إفريقية	ما أنفق كبركة على جميع الجنود المشاركين في الغزوة.

على أن البركة بمعنى الصدقة قد وردت في كثير من المصادر وحتى عند ابن صاحب الصلاة نفسه، فقد ذكرها في صفحة موالية لحديثه عن البركة، إذ قال بمناسبة شفاء الخليفة يوسف :«تصدق أمير المومنين على الضعفاء والوافدين الغرباء بثلاثين ديناراً للواحد...».

ولنقترب أكثر من مصطلح البركة الذي ابتدعه الموحدون نسوق الوصف التالي لطريقة توزيع البركة من طرف الخليفة يوسف بشهادة معاصره ابن صاحب الصلاة :«...حدثني الكاتب بن عبدالله محسن كاتب ديوان التمييز لجميع العساكر المنفذ بتسجيله البركات للموحدين وسائر الناس من الأجناد المرتزقين قال : دخلت على سيدنا أمير المومنين... فقلت له... وقفت على هذا التمييز ووجدت فيه زيادة كثيرة عمّا تقدم فقال لي :تنفذ لهم البركة على ذلك إنما غرضنا الإحسان لأجنادنا وأن تظهر عليهم الخيرات والبركات...».

فكلمة البركات هنا غير البركة التي نتحدث عنها، ويضيف ابن صاحب الصلاة : وأحضر الخزانون الأموال بين يديه من الدنانير والدراهم... وعلت أكداساً، وجنسها من الذهب والفضة أجناساً، وقدم الموحدين في تنفيذ البركة لهم...» فهذا الازدهار الذي جسمته لنا البركة وغيرها ليس صدقة كما يدعي الكثير من الباحثين بل إنه ناتج عن خصوصية الدولة الموحدية التي عرف المغرب في عهدها ثورة اقتصادية إلى جانب الثورات الأخرى.

البيدق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حجاج الطويل

البِركة، ـ نخاسة ـ حسب *لسان العرب* البِركة هي الحوضُ لإقامة الماء فيها أي مستنقع الماء، والعرب يسمون كذلك الصهاريج التي سويت بالآجر وطرجت. ويقال أيضاً البركة الصدر أو ما ولي الأرض من جلد صدر البعير إذا بَرَكَ. وحسب Dozy فإنه انطلاقاً من هذا المعنى يطلق اسم البِركة على سوق البهائم.

وتطلق البِركة في كتب الحوليات على سوق النخاسة التي يباع فيها العبيد ببعض المدن المغربية كمراكش وفاس والرباط وسلا. ففي فاس التي كانت تحتل الصدارة في تجارة الرقيق بعد مراكش، كان بيع العبيد بالمزاد العلني يتم في سوق الغزل بين صلاة العصر وغروب الشمس. وهذا السوق الذي هو عبارة عن ساحة محاطة بحوانيت، له تسميات أخرى مرتبطة بالبضاعات المعروضة فيه. ففي أول الصباح تباع فيه الصوف ومن هنا تسميته بسوق الغزل. ثم بعد ذلك أي في الثامنة أو التاسعة، حسب الفصول، تُباع فيه الحبوب ويدعى بين السواري. أما البركة فتطلق عليه إبان بيع العبيد. وكانت بركة العدوتين الرباط وسلا في باب القنانط أمام باب قصبَة الأوداية.

وحسب Le Tourneau فإن بركة فاس فقدت من حيوتها في نهاية القرن التاسع عشر، وهذا أمر محقق إذا ما تصفحنا كنانيش المكوس المخزنية التي تؤكد بوضوح ركود

هذه التجارة في المدينة آنذاك حيث إنه لم تعد تباع بالمزاد العلني إلا أقلية من العبيد دون قيمة تذكر في الوقت التي تباع فيه الجواري الحسان في منازل السماسرة. وفي سنة 1905 تم منع البيع العلني للرقيق من طرف المخزن في السوق الآنفة الذكر.

ونعت سوق النخاسة بالبركة موجود في عدة مدن بإفريقيا الشمالية. ولا يعرف بدقة كيف تم ذلك وهل له علاقة أم لا بتسمية سوق البهائم رغم أن العبيد تباع برحبة البهائم في عدة أماكن وخصوصاً في الأسواق القروية. وحسب Marçais ربما أطلقت البركة في البداية على سوق للعبيد في مدينة مّا من مدن شمال إفريقيا يوجد قرب بركة ماء، ثم بعد ذلك عُمِّمت التسمية على أسواق النخاسة.

ياقوت، *معجم البلدان*. الجزء الأول ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ د. دي طريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر.

R. Le Tourneau, *Fés avant le protcctorat* ; L. Bruno, *Textes arabes de Rabat*, t. II *Glossaire*. IHEM, Geuthner ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*. T.I ; Kazimirski, *Dictionnaire*. T.I.

محمد التاجي

بَـركَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وهذه الأسرة لا علاقة لها بأسرة بركة التي أصلها من قبيلة بني عروس والتي توجد أيضا بتطوان. وتوجد بتطوان زنقة تحمل اسم طلعة سيدي بركة، كما كان السوق الفوقي الحالي يعرف بسوق سيدي بركة. وفي ساحة هذا السوق يوجد مسجد سيدي بركة، ولذلك يعرف أيضا بجامع السوق الفوقي، وسبب تسميته الأولى هو أن سيدي علي بركة كان إماما وخطيبا ومدرسا به فيما بين سنة 1660/1070 وسنة 1708/1120.

وأثناء الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان (سنة 1860/1276. 1862/1278) حوّل الإسبان هذا المسجد إلى مستشفى. ومن هذا المسجد خرجت يوم 22 شعبان 21/1351 ديسمبر 1932 أكبر مظاهرة وطنية نظمها الوطنيون بالشمال احتجاجا على حل المجالس البلدية المنتخبة انتخابا حراً برآسة الأستاذ عبدالخالق الطريس وقد أعفي المقيم العام لوبيث فيرّير Lopez Ferrer من منصبه على إثر هذه المظاهرة.

وممن اشتهر بالعلم من آل بركة الأندلسيين بتطوان وإن لم تعرف لهم ترجمة مفصلة أحمد بن محمد بركة الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1677/1088 إلى سنة 1681/1092، والعالم أحمد بركة الذي كان على قيد الحياة سنة 1761/1174، والفقيه محمد بن عبدالسلام بركة الذي توفي سنة 1738/1150. والفقيه محمد بن العربي بركة الذي كان حيا سنة 1762/1175. والفقيه عبدالسلام بن علي بركة الذي كان حيا سنة 1769/1138، والفقيه عبدالغفور بن أحمد بركة الذي كان حيا سنة 1788/1202، وابنه الفقيه أحمد بن عبدالغفور بركة.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 22، 4 : 94 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 283، 347، 362، 377، 2 : 314، 335، 351، 375 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332، 3 : 327، 7 : 257 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان؛ يوميات زعيم الوحدة*، 316 . 318.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَـركة (أهل ـ) بمنطقة واد نون. تكشف وثائق هذه العائلة عن الاتساع الكبير لأراضيها التي تشمل ما يكاد يغطي نصف مساحة مدينة گلميم الحالية علاوة على بعض الحقول المسقية والنخيل بأسرير مقر نول لمطة العاصمة التاريخية القديمة. وما دام الأمر كذلك، فإن المتقصي لأخبار هذه العائلة يكتشف أنه إزاء موضوع يدور حوله فصل هام من تاريخ گلميم. فبخصوص القصبة القديمة جدا من هذه المدينة، يقول أهلها المنتمون إلى قبيلة أيت موسى أ ُعلي إن أهل بَركة من أكبر العائلات التي تناقل أفرادها عصبية متماسكة منذ زمن طويل محتكرين جزءاً هاماً من تجارة المحور الرابط بين المدينة وتنبكتُ. ولكي لا نقف عند حد الاستنباط، كشفت إحدى الدراسات الميدانية عن تصنيفات فعلية تفصل بين هذه العائلة وأهل عبيدالله أ ُسالم الذي هو والد بيروك شيخ گلميم وتاجرها الأشهر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. والمشكلة الأساسية هنا ليست في ورود عائلة عبيدالله أ ُسالم على گلميم في وقت لاحق لظهور قبيلة أيت موسى أ ُعلي في إطار اتحادية تكنة، بل هي في سبب تجاهل الوثائق الأوربية لعائلة هامة بحجم أهل بركة. والجواب هنا هو أنه إذا كان معظم الدارسين يلاحظون أن الوثائق الأوربية قد اقتصرت على ذكر بيروك وأبنائه من قبيلة أيت موسى أ ُعلي، فذلك لأن بيروك كان المفاوض الوحيد من أجل ميناء تجاري على الشاطئ المحلي. وعلى الرغم من أن ظاهر هذا الكلام يشير إلى تسيـّد بيروك على تجارة سوق گلميم، فإن حجم أهل بركة وأهميتهم التجارية تقوم على ضرورة اجتماعية يفرضها غياب قرابة عائلية مع المولى عبدالرحمان العلوي كما كان الشأن بالنسبة لبيروك. لقد استغل والد هذا الأخير الخلاف القائم بين السلطان المولى سليمان والأمير المولى عبدالرحمن ابن خالته للتغلب على احماد إهيري شيخ أيت موسى أ ُعلي وحليف بوحلايس. فكان تسيد عائلة بيروك وليد ظروف الصراع السياسي القائم. ولعل أهل بركة قد أدركوا هذه الحقيقة فلم يزجوا بأنفسهم في الخوض في القضايا الجانبية وإنما التجأوا إلى مفهوم السلطة ككل، باعتبارها حدثا له أسبابه ونتائجه، اقتصروا على الميدان التجاري والفلاحي بمقتضى طبيعتها التجارية، وما تزال هذه العائلة تحتفظ بما يكفي من السجلات والوثائق لإعادة النظر في كل ما هو سائد ومعياري حول تاريخ وادي نون. وغني عن البيان القول بأننا نقترب هنا من ضرورة الوقوف المطول والمتأني على محتوى هذه السجلات حتى تدلي بقولتها كاملة غير ناقصة. ولنحرص هنا فقط على ربط هذه العائلة كما يفيد رجالاتها الحاليون ببركة قائد المنصور الذهبي على الجيش

الكبير المتوجه سنة 1581/989 إلى توات وتگورارين. هذا القائد الذي أثبت وجوده محمد الصغير الإفراني (*نزهة*، 154)، يعد السبب في انتقال أولاده وإخوته إلى مدينتي سلا والرباط حيث عرفوا الاستقرار النهائي (*نزهة*، 88. 289). ففي مفتتح جمادى الأولى عام 1602.10.17/1011 كتب المنصور الذهبي قبل وفاته بقليل رسالة يؤكد فيها نزوع القائد بركة نحو الاغتناء السريع على حساب وظيفته المخزنية. وهي إشارة قد تعين على فهم الاتجاه الذي أثقل فكر هذا القائد إلى درجة قرر معها الانسحاب من خضم الحياة السياسية والعسكرية والتفرغ للتجارة مع تنبكتُ في وقت لم يصل بعد أجدادُ بيروك إلى گلميم. لا شك أن الترابط بين ماضي أهل بركة وحاضرهم يصلح أن يكون معياراً يتحرى به الباحثون طريق الصواب فيما يصلون إليه من إشارات.

M. Esseghir El Oufrani, *Nozhet El Hâdi : histoire de la dynastie Saadienne au Maroc (1511-1670)*, trad. de O. Houdas, Paris, E. Leroux, 1889.

مصطفى ناعمي

بَركة، علي (سيدي ـ) بن محمد بن محمد، من علماء تطوان وأدبائها وشيوخها وصلحائها. الغالب أن أصله من الأندلس، وقد يكون أصل تسميته من البركة بمعنى التبرك والتماس الخير، إذ اشتهر ـ كأبيه ـ بالعلم والأدب، وبالصلاح والعبادة والورع، حيث يصفه ابن زاكور الفاسي بالعلامة الفقيه الفاضل الوجيه المظفر، شمس الأدب وبدره. كما وصفه بالعلم والصلاح تليمذاه القادري في *نشر المثاني* ومحمد بن الطيب العلمي في *الأنيس المطرب*، وابن عجيبة في *أزهار البستان*.

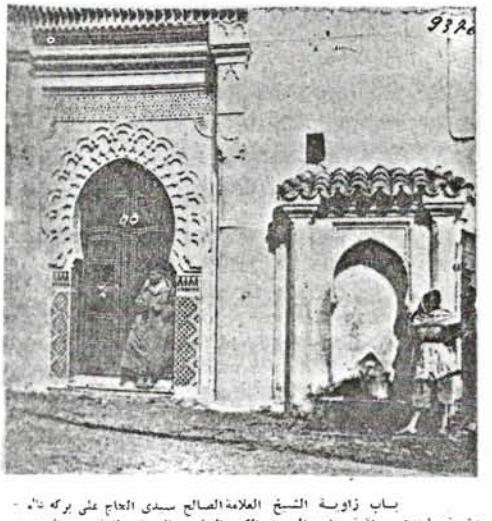

باب زاوية الشيخ العلامة الصالح سيدي الحاج علي بركة ... وشيخها وهي واقعة جنب المسجد الكبير الجامع بالسوق الفوقي من الرصيف من هذه المدينة. وقد دفن بها ايضا بعض العلماء والفضلاء والاعيان وغيرهم ... ادخلت عليها اصلاحات. وبنيت لها صومعة جديدة عالية. وصارت كالمساجد العامة تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة وتقرأ فيها القرآن صباحا ومساء تقرأ فيها كتاب دلائل الخيرات كل ليلة. وتقام فيها الحفلات الدينية مثل الاحتفاء بالمولد النبوي وتوزع فيها الصدقات في المواسم والليالي الفاضلة. وهذه الزاوية عين جارية دفاقة لوضوء المصلين. ويظهر في الصورة ايضا ... وهذا الماء عذب سلسبيلا وكان وما زال ينتفع منه خلق كثير ...

درس سيدي علي بركة في فاس على عدة علماء كبار كعبدالقادر الفاسي، والحسن اليوسي، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي، وأبي سالم العياشي الذي أجازه. ومن شيوخه كذلك القاضي العربي بردلة، والشيخ حمدون المزوار، والشيخ أحمد بن الحاج، ولربما درس على علماء مشارقة لأن له مراسلات مع بعضهم، يطلب رأيهم في بعض الأمور العارضة، كما أنه قام بالحج إلى الديار المقدسة.

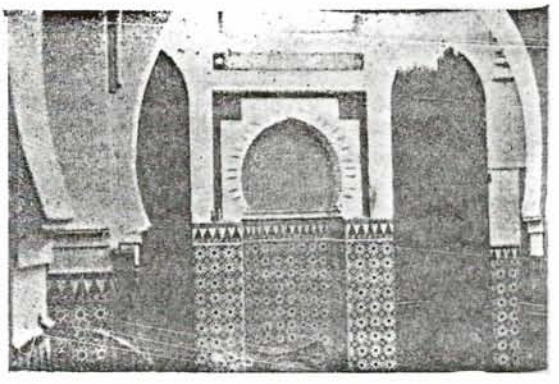

محراب زاوية الشيخ علي بركة الاندلسي التطواني وقد كتب فوقه بسم الله الرحمن الرحيم. حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين

وبعد رجوعه من فاس إلى تطوان اشتغل بتدريس العلم، وبالإمامة والوعظ بمسجد سيدي بركة، وهو مسجد السوق الفوقي حالياً. وما لا شك فيه أنه كان يتمتع بشعبية ووزن سياسي في منطقة الشمال على الأقل، بدليل أن السلطان مولاي إسماعيل استعمله في قضية أولاد النقسيس. إذ أرسله إلى أحمد النقسيس ورجاله الذين كانوا ملتجئين في سبتة، وقد يكون علي بركة هو الذي توسط لدى السلطان مولاي إسماعيل في العفو عن أولاد النقسيس كما يذكر المستعرب الإسباني سرديره، وأن

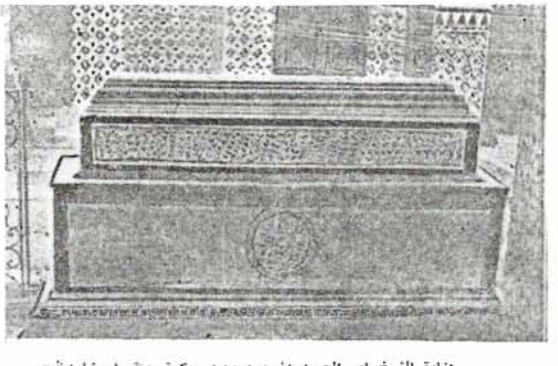

مزارة الشيخ ابي الحسن علي بن محمد بركة، وتقع في شارع الشرفا الفوقي عن يسار الذاهب الى باب المقابر، وهي شبيهة ببعض مزارات فاس. تعلو عموم تطوان، كانوا لا يحارون عوام فاس في كثير من التمسح بالمزارات، ... العطفات والاغارات ..

السلطان استغل سمعته ومكانته لياتي بهم من سبتة. كما أن صيته العلمي تعدى حدود تطوان حتى إن عدداً من علماء فاس جاءوا للتتلمذ عليه في تطوان في وقت كان فيه شيوخه الفاسيون ما زالوا على قيد الحياة. فمثلا محمد ابن قاسم بن زاكور الفاسي شارح *ديوان الحماسة لامية*

العرب، و*قلائد العقيان والخزرجية* ومؤلف *نشر أزهار البستان* تتلمذ عليه ونال منه الإجازة سنة 1683/1094 في حين كان الشيخ أحمد بن الحاج، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي ما زالا بقيد الحياة في فاس.

يعدّ علي بركة في مقدمة من أدخل الطريقة الناصرية إلى تطوان بعد أن أخذها عن الشيخ مَحمد بن ناصر نفسه، ويظهر أن نشاطه الفكري عرف أوجه في أواخر القرن الحادي عشر الهجري بينما انزوى علي نفسه في الربع الأول من القرن الثاني عشر، وقد يكون هذا راجعا للصدمة التي أصابته بعد حادثة أولاد النقسيس حيث اعتكف في أواخر حياته منقطعاً للعبادة.

وقد خلف السيد علي بركة عدة آثار أدبية ودينية وعلمية. فمن آثاره الأدبية أشعار قليلة غالبا هي كل ما تبقى من «*قصائد طوال* حلّى بها من فرائد المحاسن كل معطال» حسب قول تلميذه ابن زاكور. و*أراجيز* دينية من دعوات وتوسلات أشهرها أرجوزة مطلعها :

يـاربنـا يـا خالق العبـاد حُلْ بيننـا وبين ذا الفسـاد

ويرجح أن تكون هذه الأرجوزة قد نظمت سنة 1098 بعد حادثة إلقاء القبض على أحمد النقسيس ورجاله وقتلهم، وكذلك *قصيدة دعاء وتوسل* نظمها في فترة الوباء الذي نزل بتطوان سنة 1088، مطلعها :

ياربنـا يـا كاشف البلـواء يـا رافع الغمـاء واللأواء

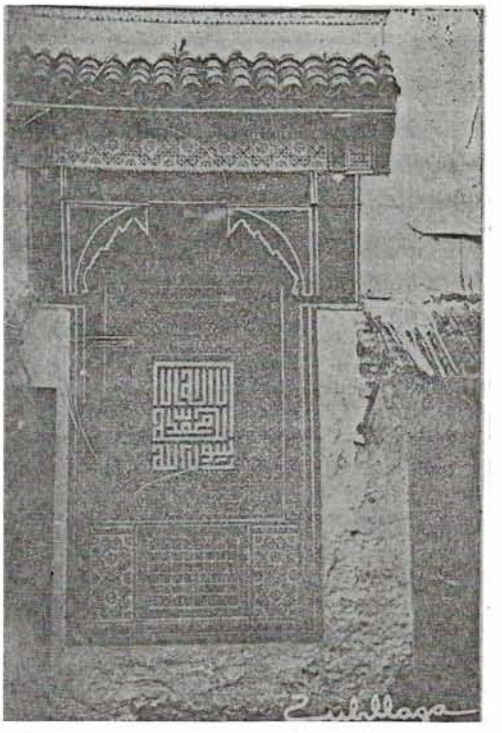

ضريح الشيخ علي بركة داخل زاويته التي في السوق الفوقي بتطوان وقد نقش عليه في الخشب الحجة ما نصه : «الحمد لله هذا ضريح عالم تطوان العابد الناسك الزاهد الولي الصالح البركة ابي الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة الاندلسي التطواني. توفي رحمه الله بتطوان ودفن هنا في تاسع وعشرى شوال سنة الف ومائة وعشرين رضي الله عنه»

وقصائد في الجهاد، وأخرى في *مدح الأولياء* كعبد السلام بن مشيش، كما ترك أراجيز في النحو كأرجوزة *مسوغات الابتداء بالنكرة*. وكذلك *رسائل إلى مشايخه* حول مسائل دينية أشهرها رسالة إلى محمد بن عبدالسلام ابن الطيب القادري. كما خلف عدة تآليف منها *حواش وشروح* متعددة، و*كتاب كبير في الفقه* جله أحاديث، و*تأليف صغير في مناسك الحج* في خمس عشرة صفحة، و*كتاب الدرر والخطب* فيما يخاطب به الإنسان من الإسلام والإحسان في مائة وخمسين صفحة . فرغ من تأليفه سنة 1120هـ. وإلى جانب تآليفه، هناك تآليف تتحدث عنه، كتأليف للعالم عبدالسلام بن الطيب القادري، المتوفى سنة 1110 هـ اسمه *التماس البركة في أجوبة العالم الخير سيدي الحاج علي بركة*.

توفي علي بركة عام 1708/1120 ودفن في زاويته بالسوق الفوقي بتطوان.

م. ابن زاكور، *نشر أزهار البستان* ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، ج: 1.

ثريا برادة

البَـركة، مَـحمد الأسـفي، مـن أبـرز وجـوه الحـركـة النقابية بالمغرب. ولد سنة 1915 بمدينة أسفي، وعمل في ميدان الصيد البحري، وتعاطى مبكراً النشاط النقابي.

تزعم في الخميسنات رفقة زميله السيد إبراهيم الحلاوي الحركة النقابية للصيد البحري في المغرب التي قامت بإضرابات ناجحة على الصعيد الوطني، واعتقل عدة مرات بسبب نشاطه السياسي والنقابي، وبعد تأسيس الاتحاد المغربي للشغل انتخب كاتباً عاماً لجامعة الصيد البحري.

وفي أواخر السبعينات اعتزل النشاط النقابي وتعاطى العمل الاجتماعي في محاولة منه لمساعدة العمال المتقاعدين رغم إمكانياته المحدودة.

توفي بأسفي سنة 1409 / 1988.

معلومات شخصية، ورواية شفوية.

عبد الرحيم العطاوي

بَـركة (ابن ـ)، أسرة رباطية أصلها من قبيلة الزيايدة بالشاوية، ينتمون إلى سيدي عمرو القدميري صاحب الضريح الشهير هناك. لذلك كانوا يدعون "القدميرين" قبل أن تغلب عليهم كنية جدهم الخامس الملقب بركة، وضريحه

كذلك يُزار في الزيايدة. وأول قادم منهم إلى الرباط هو محمد بن بركة القدميري في تاريخ غير محدد من النصف الثاني للقرن الثالث عشر (19 م) وعرف من حفدته بالرباط :

بَـرگَـة (ابن ــ)، أحمد بن محمد، صوفي ناسك، صحب الشيخ فتح الله بناني وعمل مع الزمرة الوطنية الأولى في تأسيس المدارس العربية الحرة بالرباط، كان إماماً يقرأ الحزب في زاوية سيدي قاسم ببوقرون، ويعتمر لذلك دكاناً حبيساً مجاوراً للزاوية، يتجر فيه تجارة متواضعة إلى أن أدركته الوفاة عام 1378 / 1953.

معلومات شخصية ورواية شفوية.

محمد الأمين بلكناوي

بَـرگَـة (ابن ـ)، المهدي بن أحمد. ولد سنة 1920، بحي سيدي بنعيسى في الرباط، نال شهادة البياكلوريا الأولى بميزة حسن جدا، سنة 1938، وشهادة البكالوريا الثانية (شعبة الرياضيات) في يونيه 1939 بنفس الميزة، وظل أستاذ الرياضيات Marti في ثانوية گورو يشيد بنبوغه أمام تلاميذ هذه الثانوية إلى غاية سنة 1950، مؤكداً أنه لم ير نظيراً له. ثم التحق بجامعة الجزائر وتخرج منها مُجازاً في الرياضيات سنة 1942.

وبعد عودته من الجزائر عين أستاذاً للرياضيات في ثانوية گورو (ثانوية الحسن الثاني حالياً)، وفي المدرسة المولوية حيث كان من بين أساتذة سمو الأمير ولي العهد آنذاك مولاي الحسن. وعُني بتعريب مادة الرياضيات وتدريسها في المعاهد الحرة، منذ سنة 1943. وكانت تجربته الأولى في هذا المجال، في المدرسة الغازية بالرباط.

لقد كان المهدي بن بركة من بين صفوة رجالات المغرب الذين وقعوا على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. وعرف هو أيضاً السجن، مثل باقي زملائه. وبعد إطلاق سراحه، قرر التفرغ للنشاط السياسي والصحافي، ضمن المسؤولين الرئيسيين عن حزب الاستقلال.

وبحكم بعد نظره، وما عرفه العالم في أعقاب نهاية الحرب الكونية الثانية (1939 ـ 1945)، وما كان قد التزم به الحلفاء وعلى رأسهم فرنكلان روزڤلت، إزاء الشعوب التي ناضلت بجانب الحلفاء وتحملت نصيبها من التضحيات لدحر المحور وإلحاق الهزيمة بالنازية والفاشية، وإدراكاً للتحولات العميقة التي أضحى العالم مقبلا عليها، بعد الاعتراف باستقلال الهند وباكستان في غشت 1947، من طرف حكومة حزب العمال، بقيادة كليمان أتلي Attlée. بادر المهدي بن بركة بإعداد تقرير مهم عن حقوق الإنسان ووضعية الحريات العامة في المغرب وقدمه في أكتوبر 1948، للجمعية العامة للأمم المتحدة، عند انعقاد دورتها بقصر شايو في باريز.

كانت له الشجاعة للصدع أمام الإقامة العامة بأن "المغرب لا يحالف من ينكر حقه في الحرية والاستقلال" واتهم من طرف المقيم الفرنسي الجنرال ألفونس جوان بكونه صاحب التقارير، التي كانت تنتقد انتقادا صريحاً ومعمقاً مختلف جوانب السياسة الفرنسية في المغرب، والتي كانت تلقى أمام المقيم عند انعقاد دورة مجلس شورى الحكومة، وبالخصوص في خريف 1950، لذا كان يعد أخطر خصم للوجود الفرنسي، بل كان يلقبه الجنرال جوان "بمدمر نظام الحماية".

وفي بداية سنة 1951، وفي أعقاب المؤامرات الأولى التي دبرت من طرف الجنرال الفرنسي جوان ضد المغفور له جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه، في النصف الثاني من فبراير (26.2.1951)، قرر ممثل فرنسا إلقاء القبض على المهدي بن بركة فصدر أمر بنفيه أولا إلى ميدلت ثم قصر السوق فبوذنيب فتالسنت، وأخيراً ألحق بمن نفوا بعده في أغبالو نكردوس بالصحراء.

وبعد ثلاث سنوات وسبعة أشهر ونصف أطلق سراحه، في بداية أكتوبر 1954، بعد اقتناع فرنسا بفشل السياسة التي طبقت من طرف الجنرال گيوم، بمساندة مطلقة لجورج بيدو وزير الخارجية، وتعيين مقيم جديد دبلوماسي التكوين، فرانسيس لاكوست، والتخلي تدريجياً عن سياسة التهديد والعنف التي انتهجتها فرنسا ضد المغرب، ما بين 1947 وصيف 1954.

إن المهدي بن بركة، بفضل ما حباه الله من ذكاء ولباقة وسعة صدر وتواضع العلماء، كان شديد الاتصال بمنظمات الشباب، المنضوية تحت لواء حزبه، وكان يترأس اجتماعاتها الأسبوعية لإيمانه العميق بدور الشباب في بناء مغرب الغد.

وكانت المناقشات بين المشاركين في تلك اللقاءات المنتظمة تتسم بالصراحة والجدية. ولم يكن دور أعضاء الجمعيات المذكورة يقتصر على الاستماع للعروض التي كان يلقيها هذا المسؤول أو ذاك من مسؤولي المنظمات المشار إليها، أو على تنفيذ التعليمات التي تعطى لأعضائها من طرف قيادة الحزب، بل كان هناك حوار جاد ومسؤول، وكان الجميع يشعر بأن القائد هو بدوره لا يشمئز من الاستنارة بآراء شباب الحزب ويتجنب أي شكل من أشكال القمع الفكري أو الغرور.

وسيتأكد هذا السلوك، من خلال الاحتكاك به، عندما كان رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري، ما بين خريف 1956 وربيع 1959.

فرغم كون أغلبية هذه المؤسسة، كانت تنتمي إلى أقوى حزب سياسي آنذاك، أي حزب الاستقلال، فلم يسبق للمهدي بن بركة أن كان متشدداً مع الأقلية أو حرمانها من حقها في التعقيب، أو الانتقاد، أو تقديم اقتراحات مضادة، بل كان يصغي باهتمام بالغ، إلى تدخلات جميع الأعضاء، حتى ولو كانت تبتعد عن موضوع المناقشة.

وفي تلك الحقبة، وبالضبط، في نهاية سنة 1957، قبيل سفر جلالة الملك المغفور له محمد الخامس إلى الولايات المتحدة، للقيام بأول زيارة رسمية لها، أتيحت لي الفرصة لمشاهدته يكتب بيده نص الملتمس، الذي عرض على المجلس الوطني الاستشاري فيما بعد، والذي أعلن فيه المغرب آنذاك أن سياسته الخارجية تستند إلى عدم التبعية.

وفي نفس التاريخ، كنت بجانبه أمام حديقة المجلس الوطني، وهو يؤكد بحزم ويقين لـ A. Gazier، وزير المعادن والطاقة، في حكومة G. Mollet، الأمين العام للفرع الفرنسي للأممية العمالية، بأن الجزائر قادرة على مواصلة كفاحها ضد فرنسا خمس سنوات أخرى، وبأن السياسة التي تنهجها الحكومة، برئاسة G. Mollet، لن تؤتي ثمارها، بل ستزيد في تعميق شقة الخلاف بين فرنسا وجبهة التحرير الجزائرية، وبالتالي، ستتضرر منها لا محالة علاقات المغرب بفرنسا ؛ كان المهدي بن بركة يقوم بذلك التحليل والمسؤول الفرنسي يصغي إليه باهتمام بالغ.

وفي أكتوبر 1958، استدعي المهدي بن بركة من طرف الكونغريس الأمريكي، للقيام بزيارة للولايات المتحدة وللاتصال بقادة الحزبين الجمهوري والديمقراطي وبالمسؤولين في وزارة الشؤون الخارجية. وعند مغادرته المغرب توقف أربعاً وعشرين ساعة في باريز، قبل استئناف سفره إلى نيويورك، فأقام موريس كوف دومرفيل Maurice Couve de Murville مأدبة عشاء تكريماً له، بصفته رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري وأحد الزعماء السياسيين المرموقين في المغرب. وكوف دو مرفيل، الذي ظل وزيراً للخارجية لمدة عشر سنوات، في عهد مؤسس الجمهورية الخامسة، الجنرال دوگول، والوزير الأول لمدة أحد عشر شهراً، كان من بين القلائل الذين يكن لهم دوگول احتراماً وتقديراً كبيرين (De Murville, André Malraux, F. Mauriac).

فخلال ذلك اللقاء بين المهدي بن بركة وكوف دو مرفيل، تمت دراسة المعضلة الجزائرية دراسة معمقة وأُعجب المسؤول الفرنسي بتحليل المهدي بن بركة وبعد نظره وبالمقترحات التي كان من شأنها أن تبعد خطر تدويل القضية الجزائرية، فالتمس منه أن يؤجل سفره بيوم، حتى تتاح له الفرصة للاجتماع بالرئيس الفرنسي شارل دوگول.

وبالفعل، فقد استقبل الزعيم المغربي، من طرف الجنرال دوگول، يوم 17 أكتوبر 1958، واستمرت المقابلة لمدة خمس وأربعين دقيقة، تحدث فيها المهدي بن بركة عن مستقبل العلاقات الفرنسية مع أقطار المغرب العربي، وعن الفشل المحقق لسياسة تتنكر لمطامح الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، منوهاً منبهاً دوگول، في نفس الوقت، بأن مخطط قسطنطينة، ولو كان من شأنه أن يسهم إسهاماً فعلياً في تصنيع الجزائر، وبعد بالتالي عملا جباراً وإيجابياً للغاية تقدم عليه فرنسا، لن يكون البديل الكفيل بإبعاد الشعب الجزائري عن قادة ثورته. وألح المهدي على ضرورة الشروع فوراً في التفاوض مع ممثلي الشعب الجزائري الحقيقيين، تجنباً لتفاقم الأوضاع مستقبلا، في منطقة شمال أفريقيا.

فبعد ذلك العرض الذي لم يكن ليفاجأ به دوگول بفضل ما كان يصله من أخبار حول ذكاء القائد المغربي، ودوره في الأربعينيات وبداية الخمسينيات في المغرب، عقب الرئيس الفرنسي على تحليل المهدي بن بركة قائلا :"كم كان بودي أن يكون للثورة الجزائرية قائد في مستواكم، قائد سياسي يدافع عن مثل هذه النظرة الشمولية للمعضلة الجزائرية، عن آفاق التعاون بين فرنسا وأقطار المغرب العربي. فكما تعلمون، يضيف دوگول، إنه من العسير علي ولم تمر على عودتي إلى ممارسة الحكم إلا بضعة أشهر، أن أقنع الفرنسيين بالتفاوض مع من يسمونهم بالسفاحين ! لقد كان بودي أن يختار فرحات عباس أو غيره السبيل الذي سلكتموه أنتم، ولو كان اقتصر على الكفاح السياسي، وبدون أن يقطع علاقاته مع قادة جبهة التحرير الجزائرية، لسهُل الاتصال به ولكن...".

المهدي بن بركة ودوره على الصعيد الدولي : لقد كان المهدي بن بركة مقتنعاً بأن الحركة التقدمية في المغرب مطالبة بأن يكون لها بُعدٌ أوربي وبعد عربي وبعد إفريقي، وبأن تلك الأبعاد هي الكفيلة بتمكينها من إحباط مخططات من يسعون لتصفيتها.

وهكذا وطد علاقات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع الحركات الاشتراكية في فرنسا وإيطاليا وبوغسلافيا، وألمانيا الاتحادية والنامسا وحزب العمال البريطاني، مدركاً أهمية هذا التعاون بين حزب يريد إدخال اصلاحات عميقة على نظام بلاده الاقتصادي والاجتماعي، ومسترشداً بتجربة من سبقونا في هذا المضمار، سواء كانوا في الحكم

أو في المعارضة ـ ومعظم الأحزاب كانت آنذاك في المعارضة ذلك أن الحكم كان بين يدي الحزب المسيحي الديمقراطي في كل ألمانيا الاتحادية وإيطاليا. ولم تتح الفرصة للاشتراكيين الديمقراطيين، بالنسبة للدولة الأولى، لممارسة الحكم، إلا بعد اختفاء المهدي بن بركة ببضع سنوات، أي في نهاية الستينات.

فمن خلال اتصالاته ومناقشاته المعمقة مع كبار أقطاب الفكر الاشتراكي من إيطاليين وألمانيين ويوغسلافيين وبريطانيين، أصبح يعي مضمون البديل الذي كان يطمح في أن يطبق في المغرب لتحقيق الاقلاع الاقتصادي.

ولم يقتصر هذا الاهتمام على الأحزاب الاشتراكية والتقدمية الأوربية ذلك أن المهدي بن بركة كان يدرك بأن من مصلحة الحركة التقدمية المغربية أيضاً أن تكون لها علاقات منتظمة مع الأحزاب الاشتراكية التي تمارس الحكم في إفريقيا الغربية بالخصوص، وهكذا كان يستجمع المعلومات حول تجربة غينيا وغانا ومالي، محاولا توطيد العلاقات مع قوامي نكرومة، زعيم غانا ورئيسها خلال الحقبة الفاصلة ما بين 1957 ويناير 1966. فالرئيس الغاني كان هو أيضاً من كبار الزعماء الأفارقة الذين كانوا يعون خطورة الاستمرار في بلقنة إفريقيا بعد استقلالها مطالبا بميلاد الولايات المتحدة لإفريقيا، ذلك إنه بالابقاء على الفرقة وتكريس التقسيم الاستعماري، لن تستطيع الأقطار الافريقية منعزلة مواجهة مخططات الاستعمار الجديد.

فالمهدي بن بركة كان يرى في ذلك القائد الافريقي مفكراً كبيراً وأحد الزعماء الذين كانوا يومنون بالفعل بالاشتراكية كأسلوب لتلك الأوضاع الاقتصادية في إفريقيا وبأن ما تم تحقيقه في عهده بالنسبة لغانا بالرغم من الانحراف الذي عرفه النظام السياسي الغاني في أوسط الستينات نتيجة التآمر عليه من طرف الأقطار المجاورة بإيعاز وتشجيع من الاستعمار الجديد، يؤكد أن التغيير العميق للبنيات ممكن إذا كانت هناك إرادة صلبة وخطة واضحة من أجل تطبيق الاصلاحات الاشتراكية التي يتضمنها المخطط، وإذا كان القائد يعتمد على حزب قوي محكم التنظيم، وعلى أطر واعية تجمع بين الكفاءة والاخلاص والتفاني لمصلحة الجماهير، وعلى أطر نظيفة تنبذ كل شكل من أشكال الانتهازية والوصولية.

وكان المهدي، علاوة على البعدين السابق ذكرهما، يعتقد أن من الضروري كذلك أن يكون للحركة التقدمية المغربية بعد عربي، وهكذا بدأ يهتم بما يجري في المشرق العربي وبالخصوص ما يعرفه الثالوث المصري ـ السوري ـ العراقي، من تطورات منذ نهاية الاربعينات. فخلافا لما كان يقال، لا يمكن أن نقارن التجربة المصرية في عهد الراحل جمال عبد الناصر، بتجربة أقطار أمريكا الجنوبية، ومن خلال قراءته لكتاب Jean et Simonne Lacouture, *L'Egypte en mouvement*. ومن خلال التطور الكبير الذي عرفته مصر بعد جلاء القوات البريطانية عنها سنة 1954 وتاميم الشركة الدولية لاستغلال قناة السويس في 23.7.1956، وما أعقب ذلك القرار من عدوان ثلاثي على مصر، ومن تدابير شجاعة مضادة تلخصت في تاميم عشرات الشركات الأجنبية : بلجيكية وبريطانية وفرنسية، وتوسيع القطاع العمومي والاعتماد عليه بالأساس، من أجل النهوض الاقتصادي والاجتماعي لمصر، ومن خلال توثيق عرى التعاون أخيرا بين أقطاب مجموعة عدم الانحياز، وبالخصوص بين جمال عبد الناصر وبروز تيتو وجواهر لال نهرو، زاد المهدي بن بركة اقتناعاً بأن تجربة مصر قد تصبح رائدة في الوطن العربي إذا ما استطاع جمال عبد الناصر بناء الاداة، أي تأسيس حزب جماهيري يومن بالاشتراكية بدلا من الاعتماد على القوات المسلحة بالحصر، وذلك للحفاظ على مكتسبات الثورة المصرية.

ففي نهاية سنة 1963 وبعد القطيعة التي عرفتها العلاقات المصرية ـ السورية بعد فشل الوحدة بين مصر وسوريا التي لم تعمر أكثر من ثلاث سنوات 1958 ـ 1961 حاول المهدي بن بركة ربط الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وقيادة حزب البعث الاشتراكي في سوريا لوضع حد لتلك القطيعة التي لم تستفد منها شعوب المنطقة، والتي جعلت إسرائيل تجني ثمار الشقاق بين دولتين رئيسيتين من دول المواجهة، متصلا بقادة القطرين الشقيقين وباذلا قصارى جهده لتدليل الصعاب من أجل تدشين صفحة جديدة في علاقات البلدين.

لقد كان المهدي بن بركة مثالا للزعيم الشعبي المتواضع، للقائد الذي يتكيف مع جميع المجموعات التي يتحاور معها، باذلا ما أوتي من دهاء سياسي وغزارة علم وإخلاص وتفان في خدمتها لكسب عطفها ودعمها، وبإذكاء الوعي في صفوفها.

إن المهدي بن بركة كان قائداً فذاً، يشتغل ست عشرة ساعة في اليوم بدون ادعاء أو منّ، سعادته كانت في سعادة حزبه، في إحكام تنظيمه وفي تطهيره من الوصوليين والانتهازيين، في تحقيق جلاء القوات الأجنبية عن بلاده، في استكمال وحدة بلاده الترابية، في تدعيم استقلالها الاقتصادي والفكري عن طريق التحرر من أشكال التبعية التي فرضت على المغرب فرضا، سعادته كانت في بناء المغرب العربي واستفادة جميع شعوب الشمال الافريقي من الخيرات التي تكتنزها أراضيه، وتشييد مجموعة قادرة على التفاوض مع شركائها، في أوربا وغيرها، على التفاوض وهي في موقع القوة، لأن المسؤولين عنها جديون في إعداد ملفات أقطارها، مخلصون في الدفاع عن مصالحها، قادرون على اتخاذ تدابير مضادة لصيانتها.

وقبيل اختطافه بأقل من سنة انتخب في السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية ـ الاسيوية كمسؤول عن التنسيق بين صندوق التضامن الافريقي ـ الاسيوي لدعم حركات التحرر الافريقية والسكرتارية الدائمة لمنظمة التضامن.

وبعد صدور الحكم عليه مرتين بالاعدام غيابيا التحقت عائلته بالقاهرة بدعوة من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

وفي أبريل 1965 انتخب المهدي بن بركة رئيساً للجنة التحضيرية لمنظمة القارات الثلاث التي كانت تتألف من ثمانية عشر قطراً من بينها الصين والاتحاد السوفياتي والهند وأندونيسيا ومصر وكوبا وغانا...

اختطف المهدي بن بركة في العاصمة الفرنسية زوال يوم الجمعة 29 أكتوبر 1965 ومثلث جماعة من المشاركين في جريمة الاختطاف أمام محكمة الجنايات في باريز في خريف 1966 وربيع 1967، وصدرت أحكام بالسجن في حق البعض منهم. وبعد فوز اليسار الاشتراكي في الانتخابات الرئاسية والتشريعية، في بداية الثمانينات، طالب ابنه البشير بإعادة فتح ملف أبيه بعد اقتناع الجميع باختفائه بصفة نهائية فلم يُستجب لهذا الطلب.

مما كتبه المهدي بن بركة :

ـ *مسؤولياتنا*، الرباط، 1957.

ـ *نحو بناء مجتمع جديد*، الرباط 1958.

- *Appel à la vigilance du peuple*, *Al Istiqlal*, n° 10, 1 Juin 1956.

- *Le Véritable visage de l'armée de libération*, *Al Istiqlal*, n° 12, 15 Juin 1956.

- *Le Rôle du parti politique dans la nation*, *Al Istiqlal*, n° 38, 21 Déc. 1956.

- *Vous pouvez regarder avec confiance la situation politique au Maroc*, *Al Istiqlal*, n° 49, 16 Fév. 1957.

- *La Commune rurale : la commune, cellule de base dans la démocratie*, *Al Istiqlal*, n° 48, 2 mars 1957.

- *Interview*, *Al Istiqlal*, n° 56, 27 avr. 1957.

- *Le Sahara est une chance commune pour la France et le Maroc*, *Al Istiqlal*, n° 58, 11 mai 1957.

- *La Solution réside en nous*, *Al Istiqlal*, n° 58, 11 mai 1957.

- *L'Indépendance n'est pas un butin qu'on se partage mais la responsabilité commune pour l'aboutissement de la tâche*, *Al Istiqlal*, n° 61, 1 Juin 1957.

- *Le Paysan marocain fera sa propre révolution*, *Al Istiqlal*, n° 74, 5 oct. 1957.

- *M. Guédira que faites-vous encore au gouvernement ?*, *Al Istiqlal*, n° 95, 12 oct. 1957.

- *Le Sud marocain*, *Al Istiqlal*, n° 76, 19 oct. 1957.

- *Gage du succès : la confiance des patriotes dans les destinées du pays*, *Al Istiqlal*, n° 79, 9 Nov. 1957.

- *Notre démocratie nous la trions de notre histoire et de notre pratique constitutionnelle*, *Al Istiqlal*, n° 80, 16 Nov. 1957. Préface à l'ouvrage de Mr. M. Lahbabi : *"Le Gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle"*.

- *La Politique des faux semblants ou les formes extérieures de la démocratie*, *Al Istiqlal*, n° 86, 28 Déc. 1957.

- *Les Problèmes du Maroc d'aujourd'hui*, *Libération*, n° 238, 2 - 8Nov. 1979. Article repris de *"Revue de la Politique Internationale"*, n° 206, 1 Jan. 1958.

- *La Crise ministérielle : ses causes, ses conséquences*, *Al Istiqlal*, n° 91, 1 Fév. 1958.

- *L'Instruction au Maroc*, *Confluent*, n° 20, mars 1958.

- *Rapport politique*, *Al Istiqlal*, n° 96, 8 mars 1958.

- *Faisons face aux réalités*, *Al Istiqlal*, n° 106, 18 mai 1958.

- *Le Maghreb arabe : terre de paix et de coopération*, *Perspectives sahariennes*, n° 5, oct 1958.

- *Problèmes d'édification du Maroc : quatre entretiens recueillis par Raymond Jean*, Paris, 1959.

- *Entretien avec le journal le Monde diplomatique*, *Le Monde diplomatique*, n° 100, Août 1962.

- *Les Conditions d'une véritable réforme agraire au Maroc* - in *Réforme agraire au Maghreb*, Paris, 1963.

- *Option révolutionnaire au Maroc*, (suivi de) *écrits politiques, 1960 - 1965*, av. - prop. de Béchir ben Driss, Paris, 1966 - (Cahiers libres, 84 - 85).

- *Les Exigences des mouvements de libération africains* - in *La Pensée politique arabe contemporaine* d'Anouar Abdel Malek, Paris, 1970. Extrait du Rapport de l'U.N.F.P. lu à la 2ème Conférence des Peuples Africains, Tunis, Janvier 1960.

- *Rôle d'une véritable commune rurale : base d'une vie démocratique et de développement économique*, *Libération*, n° 72, 29 oct. - 4 Nov. 1976.

ع. جبرو، *المهدي بن بركة : ثلاثون سنة من العطاء الفكري والنضال الثوري من أجل بناء مجتمع جديد*، الدار البيضاء، 1976؛ *المهدي بن بركة : الرياضيات مدرسة للوطنية*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. بناني، *شهادة : المهدي بن بركة فلسطينياً*، *الاتحاد الاشتراكي*، ع 2279، 1 نونبر 1989.

N. Attia, *Jo Attia*, Paris, 1974 ; A. Ben Barka, *El Mehdi Ben Barka, mon frère*, Paris, 1966 ; F. Caviglioli, *Ben Barka chez les juges*, Paris, 1967 ; Comité pour la vérité sur l'affaire Ben Barka, *L'Affaire Ben Barka*, Paris, 1966 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 45) ; *Enseignement et lacunes du premier procès*, Paris, 1967 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 46) ; *La Mort de Mehdi Ben Barka : un dossier à rouvrir*, Paris, 1973 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 54) ; *El Mehdi (Ben Barka)*, *Libération* (Casablanca), n° spécial, n° 61, 4 - 10 Nov. 1965 ; D. Guerin, *Ben Barka, ses assassins : seize ans d'enquête* - Nlle ed. remaniée mise à jour - Paris, 1982 ; *Il y a 12 ans : Mehdi Ben Barka*, *Libération*, n° 139, 28 oct. 1977 ; R. Muratet, *On a tué Ben Barka*, Paris, 1967 ; D. Sarne, *L'Affaire Ben Barka*, Paris, 1966 ; L. Souchon, *Accusé, taisez-vous*, Paris, 1970 ; A. Tislenkoff, *J'accuse Lemarchand*, Paris, 1966 ; U.N.F.P., *Communiqué du secrétariat général de l'U.N.F.P. du 4 novembre : nous dénonçons toute manœuvre destinée à dissimuler la vérité ou à fausser la piste* - *Libération*, n° 61, 4 - 10 Nov. 1965. Repris dans l'*A.A.N*, IV, 1965 ; *Une lecture du discours politique de Mehdi Ben Barka*, signé (Khalid Alioua) - *Libération*, n° 238, 2 - 8 Nov. 1979.

عبد الرحمان القادري

البرگي (مُولَى ـ) عبد الرحمان، من صلحاء قبيلة عبدة بضاحية أسفي، تتلمذ على يد الولي الصالح علي السائح الزيدي العبدي، ويذكره الفقيه محمد الكانوني في القسم المخطوط من *جواهر الكمال* بقوله "... الزعيم أبو زيد المدعو مولى البرگي، وهو من أهل أوائل العاشر، وضريحه مشهور...".

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

البرلمان، اسم جماعي للجمعيتين اللتين تمارسان السلطة التشريعية في الأقطار البسيطة، التي تطبق ثنائية التمثيل كمعظم الأقطار الأوروبية، مثلا، أو الدول الفدرالية، في هذه القارة أو في غيرها، أو الجمعية التي تمارس نفس

السلطة في الأقطار التي تطبق أحادية التشريع، أي تقتصر المؤسسة البرلمانية فيها على مجلس واحد كما هو الشأن بالنسبة لعدد كثير جداً من الأقطار النامية.

ولقد كانت أنجلترا الدولة الأولى التي نشأ فيها النظام البرلماني، هذا النظام الذي انبثق من المجالس التي كانت تحيط بالملك في الأصل، والتي كانت بدورها منبثقة من التجربة الإقطاعية (واجب التعاون وإسداء النصح إلى الإقطاعي من طرف أتباعه).

ففي القرن الثاني عشر الميلادي كان المجلس الكبير يتألف من الأساقفة والبارونات الرئيسين (النبلاء). ولم يكن للمجلس المذكور إلا دور استشاري باستثناء المجال المالي الذي كان يملك فيه سلطة ستتجلى أهميتها فيما بعد وبالخصوص في القرن السابع عشر، ذلك أنه منذ القرن الثاني عشر كانت جباية المعونات الاستثنائية تتطلب موافقته، أي جباية الضرائب الأخرى غير التي كان يدين بها كل واحد من الأتباع لسيده.

ثم أكد العهد الأعظم (Magna Carta) المؤرخ بسنة 1215 هذا الاختصاص الأساسي، وذلك بالاعتراف بمبدأ موافقة الأتباع على الضريبة. وتعتبر هذه السلطات المالية الأصل في جميع سلطات البرلمان، ومن ثم بمثابة القاعدة التي تستند إليها الملكية المقيدة.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي، أُدخل تغيير على تشكيل المجلس الكبير، ذلك أنه بجانب البارونات والأساقفة، ظهر الأشراف الذين كانوا يمثلون الطبقة الوسطى في المدن. وكان هذا التشكيل الموسع للبرلمان السمة التي تميز بها البرلمان المثالي، الذي أمر الملك إدوار الأول بعقد دورة له سنة 1295، والذي اعتبر من طرف الأنجليز كخطوة حاسمة نحو تحويل النظام السياسي البريطاني إلى نظام برلماني.

لكن رجال الدين في أنجلترا، آثروا بعد ذلك تكوين جمعية خاصة بهم بينما كوّن العنصران الآخران مجلسين : مجلساً أرستقراطياً وهو مجلس اللوردات، ومجلساً منتخباً وهو مجلس العموم، الذي كان يتألف من نواب المدن والأقاليم.

وفي القرن الثامن عشر، ومنذ بدايته، ستصبح أنجلترا ملكية مقيدة، أي سيكون الحكم فيها مقيداً بوجود برلمان يصوت على القوانين، وسيستمر هذا التطور التاريخي في القرنين التاسع عشر والعشرين، اللذين عرفا مجموعة من الإصلاحات العميقة في مجال التقسيم الإداري ومحاربة التزوير في الانتخابات وتصفية القصبات المتعفنة (القرى المهجورة) وتعميم حق التصويت. هذه الاصلاحات التي يعود الفضل في إنجاز الكثير منها إلى الوزير الأول المحافظ دسرايلي، كل ذلك من أجل جعل مجلس العموم المنتخب بالاقتراع العام السري والمباشر مجلسا لا يطعن أحد في طابعه التمثيلي، مجلساً يمارس اختصاصات مهمة ذات طابع تشريفي ومالي ودبلوماسي وتأسيسي،كما يراقب الحكومة التي تعد مسئولة أمامه لا غير، حتى ولو كان هذا المجلس الشعبي قلّما يُجبر الحكومة على تقديم استقالتها بحكم ما تَنْعَمُ به أنجلترا - وكادت تنفرد بهذه الخاصية - نقصد بذلك، بفضل الثنائية الحزبية التي تحصّنها ضد عدم الاستقرار الذي تشكو منه كثير من الأقطار البرلمانية الأخرى.

هذا ويمكن اعتبار النظام البرلماني القاسم المشترك لجميع أقطار أوروبا التي لم تبتكر شيئاً بالنسبة لنظمها السياسية بل اكتفت بتقليد أنجلترا، التي تعد، بدون منازع، مهد هذا النظام الذي عم فيما بعدُ أقطاراً أخرى في آسيا، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بالخصوص، كالهند واليابان.

غير أن فرنسا، بعد اقتناع الطبقة السياسية فيها بفشل التجربتين البرلمانيتين ما بين 1875 و1958، قد ابتعدت عن النظام البرلماني الأصيل منذ 4.10.1958 (دستور الجمهورية الخامسة) وأصبحت، بحكم الاختصاصات الواسعة التي يمارسها رئيس الدولة في الظروف الاعتيادية أو عند تطبيق الفصل 16، الخاص بالسلطات الاستثنائية، تتبنى نظاماً سياسياً يندرج ضمن الأنظمة المختلطة (أنظمة شبه رئاسية، شبه برلمانية) بل يمكن أن نجزم بالنسبة للنظام الفرنسي، بعد المراجعة الدستورية لخريف 1962، والخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام، ومن خلال ممارسة المؤسسة الرئاسية لاختصاصاتها في عهد رؤسائها الأربعة، طيلة العقود الثلاثة الأخيرة أن الطابع الرئاسي يطغى عليه.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، التي يختلف نظامها السياسي عن نظام أنجلترا وباقي أقطار أوروبا، حيث إنها أقرّت النظام الرئاسي، الذي يرتكز على مسؤولية كتاب الدولة (الوزراء) أمام الرئيس لا أمام الكونغريس (البرلمان) الأمريكي، المتألف من مجلسين : مجلس النواب ومجلس الشيوخ. فإن البرلمان، في هذه الدولة الفدرالية، هو الذي يمارس بصفة مطلقة، السلطة التشريعية. ذلك أن الولايات المتحدة تجعل ما يسمى بمجال القانون، أي اقتسام هذه السلطة بين البرلمان والحكومة كما هو الشأن في فرنسا وفي الأقطار الإفريقية التي اقتبست دساتيرها من هذه الدولة، كما لا يرخص القانون الأساسي الأمريكي بتفويض التشريع للرئيس ولو لفترة موقتة كما هو الشأن في فرنسا وفي الأقطار الإفريقية التي يرخص دستور كل واحد منها للبرلمان بتفويض قسم من سلطته التشريعية للحكومة لفترة موقتة. فالكونغريس الأمريكي هو صاحب الحل والعقد في التشريع وفي المجال المالي، كما يمارس سلطات متحددة أخرى في المجال الدبلوماسي والتأسيسي، بل كاد يعد أهم مركز للقرار في البلاد، لا يسمح مطلقاً لرئيس الدولة بأن يتدخل في اختصاصاته أو أن يحاول تجاهله فيما يخص السياسة الخارجية للولايات المتحدة أيضاً. وهذا الالتزام بالتقيد بأحكام دستور 1787 الأمريكي يكون تحت مراقبة المحكمة العليا التي تحرص كل الحرص على احترام القانون الأساسي للدولة من طرف الرئيس والكونغريس على السواء.

بينما لم تعط تجربة أقطار العالم العربي فيما يخص تطبيق النظام البرلماني ثمارها، فلقد كانت هناك محاولات في كل من تونس ومصر وإيران، منذ أواسط القرن الماضي، لكن الاستعمار الغربي أجهضها. ولم تصمد كذلك التجارب الحديثة التي عرفتها مصر وغيرها منذ العشرينيات من هذا القرن، أمام الانقلابات العسكرية التي ظلت تعاني منها، منذ أواخر الأربعينيات، في سورية ومصر والعراق والسودان الخ.

وينبغي الإشارة إلى المحاولات التي عرفتها بلادنا في هذا المجال، في بداية القرن العشرين، حيث كانت جماعة من رواد الحركة الدستورية ترغب في اقتباس القواعد التي يستند إليها النظام البرلماني، وهي تعد مشاريع دستورية إصلاحية قدمت نماذج منها إلى الملك عبد العزيز في سنة 1906 وأخرى إلى خلفه الملك عبد الحفيظ، حتى ولو كان المؤرخون أو الباحثون لم يُعيروا الاهتمام إلا لمشروع الدستور، المؤرخ في 11.10.1908، ذلك المشروع الذي أقبره الفرنسيون بمجرد فرض سيطرتهم على المغرب، منذ أوائل القرن في المغرب الشرقي بعد التوقيع على اتفاقيتي الحدود لسنتي 1901 و1902 واحتلالهم لوجدة وإرغامهم الملك عبد الحفيظ على التوقيع على معاهدة الحماية في 30.3.1912.

ولقد عرف المغرب منذ أواسط الخمسينيات، أي منذ أن استعاد السيادة، التي كان الاستعمار الفرنسي قد أفرغها من محتواها لمدة خمسين سنة، عدة تجارب فيما يخص المؤسسة البرلمانية.

وفي هذا الصدد نسجل التجربة الرائدة، التي استأثرت باهتمام الباحثين ما بين خريف 1956 وربيع 1959، والخاصة بالمجلس الوطني الاستشاري.

ذلك المجلس الذي كان يتركب من ستة وسبعين عضواً، ويضم نخبة من ذوي الرأي في الأمة ـ سياسيين ونقابيين وعلماء وحقوقيين وأطباء وتجار ومزارعين ومثقفين ـ لم يكن يقتصر دوره على الاستشارة، بل بفضل كفاءة معظم أعضائه وماضيهم المشرف، كان ذا تأثير قوي على تطور الحياة السياسية في البلاد وعلى اختياراتها الأساسية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها بالخارج.

لقد كان المجلس يوخذ نظره في ميزانية الدولة العامة وفي الميزانيات الإضافية كما يُستشار في جميع القضايا التي يقتضي نظر جلالة الملك عرضها عليه، وبالأخص منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مبدياً رأيه بواسطة اقتراحات علنية وبالأغلبية المطلقة (الفصلان 2 و13 من الظهير الشريف الصادر بتاريخ 3 أغسطس 1956).

وكان المجلس الوطني الاستشاري يعقد دورتين في السنة في الربيع وفي الخريف، مع إمكانية جمع المجلس المذكور في دورات غير عادية، ولا تتم جلساته إلا بحضور ثلثي الأعضاء.

أضف إلى ذلك أن المجلس كان ـكباقي برلمانات العالم ـ ينتخب مكتبه الذي لم يكن عدد أعضائه يتجاوز الثمانية (رئيس، نائبان للرئيس، أمينان، ثلاثة مساعدين) وتنبثق عنه أربع لجان : لجنة المالية، لجنة الاقتصاد، لجنة الشؤون الاجتماعية، لجنة الشؤون السياسية والشؤون العامة.

ولإبراز الأهمية التي كان يوليها المشرِّع لتلك المؤسسة ينص الفصلان 14 و15 للظهير المشار إليه أعلاه على أنه (الفصل 14) يتعين على الوزراء حضور جلسات المجلس الوطني الاستشاري :

1 ـ إذا تبين لجلالتنا أن حضورهم ضروري.

2 ـ وأثناء الجلسات التي تناقش فيها المسائل، التي تهم إحدى الوزارات (الفصل 15) يمكن لكل عضو من أعضاء المجلس الوطني الاستشاري في أثناء انعقاد الدورة أن يوجه أسئلة إلى وزير حول المسائل التي هي من اختصاص وزارته، وتكون هذه الأسئلة موجهة مباشرة وشفويا في أثناء المناقشات، وفي غير هذه الحالة تكون مكتوبة وموجهة إلى الوزير الذي يهمه الأمر بواسطة رئيس المجلس وذلك حسب المسطرة التي يحددها قانون المجلس الداخلي.

وعلى الوزير المعني بالأمر أن يجيب كتابة عن الأسئلة المكتوبة الموجهة إليه وذلك في ظرف أسبوع.

ونسجل أخيراً بأن أعضاء المجلس الوطني الاستشاري كانوا يتمتعون بالحصانة شأنهم في ذلك شأن أعضاء البرلمان في الأقطار الديمقراطية. وكان رفعها عنهم يقتضي لزوما موافقة جلالة الملك، وذلك طبقاً للفصل 19 من نفس الظهير.

لكن المؤسسة البرلمانية في بلادنا عرفت تغييراً عميقاً من حيث الشكل والجوهر، منذ المصادقة على الدساتير الثلاثة : دستور 14.12.1962، ودستور 30.7.1970 وأخيراً دستور 10.3.1972. ذلك أن البرلمان أصبح جهازاً منتخباً منذ ثمان وعشرين سنة ولم يبق أعضاؤه معينين، كما أن القوانين الأساسية الثلاثة، المشار إليها أعلاه، تتطرق للطريقة التي يتم بها انتخابه وللسلطات التي يمارسها.

ففيما يخص تشكيل مجلس النواب الحالي (ذلك أن المغرب قد تخلى عن ثنائية التمثيل : مجلس النواب ومجلس المستشارين، تلك الثنائية التي توقف العمل بها منذ يونيه 1965)، نلاحظ أن ثلثي أعضائه (204) ينتخبون بصفة مباشرة، بناء على الاقتراع الأُحادي الاسمي، ذي دورة واحدة، والثلث الباقي (102) من لدن هيئة ناخبة تتألف من أعضاء المجالس الحضرية والقروية (60 عضواً) ومن لدن هيآت ناخبة تتألف من المنتخبين بالغرف المهنية (32 عضواً) وممثلي المأجورين (10 أعضاء).

وتستغرق ولاية مجلس النواب ست سنوات، وفي حالة وفاة أحد أعضاء المجلس أو استقالته أو في حالة إلغاء انتخاب أحد أعضائه من طرف الغرفة الدستورية، تنظم انتخابات جزئية لتعيين خلف للمعني لكن يبقى المقعد شاغراً في أجل أقصاه ستة أشهر.

ولمجلس النواب مكتب منتخب يشرف على مداولاته

ويحدِّد عن طريق نظام داخلي تنظيم وتسيير المصالح التابعة له، تحت مراقبة الغرفة الدستورية. كما يضم مجلس النواب ستة فرقاء برلمانيين وهي :

فريق الاتحاد الدستوري
وفريق التجمع الوطني للأحرار
وفريق الحركة الشعبية
وفريق حزب الاستقلال
وفريق الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
وفريق الحزب الوطني الديمقراطي،

وهناك حزبان لا يستجيبان للشروط الخاصة بتكوين فريق برلماني وهما : حزب التقدم والاشتراكية، الممثل من طرف عضوين في المجلس المذكور. ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، الممثلة من طرف نائب واحد.

وإذا كان المجلس يوزع نشاطاته بين اثنتي عشرة لجنة منبثقة من صفوفه فإن الغرفة الدستورية ظلت ما بين 1978 و1985 متمسكة بموقفها الرافض لإحداث لجان للتحقيق ولجان للمراقبة من طرف البرلمان المغربي، عكس ما يشاهد في جميع الأقطار الأخرى البرلمانية والرآسية، مصنعة كانت أم نامية.

هذا ويعقد مجلس النواب دورتين عاديتين في السنة، تبتدئ الأولى في الجمعة الثانية من شهر أكتوبر ويترأس جلستها الافتتاحية جلالة الملك، والثانية في الجمعة الثانية من شهر أبريل.

وتستغرق كل واحدة منهما شهرين على الأقل كما يحق للمجلس أن يجتمع في دورات غير عادية وذلك إما بمرسوم، أي بمبادرة من الحكومة، أو بطلب موقع من طرف أغلبية أعضاء مجلس النواب (154 عضواً) ـ الأغلبية المطلقة ضرورية ـ وعلى أساس جدول أعمال محدد.

سلطات البرلمان في المغرب :

أ ـ سلطة تشريعية : مقيدة في مواد معينة ينص عليها الفصل 45 من الدستور. أضف إلى ذلك أنه لا يُمسَح لأعضاء مجلس النواب بالتقدم بمقترحات ترمي إلى إحداث تكليف أو الزيادة في تكليف موجود.

وعلاوة على ذلك يمكن لمجلس النواب أن يفوض للحكومة أن تشرع مكانه لفترة موقتة وذلك عن طريق مراسيم تُعرَض لزوما، قبل نهاية أجل التفويض على المجلس للمصادقة عليها وذلك طبقاً للفصل 44.

ويمكن للحكومة أن تدخل تعديلات على القوانين، بواسطة مراسيم ـ قوانين خلال الفترة الفاصلة ما بين دورتي المجلس وباتفاق مع اللجان التي يعنيها الأمر.

أما فيما يخص دورة النواب بشأن مشروع قانون المالية السنوي، فإن الحكومة تكون ملزمة بعرضه على المجلس في أجل أقصاه فاتح نوفمبر ويكون هذا الأخير مطالباً بالتصويت عليه قبل نهاية السنة الميلادية. وعند الاستحالة يصدر الأمر بتنفيذه عن طريق ظهير.

ب ـ سلطة دبلوماسية : إن الأمر فيما يخص هذه السلطة يقتصر على المعاهدات التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة، فهذا النوع من المعاهدات هو الذي يتطلب موافقة مجلس النواب. كما أن المصادقة على المعاهدات التي يمكن مخالفة لنصوص الدستور لا تتم إلا باتباع المسطرة المنصوص عليها فيما يرجع لتعديله. (يمكن أن نؤكد بأن السياسة الخارجية في المغرب تندرج ضمن المجال المحفوظ للملك).

ج ـ سلطة تأسيسية : تقتضي مراجعة الدستور التصويت على مقترح أو مشروع المراجعة بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب (204).

وهذا الشرط الأول لا يعد كافيا حيث إن المراجعة لا تصبح نهائية إلا بعد إقرارها عن طريق الاستفتاء.

ح ـ سلطة انتخابية : ينتخب مجلس النواب قضاة المحكمة العليا ويعين رئيسه، باتفاق مع الفرقاء البرلمانيين، ثلاثة أعضاء في الغرفة الدستورية.

خ ـ سلطة قضائية : يبث مجلس النواب في التهمة الموجهة إلى الوزراء في شأن الجنايات أو الجنح، التي يرتكبونها أثناء ممارستهم لمهامهم، وذلك بالاقتراع السري وبأغلبية ثلثي أعضائه. وفي هذه الحالة يمثلون أمام المحكمة العليا التي ينتخب أعضاؤها من النواب.

علاقات الحكومة بمجلس النواب : تكمن وسائل ضغط مجلس النواب على الحكومة في هذه الوسائل الأربع :

ـ الأسئلة الشفوية.
ـ الأسئلة الكتابية.
ـ إيداع ملتمس رقابه يلوم الحكومة شريطة أن يكون موقعاً من طرف ربع أعضاء مجلس النواب (77 عضواً)، أما قبوله فيقتضي التصويت عليه بالأغلبية المطلقة لإرغام الحكومة على تقديم استقالتها (154 عضواً).
ـ رفض منح الثقة للحكومة إذا ما رُخص لها بطرحها أمام مجلس النواب، من طرف مجلس الوزراء، لكن الحكومة لا تعد مستقيلة إلا إذا خُذلت من طرف الأغلبية المطلقة لمجلس النواب (154 عضواً).

وسائل ضغط الحكومة على مجلس النواب : منها وسائل غير مباشرة لأعضاء الحكومة :

ـ حق الدخول إلى مجلس النواب والمطالبة بالاستماع إلى عروضهم عندما يرغبون في ذلك.
ـ يمكن للحكومة استدعاء مجلس النواب لعقد لدورة غير عادية.
ـ يُعترف للحكومة بحق الأسبقية في مناقشة مشاريع القوانين التي تتقدم بها أو المقترحات القانونية المقبولة من طرفها.

وسائل مباشرة :

ـ عرض مشاريع قوانين على الاستفتاء مباشرة إما لمراجعة الدستور (الفصل 98) للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور

أو طبقاً للفصل 68 الذي ينص :"... اللهم إلا إذا كان نص المشروع أو الاقتراح قد قُبل أو رفض، بعد قراءة ثانية جديدة، بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس النواب (204).

- حل مجلس النواب : للملك، بعد استشارة رئيس الغرفة الدستورية وتوجيه خطاب للأمة أن يحل مجلس النواب بظهير شريف (الفصل 70).

- تطبيق الفصل 35 من الدستور الخاص بالسلطات الاستثنائية، التي يمارسها الملك عند الإعلان عن حالة الاستثناء.

مشاريع الإصلاحات الدستورية والإدارية، المقدمة إلى مولاي عبد العزيز في سنة 1906 ؛ *مشروع دستور 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908* ؛ *الدساتير المغربية الثلاثة* : دستور 14.12.1962 ؛ دستور 30.7.1970 ؛ دستور 10.3.1972 ؛ *دستور فرنسا المؤرخ في 4.10.1958* والمراجع في أكتوبر 1962 ؛ ع. القادري، *النظرية العامة للقانون الدستوري* ؛ *الدستور والمؤسسات السياسية* : الأنظمة السياسية.

عبد الرحمن القادري

بَرْمِيجُو، أو البَرْمِيجُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bermejo والكلمة معناها اللون الأحمر القاني، وكان من بين أفراد هذه الأسرة المعلم الخبير المساعد للقضاء.

بَرْمِيجُو، عبدالرحمان بن عبدالعزيز الذي كان حيا سنة 1150/1738.

بَرْمِيجُو، محمد الفقيه الذي كان حيا سنة 1269/1853. ولعله كان آخر من عاش بتطوان من هذه الأسرة الأندلسية.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 33 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 303.321.323 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

برناردو رُدريگيس Bernardo Rodrigues، مؤلف *حوليات أصيلا Anais de Arzila*. والده من مرافقي الفونص الخامس أثناء غزوه لأصيلا في 3 ربيع الأول 876 / 20 غشت 1471. وقد ولد صاحب الترجمة بأصيلا سنة 1500. فعلقت بذهنه بعض تصورات حصار محمد البرتغالي للمدينة سنة 914 / 1508، بينما تذكر بوضوح أحداث حصار 922 / 1516. خاصة وأن أباه قتل أثناءه.

وعلى الرغم من مشاركته في بعض الغارات المنظمة من طرف أصيلا ضد القبائل الهبطية، إلا أن مهامه الرئيسية المعروفة عنه اقتصرت على مشاركته في الوفود المرسلة لربط العلاقات التجارية، والمساهمة في مباحثات الهدنة بين قواد إقليم الهبط بالشمال الغربي المغربي والبلاط الوطاسي من جهة، وبين أصيلا ولشبونة من جهة ثانية.

زار القصر الكبير والعرائش عدة مرات، مثل الزيارة التي قام بها سنة 1518 لأحد أسرى أصيلا المعروف علي الرندي، المقيم آنذاك بالعرائش. وكانت الفرصة التي وقف فيها برناردو رُدريگس على موضع القلعة البرتغالية المسماة گراسيوسا Graciosa، التي حاول جواو الثالث بناءها بجزيرة اللكوس. وكان أحد المتوجهين سنة 928/1521 لشراء الأسرى من ناحية دكالة، إثر المجاعة التي اجتاحت البلاد.

سجلت أولى زياراته لفاس الوطاسية سنة 1531، وعاد إليها في السنة الموالية، لبحث التقارب البرتغالي - الوطاسي الذي ظهرت نتائجه بانعقاد هدنة سنة 1538. ثم عاد إليها في مهام أخرى سنة 1542. وكان مؤلف *الحوليات* ممن عاصر الجلاء البرتغالي عن أصيلا في صيف سنة 957 / 1550.

اكتسب برناردو ردريگس خبرة واسعة عن الوجود البرتغالي بأصيلا، بفضل المعلومات المكتسبة من المجالين الحربي والدبلوماسي، ومن اتصالاته بمواطنيه وبالمغاربة، واستفاد مما سبق أن جمعه أبوه عن حروب أصيلا فشرع في التدوين منذ السادسة عشرة من عمره، إلى أن اجتمعت لديه مادة ضخمة شرع في تنظيمها وتحريرها بلشبونة سنة 1560، وأخرجها في أربعة كتب، خصصت لسرد حياة حكام أصيلا منذ 1508 إلى سنة 1535. وقد أعيد *طبع الحوليات* سنة 1915، بعد أن أضاف إليها الناشر دافيد لوبيس David Lopes ملحقا، ضمنه مجموعة من المراسلات التي عثر عليها بالخزانات الوطنية. طبع الكتاب في مجلدين ضخمين، تجاوزت صفحاتهما الألف صفحة. ويشمل الأول منهما أحداث 1508.1525، بينما يتناول المجلد الثاني الوقائع فيما بين 1525 و1535.

وتأتي أهمية *حوليات أصيلا* من كونها المصدر الأساسي، لا لدراسة تاريخ أصيلا، وإلى حد ما مدينة طنجة، خلال الاحتلال البرتغالي فحسب، ولكن أيضا لدراسة تاريخ مقاومة الوجود البرتغالي بإقليم الهبط. وعلاوة على ذلك فإن *حوليات* برناردو ردريگيس صورة لا غنى عنها لدراسة جغرافيا إقليم الهبط خلال القرن السادس عشر.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, publ. de David Lopes, Lisboa, 1915.

حسن الفكيكي

بَرْنَاطْ، أسرة أندلسية استقر أفراد منها بتطوان والرباط، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bernat، وقد انقرضت بتطوان سنة 1792/1206، وما زالت حتى الآن بالرباط.

بِرْنَالْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bernal. وقد انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088.

البرناوي، عبد الله، غير آتي الترجمة، صوفي عاش بفاس في أوائل القرن الثاني عشر (18 م) وكان خامل الذكر لا يكاد يعرفه أحد لولا أن الشيخ الشهير عبد العزيز الدباغ (ت. 1132 / 1719)، أخذ عنه بعد أن لقيه في باب الجيسة بفاس، فذكر معه في كتب التراجم.

أ. ابن المبارك اللمطي، *الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، 203 والهامش 3 ؛ *نشر*، 2 : 227 ـ 228.

البرناوي، عبد الله بن عبد الجليل، صوفي كبير من مدينة بَرْنُو بالسودان، عرفه المغاربة وأخذوا عنه بواسطة تلميذه الصالح أحمد بن محمد اليمني الذي قام بسياحة طويلة زار خلالها بلاد السودان الأوسط وأخذ عن الشيخ عبد الله البرناوي، ثم قدم إلى فاس سنة 1079 / 1668 واستوطنها وأقبل عليه كبراؤها وصلحاؤها وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسي. ويبدو أن أخبار الشيخ البرناوي قد انقطعت عن تلميذه أحمد اليمني مدة فخرج لزيارته بالسودان ووجده قد مات، فرجع أحمد اليمني إلى فاس وبقي بها طوال حياته.

وقد زاد انتشار أخبار عبد الله البرناوي في المغرب بعد أن ألف في مناقبه الصوفي الأديب الشهير أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي (ت. 1120) كتاباً سماه *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب*. ومن المعلوم أن ذكر أحمد اليمني، وبالتالي شيخه البرناوي، عم أرجاء المغرب، سواء في أوساط المتصوفة أو العلماء والعامة، كما أفصح عن ذلك أحمد بن يعقوب الولالي في كتابه *مباحث الأنوار* حيث قال :"ثم أطلع الله الشيخ اليمني بأن أظهره للخلق إطلاع البدر فوق الأفق، فأضاءت به أركان ظلمات هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به...".

كانت طريقة عبد الله البرناوي مؤسسة على علم الخواطر والتأمل والتفكر، "إذ كان يذهب بأصحابه إلى موضع خال من الفلاة فيأمرهم بالتفرق ثم يقول لهم : تفكروا في ملكوت ربكم، وينعزل عنهم وهو وحده في ناحية إلى وقت الظهر، فيرجع حينئذ ثم يجتمعون عليه فيرجعون إلى قريتهم" (نشر، 2 : 225) وطريقة الخواطر هذه ظهرت في مدينة فاس، فكانت طائفة من المتصوفة أهل الخواطر، يجتمعون في زاوية سيدي أحمد حجي بحومة البليدة، ويظلون صامتين متأملين متفكرين في ملكوت الله (*سلوة*، 1 : 188). ويُذكر في ترجمة الشيخ أحمد حجي أنه كان في زاويته بسلا كثير الاستغراق والتفكر حتى لا يكاد يشعر بمن دخل عليه، كحال أهل الخواطر.

توفي عبد الله البرناوي قتيلا في حرب وقعت بين البرناويين والتوارگ في 16 ربيع الثاني عام 1088 / 18 يونيه 1677.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 224 ـ 228 ؛ *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، 201 ـ 203 ؛ القادري، *نزهة الفكر*، مخطوط ؛ أ. الحلبي، *ريحان القلوب*، بنقل المصدرين السابقين.

محمد حجي

بَرَنْجِينة، أو أبْرَنجينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berengena والكلمة معناها باذنجان.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1737/1146.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُرنُس، ضريبة مرينية كان يؤديها سكان البوادي للمخزن المريني، وليس هناك ما يدل على أنها شملت سكان المدن في فترة من الفترات. والبرنس في الاصطلاح اللغوي كل ثوب رأسه منه ملتزق به، درّاعة كان أو مِمْطرا أو جبة ـ كما سياتي ـ.

ظل العمل بضريبة البرنس ساري المفعول في عهد المرينيين إلى أن تولى الحكم السلطان أبو الحسن علي (1351.1331/752.731) فأصلح أمور الجباية وعمم ذلك الإصلاح على جميع بوادي المغرب ومدنه. فقد رفع هذا السلطان عن أهل البوادي ضرائب لها ألقاب لا تحصى "كالخرس والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة" (*المسند*، 284). وهذه كلها أسماء لبعض الضرائب التي كان أهل البادية يؤدونها للمخزن المريني قبل عهد أبي الحسن، وقد كان للتخلي عنها أثر كبير في استقرار أوضاع المغرب الأقصى في عهده.

استعملت كلمة البرنس للدلالة على الكبار، لأن صغار السن في بعض قبائل الجنوب المغربي ـ وإلى اليوم ـ لا يرتدون البرنس قبل بلوغهم سن الرشد، وغالبا ما يحملون هذا اللباس مباشرة بعد الزواج. وهو ما قد يؤهل لابس البرنس لامتلاك خيمة وقطيع من الأغنام إذا كانت أسرته تعتمد في نشاطها الاقتصادي على الرعي، أو يؤهله للقيام بعمل مربح ـ لحسابه الخاص ـ في الزراعة أو الغراسة إذا كان دخل أسرته يقوم على الفلاحة. وعلى ذلك، فالبرنس ضريبة يؤديها كل رجل بدوي بالغ قادر على الإنتاج راعيا كان أم مزارعا، بخلاف ضريبة الخرس التي كانت تؤدى على المنتج الفلاحي بعدما يقوم أعوان المخزن بتقدير ثروة كل فلاح ثم يحددون له قيمة الضريبة التي عليه أن يؤديها.

تخلى أبو الحسن المريني عن الضرائب المذكورة أعلاه، وعن ضرائب أخرى منها ما كان مقتصراً على بعض الجهات دون غيرها كما هو الحال في ضريبة الجَمُّون وهي ضريبة فلاحية كان يؤديها سكان سجلماسة وسائر بلاد القبلة على

حقول النخل والزرع، ويصل ما يجبى منها إلى عدة أحمال من الذهب كل سنة (*المسند*، 283) ويرجع السبب فيما أقدم عليه هذا السلطان من إصلاح جبائي إلى الانتصارات التي حققها في المغرب الأوسط ابتداء من سنة 736/1336 حيث كان لتحكمه في تلمسان والمناطق الواقعة إلى الشرق منها أثره في تحقيق فائدة عظيمة من موارد التجارة الصحراوية التي كان نصيب الزيانيين منها أوفر من نصيب المرينيين خلال هذه الفترة.

شكلت تلمسان منطقة جبائية مهمة بالنسبة للمرينيين بعد سيطرتهم عليها ودليل ذلك أنها أصبحت من المناطق الخمسة الأساسية في الجباية المرينية، هذه المناطق التي حصرها علي بن يوسف الحكيم في فاس وما والاها، وسبتة وما والاها، ومراكش وما والاها، ودرعة وسجلماسة وما والاهما، وتلمسان وما والاها، وما وراءها من البلاد إلى الجزائر (*الدوحة المشتبكة*، 179.180).

م. ابن مرزوق الخطيب، *المسند* ؛ علي بن يوسف الحكيم، *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد 6، العدد 21، مدريد، 1950.

حسن الحافظي

البُرنُس، قلنسوة طويلة كان الناس يلبسونها في صدر الإسلام... أو هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به... وقيل إنه غير عربي...(*تاج العروس*). يفيدُ هذا التعريف، اتساع رقعة المجال الذي يُستعمل فيه البرنس، وهو منتشر كثيراً بالمغرب في الحواضر والبوادي، يعرف بهذا الاسم، ويُمد أحياناً "البرنوس" ويؤنّث "البرنوسة" ويكتب بالصاد "البرنوص" ومن تم نجد النسبة إليه بُرنُسي، وبرنوسي، وبرنوصي. وله أسماء أُخر : أُخْنيف أو الخنيف، وهو خاص بسكان الجبال، تزيِّنُهُ رسوم وأشكال فنية ملونة من خلف، بينما تختص نساء البادية بلباس تَمْلحْفت. ويسمى أيضاً الخَيْدُوس أو أُخَيْدُوس، ويختص به أهل البوادي في الجبال والسهول، ويتميز بخشونته ومتانة نسجه، ويصنع من شعر الماعز. والغالب عليه اللون الأسود، وإذا كان بلون آخر سمي أهَدّون.

ويسمى البرنس أيضاً السَّلْهام، ويكاد يكون خاصاً بأهل المدن، ويُصنع إما من الحرير الناعم أو من الصوف، والغالب عليه اللون الأبيض. ويُنطق به أيضا بصيغة المؤنث السَّلْهامة (*التشوف*، 207) ومِنْ ثَمَّ سُمِي بعضهم بأبي سلهام، وأبي سلهامة.

والبرنس بجميع أصنافه كان لباساً خاصاً بالرجال في البادية والمدينة. ويُستخدم أيضاً في الاستعمال اليومي، وفي المناسبات، وتزداد الحاجة إليه في الفصل البارد. وهو لباس خارجي يغطي كل الملابس الأخرى تحته ولا يلبس فوقه شيء آخر. وربما لبسته النساء أيضاً.

ويستشف من خلال بعض الإشارات أن البرنس كان قديما يستخدم في بعض الأحيان كفراش خارج المنازل أو المدينة (*البيان*، 4 : 25) أو كفراش وغطاء (*التشوف*، 421).

ولم يكن لبسه حكراً على فئة دون أخرى، إذ كان من الملابس التي تدخل ضمن الضروريات عند العلماء (*ورقات*، 305) والمتصوفة (*التشوف*، 207. 216. 421) والأعيان ؛ كما يلبسه عامة الناس وفقراؤهم (*وصف*، 1 : 197).

وقد أصبح البرنُس لباساً مخزنياً رسمياً منذ عهد الموحدين على الأقل (*المعجب*، 254)، وتقننت معايير استعماله أكثر في هذا الشأن مع المرينيين : يختص سلطانهم بلبس البرنس الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه، وأما العلماء وأهل الصلاح فلا حرج عليهم في لبسه، هذا في البرانس البيض فأما سائر الألوان فلا حرج على أحد في لبسها كائناً ما كان (*ورقات*، 305).

ومن أطرف الأحداث التاريخية التي لها صلة بالبرنس، تسوية أمور قيادة حكم المرابطين بين أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين بواسطته، (*البيان*، 4 : 25) وسُميت به ضريبة كان أهل البوادي في المغرب يؤدونها إلى المخزن المريني كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ع. المراكشي، *المعجب*، ت. م. سعيد العريان و م. العربي العلمي؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق ؛ ابن عذاري، *البيان*، ت. احسان عباس ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، ت. م. الفاسي وأدولف فور ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، ت. ماريا بيگيرا ؛ م. مرتضي الزبيدي، *تاج العروس* ؛ م. المنوني، *ورقات*.

محمد رابطة الدين

البرنسي، أسر مغربية عديدة، لعلها تنتسب إلى البرنس اللباس المعرف بالسلهام، أو إلى البرانس القبيلة البربرية الكبرى بناحية تازا. وتختلف هذه النسبة كتابة ونطقاً فنجدها أحياناً "برنسي" وأحياناً "برنوسي" أو "برنوصي" ولم نقف على ما يميز هذا من ذاك فاحتفظنا بالصيغ الثلاث لمن ترجمنا لهم في *المعلمة* حسبما جاء في المصادر المنقول عليها.

البرنسي أبو **طيب** بن عيسى السلوي، فقيه نحوي مشارك، يدرس ألفية ابن مالك وغيرها بالمسجد الأعظم بسلا، وفيه أخذها عنه أحمد بن عاشر الحافي. وذكره في *فهرسه* من جملة شيوخه السلويين وأثنى عليه خيراً.

توفي بمسقط رأسه سلا عام 1112 / 1700، ودفن بضريح الشيخ أحمد الطالب القريب من المسجد الأعظم.

أ. الحافي، *فهرس*، تح. محمد السعديين، د.د.ع كلية الآداب، الرباط، 1990 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 380 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الوجيز*، 153.

البرنسي، محمد بن **حمادة** (أو حمادُوه) السبتي. ينتسب إلى قبيلة البرانس البربرية التي كانت تستوطن ما بين فاس وتازا. وهو من رجال المائة السادسة الهجرية، غير أننا لا نعرف تاريخ وفاته ولا ولادته بالضبط. ونادراً ما يشار إلى اسمه كاملا في المصادر المغربية حيث يرد مختصراً هكذا : البرنسي أو ابن حمادة. من تلامذة القاضي عياض (*الديباج*، 361) اعتبره صاحب *مفاخر البربر* (ص 43 و64) من علماء البربر ووصفه بالشيخ والفقيه الحافظ التاريخي.

يظهر أن البرنسي ألف كتباً كثيرة في الفقه والتاريخ غير أن الزمن عفّى عليها جميعاً فضاعت ولم يبق منها إلا بعض العناوين التي حفظتها لنا المصادر *كاختصاره ترتيب المدارك* لشيخه القاضي عياض حيث يذكره ابن فرحون من بين مصادره التي اعتمد عليها في *الديباج* (ص 361). وقد أشار ابن سودة إلى أن صاحب الدر النفيس ذكر أن البرنسي لم يكتف *باختصار ترتيب المدارك* بل زاد عليه زوائد مفيدة. ويضيف ابن سودة أنه وقف على سفر في مجلد ضخم فيه *اختصار المدارك* يعتقد أنه للبرنسي (*دليل*، 1 : 269، 270). كما ذكر المنوني أن نسخة من هذا الكتاب توجد كاملة بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم 208 : تاريخ، وتحمل اسم *بغية الطالب، ودليل الراغب*. وقد تساءل نفس الباحث عن هذا الكتاب الأخير : هل هو نفس مختصر ابن حمادة أم هو ترتيب له ؟ مع العلم أن عبد الله ابن سهل القضاعي قام بترتيب هذا الاختصار. وتوجد منه بالمغرب قطعة مبتورة الأول تقف عند ترجمة موسى بن معاوية (*مصادر*، 1، 48).

إلا أن أشهر مؤلفات البرنسي وأهمها هو كتاب *المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس*. ورد هذا العنوان لأول مرة كاملا في *مفاخر البربر* (ص 43)، أما ابن عذاري فيشير إليه هكذا : كتاب القبس (*البيان*، 1 : 5). بينما تكتفي المصادر المغربية الأخرى بالإشارة إلى اسم صاحبه فقط دون ذكر الكتاب، فنجد مثلا : قال البرنسي أو قال ابن حمادة. ويلاحظ من النقول المأخوذة عن المقتبس في بعض المصادر المغربية أن هذا الكتاب يتناول تاريخ الأندلس وتاريخ المغرب الأقصى في عهد الأدارسة والمرابطين وبداية الموحدين. وتتجلى أهمية هذا المصدر في كونه شكّل مرجعاً أساسياً لمؤرخي المغرب في العصر الوسيط، أمثال : ابن عذاري حيث اقتبس منه معلومات كثيرة تتعلق بأواخر الخلافة الأموية بالأندلس وثورة أبي زيد مخلد بن كيداء الزناتي بإفريقية، وكذلك بتاريخ المرابطين والفترة الانتقالية من المرابطين إلى الموحدين (*البيان المغرب*، ج 1 : 216، 227... ـ 3 : 113، 115 ـ 4 : 58، 74، 83، 88، 96، 98، 99). وابن أبي زرع الذي نقل عنه فقرات تهم تاريخ الأدارسة والموحدين إلى عهد عبد المومن بن علي الكومي (*القرطاس*، 24، 28، 38، 50، 180، 188، 189).

ونشير إلى أن ابن سودة ذكر في *دليل مؤرخ المغرب الاقصى* (1 : 134) أن ابن أبي زرع اعتمد في تاريخه للأدارسة على كتاب للبرنسي في دولة الأدارسة، وهذا الكلام في نظرنا يجانب الصواب إذ المقصود كتاب واحد هو *المقتبس* الآنف الذكر.

أما صاحب *مفاخر البربر* (ص 43. 46. 58) فقد اعتمد البرنسي في معلومات عن ثوار البربر بالأندلس والمغرب الأقصى وعن أصل تسمية سبتة ثم أورد المقري بيتين عن سبتة ذكرهما البرنسي في *المقتبس* (*أزهار الرياض*، 1 : 36) وربما هو نفس الكتاب الذي اعتمده المقري في أخبار القاضي عياض (5 : 6) كما نقل عنه الجزنائي رواية تخص بناء مدينة فاس على عهد الأدارسة (*زهرة الآس*، 23).

أما ابن القاضي فإن كل ما نقله عن *المقتبس* لا يعدو أخباراً عادية تتعلق بالأدارسة وهي متداولة في أغلب المصادر المغربية التي سبقته (*جذوة*، 24، 25، 31، 41، 161، 162، 342) ونجد نفس الشيء مع الناصري الذي اقتبس أيضاً معلومات حول الأدارسة نسبها إلى البرنسي وهي في غالب الظن مأخوذة بشكل غير مباشر عن مصادر أخرى لاحقة (*الاستقصا*، 1 : 154، 159، 171).

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1، ج 3، ج 4 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، نشره ليفي بروفنشال، الرباط 1934 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1 وج 5، الرباط، 1978 ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، مصر، 1351 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الأول ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الأول، الرباط، 1983 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، الجزء الأول.

رشيد السلامي

البرنسي محمد بن **محمد** بن عبد الرحمان السطي. فقيه نوازلي تولى القضاء بقبيلته سطة مدة طويلة، ثم ولي نفس الخطة بقبيلة الحياينة، وأخيراً انتقل إلى مدينة شفشاون حيث أدركته الوفاة عام 1195 / 1780.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1195.

محمد حجي

البرنوسي، أسرة تطوانية أصلها من قبائل البرانس، يوجد بعضهم أيضاً في الرباط وغيره. وكان من بين البرنوسيين التطوانيين شخص يشغل منصب خليفة باشا تطوان القائد علي بن عبد الله الحمامي في حدود سنة 1113 / 1701، وعبد الرحمان بن محمد البرنوسي، فقيه زاول خطة القضاء بتطوان من سنة 1223 / 1808 إلى أن وافاه الأجل سنة 1228 / 1813.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 113، 3 : 50، 6 : 174 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 32، 3 : 240، 7 : 226 ـ 228 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرنوسي، أحمد بن محمد أو ابن علي بن عبد الرحمان ابن يعلى، قدم من مسقط رأسه قبيلة البرانس بناحية تازا إلى مدينة فاس "وقرأ علم الأصول والكلام على الشيخ سيدي ابن حرزهم مع الشيخ أبي مدين الغوث" (*سلوة*، 3 : 182) وقد صحب الشيخ أبا مدين الغوث وتعبّد معه في جبل الظل زالغ، فلما ارتحل أبر مدين إلى تلمسان صعد البرنوسي إلى جبل زالغ وانفرد في خلوته المعروفة له هناك، فكان يعبد الله ويقرئ القرآن والعلم. واشتهر صلاحه بفاس في حياته وبعد مماته. كما يذكرون أن أهل فاس كانوا يزورون الشيخ أبا يعزى في تاغية فيقول لهم :"تركتم الشيخ أحمد البرنوسي في جبل فاس فهو يعطيكم مثل ما نعطيكم".

ألّف أحمد البرنوسي كتاباً شرح فيه أسماء الله الحسنى سماه *الذهب الإبريز والمختصر الوجيز*. ولبعضهم تقييد موجز في أخبار أحمد البرنوسي وكراماته. وقبة الشيخ أحمد البرنوسي شهيرة بإزاء جبل زالغ جدد بناءها المولى الحسن الأول. ووسع مرافقها ابنه المولى عبد العزيز. ولا يعرف تاريخ وفاة الشيخ أحمد البرنوسي إلا أنه كان من أهل القرن السادس (12 م) معاصراً للشيخين أبي مدين الغوث وأبي يعزى.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، تح. زهراء النظام، د. د. ع. الرباط، 1989 ؛ *المدرع، منظومة في صلحاء فاس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 182 ـ 183 ؛ م. القادري، *نشر*، (في ترجمة أحمد الصقلي) 4، 157.

محمد حجي

البرنوسي، الصديق بن محمد. ولد بالرباط عام 1326 / 1908 ودرس دراسة مزدوجة، حيث قرأ أولا القرآن والفقه والتوحيد وقواعد اللغة العربية على شيوخ الرباط أمثال محمد بنيعگوب، ومحمد التادلي، وقاسم الحاجي، ثم دخل المدرسة العصرية فأتقن الفرنسية في ثانوية مولاي يوسف ومعهد الدروس المغربية العليا، ثم اشتغل مترجماً بإدارة ناحية الرباط، لكنه كان ذا نزعة وطنية، يرافق الوطنيين ويحضر مجالسهم سراً، ويُسهم في تحرير مجلة مغرب التي كانت تصدر بباريز، إلى أن افتضح أمره، فسجن ستة أشهر وطرد من وظيفته، فأصبح كاتباً عمومياً مترجماً حراً بشارع الجزاء. وبعد الاستقلال عين كاتباً إدارياً للغرفة التجارية بالرباط، ثم مندوباً لوزارة التجارة بالشمال إلى أن أدرك سن التقاعد.

توفي بالرباط في ربيع الثاني عام 1411 / أكتوبر 1990.

تقاييد، ومعلومات خاصة.

م. الأمين بلگناوي

البرنوسي، عبد الرحمان بن محمد بن حميدة الرحماني، فقيه صوفي من أكابر أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي، ومن الذين نشروا طريقته في الجنوب. ألف كتاباً في *سلسلة المشايخ*، وتوفي بقبيلته الرحامنة عام 1215 / 1800 وشيدت عليه قبة حفيلة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1215.

البرنوسي، علي بن عبد الرحمان، والد أحمد سابق الترجمة. صالح كبير ربما كان له مسكة من علم، وقد ظل ضريحه مزارة مقصودة بالقرب من عين تفراوت قرب ضريح ولده إلى جهة الغرب من العين أسفل منها بأزائها.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 183.

البرنوسي، قاسم بن محمد المكناسي أستاذ مقرئ أخذ القراءات بمسقط رأسه على الشيخ الأستاذ العربي بن فضول ابن شمسي.

توفي عام 1262 / 1845.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 443 ؛ ع. ابن سودة، *فهرس إتحاف المطالع*، 1962.

البرنوسي، محمد بن الحاج علي الوزاني "الشيخ الفقيه المؤدب الحافظ العابد الزاهد" أصله من قبيلة البرانس بناحية تازا، ثم سكن وزان واشتغل بالتدريس والإفادة إلى أن أدركته الوفاة فيه يوم الخميس الثامن عشر من صفر عام 1261 / 27 فبراير 1845.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1261.

محمد حجي

البرنوصي (سيدي ـ) زناتة ـ عمالة جديدة بالدار البيضاء ـ بعد التقسيم الإداري الذي عرفته الدار البيضاء سنة 1976 أصبح حي سيدي البرنوصي يشكل جزءا من الجماعة الحضرية لعين السبع. وفي سنة 1981 عند إحداث ولاية الدار البيضاء الكبرى، تم تحويل هذا الحي إلى جماعة حضرية ضمن عمالة عين السبع الحي المحمدي بعد إضافة أحياء أخرى مجاورة إليه. وبعد أن عرفت الدار البيضاء إعادة هيكلة جديدة في بنيتها الإدارية خلال شهر دجنبر 1990 نتج عنها إضافة عمالة جديدة إلى العمالات الست المكوِّنة للدار البيضاء الكبرى، وهذه العمالة هي عمالة سيدي البرنوصي زناتة. وقد تم تشكيل هذه العمالة الجديدة من الجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي وإدماج جماعتين قرويتين كانتا في السابق تابعتين لعمالتي المحمدية زناتة وبن امسيك ـ سيدي عثمان، كما يظهر من خلال الجدول رقم 1 والرسم المرافق له (رسم رقم 1).

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة سيدي البرنوصي ـ زناتة

الجماعات	المساحة (هكتار)	٪	عدد السكان (إحصاء 1982)	٪	الكثافة
الجماعة الحضرية سيدي البرنوصي	1360	5	134023	64	98
الجماعة القروية (تيط مليل)	15500	59.5	26340	12.6	2.7
الجماعة القروية عين حرودة	9300	35.5	48708	23.4	5
المجموع	26160	100	209071	100	8

تمتد عمالة سيدي البرنوصي زناتة شمال شرق الدار البيضاء على مساحة 26160 هكتار أي ما يعادل ربع المساحة الاجمالية للدار البيضاء الكبرى. أما على المستوى الديمغرافي فتعتبر هذه العمالة من أضعف عمالات الولاية سكاناً حيث لا تتعدى ساكنتها 8.5٪ من مجموع سكان الولاية، وكثافتها 8 أشخاص في الهكتار. ويفسر هذا الانخفاض في الكثافة باتساع المجال القروي الذي يشكل 95٪ من مساحة العمالة في حين لا يضم إلا ثلث سكانها.

مجالات متباينة : تتباين هذه الجماعات تبايناً واضحاً فيما يخص نسيجها ووظائفها الاقتصادية.

BIBLIOTHEQUE FACULTÉ DES LETTRES AGDAL

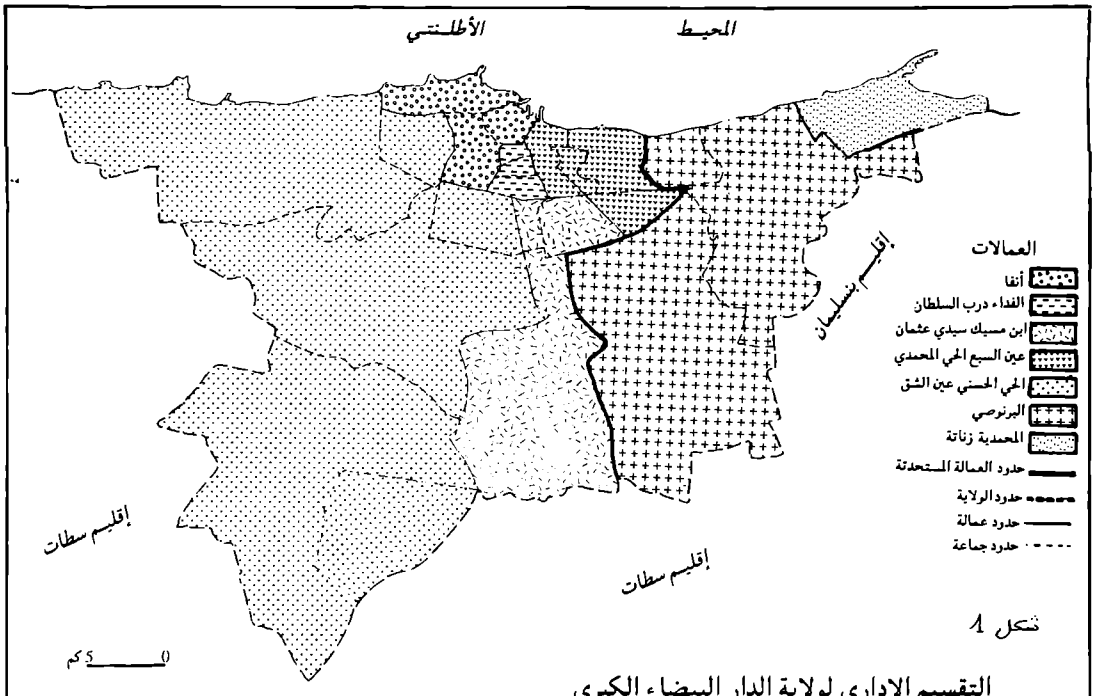

شكل 1

التقسيم الإداري لولاية الدار البيضاء الكبرى

فالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي تشكل أهم تجمع سكاني واقتصادي في العمالة، يطبع نسيجها الحضري نوع من التجانس والانسجام الوظيفي الواضح بين أحيائها. فانطلاقاً من الخريطة المرفولوجية لهذه الجماعة (رسم رقم 2) يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات رئيسية :

فشمال السكة الحديدية، بين الجماعة الحضرية لعين السبع والجماعة القروية لعين حرودة تمتد مجموعتان مختلفتا الوظائف :

* قطاع للإقامة يطغى عليه السكن الفردي في شكل ڤيلات صغيرة غرب الجماعة وهو امتداد للحي السكني لعين السبع.

* قطاع مخصص كلية للنشاط الصناعي شمال شرق الجماعة.

أما جنوب السكة الحديدية فتنتشر أحياء السكن الاقتصادي بشكل متراص، وتتكون من مجموعتين رئيسيتين :

- النواة الأولى لحي سيدي البرنوصي التي تم توسيعها في السنوات الأخيرة بعد إنشاء بعض التجزئات العمومية. هذه النواة التي تغطي حاليا حوالي 300 هكتار، تقطنها أساساً اليد العاملة المشتغلة في الصناعة.

- مجموعة "القدس" التي تمتد على مساحة 317 هكتار بين السكة الحديدية والطريق السيار. وتتشكل من عدد من التجزئات : تجزئة عمومية تغطي 210 هكتار، مخصصة للمساكن الفردية الصغيرة والعمارات في طور الإنجاز حالياً، ومجموعة من التجزئات الخاصة التي أنجزت خلال الثمانينات.

وتنتشر أحياء الصفيح بكثرة وسط قطاعات السكن الاقتصادي وعلى هوامش المنطقة الصناعية.

أما الجماعات القروية، فتعرف تحولات سريعة بالنظر لقربها من الدار البيضاء. فقد أصبحت تشكل اليوم مراكز دينامية سواء من حيث الأنشطة أو من حيث التوسع العمراني. ذلك أن الارتفاع المستمر لحاجيات المدينة الكبرى من الأراضي أدى إلى تقليص متوالٍ في الرقعة الزراعية لهذه الجماعة لفائدة السكن والوحدات الصناعية. ولذلك فالمساحات القليلة الفارغة بين هذه المراكز القروية والمدينة أصبحت مهددة بالابتلاع خاصة وأن المخطط المديري للولاية خصصها للتوسع الحضري المرتقب للدار البيضاء الكبرى.

مجال الصناعات الكبرى بالدار البيضاء : أما من الناحية الاقتصادية، فيبقى الطابع الصناعي والعمالي هو الغالب على وظائف هذه العمالة وبالخصوص جماعة سيدي البرنوصي، حيث تتركز نسبة هامة من الوحدات الصناعية الضخمة ذات الاشعاع الوطني والدولي. وتتميز بنية هذه الصناعات بالتنوع الكبير كما يظهر من خلال الجدول رقم 2 :

جدول رقم 2 : توزيع الصناعات بعمالة سيدي البرنوصي - زناتة - 1987.

الجماعات / نوع الصناعات	سيدي البرنوصي		عين حرودة		تيط مليل		المجموع	
	عدد الوحدات	عدد العمال	عدد الوحدات	عدد العمال	عدد الوحدات	عدد العمال	عدد الوحدات	عدد العمال
صناعة غذائية	23	2095	2	802	4 -	426	29	3323
صناعة النسيج والجلد	62	10741	10	898	1	60	73	11699
صناعة الخشب	1	100	4	330	1	210	6	640
صناعة الورق	10	892	4	185	-	-	14	1077
صناعة مواد البناء	7	672	4	64	4	240	15	976
صناعة جديدية وكهربائية	66	6331	14	1061	7	329	87	7721
صناعة كيماوية	31	3123	7	967	6	762	44	4852
صناعة متنوعة	4	185	2	48	-	-	6	233
المجموع	204	24139	47	4355	23	2027	277	30521

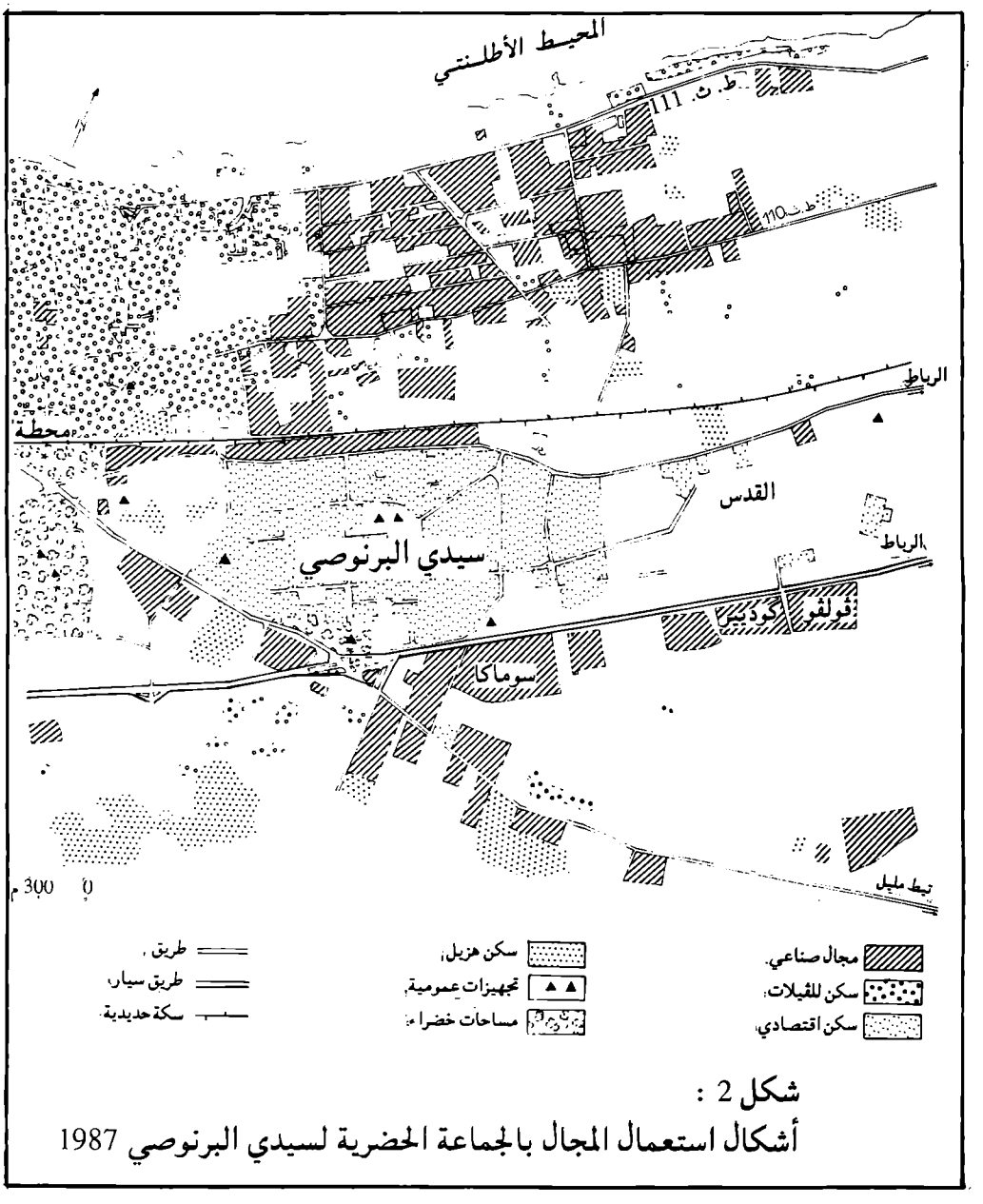

شكل 2 :
أشكال استعمال المجال بالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي 1987

تشغل صناعة هذه العمالة أكثر من 30 ألف عامل أي ما يعادل 15٪ من مجموع اليد العاملة المشتغلة بالصناعة بالدارالبيضاء الكبرى، وهي نسبة هامة تجعل العمالة تحتل الرتبة الثالثة في التراتب الصناعي بعد عمالتي عين السبع وأنفا.

وتتركز هذه الصناعات بصفة أساسية بجماعة سيدي البرنوصي التي تضم ثلاثة أرباع المصانع وحوالي 80٪ من عمال العمالة المشتغلة أساساً في الصناعات النسيجية والميكانية والكيماوية. وتنتشر هذه المصانع في المنطقة الصناعية الشرقية التي تغطي حوالي 536 هكتار، بشكل متوازٍ مع خطوط المواصلات (رسم رقم 3).

فبين السكة الحديدية والطريق الثانوية رقم 110 تمتد الوحدات الضخمة المتخصصة في الصناعات الميكانية والغذائية (بيرليي، سيكاليم...)، كما تنتشر مجموعة من الوحدات الكبرى المغربية أو المتعددة الجنسية على طول الطريق الثانوية رقم 111 والطريق السيار نحو المحمدية (جنيرال، سوماكا، كابلام...) وداخل المنطقة الصناعية، متميزة بهندستها الحديثة واتساع مساحتها.

كما امتدت هذه الصناعات إلى المجال القروي وخاصة بجماعة عين حرودة حيث تنتشر المعامل وسط الحقول وعلى طول الطريق السيار، محتلة مساحات شاسعة. وتنتمي هذه المعامل للرأسمال الأجنبي الألماني والأمريكي (گوديير، باير، هوكشست، فولفو...).

وتبقى الجماعة القروية لتيط مليل، مجالا ضعيف

التصنيع بالمقارنة مع الجماعات السابقة، إذ تتوفر على مجموعة من الوحدات الصغرى المتخصصة في صناعات مواد البناء أو إنتاج التجهيز المنزلي متفرقة وسط الأراضي الفلاحية.

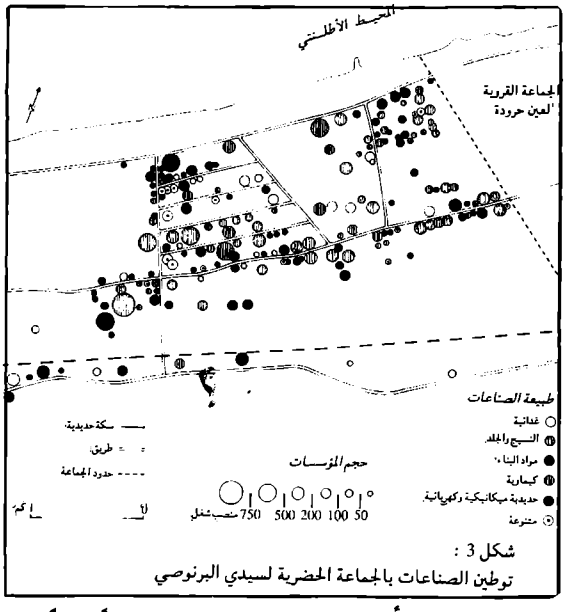

شكل 3 :
توطين الصناعات بالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي

ومن المنتظر أن تستقبل هذه الضاحية قسماً هاماً من الصناعات سواء عن طريق الإنشاء أو التحويل من الدار البيضاء. فلقد خصصت وثائق التعمير ثلاث مناطق صناعية جديدة تغطي حوالي 100 هكتار هي الآن في طور الانجاز بعين حرودة وتيط مليل. مما سيضاعف من ارتباط هذه المجالات القروية بالعاصمة الاقتصادية ويعجل باندماجها المباشر ضمن المجموعة الحضرية للدار البيضاء.

ع. كعيوا، *النسيج الصناعي بالدر البيضاء الكبرى*.

عبد القادر كعيوا

البرنوصي، أحمد بن محمد المعروف ببوكبّة أو بولحية. فقيه أستاذ "كان عالماً مشاركاً يحفظ القراآت السبع بتثبت وإمعان وإتقان في النطق". أخذ عنه في جملة تلاميذه عبد السلام ابن سودة، وقال في ترجمته في *الإتحاف* : له ترجمة في *سل النصال*، إلا أن هذه الترجمة ساقطة من النسخة التي تحت يدي.

توفي الأستاذ أحمد البرنوصي عام 1350 / 1931.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1350.

محمد حجي

البرنوصي إدريس ← **البخاري إدريس**

البُرْني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، كان من بين أفرادها العدل محمد بن عبدالخالق البرني الذي كان حياً سنة 1624/1033. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1636/1046.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرني، عائشة بنت علال، ولدت سنة 1938 بوادي زم، إقليم خريبگة. شاركت في حوادث الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 وحملت العلم المغربي وصورة محمد الخامس في المظاهرة التي أصيبت أثناءها برصاص قوات الاحتلال الفرنسي حين تدخلت لتفريق المتظاهرين بقوة السلاح، فسقطت شهيدة في ساحة الشرف.

المندوبية السامية، *شهداء الاستقلال*، ج : 2.

عزالدين العلاء

البَرْنيشة، مصطلح زراعي تقليدي مشهور في المغرب خصوصاً في النصف الشمالي منه. والبرنيشة من فعل بَرْنَش الأرض إذا قام بحراثتها (أو تقليبها) في نهاية موسم الحرث أو خلال فصل الربيع، من أجل مساعدة الأرض على التشميس وتحلل النباتات التي تقلب مع الأرض وتحولها إلى أسمدة تساهم في تقوية التربة، بالاضافة إلى احتفاظ التربة بقدر من الرطوبة نتيجة عملية البرنشة هذه.

وبما أن الهدف هو تقوية التربة فقد ارتبطت عملية البَرْنشة بالزريعة التي تساهم في تقوية التربة مثل القطاني عموماً كالفول والعدس أو بإقامة البحيرة ـ بكسر الحاء ـ فيها، وهي زراعة الفواكه الصيفية كالبطيخ والدلاح والفقوس الخ. باعتبار أن هذه الزراعة تعمل على تقليب الأرض من جهة، وتسميدها من جهة أخرى، وهي عملية تساعد على تقوية التربة كما هو ملاحظ.

وتطلق البرنشة على الأرض الفلاحية التي تمر بالدورة الزراعية الثانوية في إطار النظام الزراعي التقليدي الذي تكون فيه الدورة الزراعية تمر بمرحلتين أو ثلاث مراحل هي :

ـ دورة زراعة الحبوب (قمح أو شعير) وهي الدورة الرئيسية.

ـ دورة ثانوية تزرع فيه القطاني (فول ـ عدس ـ بحيرة)

ـ وإذا كانت الأرض أضعف من ذلك أعطيت دورة ثالثة تترك فيها بدون حراثة لتستريح، وتسمى هذه الدورة دورة (التَّبورُ) من البور وهو عدم الاستغلال، وتكون هذه الدورة الأساسية عادة بعد الدورة الرئيسية الأولى، وتأتي البرْنشة في الدورة الثالثة باعتبارها إعداداً للأرض من أجل الدخول في الدورة الأساسية.

وعندما تترك الأرض لتبور يستفاد من حشائشها الطبيعية في رعي الماشية خلال فصل الربيع. وبذلك تكون دورة التبور هذه دورة رعوية. ومنها تنتقل إلى الدورة الثالثة وهي دورة البرْنشة استعداداً للدخول في الدورة الحبوبية الأساسية.

هكذا يتبين أن بَرْنشة الأرض عبارة عن نظام للدورة الزراعية التقليدية في عصر ما قبل دخول الأسمدة الفلاحية لتخصيب التربة بالمغرب العتيق، دورة تعتمد في الأساس على نظام الأمطار، وطبيعة التربة (الضعيفة الخصوبة بالأساس). والنظام الفلاحي الذي يتميز باندماج تربية

الماشية في نظام الدورة الزراعية. دورة إذن تقوم على ثلاث معطيات تهدف كلها إلى تحقيق انتاج جيد ومتكامل : فالأرض ضعيفة الخصوبة، والأمطار متوسطة أو ضعيفة أحيانا نظراً للذبذبات المناخية التي تعرفها البلاد من حين لآخر. والماشية ضرورية للفلاح سواء بالنسبة لسد الحاجيات الاقتصادية أو بالنسبة لتوفير الأسمدة الطبيعية.

معلومات ميدانية.

أحمد العماري

بَرْنيط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1747/1160.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

البُرهان، جزيرة تعرف عند الإسبانيين بـ Isla de Alboran من الجزر المغربية المحتلة من طرف إسبانيا، غير أن الكتاب المغاربة الذين يهتمون بقضية الجيوب المغتصبة يجهلون وضعيتها فلم يعدوها من بين المغتصب من أرض الوطن.

صحيح أن إسبانيا تزعم أن الجزيرة المذكورة غير مغربية لأنها تبعد عن الشاطئ المغربي بـ 56 كيلومترا، ولكن إسبانيا "تنسى" أنها تبعد عن شاطئها بـ 90 كيلومتراً، وأن إسبانيا لم تفكر في احتلالها إلا عندما أقدمت على احتلال جزر كبدانة بدليل أن الاحتلال الإسباني الرمزي لجزيرة البرهان تم بعد يومين من احتلال جزر كبدانة.

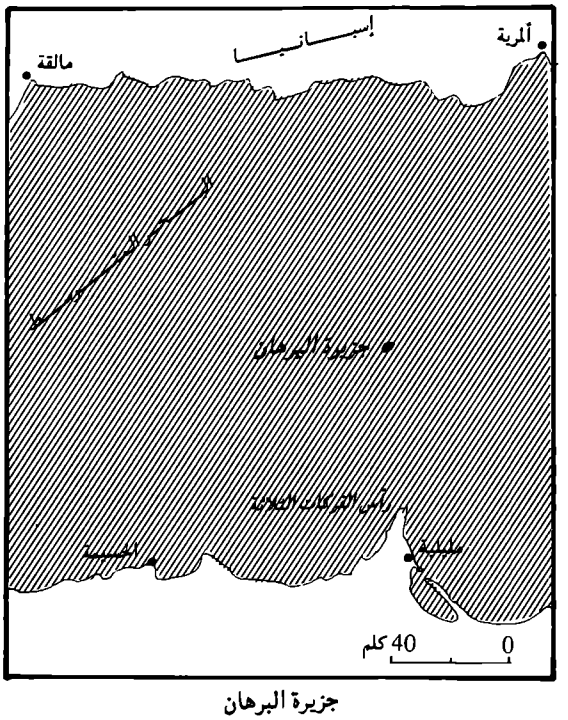

جزيرة البرهان

وهناك حجة أخرى تثبت أن جزيرة البرهان لم تكن تابعة لإسبانيا قبل سنة 1848/1264 وهي أن فرنسا كانت قبل ذلك التاريخ بقرنين قد فكرت في الاستيلاء على جزيرة البرهان وعلى جزر كبدانة حيث نجد الأميرال الفرنسي دي نوهيكا رئيس الأسطول الفرنسي بالبحر المتوسط يقول للوزير الأول ببلاده يوم 11 رجب 1072 / ثاني مارس 1662 ما يلي :

"لقد توصلت بالأمر الذي أصدرتموه لي بأمر من الملك من أجل القيام بزيارة جزيرة البرهان الواقعة على مدخل البحر المتوسط بالقرب من البوغاز، وزيارة جزر كبدانة أيضا".

وفي يوم ثاني شوال 1076/ أبريل 1666 نجد في التقرير الذي أعده المبعوث الفرنسي لدى السلطان مولاي رشيد ما يلي :

"غادرنا مدينة المرية يوم 5 أبريل 1666 (28 شعبان 1076)، وفي اليوم التالي وصلنا إلى جزيرة البرهان حيث قمنا بجولة استطلاعية عبرها منذ الصباح الباكر إلى حوالي الساعة الثانية بعد الظهر".

وفي يوم 9 جمادى الثانية 1080 / 4 نوفمبر 1699، أصدر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر مرسوما يأذن لسافيلي وجوليان في إقامة مؤسسة تجارية بكل من جزيرة البرهان وجزيرة النكور، وقد اعترف العاهل الفرنسي في المرسوم المذكور بمغربية جزيرتي البرهان والنكور حيث أشار إلى أنهما تقعان في شاطئ أفريقيا بمملكة ملك المغرب".

وعلى كل حال فإن عملية الاحتلال الرمزي لجزيرة البرهان لم تتم إلا يوم فاتح صفر 8/1264 يناير 1848، أي بعد يومين من الاحتلال الفعلي لجزر كبدانة، ونقول أن العملية كانت رمزية بخصوص البرهان لأن الجنرال سيرانو اكتفى بزيارة الجزيرة المذكورة والتصريح أمام جنوده بأنها أصبحت تُعد جزيرة إسبانية، وقد غادرها دون أن يترك بها أية حامية. ولم يتم إقامة حامية عسكرية بالجزيرة إلاّ يوم 14 ذي القعدة 23/1387 فبراير 1968، أي بعد مرور اثنتي عشرة سنة على استقلال المغرب.

ومن بين المصادر الأجنبية التي تعدُّ جزيرة البرهان من بين الجيوب المغربية المحتلة من طرف إسبانية يوجد كتاب الألماني Wolfrom (ص 40) وكتاب الفرنسي Tardieu (ص 57) وكتاب الراهب الإسباني Castellano (ص 139).

والجدير بالذكر أن جزيرة البرهان هي التي أطلق عليها الجغرافي اليوناني سيلاس Scylax اسم دريناويا Drinaupa في رحلته المشهورة. ومساحة الجزيرة تقدر بتسعين ألف متر مربع.

G. Wolfrom, *Le Maroc* ; A. Tardieu, *La conference d'Algesiras* ; P. Castellanos, *Historia de Marruecos* ; Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرهمي الإدريسي بن ناجم، من مواليد أولاد بوالسباع بشيشاوة سنة 1929. انتقل إلى الدار البيضاء وانضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح المسلح بروح حماسية تحت رآسة عبدالعزيز لحلو ومحمد الزرقطوني وذلك سنة 1953. كان يوزع المناشير ويضرم النيران ويقوم

بالاستخبارات وإعانة المسجونين وجمع الأموال إلى أن ألقي عليه القبض، فسجن بمركز المعارف للاستنطاق ومعرفة أسرار المنظمّة الفدائية. ولتحاشي كل اعتراف لم يتردد في ابتلاع قرص السم واستشهد في 10 رمضان 1373/1954.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلاء

البرهمي، أسرة سلوية تنتسب إلى المولى عبد السلام بن مشيش الحسني الإدريسي دفين جبل العلم، عن طريق جدهم محمد بن عمران العباسي الشريف العبدلاوي اليوسفي الشهير بمدشر كندماس من منازل بني عبد الله بقبيلة بني يوسف من البلاد الهبطية. ويبدهم في هذا الصدد عدة رسوم ثابتة أحدها عبارة عن نسخة عقد نسب مؤرخ بأوائل رمضان عام 1127 يشهد شهوده العدول العشرة، ثمانية منهم شرفاء بصحة نسب الشرفاء أولاد عمران المُكنّين بالعباس القاطنين بمدشر كندماس... ومنهم ابن عمهم القاطن بمدينة سلا سيدي علي العباس، وبعد ذكر أسماء الشهود إعلامُ القاضي في حينه محمد بن عتّ الشريف بثبوت النسخة بتاريخ 4 رجب عام 1219 يليه توقيع الشهود فالقاضي ابن عت فقضاة آخرين بتأكيد الإعلام بالثبوت. وفي رسم ثابت آخر مؤرخ في أوائل رجب عام 1219 شهوده كلهم عدول شرفاء من آل العباس يشهدون بأن بني عمهم علي الخارج من بني يوسف إلى سلا قد تفرقوا إلى الرباط وبني حسن، وبأن علياً المذكور يوجد مع أسلافهم بظهائر شرفهم.

نعلم إذاً أن جدهم علياً العباس كان قاطناً بسلا منذ أوائل القرن الثاني عشر (18 م) وأنهم كانوا يُدعون بالعباس. وأن أبناءه تفرقوا بالرباط وبني حسن ببادية سلا. ولعل هذا ما يفسر استبدالهم لقب البرهمي بالعباس، إذ يعتبر البراهمة من أهم عشائر قبيلة بني عامر الكبرى بضاحية سلا (*التعريف*، 2 : 265). ومما يدعم هذا الافتراض أن فريقاً من البرهميين السلويين بقوا يشتغلون بالفلاحة وتربية الماشية والاتجار فيها إلى السنوات الأخيرة، وبأيديهم تقايد قديمة ورسوم عديدة تثبت ذلك. وقد أضاف أحدهم وهو عبد السلام بن بوسلهام البرهمي كنية جديدة هي بومسلّك لجريان لفظ "سلّك" على لسانه، الدال على تساهله في بيوعاته في الماشية. وكان من جملة أملاكه بسلا سانية (جنان) بباب شعفة قرب المسجد الأعظم مليئة بحظائر المشاية حملت هذه الكنية سانية بومسلّك وأصبحت اليوم خياً عامراً.

البرهمي، بوسلهام (سيدي ـ) بن محمد السلوي، كان فلاحا موصوفاً بالفضل والبركة موسعاً عليه في الرزق، ولدى حفدته تقييد طويل يشتمل على مآت الأسر السلوية العريقة التي كان يتعامل معها، يذكر أحياناً عدد رؤوس الغنم المقدمة إليهم وأثمانها ويكتفي أحياناً بذكر الثمن. ويبدو أن ذلك كان يقع بمناسبة عيد الأضحى وفي ولائم النكاح والعقيقة، ويدل تكرر أسماء بعضهم، ولا سيما الفقهاء والعدول والمدررين، على أن الحياة الاقتصادية بسلا لم تكن ما يرام في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، لا سيما وأن الكثير منهم لم يشطب على المبالغ التي بذمتهم.

مات بوسلهام البرهمي بعد عام 1312 / 1894، وهو تاريخ آخر عقد إشهاد عليه بالإبراء.

البرهمي، عبد السلام (سيدي ـ) بن سيدي بوسلهام السلوي، كان ـ كأبيه ـ فلاحاً تاجراً. تذكر وثيقة عدلية مؤرخة في ثالث شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900 أنه كان من بين كبار تجار مدينة سلا الذين جمعهم خليفة العامل بأمر من السلطان عبد العزيز، مع أمين المستفاد بالمدينة والعدول لتجديد الاسترعاء عليهم حتى لا يعودوا للتعامل مع العمال والأشياخ ومن في معناهم ممن لديه تصرف بالقبض والدفع في الرعية. متغافلين عما صدر من أوامره وأوامر والده الحسن الأول وجده المولى محمد بن عبد الرحمان بمنع ذلك مادام جميع ما بأيديهم هو لبيت المال.

وكانت وفاة عبد السلام البرهمي حوالي عام 1345 / 1926.

البرهمي، علال (سيدي ـ) السلوي، لم تذكر الوثائق اسم والده، وهو ليس من فريق البرهميين الفلاحين، بل من أبناء عمهم، كان من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية بسلا، وبهذه الصفة نجده في 16 قعدة عام 1296 / 14 دجنبر 1875 أدرج في قائمة البحريين الذين خرجت لهم صلة من الحسن الأول ناله منه ـ كسائر قرنائه ـ 26 أوقية. وفي 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894 أُدرج في قائمة صلة أخرى للبحريين المجاهدين وكان نصيبه فيها 13 أوقية. ولم نقف على تاريخ وفاته.

البرهمي، قاسم بن الهاشمي الزروالي، لا ندري إن كانت له علاقة مّا بالبرهميين السلويين، وكل ما نعلم عنه أنه كان طالباً ينسخ الكتب. ومن منتسخاته مخطوط *معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب*، لأحمد بن زكري التلمساني المتوفي عام 899 / 1493.

وثائق مختلفة : عقود نسب وأنكحة وبيوعات وتقايد بيد آل البرهمي ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين ونبذة عن وثائقهم*، ج 2 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، ص 96.

محمد حجي

بَرْهُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barahona وهو أيضاً اسم مدينة بمقاطعة صوريا الإسبانية، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان العالم :

بَرْهُون، محمد بن محمد المتوفى سنة 1336/1917.

وما زالت هذه الأسرة بتطوان، كما توجد زنقة بحومة العيون تحمل اسمها.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 34 / 6 : 172 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْرُو، (أولاد ـ) أسرة بدوية أنجبت علماء واستوطنت قرية أمولة بقبيلة بني سلمان إحدى القبائل الغمارية الوسطى، منهم :

بْرو، محمد بن علي، قرأ بفاس وتولى التدريس بجامع قريته أمولة واشتغل بالعدالة والإفتاء، ثم عُيِّن قاضياً على قبيلة بني زيات بغمارة، وفي أخريات حياته أُلحِقَ بمحكمة الناضور بمنطقة الريف الشرقية، وتوفي عام 1983/1404.

بْرو، محمد بن محمد، تعلم ببلده، وأنهى دراسته بفاس، وبعد عودته تولى خطابة الرسوم، والفصل بين الخصوم، بدون ظهير أو قرار ـ على عادة فقهاء البادية قديماً. وكان ذا خط جميل، ثم ولي القضاء على قبيلته بني سلمان بظهير خليفي مؤرخ بعام 1926/1345 ثم عزل.. ولم أقف على تاريخ وفاته.

بْرو، موسى بن عبدالله السلماني وهو أقدم من عُرف من علماء هذه الأسرة، وربما كان يُدعى برور أو بروج ـ كما عند الزياتي في *نوازله* ـ ولكثرة الاستعمال حذف آخره تخفيفا فصار (برو). كان عالماً جليلاً، وفقيهاً نوازلياً، له *تأليف في علم الجدول* ينقل عنه الزياتي.

لم أقف على تاريخ وفاته، وقد عاش في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (15 م)، معاصراً للحسن بن يوسف ابن عرضون الشهير، كما يذكر التسولي في نوازله.

ع.الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ ع. التسولي، *النوازل*، مخطوط ؛ ع. بوخزار، *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان*، مخطوط.

سعيد أعراب

برواگ، أو برواق جنس نباتات عشبية معمرة من الفصيلة الزنبقية Liliaceae بعضها برية وبعضها تزرع لأزهارها. البرواگ هو الاسم الشائع في المغرب ويطلق عليه في الشرق العربي الخنشى والبرواق.

الجذمور قصير، الساق قوي وكثيف، الأوراق قاعدية وطويلة. ينتهي الساق بباقة من الأزهار كلها بيضاء. الثمرة جافة متفتحة.

تعيش في المغرب عدة أنواع من البرواگ نذكر منها :

ـ برواگ صغير الثمر Asphodelus microcarpus، وهو شائع في السهول والجبال التي يقل ارتفاعها عن ألفي متر، وذلك في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

ـ البرواگ الصيفي Asphodelus aestivus الذي ينمو في السهول فقط ويقتصر توزيعه الجغرافي على غابة المعمورة وسهول الغرب الشمالية. يعيش على الأراضي الرملية في المراعي وتحت ظلال الغابات.

ـ البرواگ الدقيق الورق Asphodelus tenuifolius وAsphodelus refractus يعيشان في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

ـ يعيش البرواگ من نوع Asphodelus ceraseferus في البلدان المتوسطية الغربية، وهو شائع في الريف والأطلس المتوسط وفي السهول والمرتفعات المتوسطية.

M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs* ; N. Galland, *Recherches sur l'origine de la flore orophyle du Maroc*.

نجاة الخياطي

البْرُوَة أو البْرُوَي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت سنة 1757/1170.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البروج ـ جغرافيا، مدينة تقع على مسافة 130 كيلومتر من ساحل المحيط الأطلنتي و400 متر من الارتفاع عن سطحه. وهي المركز الحضري الوحيد الذي تمكن من النمو داخل مضلع كبير، يغطي نحو 8.000 كلم^2 وله زواياه الخمس بمدن سطات في الشمال الغربي (على بعد 68 كم بخط مستقيم) وخريبگة في الشمال الشرقي (47 كم) والفقيه بن صالح في الشرق (47 كم) وقلعة السراغنة في الجنوب (55 كم) وبن گرير (78 كم) في الجنوب الغربي. وبذلك تبرز البروج منعزلة بين أربع مجموعات حضرية : مدن الفسفاط بهضبتي ورديغة من جهة والقنطور من جهة أخرى، ومدن الري بتادلا والسراغنة ثم مدن الشاوية.

وعلى عكس هذه المدن التي اندمجت، بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، في الاقتصاد العصري (الاستخراج المعدني، الفلاحة المسقية، المكننة الفلاحية، الصناعة) فعرفت، في مجملها، نمواً سكانياً هاماً. وأحياناً متفجراً، جعل بعضها تنتقل، في ظرف بضعة عقود من الزمن، من حالة مركز بسيط أو قلعة صغيرة أو قرية متواضعة أو سوق أسبوعية إلى مدينة متوسطة أو كبيرة تناهز 150.000 (بني ملال) أو 200.000 نسمة (خريبگة)، فقد تميزت البروج بتكاثر سكاني بطيء نسبيا تركها دون عشرة آلاف نسمة حتى الآن.

يظهر أن البروج دأبت تقوم، في القرن التاسع عشر، بدور نزالة على طريق قوافل ثانوية كانت تشتغل بين السراغنة وتادلا الجنوبية من جهة والشاوية من جهة أخرى، في اتجاه ميناء الدارالبيضاء. وكانت لذلك هي السوق الأسبوعية لقبيلة بني مسكين. غير أن هذه السوق ظلت متواضعة جداً، تقل أهمية عن كل أسواق الشاوية، وهي الوضعية التي تحدث عنها ببرينيي M. de Perigny حيث أكد أن واجبات المكوس المستحقة على الباعة في سوق

البروج سنة 1917 كانت لا تزيد عن 74.000 فرنك، أي أقل بكثير مما يُجمع بأسواق سطات وبن أحمد وبرشيد وبن سليمان والگارة وأولاد سعيد الواقعة كلها بناحية الشاوية الشمالية الأكثر خصباً والأكثف تعميراً.

ولم تعر السلطات الفرنسية أهمية كبيرة للبروج، رغم أنها احتلت ناحية بني مسكين في وقت مبكر، أي بُعَيد معاهدة الحماية، نظراً لسهولة سطحها ولمحاذاتها مجال الشاوية السفلى التي دخلت تحت السيطرة المباشرة لفرنسا ابتداء من 1907. كما أن قبيلة بني مسكين كانت تابعة لقائد سطات قبل الحماية، فإن هذه الأخيرة اكتفت بانشاء مركز للمراقبة المدنية (وهو أدنى درجة في هرم التقسيم الاداري آنذاك) بالبروج، في إطار دائرة الشاوية الجنوبية.

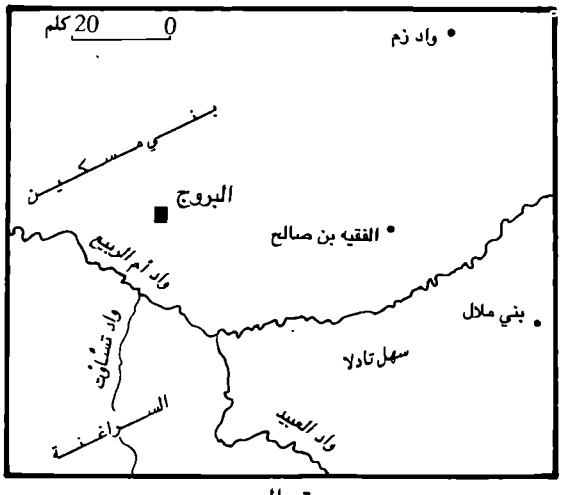

موقع البروج

ونظرا لبعد ناحية بني مسكين عن الساحل الأطلنتي عموماً، وعن الدارالبيضاء خصوصا من جهة، ولجفاف مناخها (إذ أنها تتلقى فقط بين 250 و350 ميلمتر من الأمطار سنويا) مع تعذر إمكانية سقيها (رغم قرب نهر أم الربيع)، وقلة خصوبة تربتها على العموم من جهة أخرى، فإن منطقة البروج لم تعرف الاستعمار الفلاحي الفرنسي مبكراً كما حدث بالشاوية السفلى. لكن على عكس هذه الأخيرة. وكذا جل المناطق الفلاحية الغنية بالتربات أو ماء السقي (سايس مكناس، زمور، الغرب، تادلا، سوس، تريفة...) حيث كانت السيادة لأراضي الاستعمار الفلاحي الخاص المتميز بامتلاك المعمرين مباشرة للأرض، فإن منطقة بني مسكين انتشرت بها فقط أراضي الاستعمار الفلاحي الرسمي الموزعة على المعمرين من طرف الدولة الفرنسية التي اقتطعتها خلال العشرينات من الأراضي الجماعية بالدرجة الأولى (كما يرخص بذلك ظهير 1919). وبذلك فقدت القبيلة قسما هاماً من محاطها جُزِّئ إلى عدة قطع تمتد كل منها على مئات الهكتارات تسلمتها شركات رأسمالية كبيرة لتمارس فوقها تربية الأغنام (سلالة السردي) على الخصوص اعتماداً على زراعة الشعير والقطاني ومزروعات علفية أخرى، إضافة إلى زراعة القمح في الجهات الملائمة.

وبسبب هذا الشكل من الاستغلال الفلاحي المتميز بالضيعات الرأسمالية الشاسعة وتربية الأغنام، فإن ناحية بني مسكين لم تشهد أي استقرار أوربي ذي بال، بحيث إن الأعمال الفلاحية التي كانت تُسيِّر انطلاقا من الدرالبيضاء لم تكن تحتاج إلى تأطير محلي هام. لذا فإن عدد الأوربيين لم يزد عن 17 فرداً بالمجال الريفي وعن 18 بمركز البروج، في 1936. ويظهر أن الطائفة اليهودية لم تكن قط ذات قيمة تذكر بهذه المنطقة بسبب ضعف إمكانياتها التجارية وعزلتها : ففي 1936، لم يُحص سوى 7 يهود بالأرياف و3 بالبروج، مقابل 40.500 و1.344 مغربي. وحتى مطلع الخمسينات، عندما بلغ الاستعمار الفلاحي أشده، بقي عدد الأوربيين دون الثلاثين بالمجال الريفي وفي حدود 60 شخصا بالبروج، بينما اختفى اليهود من المنطقة.

ويفسر هذا الاستقرار الأوربي الضعيف بالمنطقة العناية المحدودة جداً التي أعطيت لمركز البروج الذي لم يتلق سوى تجهيزات بسيطة للغاية، تتلخص في بعض المرافق الإدارية الأولية. غير أن وجوده على تخوم أراضي المعمرين المنتشرة شماله، جعله مقرا لبعض الخدمات الفلاحية التي يلزم توفرها محلياً، كإصلاح الآلات وتزويدها بالوقود، وكذا جمع منتجات الزراعة والماشية ببني مسكين قبل وسقها للدارالبيضاء.

وفي إطار التقسيم الإداري الجديد الذي تلا الاستقلال مباشرة، أصبح البروج مقر جماعة قروية تحمل اسمه. ورغم كون المركز لم يستقبل، إثر ذلك، أية تجهيزات هامة، فإن حركة التوافد إليه انطلقت بحدة من بني مسكين، وبالخصوص من الأرياف المباشرة. غير أن تيار الهجرة هذا خف كثيراً فيما بعد، لأن المركز استمر على حالته السابقة مفتقرا لكل عناصر استقطاب السكان، فيما يخص امكانيات التشغيل والإسكان وتقديم الخدمات الاجتماعية الأساسية. وهكذا توجه مهاجرو بني مسكين إلى خارج المنطقة، نحو تادلا ومدنها حيث يستمر القطاع المسقي في التوسع، نحو خريبگة ومناجم الفسفاط، وكذا إلى سطات العاصمة الإقليمية، وبالطبع صوب الدارالبيضاء. بل إن المركز نفسه فقد جزءاً كبيرا من سكانه خلال عقد الستينات إذ أن نسبة تكاثره الديمغرافي (1,16٪ سنوياً في المتوسط) لم تمثل حتى نصف الزيادة الطبيعية الناجمة عادة عن حركة التوالد والوفاة.

وتغيرت الأوضاع نسبيا أثناء العقد التالي لما ارتقى مركز البروج إلى عاصمة إدارية تؤطر دائرة تمتد على 1934 كم^2 وتتضمن ست جماعات قروية، هي، إضافة إلى جماعة البروج نفسها، جماعات القراقرة وأولاد بوعلي ودار الشافعي وبني خلوگ وأولاد فريحة. وسمحت هذه الترقية الادارية للمركز باستقبال بعض التجهيزات الاجتماعية الأساسية في ميادين الصحة والتعليم والتجارة البسيطة والخدمات الأولية، الشيء الذي ساعد على تثبيت نسبة أهم من سكان البروج واجتذاب أعداد أكبر من أرياف بني

مسكين حيث اشتدت الهجرة أكثر من ذي قبل بسبب سنوات الجفاف القاسية التي ضربت المغرب عموماً والمناطق الداخلية بصفة خاصة ؛ فلم تَنْمُ أرياف بني مسكين إلا بنسبة 1,6٪ سنويا بين 1971 و1982، بينما زاد سكان المركز بمعدل 3,44٪ أي ثلاثة أضعاف ما سجلته فترة 1960-1971. كما يلاحظ أن السكان القاطنين في أحواز البروج، الذين يستفيدون مبدئيا أحسن من غيرهم من تجهيزات المركز وسوقه الأسبوعي، تميزوا خلال هذه الفترة بزيادة ديمغرافية أهم نسبيا من سكان الجماعات الأخرى البعيدة.

تطور سكان دائرة البروج بين 1936 و1982

الجماعات	1936*	1960*	1971*	1982*	1990**
دارالشافعي	10758	13248	17643	20318	22500
بني خلوگ	8821	10482	13571	16858	19500
أولاد بوعلي	5620	10738	12709	15192	17000
البروج	5165	7952	9778	12389	14500
أولاد فريحة	6366	9614	11864	13034	14000
القراقرة	3718	5404	6717	8314	9500
مركز البروج	1344	3954	4489	6510	8500
المجموع	41792	61392	76771	92615	105500

* إحصاء ** تقدير

هكذا تكون أرياف بني مسكين قد زادت بأربعين ألف نسمة بين 1960 و1990 بينما سجل مركز البروج ركوداً سكانياً خلال الستينات (535 ساكن إضافي فقط بين 1960 و1971) وتكاثراً حثيثاً طيلة العقدين التاليين حيث كسب أربعة آلاف ساكن جديد.

كان من نتائج هذه الانطلاقة السكانية العارمة أن توسعت المباني الهزيلة بشكل عشوائي منتشرة في كل الاتجاهات انطلاقاً من النواة المركزية والسوق الواقعتين عند ملتقى الطرق والمسالك الرابطة بين تادلا والسراغنة جنوباً وشرقاً، وهضبة ورديغة والشاوية شمالا. ففي أواخر الثمانينات، كان النسيج العمراني يتألف من حوالي 1300 مسكن موزعة على خمس وحدات كبرى متميزة، إضافة إلى افتتاح ست تجزئات سكنية جديدة تغطي نحو 40 هكتاراً. وقد عمل المهاجرون النازحون من بني مسكين إلى الخارج، وبالخصوص إلى إيطاليا، على تنشيط قطاع البناء بالمركز مما ترتب عنه ارتفاع سريع وحاد لأثمان الأرض، وبالتالي احتدام ظاهرة المضاربة العقارية، خاصة في المواقع المركزية، وما ينجم عن ذلك من تشتت في البنايات على الأطراف، ومن صعوبة ربط أجزاء المدينة بمختلف الشبكات (الماء، الكهرباء، التطهير، الطرقات...).

ولم تواكب التجهيزات العمومية والخصوصية هذا التوسع السكاني والعمراني. ففي 1989، لم يكن بالبروج سوى ثلاث مدارس ابتدائية بها نحو ألفي تلميذ وتلميذة، إضافة إلى ثانوية إعدادية واحدة يدرس بها حوالي ألف آخر ؛ كما لم تكن بالطبع الداخلية التي تتوفر عليه هذه المؤسسة الأخيرة، بأسرّتها المائتين، لتفي بحاجيات سكان الجماعات القروية لدائرة البروج (نحو 95.000 نسمة). يضاف إلى هذا مقر للاستئناس المهني ودار للشباب.

ويشكو القطاع الصحي من نقص بيّن إذ لم يكن بالمدينة سوى طبيبين غير متخصصين، أحدهما بالقطاع الخاص، والآخر بالقطاع العمومي يعمل بالمركز الصحي الوحيد بمعية أربعة عشر من أعوان التمريض، لكن بدون أسرة استشفاء ؛ كما أن هناك صيدلية فريدة.

ويتمثل القطاع الإداري في أجهزة تسيير الدائرة والجماعة، وكذا مكاتب الدرك والقاضي المقيم والبريد والقباضة المالية وتوزيع الكهرباء وماء الشرب. كما أن هناك بعض المصالح للتأطير الفلاحي (المياه والغابات، البيطري، القرض الفلاحي)، إضافة إلى وكالة بنكية.

هناك أيضا ضعف في التجهيز التجاري والخدمات، إذ أن عدد الدكاكين بالمركز لا يتجاوز المائتين، أي بمعدل دكان واحد لأزيد من 40 ساكنا. ويتجمع نصف هذه الدكاكين بقلب المدينة ارتباطا بمحطة المسافرين والسوق الجماعية المغطاة والمسجد، في حين يَتناثر نصفها الآخر عبر أحياء المدينة وخاصة على طول الطرقات الرئيسية ؛ يتعلق الأمر أساساً بمحلات صغيرة تشتغل بتجارة المكاسرة البسيطة (تغذية ولباس) أو بحرف النقل (إصلاح السيارات والشاحنات...) والبناء (نجارة وحدادة) والخدمات الشخصية العادية.

يعوّض نسبياً هذا النقص الحاصل في المحلات القارة سوق الأحد الذي يعتبر بحق الجهاز التجاري الأساسي بالنسبة لسكان لم ينسلخوا بعد من أسلوب عيشهم الريفي. وهو من أهم أسواق الشاوية فيما يتعلق بالأغنام التي يتخصص في شرائها تجار حَجَّاجِيُّون (من جماعة ومركز سيدي حجاج، شرق سطات) قصد حملها إلى مجازر الدارالبيضاء. وينشّط هذا السوق، خلال الصيف، المهاجرون العائدون من الخارج بما يروجونه من عملة أجنبية (الصرف) ومختلف أنواع السيارات المستعملة التي نقلتهم من أوربا، وإيطاليا على الخصوص.

يظهر إذن أنه رغم ارتقاء البروج إلى مركز دائرة، يظل هزيل الاشعاع على قبيلة بني مسكين. فهذا المركز يعاني كثيرا من عزلته من جراء موقعه على الهامش الجنوبي الشرقي للشاوية الداخلية،، بعيداً عن الساحل النشيط. فهضبة بني مسكين فقيرة جداً من حيث طرق المواصلات، ضعيفة الربط بالمناطق المجاورة، الشيء الذي لا يشجع على تطوير الانتاج الفلاحي في بيئة جافة تبلغ الكثافة السكانية الإجمالية بها مستوى 55 نسمة في الكم^2. غير أنها تستطيع الاستفادة من عبور أم الربيع على أطرافها الجنوبية لو تيسرت إمكانية السقي من هذا النهر الكبير (سد المسيرة). كما يمكن لمركز البروج أن ينتعش عن طريق

اندماجه في اقتصاد تادلا نظراً لقربه من هذا السهل الذي تتوسع فيه الفلاحة العصرية المسقية باستمرار.

احصاءات السكان لسنوات 1936، 1952، 1960، 1971 و1982.

J. Gadille, *Exploitations rurales européennes, Atlas du Maroc*, planches 33b et notice, 1958 ; M. de Perigny, *Au Maroc : Casablanca, Rabat, Meknès*. Paris, 1919 ; in M. Chouiki : *Settat et son rôle régional*, Thése de 3e cycle en géographie. Université de Tours.

عبداللطيف فضل الله

البروج، ـ تاريخ ـ قصبة قديمة تقع وسط قبيلة بني مسكين بالشاوية الجنوبية على بعد 144 كم جنوب الدارالبيضاء، و96 كم من تادلا. وتحد من الشرق بقبائل بني موسى، ومن الشمال بورديغة، ومن الجنوب بالسراغنة. وتحيط بها مباشرة قبائل بني مسكين الشرقيين.

ومن المحتمل أن البروج قد صارت فيما بعد علماً للقصبة التي يعتقد بعض عرفاء البلدة ـ حالياً ـ أنها من بناء السلطان الحسن الأول. لكن يبدو أن قصبة البروج قديمة. إذ يذكرها الأسير الانجليزي طومابيلاو في *رحلته*. ويجعلها إحدى المراحل في الطريق الواصلة بين مكناس ومراكش. وقد مر بها في أثناء الحملة الموجهة إلى هذه الأخيرة سنة 1722. وتشير مگالي مرسي (ص. 161 هامش 407) إلى أن هذه القصبة شكلت جزءاً من المنطقة العسكرية التي كانت إلى نظر بيلاو. ومما يؤكد تعليقها أنه يقول قبل ذلك : "واستقبلت جيوش السلطان (هناك) استقبالا حاراً من طرف السكان الذين أبدوا كثيراً من الحبور" إلا أن المصادر العربية لا تذكر ـ فيما نعلم ـ البروج إلا في القرن التاسع عشر، فقد ذكرها في *الاستقصا* (9 : 129)، إذ مر بها السلطان الحسن الأول عندما توجه من مراكش إلى فاس، لإخماد ثورة الدباغين سنة 1873/1290، حينما علق هؤلاء بيعته على إلغاء ضريبة المكس. وتكررت نفس الاشارة لدى ابن زيدان حيث قال :"فسار من مراكش لقبيلة السراغنة ثم البروج ثم گيسر من بلاد تامسنا متوجهاً إلى فاس لإخماد ثورة الدباغين" (*اتحاف*، 2 : 134).

يظهر أن السلطان مرّ بالبروج، لأول مرة بعد بيعته بمراكش، ويكون ذكرها متصلا بهذا المرور لما جازها نعشه سنة 1894/1311. فقد توفي السلطان الحسن الأول بدار ولد زيدوح من تادلا، ليلة الخميس ثاني ذي الحجة سنة 1894/1311، فكتم الوزير أحمد بن موسى البخاري موته. وأمر نساء الحريم بالتجلد والكتمان (*إتحاف*، 2 : 459). وأدخل جثمانه في المحفة "حملت على القاعدة المعلومة، وأحدق بها من كان يحاذيها على العادة وظل يتردد إليها موهما بأنه يحدثه أو يستجيب لندائه (L. Arnaud, *Mehallas*) وبعدما عبرت المحلة وادي أم الربيع من مشرع تَرْمَاسْت جدت السير حتى وصلت إلى البروج، حيث خيمت بها عند الزوال (*إتحاف*، 5 : 372). وبعدما ضربت الأخبية واستراح الناس، اجتمع أعضاء المخزن بالمسجد حيث تم الإعلان عن موت السلطان، ونصر ابنه عبدالعزيز. فأطلقت المدفعية خمسين طلقة، وأمر الحاجب السلطاني بغسل جثة السلطان الراحل ثانية وتسجيته. يستنتج من هذه المصادر أن البروج كانت قصبة مأهولة على الأقل منذ عهد المولى إسماعيل، وأنها بالاضافة إلى ذلك كانت تدار ضمن القبيلة ككل، من قصبة دار الشافعي.

ومن الممكن كذلك أنها كوّنت احدى "النزايل" الرئيسية في الطريق السلطانية، حيث كانت المحلات تحط بها لتستريح قبل أن تستأنف السير. ولعل ذلك دعم مكانتها وأسهم بالتالي في توسع تعميرها خاصة وأنها تقع في وسط اعتبرت قبائله منقادة للسلطة المركزية باستمرار ذلك أن الحاجب أحمد بن موسى خشي إعلان وفاة السلطان في منطقة تادلا لكن بمجرد وصوله إلى البروج بادر إلى البوح بما كتم.

هل احتفظت البروج بنفس المكانة في عهد السلطانين المولى عبدالعزيز، والمولى عبد الحفيظ ؟ يبدو أن الطرق قد انحرفت عنها بسبب الظرفية الجديدة، إذ صارت الطرق الساحلية مفضلة أكثر من الطرق الداخلية. ولما فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب تَمَّ احتلال البروج حوالي سنة 1914 انطلاقا من "مشرع بنعبو" بمساعدة القائد محمد بوحافة، بعد سقوط قصبة الشافعي، التي تبعد عنها بحوالي ثلاثين كلم. ومن هنا انتقلت إلى البروج إدارة بني مسكين فاتخذها الفرنسيون منطلقاً لتطويع تلك القبائل، بالإضافة إلى السراغنة وبني موسى وغيرها. فصارت البروج تابعة لمنطقة الدارالبيضاء، كمركز يديره مراقب مدني. وفي سنة 1936 صنفت ضمن القرى ويبلغ عدد سكانها آنذاك 1367 نسمة (*Repertoire* ; 40) وظلت تابعة لإقليم الدار البيضاء بعد الاستقلال. وحين صارت سطات إقليماً ترقت البروج إلى دائرة حضرية، فعرفت نمواً سكنياً مطرداً بفضل عدة عوامل، منها : التجهيزات التي أمدتها الدولة بها في ميادين التعليم والصحة والبريد والقضاء وغيرها، وكونها نقطة عبور تصل بين الدارالبيضاء وقلعة السراغنة ودمنات، وبين بني ملال وسطات.

لذلك اتسعت بها حركة التعمير والعمران، حتى صارت مقصداً للهجرة القروية من المناطق المجاورة. فنتج عن ذلك زيادة ملحوظة في عدد سكانها، إذ يناهز عددهم حالياً مائة ألف نسمة.

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ص. بن العربي، *المغرب*، ط 2. ص 17 ؛ التحري الميداني.

M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow*, Paris, 1983 ; L. Arnaud, *Au temps de Mehallas*, Casablanca, 1952 ; *Répertoire Alphabétique des agglomérations de la zône française de l'empire chérifien, classées par tribus et par factions de tribu, d'après les résultats du recensement quinquennal du 8 Mars 1936*, Rabat 1939.

أحمد عمالك

بِّرورسي Perorsi، عناصر من سكان المغرب القدماء ورد ذكرهم عند عدد كثير من الكتّاب القدماء في حين لا نجد لهم مكانا ضمن المصادر الأثرية. يعتبرهم بْلينيوس القديم من العناصر الاثيوبية (السوداء) ففي فقرة أولى من

كتاب *التاريخ الطبيعي* (5 : 10) يقول "ما وراء نهر Salsum (ربما نهر سوس) يوجد الاثيوبيون البرورسي وما وراءهم يوجد الفاروزيون". وفي فقرة أخرى (7 : 16) يوطنهم قريبا من نهر Ger (واد غير ؟)، الوادي الذي وصل إليه القائد الروماني سويتونيوس باولينوس أثناء حملته ضد الثوار الموريين سنة 42 م، بعد عبوره لصحاري ذات تربة سوداء. ويقول بلينيوس في هذا الصدد : أولئك الذين يقطنون السهوب المجاورة يطلق عليهم اسم الكناريينCanarii - وقد تم تقريب اسمهم من اسم canés (كلاب)- الذين لا يختلفون في معيشتهم عن عيشة الكلاب، وإلى الجنوب منهم يوجد الاثيوبيون البرورسي.

وفي فقرة أخيرة (5 : 43) يوطّنهم بلينيوس ضمن الشعوب المجاورة للمحيط والقاطنة على حدود موريطانيا. إذن فهم، من هذا المنطلق، من الشعوب المجاورة للاثيوبيين الغربيين أو Hesperioi خاصة وأن بطليموس يشير إلى وجود ميناء Perorsios في الخليج الهسبري Hesperien الذي ربما هو أحد موانئ موريطانيا البرورسية. فمن خلال هذه الاشارات يبدو أن هناك عدم الدقة في التوطين لدى بلينيوس القديم، إذ يوطنهم مرة ضمن القبائل الداخلية، ومرة ثانية يشير إليهم كشعب مجاور للمحيط.

ألا يمكن أن نتساءل هل المؤرخ بلينيوس خلط بين عنصرين هما البرورسي والفاروزيين Pharusii خصوصا وأن التشابه واضح على مستوى الشكل. وهذا مادفع الباحث S. Gsell (*Haan* I, p. 295) إلى اعتبارهما عرقاً واحداً يكتب بصورتين مختلفتين.

إلى جانب بلينيوس القديم نجد ذكر هذه الشعوب عند الجغرافي بطليموس (4 : 6،5) الذي يعتبرهم من القبائل الكبرى بليبيا الداخلية يوجدون إلى الشرق من الدرداي Daradae يعيشون عند مصب وادي درعة. ويضيف قائلا إن السهل الأحمر (سهل مراكش ؟) يفصل بينهم وبين الأثيوبيين البيض Leucae Aethiopes.

أما الجغرافي راقينا فهو الآخر يوطن البرورسي بين أراضي الدرداي والأُدرنجداي Odrangidae. ويعتبرهم نستيفان من القبائل الكبرى بليبيا الداخلية.

إن أغلب المصادر القديمة تشجع على تحديد موطن الأثيوبيين البرورسي بالجنوب المغربي بين واد نون وواد سوس، بل هناك من يصل بهم إلى الأطلس الصغير، ولكن ذكر المصادر للبحيرة الحمراء تدفع إلى التفكير أيضا في سهل مراكش إذا احتفظنا بالتعريف الذي يجعل من Purron Pedion مطابقا لسهل مراكش.

فهل وقع الكتّاب القدماء في خلط بين هذا السهل وسهل سوس فترتب عن ذلك خطأ الباحثين المعاصرين؟.

ع. بل الفايدة، ب. البيضاوية، *الجنوب المغربي في عصوره القديمة من خلال المصادر المغربية - الرومانية*، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة 1، ص 343 - 368.

عبد العزيز بل الفايدة

البَرُوك، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة سنة 1677/1088.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

البَرُوك، تصحيف لكلمة البَرَكة العربية، يطلق بواد دادس على مقدمات بعض الأعياد الدينية يقوم أثناءها أهل القبيلة بذبح بهيمة يقسمون لحمها فيما بينهم. ويتم ذلك قبل يوم واحد من حلول عيد الفطر وعيد المولد النبوي الشريف وليلة القدر، وكذا صبيحة يوم عرفات المدعو محلياً إمْعَرْفا. ثمنُ الذبيحة يتفق عليه مسبقاً أهل القبيلة مع بائع البهيمة وعادة ما يكون ذلك الأجل بعد جني محصول من المحاصيل كالحبوب (الشعير القمح الذرة الخ) أو الفواكه (التين اللوز الخ).

وبعد ذبح البهيمة يجعل اللحم أقساطا تدعى تيخرُوبين، مفرد تخَرُّويت (خرّوبة) تقسم على العائلات المكوِّنة للقبيلة كل حسب مستواه الاجتماعي، إذ هناك بعض العائلات التي تأخذ أكثر من خروبة، في حين هناك عائلات أخرى تشترك في الخروبة الواحدة، ويكلّف إمام مسجد القبيلة بتقييد ما بذمة كل واحد من دين في لائحة تسمى "الزّمام" ويأخذ في مقابل ذلك قلب الذبيحة، أما الأسفاط ورأس البهيمة وجلدها فتباع عادة بالمزاد العلني أمام الملإ.

وتبركاً بهذه المناسبات الدينية تطعم بعض العائلات الموسرة في القبيلة الطعام أثناءها، فتاتي بأطباق من الكسكس إلى المسجد يتناوله المصلون من أعضاء القبيلة وطلبتها الذين يحيون الليلة إلى طلوع الفجر إذا كانت الليلة ليلة القدر، أما في سائر الأعياد فيؤتى بالطعام إلى المسجد خلال النهار.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

بَرْوَل، أسرة لعل أصلها من الجزائر من الأسر التي هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246. وكان جل أفرادها ينتمون إلى العسكرية حيث نجد من بينهم في السنة المذكورة أحمد بَرْوَل، وفي سنة 1832/1248 عبدالرزاق بَرْوَل، ومحمد برول ومصطفى برول، وفي سنة 1834/1250 عبدالخالق برول والمنجي برول، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البَرْوَلة، تجمع على بَراول، قطعة شعرية ملحونة، تغنى ضمن موسيقى الآلة، أو قصائد الملحون وسراباته مع

بعض الخصوصيات. وقد أطلق شعراء الملحون البَرْوَلة على لون من النظم لا يرقى إلى درجة قصائدهم وسراباتهم، وهذا اللون له "مرمّاته" أي بحوره، تخضع فيها الكلمات لحركات موسيقية معينة ومضبوطة، تُحدث مجموعة من الأنغام على طبوع موسيقية معروفة يتنشي بإنشادها المستمع. وقد تحدث عنها الأستاذ محمد الفاسي في *معلمة الملحون* (1 : 137) قائلا إن المغاربة ضمّنوها بعض الميازين في الآلة. وتوجد "براول" تغنّى كالقصائد، فكأنها نوع خاص، لكنها لا تمتاز عن القصيد بميزة خاصة، لذلك جعلتها ضمن بحور المبيّت... ومن البراول المعروفة في الملحون : يُوم نْهار الخْميس للشيخ الجيلالي امثيرد، وذَهْبِيّة الصّباح للسي التهامي المدغري.

ويحتمل وجه التسمية أنه حين ظهر فنّ "البراول" في طرب الآلة يطرد من الساحة الفنية بعض القطع الزجلية التي حملت بين كلماتها معالم من اللهجة العامية بالأندلس، لم يرق إلى مرتبة القصيدة الزجلية عند شعراء الملحون، ولم يصل إلى ما وصلت إليه في تنوع طبوعها وميازينها وموضوعاتها، وظلوا يعدونه غزلا من الدرجة الثانية لأنهم يثنون على غزلهم الرقيق الذي يغزلونه في قصائدهم وسراباتهم. ولعل هذا هو الدافع الذي دعا الشيخ الجيلالي مثيرد إلى أن يفاخر بغزله الرقيق حين انتشر غزل "البروال" في الوسط الشعبي إذ يقول :

غزْلِي صافي مَشْنُوع مايْلحْقُو مَنْ كانْ اسْقِيمْ
مَانَا دَاعِي مانَا جْحيدْ

كما يحتمل أن تكون التسمية شيئا آخر عند شعراء الملحون، فهم يعنون بالبرولة زجلاً يخضع لطبوع غير طبوعهم، ولطريقة في الإنشاد غير طريقتهم وبما أن التعامل مع هذا اللون من حيث الغناء والإنشاد يحتاج إلى الإلمام بأنواع من الأنغام في موسيقى الآلة، فإنه كان من الصعب أن يمارسوه كما مارسه أهل الطرب الأندلسي فأصبح معقداً تعقيد خيط "البَرْوَل" عند الحائك.

وربما تكون تسمية البرولة عند الزجال المغربي تعني شيئا آخر يفيد عدم الاعتراف بهذا اللون بتاتا في سوق أدبهم، وفي محافلهم ومنتدياتهم. فهم بهذا يرفضونه في حظيرتهم رفض خيط "البرول" في سوق الحياكة. فإذا راجت قصائدهم وسراباتهم وحظيت بالإقبال عليها من لدن جمهور عريض، فإن "البرول" لم يجد ذلك الصدى، وذلك الإقبال الكبير من عشاق الغناء المغربي عكس براول الآلة التي تعد من أحسن مقاطعها وأشجاها كالبرولة الشهيرة التي تُنشد في قدام الاستهلال ذات المطلع :

يَالعنْسْ طلعتْ بدْرْ التّمامْ يـاذَاتَ المحيـا الجميـــلْ
فاق اجْمالك طلعتْ الثّريـا والشّـمـــسْ الوسْمَـــــا
حُرْمَتْ اجْمالكْ يا قَدّ لغْلام يـا مـولاتْ التّهليـــلْ

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج : 1 ؛ ع. الجراري، *القصيدة*.

عبدالرحمن الملحوني

برونو، هنري Bruno, Henri، ولد في شرشال بالجزائر في 29 أبريل سنة 1888، في أسرة يرجع أصلها إلى هايتي بأمريكا الجنوبية، ودرس بثانوية الجزائر ثم التحق بكلياتها حيث حصل على الباكلوريا والليسانس في الحقوق وشهادات في الأعراف البربرية، وأتم دراسته العليا بباريز، حيث سجل كمتدرب بنقابة المحامين هناك ما بين 1909 و1913، قبل أن يعين سنة 1913 محرراً بالإقامة العامة لفرنسا بالمغرب. وفي سنة 1915 شغل منصب مراقب مدني مؤقت ثم مناصب إدارية أخرى. وغادر الإدارة سنة 1920، ليسجل محامياً بهيأة المحامين باستئناف الرباط، ثم أصبح نقيب المحامين بالرباط فيما بين 1930 و1932.

وبموازة مع الوظائف التي كان يقوم بها، تولى هنري برونو مهمة التدريس بالمدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بالرباط. ثم صار مديراً للدراسات التشريعية بمعهد الأبحاث العليا.

تميز هنري برونو بتحقيقاته عن القبائل البربرية، تلك التحقيقات والأبحاث التي استعملت كمرجع أساسي للقرارات الأولى التي اتخذتها الحماية فيما سمته ببلاد العرف.

وخلال السنوات الأخيرة من حياته خصص هنري برونو حيزاً من نشاطه للعمل ـ تحت رعاية المركز الوطني للبحث العلمي بباريز ـ في موضوع تطور العلاقات الثقافية بين الفرنسيين والمغاربة، وكان من بين المنظمين لسلسلة من المحاضرات ألقاها قاضي الدارالبيضاء بجامعة السربون سنة 1947 في موضوع : *مصادر التشريع الإسلامي*. وبلغت أبحاثه نحو عشرين في مواضيع مغربية وقانونية، ومنها *ترجمة نصوص من معيار الونشريسي*.

ومات في 15 فبراير 1948.

أبحاث هـ. برونو المنشورة.

J. Caille, *Henri Bruno, 1888-1948, Hesp.* 1er et 2em trim. 1949, p. 3-6.

محمد جادة

بْرُونيت Braunite، معدن المنغنيز المختلط بالسيليسيوم $M^{2}n+M^{3}n_{6}+Si0_{12}$ كثافته 7,2، معدنها أبيض/رمادي، يوجد إما في العروق الحرمائية أو في الصخور الرسوبية السرئية.

غالباً ما تكون البرونيت مجتمعة بالبيرولوزيت، والكريبتوملان، والهولانديث والهيماتيت والمرو والباريتين. وتعتبر البرونيت إلى جانب البيرولوزيت من أهم معادن المنغنيز بالمغرب.

يتوفر المغرب على ثلاث مناطق مهمة فيما يخص هذا المعدن :

ـ منطقة ورزازات (إميني، تيوين، ورززات).
ـ منطقة العيون (بدائرة وجدة).
ـ منطقة بوعرفة (بالأطلس الكبير الشرقي).

يستعمل المنغنيز في الصناعات المعدنية، والفولاذ، وخليط المعادن (النحاس والبرونز والنيكل). أما مركبات المنغنيز فكثيراً ما تستعمل في صناعة الحواشد الكهربائية والزجاج وصناعة الخزف، وحوافز الصباغة والطلاء؛ وتستعمل كذلك في المختبرات كمؤكسد للمنتجات العضوية واليودية، وكذلك له دور مهم في الفلاحة.

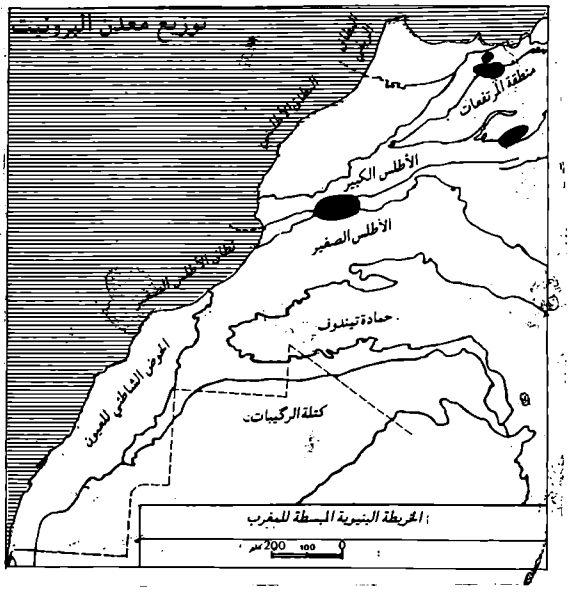

فيما يخص منتجات معدن المنغنيز بالمغرب فتعادل ما يناهز 117.304 طن سنة 1976، حيث صدر في نفس السنة 105.869 طن، مقابل29.953 طن لإنتاج سنة 1987 و27.953 طن صدرت في نفس السنة.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F. Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd., Paris, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français - arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubis Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques associées)*, 2ème Ed., tome 1, Notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., tome 3, Notes et mémoires du Service géologique ; P. Lapadu - Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

برونيل، روني Brunel, René، ولد في شهر فبراير 1897 وتعلم اللغة العربية في مدشر موساوة بزرهون الجنوبية شمال مكناس ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة مولاي إدريس الزرهون حيث أتم قراءة القرآن على يد أحد الفقهاء المشهورين هناك وكان هذا الفقيه يُلقّب برونيل بالنصراني ـ لزرقة عينيه ـ دون أن يعلم أصله، وانتقل من زرهون إلى فاس لإتمام دراسته بالقرويين، فأتقن اللغة العربية إتقاناً جيداً إضافة إلى لغته الفرنسية الأصلية فأهله هذا التكوين اللغوي المزدوج إلى الدخول في سلك المراقبين المدنيين وهو في ريعان الشباب سنة 1922، فعُين بالتتابع مراقباً مساعداً لناحية مكناس، وخليفة أول للمراقب المدني بأسفي، ورئيساً لملحقة سيدي بنور لمدة ثلاث سنوات، ومراقباً مدنياً بقلعة السراغنة بإقليم مراكش، وكان آخر منصب تقلده قبل التحاقه بمكناس للمرة الثانية هو المراقبة المدنية بسيدي قاسم "Fort Petit Jean" التي قضى بها زهاء ثلاثة أعوام، ورقي في شهر فبراير 1937 إلى رتبة مراقب مدني فوق العادة من الدرجة الثانية.

عين برونيل مراقباً مدنياً ورئيساً للمصالح البلدية بمكناس بقرار مقيمي مؤرخ في 24 أبريل 1937، ودشن مهامه الجديدة بمكناس بمشكل مياه وادي بوفكران، فبعد أسبوعين من توليته لهذا المنصب، رفع إليه قادة الحركة الوطنية بمكناس عريضة السكان الأهالي المؤرخة بـ 16يونيو 1937 ليقدمها للحاكم العسكري للإقليم الذي وجهها بدوره للجنرال نوگيس المقيم العام في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب.

وبعد مضي ثلاثة أشهر على هذا الحدث، اندلعت أحداث فاتح وثاني شتنبر 1937 وقد قام برونيل بدور أساسي فيها كرئيس للبلدية التي كانت طرفاً في النزاع حول مياه وادي بوفكران مع الأحباس على ملكية وتسيير وتوزيع مياه هذا الوادي.

ظل برونيل رئيساً للمصالح البلدية بمكناس إلى سنة 1940 ونقل بعدها إلى مدينة وجدة لشغل نفس المنصب. وعرف عنه خلال قيامه بهذه المهام العداء والكيد للحركة الوطنية المغربية.

ألف برونيل بعض الكتب والدراسات أشهرها كتاب عن عيساوة وآخر عن هداوة.

Essais Sur les Confrérié relegieuse des Aïssaoua au Maroc, Paris, 1926; *Le Monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Haddaoua*, Paris, 1955.

بوشتى بوعسرية

بروئير تيودور T.Braüer، تاجر ألماني ولد سنة 1840 بليجسيك، واستوطن الصويرة سنة 1863 إلى أن توفي بها سنة 1884. كان نائباً قنصلياً لبلاده بها نحو العشر سنوات وكان له سماسرة وخلفاء بها وبمراكش.

م.بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1073.1074.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 316 ; P. Guillen, *l'Allemgne et le Maroc : 1870-1905*, 25.

مصطفى بوشعراء

البُريبْري، أسرة أندلسية استقرت بتطوان وسلا، وعرف رجالها بالعلم والصلاح. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ عام 1772/1186. أما آل البريبري السلويون فقد انتقل بعضهم إلى رباط الفتح في تاريخ غيرمحدد. وربما كان ذلك في الخمسينات من القرن الثامن عشر أيام الأزمة الطويلة التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل واستغرقت ثلاثين سنة، وفيها هاجر من سلا أفراد من عائلات الرايسي وبوحدو والشدادي وابن يوسف وفنيش وزنيبر. ويقول المؤرخ محمد بن علي الدكالي إن بقية آل البريبري موجودة بالرباط بمعنى أنه لم يبق منهم أحد بسلا. وقد اشتهر منهم قضاة ومدرسون، أمثال :

البريبري، أحمد التطاوني، شيخ صالح، وصوفي سالك، ذو قدم راسخة في طريق الشاذلية. أخذ عن الشيخ أبي المحاسن الفاسي واعتبر من أعيان أصحابه الذين كانوا يترددون إليه، ويداومون زيارته.. من أبرز الصفات التي ميزت أحمد البريبري تعلقه الشديد بشيوخ الصلاح، والإخلاص في محبتهم والدعوة إلى إحياء ذكراهم، وزيارة أضرحتهم وقبورهم، كما أنه كان "صاحب أحوال عجيبة، وكشوف غريبة، وبصيرة نافذة" (*الإعلام*).

توفي سنة 1611/1020.

البريبري، عبدالرحمان بن أحمد بن التهامي الرباطي، شب على طلب العلم وتتلمذ على عدد من كبار أساتذة المغرب في وقته. أخذ الفقه بفاس عن عبدالسلام الأزمي وأبي عبدالرحمان السجلماسي، وبدر الدين الحمومي، والقاضي التهامي المكناسي الذي أجازه، وعبدالقادر الكوهن وقد أجازه أيضاً. والتسولي شارح *التحفة*. وأخذ الحديث عن العربي الدمناتي، والأصول عن الوليد العراقي، وعنه أيضاً النحو والتصريف، وعن القاضي العباس بن كيران والعربي الزرهوني وعبدالسلام بوغالب، وعلي قصارة.

ومن أساتذته أيضاً جده للأم أحمد بن الطاهر قرأ عليه القرآن وربع العبادات من *المختصر*، ومحمد بن عبدالرحمان الفلالي الذي أجازه، والأمين الزيزي العلوي. كما أخذ عن محمد بن عبدالله الزناتي بالرباط وفضالة، وعن محمد بن مسعود الشيظمي بالرباط.

درّس عبدالرحمان البريبري بالرباط الفقه والحديث والنحو والتصريف وعلوم البلاغة، وأخذ عنه ابنه محمد الكثير من العلوم. تولى قضاء الرباط في 14 ربيع الثاني 1266 وكان يتصدى للأحكام بمقصورة مسجد النخلة، معروفاً بالصرامة فعزل الكثير من العدول ولم يبق معه إلا القليل، ومنع الكثير من علماء الرباط من التدريس كأبي بكر بناني والقاضي أحمد دينية والمكي بوجندار والطاهر بريطل وعبدالقادر بوعياد والمعطي الغربي والهاشمي الضرير وإبراهيم التادلي الذي منعه من التدريس عدة مرات وأودعه السجن مع آخرين مما جعلهم يأتون بظهائر مخزنية يتظاهرون بها ضده في سبيل ما هم بصدده من القيام بالمراسم الدينية، وربما كانت البطانة المحيطة به سببا في إلقاء القبض على هؤلاء العلماء وإيداعهم السجن.

كان عبدالرحمان البريبري يخالف عادة القضاة في الخطبة في العيدين بالمصلى، فينيب عنه الفقيه أحمد بن الغازي، ولما توفي صار ينيب عنه الفقيه محمد بن إبراهيم، وكانت ولاية الدارالبيضاء تسند لقاضي الرباط إذاك، فكان ينيب عنه فيها علي بن منصور الدكالي البوعمراني مفتي الدارالبيضاء. وظل البريبري قاضياً بالرباط أكثر من عشرين سنة إلى أن مرض وضعفت قواه، فأناب عنه محمد بن إبراهيم، وطال مرضه نحو سبعة أعوام إلى أن توفي في 10 شوال 29/1293 أكتوبر 1876، ودفن بزاوية حنصالة.

البريبري، العربي من فقهاء سلا وعلمائها المشهورين بالبحث والمطالعة والتقييد. وقد اطلع المؤرخ محمد بن علي الدكالي على تقاييد له على *شرح ابن حجر للهمزية* بخط يده. وكان من الفقهاء المضطلعين بمهمة التدريس.

توفي في 8 ربيع الثاني 1799/1214 بسبب وباء أصاب البلد تلك السنة ذهب ضحيته أيضا محمد المير حسبما ذكره أحمد الناصري، ودفن البريبري خارج باب المعلقة على شاطئ البحر قرب سيدي عبدالعزيز اللبلي.

البريبري، محمد بن عبدالرحمان. وصفه صاحب *مجالس الانبساط* بالفقيه العالم العامل، وحلاه بصفات الورع والزهد والنزاهة الكبيرة والصلاح والنباهة والفصاحة.

أخذ أنواع المعارف عن بعض أساتذة الوقت وعلى الأخص والده الذي قرأ عليه *المختصر* و*الرسالة* وغيرهما من كتب الفقه، كما أخذ عنه الحديث والنحو والتصريف والبلاغة، وكان الهاشمي الضرير شيخ إبراهيم التادلي والمكي البطاوري أستاذه في القراءات.

درّس محمد البريبري مدة *الرسالة* وغيرها بالزاوية الرحمانية، لكن مدة تدريسه لم تطل إذ كان ميالاً إلى العزلة لا يخرج من داره إلا لصلاة الجمعة أو الجنازة.

وممن أخذ عنه أحمد بناني والمكي البطاوري وأحمد جسوس، ومن آثاره إجازة علمية لمحمد بن خليفة المدني سمها *تحفة ودود بمقصد محمود*. وتذكر له تآليف لم يعثر عليها.

وفي سنة 1880.79/1297 تولى قضاء الرباط بعد القاضي أحمد ملين، وبقي فيه عشر سنوات. ويتفق من كتبوا سيرته عن ليونته وعدم ميله إلى التشديد على الناس في الأحكام، ولكن مع ذلك لم يكن يتسامح في أحكامه مع الذين يتنكرون لمبادئ الدين. ففي سنة 1899 أودع السجن ضابطا جزائرياً اسمه ميسوم كان يعمل ضمن أعضاء البعثة الفرنسية بالرباط بتهمة قذف الشريعة الإسلامية في مشادّة مع الخادم الذي كان يعمل عنده عندما طالبه بأداء أجرته التي تماطل ميسوم في دفعها. فثارت حفيظة الأوساط العسكرية والقنصلية الفرنسية بالرباط وتبودلت شتى الرسائل بين الممثلين العسكريين والقنصليين الفرنسيين بالمغرب وبين الوزير الفرنسي في وزارة الخارجية التي توصل بعدة تقارير عن الحادثة، نشرتها الصحف الأجنبية الموجودة بطنجة، وطالب هؤلاء بمعاقبة القاضي البريبري، وادعوا أنه متعصب ضد الأوربيين والمحميين القنصليين، متجاهل للمعاهدات المغربية الأوربية في مادة التقاضي، وطلب من الوزير بّاحماد أن يأتي القاضي لتقديم اعتذاره أمام الناس، بل اقترح على الوزير الفرنسي إرسال بارجة حربية إلى ساحل الرباط للإنذار والمطالبة بالإسراع في إنزال العقاب بالقاضي، وقد حاول Delcassé وزير الخارجية الفرنسي أن ينتزع من المخزن تنازلا آخر لولا موقف الوزير بّاحماد الذي اتسم بنوع من الصرامة والاقناع.

وعندما أُقيل البربيري عرض عليه بّاحماد ألف فرنك يأخذها من الديوانة وبعض الملابس له ولأسرته وأجرة شهرية مقدارها مائة فرنك، ولا يعرف هل قبل القاضي ذلك أم رفضه. ويذكر أحد معاصريه أن السلطان المولى الحسن نفّذ له قبل ذلك برسالة مائة ريال شهرياً يأخذها من مدخول مرسى الرباط، فقابل البربيري ذلك بالشكر للسلطان وكتب على ظهر الرسالة :"إن أربعين ريالاً ياسيدي تكفيني لكل شهر راجياً من سيدنا أيده الله أن يجعل الستين الباقية في بيت مال المسلمين". وظل بالبربيري بعد عزله ملازما لداره إلى أن توفي ليلة الأحد 13 جمادى الأولى 13/1326 يونيو 1908، ودفن بالزاوية الحنصالية أمام درب الجراري.

البربيري، مصطفى بن عبدالرحمان أخو القاضي محمد المذكور قبله. وصف هو أيضاً بالعلم والصلاح والدين، وأفرد له الشيخ فتح الله بناني ترجمة في طبقاته، وذكر أن وفاته كانت يوم الاثنين 18 جمادى الأولى 1318/ 1900 وقد تبودلت في تعزيته رسائل بين أخيه القاضي وقاضي سلا عبدالله بن خضراء تضمنت ذكر أوصافه المنمة عن زهده وصلاحه.

ع.الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر، مخطوط* ؛ م. الافراني، *صفوة* ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 126 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. بوجندار، *تعطير البساط*، 36 ؛ *الاغتباط*، 223، 338، 365 ؛ *مقدمة الفتح*، 187 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 195، 288 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 102 و389 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، د.د.ع 259 - 263.

عبد الاله الفاسي

البريجة (مازيغن) لم تعرف مدينة الجديدة الحالية باسم "البريجة" خلال القرون الوسطى، إذ لم تذكرها المصادر العربية إلا باسم "مازيغن" الذي لا نعرف له معنى. وورد نفس الاسم مع بعض التحريف بالخرائط البحرية الأوربية في القرن الرابع عشر. وكان الموقع يذكر مقرونا بمرساه، غير أن مازيغن لم تعرف النمو والشهرة التي عرفتها أزمور المجاورة، بل على العكس من ذلك بقيت في مستوى القرية المتواضعة التي تجمع بها بعض الصيادين، وسرعان ما تعرضت للخراب. فقد سكت عن ذكرها كل من ابن الخطيب والوزان، مع أن هذا الأخير وصف بدكالة قرى متواضعة وأماكن يصعب اليوم تحديد موقعها (مائة بئر، السبيت، تمراكشت...) وقد ذكر الرحالة البرتغالي بريرا Péreira والألماني فرناندیش حوالي سنة 1508 ما يفيد أن قرية مازيغن كانت خربة، وأن البرتغاليين كانوا متعودين على الإقبال على مرساها لاقتناء الحبوب، وذلك منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر على الأقل.

وارتبط مصير مازيغن بالاحتلال البرتغالي لمدة طويلة (1769.1515) وقد احتفظ الغزاة بالاسم البربري الذي أدخلوا عليه بعضُ التحريف Mazagân. واحتُل الموقع سنة 1504، بعد احتلال أزمور في خريف السنة السابقة، وبعد فشل تحصينه واقتطاعه لنبيل برتغالي سنة 1505. وتمسك البرتغاليون بالموقع لجودة مينائه الذي اعتبره الدوق دوبراگنصا Duc de Bragança، قائد الحملة العسكرية ضد أزمور، أجود موانئ العالم خصوصاً وأن السفن بدأت تميل نحو الضخامة، والحواجز الرملية بمصب أم الربيع أصبحت تحول دون وصولها إلى أزمور. وقد بقيت مازيغن رغم احتلالها مجرد مرفإ في خدمة مدينة أزمور، ولم توكل إليها أية مهمة عسكرية أو سياسية أو تجارية كالتي كلفت بها مدينتا أزمور وأسفي بعد احتلالهما، ولهذا اكتفى البرتغاليون قبل إخلائهم للمدينتين المذكورتين بإنجاز تحصينات بسيطة في مازيغن استمرت من صيف 1514 إلى 1517 واعتمدت على البرج المغربي الذي كان هناك والذي أعطى فيما يبدو اسم "البريجة" للقرية. وكان الحصن صغيراً، مربع الشكل (47 م × 57 م) يرتكز على أربعة أبراج : برج "البريجة" وبرج "الرباط" وبرج السجن،وأخيراً برج "سغونيا". وكان السور يحيط أساساً بقاعة شاسعة مخصصة لخزن السلاح والذخيرة والحبوب.

وقد تغير وجه "مازيغن" بعد جلاء البرتغاليين عن أسفي وأزمور (خريف 1541) واقتصارهم على هذه النقطة بدكالة إذ عرفت تحصينات ضخمة، وأصبح الحصن الأصلي جزءاً صغيراً ضمن ما تمّ تشييده. وقد بنيت المدينة على مقربة من البحر، على رقعة شبه مربعة (250 م × 300 م) يحيط بها سور ضخم يبلغ سمكه أحد عشر ميتراً (لتحمل قذفات المدفعية) وعلوه أربعة عشر ميتراً، وكان هذا السور معززاً بخمسة أبراج عملاقة، يحيط به من البحر إلى البحر خندق عرضه خمسة وثلاثون ميتراً، وعمقه ثلاثة أمتار. وقد حُول الحصن الأصلي إلى خزان للمياه لا يزال قائماً إلى يومنا هذا.

واحتفظت مازيغن فيما بين 1541 - 1769 بأنشطة عسكرية محْضة، وإن كانت تلعب بين الفينة والأخرى دور خزان للسلع التي كانت تروّج بأسفي وأگدير (النصف الثاني من القرن 16 م). وعاكس بقاء البرتغاليين بهذه النقطة من الساحل الدكالي انتعاش مناطق واسعة تمتد بين أزمور وتيط والمدينة الغربية (اثنين الغربية اليوم)، كما تشهد على ذلك المصادر البرتغالية والعربية. (*رحلة أفوقاي*) غير أن تأطير الجهاد عد يد الفقهاء والمتصوفة بعد ضعف الدولة السعدية قلّص كثيراً من هذه الرقعة، وفرض على البرتغاليين الاحتماء بأسوارهم أو اتخاذ تدابير وقائية معقدة للخروج إلى البادية. ومعلوم أن عبد الله الغالب السعدي ضرب عليها خلال ربيع 1562 حصاراً خطيراً وكاد أن يحررها لولا استماتة المدافعين عنها ومناعة أسوارها ووصول المساعدة من البرتغال وافتقار المغاربة إلى اسطول.

وبقيت مازيغن محتلّة إلى أن حررها السلطان سيدي محمد بن عبدالله يوم ثاني ذي القعدة عام 1182/ 1769.3.10

في ظروف ذكرها صاحب *الحلل البهيجة في فتح البريجة*. ومعلوم أن البرتغاليين شحنوا المدينة ألغاماً وبارود قبل انسحابهم وأن طلائع الجيش المغربي تعرضت لخسائر كبيرة لانفجار تلك الألغام على برتغالي تُرك هناك لهذه المهمة، وأن المدينة خربت وسميت "بالمهدومة" واحتفظت بهذه الحال والاسم إلى عهد المولى عبدالرحمان الذي عين ابن عمه محمد بن الطيب عاملا على الشاوية ودكالة، فأعاد بناء أسوارها ورمم ما تداعى منها وأسماها "الجديدة". وكانت الحبوب تصدر أحياناً من مرساها.

م. بن أبي القاسم المراكشي، *الحلل البهيجة في فتح البريجة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. كربخال، *إفريقيا*، 2 : 85-87.

J. Goulven, *La place de Mazagan sous la domination portugaise*, 1502-1769, Paris, 1917 ; *S. I. H. M*, 1ère série Portugal, t: 1, Paris, 1935, pp. 103-107 ; Ricard, trad. *Mazagan et le Maroc sous le règne du sultan Moulay Zidane, 1608-1627*, Paris, 1956 ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVII*e *siècle*, Paris, 1932.

أحمد بوشرب

بّريخا، سيرّادُو أنطونيو A. Pareja Serrado رحالة إسباني مستعرب تجول بمدن الشمال الداخلية سنة 1886، وكان يسمي نفسه "أبا جبل" وله كتاب عن مستقبل إفريقيا.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1520.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 151-154.

مصطفي بوشعراء

البريد، الكلمة في اللاتينية Veredus وفي الإغريقية Beredos ولعل أصلها أشوري، ومعناه (الفرس المستخدم في نقل البريد) والبريد في الاصطلاح نمط من أنماط الاتصال الإنساني بين الفرد والآخرين وبين الجماعات الاجتماعية، وهو كأداة لهذا الاتصال تسمح بتوجيه واستقبال الرسائل وتوفير مجموعة من الخدمات المالية، تعود أصوله إلى ماض سحيق، فقد عرفه الصينيون والفرس والمصريون القدامى واليونانيون، وكذا الامبراطورية الرومانية علي شكل نظام لنقل الفكر الإنساني بواسطة رسائل خطية أو شفهية تنقل على أساس ترحيل مرحلي بواسطة الرسل الراجلين أو الراكبين على البغال والخيول عبر المحاور الطرقية الرئيسية.

وقد كان البريد في تاريخ الدول الإسلامية خدمة رسمية لنقل المراسلات ونقل المخابرات. عرفه العصر الأموي بمصطلحات معظمها فارسي، وصار في العصر العباسي من أعظم مرافق الدولة، يعد بإدارته للمقربين من أمثال جعفر البرمكي. وقد نظمت مراحله حتى غطت مجموع جهات الأمبراطورية. وردت أخباره بتوسع في الكتب المصنفة لكتاب الدواوين مثل *المسالك والممالك* لابن خرّداذ به وكتاب *الخراج* لقدامة بن جعفر. حينها كان البريد موقوفاً في معظمه بأوربا على الملوك والأمراء الذين استخدموه بالأساس لإبلاغ أوامرهم إلى الحكام في ممالكهم وإماراتهم، كما أن أديرة الرهبان عملت على خلق بريد خاص بها تشعب مع نشاطاتها التبشيرية التي نمت والزحف الصليبي في القرون الوسطى. ومع بزوغ النواة الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة تحت تأثير تبادل المنافع والمعاملات التجارية ظهرت نخبة جديدة من الاستقراطية عمدت إلى تبادل الرسائل الخطية فيما بينها بلجوئها لبريد الأمراء والاديرة، أو أناس استخدمتهم كمراسيل.

ظل العمل قائماً بهذا النظام في أوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر حيث نمت فئات المجتمع الوسطى التي أصبحت تشكل طبقة البرجوازية وظهرت الطباعة التي ساعدت على نشر التعليم بين قطاع واسع من السكان وتم اكتشاف العالم الجديد الذي فتح الآفاق لإقامة علاقات متشعبة بين الشعوب وتنامي حجم المبادلات التجارية بين الدول وأصبحت مقتضيات العصر تقتضى إيجاد نظام جديد للبريد يعوض سابقه، وكان فرانسوا دي تاكسيس François de Taxis أول من قام خلال القرن السادس عشر بتنظيم خدمة بريدية شملت عدة بلدان أوربية، أما شارل الأول (انجلترا) فيعود إليه الفضل في فتح خدمة البريد الملكية في وجه العموم ابتداء من سنة 1635م ويقال إن حاجته إلى المال دفعته إلى اتخاذ هذا القرار.

بظهور الآلة البخارية وتطبيقاتها في تحريك البواخر والقاطرات السككية عرف البريد نقلة نوعية تميزت

باعتماده الوسائل الحديثة لترحيل الرسائل بين مختلف البلدان وإقراره لأساليب أقل تعقيداً ساعدته على التقليل من أجور النقل، وكانت انجلترا أول من لجأ باقتراح من السير رولاند هيل Sir Rowland Hill سنة 1840 إلى تطبيق مفهوم الأجر الموحد ومقداره بيني واحد Penny Postage على الرسائل المتبادلة داخلياً، وقد رافق هذا الإصلاح ظهور أول طابع بريد وهو الذي حمل اسم الشهرة : بيني الأسود Penny Blanck.

إن العلاقات البريدية التي نشأت بداية بين الدول قامت على أساس اتفاقات ثنائية تلبي المتطلبات الخاصة بكل منها، وظهرت صعوبات متعددة لجعل هذه الاتفاقات متعددة الأطراف لتضارب الأجور المعتمدة من قبل كل دولة وأيضاً لاختلاف وحدات الأوزان والعملات النقدية المتداولة مما استعصى معه خلق بريد دولي.

عرف البريد الدولي انطلاقته الأولى عندما دعا وزير بريد الولايات المتحدة الأمريكية السيد منتگومري بلير Mr Montgomery Blair سنة 1862م إلى عقد لقاء دولي لتدارس إمكانية إنشاء نظام بريدي على أسس موحدة، وقد لاقت هذه الدعوة الاستجابة المرجوة من قبل خمس عشرة دولة من أوروبا وأمريكا، النمسا، بلجيكا، كوستاريكا، الدانمرك، إسبانيا، أمريكا، فرنسا، بريطانيا العظمى، إيطاليا، هولندة، البرتغال، بروسيا، جزرالساندويتش، سويسرا، المدن المتحالفة (Villes hansiatiques) اجتمعت بباريس يوم 11 ماي 1863م وتعاهدت فيما بينها على إرساء المبادئ العامة للبريد الدولي.

وحتى يأخذ التبادل البريدي على الصعيد العالمي إطاره القانوني المنظم جاء الاقتراح من موظف سام بالادارة البريدية لكنفدرالية ألمانيا الشمالية السيد هينري ستيفان Henry Stephan سنة 1868 لخلق اتحاد بريدي بين الأمم المتحضرة، وعلى أساسه اجتمع ممثلو اثنتين وعشرين دولة يوم 15 سبتمبر 1874م ووقعوا يوم 9 أكتوبر 1874 على "ميثاق بيرن" الذي على أساسه أنشئ الاتحاد العام للبريد Union Générale des Postes وبعد انقضاء ثلاث سنوات على دخول هذا الميثاق حيز التطبيق 1 يوليوز 1875 ومع تزايد الدول المنضمة إليه تحول اسم هذا المنتظم إلى الاتحاد البريدي العالمي Union Postale Universelle الذي ما زال قائما حتى الآن ويتخذ من بيرن (سويسرا) مقرا له ويضم في عضويته 168 دولة.

يعقد هذا الاتحاد مؤتمراته بصفة منتظمة يضع من خلالها جميع التنظيمات الخاصة بالنظم البريدية والخدمات المالية البريدية على الصعيد العالمي، وقد عقد حتى سنة 1989 عشرين مؤتمراً بكل من :

1 ـ بيرن (سويسرا) 1874.
2 ـ باريس (فرنسا) 1878.
3 ـ لشبونة (البرتغال) 1885.
4 ـ ڤيينا (النمسا) 1891.
5 ـ واشنطن (الولايات المتحدة الأمريكية) 1897.
6 ـ روما (إيطاليا) 1906.
7 ـ مدريد (إسبانيا) 1920. وخلاله أصبح المغرب عضواً بهذا الاتحاد.
8 ـ ستكهولم (السويد) 1924.
9 ـ لندن (بريطانيا العظمى) 1929.
10 ـ القاهرة (مصر) 1934.
11 ـ بوينوس آيريس (الأرجنتين) 1939.
12 ـ باريس (فرنسا) 1947.
13 ـ بروكسيل (بلجيكا) 1952.
14 ـ أوتاوا (كندا) 1957.
15 ـ ڤيينا (النمسا) 1964.
16 ـ طوكيو (اليابان) 1969.
17 ـ لوزان (سويسرا) 1974.
18 ـ ريو ديجانيرو (البرازيل) 1979.
19 ـ هامبورج (ألمانيا) 1984.
20 ـ واشنطن (الولايات المتحدة الأمريكية) 1989.

البريد والطابع البريدي : هناك ترابط وثيق بين طابع البريد والبريد نفسه حتى أصبح ذكر الأول يوجه ذاكرتنا إلى التفكير التلقائي في مفهوم البريد، مع أن البريد ظهر إلى الوجود كخدمة عامة منذ سنة 1644م وظل العمل قائما به قرنين قبل أن يعمل بنظام طابع البريد الذي وضعه أول مرة السير رولاند هيل Sir Rowland Hill سنة 1840 وجعل منه الوسيلة لتوحيد الرسوم المطبقة على تخليص الرسائل، وقد توسع مفهوم طابع البريد مع ظهور هواية الطوابعية التي أسهمت من خلاله في إقامة أول جسر للتواصل الجماهيري بين الأمم والحضارات وأصبحت هذه الوريقة تحمل كثيراً من الدلالات الثقافية والمعرفية والجمالية ساعدت وتساعد على تنمية المدارك حتى صارت تحفة فنية تحمل في طياتها قيمة مادية ومعنوية غنية.

البريد المغربي : عرف المغرب أول محاولة لإقامة بريد منتظم بالمغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على شكل مكاتب بريدية أجنبية أقيمت بتشجيع من سلطات الدول التابعة لها. وإذا كان عملها علانية يتمثل في تأمين نقل البريد الذي لم يكن معروفا لدى المغاربة إلا بشكله الرسمي الإسلامي وفي صورة "رقاصين" أي مبعوثين خصوصيين أو باستخذام القوافل التجارية أو الموسمية، بالأساس لخدمة مصالح دولها وأطماعها على حساب تفكيك وحدة المغرب باسم الحضارة والحداثة، وهذه المكاتب هي :

أ ـ المكاتب الفرنسية بالمغرب أحدثت سنة 1855.
ب ـ المكاتب الإسبانية بالمغرب أحدثت سنة 1865.
ج ـ المكاتب الأنجليزية بالمغرب أحدثت سنة 1872.
د ـ المكاتب الألمانية بالمغرب أحدثت سنة 1899.

كما قامت هذه المكاتب باصدار مجموعة من طوابع البريد الخاصة بنقل الرسائل داخل المغرب وخارجه، وهي

عبارة عن طوابع وطنية لتلك الدول تطبع فوقها كلمة المغرب بالعجمية وقيمتها الاسمية المحلية.

وحين وصل خبر ذلك إلى السلطان الحسن الأول اغتاط لهذا الأمر وأصدر أمره إلى وزيره في البحر (الخارجية) السيد محمد برگاش الذي كانت إقامته بطنجة بتاريخ 27 رجب 27/1296 يوليوز 1879 ليضع حداً لتلك المكاتب باعتبارها غير شرعية، ولكي لا يُفسح المجال أمام أطماع الأجانب عكفت السلطات على تنظيم البريد (البوسطة) بالمغرب حسب ما تمليه المصلحة العليا للبلاد.

أ ـ البريد المخزني، ظهر أول خط منتظم لنقل البريد بين مدينتين مغربيتين سنة 1891 يربط بين الجديدة ومراكش على يد السيد برودو Mr Brudo ابن نائب القنصل آنذاك في مدينة الجديدة، وحين علم السلطان الحسن الأول بذلك سارع بإحداث خدمة بريدية تجريبية على نفس المحور وطلب من أمناء مستفادات (الرسوم على تجارة الأسواق) الجديدة ومراكش بخلق البريد نيابة عن المخزن متطلعا بذلك إلى فتح المغرب أمام العالم الحديث وواضعا حدا لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب واستقلاله.

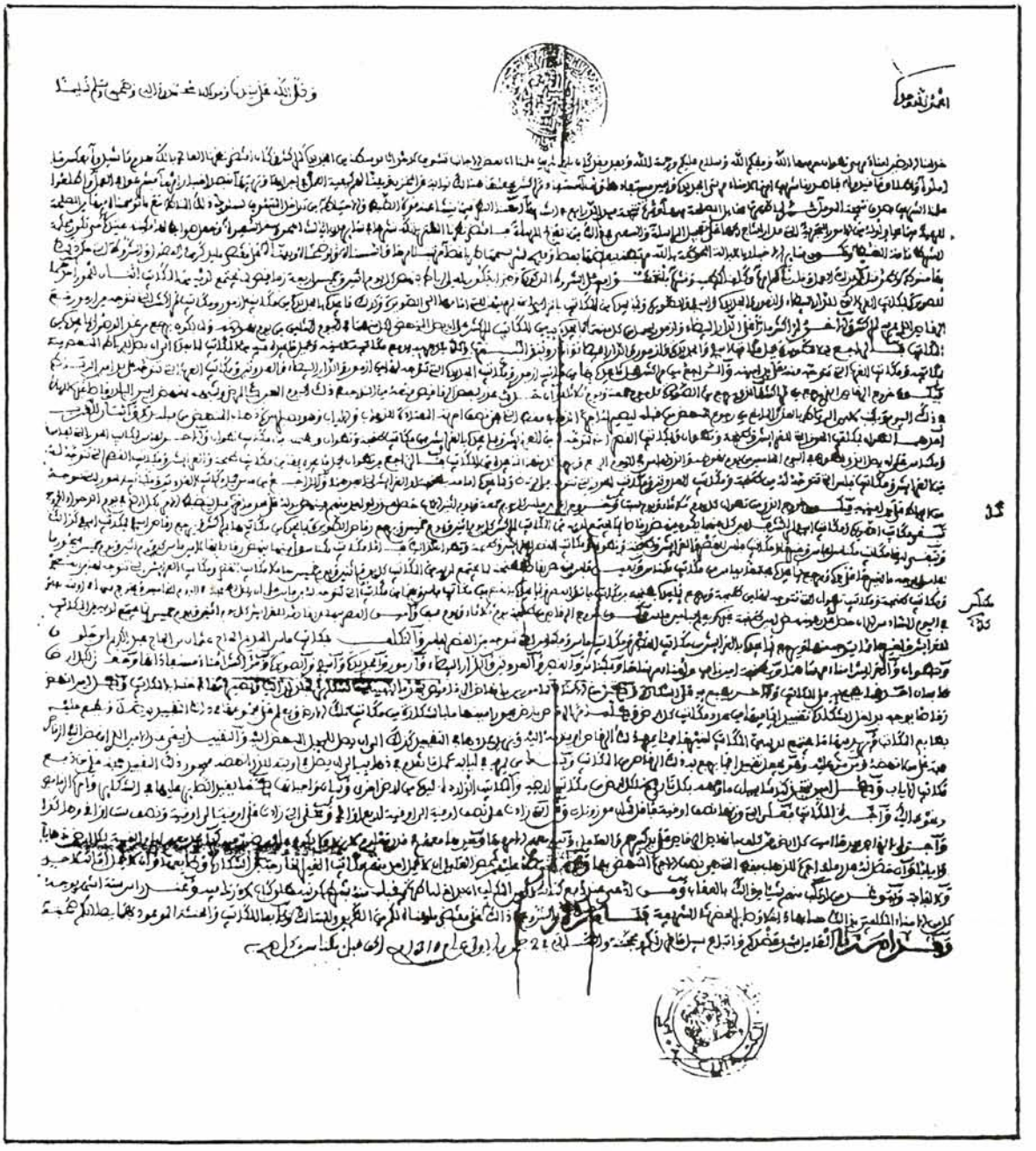

ظهير الحسن الأول بإحداث البريد بين بعض المدن المغربية المهمة

وقد نجحت هذه التجربة ووقع تعميم البريد المخزني المنتظم على مجموع المدن المغربية بأمر سلطاني مختوم في يوم 2 جمادى الأول 22/1310 نوفمبر 1892 وأحدث البريد بين المدن التالية :

1 ـ الرباط ـ الصويرة (مروراً بالدارالبيضاء، أزمور، الجديدة، وأسفي).
2 ـ الرباط ـ مراكش (مروراً بالدارالبيضاء وأسفي).
3 ـ الرباط ـ تطوان (مرورا بالعرائش وطنجة).
4 ـ الرباط ـ فاس.
5 ـ الصويرة ـ مراكش.
6 ـ أسفي ـ مراكش.
7 ـ مكناس ـ فاس.
8 ـ فاس ـ طنجة (مرورا بالقصر الكبير).
9 ـ القصر الكبير ـ العرائش.

كما تضمن الأمر السلطاني كيفية عمل البريد بكل تفاصيله، وهكذا أحدث في كل مدينة مكاتب الإياب (للرسائل الصادرة) ومكاتب الورود (للرسائل الواردة) وجعل لكل مدينة طابعين (الختم المخزني) لتمييز بريدها عن باقي المدن، يختم بواحد منهما على المظروف والآخر تختم به شكارة (كيس جلدي) "الرقاص" المخصصة لحمل المظاريف، ويتولى "الرقاص" عملية نقل الرسائل بين المدن، ومنع عليه أن يحمل رسائل أخرى غير تلك التي يتضمنها كيسه تحت طائلة العقاب إن هو تجاوز هذا الأمر، كما حددت أوزان الرسائل والأجور المطبقة عليها ؛ فالرسائل التي يصل وزنها إلى نصف أوقية يؤدى عنها مبلغ 8 مزونات (الوحدة القياسية)، وعلى تلك التي زاد وزنها عن نصف أوقية وقل عن أوقية تضاف 4 مزونات للوحدة، وإذا ما فاق الوزن أوقية وقل عن أوقية ونصف تضاف 6 مزونات للوحدة وهكذا. كما طلب إلى أمناء جميع المدن إعداد كشف دوري لحساباتهم كل ستة أشهر يوجهونها إلى الحضرة الشريفة.

وقد سار العمل بهذه الطريقة في البريد المخزني مع إصلاحات أدخلت عليه أيام السلطان مولاي عبدالحفيظ إلى حين إدماجه مع شركة تلغرافات المغرب سنة 1911. أما الأختام المخزنية فلم يقع سحبها إلا بعد ظهور أول طابع بريد مغربي يوم 25 ماي 1912.

ب ـ الأختام المخزنية : نظام الأختام المخزنية جاء به أمر السلطان الحسن الأول سنة 1892 وجعل لكل مدينة خاتمين، الأول على شكل مثمن الأضلاع تتوسطه اسم المدينة التي يصدر عنها البريد، ومن أسفله إلى أعلاه كلمة "المحوط (ة) بالله" وهذا الختم كان مخصصا لطباعة المظاريف بعد استيفاء الأجر المطبق عليها. أما الختم الثاني المستدير الشكل فكانت تطبع به الشكارة (الكيس الجلدي) الذي يحمل بواسطته الرقاص المظاريف إلى المدن الأخرى، وذلك بعد أن يتم إحكام غلق الكيس بلك أحمر مذاب يطبع بالختم، ولا يفتح الكيس إلا عند وصوله لمقصده، ويتوسط هذا الختم أيضا اسم المدينة ومن أسفله إلى أعلاه كلمة "المصون (ة) بالله".

استخدم في ختم المظاريف حبر يختلف لونه باختلاف جهة مصدر الرسالة لتمييز المراسلات المخزنية والحكومية والرسمية عن نظيرتها الخصوصية، فالحبر إما أن يكون : بنفسجياً أو أسود أو أزرق أو أخضر أو أحمر أو برتقالياً.

صدر أول طابع مغربي عن إدارة البريد المخزني بتاريخ 22 ماي 1911 وهو طابع من الحجم الصغير (11 مسننة) مرسوم على واجهته قوس وبداخله جامع عيساوة بطنجة بقيمة اسمية من فئات : 1 أو 2 مزونة، 5 و10 مزونات، 25 و50 مزونة، (كانت 400 مزونة = 1 ريال) ومنذ ذلك الحين

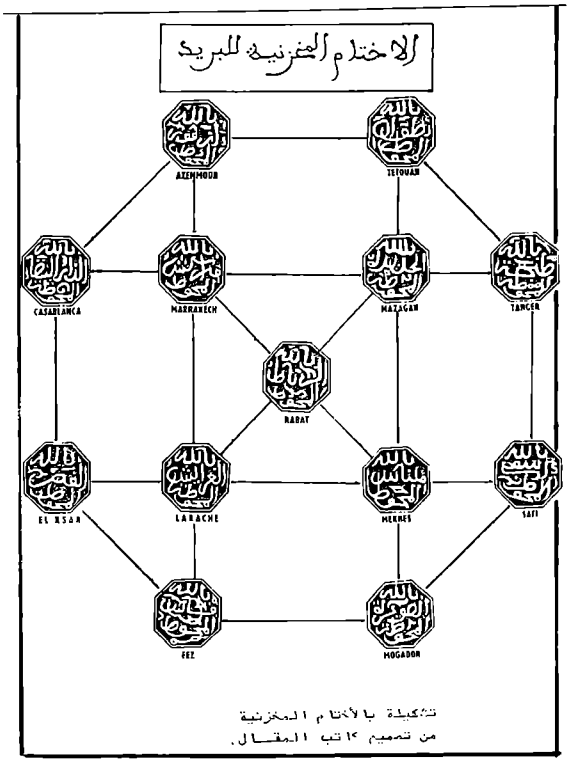

تشكيلة بالأختام المخزنية
من تصميم الرسام المقال.

استعيض عن استخدام الأختام المخزنية وسحبت هذه الأخيرة من الخدمة نهائيا سنة 1913.

ج ـ التنظيم الجديد للبريد المخزني : في سنة 1911 أعيد تنظيم البريد المخزني بأمر من السلطان مولاي عبد الحفيظ وذلك باعتماد أساليب أكثر حداثة في التسيير، واستخدام ما أصبح متوفراً من وسائل النقل الجديدة لترحيل البريد بين المدن يسمح بتخفيض مدة النقل ويجعل من خدمة البريد عملية منتظمة، وفي مارس من سنة 1917 أدمج البريد المخزني مع خدمات التلغراف التي سبق أن أوجدتها الشركة المغربية الشريفة للتلغراف سنة 1907.

ولما كان البريد من السيادة الوطنية التي يغار عليها المغرب، فإنه عند توقيع الاتفاقية المغربية الفرنسية بتاريخ 1 أكتوبر 1913م ظل المخزن متعلقاً بمبدإ متابعة إشرافه المباشر على الإدارة الفرنسية المكلفة بالبريد والتلغراف

بالمغرب، وقد كان له ما أراد، وعلى هذا الأساس أحدث المكتب المغربي للبريد والتلغراف والتليفون الذي كان من اختصاصاته أيضاً البث الإذاعي.

وطُبق نفس المبدإ على منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، حيث أحدثت مصلحة البريد المغربي التي كانت تقع تحت الإشراف المباشر لخليفة السلطان بتلك المنطقة.

عند استقلال المغرب سنة 1956 أعيد إدماج المصالح البريدية بمجموع أقاليم المملكة، وأحدثت وزارة البريد والتلغراف والتليفون، وأسندت آنذاك مهام البث الإذاعي لوزارة الاعلام.

د ـ التنظيم الحالي للبريد: لم يعد المفهوم الحديث للبريد مقتصراً على كونه مصلحة عمومية تهتم بتسلم وتسليم الرسائل والبعائث، بل تعداه ليشمل جملة من الخدمات والتسهيلات المالية والمصرفية التي أصبحت من اختصاصاته أيضاً، ومعها تنامى الدور الإنمائي لهذا القطاع في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لجميع المجتمعات.

في العلاقات الدولية يمثل البريد وحدة متكاملة على الصعيد العالمي لاعتماده مبدأ وحدة الامتداد الترابي البريدي على صعيد جميع الدول، والعمل على أساسه في كل ما يتعلق بالتبادلات البريدية والخدمات المالية المصاحبة لها والتي تقوم على التقسيم التالي :

1 ـ بعائث بريد الرسائل : وتشمل الرسائل والبطاقات البريدية والمطبوعات ومطبوعات المكفوفين Cécogrammes والرزم الصغيرة.

2 ـ الطرود البريدية : وهي البعائث البريدية التي تفوق أوزانها كلغ واحداً وتقل عن عشرين كلغ.

3 ـ الخدمات المالية البريدية : وتغطي جميع النشاطات البريدية التي لهاعلاقة بالتعاملات المالية والمصرفية وهي :

أ ـ حوالات البريد وسنداته الخاصة بالسفر.

ب ـ خدمة الشيكات البريدية.

ج ـ بعائث مع استيفاء القيمة.

د ـ الاستردادات (المالية).

هـ ـ خدمة الاذخار.

و ـ الاشتراكات الصحفية والمطبوعات الدورية.

وجميع هذه التسهيلات تنظمها اتفاقيات دولية يقرها الاتحاد البريدي العالمي في مؤتمراته وتصادق عليها الدول الأعضاء وتعمل على أساسها في مبادلاتها مع بعضها البعض، كما يجري تعديلها وتحسين مقتضياتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وقد أسند المشرع المغربي إلى الدولة المغربية مسؤولية تنظيم هذه الخدمة لا غير، وذلك بموجب قانون الاحتكار (ظهير بتاريخ 27 ربيع الثاني 1343 / 25 نوفمبر 1924) ويعتبر البريد من ضمن السيادة الوطنية، لذلك تصرفت سلطات الحماية في هذه الخدمة تحت الإمرة المباشرة للمخزن كما ذكرنا، ويلاحظ أن الشبكة التي أحدثتها تلك السلطات في عهد الحماية كانت مخصصة بالأساس لخدمة متطلبات المقيمين الأجانب بالمغرب، وقد عرف البريد مع الاستقلال طفرة نوعية متميزة سايرت التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها مغرب ما بعد الاستقلال، وقد ظلت إدارة البريد تشكل قسما بوزارة البريد والبرق والهاتف حتى شهر يناير 1984 حيث أحدث المكتب الوطني للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية الذي عهد إليه بمهمة استغلال قطاع البريد والاتصالات على صعيد المغرب تحت إشراف وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية. وفي إطار التنظيم الجديد الذي عرفه هذا المكتب وقع تقسيم مهام البريد على مديريتين :

أ ـ مديرية البريد.

ب ـ مديرية المصالح المالية البريدية. وفيما يلي بعض المؤشرات الاحصائية بعدد المنشآت البريدية المتوفرة بالمغرب ومقارنتها بما كان عليه الحال حين استقلال المغرب :

المنشآت / السنة	1956	...	1989
مكاتب بريدية كاملة الخدمات	130	...	507
شبابيك ملحقة	13	...	110
مكاتب ثانوية	29	...	-
وكالات بريدية (القرى)	219	...	578

والعمليات المالية التي أنجزتها المصالح المالية البريدية في المغرب منذ إحداثها (..)

العمليات / السنة	1961	...	1989
الشيكات البريدية	عدد الحسابات 86.445	...	326.076
	الرصيد 275.000 درهم	...	3.609.840.272 درهم
الادخار	عدد المدخرين 168.000	...	573.339
	مجمل الادخار 37.900.000 درهم	...	1.428.426.080 درهم
الحوالات البريدية	عدد الحوالات 2.062.454	...	6.663.783
	المبالغ المتداولة 655.140.329 درهم	...	7.428.264.097 درهم

دليل المتحف الوطني للبريد ـ مطبعة البريد.

L'Union Postale Universelle (1874-1949), Mémoire BI de l'UPU-Berne, Mai 1949 ; *Les Actes de l'Union Postale Universelle*, Hambourg, 1984, Berne, 1985 ; J. de Langre et A. Cotters, *Etude sur les Postes cherifiennes et les cachets Maghzen*, Casablanca, 1970 ; *Rapport d'activités, 1989 de l'ONPT* ; Revues de l'UPU, *Union Postale*, 1985-1990.

حسن اللبادي

بُريدَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pereda، كما أنه اسم لعدة مدن بإسبانيا. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في حدود سنة 1868/1285.

بُريدة، محمد بن الفقيه، وصفه صاحب *عمدة الراوين* بالفقيه الأديب الحيسوبي الميقاتي المنجّم والرياضي والموسيقي والمشارك في عدد من العلوم الأخرى، وقد وقف حياته على تعلّم العلوم وتعليمها في داره التي كان يُلقي فيها الدروس العلمية وكان في نفس الوقت موقتا بالجامع الأعظم، وإليه يرجع الفضل في وضع حصّة تطوان التي نقحها الفقيه محمد لوقش.

توفي محمد بُريدة بتطوان في حدود سنة 1868/1285.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 37، 6 : 42 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 17 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْريزانسْ فرانسيزْ Présence Française، معنى العبارة بالفرنسية "الوجود الفرنسي"، أطلقت على جمعية استعمارية أنشئت في السنوات الأخيرة من الحماية على أيدي بعض غلاة الاستعمار الذين راموا دعم ما أصبح مهزوزاً من نفوذهم بالمغرب بأساليب الإرهاب، ولقد أنشئت غداة عزل محمد بن يوسف عن عرشه يوم 20 غشت 1953 بقصد الردّ على ما ترتب عن تلك المؤامرة من انتفاضة الشعب المغربي ودخوله مرحلة الفداء والمقاومة المسلحة، هذا من جهة، وأنشئت من جهة أخرى لمعارضة التيار التحرري الفرنسي الذي لم يتردد عن فضح عملية 20 غشت وعواقبها الوخيمة على مستقبل الصداقة المغربية الفرنسية، وأضحت يومية "ماروك بريس *Maroc Presse*" لسان حاله من يوم ما صدرت بها افتتاحية تحت عنوان "يوم المغالطة" بتاريخ 11 نونبر 1953، فرأى غلاة الاستعمار ضرورة التصدي لكل ذلك، فأسسوا تجمعهم وجعلوا له ذلك العنوان الصارخ الصريح الذي كانت الغاية منه لفت الأنظار واستقطاب الأنصار، وظلت الجمعية شعاراً مثيراً أكثر مما كانت إطاراً سياسياً إلى ربيع سنة 1954.

في تلك الأثناء نشر بعض أحرار الساكنة الأوربية بالمغرب رسالتهم المشهورة برسالة الخمسة والسبعين، ندّدوا فيها علانية بالأخطاء التي ارتكبتها إدارة الحماية في حق المشروعية المغربية ونادوا فيها بلزوم تدارك ذلك قبل فوات الأوان، ثم أقدموا بعد ذلك على تعبئة صفوفهم بإنشاء جمعية تعمدوا إطلاق عبارة "كونسيانس فرانسيز Conscience française" أو الضمير الفرنسي عليها، عندئذ خطا أصحاب "بريزانس فرانسيز" خطوة التنظيم المحكم، فأحدثوا "الاتحاد من أجل الوجود الفرنسي" الذي تركب من أعضاء الجمعية الأصلية، إضافة إلى أعضاء جمعية استعمارية متطرفة أخرى اسمها "اتحاد المغرب" كان صاحبها المحامي جاك ڤيس Jacques Vaysse، فبات الاتحاد الجديد الممثل الموضوعي للسواد الأعظم من الساكنة الاستعمارية بالمغرب ينحشر فيه صعاليك الاستعمار وجيش ما كان يسمى عندهم بصغار البيضان، ممن كان لا ينتمي حتى للجنسية الفرنسية، وإنما دخل المغرب من إسبانيا أو إيطاليا أو مالطا أو كوريسكا هروبا من شقاء مسقط رأسه وبحثا عن لقمة العيش ليومه، وكانوا محتشدين بأحياء المعارف والصخور السوداء (الروشنوار) بالدارالبيضاء، وبحي المحيط بالرباط، يشتغلون عمالا أو مقدمين على العمال المغاربة (كابرانات) بالمعامل، أو موظفين في الرتب الدنيا من الوظائف الخاصة أو العامة، أو في الشرطة بالأحرى، وكان ذلك أعز ما يصلون إليه من الاشغال، إذ كانوا يسلّون فيها عن حقارة أصولهم الاجتماعية بما كانوا يمنحون من السلطة على عموم المغاربة. ولما أضحى هذا الجيش المقطوع عن جذوره مهدداً في مستقبله بالمغرب، أصبح كتلة بشرية هائلة قابلة لتكون أداة تناور على المسؤولين عن الحماية بالرباط أو بباريس، ولم يتورع زعماء الجمعية عن تسخيرها لأغراضهم. ومن أولئك الزعماء من كان مكشوفا مصرحا به، ومنهم من كان واقفا من وراء بعض الستور. فأما القادة الرسميون فكان منهم الدكتور إيميل إيرو Emile Eyraud البيطار، وكان موظفا أول الأمر في مصلحة تربية الماشية، ثم تسلق سلم الترقية الاجتماعية إلى أن صار مدير جريدة لاڤيجي *La Vigie*، وانتخب رئيس الهيئة الثالثة الممثلة للمعمرين في مجلس شورى الحكومة. وكان منهم الدكتور فرنان كوس Fernand Causse وكان طبيباً ماهراً في توظيف مهنته لكسب الزبناء السياسيين، ذا شعبية واسعة في أحياء المعارف والروشنوار، وكان منهم الكاهن جارو Jarraud الذي لم يخف كُساء الرهبان ما كان منطويا عليه من حب التصرف في الرقاب، وكان منهم المحامي جان بوسكي Jean Busquet زعيم فرع منظمة "صلبان النار" الفاشستية بالمغرب، وكان منهم أيضا المحامي بيرنار لي كورولير Bernard le Coroller وكان صديقاً حميماً لعبد الرحمان الحجوي حاجب السلطان الزائف محمد بن عرفة، وجميعهم كانوا على اتصال دائم بالتهامي الأگلاوي وشيعته العميلة، وبأنصارهم من كبار المسؤولين الفرنسيين بالمغرب أو بفرنسا أمثال بونيفاس Boniface رئيس ناحية الدارالبيضاء إلى حدود شتنبر 1953، وجميع المسؤولين عن الشرطة، والجنرال گيوم Guillaume، ومن خلفه الجنرال جوان Juin، وبعض رجال الأعمال أمثال بوساك Boussac وإميل روش Emile Roche الذين كانوا يمدونهم بالمساعدات المعنوية والمادية. هذا إضافة إلى وقوف صحافة ماس Mas الاستعمارية إلى جانبهم مباركة أعمالهم الإرهابية ومحرضة لهم عليها، سواء في ذلك "لاڤيجي *La Vigie*" أو لي بيتي ماركان *Le petit Marocain* بالدارالبيضاء، أو ليكو دي ماروك *L'Echo du Maroc* بالرباط أو لي كوريه دي ماروك *Le Courrier du Maroc* بفاس.

كانت أساليب عمل الجمعية هي أساليب كل المنظمات الفاشستية، فكانت تمارس الإرهاب الفردي والجماعي ردا على انتفاضة الشعب المغربي، واشتد تكالبها مع تطور الأحداث وتفاقم الأوضاع داخل المغرب وخارجه، بحيث كانت مرحلة شتنبر 1953 إلى يونيه 1954 مرحلة تنظيم واستنفار وكان المقيم العام ما زال هو الجنرال گيوم والحكومة بفرنسا حكومة جزيف لانييل Joseph Laniel اليمينية المتصلبة، إلا أنها أقدمت في أيامها الأخيرة على تعويض گيوم بمقيم عام مدني هو فرانسيس لاكوست Francis Lacoste الذي جاء بإرادة فتح الحوار مع الوطنيين المغاربة، لكن بشرط أن يُجعل حدّ لأعمال الفداء، فاستفادت جمعية بريزانس فرانسيز من تلكؤ المقيم العام

الجديد لتنتقل إلى درجة عليا من العنف، سيما وأن الحكومة بفرنسا كانت تغيرت وأسندت الأمور فيها إلى ماندیس فرانس Mendés - France في شهر يونيه 1954، وكان من مخططاته تصفية الوجود الفرنسي بالهند الصينية بعد هزيمة ديين بيين فو Dien Bien Phu النكراء في ماي السابق من تلك السنة، وكان مصراً أيضاً على فتح باب الحوار مع الوطنيين التونسيين من أجل منحهم الاستقلال الذاتي. يضاف إلى هذا توفق الفدائيين المغاربة في كيل بعض الضربات الهائلة لأقطاب الاستعمار وبريزانس فراسيز بوجه أخص. ففي مراكش وقع رئيس الناحية الكولونيل دوطفيل d'Hauteville متخنا بالجراح مما أصابه من رصاص الفداء يوم 21 يونيه 1954، وفي الدارالبيضاء تمّ اغتيال الدكتور إيرو زعيم الجمعية يوم 31 يوليوز الموالي، فصارت عصاباتها المجرمة تقتل وتدمّر على مرأى ومسمع من الشرطة الاستعمارية وأحيانا برجالها وبأسلحتها، وهكذا ذهب ضحيتها المحامي عمر السلاوي (1 شتنبر 1954) ورجل الأعمال الطّاهر السبتي (2 يناير 1955) والعديد من الأبرياء المغمورين من أبناء الشعب المغربي الذين كانت تقام في صفوفهم غزوات عنصرية دنيئة كانت تسمى في لغة "بّريزانس فرانسيز" بالراطناد Ratonnade أو محق "البيكو Bicot"، وكذلك تعرض لإرهابهم بعض أحرار الساكنة الفرنسية أمثال جاك ريتزير Jaques Reitzer رجل أعمال، وأنطوان مازلا A. Mazella رئيس تحرير جريدة ماروك بريس التقدمية، والمحامي جان شارل ليگران Jean Charles Legrand الذي كان يرافع عن الوطنيين والفدائيين لدى المحاكم الاستعمارية، لكنهم خرجوا كلهم سالمين من الرصاص أو القنابل الموقوتة، إلا مدير ماروك بريس جاك لوميكر دويروي Jacques Lemaigre-Dubreuil فإنه سقط قتيلا يوم 11 يونيه 1955.

كانت وقاحة الجمعية الإجرامية قد بلغت ذروتها منذ الإطاحة بحكومة ماندیس ـ فرانس في شهر فبراير من تلك السنة وتعويضه بإدگار فور Edgar Faure وكان من أهداف فور الرئيسية فكّ العقدة المغربية مثلما كان سلفه ماندیس فرانس قد فكّ عقدتي الهند الصينية وتونس، ولتلك الغاية تم تعويض فراسيس لاكوست الذي بات أسيراً لضغوط بّريزانس فرانسيز بقيم عام جديد هو جلبير گرانفال Gilbert Grandval في شهر يونيه 1955 وكان مذكورا بصرامته وأفكاره المتفتحة في شؤون الاستعمار، فضاق أعضاء الجمعية ذرعاً بذلك بما كان يُستشف منه من قرب فتح حوار رسمي بين الحكومة الفرنسية والوطنيين المغاربة، وفي طليعتهم ملكهم المنفي محمد بن يوسف، ولذلك انتقلوا إلى أسلوب الضغط الجماهيري على الإقامة العامة بإقامة مظاهرات احتجاجية على نوايا الحكومة الفرنسية وعلى جلبير كرانفال ممثلها الذي صار لا يبدو في مناسبة من المناسبات الرسمية العمومية إلا واصطدم بالصياح المعادي والشعارات الاستفزازية، وكانت أعمال الفداء لم تفتر هي كذلك بل تفاقمت في صيف 1955 وأضحت جنائز الأوربيين الذين كانوا يسقطون قتلى من جرائها، مناسبات لتعبير الساكنة الأوربية عما كان قد دخلها من اليأس والهلع، وظنت الجمعية أنها كانت قد سيطرت على الشارع وأنها قادرة أن تنال من صرامة گرانفال مثلما كانت قد نالت من تخاذل سلفه، لكنه ما أن أمر بطرد الدكتور كوس من المغرب أواخر شهر يوليوز حتى تبين أن الجمعية لم تكن سوى هباء ودعاية مسعورة، تبلور شأنها وتضخم حجمها من جراء مساندة إدارة الحماية العليا لها وتغاضيها عن جرائمها، وكفى المقيم العام أن يبدّل بعض المديرين وأن يبدي استعداداً لتقصي الحقائق لتظهر "بّريزانس فراسيز" على ما كانت عليه في الواقع، عصابة من الإرهابيين وظفوا لصالحهم قلق الساكنة الأوربية على مستقبلها بالمغرب. ولا أدل على ذلك من عودة أعضائها إلى العجرفة العلنية غداة استقالة گرانفال أواخر شهر غشت 1955 ولدي تعيين الجنرال بوايه دو لاتور Boyer de la Tour مقيما عاما بالرباط خلفاً له، وكان من ضباط الشؤون الأهلية فيما مضى، وكان ماندیس فرانس استعمله ستاراً لإقرار سياسة التفاهم مع الوطنيين التونسيين حيث كان عينه مقيما عاماً بتونس، وكان قد عانى هنالك أشد المعاناة من المعمرين الفرنسيين الذين رموه بالخيانة والاستخفاف بمصالحهم، فلما عين بالرباط جاء وشغلُه الشاغل أن لا يصطدم بنفس الأمر في المغرب، فجعل من أعضاء "بّريزانس فرنسيز" طرفاً معنياً بمستقبل البلاد، فمروا في مقيميته من مرحلة أخرى من العتو والفساد، وإن كانت حيويتهم في تلك الأسابيع الأخيرة من فترة الحماية تشبه حيوية المحموم المحتضر، ذلك أن الحكومة الفرنسية كانت قد فتحت باب التحاور المباشر مع الوطنيين في إيكس لي البان Aix Les Bains منذ أواخر غشت، وكانت قد بعثت بالجنرال كاترو Catroux إلى مدغشقر لإطلاع الملك الشرعي على ذلك في شهر شتنبر. ثم إن حركة الفداء في المدن والقرى تحولت ابتداء من فاتح أكتوبر 1955 إلى حرب تحررية في البوادي والأوعار، فأدرك الجنرال بوايي دو لاتور أن تعيينه بالرباط لم يكن إلا ستاراً لتصفية الحماية الفرنسية بالمغرب، فاستقال يوم 11 نونبر الموالي فأقيل، وكان التهامي الأگلاوي قد أعلن يوم 26 أكتوبر عن تويته وعن ضرورة جعل حد للأزمة بإرجاع المشروعية إلى نصابها، وعاد محمد الخامس إلى فرنسا وأُعلن عن استقلال المغرب، ثم كانت العودة المباركة إلى الرباط فلم يجد أعضاء "بّريزانس فرانسيز" أمامهم إلا حلْم ذلك الملك الهمام الذي لم يتورع عن استقبال بعض أقطابهم ضمن من استقبل من أعضاء الجالية الفرنسية فعمهم بعفوه وخلّى بينهم وبين أغراضهم بالمغرب على أن لا ينسوا واجبات الضيوف.

S. Bernard, *Maroc 1943-1956*, Université Libre de Bruxelles 1963 ; Hervé Bleuchot, *Les libèraux français au Maroc, 1947-1955*, Université de Provence 1973 ; Pierre Boyer de la Tour, *Vérités sur l'Afrique du Nord*, Paris, 1956 ; L. Cerych, *Européens et Marocains 1930-1956*, Brugges 1964 ; Gilbert Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Paris, 1978 ; P. July, *Une République pour un Roi*, Paris, 1974.

إبراهيم بوطالب

بْرِيَشْ، قرية، ويحمل هذا الاسمَ في الوقت الراهن ثلاثةُ مواقع : واحد على مجرى واد تهدارت، والآخر في مرحلة وسطى بين واد الغريفة وواد تهدارت، والثالث بين اثنين سيدي اليمني وثلاث الريساني. والواضح أن أقدم هذه القرى، هي التي أشار إليها البكري باسم نبرش، حين وضعها على طريق أصيلا النافذ إلى طنجة من جهة الساحل. وتنتمي هذه القرية القديمة إلى فرقة أولاد خلوف من قبيلة الغربية، وهي واقعة بين مصبي واد تهدارت وواد الغريفة. يجاورها هناك دوار الشريف والصخرة. وقد أخبرنا بنفس الموقع برناردو رديگس، صاحب *حوليات أصيلا* وسماه Brias. وكانت القرية خلال وجود البرتغاليين بأصيلا وطنجة خالية، اتّخذت مبانيها ملجأ لمجاهدي جبل حبيب، وطالعا بالنسبة لجنود أصيلا.

تقع قرية بريَش واد تهدارت على الضفة اليمنى من نفس النهر، مباشرة بعد قنطرة الطريق السيار، بجوار قرية المرس. ويحتل الموقع الثالث موقعاً سهلياً بجوار منابع واد حرتن من قبلة البدور الخلطية، بفرقة البدور، في منتصف المرحلة بين اثنين سيدي اليمني وثلاثاء الريسانة، بجوار أولاد يحيى وأولاد موسى.

أ. البكري، *المغرب*، ص 112.

Bernardo Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 261, 2 : 60. 168.

حسن الفگيگي

بريشة، أسرة فاسية كانت تُعرف بأسرة الحُميدي قبل أن تتخذ لقب بريشة، وقد انتقلت إلى تطوان في منتصف القرن الحادي عشر الهجري. وأثناء الحرب المغربية الإسبانية سنة 1860 هاجر جل أفراد هذه الأسرة إلى شفشاون باستثناء التاجر الحاج عبدالكريم بريشة الذي توجه إلى مسقط رأس أسرته بفاس.

وتوجد بتطوان عدة أماكن تحمل اسم هذه الأسرة مثل زنقة بريشة الواقعة بحومة الملاح البالي وفندق بريشة الذي كان بزنقة بين الفنادق، ومثل برج بريشة، وجنان بريشة.

وقد اشتهرت عدة شخصيات من هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

بريشة، عبد السلام بن الحاج عبد الرحمن من أبرز وجوه المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بمدينة أسفي. أصله من عائلة بريشة التطوانية المعروفة. ولد بتطوان سنة 1910، وصحب أخاه الأكبر السيد محمد بريشة حين عين هذا الأخير أمين الديوانة بأسفي سنة 1915. فنشأ بها وكان له نشاط ملحوظ في الحركة الوطنية السياسية، ثم في حركة المقاومة إبان أزمة 53 ـ 1956.

توفي بأسفي سنة 1377 / 1957.

عبد الرحيم العطاوي

بريشة، عبدالكريم (الحاج ـ) بن محمد ولد بتطوان سنة 1830/1246 وقرأ مبادئ العلوم بمسقط رأسه، ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره توجه سنة 1853/1269 إلى مصر للتجارة بها، لكنه ما أن حلّ بالسويس حتى قرر التوجه إلى جدة حيث استقر وفتح بها متجراً لمدة ثلاث سنوات حج خلالها مرتين. وفي أوائل سنة 1856/1272 عاد إلى تطوان ومكث بها سنة ثم توجه إلى فاس حيث عيّنه السلطان مولاي عبدالرحمان أمينا بمرسى الدارالبيضاء.

وفي أواخر سنة 1275/ يوليوز 1857 أُعفى من أمانة الدارالبيضاء وعاد إلى مسقط رأسه حيث تزوج في أوائل سنة 1276 وهي السنة التي غزت فيها القوات الإسبانية أرض المغرب. وعندما أصبحت تطوان مهددة بالسقوط بيد المعتدي توجه عبدالكريم بريشة مع أسرته إلى فاس حيث اشتغل بالتجارة والتحق في نفس السنة بانجلترا وظل بها

إلى أن غادرت القوات الإسبانية مدينة تطوان سنة 1862/1278. فعاد بريشة إلى مسقط رأسه وظل به إلى سنة 1864/1281 حيث توجه مرة أخرى للتجارة بانجلترا لمدة ثلاث سنوات.

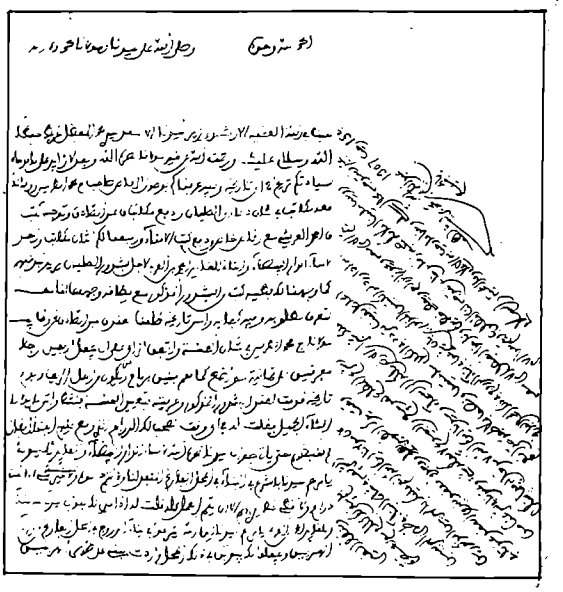

عاد بريشة إلى تطوان في أواخر سنة 1867/1284 ولم تمض أيام حتى ورد الأمر السلطاني بتوليته أمينا بمرسى مدينته، وبعد سنة حلّ محلّه في المنصب المذكور أخوه الحاج محمد بريشة لمدة سنة، فعاد عبدالكريم بريشة إلى مزاولة نفس المنصب الأول أمينا عاماً ببنيقة الداخل والخارج بدار المخزن لمدة ثلاث سنوات.

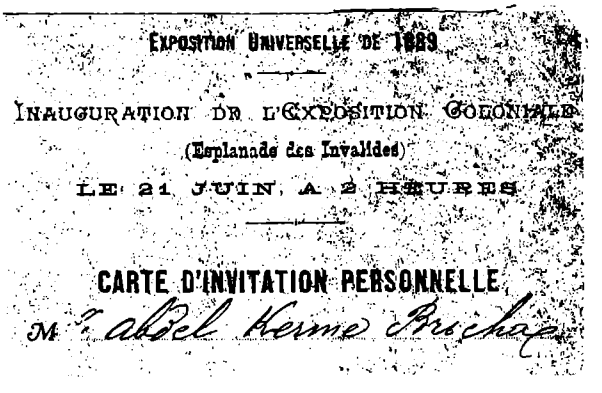

وفي شهر ذي القعدة 1294/نوفمبر 1877 رافق السفير عبدالسلام السويسي في سفارته إلى مدريد لتهنئة الملك الإسباني بمناسبة اعتلائه للعرش. وفي شهر جمادى الثانية من سنة 1295/يونيو 1878 بعثه السلطان سفيراً لدى ملك إسبانيا الفونصو الثاني عشر لمباشرة قضية سانطا كروث ذي ماربيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña المنصوص عليها في الفصل الثامن من معاهدة الصلح المبرمة بتطوان سنة 1860، وكاد بريشة ينجح في مهمته حيث قبلت الحكومة الإسبانية مبدأ التخلي عن القضية المذكورة مقابل تعويض مالي يدفعه لها المغرب لولا وجود عراقل دستورية حالت دون تمكن الحكومة الإسبانية من تنفيذ الاتفاق الذي حصل بين بريشة ووزير خارجية إسبانيا السنيور سيلفيط Silveta.

وفي سنة 1880/1297 عيّنه السلطان بجانب وزير خارجية المغرب محمد برگاش الذي مثل المغرب في المؤتمر الدولي المنعقد بمدريد لدراسة قضية الحماية الشخصية وانتهى بتوقيع المعاهدة الدولية ليوم 3 يوليوز 1880.

وخلال المدة المتراوحة بين سنة 1881/1298 وسنة 1886/1303 توجه عبدالكريم بريشة إلى الخارج لقضاء أغراض خصوصية للسلطان مولاي الحسن الأول، ومن سنة 1887/1304 إلى سنة 1888/1305 استقر بتطوان يباشر تجارته الخاصة.

وفي شهر ذي الحجة عام 1305/غشت 1888 عيّنه مولاي الحسن ممثلا للمغرب في المعرض الدولي الذي أقيم بباريس، وتم تدشينه يوم 21 يونيو 1889 (22 شوال 1306). وعاد بريشة إلى المغرب في شهر صفر 1307/أكتوبر 1889 واستقر بتطوان إلى أواخر سنة 1309 حيث قام برحلته الثالثة إلى مكة المكرمة.

وفي شهر رجب 1312/يناير 1895 أرسله السلطان مولاي عبدالعزيز سفيراً لدى ملكة إسبانيا الوصية على العرش من أجل إعادة النظر في المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة بمراكش يوم 27 شعبان 5/1311 مارس 1894، وفي يوم 4 شعبان 31/1312 يناير 1895 عندما خرج بريشة من الفندق الذي كان يقيم به بمدريد تقدم إليه الكولونيل الإسباني

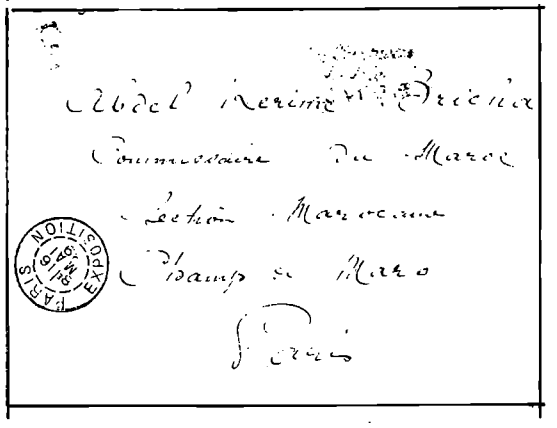

المتقاعد فوينطس Fuentes وصفعه صفعة قوية جعلت السفير يعود إلى الفندق ويمتنع عن التوجه إلى القصر الملكي لتقديم أوراق اعتماده، غير أنه بعد أن اتضح أن الأمر يتعلق بعمل قام به نزق مختل وأن الشرطة ألقت عليه القبض ومثل أمام المحكمة، توجه بريشة إلى القصر الملكي حيث نزلت الملكة من عرشها وتقدمت إليه مقدمة جميع أنواع الاعتذار قائلة له :(أتأسف من صميم فؤادي على الاعتداء الذي وقع عليكم وأني أشعر بألم تلك اللطمة داخل قلبي).

وقد سهل هذا الحادث مأمورية السفير حيث وافقت الحكومة الإسبانية على تعديل معاهدة مراكش باتفاقية أسقطت مليون وأربعمائة ألف ريال من قيمة الغرامة الحربية الناتجة عن حرب مليلية لعام 1893.

وما أن عاد الحاج عبدالكريم بريشة إلى المغرب وعلم السلطان بنتائج سفارته حتى أنعم عليه بخمسين ألف ريال. وتجدر الإشارة إلى أن بريشة عاد من قادس إلى طنجة على متن البارجة الحربية رينا ريخينطي Reina Regente التي تركته بطنجة يوم 9 مارس ولكنها لم تعد إلى قادس حيث ابتلعتها أمواج البحر ومات طاقمها المتكون من 400 بحار.

توفي الحاج عبد الكريم بريشة بتطوان يوم الجمعة 10 محرم 11/1315 يونيو 1897.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 35 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 195.289، 5 : 229.231 ك 6 : 166.171.175.387، 7 : 328 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 321.

Becher, *España y Marruecos*, Madrid, 1903, p. 171 a 294.

بريشة، عبدالواحد الذي عُين يوم فاتح يناير 1930 أمينا للصائر بمشور الخليفة السلطاني بتطوان إلى يوم فاتح أبريل 1932 حيث عُين حاجباً للخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي.

بريشة، العربي بن محمد المولود سنة 1844/1260 الذي خلف الحاج محمد بن العربي الطريس على رأس عمالة الدارالبيضاء. وقد توفي سنة 1899/1317.

بريشة، محمد بن عبدالسلام. يعد الشخصية الثانية بعد الحاج عبدالكريم في أسرة بريشة التطوانية التي لعبت دوراً بارزاً في الحياة السياسية والمالية بالمغرب في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان وسيدي محمد بن عبدالرحمان ومولاي الحسن الأول.

ولد المترجم له بتطوان وبها قرأ مبادىء العلوم والتحق بالخدمة المخزنية وهو دون الثلاثين من عمره، حيث نجده يشغل منصب أمين الصائر بدار المخزن بمراكش سنة 1829/1245.

وعلى يديه جرت عملية أداء مال الغرامة المفروضة على المغرب من جراء الحرب التي أعلنتها إسبانيا ضد المغرب سنة 1859/1276، وبهذا الصدد يمكن أن نقول إنه لا توجد وثيقة من بين آلاف الوثائق المخزنية المتعلقة بمال الغرامة لم تكن صادرة عنه وموجهة إلى السلطان أو الصدر الأعظم أو الأمير مولاي العباس، أو تكون موجهة إليه من واحد منهم، أو ورد اسمه فيها على الأقل خلال الفترة المتراوحة بين سنة 1860/1277 وسنة 1883/1301.

وهكذا يكون المُترجم قد قضى نصف قرن من عمره في خدمة بلاده إلى أن وافته المنية يوم 3 محرم 23/1302 ديسمبر 1884.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 36 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 294. 329، 5 من 14 إلى 133، 8 : 193. 270. 327. 424.

بريشة، محمد بن محمد الذي استخدم أمينا بمرسى الرباط ومرسى تطوان، وناظراً على الأحباس بتطوان إلى أن وافته المنية سنة 1899/1317.

بريشة، محمد بن محمد بن عبدالسلام، تولى الأمانة في كل من الرباط والصويرة ومراكش وفاس والعرائش وطنجة في عهد السلطان مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز، إلى أن فُرضت الحماية على المغرب حيث عاد إلى مسقط رأسه.

وفي 23 محرم 23/1346 يوليوز 1927 عُين على رأس باشوية تطوان ثم أُعفي منها يوم 20 شعبان 23/1345 فبراير 1931. وقد توفي بتطوان يوم 28 ذي القعدة 26/1359 ديسمبر 1940 ودفن بالزاوية الحراقية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 35 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 37، 228، 231، 6 : 132، 133 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ *الجريدة الرسمية* لمنطقة حماية إسبانيا بالمغرب سنة 1940، ص 216 وسنة 1932، ص 443.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْريط، جوزيف دومينيك Bréthes, J. D. يرتبط اسمه بمجموعته من النقود التُّحَفِيَّة المشهورة (مجموعة بنك المغرب حاليا) وبكتابه المطبوع سنة 1939 عن النقود المغربية، ولم نعثر على تفاصيل موسعة عن حياته. فهو من أصل فرنسي، استقر في الدارالبيضاء بعد تقديم خدمات كضابط في الجيش الفرنسي، له خبرة بعلم الآثار كما تفيد مقدمة كتابه، وساهم في التَّنْقيبات الأثرية حيث عثر في إحدى الحفائر سنة 1929 على بعض القطع النقدية من

مجموعته، وقد اشتهر بالخصوص باهتمامه بعلم المسكوكات، ويعتبر أحد أشهر هواة جمع النقود القديمة مختصاً في العملات المغربية، بحيث تعدّ دراسته من بين أهم المراجع في تاريخ المسكوكات المغربية.

المجموعة النقدية : تحدث بريط في *فهرسه العام* عن أماكن الحصول على مجموعته القيمة التي شملت كلاً من المغرب والجزائر وتونس، وهذه المجموعة تعتبر أجمل وأنفس مجموعة نقدية إسلامية في العالم، ذلك أنها تحتوي على ما يناهز اثني عشر ألف قطعة، وتقدم تصوراً وافياً عن تاريخ السكة بالمغرب منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، كما أنها تحتوي على طائفة هامة من النقود القديمة لفترة ما قبل الإسلام، تتكون من قطع تعود للعهد الإغريقي والروماني ومجموعة من النقود الإسلامية المشرقية والمغربية، وتكتنز ثروة عظيمة من المعلومات الخاصة بتاريخ مختلف الأسر الإسلامية الحاكمة وخاصة منها المغربية، وتاريخ الأحداث المالية والاقتصاد عموماً.

تنفرد مجموعة بريط النقدية بخصوص تاريخ المغرب بوجود مجموعة من السلاسل النقدية التي تبرز صورة منتظمة لواقع العملة الاسلامية بالمغرب بما في ذلك عهد الولاة من قبل الأمويين بالمغرب والأندلس وعهد العباسيين، ثم الأدارسة ومغراوة بفاس وبني مدرار بسجلماسة، وكذا عهد المرابطين والموحدين والوطاسيين وبني عبدالواد بتلمسان ومدى ارتباطهم بتاريخ المغرب، وكذا العهدان السعدي والعلوي، وهذا مما يفسح المجال للتفكير في كتابه تاريخ عام للنقود بالمغرب.

وقد كان الحظ حليف هذه المجموعة حينما قام بنك المغرب باقتنائها من صاحبها جوزيف بريط سنة 1950، وظلت لمدة عشر سنوات دون أن تكون موضوع دراسة علمية. وفي سنة 1960 عمد بنك المغرب إلى الاستعانة بقسم النقود والأوسمة التابع للمكتبة الوطنية بباريس، فوضع رهن إشارته أحد خبراء علم المسكوكات الإسلامية المشهورين وهو دنيال أُسطاش Daniel Eustache بتوصية من جورج كولان، وقد سبقت لأُسطاش معرفة بتاريخ المغرب واهتمام بعلم المسكوكات عندما شغل منصب القيم بخزانة معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط ما بين سنة 1949 و1955 ثم انتقل إلى المكتبة الوطنية بباريس ما بين 1956 و1968، وقد أعير أثناءها خلال 1960. 1961 لبنك المغرب، ثم التحق بالمَركز الجامعي للبحث العلمي بعدها مكلفاً بقسم الدراسات في بنك المغرب في أعوام 1968 و1976 ورجع بعدها إلى فرنسا متقاعداً، حيث توفي هناك في 19 يناير 1991.

ونلخص أهم الأعمال التي أنجزها بريط بخصوص هذه المجموعة النقدية في إطار بنك المغرب فيما يلي :

في إطار بنك المغرب فيما يلي :

ـ قام بوضع *فهرس عام* لهذه المجموعة بعد تصنيفها تاريخيا ما بين سنة 1960 و1961.

ـ أشرف على تأسيس معرض دائم لهذه المجموعة بوكالة بنك المغرب بالدارالبيضاء يتضمن 2099 قطعة مختارة من أصل 12.000 قطعة معروضة حسب التسلسل التاريخي في تسع عشرة واجهة، وقد وقع تدشين هذا المعرض من قبل جلالة الملك الحسن الثاني بتاريخ 30 أبريل 1964، وأبدى اهتماماً بالغاً بهذا العمل، غير أن المعرض الآن لا يزار إلا بإذن خاص.

ـ أنجز ـ بإشراف بنك المغرب ـ جزءاً هاماً من مشروع يهدف إلى كتابة موسوعة خاصة بتاريخ النقود بالمغرب، اعتماداً على مجموعة البنك وغيرها من المجموعات، وقد أصدر منها: *الجامع في الدراهم الإدريسية* سنة 1970، *والجامع في النقود العلوية* في ثلاثة أجزاء سنة 1964، ومجموعة من المقالات في مختلف المجلات. ويشتغل الآن أحد الباحثين في إعداد *الجامع في النقود السعدية*.

فهرس بريط، عنْونه *بمساهمة في تاريخ المغرب من خلال أبحاث في المسكوكات* طبعت بالدار البيضاء سنة 1939، صفحاته 275 ص رتبت مادتها في أحد عشر فصلا، خصص بعد المقدمة الفصل الأول للنقود النوميدية والموريطانية، والفصل الثاني للنقود العربية قبل الإسلام، وخصص بقية الفصول للأسر المغربية الحاكمة وبعض الإمارات الناشئة سواء في المغرب أو في الجزائر وتونس. وكانت منهجيته مبنية على أساس إعطاء نبذ تاريخية متبوعة بجدول أنساب الأسر الحاكمة، ثم يخلص إلى فهرسة أهم القطع المعروفة كنماذج مصنفاً إياها على أساس دور الضرب، وعلى أساس المعادن التي صنعت منها، مع تقديم أوصافها ومقاييسها وأوزانها. وقد حلّى هذا الفهرس بـ 43 لوحة خاصة بنماذج واضحة للقطع النقدية في مختلف العهود وبعض الأوسمة ذات المضمون التاريخي، وألحق بالفهرس نصين عربيين مترجمين حول السكة.

وإذا كانت هذه الفهرسة ذات أهمية بالغة لأنها أضافت جديداً في بابها وتعد مرحلة متقدمة بالنسبة لفهرسة لاڤوا Lavoix فهي موسومة ببعض المآخذ كما أنها لا تتوفر على فهارس عامة مما لا يسهل معه الوصول إلى المعلومات المقصودة عن طريق مداخل مفهرسة.

بنك المغرب (وكالة البيضاء) ـ *معرض النقود القديمة والإسلامية*، تقديم السيد محمد الزغاري، الرباط 1962.

J. D, Bréthes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; D. Eustache : *Corpus des Dirhams Idrisites et Contemporains*, Collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales Publiques et Privées, Rabat, 1970- 1971, p. 15-21 ; *Corpus des Monnaies Alawites*, collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales, Rabat, 1984, 3 t ; *L'Ambassade du Royaume du Maroc à Paris*. - Une Exposition consacrée à la monnaie marocaine. (La collection de la Banque du Maroc) Paris, 1976.

عمر أفا

بريطل، أسرة مغربية معروفة ربما كان أصلها من الأندلس. وبريطل تصغير لكلمة برطال Pordal الإسبانية التي تعني العصفور. وقد عاش آل بريطل في المناطق التي نزح إليها المهاجرون الأندلسيون : تطوان وسلا والرباط.

وقد انقرضوا من تطوان في حدود عام 1100 / 1689، ويُذكر من بين أفراد هذه الأسرة التطوانية الفقيه عيسى بن علي بريطل كان يزاول خطة العدالة سنة 1091 / 1680. ومع ذلك لم تنقطع الصلة بين تطوان وآل بريطل في سلا والرباط، إذ نجد رئيس البحر الحاج عبد الرحمان بريطل الرباطي تصنع له كسوته الحربية بتطوان سنة 1243 / 1828، كما نجد السلطان مولاي عبد الرحمن يأمر باشا تطوان سنة 1250 / 1834 بأن يختار بعض الشبان التطوانيين ويوجههم لتعلم الملاحة على ظهر سفينة الرايس بريطل الرباطي، أما آل بريطل السلويون فأغلبهم مقرئ مجود مدرر، عرفت كتاتيبهم بأسمائهم في مختلف أحياء المدينة، ومنهم بحريون مجاهدون يعملون في المدفعية وغيرها.

وأسرة بريطل التطوانية ليست هي أسرة برطيل ولا أسرة براطيل.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 283 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

بريطل، إبراهيم (الحاج ـ) كان أميناً بمرسى الرباط أيام المولى سليمان، وقد امتُحن مع أمناء الرباط وسلا وقاضي الرباط وناظره وعدوله على يد وزير السلطان محمد بن عبد السلام البخاري السلاوي في فاتح شوال عام 1226 / 20 أكتوبر 1811، وسجنوا جميعاً بحبس قصبة الأوداية، ولم يخرجوا منه إلا يوم الاثنين 15 ذي القعدة على أن يؤدوا ذعيرة قدرها سبعة قناطر (من المال) فدفع الأمين إبراهيم بريطل نصيبه من هذا المال المردود وهو تسعمائة مثقال واثنا عشر مثقالا وخمس أواق وبذلك انتهت محنته.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 366 و368.

بريطل، أحمد السلوي، كان من رياس البحر، أدرج اسمه بهذه الصفة في قائمة المستفيدين من الصلات السلطانية المنفذة للمجاهدين. الأولى غير مؤرخة، والثانية مؤرخة بثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 85 و171.

بريطل، بناصر بن عبدالرحمن. ولد بالرباط عام 1902/1319 وبها نشأ وتعلم على يد والده القاضي عبدالرحمن وغيره. وتولى خطة القضاء بأولاد فرج بدكالة عام 1933/1352، ثم بالرحامنة فزعير فأحواز الرباط. وفي خضم مآمرة سنة 1953، التي شارك فيها إلى جانب الاستعماريين أذنابهم من رجال السلطة المغاربة، رُقي بناصر بريطل إلى قضاء عاصمة الرباط حيث بقي يعمل إلى أن حصل المغرب على الاستقلال، فعزل وأصيب بنوبة قلبية قضت عليه أواخر سنة 1956.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 152.155.

بريطل، الطاهر بن محمد الرباطي "الفقيه العلامة الخير المدرس العدل" بهذا حلاه العربي التهامي الوزاني في معجم شيوخه. كان من الشهود المبرزين في سماط عدول الرباط، وقد أخره القاضي عبد الرحمن بسير مدة ثم رده إلى الخطة. وكان يقوم في نفس الوقت بالتدريس في المسجد الأعظم، والخطبة به وبالزاوية الناصرية. وكانت وفاته بالرباط في عاشر شعبان عام 1282 / 13 ديسمبر 1865، ودفن بالزاوية التهامية.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 316 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1282 ؛ م. دينية، *مجالس*، 187.

بريطل، عبد الرحمان (الحاج ـ) الرباطي من رؤساء البحر البارزين في العدوتين. لما عزم المولى عبد الرحمان بن هشام على إحياء البحرية المغربية اعتمد بالأساس على الرئيسيين الحاج عبد الرحمان بريطل وعبد السلام بن الفقيه. ووجه إليهما ظهيراً مؤرخاً في 26 قعدة عام 1241 يأمرهما فيه بالخروج إلى عرض البحر الكبير (المحيط) والبحث عن مراكب دول أوربية معينة لا تربطهم معاهدة سلم بالمغرب، كما أمرهما بالمداومة على قراءة حزب القرآن وحزب البحر صباحاً ومساءً.

وإلى جانب ذلك كان الحاج عبد الرحمان بريطل يقوم بتفقد قطع الأسطول المغربي في مختلف المراسي، ويشير على المخزن بما يلزم من إصلاح وغيره. كما كانت تقام له كسوة بحرية ممتازة على يد صناع تطوان.

توفي بعد عام 1250 / 1834.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 132. 134. 149.

بريطل، عبد الرحمان بن **بناصر** الرباطي. فقيه موقت مشارك، درس بمسقط رأسه على إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري، وبفاس على أحمد ابن المامون البلغيثي. ولي خطة الشهادة والتوثيق ثم القضاء بالقنيطرة وأحواز مكناس ثم أزمور والعرائش والجديدة وغيرها. ولم

تكن هذه الوظائف تعوقه عن القيام بمهمة التدريس التي كان شغوفاً بها، حتى يقال إنه كان يلقي بمدينة مكناس خمسة دروس في اليوم، في قواعد اللغة والفقه والحديث والحساب والتوقيت. وخلّف مجموعة *نوازل* في مجلدين *وتقييداً على شرح عقود الجمان* للسيوطي، *وكتابة على اللوغاريتمات*، وختم *فرائض المختصر*. من أشهر تلاميذه الرباطيين المدني ابن الحسني، ومحمد السايح، ومحمد بوجندار.

توفي بالرباط في 5 ربيع الثاني عام 1363 / 30 مارس 1944. (كذا في *الإتحاف*، وحسب *أعلام الفكر* : توفي يوم عاشر صفر 1363).

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1363 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 336.

بريطل، عبد الله السلوي، من طلبة القرآن المتخرجين من الكتاتيب، كان من بين سبعة طلاب سلويين اختيروا لنجابتهم ليتعلموا اللغة الإيطالية في طنجة قبل إرسالهم في بعثة تعليمية إلى الخارج (رسالة محمد برگاش إلى نائبه الطريس في 25 قعدة 1302) ثم نجد اسم عبد الله بريطل ضمن قائمة الطبجية المجاهدين السلويين الذين شملتهم صلة الحسن الأول بتاريخ 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 185 و224.

بريطل، العربي بن إبراهيم السلوي. من المجاهدين البحريين الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

بريطل، محمد بن إبراهيم السلوي، أستاذ ابن أستاذ، اشتغل بشؤون البحر، وأدرج اسمه في قائمة المنعم عليهم بصلة الحسن الأول في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وفي القائمة الثانية المخصصة "للطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" بتاريخ ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 و170.

بريطل، محمد بن الطاهر السلوي أستاذ مقرئ وبحري يعمل في فرقة المدفعيين الطبجية، وبهذه الصفة استفاد من الصلة التي خصها الحسن الأول للمجاهدين البحريين السلويين في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875، والصلة الثانية المؤرخة في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 1 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 و170.

بريطل، محمد بن عبد الله السلوي (الحاج ـ) الأستاذ شيخ القراء بسلا في عصره، المدعو "ابّا الفقيه". كان يحفظ القرآن بالقراءات السبع، ويعلم الصبيان طيلة حياته في كتّاب يحمل اسمه بحومة باب حساين. وقد كتب بيده مصاحف شريفة في غاية الضبط والاتقان، أحدهما محفوظ بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا (رقم 20).

وقد انفرد صاحب *إتحاف المطالع* فوصفه "بالعلامة المشارك القاضي" نقلا عن الشيخ جعفر بن أحمد الناصري، وهي صفات لم يذكرها له غيره خاصة ولاية خطة القضاء. ويوجد اسم الأستاذ الحاج محمد بريطل في قوائم المدررين وحفّاظ القراءات السبع بمدينة سلا المستحقين للصلات الخاصة، إحداها مؤرخة في تاسع عشر شعبان عام 1278 / 19 يبراير 1862.

توفي بسلا عن سن عالية عام 1334 / 1915.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 421 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 154 ؛ *التعريف ببني سعيد*، 2 : 55 ـ 53 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، 53.

بريطل، مَحمد بن محمد السلوي، ابن الأستاذ شيخ جماعة المقرئين سابق الترجمة. فقيه أديب، عين عام 1318 / 1900 عدلا بالمرسى، ثم أصبح سنة 1332 / 1913 مدرساً بأول مدرسة عصرية فتحها الفرنسيون بسلا في دار ابن عطار بباب حساين (مدرسة البنات حالياً) إلى أن توفي قريباً من موت والده في فاتح قعدة عام 1335 / 19 غشت 1917.

رواية شفوية عن العدل السيد عبد النبي النجار.

محمد حجي

بريف Brives، أستاذ في الجيولوجيا كان يدرس في مدرسة العلوم بالجزائر (وصارت كلية للعلوم فيما بعد) أوفدته السلطات الاستعمارية من الجزائر إلى المغرب ليجوب أراضيه ويسبر تشكيلته المورفولوجية ويستنبط بنيته الجيولوجية بحثاً عن مقدراته المعدنية ويجمع المادة العلمية لرسم الخريطة الجيولوجية المدققة للبلاد، وكانت رحلته الأولى بأمر من رڤوال Révoil يوم كان والياً عاماً على الجزائر وامتدت من 3 دجنبر 1901 إلى 25 فبراير 1902، جاب أثناءها مناطق المدن الكبرى كالدار البيضاء ومراكش والجديدة والرباط ومكناس وفاس والرباط مرة أخرى ثم العرائش فطنجة. وكانت الرحلة الثانية بأمر من جونار Jonnart خلف رڤوال على كرسي الولاية الجزائرية وتشجيع من أوجين إتيين Eugène Etienne زعيم حزب الاستعمار بفرنسا، وامتدت من 22 يوليوز إلى 7 أكتوبر من سنة 1902 زار أثناءها منطقة الحوز وقبائلها وبعض أودية الأطلس الكبير الغربي وأبوابه المؤدية إلى سوس. وكانت الرحلة الثالثة من 3 يناير إلى 30 ماي 1904 فانطلق من طنجة وزار وزان ثم فاس ثم العرائش ثم الصويرة ثم أسفي ثم بلاد سكساوة وإدا ومحمود وإدا وتنان فسوس. وكانت الرحلة الرابعة من 15 غشت إلى 10 أكتوبر 1905 مر فيها من الجديدة ومراكش وسكساوة وبلاد احمر فالجديدة في ختام المطاف. وكانت الرحلة الخامسة والأخيرة من 10 نونبر 1906 إلى 24 يوليوز 1907 زار أثناءها الصويرة والشياظمة وتوقف مرتين ضيفاً على القائد الطيب الگندافي. ولقد دوّن بريف مشاهداته وارتساماته ورسومه الجغرافية في كتاب ضخم جاء في مجلدين يقف القارئ فيه على بعض المعطيات الملموسة من واقع المغرب قبل الحماية معززة بصور، هي وإن اصفر لونها، إلا أنها مازالت تفصح من تلقائها عن عادات أسلافنا في اللباس والحلاقة والسكن وألعاب الأطفال مثلا.

ومما تميز به بريف أنه قام برحلاته تلك، إذا ما استثنينا الرحلة الأولى، رفقة زوجته وتوغل معها في الأفاق والأوعار دون أن يعترض سبيلهما أحد ولا ألحق بهما أي مكروه، مما يفند ما كانت تروجه الصحف الأوربية وموظفو القنصليات من انعدام الأمن وعموم الفوضى في المغرب آنذاك، قال :"لقد كنا نرتدي لباسنا الأوروبي باستمرار ولم يكن معنا من السلاح سوى مطرقة الجيولوجي واستطعنا مع ذلك دخول المناطق التي كانت مازالت مجهولة من الأطلس مثل مناطق إدا ومحمود وإدا وتنان التي يشاع أنها لا تخترق، بل جبنا سوس نفسه، تلك الحديقة الإسلامية التي مازالت إلى اليوم ممتنعة عن الأوربيين". وقال عن فاس لما زارها في رحلته الأولى :"لقد استطعت أن أتجول هنا وهناك في أحياء المدينة ولم يحصل لي من ذلك أي مضايقة، ولباسي نفسه قليلا ماكان يثير الانتباه". لكن آخر رحلاته صادفت مقتل الدكتور موشان Mouchamp بمراكش وبداية تنفيذ المؤامرة الاستعمارية المبيتة فلم يفت بريف أن يلمس ما أضحى يقلق بال المغاربة حيث قال :"إن هؤلاء الناس لا يحبون الأوربيين لأنهم يخشونهم". وكان الرحالة على بينة تامة من الغاية الاستعمارية من تجواله حيث قال :"إن كانت النتائج المحصل عليها خلال هذه الرحلات وإن كان لما مارسناه من التاثير على الأهالي ما من شأنه أن يخدم قضايا فرنسا في هذا البلد الذي هي مطالبة بالأخذ بزمام أموره، فإننا لن نندم على ما عانينا من المتاعب والقلق".

وقام بريف برحلة خاصة إلى جبال بني إزناسن حصر فيها ملاحظاته عند اهتماماته الجيولوجية وكان ذلك في شهر فبراير 1908.

A. Brives, *Voyages au Maroc 1901 - 1907*, Paris, 1909 ; *Les Beni - Snassen*, Alger, 1908.

إبراهيم بوطالب

بريكْشَة، قرية تقع على مسافة حوالي 19 كلم شمال وزان، وتنسب إلى قبيلة الرهونة في جبالة المنتمية إداريا إلى فخذة أولاد ابْرُونْد، جماعة بريكشة، دائرة مقريصات، إقليم شفشاون، بعد أن كانت منتمية في إحصاء 1971 إلى دائرة وزان في إقليم القنيطرة. وتتكون الآن من أربع وحدات سكنية تخترقها الطريق الثلاثية الموصلة إلى الطريق الرئيسية رقم 28 الرابطة بين مكناس وتطوان عبر وزان.

تتوطن الوحدات السكنية الأربع على سفوح وقمم تلية منخفضة نسبيا، يتراوح مستواها بين 250 و310 متر. وتتكون الصخور الزاحفة من طَفْل وزان الأبيض الباليُوسيني الذي يمكّن الشُّعب الكثيفة والمنابع العديدة من التفرع نحو اللّكُوس أو رافده وادي زَنْدولة.

كما هو الشأن بالنسبة لباقي أجزاء الجماعة، تظل الكثافة السكانية مرتفعة نسبياً (فوق 80 ن/كلم2) وتتخذ الدواوير بنيات متجمعة ومواضع معلقة. أما تطور عدد سكان بريكشة والدواوير المتاخمة لها فيرد على النحو التالي :

الدواوير	1971	1982
بريكشة	395	382
زرادون	312	360
ليبابْرة	289	277
المجموع	996	1019

يتجلى من خلال هذا الجدول أن نسبة نمو المجموعة السكنية شبه راكدة، بل هي سلبية بالنسبة لزرادون وحتى بالنسبة لبريكشة التي تعتبر مقر قيادة الجماعة وأهم قرية فيها من حيث التجهيزات الاقتصادية والاجتماعية. ولعل مرد هذا التراجع السكني يكمن بالخصوص في حدة النزوح القروي، نفوراً من الامكانيات الفلاحية المحلية الهزيلة. ذلك أن زراعة الشعير والذرة جد ضعيفة، نظراً لوعورة التضاريس ورداءة التربة وعتاقة أسلوب الاستغلال. إضافة إلى ذلك، لا تغطي الحبوب سوى مساحات متقلصة ومتقطعة، رغم التساقطات الوافرة (800 مم سنويا) وتقدم الاجتثاث في جزء كبير من السفوح. والحالة هذه، تمثل مغارس الزيتون موردا ذا قيمة بالغة، كما يشكل الرعي نشاطا تكميليا حيويا يقوم على استغلال الأراضي البائرة والأحراش والغابات في الغرب (زيتون بري، مصطكا، فستق) والغابة الفلينية المتصلة في الجنوب الشرقي.

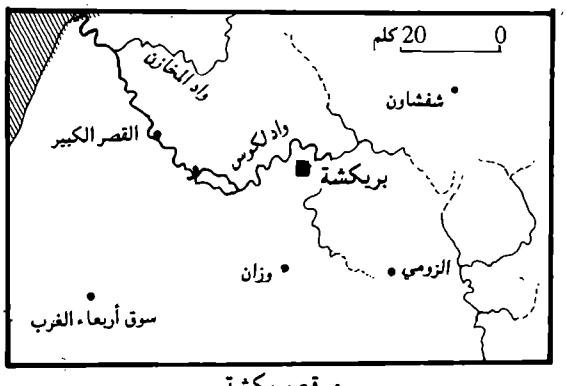

موقع بريكشة

مديرية الاحصاء بالرباط، السكان القرويون حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971 وسنة 1982 ؛ *أطلس المغرب*، اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط ؛ أ.الغرباوي، *خريطة جيومرفولوجية لشبه الجزيرة الطنجية*، لوحة الشاون، مقياس 1/100.000، الرباط، 1981.

مصطفي عياد

بْريگولي، گريگريو Bregoli، كولونيل إيطالي رئيس البعثة العسكرية الإيطالية بالمغرب. حل بفاس سنة 1888 ليُسير ماكينة السلاح التي أنشأها السلطان الحسن الأول حتى أُعفي من منصبه سنة 1895.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1469-1470 ؛ *الوثائق المغربية*.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 : 99-100.

مصطفى بوشعراء

بيريل Beryl (زمرد صابوني) هو عبارة عن سيليكات الألومنيوم والبريليوم $Al_2Be_3(Si_6O_{18})$، سداسي الأوجه، على شكل موشورات ممددة مقناة أو مستديرة تحتوي على كسور محارية تنفرد بتحدد ألوانها الكثيرة الوضوح أحيانا، صلابته 7,5-8 ؛ كثافته 2,63-2,80 ؛ ألوانه متنوعة، أصفر إلى أصفر مخضر (الهيليدور) إذا ما كان مختلطا بعناصر نادرة كالكروم (Cr) والأورانيوم (U) وبقايا الحديد (Fe)، أزرق أخضر أو شبيه بلون الماء(زمرد ريحاني) إذا ما كان مختلطا بعناصر نادرة كالكروم (Cr) وبقايا الحديد (Fe)، أخضر عميق (زمرد)، وقليلا ما يكون البيريل عديم اللون ؛ لمعانه زجاجي.

يوجد معدن البيريل بكثرة بالگرانيت (أعبل) والبجماتيت، وقليلا في النضيد الميكائي والكلس الحمري المتحول.

أهم مكامن البيريل بالمغرب تتمركز أساساً في البجماتيت الاعبلي الموجود بالأطلس الصغير الغربي (سهول تازناخت، بهرة، إگر، أگادير ملول، آزرار) ؛ والأطلس الصغير الشرقي (تيوين، أفرمت، إغرم تسيلي، منطقة ورزازات، أنو إيشو، جبل صَغرو).

هناك بعض الدلالات للبيريل بأزگور، وفي الصخور الكلسية المتحولة إلى سكارن بالجبيلات، والمصاحب إما للبجماتيت بالرحامنة أو لعروق الجرانيت والمرو في أُلماس (مكمن القيريت) حيث البيريل مجتمع مع معدن القصدير، سواء في العروق أو في جيوب الميكا.

يستعمل البيريل في الصباغة، وصناعة منافذ مصابيح الأشعة السينية، وفي الميدان النووي مثل إنتاج أو تبطئة النترونات، وكذا لتهيئة التريسيوم ؛ في الصناعات المعدنية كتهييئ البرونز أو كمضاد للتأكسد بالنسبة لسيل بعض خلطاء المعادن ؛ وصناعة الخزف.

رغم وجود البيريل في أُلماس وأزگور والرحامنة والجبيلات، فإن الأهمية الاقتصادية لم تتمثل في الماضي سوى في صخور البيجماتيت لتازناخت وأكردة بالأطلس الصغير.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا، منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F. Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd., Paris, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français - arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubis Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques associées)*, 2ème Ed., tome 1, Notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., tome 3, Notes et mémoires du Service géologique ; P. Lapadu - Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

بْرَيْم (أيت ـ) قبيلة تقع شمال الأطلس الصغير، جنوب شرق تزنيت، شاركت غيرها من قبائل سوس الأقصى في مختلف الأحداث السياسية الهامة التي توالت على المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر على الأقل. نذكر منها :

ـ حركة أغناج الحاحي على عهد السلطان مولاي سليمان.

ـ زيارة مولاي الحسن التي عين بمناسبتها الشيخ يحيى البريمي قائداً على أيت بريم في 13 شعبان 1299.

ـ حَرَكَة أحمد الهيبة التي انخرطت فيها قبيلة أيت بريم، كسائر قبائل سوس الأقصى.

شاركت أيت بريم في مواجهة حملات جيوش الاحتلال الفرنسي، التي توالت على سوس منذ انهزام أتباع أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان. من جملة هذه الحملات حركة القائد حيدة مايس، وحملة الجنرال دولاموت التي شارك فيها قواد الحوز وهوارة وحاحة وهشتوكة.

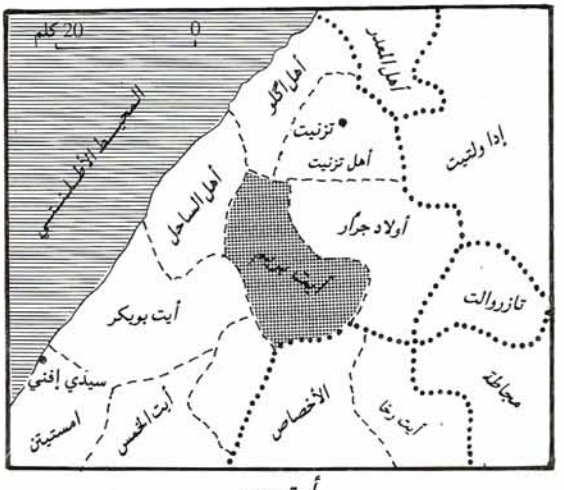

أيت بريم

اشتهرت أيت بريم في مجال المعرفة بفضل مدرستين علميتين تقعان بترابها : المدرسة البونعمانية، والمدرسة البوعبدلية. ولعل أشهر فقهاء المدرسة البوعبدلية الشيخ المحفوظ الأدوزي، الذي تولى مهمة التدريس بها من نحو 1314 إلى غاية 1331.

ومن معالم أيت بريم الدينية زوايا بني نعمان البكريين، التي كانت لها شهرة بين القرنين السابع والثامن الهجريين. ولم يبق منها إلا قباب مشيدة على أضرحة بعض الصالحين منهم.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 5 و303 ؛ *سوس العالمة*، ص. 165 ؛ *رسالة* من القائد أحمد بن الطاهر : ابلاغ السلطان مولاي الحسن في 15 رجب 1303 هـ ؛ م. الاگراري، *روضة الافنان*، ص. 109. ت. حمدي أنوش، ر.د.د.ع الرباط، رقم 120.

علي المحمدي

بَريم، خوان بَّراطس Prim Juan Prats جنرال إسباني ولد بمدينة ريبوس بمقاطعة كاطالونيا يوم 6 ديسمبر 1814، وعندما وجبت عليه الخدمة العسكرية فضل البقاء بالجيش حيث شارك في الحرب الأهلية الإسبانية لسنة 1835 وبفضل شجاعته نال رتبة ملازم في نفس السنة ورتبة قبطان في السنة الموالية، كما أنه شارك في جميع الحروب الأهلية التي عرفتها بلاده من سنة 1836 إلى سنة 1843، وفي سنة 1844 حكم عليه بالسجن ست سنوات بسبب مشاركته في مؤامرات ضد النظام الملكي، غير أن العاهل عفا عنه، وفي شهر أكتوبر من سنة 1847 عَيَّنه حاكماً عاماً بمستعمرة بويرطو ريكو Puerto Rico بأمريكا حيث ظل إلى غاية شهر سبتمبر من السنة التالية، وفي سنة 1850 انتخب نائبا في البرلمان وفي سنة 1856 عُين حاكما عاماً بمقاطعة غرناطة.

وعندما أعلنت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية Isabel II الحرب ضد المغرب في شهر أكتوبر 1859 كُلف بَريم برآسة الفرقة الاحتياطية بالجيش الذي غزا المغرب انطلاقاً من سبتة، وكانت العملية الحربية الأولى التي شارك فيها هي معركة الفنيدق المعروفة عند الإسبانيين بمعركة كاسطيبخوس Castillejos التي جرت يوم فاتح يناير 1860 وقد انتصر فيها الجيش الإسباني بفضل الشجاعة التي أظهرها بَريم عندما تدخل شخصيا في المعركة للحيلولة دون تقهقر الجنود الإسبانيين، وهذا ما جعل الملكة الإسبانية تنعم عليه يوم 13 مارس 1860 بلقب ماركيز دي كاسطيبخوس Marques de los Castillejos.

بريم : معركة الفنيدق يوم 1.1.1860

وفي شهر ماي 1860 عاد بَريم إلى بلاده، ثم ذهب إلى مكسيكو Mexico بأمريكا حيث شارك في الحرب التي كانت قائمة هناك من سنة 1861 إلى سنة 1864 وهي السنة التي عاد فيها إلى إسبانيا وشارك في جميع المؤامرات

المدبرة ضد النظام القائم في بلاده، وفي يوم 30 ديسمبر 1870 لقي حتفه نتيجة لاعتداء وقع عليه وهو آنذاك رئيس للحكومة الثورية.

F. Jimenez, *Historia militar politica del excmo. Sr. don Juan Prim, conde de Reus*. Madrid 1860 ; F.J. Orellana, *Historia del general Prim*. Barcelona 1872 ; H. Leonardon, *Prim*, Paris 1901 ; Enciclopedia Espasa Calpe, t. 47, p. 390.

محمد ابن عزوز حكيم

بريمو ذي رفيرا، جنرال إسباني Primo de Rivera، ولد بمدريد سنة 1870، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية شارك في جميع الحروب التي خاضها الجيش الإسباني بشمال المغرب من سنة 1909 إلى سنة 1913.

وعندما كان حاكماً عسكرياً بمقاطعة قادس ألقى في الأكاديمية الملكية الإسبانية الأمريكية بالمدينة المذكورة يوم 25 مارس 1917 محاضرة تحت عنوان "استرجاع جبل طارق Recuperacion de Gibraltar" طالب فيها بضرورة العمل على استرجاع جبل طارق من يد انگلترا في مقابل أن تسلم لها مدينتا سبتة ومليلية والجزر المغربية التابعة لهما، فكانت النتيجة أن أُعفي من منصبه.

وفي سنة 1923 عندما كان حاكما عاما بمقاطعة كاطالونيا قام بعمل مماثل للعمل الذي قام به الديكتاتور موسوليني Mussolini بإيطاليا، حيث أعلن يوم 13 سبتمبر رفضه للوضع القائم بإسبانيا ونصب نفسه ديكتاتوراً على البلاد، ولم يكن بوسع الملك الفونصو الثالث عشر إلا أن يبارك عمله فكلفه بتأليف حكومة جديدة من العسكريين، وكانت النتيجة أن صدر الأمر بحل البرلمان وتوقيف العمل بالضمانات الدستورية وإلقاء القبض على كل من سولت له نفسه الوقوف في وجه النظام الجديد، كما فرضت الرقابة على الصحافة ومنعت الأحزاب السياسية من ممارسة نشاطها.

وحيث إن المشكل الرئيسي الذي كانت تعاني منه الدولة الإسبانية آنذاك هو الحرب القائمة بشمال المغرب، فقد كان أول عمل قام به الجنرال بريمو دي رفيرا هو تنصيب نفسه مقيما عاما لبلاده بتطوان يوم 16 أكتوبر 1924، وكان الغرض من ذلك القضاء على المقاومة المسلحة المغربية التي كان يقودها الشريف الريسوني بالناحية الغربية والأمير الخطابي بالناحية الشرقية.

ويتضح من الوثائق السرية التي نتوفر عليها أن الجنرال صاحب الترجمة لم يكن في أول الأمر يريد الوصول إلى مبتغاه باستعمال القوة، بل كان يرى من الأفضل اللجوء إلى المفاوضة مع كل من الخطابي والريسوني على أساس منح المنطقة نوعا من الاستقلال الذاتي والاقتصار على احتلال بعض المدن المغربية الشاطئية مثل مليلية وسبتة وتطوان والقصر الصغير وأصيلا والعرائش والقصر الكبير.

وهذا ما يفسر عملية الجلاء عن جميع المراكز المحتلة داخل التراب المغربي التي وقع الشروع فيها في شهر نوفمبر 1924، غير أن عملية الجلاء عن مدينة شفشاون وحدها كلفت الجيش الإسباني خسائر فادحة حيث فقد في معركة واحدة جرت في أشروطة الجنرال سيرانو وريفي Serrano Orive و82 من كبار الضباط و700 من الجنود، الشيء الذي جعل رؤساء الجيش الإسباني وضباطه يعلنون عدم رضاهم عن سياسة التخلي عن جزء من شمال المغرب المتبعة من لدن الجنرال بريموذي رفيرا، وقد تزعم حركة المعارضة الكولونيل فرانكو Franco الذي كان يَرأس اللفيف الأجنبي، وكانت النتيجة أن تخلى الجنرال المذكور عن منصب الإقامة العامة يوم ثاني نوفمبر 1925 وبدأ يسعى إلى إبرام حلف مع فرنسا يمكنه من القضاء على الثورة الريفية.

وفي يوم 28 يناير 1930 قدم الجنرال استقالته من رآسة الحكومة وغادر بلاده متوجها إلى باريس حيث وافته المنية يوم 16 مارس من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، تطوان 1983.

G. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX (Marruecos)*. Madrid 1972, p. 103, 141, 285, 288, 291, 303, 311, 320.

بريهْمُو، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1863/1280 واسمها تصغير لاسم إبراهيم.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البريهي، أسرة فاسية، أصلها من ناحية تازا. اشتهر منها بفاس رجلان كان لهما دور كبير في الحفاظ على موسيقى الآلة والنهوض بها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وهما عبدالسلام البريهي وابنه محمد.

البريهي، عبدالسلام. ولد بفاس أواسط القرن الثالث عشر، وبها توفي عام 1311هـ. تلقى تعليمه الموسيقي عن الحاج حدو بن جلون شيخ الموسيقيين بفاس، وكان من أبرز تلامذته وأبرعهم حفظاً وعزفاً وإنشاداً.

وقد عايش ـ خلال سنة 1303ـ حدثا فنياً كبيراً تمثل في مراجعة كناش محمد بن الحسين الحايك من طرف لجنة ضمت شيوخ الموسيقى الأندلسية يومئذ، تحت إشراف السيد محمد بن العربي الجامعي وزير المولى الحسن الأول. وقد انبثق عن أعمال هذه اللجنة وضع مجموع جديد تعارف الناس ـ منذئذ ـ على تسميته باسم *مختصر كناش الحايك*، وأصبح يضم مستعملات الموسيقى الأندلسية في صورتها الجديدة كما أصبح العمل به جاريا في الأوساط الفاسية. ونشره ـ حديثا ـ رئيس جوق البريهي بفاس الحاج عبدالكريم الرايس تحت اسم *من وحي الرباب*.

ولا يستبعد أن يكون الفنان عبدالسلام البريهي من بين الذين شاركوا في أعمال لجنة المراجعة، وذلك لسعة إلمامه بمستعملات الموسيقى الأندلسية ومكانته من بين رجالها بمدينة فاس. ومن هنا نسب إليه أنه كان وارث سر المدرسة الفاسية الجديدة. ولا غرو فقد استطاع أن يبث *المختصر* وينشر محتواه على نطاق واسع، وذلك من خلال شيوخ

"الآلة" الذين أخذوا عنه، وعلى الأخص منهم ابنه محمد البريهي، والفقيه محمد المطيري، وعمر الجعايدي.

البريهي، محمد بن عبدالسلام، ولد بفاس عام 1850/1267، ونشأ في حجر والده، فتأثر به تأثراً كبيراً، وتلقى تعليمه الموسيقي على يده، فكان يحضر دروسه بدار الجامعي، ثم انخرط في مجموعته الفنية. وسرعان ما غدا من فطاحل المطربين، يحفظ الكثير من التراث الأندلسي، ويتقن أداءه، ويجيد العزف على الرباب حتى قيل إنه لا يضاهيه أحد في صناعة الرباب.

وقد لعب محمد البريهي دوراً بارزاً في ترسيخ العمل بمختصر *كناش الحايك* وإشاعة مستعملاته. ومن أجل تحقيق مراميه الفنية أسس جوقاً ضم نخبة من العازفين والمنشدين بفاس، كان يلقنهم أصول المدرسة الفاسية، ويتنقل بهم عبر المدن المغربية، وبذلك جمع إلى معرفته الواسعة بتراث الموسيقى الأندلسية إحساساً قوياً بمسؤولية رعايتها وضمان استمراريتها، فكان فناناً ومعلماً موجهاً.

وقد توفي بفاس عام 1945.

ع. بن عبدالجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية* ؛ سلسلة عالم المعرفة، ع. 65، رجب ـ شعبان 1403/مايو 1983، ص. 205 و206 ؛ ي. الشامي، *موسيقى الآلة*، *نوبة العشاق*، ص. 18.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

البريِّشْ، قرية تقع بفرقة أولاد خلوق من قبيلة الغربية شمال مدينة أصيلا، وهي التي سماها أبو عبيدالبكري "نبرش" ولعلها هي التي أطلق عليها الرومان اسم رأس هيرميس Hermes.

Comision historica. *Geografia*, p. 489 ; *Campañas*, t. 2, p. 738.

محمد ابن عزوز حكيم

بْرَيِيم ← **بْرَيْم**

بَزْبَج، من القرى التي اختفت من الخرائط، نتيجة وقوعها بالتراب المحتل بمنطقة سبتة داخل الحدود المرسومة في الوقت الحاضر. عرّف بها محمد بن القاسم الأنصاري السبتي في كتابه : *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*. كانت واقعة بالساحل الشمالي من ظهر سبتة (جبل غمارة)، بين قرية النارنج المندرسة وقرية بليونش الباقية، أي الساحل الذي يدعوه الإسبان في الوقت الحاضر بساحل "بنزو Bensu".

تتألف أراضي القرية من منخفض وشاطئ صغير يضيقان معا بين مرتفعين، ويمر بالمنخفض واد المقصرة، حسبما سماه الأنصاري. والقرية موطن أهل الأنصاري يعرفها جيداً، تكونت من ولجة ومقبرة وعين غزيرة تدعى عين علي، وبها مطحنة واحدة.وحقولها مشهورة بالغلات الصيفية.

فضل سكان بزبج الهجرة إلى مواطن داخلية أكثر أمنا، إثر الغارة المنظمة على قرية النارنج المجاورة لها على الساحل من جهة الشرق يوم 30 شتنبر 1415. وقد بني الإسبان فوق بقعة مسجد القرية برجاً. ومنذ بداية القرن الخامس عشر لم نسمع عن القرية وأهلها أي شيء.

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 26، 49، 56 ؛ م. السراج، *خلاصة تاريخ سبتة بالأثر والمأثور*، ص. 35.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*. chap, 24, p. 82 ; Vicente Tofiño. *Derroteo de las costas*, p. 32.

حسن الفگيگي

البزاز، أسرة سلوية عريقة، لعلها أصلها من الأندلس، ولا ندري إن كان لها صلة بمحمد بن البزاز آتي الترجمة الذي كان قاضياً للمرابطين بمراكش أوائل القرن السادس (12م). ويذكر منهم بسلا فقهاء ومدررون، ومجاهدون قائمون بشؤون البحر، وتجار ونظار وصناع من أرباب الخبرة والبصر .

البزاز، أحمد (الحاج ـ) كان يسكن مع خمسة نفر من أهله داراً في حي بوقاع القريب من السوق الكبير، وبهذه الصفة نال حظاً من الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على أهل مدينة سلا في خامس حجة عام تسعين ومائتين وألف / 24 يناير 1874.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 80.

البزاز، عبد السلام (الحاج ـ) كان من المجاهدين المشتغلين بشؤون البحر، وبهذه الصفة أدرج في زمام الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على الطبجية وغيرهم بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

البزاز، العربي، من رجال "الطبجية الواقفين على باب الجهاد لمحروسة سلا" الذين وصلهم الحسن الأول بصلة سنية في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 170.

البزاز، عمر، كان مقرئاً مدرراً في كتّاب معروف باسمه، ويسكن داراً بحومة درب الأخيار تحت عقبة الجامع الأعظم حسبما جاء في قائمة إحصاء دور سلا حسب الأحياء. ويظن أن هذه القائمة محررة في أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 230.

البزار (ابن ـ) **محمد** بن **حسون**، قاضي المرابطين بحاضرتهم مراكش، ولاه قضاءها للمرة الأولى عليّ بن يوسف بن تاشفين، وكتب عنه خلالها الفقيه الأديب أحمد بن الصقر الأنصاري سنة 527 / 1132 إلى أن صُرف، ثم ولي قضاء مراكش للمرة الثانية في أواخر دولة المرابطين. ولم يذكر مترجموه تاريخ وفاته.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 75 ؛ 4 : 82، نقلا عن *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك.

البزاز، محمد بن **عبد الله**. كان مقرئاً مجاهداً بحرياً. يوجد اسمه في قائمة المستحقين للصلة التي أنعم بها الحسن الأول على المجاهدين السلويين في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

محمد حجي

بزو ـ جغرافيا ـ وتكتب أيضا بالألف (ابزو) دائرة في عمالة أزيلال. تقع في مؤخرة الأطلس المتوسط جنوب غرب مدينة بني ملال حيث تطل من مرتفعات التلال المحاذية للضفة اليمنى لوادي العبيد وتمرُّ بها الطريق الثلاثية المؤدية من تانانت على الطريق الرئيسية بين فاس ومراكش.

يتميز هذا الموضع المنعزل بتضاريس وعرة وشديدة التقطع رغم ارتفاعاتها المتوسطة (500 إلى 600 م) ويسود المنطقة مناخ شبه جاف حيث التساقطات ضعيفة (ما يقرب من 300 م) تنزل على شكل أمطار عنيفة تؤدي إلى تعرية السفوح وترتفع الحرارة في فصل الصيف وقد تصل درجتها القصوى مع هبوب رياح الشرقي إلى 45°.

لقد عرفت هذه المنطقة تعميراً قديماً معتمداً على استعمال الموارد المحلية رغم صعوبات الوسط، ولعل هذا الاستغلال المبكر والمفرط للغطاء النباتي الغابوي (الرعي وقطع الخشب) المكون أساساً من أشجارالعرعر، كان سببا في انقراض آخر بقاع الغابة.

ومن أهم الأنشطة التي يزاولها سكان بزو ممارستهم للفلاحة الدائمة في إطار الأراضي الجماعية وأراضي الملك الخاص. وتشغل الزراعة السقوية المنتشرة أساسا على أقدام السفوح المكانة الأولى حيث تحظى بعناية كبيرة من طرف الفلاحين الذين يتعاطون انتاج مختلف الخضر والزياتين، ويعتمد السقي فيها على استغلال الآبار ومياه وادي العبيد التي تغذي شبكة من السواقي الممتدة نحو الحيازات المجهرية (5000 م2). أما الزراعة البورية فهي هزيلة وتبقى رهينة بالتقلبات في التساقطات (زراعة الحبوب)، وتلعب تربية الماشية دوراً تكميليا للموارد الفلاحية، إذ أن سكان بزو المنتمين إلى قبيلة مسفيوة البربرية الأصل يتميزون باستقرارهم وتشبثهم بخدمة الأرض. ويستعمل القطيع المكون من بعض الأبقار والأغنام وخاصة الماعز المراعي الجماعية والأراضي المجاورة للحيازات.

لقد ساعدت عوامل مختلفة على ظهور وازدهار صناعة تقليدية محلية في بزو، حيث إن قدَمَ التعمير وضعف الموارد الفلاحية جعل السكان يتعاطَون صناعة النسيج المسمى "بالبزيوي" والذي نظراً لجودته العالية اشتهرت به المنطقة منذ القدم. ويعتمد هذا النشاط على استعمال يد عاملة مختصةً وموادَ أولية دقيقة، وتُصدّر المنتجات إلى الحواضر حيث تستعملها الفئات الميسورة خاصة. وتباع محليا عن طريق المزاد العلني إلا أنَّ كلفة الإنتاج بالإضافة إلى منافسة المنتجات العصرية قد قلّص من أهميته مماساهم في تأسيس تعاونية لمواجهة هذه الصعوبات.

وباعتبار أن بزو يمثل مركز دائرة فقد عرف تنوعاً في أنشطته حيث استقطب وظائف جديدة مرتبطة بالخدمات التسييرية والاجتماعية العمومية حيث تَتركز به أهم التجهيزات التعليمية والصحية، إذ يتوفر بزو، إضافة إلى تعليم قرآني وابتدائي، على إعدادية وثانوية. وقد تحسنت الظروف الصحية به مع بناء مركز صحي بعد أن أصبح المستوصف الوحيد غير كاف لتغطية الحاجيات المحلية. كما تم خلق صندوق محلي للقَرض الفلاحي لدعم وتنشيط القطاع الفلاحي. هذا مع العلم أن هذا المركز توجد به محكمة ابتدائية. وإلى جانب هذه الأنشطة عرفت الخدمات مثل طحن الحبوب وعصر الزيت، كما أن السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الخميس في بزو يُعدّ مركزاً تجارياً مهماً بالمنطقة.

ونظرا لهذه التحولات الوظيفية عرف المركز نمواً ديمغرافيا ملموساً (2570 نسمة في 1982) حيث صنف كمركز حضري في الإحصاء الأخير. ويمكن القول إن بزو يَعيش الآن مرحلة انتقالية إذ أن صيرورة التمدين التي انطلقت به أفرزت تغيرات اقتصادية واجتماعية ومجالية جعلت الطابع الريفي لهذه القرية يتراجع.

ويتميز بزو على الصعيد المجالي بكونه مركزاً متعدد الأنوية، باهي، المدرسة، فم التاغية، الحي الاداري. وتشكل النواة الأصلية أهم تجمع سكني به ويشغل السكن الأماكن الوعرة للحفاظ على الأراضي الزراعية حيث يشرف على العموم من أعالي السفوح المطلة على مزارع حوض أمزور. أما الدور فتتكون من مباني على شكل مربعات طينية مبنية بـ"التابوت" ويتوسطها فناء أو رياض. أما فيما يتعلق بالتجهيزات الأساسية فباستثناء الكهرباء الذي يعم المركز فإن قنوات الواد الحار ما زالت منعدمة، ويوزع الماء الشروب بواسطة السقايات العمومية في انتظار تحقيق مشروع إقامة شبكة التوزيع على المنازل. ويرافق السكن خمس قاعات للصلاة وفرانين وحمّام.

ويمثل بزو مركزا دينياً حظي باشعاع كبير حيث توجد به زاويتان، ويقام به موسم سيدي الصغير في شهر شتنبر عند نهاية الأشغال الفلاحية الذي تحضره القبائل المجاورة. كما أن الملاح الذي يحمل اسم "مدينة اليهودي" يشهد على وجود سكان يهود وذلك حتى الماضي القريب حيث كان

هؤلاء يتعاطون نفس الأنشطة المحلية، وخاصة الصناعية منها. وما زال بزو يشكل محجاً لليهود في يونيه.

تحريات ميدانية.

عائشة البلغيثي العلوي

بـزُو، ـ تاريخ ـ قرية كبيرة عريقة في القدم، تقع شرقي مدينة مراكش، على بعد حوالي مائة وعشرين كلم، ضمن قبيلة هنتيفة السهل، غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي العبيد. وعلى الرغم من محاولة تأويل لفظ بزو فإنه يظل غامض الدلالة. فقد ذهب البعض إلى أنه بربري الأصل، مركب من أز ـ بو، ومعناه : كل وانصرف، فتم بعد ذلك تحريك مواقع الحروف لتصبح : أبزو. وظن البعض الآخر أنها تحريف لـ بونزو، أي صاحب الملك، فنُحتت لتصير بزو.

يمكن تقسيم بزو إلى أربع وحدات سكنية :

1 ـ أغبالو في الشمال، حيث يوجد مدفن مولاي سعيد أمغار جد مولاي عبدالله صاحب تمصلوحت، بجانب والده مولاي حسين، وإليه ينتسب الشرفاء الأمغاريون في بزو. ومعظم سكانه من العرب.

2 ـ باحي في الغرب، حيث توجد زاوية سيدي أحمد بن أدادس، وهو من حفدة سيدي علي بن إبراهيم دفين أگرض. كل سكانه عرب، وقد استقروا هنالك منذ أمد بعيد، قدموا إليه من دكالة وتادلا. لكن يلاحظ وجود بعض العناصر الطارئة، كما يستشف من خلال استقراء بعض أسماء الأماكن، حيث نجد مثلا "ريف العبيد" أي حي العبيد. وهذا ليس غريبا لأن أهل بزو كانوا يمارسون التجارة البعيدة المدى. يؤكد الحسن الوزان أن تجارتهم امتدت إلى بلاد السودان (*وصف إفريقيا*، 1 : 134).

3 ـ المدرسة : نسبة إلى المدرسة التي أسسها الشيخ سيدي الصغير بن المنيار، حفيد سيدي علي بن إبراهيم. ولعل هذه المنطقة هي النواة الحقيقية لبزو، وهي المركز الحالي للمدينة. تقع شرقي باحي وشمالي أغبالو. معظم سكانها من البربر، وخاصة "أهل القلعة". وبالمدرسة ملاح قديم يدعى ملاح تيگدْمين، يقع شمالي ضريح سيدي الصغير. وعلى مقربة منه شُيد ضريح يؤمه اليهود وبعض السكان بالزيارة، يدعى دفينه "مول البرج".

4 ـ فم تاغية، حيث يوجد ضريح "مول البرج" في الشمال الشرقي من بزو، وسكانه خليط من العرب والبربر.

اشتهرت بزو، منذ القديم، كمركز تجاري، بسبب موقعها في طريق القوافل الواصلة بين دمنات وفاس. ومن المعلوم أن هذه الطريق كانت ملتقى ثلاث طرق : طريق سجلماسة ـ تدغة ـ دمنات، وطريق درعة ـ دمنات، وطريق مراكش ـ دمنات فبزو.

يصفها الحسن الوزان قائلا :"بزو مدينة قديمة ... يجري تحتها وادي العبيد على بعد نحو ثلاثة أميال. وسكان بزو كلهم تجار أمناء حسنو الهندام، يصدرون الزيت والجلود والأغطية إلى بلاد السودان، وينتج جبلهم كثيراً من الزيت والحبوب. ومختلف أنواع الفواكه الطيبة ... وتمتد الحدائق الغناء إلى ضفة النهر" (*وصف افريقيا*، 1 : 134) يستشف من هذا الوصف أن منطقة بزو حين زارها الوزان، في بداية القرن السادس عشر، كانت كثيرة الخصب والنماء بسبب تعدد محاورها المائية. وكان في المدينة "مسجد في غاية الجمال" وازدهرت فيها حرف كثيرة، مما شجع سكانها على ممارسة التجارة البعيدة المدى، حيث وصلت بضائعهم إلى بلاد السودان. ولعل احتفاظ بزو بمكانتها الاقتصادية راجع إلى الهدوء النسبي الذي كانت تنعم به، بسبب بعدها عن الحواضر التي كانت آنذاك تعج بالفوضى والاضطراب، الشيء الذي أدى إلى اضمحلال الحركة التجارية بالمراكز الكبرى، وساعد على نمو المراكز الصغرى والهامشية، ومنها بزو.

تعززت مكانة بزو في خضم الأزمة العامة التي كادت تعصف بالمغرب في بداية القرن العاشر/ السادس عشر. فبعد استقرار البرتغاليين بتيط سنة 1513، اضطر عدد من بني أمغار إلى الهجرة إلى المناطق الداخلية، حيث أسسوا زوايا في مختلف القرى، منها باحي ببزو (*Esquisse*, 34). لعل أحد الأمغاريين ـ قد يكون هو سعيد جد مولاي عبدالله بن حسين التمصلوحتي ـ استقر في أغبالوا وأقام زاوية هنالك تابعة لبني أمغار، وظل أخلافه يتوارثونها حتى اليوم.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) صارت أغبالو أحد المراكز الصوفية ببزو. فقد انخرط بعض رجالها في سلك الطريقة الناصرية. ترجم محمد بن عبدالله الخليفتي لاثنين منهم :

البزيوي، إبراهيم بن حسين الذي "كان أستاذاً فاضلاً مجتهداً في بث تعليم القرآن للطلبة... إلى أن مات... في حدود سبعين ومائة وألف..."

البزيوي، أحمد الغزواني التمصلوحتي..." الزاهد التقي، المتواضع ... كان رضي الله عنه ذا حالة حسنة مرضية، وخلق حسان بلغ من السخاء غاية المبلغ، مع قلة ذات اليد... ومع اجتهاده في الدّين والصلاة على النبي (صلعم) وكثرة المحبة للإخوان والطلبة وأهل النسبة" (*الدرة الجليلة*، 2 : 274).

يبدو أن فرع الزاوية الناصرية في بزو قام بدور مهم في الإطعام، ونشر الثقافة الإسلامية، وترسيخ تعاليم الإسلام القائمة على الكتاب والسنة، كما هو ديدن الزاوية الأم بتمگروت، حتى كانت بزو من ضمن المراكز الصوفية الشهيرة في ذلك الوقت. وذلك راجع إلى تمسكها الشديد بالطريقة الناصرية التي كانت في أوجها آنذاك.

وظهرت في "المدرسة" زاوية ناصرية أخرى أسسها الشيخ أحمد الاكة، تلميذ أحمد ابن ناصر الدرعي. وصفه الخليفتي (2 : 274) بأنه "رجل فاضل مجتهد في دينه" وظهرت في نفس الفترة زاوية قادرية في باحي، أسسها

اثنان من أتباع سيدي أحمد بن أدادس ـ سيدي هاشم وسيدي عبدالسلام ـ سنة 1731 (*My Ismail*, 62).

وإذا كانت زاويتا أغبالو والمدرسة قد اضمحلتا، لأسباب ينبغي مواصلة البحث عنها، فإن زاوية باحي ظلت قائمة إلى عهد قريب. إلا أن الطابع العام الذي يميز زوايا بزو أنها لم تحافظ ـ في المرحلة الراهنة ـ إلا على المظهر الاحتفالي، حيث يعقد، حتى اليوم، موسم سنوي بباحي والمدرسة، يوم سابع عيد المولد، كما يقام بأغبالو موسم سنوي كذلك. بالإضافة إلى هذه الزوايا عرفت بزو تأسيس زوايا أخرى منها الزاوية الدرقاوية التي كان المدعو محمد البزيوي يتولى شؤونها في صدر الحماية (*Esquisse*, 25).

ظلت بزو تعيش في هدوء ورغد من العيش بحرفها وتجارتها وزواياها طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18ـ19 م) إلى أن دخل المغرب بأجمعه في ظرفية جديدة مع نهاية القرن الثالث عشر، حيث اضمحلت التجارة البرية فتدهورت على إثرها المحاور التجارية التقليدية، مما كان له تأثير على تجارة المراكز الداخلية ومن بينها بزو، وخاصة حين احتلت الجيوش الفرنسية تنبكت سنة 1311/ 1894. لذلك فلا غرابة أن يختفي ذكر بزو من المصادر المتأخرة. ولعل الحركة الصوفية اعتورها بدورها بعض التراجع في هذه الفترة، على الرغم من ظهور بعض الطرق كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وفي بداية القرن العشرين تأسست "بالمدرسة" زاوية كتانية ظلت قائمة إلى عهد قريب. ويذكر بعض عرفاء بزو أن الشيخ عبدالحي الكتاني زارها لنفس الغرض. ولعل غنى مدينة بزو الصوفي وتنوع الطرق التي ظهرت بها من الأسباب التي جعلتها تتوفر على عدة خزانات للكتب، من بينها خزانة "المدرسة" المنسوبة إلى سيدي الصغير التي ما تزال تحتفظ ببعض المخطوطات، وخزانة أحمد بن منصور قاضي بزو، التي يظهر أنها تحتوي على مخطوطات نفيسة، انتقل إليها البعض من خزانة تنغملت... بالإضافة إلى ذلك توجد مخطوطات ووثائق لدى بعض الأفراد من بينهم الأستاذ نورالدين الكتاني... لذلك ليس من الغريب أن يتم العثور في بزو على مخطوطات نادرة مثل كتاب *العرجان والعميان للجاحظ*، ومجموعة *رسائل سعدية* (*الحركة الفكرية*، 1 : 30) بالإضافة إلى *الدرة الجليلة*، *والدرر المرصعة*... *وطليعة الدعة*... *ونزهة الناظر*... وغيرها.

وهكذا آلت الأمور في بزو سنة 1912/1330 إلى نفس صيرورة المغرب عامة. فبعدما سيطر الكولونيل مانجان Mangin على مراكش، وجه طلائع جيوشه إلى دمنات وبزو (*Esquisse*, 176) ورغم ظرفية الاحتلال فإن بزو ظلت تتمتع بنمائها وبساتينها الفيحاء وخزاناتها العامرة. وصفها محمد المختار السوسي، حين زارها سنة 1935/1354، مبتهجاً بجمال طبيعتها، بقصيدة مطلعها:

أهذي جنانُ الخلد أم هذه بزُو مُنَى كلِّ نفس لو يدوم لها الفَوْزُ

ولما نزل ضيفا على أبي العباس وأبي زيد البزيويين، في ربيع 1936/1355، وصف الخزانة قائلا :"حييت يا خزانة المدرسة من بزو حيّيت حيّيت، فلقد كنت أدرت علينا ذلك النهار الذي اعتكفنا حول دفاترك الفريدة ونفائسك الفذة كأساً دهاقاً من سعادة لا يذوقها إلا المستهترون أمثالنا بكل كتَاب غريب قد يقع في أيديهم، ثم يجول في أذهانهم أنهم ظفروا بضالة علمية كثيراً ما تجوب أفلاك الباحثين بحور العالم في التفتيش عنها... لا سيما حين اكتشفنا هناك كتاب *العميان والعرجان* للجاحظ" (*الإلغيات*، 3 : 77).

وينوه بعد ذلك بنجاح رحلته إلى بزو مضيفا :" فكنا بعد هذه السفرة إليك أيتها القرية البزيوية سفرة رابحة كل الربح، بما شاهدناه من بنات دفاترك في خزانتك الميمونة"، وقد اشتاق فيما بعد إلى مناجاة الطبيعة في بزو، فخاطبها بقصيدة مطلعها :

خمائل بزُو لا خمائل جلق وأجواءها لا آل كل محلق

وزارها أيضاً الشاعر الحسن البونعماني، بعد سنة، فوصف بدوره حدائق صديقه عبدالرحمن البزيوي المنصوري قائلا :

ظلالٌ ظليلات وماءٌ وخضرة فلله ما أحرزتمُ ساكني ابْزُو
تخالفت الألوان فيها كأنها تفتّح للعقيان والفضة الكنزُ
ويُبهرك النارنجُ في خطراته كأن قد عراه من مباهجه هزُّ
كما تتثنّى أولَ الرقص غادةٌ برفقٍ فلا ريثٌ لديها ولا قفزُ
وفي كل غصنٍ صادحٌ مَلأ الفضا غناءً فلا همسٌ لديه ولا ركزُ

ويسترسل في وصفه للمناظر الشاعرية التي تكثر في جنات بزو الفيحاء قائلا :"إنني أخاف على نفسي في هذه المدة أن أكون أسير بزو، ويسلبني ما أرى فيه من شتات المحاسن، ويسليني عن الحمراء ما حدث فيه من مقدمات المدنيّة المدهشة". ولم يخف اندهاشه مما صارت تعرفه بزو بالاضافة إلى محاسنها الأصلية، من جلب بعض وسائل الحضارة الجديدة. إذ وجد في بزو السيارة والمذياع والتليفون وبعض وسائل الرفاه الطارئة على بلاد المغرب إذاك (*المعسول*، 13 : 179).

واكتسبت بزو شيئا من الأهمية يبدو من خلال الشخصيات التي ترددت إليها أو زارتها، آمّين خزاناتها الغنية أو قاصدين التمتع بجمال طبيعتها، أو لأغراض صوفية أو سياسية. من هؤلاء أبو شعيب الدكالي، والمدني ابن الحسني، ومحمد المختار السوسي والحسن البونعماني وعبدالقادر بن سودة، والعباس بن إبراهيم، وعبدالرحمن ابن زيدان، وعبدالحي الكتاني، وشاعر الحمراء وغيرهم. وحتى بعض الأجانب.

ولم تتخلف بزو عن ركب الحركة الوطنية، شأنها في ذلك شأن جميع جهات المغرب. لا شك أن رد الفعل ضد الظهير البربري (16 ماي 1930) كان صداه واسعا في بزو. وحين أقدمت سلطات الحماية على نفي بعض الوطنيين سنة 1937، اهتزت ضمائر الفئة الواعية في بزو، خاصة وأن لبعض هؤلاء صلات وثيقة بها مثل محمد المختار السوسي. ولما اشتدت "الأزمة" بعد نفي محمد الخامس لم

تتوان بزو في تقديم مناضلين شاركوا في الحركة الفدائية التي شهدتها البلاد أنذاك (*الثورة الخامسة*، 1 : 603.605).

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي و م. الأخضر، ج : 1 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*. د. د. ع. الرباط 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول : الإلغيات* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، الدار البيضاء، 1990، 1.

F. de la Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les Berbères Sanhaja, A. M.*, N° 27, 1927 ; *Répertoire Alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire chérifien classées par tribus et par fractions de tribus, d'aprés les résultats du recensement quinquennal du 8 mars 1939*, Rabat, 1939 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

أحمد عمالك

البزيوي، محمد بن محمد بن أحمد الفاسي، عالم مشارك، لغوي نحوي متمكن من قواعد اللغة، ذو حاسة تاريخية وقدرة على الكتابة. لا نعرف شيئاً عن نشأته وشيوخه، وقد ذكر صاحب *إتحاف المطالع* الذي كان ـ فيما يبدو ـ على اتصال وثيق به، أن محمد البزيوي كان متواضعاً عزوفاً عن الشهرة والظهور، قضى معظم حياته في التدريس والتأليف، وبعد من آخر من درّس كتاب سيبويه بفاس. وكان له مع ذلك صلة بالمخزن مكنته من الاطلاع عن قرب على تجاوزات سلطات الحماية وتسلطها على أراضي الفلاحين المغاربة، فألف في ذلك كتابه *بلادات المغرب التي أخذها الاستعمار من أربابها بعد حماية المغرب*، ويذكر من اطلع عليه أنه يحتوي على معلومات مدققة ومستقصية ؛ وسافر مع السلطان المولى يوسف إلى فرنسا فكتب *رحلة إلى باريز*، و*دليل السائح بالمغرب الأقصى*. ولعل آخر ما ألف هو *تاريخ دول الاسلام بالمغرب الأقصى* الذي كتبه عام 1357 / 1938 وأهداه إلى محمد الخامس.

توفي بفاس ليلة السبت سادس عشر صفر عام 1368 / 18 دجنبر 1948، ودفن خارج باب الشريعة من فاس الجديد.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1368 ؛ *دليل*، 150 ـ 339. 360 ـ 443.

محمد حجي

بَسْباس، نبات عشبي سنوي من فصيلة الخيميات Umbellifereae اسمه العلمي : Foeniculum vulgare dulcis والبسباس هو اسمه الشائع في المغرب ويسمى في الشرق العربي شمار وشمرة ورازيانج المأخوذ من الفارسية.

يتراوح طول النبتة ما بين مِيتر ومترين، الجذر مغزلي الشكل وغليظ، أغمدة الأوراق القاعدية لحمية وبصلية الشكل، الساق أسطواني ومُغطى يحمل أوراقاً طويلة ومقسمة على عدة قطع خيطية الشكل. تظهر الأزهار في فصل الربيع وهي صفراء صغيرة، تشكل مظلة محمولة على علاقات تنطلق جميعها من نقطة واحدة ويصير الزهر في مستوى مسطح تقريبا.

الثمار خضراء مصفرة، عطرة، بداخلها عنصر نشيط يسمى Anethol. يعد البسباس من البقل، تستهلك أغمدة أوراقه القاعدية بعد طبخها. يزرع في عدة مناطق من المغرب (سهول الغرب وحوض سايس ودكالة ...) وهو شائع في أسواق الخضر الوطنية في فصل الربيع.

تجنى ثماره في فصل الخريف وتستعمل بذوره المجففة لعلاج آلام المعدة، كما أنها تفتحُ الشهية وتنظم الحيض وتساهم في تقوية إفراز الحليب عند المرضعة. الجذور مُدِرَّة للبول وتستعمل ضد داء المفاصل.

A. Akoka, *La phytotérapie : Le médical du 20e siècle*. Paris, 1977 ; M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs. Gr. Enc. Maroc, Flore*. 1987.

نجاة الخياطي

بسباس، ـ لغة وتاريخاً ـ جاء في لسان العرب : البسبس شجر، دون أن يحدد طبيعته، أما البسباس فقال إنه بقلة، وأورد قولاً لأبي حنيفة :"البسباس من النبات الطيب الريح... واحدته بسباسة وهي معروفة عند العرب "وأورده دوزي Dozy في (*Supplément* I) كمقابل للكلمة بالفرنسية فينويل Fenouil وباللاتينية القديمة Fenuculum، إلا أنه ذكر نوعاً من البسباس سمّاه بسباس الهند وقابله بالفرنسية Anis، وفي كتب الطبخ المغربي نجد تمييزاً بين ثلاثة أنواع من البسباس :

ـ البسباس كخضر، Fenouil، ويتفق ذلك مع *لسان العرب* الذي ذكر أنه بقلة أي خضر.

ـ النافع، وهو الذي سماه Dozy بسباس الهند Anis.

ـ حبة حلاوة Anis andalus (أنيسون)، ولا يميز ابن البيطار بين هذه الأنواع حسب ما أورده Dozy.

أولى الإشارات إلى هذا النبات في المغرب وردت في مصادر قليلة : فالتادلي صاحب *التشوف* (355) ذكر أحد المتصوفة وقد جاء ببذور البسباس من المشرق وأنها صالحة لإزالة أوجاع البطن، ويرجع هذا الدخول لبذور البسباس بهذه الطريقة إلى أواخر القرن السادس (12 م) فهل هي بداية لدخول البسباس إلى المغرب ؟ وأي نوع من الأنواع التي شرحناها أعلاه ؟.

إذا رجعنا إلى إشارات أخرى في مصادر متقاربة زمنياً نجدها تذكر أماكن تنسب إلى البسباس كجبل البسابس وعقبة البسباس (*المنهاج الواضح*، 108 ؛ *اختصار الأخبار*، 90) وأما صاحب *روض القرطاس*(39) فيتحدث عن البسباس كنبات طبيعي في معرض حديثه عن اختيار مكان بناء مدينة فاس :"... وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ...".

إلا أن هذه الإشارات لا تحل المشكل أي أنها لا تفصل ما بين البسباس كما وصفه صاحب *لسان العرب* أي بقلة أو نبات طيب الرائحة وما بين البسبس (بدون الألف) والذي جاء عند صاحب لسان العرب نفسه أنه شجر، إلا أنه أصناف. إن العرب لا تعرف شجراً بهذا الاسم، لكن إشارة ابن أبي زرع لا تؤيد تحفظ لسان العرب فقد جعل البسباس (بالألف) نوعاً من الشجر، وحتى محقق كتاب *فضالة*

الخوان (ص 13). لم يحسم الأمر إذ اكتفى بالإشارة إلى أن "البسباس نبات معروف في المغرب" وأعطاه كمقابل بالفرنسية Fenouil.

والواقع أن البسباس كخضر كما نعرفه اليوم Fenouil حديث الدخول إلى المغرب، يرجع، مثل أغلبية الخضر، إلى القرون الأخيرة كالبطاطس والطماطم والفاصوليا وغيرها التي عرفها المغرب عن طريق الأوروبيين الذين استقدموها من العالم الجديد أو من الهند. كما أن الاختلاف في الأسماء لا يعني اختلافاً في التركيب الطبيعي وخصائص النبات، فكلها تشترك في نفس الخصائص كالشكل والبذور والرائحة، إلا أن النوع الحديث أكبر حجماً. من هنا يمكننا القول إن البسباس قد وجد في المغرب في حالة برية، وأن تدجينه لم يتم أو أنه حسب إشارة صاحب *التشوف*، قد دخل النوع المدجن منه في تلك الفترة المتقدمة، ثم عاد لحالته البرية بعد تخلي الفلاحين عن أراضيهم في الفترة التي أعقبت ضعف السلطة الموحدية، فانتشرت بذوره بواسطة الرياح والمياه الجارية. وأكبر دليل على ذلك ما نجده منه اليوم في الكثير من المناطق المغربية وحتى على جوانب الطرق، وأكبر المناطق نجدها في إقليم قلعة السراغنة الذي يزود بكمية كبيرة منه، حتى إن جهة من جهات الاقليم تعرف بالبسيبيسة، وفي هذا التصغير دلالة على ما أشرنا إليه من عودة البسباس المدجن إلى بسباس بري. والتصغير هنا للتفريق بين النوعين Anis البسباس البري وهو المنتشر في الإقليم المذكور بكثرة وFenouil وهو البسباس الفلاحي الذي يحتاج إلى عناية خاصة في مقدمتها السقي، وله موسم خاص لإنتاجه، وينتشر في مناطق زراعة الخضر على طول الساحل الأطلنتي.

ي. التادلي، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ابن منظور، *لسان العرب*؛ *خرائط وزارة الفلاحة* : *ورقة قلعة السراغنة* 50.000 / 1.

محمد حجاج الطويل

البستان (باب ـ) أحد أبواب تمراكشت ـ المدينة المخزنية التي بنيت جنوب مراكش المرابطية على عهد المنصور ـ (*البيان*، قسم الموحدين : 174). وبذلك يعد ضمن الأبواب الموحدية بالمدينة. يقع في السور الجنوبي من جهة الشرق، ويرى Deverdun أنه الباب المؤدي حالياً إلى القصر الملكي ويعرف بباب بوعكاز (*Marrakech*, 1 : 220).

وقد حمل هذا الباب في اسمه وظيفته حيث كان منفتحا على بساتين الصالحة، ومنه يتم الولوج إليها، وعلى اعتبار أن هذه البساتين كانت أيضا منتزها خاصا بالمخزن الموحدي، فإن باب البستان "كان لا يراه إلا خواص بني عبد المومن" (*ورقات*، 302).

ابن عذاري، *البيان* ـ قسم الموحدين ـ ت. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ م. المنوني، *ورقات*.

Deverdun, *Marrakech*, t . 1.

محمد رابطة الدين

البَسْتْيُون Bastion كلمة أعجمية تعني البرج الصغير، انتشرت في المغرب منذ القرن العاشر (16 م) بمعنى البرج الكبير ـ عكس المعنى الأصلي .. وقد شيد السعديون والعلويون عدداً من البستيونات في المراكز الاستراتيجية سواء بالساحل أو بالداخل.

البَسْتْيُون، (أولاد ـ) أسرة فاسية كانت معروفة في القرن الثاني عشر (18 م) ولا ندري سبب التسمية، هل كان أولاد البستيون من العاملين في تشيد بستيونات فاس أو من الجنود المرابطين فيها، أو من المتعبدين فيها أو حواليها. مهما يكن من أمر فإن كتب التراجم لم تذكر من هذا الرهط سوى المرأة الصالحة آمنة البستيونية (ت 1167 / 1753) المدفونة بدار سكناها قبالة مسجد السمارين من عدوة فاس القرويين وهي :"السيدة البهلولة المولهة في الجلال، الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام.. فكانت من أهل البركة تصدق في إشارتها، مقبولة عند العامة والخاصة والعلماء والرؤساء" (*نشر*، 4 : 98).

بستيون سيدي **بونافع**، أو برج سيدي بونافع، من أهم أبراج فاس الجديد يقع خارج باب سيدي بونافع أو باب الجيَف ـ كما كان يسمى قديماً ـ شرق فاس الجديد.

يُتوِّج هذا البستيون أو البرج حصناً يطل على منحدر يؤدي إلى منطقة كانت تُدعى النواول، وهي اليوم عبارة عن جنان ومنتزه بلدي. ويظهر أنه بناء سعدي، حيث ذكر الفشتالي في *مناهل الصفا* أن المنصور أدار البلد الجديد بأبراج شيدها لصق سورها.

بستيون تادلا، هو برج قصبة تادلا التي شيدها السلطان المولى إسماعيل على الضفة اليمنى لأم الربيع في نطاق القصبات التي أقامها بمختلف جهات البلاد. وقد بقي اسم البستيون في ذاكرة عامة السكان إلا أنهم تناسوا حقيقته فأصبحوا يطلقونه على المنطقة الواقعة بجوار سد قصبة تادلا الحالي وعلى مكان السد نفسه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. القادري، *نشر*، ج 4 ؛ م. عربوش، *من تاريخ منطقة تادلة*، 1 : 104 ـ 105.

محمد حجي

البستيونان شمال وجنوب فاس، وهما برجان عظيمان مشرفان على مدينة فاس، يدخلان ضمن التجهيزات الأمنية التي شيدها أحمد المنصور السعدي. ومن المؤكد تاريخياً أن الأبراج والبستيونات الواقعة خلف أسوار فاس الجديد ليست مرينية البناء وإنما هي سعدية. يدل على ذلك شكلها المطبوع بطابع سعدي واضح. ويؤكده ما جاء في *مناهل الصفا* (ص 264) من أن المنصور "أدار به (أي فاس الجديد) من الأبراج الضخمة لصق سوره حصوناً شامخة، وتفننت في سبيل التحصين أوضاعها، يحرس بعضها بعضاً، وتكاثر عدد أنفاضها الفاخرة". ولو أن الفشتالي لم يذكر البستيونين بالتحديد، وكان صاحب *نزهة الحادي* (ص 159)

أكثر تحديداً لموضع بنائهما حينما قال :"ومآثر خلفها (أحمد المنصور السعدي) منها المعقلان اللذان أنشأهما بفاس أحدهما خارج باب الجيسة والآخر قبالة باب الفتوح، وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبستيونين، أحدهما بستيون، وهما من الإتقان بحيث لا يعرف قدرهما إلا من وقف عليهما".

أما عن سنة بناء البستيونيين فيحدثنا ابن القاضي في *الجذوة* قائلا :"وأما البرجان المنصوبان على فاس البالي فإنما أمر بإنشائهما وإقامتهما على ما هما عليه الإمام المنصور بعد التسعين والتسعمائة للهجرة" / 1582 م.

وقد تم بناء البستيونين بالحجر الكلسي الموجود بالمنطقة والجير المصنوع بضواحي مدينة فاس، ومكنتهما هذه المواد من مواجهة التعرية المناخية طوال قرون.

أطلق الفرنسيون ـ أيام الحماية ـ على البرج الشمالي بلغتهم تسمية "برج نور" وحورها عامة الناس إلى برج النور. وقد رممت أسواره، وهو اليوم عبارة عن متحف للأسلحة تحت إدارة وزارة الثقافة.

أما البرج الجنوبي فاستعمل في عهد الفرنسيين كثكنة عسكرية، ومن أشهر من أنجز تدريبه العسكري به الرئيس الفرنسي الأسبق ڤاليري جسكار دستان ومازال اليوم عبارة عن ثكنة عسكرية. وقد تلاشى بناؤه وهو في حاجة إلى ترميم.

ع. الفتشالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. الإفراني، *نزهة*.

محمد مزين

البستيونية، آمنة، وتدعى أيضاً منّانة. صالحة من أهل فاس "الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام" بهذا حلاها محمد القادري في *نشر المثاني*، وقال إنها كانت ساقطة التكليف تنطق بإشارات، وتلهج بعبارات يستفاد منها إخبار بمغيبات. وهي تمثل في النساء، جانب تصوف الجذب الذي كثر عند رجال القرن الثاني عشر (18 م).

توفيت بدار سكناها المقابلة لمسجد السمارين من عدوة فاس القرويين عام 1167 / 1754.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر*، تح. زهراء النظام، د.د.ع. الرباط، 1989 ؛ م. القادري، *نشر*، 4 : 58 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 308.

محمد حجي

البُسُّد ـ بباء مضمومة وسين مفتوحة مشددة ـ كلمة فارسية (*لسان العرب*)، أطلقها المؤرخون والرحالون المسلمون الأوائل على المرجان، ولعل استعمال المرادف الفارسي كان يقصد به نوع جديد من المرجان عرف به المغرب منذ بداية العصر الوسيط (الاصطخري، *المسالك*، 45). فالشريف الإدريسي وهو ابن سبتة التي اشتهرت بالمرجان قال عنه :"لا يَعدلُه صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع أقطار البَحار" (*نزهة المشتاق*، 5 : 529) أما ابن عذاري الذي جاء بعد الإدريسي فقال عن بحر سبتة : "... يستخرج منه المرجان وهو البُسُّد". (*البيان*، 1 : 202). عرف المغرب المرجان منذ تاريخه القديم، إلا أن إنتاجه وترويجه بشكل تجاري لم يزدهر إلا في العصر الوسيط حتى أصبح المغرب مصدره الرئيسي.

إن المؤرخين المسلمين والرحالين الذين تعرفوا على المغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ذكروا المرجان من ضمن المواد المصدرة منه إلى المشرق وإلى باقي أنحاء العالم (ابن الفقيه، *مقتطفات*، 40)، (الاصطخري، *مسالك*، 45). أما التاجر العراقي ابن حوقل فقد زار المغرب في القرن الرابع (10 م) وذكر وجود المرجان / البسذ في بحر مدينة سبتة،(*صورة الأرض*، 79). وفي نفس القرن ذكر صاحب *أحسن التقاسيم* (238) المرجان بتفصيل لم يعهد عند من سبقه من الكتاب، إذ تحدث عن طريقة صيده التي تعتبر جد متقدمة آنذاك، بل وتعتبر أكثر تقدماً حتى بالنسبة للطريقة التقليدية المتبعة اليوم في صيده، يقول المقدسي : "... يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول، وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه..." ونفس المعلومات والتدقيقات ذكرها الإدريسي وأكدها، ولوصفه أهمية كبرى لأنه من أهل سبتة وجاء بعد المقدسي بحوالي قرنين من الزمن.

كلا الوصفين تنقصهما مرحلة سابقة عن الاستخراج وهي مرحلة تحديد مناطق وجود المرجان تحت الماء، فقد كانت عملية اكتشاف شجيرات المرجان وتحديد مجال الصيد تتم بواسطة الغوص واستعمال قطع الخشب أو الفلين المربوطة بشرائط الكتان أو القنب تثبت في أطراف الشجيرات فتطفو تلك القطع على السطح محددة مجال الصيد ومسهلة عمل النواتية.

بعد مرحلة الصيد والاستخراج تأتي مرحلة التصنيع التي لا تقل صعوبة عن المرحلة الأولى، فالمرجان الخام يمر من عدة عمليات قبل أن يصبح جاهزاً للبيع، فمن عملية التقطيع حسب أحجام مختلفة إلى عملية الحك والجلو ثم الثقب فالتلميع إلى غير ذلك من العمليات المساعدة مما يجعل هذه الصناعة من الصناعات الدقيقة التي لا تحتاج إلى ذوق رفيع ومستوى حضاري فحسب بل وأساساً إلى أدوات ودربة خاصة.

أما حجم المرجان المستخرج وكميته المصنعة والمصدرة فقد تحدث عنها المصدران السابقان ونقل عنهما من أتى بعدهما، فالمقدسي قال عن صيادي المرجان "... فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ...".

أما الإدريسي فذكر أن بمدينة سبتة "سوقاً لتفصيله وحكه وصنعه وخرزه وثقبه وتنظيمه ...".

إن أهمية هذه المادة وحجمها التجاري إلى جانب

منتجات أخرى مما جعل مدينة سبتة تحتل المكانة الراقية التي بلغتها في العصر الوسيط الأعلى والأوسط والتي فاقت فيها أكبر المدن المطلة على البحر المتوسط.

ما يسترعي الانتباه أن المصادر المكتوبة في العصر الوسيط و الأدنى بل وحتى المنوغرافيات الخاصة بالمدينة لم تشر إلى هذه المادة في هذه الفترة وبعدها، ومما يفسر هذا السكوت.

- أن هذه الصناعة وازدهارها ارتبط أساساً بالتصدير وأول المستهلكين آنذاك بلاد السودان (*نزهة المشتاق*، 5 : 529).

- فيما بعد العهد الموحدي والعهد المريني الأول بدأت طرق المبادلات التجارية تعرف اضطرابات متتالية سواء براً نحو السودان والمشرق أو بحراً نحو مناطق أخرى.

- أن استهلاك المرجان مرتبط بمستوى معيشي وحضاري متقدم، وهذا المستوى عرف في الفترة المشار إليها تدنياً كبيراً بسبب توالي المجاعات والأوبئة.نذكر منها على سبيل المثال الطاعون الأسود والمجاعات التي ضربت حوض البحر المتوسط وامتدت خارجه في منتصف القرن الثامن (14 م).

- المناطق السهلة الصيد تم استنزافها، وأصبح صيده يتطلب مجهودات وتكاليف أكبر.

- الاحتلال البرتغالي لمدينة سبتة جاء ليقضي على كل أمل في استعادة المدينة لهذا النشاط - إضافة إلى منافسة مناطق أخرى يستخرج فيها بأقل تكلفة كالجزر الإيطالية وعرض السواحل الجزائرية.

- إضافة إلى ما سبق، هناك العوامل الطبيعية التي تؤدي إلى انقراض الشجيرات المرجانية كتعرضها لكائنات بحرية تتغذى عليها أو تتسلقها مثل نجمة البحر وغيرها. وأكبر دليل على ذلك أن المرجان اليوم لا يوجد في البحر المتوسط إلا في نقط قليلة كعرض الشواطئ الجزائرية ... (Guid, 1978 : 1435) طبعاً، هذا الانقراض تاريخي، أي أضيفت إلى العوامل السالفة الذكر عوامل التلوث التي بدأت منذ الثورة الصناعية وازدهار المدن. أما الرأي القائل بضعف هذه الصناعة بسبب انتشار استعمال اللؤلؤ الطبيعي والاصطناعي وغيره من المواد المشابهة، فهو غيرصحيح لأن ثمن المرجان اليوم مرتفع حتى في حالة بيعه خاماً فأحرى تصنيعه، والإقبال عليه مازال كبيراً سواء خاما أو مصنعاً. وما زالت بقايا تلك الصناعة الموروثة عن المغاربة في بعض المدن الإيطالية (Braudel, *La méditerrannée*, 44...).

ابن الفقيه، *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، ... مقتطفات منه أوردها حاج صادق، تحت عنوان *صفة المغرب وأوربا* ق 9/3، الجزائر 1949 ؛ إ. الاصطخري، *مسالك الممالك* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*.

محمد حجاج الطويل

بسّير، أسرة رباطية أصلها من الأندلس، ولعلها جاءت إلى هذا الثغر بعد عملية الطرد في أوائل القرن الحادي عشر (17 م).

بَسّير، محمد الطيب بن إبراهيم، قاضي الرباط. وهو جد القاضي محمد المكي البطاوري المؤرخ ومحمد بوجندار من قبل أمهما. كان من الفقهاء الكبار، عرف بالورع والنسك وكان متمكنا من العلوم النقلية والعقلية زيادة على كونه أديباً شاعراً. خلف عدداً من القصائد الشعرية في المديح النبوي على الخصوص، إضافة إلى نوازل وفتاوى فقهية.

تلقى محمد الطيب بسير العلم عن الشيخ الرهوني، وأحمد العربي، والقاضي ابن العروصي وغيرهم، واسندت إليه خطة الإفتاء ومهمة التدريس بالرباط، وتخرج على يده عدد من العلماء أمثال، الأديب المكي بوجندار، والعالم الطاهر بريطل وغيرهما. ولما تولى خطة القضاء سلك طريق الاستقامة كما يشهد بذلك من عرفوه وكتبوا عنه. ومكث في خطة القضاء نحو خمسين سنة كان يتداول فيها قضاء الرباط ومكناس تارة على سبيل النيابة وأخرى على سبيل التفرد.

رحل إلى وزان عند الشيخ علي بن أحمد الوزاني وهناك أخذ عن الشيخ الرهوني. تولى قضاء الرباط لأول مرة سنة 1219 بعد القاضي أحمد الحكمي. وأعيد لقضاء لرباط كنائب فقط، وفي حدود الأربعين أصبح قاضياً مستقلاً بنفس المدينة حسبما اطلع عليه محمد بن علي دينية في رسم مؤرخ برمضان عام 1239. ثم نقل بعد ذلك لقضاء مكناس، ثم أرجع مرة ثالثة لقضاء الرباط بعد القاضي صالح الحكمي. وبقي بسير في قضائه الأخير هذا من سنة 1248 إلى 1266 ثم تولى بعده القاضي عبدالرحمان البريبري.

وحسب ما ذكره الضعيف أسندت إلى الطيب بسير أيضا خطة الامامة بالجامع السليماني، كما كان عدلا بمرسى الرباط. وكانت وفاته عام 1854/1271، ودفن بالزاوية التهامية المجاورة لضريح مولاي المكي بمحج سيدي فاتح بالرباط.

م. بوجندار، *تعطير البساط*، 34 ؛ *الاغتباط*، 318 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 173 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أ. العماري، 293، 366، 392 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين* 1830-1912، ر. د. د. ع. كلية الآداب الرباط 1988، 122، 124، 149.

عبدالاله الفاسي

البَسّيطة، كلمة ذات أصل إسباني من الفعل : Pesar بمعنى وَزَن. اشتُق الاسم : Peso بمعنى الوزن كما اشتُقت منه صيغة التصغير : Peseta بمعنى الموزونة. ولها في الوثائق المغربية صيغ للجمع فتجمع على بساسط وعلى بسيطات وبسائط.

ظهر استعمال البسيطة كوحدة نقدية في مجال العملة

الإسبانية منذ مطلع القرن التاسع عشر حينما ضربت قطعة فضية سنة 1808 وكانت قيمتها أربعة ريالات إذ كان الريال أقل قيمة من البسيطة، ووقع على هذه القيمة تعديلات حيث ضربت في مدينة كاطالونيا سنة 1836 قطعة ريال من الفضة قيمته خمس بسيطات، ثم بعد ذلك تعددت في السنوات اللاحقة إصدارات النقود الفضية المبنية على البسيطة كوحدة أساسية بمالها من مضاعفات وأجزاء.

وابتداء من سنة 1865 وقع انضمام العملة الإسبانية إلى الوحدة النقدية في النظام اللاتيني الأوربي حيث أصبح الريال Real الفضي من خمس بسيطات يزن 25 گراماً ويصرف بـ 500 سنتيم، بينما تزن البسيطة 5 گ وتصرف بـ 100 سنتيم، واعتبرت البسيطة هي الوحدة الأساسية للعملة الإسبانية إلى اليوم.

ويهمنا بالنسبة للبسيطة علاقتها بالنقود المغربية، ففي إطار العلاقات المغربية الإسبانية راجت القطع النقدية لكل بلد في أسواق البلد الآخر بدءاً من عهد المرابطين والموحدين، وظلت كل عملة تحمل بصمات متبادلة من آثار عملة البلد الآخر، وبالخصوص في أسمائها حيث استعمل الإسبان مثلا كلمة (المرابطي) كوحدة نقدية أساسية استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر، واستعمل المغاربة كلمات : الدورو والريال والأشقوبية والبسيطة.

وقد وقع انحسار في تبادل العملات بين البلدين منذ سقوط الأندلس إلى مطلع القرن التاسع عشر الذي شهد حركة المد الأوربي في إطار المخطط الاستعماري الذي استهدف احتلال المغرب والشمال الافريقي عموما، فانتشرت العملات الأجنبية وبخاصة الإسبانية منها بالمغرب مزاحمة العملة الوطنية.

ومنذ القبول الرسمي للعملة الإسبانية بالمغرب بعد تحديد صرفها ضمن المعاهدة المغربية الإسبانية سنة 1799 على عهد السلطان مولاي سليمان أصبحت البسيطة الإسبانية إلي جانب الفرنك الفرنسي تقوم شيئا فشيئاً مقام وحدات نقدية مغربية في الحسابات، فكان المغاربة يعبّرون عن البسيطة الإسبانية بـ "البسّيطة التي فيها مدفع" حسب ما يتمثل في رسم الشعار الإسباني تمييزاً لها عن الفرنك الفرنسي الذي يطلق عليه اسم "البسّيطة التي لا مدفع فيها" وقد ورد هذان المصطلحان في الظهائر والرسائل السلطانية فكان سعرهما متباينا، فقد حدد الظهير الرحماني في إصلاحه النقدي سنة 1852 صرف البسيطة التي فيها مدفع بخمس أواق والبسيطة التي لا مدفع فيها (الفرنك) بأربع أواق، وتطور صرفهما تبعاً لتطور قيمة صرف الريال.

البسيطة الحسنية : حينما ضرب السلطان مولاي الحسن النقود المغربية بأوروبا أثناء الإصلاح النقدي لسنة 1881 اتخذ الريال الإسباني من خمس بسيطات كوحدة أساسية لصرف العملة المغربية بدلا من الريال الفرنسي الذي كان أساسا للعملة المغربية قبل السنة المذكورة، وهذه الوحدة الجديدة أدت إلى جعل المثقال الحسني الفضي من عشرة دراهم مساوياً في الصرف للريال الفضي الإسباني كقيمة اسمية، على الرغم من كون المثقال الحسني يفوق الريال الإسباني بـ 20٪ وزنا أي ما يمثل 4.1 گرام من الفضة في كل قطعة مما شكل كارثة أثناء عمليات الصرف المتمثلة في تهريب الفضة المغربية إلى أوروبا.

وعرف مجال الرواج النقدي نشوء البسيطة الحسنية، وهي عملة حسابية لا وجود لها بالفعل وإنما تعادلها قيمة درهمين شرعيين، وشاع استعمال "البسيطة الحسنية" كمصطلح نقدي لدى المغاربة وفي المراجع الأجنبية، وهي تقابل البسيطة الإسبانية والفرنك الفرنسي، في مختلف الحسابات، وقد فضل التجار التعبير بهذه البسيطة عن حساباتهم خاصة أثناء الأزمات النقدية كما نجد في فترة الأزمة النقدية الإسبانية سنة 1891.

وينبغي التأكيد على أن الوثائق الرسمية التي يحرّرها كتاب المخزن لم تتأثر بنظام البسيطة مع حسابات الصرف، بل ظل هؤلاء الكتاب يحوّلون كل الحسابات في السجلات الرسمية إلى نظام المثقال : (حيث إن المثقال = عشر أواق، والأوقية = أربع موزونات) وكان نظام التعامل الرسمي مستمراً على هذا الأساس إلى سنة 1903 حينما قرر السلطان مولاي عبدالعزيز اتخاذ النظام النقدي الأوروبي كأساس للعملة المغربية، فضرب النقود النحاسية والفضية في كل من برلين ولندن وباريس بلغ مجموعها 65 مليون بسيطة حسنية على أساس أن الموزونة النحاسية تساوي سَنْتيماً واحداً وأن الريال الحسني (المثقال من عشرة دراهم) = 500 موزونة أو 500 سنتيم. وقد أحدث هذا القرار اضطرابا شديداً في نظام الصرف، وأصيبت العملة المغربية بمزيد من الخسارة والانهيار مما أفضى بها إلى أزمة 1904.

وفي السنوات الأولى من عهد الحماية ظل استعمال نظام البسّيطة الحسنية في الرواج وظلت كذلك الأبناك الأوربية تقدر حساباتها مع المغرب بهذه البسّيطة، كما ظلت العقود العقارية تحدد الأثمان بها على الرغم من تداول السكة العزيزية والحفيظية واليوسفية، ولا تذكر إلا السكة الحسنية إلى أن أصدرت سلطة الحماية ظهير 20 مارس 1920 يقضي بالغاء نظام السكة الحسنية الفضية من التداول تماما واحلال الفرنك محلها، وأكد الظهير على القضاة والعدول بعدم استعمال الريال والبسيطة الحسنية في مختلف العقود ووجوب استعمال الفرنك عوض ذلك.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص 58، 244 ؛ الحسني أحمد بك، *بهجة المشتاق في حكم بيان زكاة الأوراق* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.9 ص 64 ؛ *جريدة السعادة*، عدد 3063 بتاريخ 3 أبريل 1920 ؛ *المعاهدة الإسبانية سنة 1799*.

Chanone, L. Matagne (et al), *Le guide Marabout des monnaies et médailles*, Verviers (Belgique) , 1975, p. 250, 253 ; J.A. Marty, *Le franc marocain, contribution a l'etude de la question monétaire*, p. 34 ; F. Mateu y llopis, *Notas para el estudio de los origenes del sistema monetario español, Numisma*, año XVI, Num 67, Marzo-Abril 1964, p. 19, 61 ; R. S, Yeoman, *A Catalog of modern world coins*, 1850-1960, U. S. A. 1972, p. 440.

عمر أفا

بسكانْيو، يوسف بن مامي، من الأندلسيين النازحين إلى المَغرب. عينه السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور عاملاً على درعة سنة 1624، وربما فكر في توجيهه إلى السودان عاملا عليها. وفي نفس السنة قاد سفارة مغربية مكونة من ستة أعضاء إلى هولندة. ووصلت السفارة إلى روتردام Rotterdam يـوم 20 يوليـوز 1924، فاستقبل المسؤولون الهولنديون السفير يوم 24 يوليوز، وقدم لهم رسالة من السلطان المغربي تحدّد مهام سفارته. ثم عين الهولنديون مفاوضين ناقش معهم السفير عدداً من النقط (12 نقطة) تؤثر على طبيعة العلاقات بين البلدين، وهي في عمومها حوادث تسبب فيها بحارة هولنديون وأضرت بمصالح المغرب وسلطانه. وقد عملت هولندة على إرضاء كل مطالب السفير.

وبينما كانت السفارة المغربية تستعد لمغادرة هولندا (يناير 1625) تعرض أحد أقرباء بسكانيو لجريمة قتل، فتأخر وقت إبحار السفارة إلى مارس 1925.

S.I.H.M. Série Saâdienne, Pays-Bas, t. IV ; J. Caille, *Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas, Hesp*, t. IV, 1963.

عبداللطيف الشاذلي

بَسْلاَمْ، عَسُّو، ويدعى أيضاً عسو أُبَسلام. أو عسو وْبَسلام، من زعماء مقاومة الاحتلال الفرنسي بأيت عَطَّا في جبل صَغْرُو.

فعلى المستوى الوطني، اندلعت مقاومة أيت عطا بعد حرب الريف، وشكّلت عقبة كأداء أمام تقدم جحافل الجيوش الاستعمارية، التي أصيبت بالذهول والإحباط لاعتقادها الراسخ باستحالة ظهور أية مقاومة أخرى بعد حرب الريف. كما أن مقاومة أيت عطا بقيادة عسو بسلام انتهت في الوقت الذي نهضت فيه الحركة الوطنية في المدن، فهي بذلك تعتبر حلقة وصل بين حرب الريف وظهور الحركة الوطنية السياسية في المدن.

وعلى المستوى المحلي كانت صورة قائد المقاومة عسو بسلام - وهو يحقق انتصاراته في هضبة الإبر بجبل صَغْرُو في حرب ضروس غير متكافئة - ترتفع كما يرتفع النجم المتألق في السماء، وأعطت حركته نفَساً لمقاومات مشابهة مثل مقاومة زَايْد أُحمد من 1934 إلى 1936. ولهذا ظلّ عسو بسلام يجسم المقاومة تجسيما مادياً في مواجهة الاستعمار وعملائه في المنطقة.

ولد عسّو بسلام حوالي سنة 1308 / 1890، وهي السنة التي شاهدت ميلاد حلف التآزر والتضامن بين مختلف قبائل أيت عطا، واقترَن هذا الحلف بإنشاء مجلس أطلق عليه "تافْراوْتْ نَايْتْ عطّا" (حصن أيت عطا) مهمته التحكيم والفصل في النزاعات الظرفية وتنظيم تنقلات الرعاة بين صَغْرُو ومناطق الإنتاج. واتُّخذ قصر "إغرم امْزْدَار" الذي يحتل موقعاً استراتيجياً في قلب صغرو مقراً لهذه المؤسسة القبلية المستحدثة. وغير بعيد عن هذا القصر،كانت ولادة بسلام في قصر "تاغيا" شرق جبل صغرو وجنوب تنغير.

تنتمي أسرته إلى فرع "إلْمْشان" من خمس "أيت واحليم". وكان اسمه الحقيقي هو "عيسى" وتصغيره محلياً هو "عَسُّو".

كانت أسرة باسلام من الأسر البارزة لدى قبائل "أيت عطا" حيث كان أفرادها ساهموا في تنظيم مرور الحركات المخزنية بالمنطقة، خاصة حركة المولى الحسن سنة 1893. كما أن من تقاليد هذه الأسرة التي تسمى "أيت بُوتغْراتين" أي "أهل الزغاريد" أنها هي التي تتقدم جيوش "أيت عطا" بالراية في كل الحروف التي خاضت غمارها. وكان والد عسو بسلام، ويدعى علي بَسلام من أعيان قبيلته حيث كان يمارس مهمة "شيخ البلد" أو ما يطلق عليه "أمْغار نْتَمازيرْت". ولعب هذا "الأمغار" دوراً كبيراً في بلورة شعور الوحدة والتضامن. حيث دفع أيت عطا إلى تجاوز الخلافات والنزاعات الظرفية التي كانت تنشب حول المراعي ومجاري المياه، خاصة لما بلغه خبر بداية اقتحام أجزاء من التراب المغربي من طرف فرنسا انطلاقاً من الجزائر، وكذلك لما لاحظ مرور عدد من المغامرين الأجانب بالمنطقة.

تأثر عسو بسلام بهذا الدور القيادي لوالده، واكتسب حصافة الرأي وحسن الاضطلاع بشؤون القبيلة، فأصبحت له العضوية في الجماعة المسيِّرة للقبائل : "أجْمَّاع" في سن مبكرة، الشيء الذي جعل قبائل أيت عطا تُكنّ له إجلالاً حقيقيا. وبالاضافة إلى هذا الدور كان يتمتع بخَصال حربية تجعله يقوم مقام مجموعة من الفرسان يمكن للقبيلة استنفارها في حالة الحرب.

وقد برهن عسو بسلام عن وعي مبكر من خلال تعاطيه للتجارة، ذلك أن تنقلات الرعاة والتجار شكلت جسراً متيناً لربط المنطقة ببقية مناطق المغرب، والاطلاع على ما يجري بالبلاد خاصة بعد تكالب الاستعمار الفرنسي. وقد كان احتكاكه بمدينة مراكش مناسبة ليقف على النوايا العدوانية للمستعمر، ولهذا عمل بمساعدة أخيه بَاسُّو أُبَسلام وجماعة من تجار أيت عطا على نقل الأسلحة إلى المنطقة استعداداً للمواجهة المحتملة مع الاستعمار. وقد ازداد وعياً وإدراكاً للنوايا العدوانية الفرنسية بعد احتلال تافيلالت، ومساهمة أيت عطا في مقاومة الجيوش الفرنسية هنالك. كما نتج عن حرب تافيلالت امتداد نفوذ باشا

مراكش الأگلاوي إلى "تدغة" سنة 1919 الذي شكل جيشهُ رأس حربة للاستعمار الفرنسي بالمنطقة.

وإلى جانب هذه الأحداث التي عرفتها المنطقة تجمعت عدة عوامل وساهمت في بلورة شخصية عسو بسلام في اتجاه قيادة المقاومة والجهاد : إنه يتمتع بقدرة خارقة على جلب القبائل وتنظيمها حيث تمكن من إسكات جميع المعارضات القبلية حوله ووحّد خلفه جماهير الفلاحين.

إن قبائل أيت عطا سبق أن ساهمت في الدفاع عن الوطن في مناسبات عدة، فقد بعث سيدي محمد بن عبدالرحمان إلى قبائل أيت عطا عن طريق زاوية تامصلوحت سنة 1859 للمشاركة في حرب تطوان المهددة بالاحتلال الإسباني، وقبل ذلك في عهد المولى عبدالرحمان سنة 1844 للدفاع عن الصويرة. ولهذا فمقاومة أيت عطا ليست وليدة الصدفة أو نزعة فطرية للسيبة والفتنة كما تدعي الكتابات الاستعمارية، بل هي استمرار لتقاليد الكفاح الجماعية دفاعاً عن الوطن ضد العدو الكافر.

وحوالي 1919 انتخبت قبائل أيت عطا عسو بسلام شيخاً على "إلْمْشَان" ليصبح بعد ذلك شيخاً عامّاً سنة 1932. ذلك أن دخول جيوش الأگلاوي بإيعاز من فرنسا التي انتهجت سياسة القواد الكبار إلى "تدغة" جعل عسو بسلام يتحرك ومعه أفراد "الجماعة"، وذلك لجمع شمل القبائل من أجل جعل حد للفوضى وجو التناحر الذي شجعته السياسة الاستعمارية وحليفها، حتى يسهل على هذه القوى القيام بدور التحكيم وفرض السلطة. كما قام التهامي الأگلاوي بدور فعال لإضعاف نفوذ عسو بسلام لدى أيت عطا وقطع الطريق أمام جهوده الرامية إلى توحيد القبائل حول راية الجهاد، وهكذا عين مجموعة من الأعيان العملاء كشيوخ على أيت عطا في إيْطر وتازَرين ودرعة وفي الواحات المجاورة لجبل صغرو. وفي خضم هذه التطورات المختلفة استطاع عسو بسلام تنظيم وكسب جماهير قبيلته على مسافات واسعة جداً، تمتد من أعالي صغرو لتنحدر إلى واحات تدغة ودادْس وغْريس وفَركْلة (حيث قبائل أيت مَرْغَاد) وتخوم تافيلالت. وأصبحت بذلك قوات المجاهدين منذ 1930 تحاصر باستمرار جيوش الأگلاوي، وجعلت نفوذه لا يتعدى في تنْغير القصبة التي أنشأها والدواوير المجاورة لها. وعندَما هبت القوات الفرنسية سنة 1931 بقيادة العقيد شاردون Chardon قائد منطقة ورزازات، لفك الحصار عن قوات الأگلاوي أخذ عسو بسلام يُعدُّ العدة بسرعة ليقذف بأيت عطا الأشاوس في المعركة المَصيرية التي دارتْ رحاها في جبل صغرو انطلاقاً من ربيع 1933.

أهم مراحل المواجهة بين عسو بسلام والجيوش الفرنسية: أصبح هم الإدارة الاستعمارية بعد حرب الريف يكمُن في إحكام السيطرة على تافيلالت وصغرو والناحية الوسطى للأطلس الكبيرة، أي ما تطلق عليه هذه الإدارة "المغرب غير النافع"، ولهذا الهدف أنشأت سنة 1913 ما أطلق عليه "قيادة التخوم الجنوبية" لإتمام ما تسميه أيضا المرحلة الرابعة في التهدئة (1931-1934). إلا أن مهمة الجيوش الاستعمارية لم تكن سهلة، ذلك أنها وجدت مقاومات عنيفة في كل مكان، إلى درجة أن الاشتباكات أحياناً تمت وجهاً لوجه بالسلاح الأبيض. وقد وقعت هذه الاشتباكات في واحات دادس ودرعة وتدغة وفركلة وغريس... التي تم احتلالها بين 1931 و1932. وأمام هذا الوضع بدأ عسو بسلام الذي اعتصم بجبل صغرو يستعد لمواجهة القوات الفرنسية رغم اختلال موازين القوى بين الطرفين، ومرت هذه المواجهة بثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى من أواخر 1932 إلى مطلع 1933 : تكونت بإيعاز من عسو بسلام فرق من المجاهدين في شكل عصابات مسلحة تقتحم مواقع القوات الفرنسية ومراكز الشؤون الأهلية في نماذج متعددة من هذه العمليات، وهكذا اشتبك رجال أيت عطا لأول مرة مع القوات الاستعمارية في ممر يدعى "تيزى نْتَدَارْت" شرق ورززات. وكانت هذه العملية بقيادة باسو بسلام أخي عسو بسلام أسفرت عن مقتل ثمانية عشْر من جنود الاحتلال ومن بينهم ضابط برتبة قبطان. وغنم المقاومون في هذه العملية أسلحة مختلفة.

كانت هذه العمليات تثير انزعاج السلطات الاستعمارية كما يشير إلى ذلك الجنيرال هوري Huré في كتابه *تهدئة المغرب المرحلة الأخيرة 1931-1934* :"إن اعتصام هذه الفرق المسلحة بصغرو يشكل أكبر خطورة بالنسبة لنا، وتكمُن هذه الخطورة في مهاجمة قوافل التموين، وكذلك تشويش وتحريض القبائل المهدّأة، وهكذا وقعت في الشهور الأخيرة من سنة 1931 أزيد من ثلاثين عملية داخل خطوط التماس لجيوشنا" (ص 102).

وقد كان من الطبيعي أن يؤدي النهوض المعادي للاستعمار وعملائه إلى تدخل القوات الفرنسية، الشيء الذي زاد من تأجيج روح المقاومة. ويقول الضابط جون ديسم J. d'Esme في كتابه *بورنازيل الرجل الأحمر* :"إن عسو بسلام وأتباعه لم يتوقفوا عن مهاجمتنا، ففي شهر يناير1933 وحده فقدنا نتيجة هذه الهجومات أربعة من أحسن ضباطنا بالإضافة إلى الجنود ومئات الجرحى والمعطوبين، واستيلاء المهاجمين على غنائم منها البهائم المحملة بالأسلحة والمواد الغذائية" (ص 32).

أمام تأزم وضعية الجيوش الاستعمارية وارتباكها بدأت قياداتها تبحث عن وسائل لإخماد المقاومة، وهكذا ضاعفوا من مراسلاتهم لقائد المقاومة عسو بسلام يطالبونه بالخضوع للمخزن الذي تتم التهدئة باسمه. وكان جواب عسو بسلام عن أحد هذه المراسلات ما يلي :"فليتقدم الذين حرّروا هذه المراسلات لأخذ الجواب هنا".

المرحلة الثانية من 12 فبراير إلى فاتح مارس 1933 : معركة بُوگافر. بوگافر موقع حصين وسط جبل صغرو في الأطلس الكبير الشرقي، جمعت السلطات الاستعمارية

لمهاجمته قوات ضخمة قوامها ثلاثة وثمانون ألف مقاتل تدعمها أسراب من الطائرات بلغ عددها أربعاً وأربعين طائرة. وكانت هذه القوات مكونة في أغلبها من اللفيف الأجنبي لكسر شوكة المقاومين، والقضاء على عسو بسلام. لهذا كان الفرنسيون يلقون إلى المعركة ضد المقاومين بحشود تكاد لا تنتهي من السينغاليين وغيرهم من المرتزقة بقيادة علية من الضباط المصابين جميعا بحمى المغامرة والفتح والترقية السريعة أمثال الجنيرالين جيرو وكاترو والقبطان سبلمان و بوايبي ويشاردون وبولان...

أما بالنسبة للمقاومين فكان عددهم في بوگافر سبعة آلاف رجل منهم ألف ومائتا مقاتل فقط مزودون بأسلحة بسيطة إلى جانب البنادق التي غنموها في مختلف المعارك، ولم يكن الفرنسيون يواجهون في هذه المرحلة أيت عطا فقط، بل انضم إليهم أيضا مقاومون من أيت مَرْغاد الذين أبلوا البلاء الحسن وجعلوا من صغرو مقبرة للغزاة.

ففي يوم 13 فبراير اليوم الأول للهجوم على صغرو غنم المقاومون مائة واثنتي عشرة بغلة محملة بالذخيرة والأسلحة والمواد الغذائية، وتوالت الانتصارات مما جعل كثيراً من المترددين يلتحقون بصفوف المقاومة، كما برز عسو بسلام في صحف الاستعمار كزعيم تهابه القوات الفرنسية.

حاولت الجيوش الفرنسية، أمام فشلها في التقدم وتحقيق الانتصار، تنظيم التراجع، لكن رجال أيت عطا الأشاوس عرقلوا هذه المحاولة مستعملين جميع الأسلحة حتى الحجارة، وطاردوا القوات الفرنسية الغازية من جميع الجهات فحدثت بذلك معركة بوگافر الشهيرة يوم 28 فبراير 1933 تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر تتجلى في قتل أزيد من عشرة ضباط على رأسهم القبطان بورنازيل الذي خلفت وفاته وقعاً كبيراً في الأوساط الأستعمارية، كما فقدت مئات الجنود، واستولى المقاومون على جميع الأسلحة والذخائر التي تركها الجيش الاستعماري في الميدان. والجدير بالذكر أن المرأة العطاوية لعبت دوراً كبيراً في هذه المعارك سواء بتحريض الرجال من الخلف، أو تعويض القتلى في الميدان.

المرحلة الثالثة من فاتح مارس إلى 25 مارس 1933 : سلم بدون هزيمة. أمام عجز القوات الفرنسية عن تحقيق الانتصار بقوة السلاح التجأت إلى الأساليب الوحشية اللاإنسانية، وذلك لتحقيق انهيار المقامة وتفتيت وحدتها. وفي هذا الصدد كثّف الطيران هجومه وقصفه لمجاري المياه وقطعان الماشية، حتى إن الجنيرال هوري اعترف أنه تمت الإبادة والاستيلاء على أغلب الماشية بحيث لم يبق في يد المقاومين إلا حوالي 10٪ من ماشيتهم التي كان يبلغ عددها 25.000 رأس.

وبموازاة سياسة الأرض المحروقة هذه زادت الجيوش الاستعمارية من محاصرة جبل بوگافر لمنع المقاومين وماشيتهم من الاتصال بالسهول والواحات المجاورة للحصول على القُوت والكلإ. ومع ذلك فإن المعارك لم تزد إلا ضراوة. وعمل ضباط الشؤون الأهلية أمثال سبّلمان Spillman الذي يعرف المنطقة جيداً، على تنشيط ما يطلق عليه "العمل السياسي" المستمد من خطة ليوطي في التهدئة. وفي هذا الصدد حاول هؤلاء الضباط إثارة النعرات القبلية القديمة بين مختلف أخماس أيت عطا الذين جمعتهم كلمة المقاومة والجهاد. ولهذا الغرض نودي على أحد عملاء الاستعمار وهو الشاوش حميدة الذي كان له ماضٍ سيّئ في ملازمة الجيوش الاستعمارية وخدمة ضباطها، وبإيعاز منه تم التفكير في جلب كل خمس على حدة للاستسلام، وهكذا كان يؤتى ببعض الأفراد الذين غُلبوا على أمرهم إلى الجبهة قصد جلب أفراد خمسهم المقاومين للخضوع عن طريق الترهيب والترغيب والضغوط النفسية. وبهذه الطريقة استسلمت مائة وخمسون أسرة من فرع أيت إعَزّى وأيت أنْبْگي، ومائة أسرة من أيت عيسى وابْراهيم (أيت واحليم) وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين 10 و23 مارس 1933.

بسلام يوم 25.3.33 يفاوض الجنرالات هوري، وكاترو، وجيرو

أمام هذا الوضع قرر عسو بسلام - بعد الصدع إلى الجماعة والتشاور معها- النزول للتفاوض يوم 25 مارس 1933، وقد حرص على أن يحاور ضباط الاستعمار من موقف السيادة الكاملة والقوة، كما يتجلى ذلك من هذا الحوار الذي دار بينه وبين القبطان بوايبي Boyé ثم الجنيرال هورى (كما سجله المترجم العقيد بلمدني في *مذكراته* إلى المؤلف وكان آنذاك ضابطا صغيراً) :

- عسو بسلام :"إنني جئت أنا ورفيقي للتفاوض فقط ولم آت للاستسلام".

- الضابط الفرنسي :"بعد هنيهة من الآن ستقدم استسلامك وطاعتك للحاكم الكبير الجنيرال هوري الذي سيصل بعد قليل".

- عسو بسلام :"قلت لك، إنني لم أنزل من الجبل للاستسلام، لقد جئت أنا ورفيقي مبعوثين من طرف المجاهدين لمعرفة شروط تحقيق السلم الذي يصون كرامتنا، وإلاّ فانتم هنا ونحن لم نضع السلاح بعد".

وقد اضطر المترجم بلمدني عند وصول الجنرال هوري إلى تعديل فقرات مشحونة بالتهديد والوعيد من خطاب الجنرال هوري محاولا تقليد إشارات الجنرال حتى لا يشعر هذا الأخير بتغيير خطابه وحتى لا يتراجع عسو بسلام عن فكرة التفاوض لو بلغة فحوى الخطاب الزجري.

لم تُرعب عسو بسلام القوات الضخمة من جيوش ومدافع وطائرات التي جمعتها القيادة الفرنسية في الجبهة قصد استقبال الجنيرال هوري وإرهاب قائد المقاومة، بل إن قائد المقاومة صرح كرد فعل :"إنه من المدهش حقاً أن تصمد قواتنا البسيطة طيلة هذه المدة (42 يوماً) في حرب ضروس غير متكافئة وتلحق بالجيوش الفرنسية خسائر كبرى، دون أن يكون في إمكانها، أي القوات الفرنسية، تحقيق انتصار ولو بسيط يذكر".

ومن بين الشروط التي فرضها عسو بسلام على الجنيرال هوري : عدم امتداد سلطة الأگلاوي إلى منطقة نفوذ أيت عطا، وإقرار عسو بسلام في منصبه كشيخ عام على أيت عطا، وهو المنصب الذي احتفظ به فعلا إلى الاستقلال، وإعفاء المرأة العطاوية من المساهمة في الحفلات التي تنظمها الإدارة الاستعمارية في مناسبات مختلفة، وارجاع كل ممتلكات المقاومين المصادرة إلى أصحابها مع إعفائهم من الخدمات الإجبارية والإتاوات المختلفة التي تفرضها الادارة الاستعمارية على السكان.

هكذا حققت حركة مقاومة أيت عطا قسطاً مهما من أهدافها، وظل بطلها عسو بَسلام رمزاً للحرية والشرف. وغداة الاستقلال في صيف 1956 عين قائداً في أكنيون بجبل صغرو، وظل في منصّبه إلى أن أدركته الوفاة يوم 22 صفر 16/1380 غشت 1960.

ع. بوراس، *مقاومة أيت عطا بصغرو، فبراير- مارس 1933*، *العلم الثقافي*، ع 816، 7 مارس 1987 ؛ *المقاومة الوطنية والاسطوغرافية الاستعمارية من خلال مقاومة زايد أُحمد 1934-1936*، *العلم الثقافي*، ع. 826، 23 ماي 1987 ؛ م. المعزوزي، و هـ. العلوي، *الكفاح المغربي المسلح*، الرباط 1987.

A. Bourras, *La guerre du Saghro 1930-1931*, *Lamalif* Nº 138, Août-Sep. 1982, p. 44-45 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935 ; D. M. Liart, *Assû û-Basslam, Les Africains*, t. V, p. 75-105 ; A. Huré, *La pacification du Maroc : dernière etape, 1931-1934*, Paris, Berger-Levrault, 1952 ; J. Saulay, *Histoires des Goums Marocains*, t. 1, Paris, 1981 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat 1936 ; G. Spillmann, *Souvenirs dun colonialiste*, Paris, Presse de la cité, 1936 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

عبدالقادر بوراس

البشاريّ، أو البشَرِّي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Becerra ومعناه بالإسبانية العجلة (البقرة الصغيرة)، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

البشاريّ، محمد الذي اشترك مع جماعة من أصدقائه في اغتيال باشا تطوان محمد تميم في 7 ذي القعدة 8/1163 أكتوبر 1750.

وأسرة البشاري، من بين الأسر التطوانية التي هاجرت إلى القصر الكبير قبل سقوط تطوان بيد الجيش الإسباني سنة 1860/1270.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 235، 5 : 229 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بشر، بن صفوان الكلبي، من ولاة الأمويين بالمغرب (103 - 190 / 721 - 726) ولا تتحدث مصادر التاريخ المغربي عنه إلاّ وهو على رأس مسؤوليته في الغرب الإسلامي (*تاريخ أفريقية والمغرب*، ص. 66 ؛ *البيان*، 1 : 49) وكانت مهمته محصورة في معالجة المسائل الآتية :

- قضية الضرائب وجمع المداخيل لدارالخلافة بدمشق من بلاد المغرب والأندلس.
- تسوية الخلافات القبلية العربية في ولايته الجديدة والتغلب على المشاكل التي مازالت تواجه الوجود الإسلامي وانتشاره في بلاد البربر والأندلس.
- البحر والمضايقات المسيحية في غرب البحر المتوسط.

نتج عن سياسة القسوة في استخلاص الجبايات بالولايات الإسلامية النائية عن دار الخلافة بدمشق أن اغتيل والي أفريقية يزيد بن أبي مسلم (102 - 103) فعُين مكانه "بشر بن صفوان" ليعالج المشاكل المعقدة في ولاية أفريقية. وقد سبقت عملية تكليف بشر بن صفوان بأفريقية مشاورات وأحداث يرويها المؤرخون بصور متعددة، وأهم ما في الأمر أن أهل أفريقية لما قتلوا عاملهم أبا يزيد بن مسلم وجهوا إلى الخليفة بدمشق مبعوثهم أبا محمد خالد بن أبي عمران التجيبي ليخبره بقتل يزيد. فلما وصل إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك، استشاره هذا الأخير فيمن يوليه فأشار عليه فقبل قوله. وكان الخليفة على دراية ببشر واليه على مصر ونجاحه في تنظيم إدارتها المالية. والذي يظهر أن بشراً حظي بثقة الخليفة وأسند إليه اختصاصات واسعة حيث تشير النصوص إلى أن بشراً هو الذي عين أخاه حنظلة خلفاً له على مصر بعد أن تقلد ولاية أفريقية، وانتقل إلى القيروان وعين على الأندلس عاملا من قبيلته وهو عنبسه بن سحيم واستمر بها من (103 إلى 107). وهذا يعني من وجهة نظر أخرى أن بني كلب اليمنيين المنافسين للقبائل القيسية قد أصبحوا يسيطرون على السلطة في القسم الأفريقي كله والأندلس. ويزيد بن أبي مسلم الذي حكم قبل بشر بن صفوان كان هو أيضاً من بني كلب. فظهر صراع بني العصبية اليمنية على رأس زعامتها الكلبيون والعصبية القيسية وعلى رأسها السلميون .

ونلاحظ أن بشر بن صفوان اجتهد في ضرب العرب البلديين مثل آل موسى ابن نصير ومن شايعهم، كما واصل سياسة القسوة ضد البربر، ووسع دائرة المتابعة إلى المغرب الأقصى مطارداً أسرة موسى بن نصير ومصادراً أموالهم (ابن عبد الحكم، ص. 215 ؛ *البيان*، 1 : 49) وقد جمع الوالي الجديد أموالاً وذخائر كثيرة حملها إلى دمشق سنة 105 / 723. وكان معظم ما حمله قد استصفاه من البربر، ولم يعش الخليفة اليزيد طويلا ليتمتع بهذه الهدايا، إذ وجده بشر بن

صفوان قد مات في شعبان سنة 105 / يناير 724 فقدم الهدية للخليفة الجديد هشام بن عبد الملك الذي أقر بشر بن صفوان على ولايته. وبذلك وافق الخليفة على السياسة الداخلية المتبعة من قبل الولاة في بلاد المغرب والأندلس مما كان له عظيم الأثر في قيام ثورة البربر تحت غطاء الحركات الخارجية ثم الاستقلال والانفصال عن التسيير المباشر لمركزية الخلافة بدمشق وبغداد.

لم يهمل بشر بن صفوان الكلبي مشاريع التمدين فأسهم في توسيع مسجد القيروان الذي أنشأه عقبة بن نافع وجدده الوالي حسان بن النعمان وأكمله الوالي بشر بن صفوان. ولكن الذي أعاد بناءه كله وأعطاه صورته الباقية إلى اليوم هو زيادة الله بن الأغلب (*الدولة الأغلبية*، ص. 275 وما بعدها). كما اهتم بشر أيضاً ببناء المحارس على الساحل والرباطات. وهذا ما ينقلنا إلى مهمته الكبرى على مستوى الجهاد البحري وهي تاكيد سلطان العرب في غرب حوض البحر المتوسط.

كانت مدة ولاية بشر قصيرة لم تجاوز خمس سنوات لكن المجهود الذي قام به في بناء البحرية المغربية بصفة خاصة كان كبيراً جداً. ويخبرنا خليفة بن خياط عن هذه التطوات والحملات العسكرية التي قامت بها البحرية المغربية في عهد ولاية بشر بن صفوان (*التاريخ*، 2 : 475. 479) كما يشير ابن الرقيق إلى ذلك (ص. 66) وابن عذاري (1 : 49). والمهم أن الحملات البحرية وخاصة على صقلية وجنوب إيطاليا لم تنقطع من 103 / 720 إلى 108 / 724 وشكلت أهم المهام الرئيسية لبشر بن صفوان إلى جانب ضبط الأوضاع الداخلية الثائرة والمتقلبة في ولايته. كما نظمت حملات كبرى على الجزر الغربية والوسطى للبحر المتوسط (سردينا وكورسيكا وصقلية).

أصيب بشر بن صفوان الكلبي في حملته الحربية التي قادها بنفسه إلى صقلية سنة 109 / 727 بمرض أودى بحياته، وليس في سنة 107 / 725 كما رجح ذلك الدكتور سعد زغلول (*تاريخ المغرب*، ج 1 ص. 273). وقد سمت المصادر هذا المرض بـ"الدبيلة" وهو عبارة عن خُراج ودُمل كبير يخرج في الجوف فيقتل صاحبه، وكانت وفاته في شوال سنة 109 / 27 يناير 728.

- ابن عذاري، *البيان* ؛ الكندي، *الولاة وكتاب القضاة* ؛ ابن الرقيق، *تاريخ أفريقية والمغرب* ؛ خ. ابن خياط، *التاريخ* ؛ المالكي، *رياض النفوس*، ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1 ؛ ع. سعد زغلول، *تاريخ المغرب العربي* ؛ م. الطالبي، *الدولة الأغلبية* ؛ ع. سالم وم.م. العبادي، *البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*.

هاشم العلوي القاسمي

البُشْرَى، محمد بن عبدالفاضل بن محمد بن أحمد بن قاسم أكشاو العمراني، من الشرفاء العمرانيين أولاد سيدي حنين دفين تلنبوط، الذي يقول عنه ابن عرضون : إنه النسب الوحيد الموثوق به في قبائل غمارة، (*الكتاب اللائق*، 2 : 204، 205). وأصلهم من أولاد عبدالكريم من بني وكشا بقبيلة بني منصور الغمارية، ومن هنا جاء اسمهم العائلي : أكشاو ؛ انتقل أحد أجداده إلى مدشر علوي ببني خالد إحدى قبائل غمارة، في الجنوب الشرقي لشفشاون على بعد نحو 75 كلم.

ولقب بالبُشْرَى، لأن والده كان أحد المريدين للشيخ الحاج الصديق التجكاني، فسأله أن يدعو له ـ وهو ولده الوحيد ـ أن يكون من حفظة القرآن الكريم، فقال له : إنه البُشْرَى ـ إن شاء الله ـ لعالم جليل. وعنصر من عناصر العلم والمعرفة. فالتصق به هذا اللقب من يومئذ.

ولد في حدود سنة 1892/1310، وحفظ القرآن مبكراً، وبدت عليه بوادر النجابة، درس العربية والفقه على جماعة من فقهاء غمارة وقبائل الهبط، ثم رحل إلى فاس وأنهى دراسته بجامع القرويين على كبار مشيختها، ويذكر في بعض تقاييده : أن من العلوم التي درسها هناك : التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصول والأدب والعربية والبلاغة والمنطق والتوقيت وما إلى ذلك.

ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة 1920/1339، فتولى التدريس والخطابة ببعض الجوامع، وكانت العادة ـ بالبادية ـ أنه عندما يعود الفقيه من فاس، يتولى ـ تلقائيا ـ الإرشاد الديني، والإفتاء بين الناس. وفي هذه الأثناء صدر قرار وزيري ممضي من طرف الصدر الأعظم أحمد غنمية بتعيينه خليفة للقاضي، ولكنه لم يلبث أن تخلى عنه بمحض إرادته، فتفرغ للتدريس بمدشر علوي، وأصبح إمامه وخطيبه ؛ فتقاطرت عليه أفواج الطلبة من مختلف الجهات، وكان يتمتع بذاكرة قوية، وفصاحة لسان، وسعة بيان، وكان آية من آيات الله في علوم العربية : يحفظ قواعدها، ويستحضر شواهدها. وكان له ميل إلى الأدب، يحفظ *مقامات الحريري* عن ظهر قلب، وربما قرض الشعر.

وفي سنة 1931/1350 ـ رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وبعد عودته واستئناف الدراسة لمدة سنتين ؛ ـ جاءه أعيان ووجهاء قبيلة بني ورياغل يرغبون إليه أن يكون خطيبا ومدرساً بجامعهم بأجدير مركز قيادة ابن عبدالكريم الخطابي، فلبى رغبتهم وانتقل هو وطلابه ـ وعددهم يفوق ستين طالبا ـ إلى هناك، وكان محل عناية فائقة من السكان ومن قبائل الريف بعامة ؛ مما زاد في نشاطه فكان قمة عطائه العلمي والفكري. وقد دفعته نخوة العلم ونشوة الأدب لينظم *قصيدة* مطولة سجل فيها أمجاد الحرب التحريرية بالريف، تعتبر من الحوليات ضاعت مع الزمن.

ثم عاوده الحنين إلى البقاع المقدسة فحج ثانية سنة 1937/1356.

وفي عام 1939/1358 عين قاضياً على قبيلة بني خالد. وكان صدر ظهير خليفي باستقلال القضاء في شمال المغرب، ولكنه عانى من المسئولين الأمرّين مما جعله يضرع إلى الله ـ عز وجل ـ في أخريات حياته أن يدفع عنه هذا البلاء، ويفارق بينه وبين القضاء ولو بالموت، فكانت وفاته

سنة 1946/1366، عن عمر يناهز ستاً وخمسين سنة.

محمد بن محمد أكنّاو، *تقييد في ترجمة الوالد*، مخطوط.

سعيد أعراب

بشراي بن محمد يَحْضيه. ولد بتاريخ 1917 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير بالمقاطعة التاسعة في مركز تافودارت تحت قيادة صالح ابن عسو، وقام بعدة أعمال جليلة من أجل تحرير الوطن إلى أن استشهد بالصحراء في معركة الدشيرة بتاريخ 13 يناير 1958.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عز الدين العلام

البشري، إدريس بن محمد التلمساني، جاء سلفه من تلمسان إلى فاس في أوائل القرن الرابع عشر (19 م)، واشتغل إدريس البشري بتعليم الصبيان القرآن الكريم في كتّاب مسجد سيدي المخفي من حومة المخفية عدوة القرويين، وكان من الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*.

كان إدريس البشري أستاذاً مقرئاً يحفظ القرآن بالروايات. صالحاً مقبلاً على شأنه، ملازماً للعبادة يؤم بالنيابة بمسجد المدرسة، ويربي الصبيان ويلقنهم القرآن. يصوم ثلاثة أشهر من كل عام "رجب وشعبان ورمضان" ويتهجد من الليل ما شاء الله إلى أن توفي راضياً مرضياً في أواسط عام 1336 / 1917، ودفن بفدان الغرباء خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1336 ؛ *سل النصال*، الترجمة 43.

محمد حجي

بشْري محمد بن عبدالله. ولد سنة 1944 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير المغربي بالجنوب سنة 1956. كان نشيطاً في مشاركته مع إخوانه المجاهدين وقام بعدة أعمال جليلة وبقي يعمل إلى أن استشهد في معركة مركالة بنفس السنة 1956.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عزالدين العلام

بشّار (وبالبربرية أبشار) يعني في الكلام المتداول الشخص الذي يأتي بالخبر المفرح. فهي كلمة مشتقة من الفعل العربي بشّر. إلا أن للمفهوم معنى خاصا عند القبائل المغربية في مرحلة ما قبل الاستعمار وخلال فترة الاستعمار. كانت مهمة البشار هي إخبار من سُرق له شيء بالمكان الذي يوجد فيه ذلك الشيء والعمل على استرجاعه له. وتسمى المهمة في حد ذاتها البشارة (أو تَبَشّارَتْ بالبربرية).

والبشارة ظاهرة عامة وجدت في جل القبائل المغربية والجزائرية لأنها ارتبطت بظاهرة السرقة وباللصوصية. ولا يمكن أن نفهم وظيفة البشّار إلا في إطار وجود تلك اللصوصية، بحيث كان لهذه الأخيرة طابعٌ منظم ومؤسسي يتجلى في كونها لازمت النظام القبلي والصراعات القبلية (هارت : 15.14).

يصف بيارني في بداية القرن طبيعة السرقة، وهي في الواقع لا تعني الاختلاس والسطو عن طريق الاحتيال، مصنفاً أنواعها في حوض سبو وورغة. ويميز السكان المحليون - حسبه - بين ثلاثة أنواع من السرقة :

- تلك التي تمارس عن طريق السلاح وهي الدرزة، (والدريز هو الصوت الذي يحدثه الحصان)، والضربة والحركة، وهذه الأنواع الثلاثة تكُونُ مباغتة في كثير من الحالات وتمارس فوق ظهر حصان، ويكون أصحابها مسلحين.

وتستهدف كل هذه الأنواع من السرقة السطو على المتاع كيفما كان نوعه، وخصوصا رؤوس الحيوانات، من الخيام داخل الدواوير أو من القوافل التجارية. ولا تمارس السرقة من طرف الفئات الاجتماعية المهمشة فحسب، بل كل الفئات تمارس اللصوصية. ولا ينظر إليها كممارسة منبوذة، وإنما هي دليل على الشجاعة وتكون بالنسبة للسارق مصدراً للاعتزاز. هناك أعراف لاسترداد الأشياء المسروقة دون اللجوء إلى عقاب المذنبين أو متابعتهم ؛ وفي غالب الأحيان لا يتم عقاب اللصوص. (بيارني : 135).

تعتبر سرقة الماشية أكثر شيوعا، فهي على حد تعبير ميشو بلير رياضة تهيِّئ أفراد القبيلة إلى الحرب. ولا يتردد أبناء الأعيان من ممارستها لاختبار شجاعتهم. (ميشو بلير: 45).

تتم السرقة في إطار جماعي. فالسارق الذي يسرق لحسابه الخاص وبمفرده هو ظاهرة نادرة حسب بيارني. غالبا ما يكون اللصوص جماعات، وكل جماعة يترأسها زعيم، يسمى "الكمان" ينسق فيما بينهم، يوزع الأدوار عليهم، ويتكلف بإخفاء الأشياء المسروقة في منزله. وللكمان سلطة في منطقته. كما أن له علاقة طيبة مع القبائل المجاورة. بحيث يهاب ويحترم من طرف الجميع. فهو إذن ذو وضع اجتماعي متميز، فهو ثري، أساس وأصل ثروته الاتجار في المسروقات، التي يبيعها بثمن رخيص. ويحكي موليراس، في كتابه *المغرب المجهول*، على لسان مخبره محمد بن الطيب استضافته من طرف كمان مرموق في ناحية فاس - تازا.

للكمان وضع مزدوج : فهو من جهة، العارف بأمور اللصوص، يتعامل معهم وينظمهم ويؤطرهم، ومن جهة أخرى يحمي البعض من هجمات اللصوص نظراً لكونه يملك تلك المعرفة. (بيارني : 139). كما أن له أيضا علاقة طيبة مع ممثلي المخزن، إذ يقدم لهم الهدايا في المناسبات التي تقتضي ذلك (بيارني : 136).

هناك نوع من التشابه بين الحملات اللصوصية والحركات الهجومية التي يشنها بعض الأعوان على القبائل. فغارات اللصوص هي عبارة عن حركات صغيرة تتضمن بين 20 و30 رجل مسلحين، يكون من بينهم 10 إلى 12 رجل يركبون الخيل ويوزعون الأدوار فيما بينهم لانجاز مهمتهم (بيارني : 140).

في بعض الحالات ليست السرقة هدفا لذاته وإنما تدخل في إطار الصراعات التي تحدث بين القبائل أو بين فرق القبائل أو بين الأفراد، بحيث يكون الدافع هنا هو نوع من الانتقام لرد الاعتبار. وهذا النوع من السرقة هو الذي يحدث عندما تغير قبيلة على أخرى أو عندما تغير الحركات المخزنية على بعض القبائل.

في كلتا الحالتين، أي في حالة اللصوصية المنظمة أو في حالة الحركات الهجومية يلعب البشار دورا في استرداد الأشياء المسلوبة. فالبشار هو الذي يقود الناس إلى الكمان لكي يسترجعوا متاعهم وذلك بشرائه منه من جديد.

غالبا ما يكون لكل قبيلة بشارها كما كان الأمر عند قبائل زمور، إذ يسمى عندهم بـ "أبشار نقبلت" أو "أسيد نقبلت" (أي ضوء القبيلة)، فهو الذي يتولى مهمة البحث عن المسروقات وإخبار أصحابها بذلك. ويتحدد ثمن البشارة بقيمة الشيء المسروق، وفي غالب الأحيان يكون محدداً ومعروفاً عندما يتعلق الأمر برؤوس الحيوان (مارسي : 295).

لقد تناول الفقيه المهدي الوزاني في *نوازله* مسألة الأجر الذي يتلقاه البشار مقابل البشارة، مستنداً إلى أقوال الفقهاء السابقين، بحيث أبرز تضارب آرائهم فيما يخص هذه المسألة، فمنهم من رأى بأن البشارة المتعارف عليها في العرف هي "من أكل أموال الناس بالباطل" ومنهم من رأى لزومها، غير أن السارق هو الملزم بأدائها (*النوازل*، 8 : 118).

هناك فرق بين البشار و"البياع" (من فعل باع). يمكن لأي شخص أن يصبح "بياعا" عند الضرورة، أما البشار فهو شخص معين يقوم بوظيفة البشارة وهي مهمة محددة. غالباً ما يخدم البياع مصالح السارق، فهو الذي يخبر الكمان بقيمة وأهمية ضيعة ما (عزيب) يوجد بها عدد كبير من رؤوس الماشية ليشن عليها اللصوص غارتهم، في حين أن البشار يخدم مصالح الشخص الذي سرق منه متاعه مقابل أجر معين يتم الاتفاق عليه (هارت : 15).

كما يقوم البشار بإخبار المخزن عندما تتعرض قبيلة ما أو الحركة المخزنية لهجمات اللصوص، إذ يخبر بمحل السرقة وبهوية مرتكبيها ؛ وعقب ذلك الإخبار يفرض المخزن غرامة (ذعيرة) على السارقين.

فللبشار علاقة طيبة مع المخزن ومع أعيان القبيلة، باعتبار أنه يقوم بمهمته تحت طلب المخزن أو ممثلي القبيلة في الجماعة.

فعندما يتعرض فرد مّا لسرقة، يقصد من له نفوذ في القبيلة حاملا له بعض الهدايا متوسلا إليه أن يساعده على إيجاد متاعه. يرسل صاحب النفوذ هذا في طلب البشّار وعندما يتم الاتفاق على ثمن البشارة، ينطلق البشار في البحث. وعندما يجد الشيء المسروق يباع في أحد الأسواق، فإما أن يخبر به صاحبه وإما أن يشتريه بثمن أقل من قيمته (ما يسمى بالمرفقة)، مع اقتطاع ثمن البشارة، ويأتي به لصاحبه، في غالب الأحيان لا يسترجع الفرد متاعه إلا بعد أداء ثلاثة أرباع ثمنه الحقيقي، تتوزع بين أجرة البشارة وثمن شرائه من جديد. (بيارني : 144) و(سالمون : 139).

ولقد طرأت تحولات على وظيفة البشار خلال المرحلة الاستعمارية. فحسب سالمون، لم تختف عادة البشارة عند القبائل الفحصية في الشمال خلال وجود المستعمر ولكنها تحولت شيئا ما، أصبح البشار ليس بالضرورة ذلك الوسيط بين من سُرق منه متاعه والسارق، وإنما هو الشخص الذي يخبئ الأشياء المسروقة، كما كان الكمان سابقا، إلى أن يظهر صاحبها فيؤدي عليها حق البشارة و يأخذها. كان في منطقة الفحص أربعة أو خمسة منهم يترددون على سوق طنجة. إلى جانب وظيفة البشارة أصبحوا يقومون بوظيفة الدلال لبيع الخيول، (سالمون : 201).

تعتبر البشارة آلية من الآليات المتعددة التي كان النظام القبلي ينتجها للمحافظة على توازنه. ففي غياب جهاز منظم للمراقبة ولإثبات الأمن، نجد عدداً من المؤسسات تقوم بتلك الوظائف. وإذا كانت اللصوصية مبدئيا هي الاعتداء على الآخرين ومناسبة لانفجار العنف المطلق، فإن هذا العنف لا يصل إلى حده الأقصى نظراً لوجود مؤسسات من بينها البشارة، تقلص دائماً من حدته وتعمل على حفظ التوازن وضمان أمن قد يكون مؤقتاً.

المهدي الوزاني، *النوازل الجديدة الكبرى*، الجزء الثامن.

A. Hanoteau, et Letourneux, *La Kabylie et les coutumes kabyles*, Paris, A. Challamel, 1893, t. 2 ; A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, Paris, A. Challamel, 1899, t. 2 ; G. Salmon, *Institution berbère et tribu Marocaine : La Fahçya, A. M.*, vol. I, 1904, p. 127, 149, 261 ; E. Michaux-Bellaire, *Le Gharb, A. M.*, vol, XX, 1913 ; Ben Daoud, *Notes sur le pays Zaian, A. B.*, vol, 2, fasc. 3, 1917, p. 276, 306 ; E. Biarnay, *Voleurs, receleurs et complices dans les vallées inférieures de Sebou et l'Ouargha, A. B.*, vol, 2, fasc. 2, Rabat, 1917, p. 135, 148 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Jules Carbonel, Paris, Larose, 1949 ; D. Hart, *Banditry in Islam : Case Studies from Morocco, Algeria, and Pakistan North west frontier*, Middle east and North african Studies, 1987.

رحمة بورقية

البَشْنَة، حبّ يتضمن عدداً كثيراً من أنواع فصيلة النجيليات، بالإضافة إلى كون هذا اللفظ يستعمل أيضا في بعض مناطق المغرب للبشنيخة التي تنتمي إلى فصيلة الخيميات.

إنه من الصعب سرد جميع الأنواع النباتية النجيلية التي يطلق عليها لفظ "بَشْنة"، وتعرف بمجموعة من الأسماء العلمية التي يقع فيها خلط بين أجناسها وأنواعها وضروبها، فهناك :

1 ـ البَشْنة أو أنيلي أو إلأنْ أو الانْجْبَار (انظر إلأن) وهي الذرة الرقيقة: سُرْغُومْ حَلْبَانْسي Sorghum halepense.

2 ـ البَشْنة أو الذرة البيضاء أو تَافْسُوتْ أو اعْبَابُو بالأمازيغية، وهي أنواع وضروب أخرى من جنس سُرْغُومْ مثل سُرْغُومْ فُلْگاري Sorghum vulgare وسرغوم سرنيوم Sorghum cernuum أو الذرة أُمُّ شْرُورة التي تزرع بكثرة في مناطق الريف المغربي، وكلا النوعين يستعملان في تغذية الإنسان والدواجن.

وقد زرع النوعان منذ قديم الزمان في افريقيا وآسيا بعدما استأنسهما الإنسان، وانتشرت زراعتهما بعد ذلك في البلاد الحارة من المناطق المعتدلة والحارة. وذلك بالرغم من أن قيمتهما الغذائية تقل عن الذرة الهندية (الأمريكية الأصل) إلا أنهما تكوّنان غذاء أساسياً لبعض الشعوب في أفريقيا وآسيا.

والنوعان من السرغوم يشبهان الذرة الهندية في الصفات النباتية : نباتات طويلة الساق، حولية خشنة، ذات نورة سنبلية الشكل، غزيرة أو مفككة، وحَبّ أصغر.

إذا كان فصيل السرغوم (النبات الأخضر الطري) يحتوي على بعض المواد السامة بالنسبة للماشية فإنه يعتبر من أحسن الأعشاب العلفية بعد تجفيفه.

تستعمل البشنة أيضا في التطبيب التقليدي كسَوَاغ لعدد من الأدوية المبتلعة عن طريق الفم وفي بعض حالات أمراض المعدة.

3 ـ البَشْنَة أو الزّوان أو الدُّهْن أو الدُّخْن أسماء تطلق على بَانيكُوم مِلْيَاسِيُوم Panicum miliaceum وسيطاريًا إطَاليكا Setaria italica وفَالاَريسْ أُرُونْدناسيا Phalaris arundinacea وفَالاَريس تُوبيروزا Phalaris tuberosa الخ... وكلها أنواع أصلية في المغرب، تعطي حبوباً دقيقة ذهبية اللون وتستعمل في أغلب الأحيان في تغذية الطيور الصغيرة المدجنة داخل الأقفاص.

كما تستعمل لتحسين المراعي الدائمة إذ أنها تعتبر من أحسن الأنواع الرعوية.

أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبدالمجيد زاهر وآخرين ؛ *أبحاث شخصية*.

Mathon, *Phytogeographie appliquée : L'origine des plantes cultivées*, Masson 1981 ; Bellakhdar, *Medecine traditionnelle et toxicologie ouest sahariennes*, Rabat, 1978 ; Renaud et Colin, *Tuhfat Al Ahbab*, Paris, 1934.

عبدالمالك بنعبيد

البشير، أو "بشير الإسلام بخوارق الأعلام" اسم سفينة مقنبلة اقتناها المغرب سنة 1897 صنعت في أوراش ليفورنة بإيطاليا في إطار السياسة العسكرية التي نهجها المغرب في القرن التاسع عشر خصوصا بعد معركة إسلي، وكانت تهدف لتجديد القوات العسكرية سواء منها البرية أو البحرية.

وقد بدأت محاولة إحياء الأسطول البحري منذ عهد مولاي عبدالرحمان واستمرت إلى وفاة مولاي الحسن، حيث باءت كغيرها من المحاولات "الإصلاحية" الأخرى بالفشل.

فمولاي عبدالرحمان الذي كان في حاجة ماسة إلى مداخيل مالية غير الزكوات والأعشار والمكوس التي كانت مرهونة باستقرار الأحوال السياسية الداخلية المضطربة، حاول أن يفتح من جديد عهد المبادلات التجارية مع أوربا والولايات المتحدة، فكان لا بد من إعادة إحياء البحرية التي لم يبق لها أثر في أواخر عهد مولاي سليمان.

وتقهقر البحرية المغربة، يدخل في الإطار العام لتحول موازين القوى في البحر المتوسط، الذي كان من أهم مظاهره فقدان الأندلس والانكماش السياسي والجغرافي بالمغرب، وإن كانت البحرية قد استطاعت الصمود إلى أواخر القرن الثامن عشر.

فقد ظلت السفن المغربية تمارس "الجهاد البحري" في شكل القرصنة التي نشطت في عهد الموريسكيين، ثم في عهد مولاي إسماعيل الذي احتكر البحرية، ولقيت طوال هذه المدة تشجيعاً من طرف الدولة التركية التي كانت تؤمل أن تصير القوة البحرية المغربية حاجزاً بين جزرها وبين البحرية الأوربية في بوغاز جبل طارق، خصوصا وأن كل جهودها الحربية كانت موجهة نحو الشرق في حروبها مع روسيا.

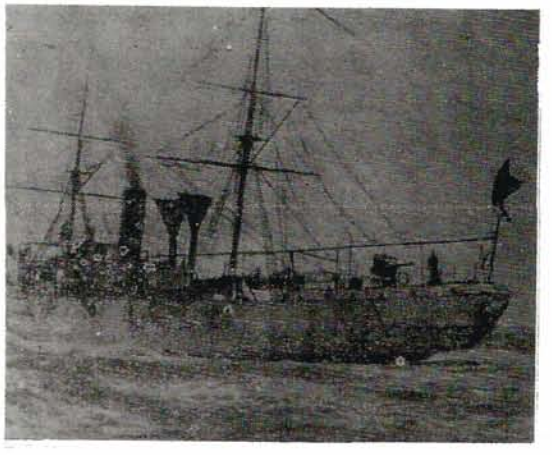

ورغم أن هذه البحرية أصبح لها دور تجاري محض على الخصوص في عهد سيدي محمد بن عبدالله، فقد بقي لها مفعول سياسي خارجي وداخلي، إذ أن مظهر القوة البحرية ساعده على التحكم ـ موقتا ـ في المبادلات التجارية في فترة تصاعدت فيها الأطماع الأوربية، واحتد تهافتها على المواد الأولية والأسواق لصناعتها الناشئة، كما أن مداخيل التجارة البحرية دعمت قوة المخزن وسلطته في الداخل على حساب القوة القبلية.

وبقي هذا التحكم إلى أوائل عهد مولاي سليمان الذي عقد عدة معاهدات تجارية مع أوربا في ظل البحرية الحربية، فعقد مع اسبانيا معاهدة مكناس سنة 1799/1213 ومع انجلترا معاهدة فاس 1801/1216 وجدد المعاهدة التجارية مع السويد والدانمارك تقريباً بنفس الشروط التي كانت في صالح المغرب، وكذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن مظهر القوة البحرية بدأ يتضاءل، بسبب تدهور الأسطول البحري الذي أصابه الإهمال وتعذرت النفقة عليه من مدخول الموانئ بعد أن اضمحلت المبادلات التجارية البحرية من جراء الحروب الأوربية من جهة، ومن جراء الأزمة الاقتصادية والسياسية الداخلية في عهد مولاي سليمان، فخرجت التجارة البحرية عن نفوذ المخزن، وعادت القرصنة "الخاصة" مما عرّض السواحل والسفن المغربية لانتقامات أوربية، وعلى سبيل المثال فالمقنبلتان المغربيتان

زايدة والمربوحة، حُجزتا في ميناء مرسيليا سنة 1809 وبقيتا تحت الحجز مدة ثلاث سنوات.

وفي سنة 1817م قرر مولاي سليمان منع عمليات القرصنة والتجارة البحرية، وأرسل إلى الجزائر وتونس آخر السفن الحربية المغربية من بينها : "المنصورة" التي كانت تشتمل على 34 مدفعاً وحمولة 50 رجلا، وكذلك "الصويرة" وكانت تحتوي على 18 مدفعا وحمولة 30 رجلا، كما فرق محاربي البحرية على الجزائر وتونس وليبيا.

وهكذا كان على مولاي عبدالرحمن لإحياء التجارة البحرية أن يبتدئ بتأسيس أسطول بحري، فاشترى سفينة حربية من ستة مدافع من سردينيا، واهتم بأوراش صناعة السفن في الرباط وسلا، وخرجت أول السفن المغربية للتعرض للسفن الأوربية التي لم تكن لها معاهدات تجارية مع المغرب كنابولي Naples وروسيا، والنامسا، ومدن الهانسل، ولكن هذه المحاولة ووُجهت بعنف من طرف الدول الأوربية : فانجلترا أرسلت فرقة بحرية بقيادة دافيد هوب David Hope لمحاصرة طنجة سنة 1828، والنمسا قنبلت العرائش وأصيلا وتطوان سنة 1829، مما جعل المخزن يتخلى عن مشروع إحياء البحرية إلى عهد مولاي الحسن حيث بدأ من جديد الاهتمام بالأسطول البحري، في إطار سياسة "الإصلاحات" العسكرية التي كان من أهم مظاهرها اقتناء الأسلحة والتجهيزات وآلالات من البلدان الأوربية.

وفي هذا الإطار وقع اتفاق الدارالبيضاء سنة 1876 بين المخزن والوزير المفوض الإيطالي في طنجة شكوفسو Scovasso، على اشتراء سفينتين مقنبلتين من أوراش ليفورنة، وقد أدى المخزن مسبقاً ثمن المقنبلة "البشير" ومقداره 1.500.000 فرنك فرنسي لشركة الاخوان أورلاندو Les frères Orlando بليفورن، وكان مولاي الحسن ينوي استعمالها كباخرة تعليمية.

ولكن "البشير" لم تصل إلى المغرب إلا سنة 1897 بعد وفاة مولاي الحسن، وكانت السفينة من الطبقة الثالثة، وحمولتها 1.100 طن ومجهزة بأربعة مدافع حسب المصادر الفرنسية و12 مدفعاً حسب مصادر مغربية، ويعمل فوقها عدد من البحارين المغاربة من بينهم طلبة تعلموا في إيطاليا.

لم تستعمل البشير إلا نادراً، وبدأ التفكير في بيعها قبل البدء في استعمالها، إذ أصاب مشروع تكوين أسطول بحري مغربي ما أصاب الميادين الأخرى من تلاش وإهمال بسبب تدهور الحالة السياسية والاقتصادية العامة للبلاد، زيادة على التكاليف الباهظة لهذا الأسطول لتوقفه على فنيين ومدربين أجانب، بحيث كان كل عطب فني بسيط يصيب سفينة يتطلب إرسالها إلى قادس أو جبل طارق أو انجلترا للإصلاح. فجرت مفاوضات لبيعها لإسبانيا، ثم فنزويلا، وبيعت في الأخير للحكومة الكولمبية سنة 1900 م بـ 100.000 بسيطة.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ع. التازي، *الأسطول المغربي، البحث العلمي*، نونبر 1982 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في ق 19*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1984.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. II.

ثريا برادة

البشير (سيدي ـ)، رأس واقع بالجهة اليسرى من مصب وادي ملوية بأرض قبيلة كبدانة، ويعرف كذلك برأس كبدانة، وتوجد على بعد ميلين ونصف منه جزر كبدانة المحتلة من طرف الإسبان.

وهذا الرأس هو الذي أطلق عليه كل من استرابون Estrabon وبطوليمي Ptoléme اسم Promontorium Metagonium، وأما تسميته الحالية برأس الماء فلا أساس لها لأنها مجرد ترجمة عربية للاسم الذي أطلقه الإسبانيون عليه Cabo de Agua (رأس الماء) على إثر احتلالهم لجزر كبدانة سنة 1848/1264 وذلك لأنهم كانوا يجلبون منه الماء الشروب إلى الجزر المذكورة، وهذا ما جعل الحكومة الإسبانية تقوم باحتلال الرأس المذكور يوم 7 صفر 11/1326 مارس 1908 حيث أنزل به الكولونيل لاريبا Larrea قواته

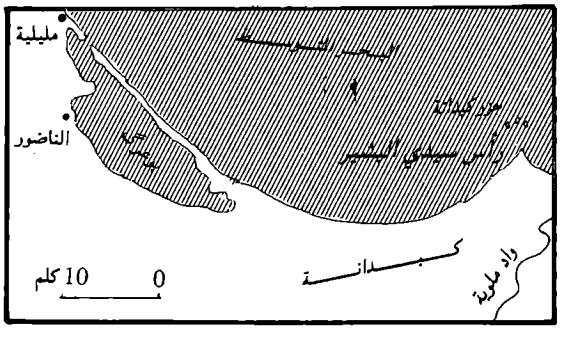

رأس سيدي البشير

بالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي قدمتها الحكومة المغربية آنذاك، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى انطلقت الجيوش الإسبانية من رأس سيدي البشير وانتشرت في أرض قبيلة كبدانة.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، ص 173 و202.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*, Madrid 1913 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 47, 62 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*. p. 61, 185 ; C. Martinez Campos, *España belica : El siglo XX. Marruecos*. p. 23, 62, 98, 124.

محمد ابن عزوز حكيم

البشير، أحمد بن علي، من الأندلسين المستقرين بقصبة سلا. يرد اسمه محرفا في الوثائق الأوربية بشكل Baxer أو Bexer أو Bexel، وأول ذكر له كان في فبراير 1628 حيث وجه رسالة إلى هولندا، باسم سكان القصبة، بين فيها حسن استعدادهم للتعامل مع الهولنديين. واعتبر منذ ذلك التاريخ قائداً للقصبة خلفاً لمحمد بن عبدالقادر صيروف، إلى سنة 1630، فكان صيروف هو القائد، إلى 5 فبراير 1631 حيث عاد البشير إلى قيادتها. بعد هذا التاريخ

نجد اسم البشير في مراسلات مع هولندا وفرنسا وبريطانيا، تدور كلها حول مشاكل القرصنة وتحرير الأسرى. كما كان من الموقعين على اتفاقية الصلح بين فرنسا وسلا في 3 شتنبر 1630. حيث أمضاها من الجانب المغربي أحمد بن علي البشير وعبدالله بن علي القصري، "قائدا وحاكما قصبة ومدينة سلا (الرباط) والمدن التابعة لهما، باسم السلطان عبدالملك (...) وباسم سكان سلا وقصبتها. وبموافقة وعلم أهل الديوان" (S. I., Fr, t. 3 : 292).

S. I. H. M., Sèrie Saadienne, Angleterre, t. III, *Pays-Bas*, t. IV, France, t. III.

البشير (القائد ـ)، بن الحسن الأصبوبي أو الصبوبي ينتمي لأسرة استوطنت رقعة ترابية ممتدة بواد نول في الجنوب الغربي للمغرب. كانت هذه الأسرة من جملة الأسر الدليمية التي استبدلت بالعيش في الصحراء الاستيطان في مجال جغرافي ممتد بمحاذاة الساحل الأطلنتي شمال مصب درعة. منذ القرن السادس عشر، فغدا هذا المجال الجغرافي يحمل اسم أصبويا وتحذف الهمزة أحياناً فيكتب صبويا.

كانت أسرة القائد البشير ذات وجاهة بهذه القبيلة، لا سيما على عهد السلطان الحسن الأول الذي أصدر ظهيراً يولي بموجبه الشيخ الحسن بن عليات الصبوبي قائداً على قبيلته تزكية منه لرغبة أعيانها.

ورث القائد البشير منصب أبيه الحسن بن عليات عقب وفاته بموجب ظهير صادر عن أنفلوس الحاحي الذي كان خليفة للسلطان بسوس. شارك في حركة أحمد الهيبة بن ماء العينين منذ بداية تشكيلها بأسرير. وامتدت مدة حكمه من 1321 إلى 1333 هـ.

ظهير تولية القائد الحسن بن عليات الصبوبي ؛ *رسالة* موجهة من طرف القائد أحمد بن مبارك الزلطني إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 11 رجب 1303 هـ ؛ م. الأكراري، *روضة الأفنان*، ص. 73، ت. حمدي أنوش. د. د. ع. الرباط، رقم 120.

علي المحمدي

البشير، (ابن ـ) أسرة فاسية شريفة النسب، أصلها من بركان بالمغرب الشرقي، تنتسب إلى جدها الولي الصالح البشير دفين بركان الذي يتصل نسبه بعبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر (انظر الشجرة). وقد خرج من بركان في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) أولاده الثلاثة أحمد الكبير دفين فاس، وأحمد الصغير دفين الجزائر، ومحمد الصغير دفين طنجة، ثم انتقل ولدا هذا الأخير أحمد الكبير

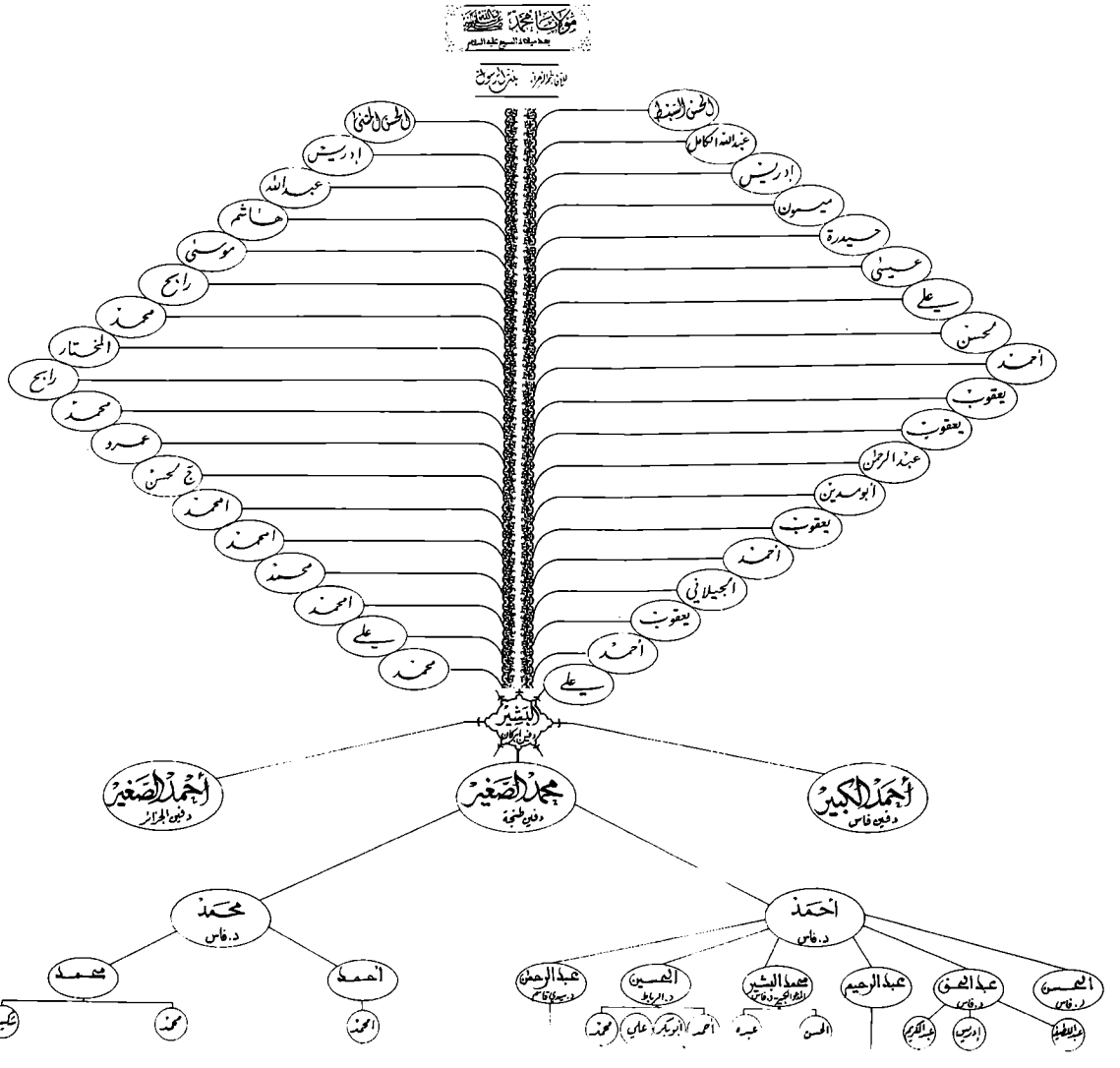

والأستاذ محمد آتي الترجمة إلى فاس واستقرا به، ومنهما تفرعت هذه الأسرة الفاسية. وهم على العموم أهل مروءة ونزاهة ونسك. منهم :

البشير (ابن ـ) **الحسين** بن أحمد الحسني. من العلماء المتخرجين من جامع القرويين. درّس به مدة قبل أن يلتحق بسلك القضاء محافظاً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم رئيساً لمحكمة الاستيناف الشرعي بفاس. وبعد ذلك رجع إلى التدريس فالتحق بكلية الآداب بالرباط حيث كان يحاضر في قواعد اللغة العربية وآدبها بكتاب *المغني* لابن هشام، *والكامل* للمبرد، *والخصائص* لابن جني، وغيرها من أمهات المصادر.

توفي بنوبة قلبية بعد قريب من إلقاء أحد الدروس بالكلية صبيحة يوم الأحد سادس وعشري شوال عام 1384 / 28 فبراير 1965 وأقيم له حفل تأبين الأربعين ألقيت فيه كلمات وقصائد في رثائه، منها قصيدة للشاعر محمد بن العباس القباج مطلعها :

عصف الزمان بسيبويه زمانه ومضى إلى الديان قبل أوانه

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1384 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 295 ـ 297.

البشر (ابن ـ) **حمّ**، ويدعى كذلك محمد بن البشير. أحد قواد السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور. بعثه سنة 1609 سفيراً إلى هولندا، فوصل إلى روتردام يوم 3 أكتوبر من السنة ليعرض عليها مشروع حلف بينها وبين المغرب، كما كان مكلفاً بالتفاوض معها في مسائل تهم التجارة.

وقد تم استقبال السفير من قبل المسؤولين الهولنديين يوم 5 أكتوبر، وقدم لهم هدية السلطان، وعرض المغرب عقد تحالف بين الطرفين ضد الإسبان، يقدم في إطاره السلطان المال وتقدم هولندا الجنود والسلاح. وأخذت هولندا مهلة للتفكير. وفي توديع السفارة سلم الهولنديين لابن البشير هدايا لسلطان المغرب. وعادت السفارة إلى المغرب في 26 مارس 1620.

S.I.H.M., Série Saadienne, Pays - Bas, T. I, II, III, V.

عبداللطيف الشاذلي

البشير (ابن ـ) **سلامة** بن حماد، مقاوم ولد سنة 1927 بطرفاية. ولما اندلعت انتفاضة جيش التحرير بالجنوب انخرط في صفوفه وناضل ضمن المقاطعة الثامنة بقيادة السيد الدويهي حسن، وشارك في عدة معارك منها معركة الدشيرة وتافودارت، ووادي الصفاء ومعركة الرغيوة التي استشهد فيها مع عدد من المجاهدين سنة 1957.

البشير (ابن ـ)، **سليم** بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بالساقية الحمراء وكان من أوائل المنخرطين في جيش التحرير المغربي بالجنوب. عمل في المقاطعة التاسعة تحت مسؤولية صالح الجزائري. وشارك في معارك عدة ضد الجيش الاستعماري الإسباني إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 13 يناير 1958.

كتاب شهداء الاستقلال، ج. 2.

عزالدين العلام

البشير (ابن ـ) **عبد الحق** بن أحمد الحسني. "المخلص الكبير، المدافع الخطير، بماله وسنانه، مع أخلاق سامية، وأحوال مرضية. دخل إلى السجن مراراً دفاعاً عن دينه وشعبه، مع نباهة ونزاهة".

توفي بالرباط ليلة الأبعاء تاسع جمادى الأولى عام 1379 / 10 نونبر 1959 ونقل إلى فاس ودفن بروضتهم داخل باب فتوح قبالة ضريح سيدي بوغالب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1379.

البشير، عبدالله بن محسن بن يكنيمان الونشريسي، المعروف في كتب التاريخ بالبشير وبأبي محمد الونشريسي. من المعلوم أن محمد ابن تومرت وهو عائد إلى المغرب الأقصى نزل من المركب بأفريقية، وفضل أن يعود عن طريق البر وأن يتوقف في جملة من المدن والقرى ليقوم بمهمة الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن جملة الأماكن التي توقف بها ونشريس، وهو جبل كبير في جنوبي غربي الجزائر العاصمة، به غابات كثيفة وتسكنه عدة قبائل من مكناسة وأوربة وكتامة ومطماطة وزواوة وغيرهم. وهنالك تعرف ابن تومرت على جملة من الرجال صاروا من أتباعه المخلصين فيما بعد. منهم فضلا عن البشير، عبدالمومن بن علي وعبدالواحد الشرقي. وتفسير ذلك أنه كان يفكر في إنجاز مشروعه السياسي الكبير على المدى البعيد. فكان يختار كل الرجال الذين يأنس منهم الذكاء والمقدرة. كما أنه كان يريد أن يعطي لدعوته كل ما يمكن من الصدى والانتشار، فكان لا بد من أن يدخل فيها رجالا بعيدين عن بلده سوس حتى لا تنحصر في حيز ضيق، بل تعم كل بلاد المغرب. ومن دون شك أنه استصحب معه أفراداً آخرين لم تذكر المصادر أسماءهم، ولكننا نلمس وجودهم من بعض الإشارات. وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عما ذكر من الأسباب، وهو أن المهدي كان متخوفاً من الخلاف بين قومه المصامدة واستحالة اتفاقهم على تولية رجل منهم بعد مماته، فارتأى أن يقرب إليه أفراداً أغراباً عنهم حتى يستطيع أن يختار من بينهم الخليفة الذي يستطيع أن يقوم بينهم بدور الحكم دون أن يكون وراءه حزب ولا عصبية.

والظاهر أن البشير حظي بعطف وتقدير كبيرين من لدن المهدي حتى لتوحي بعض القرائن والروايات الواردة في المصادر أنه لربما كان هو الشخص المرشح لخلافة المهدي فنرى هذا الأخير يلحقه بقبيلته هرغة، مع أفراد "على سبيل المحبة والإكرام" كما يقول البيذق، لأنهم لا ينتمون إلى القبائل الست التي قامت عليها الدعوة الموحدية.

كما أنه حظي بثقة كبيرة من لدن المهدي الذي كلفه بمهام سرية خطيرة، بالنسبة للدعوة الموحدية ومصير المشروع بكامله. وكان من أول الذين بايعوا ابن تومرت عند تحليه بلقب المهدي. وجرى ذلك بتينمل تحت شجرة الخروب، كما يذكر البيذق الذي وضعه في المرتبة الرابعة من المبايعين الأولين. وذكره ابن القطان على رأس العشرة من أصحاب المهدي في الرواية الأولى، والثاني بعد عبد المومن في رواية ثانية. وكذلك ورد عند صاحب *القرطاس*.

ومن أهم الأدوار التي قام بها ما دعي في المصادر بالتمييز، وهو استعراض الناس وتمييز الصالحين منهم من غير الصالحين. وقد يكون مصير هؤلاء الأخيرين هو القتل. وهكذا خرج المهدي، يوما إلى الناس في سنة 519 هـ وقدم لهم البشير وذكر لهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه صاحب كرامات. منها أن الله جعله مطلعاً على أسرار الناس، قادراً على التنبؤ بالمستقبل حافظاً للقرآن، عارفاً بركوب الخيل. ثم وضعه أمامهم بقصد الامتحان طوال أربعة أيام حتى يتحققوا مما ذكره لهم. وكان الامتحان مؤكداً لأقوال المهدي في شأن البشير.

وعند ذلك، التفت المهدي للحضور واستشهد بالآية : "*ليميز الله الخبيث من الطيب*" وأفهمهم أن من بين الناس الذين انضموا إلى دعوته منافقون ومخادعون، وأن البشير بما وهبه الله من قدرة على معرفة دخائل النفوس، يستطيع الكشف عنهم وفضحهم. "ولابد من النظر في أمورهم حتي يتم المراد من العدل في أحكام هذه البلاد".

ووافقه الحاضرون على فكرته، فأمر بالنداء على الناس في جبل المصامدة "من كان مطيعا لله تعالى ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللإمام المهدي رضي الله عنه، فليقبل !".

وتوالت القبائل ملبية للنداء فيعرضون على البشير فيُخرج قوما عن يمينه وآخرين عن يساره. فيقول عن الأولين إنهم من أهل الجنة، وعن الآخيرين بأنهم شاكون في الدعوة وفي المهدي. وعند ذلك يَجري الانتقام من هؤلاء عن طريق التصفية الجسدية. وربما تصدى إلى ذلك أقرباؤهم لشدة إيمانهم بالمهدي وولائهم له.

وهو الذي اختارته قبيلة هنتاتة ليسير على رأسهم، وكانوا ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يتزعمهم إسحاق بن عمر الهنتاتي، لزيارة المهدي والتعرف على دعوته والتحقق من أمره وذلك في سنة 518. فعاد إليهم إسحاق مؤمناً بدعوة المهدي، وقال لهم :"النور، النور في بلاد هرغة، وأنتم في الظلمة يا هنتة" (ابن القطان، 88).

كان الكل مقتنعا بكفاءة البشير وامتيازه من المهدي إلى أصحابه وأتباعه. ولذلك، فإن المهدي أسند إليه قيادة أول جيش للموحدين سنة 520، وذلك حينما جمع قبائل المصامدة وخطب فيهم ليدعوهم إلى جهاد المرابطين. وانتخب منهم عشرة آلاف من الرجال وقدمه عليهم، فأغار البشير بجيشه على كيك، ووصل إلى أغمات وحوز مراكش ثم عاد إلى الجبل.

وذكرت له تحركات عسكرية أخرى تجاه تغزوت وحصن تفركگونت حيث رجع هو وأصحابه بغنائم.

وفي سنة 523، قام بتمييز آخر بقصد الخروج إلى معركة البحيرة، مما يدل على أن عمليات التمييز كان الهدف منها هو تنحية المترددين والمتشككين وإيجاد جيش منتخب من عناصر تتميز بإخلاصها للمهدي وإيمانها بدعوته وامتثالها لأوامره وانضباطها في نظامه.

وهو الذي أمّره المهدي على الجيش الذي ذهب لمعركة البحيرة سنة 524، وهي أكبر معركة جرت بين المرابطين والموحدين في حياة المهدي وانتهت بهزيمة الموحدين. وفي هاته الواقعة فُقد البشير، ولم يعثر له على أثر لا حيا ولا ميتا، وأشاع الغلاة في شأنه أسطورة بأنه رفع. ونسب إليه لبيذق أنه تنبأ بموته أمام أصحابه أثناء المعركة وهو يعظهم ويحذرهم، ونسب إليه ابن القطان تنبؤات عن انتصار الموحدين في إحدى المعارك. وهذا الجانب الأسطوري قدم عنه ابن الأثير تفاصيل كثيرة في *تاريخه* وكذلك النويري في *نهاية الأرب*.

هكذا يتضح من أخبار أبي محمد البشير أنه قام بأدوار خطيرة في المراحل الأولى من الدعوة الموحدية وساهم مساهمة فعالة في النشاط السياسي والعسكري الذي اشرته الجماعة الأولى من الموحدين.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ *الأنساب* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن الأثير، *الكامل* ؛ ابن خلكان، *وفيات* ؛ النويري، *نهاية الأرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*.

محمد زنيبر

البشير (ابن ـ) **محمد البشير** المدعو **الكبير** بن أحمد الحسني. ولد بفاس عام 1325 / 1907، ودرس بمسقط رأسه في القرويين وغيرها وجلى في علم سر الحرف واستكشاف المستقبل. اشتغل بالتجارة مع والده، وكان متشبعاً بروح الوطنية شجاعاً مقداماً. خدم قضية بلاده بشخصه وماله وفكره، فسجن وعذب مراراً حتى خارت قواه الجسدية وتغيرت سحنته لكن لم تلن قناته أو ينكص على عقبه. وعاش بعد الاستقلال في عَفاف وكفاف مترفعاً عن المغانم والمناصب التي تهافت عليها من لم يسهموا في مقاومة الاستعمار بل حتى الذين تعاونوا معه وخدموه.

توفي بسيدي قاسم عام 1389 / 1969، ونقل إلى فاس حيث دفن بروضتهم داخل باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1389 ؛ *معلومات شفوية* من ابن أخيه الأستاذ عبد اللطيف بن البشير.

البشير (ابن ــ) **محمد** بن **محمد** الحسني، "الفقيه العلامة الأستاذ المجود المقرئ". كان يحفظ *القرآن* الكريم بالروايات المختلفة، ويضبط قواعد التجويد ويطبقها في التلاوة بإتقان تام، بالإضافة إلى اشتغاله بالتجارة. وقد بنى كتاباً قرآنياً بحي مصمودة بفاس أسند التعليم للأستاذ ابن عطية، ونسخ بيده مصحفاً سلّمه لهذا الأستاذ. وتولى الأمانة بمرسى الصويرة مدة طويلة في أوائل عهد الحماية.

توفي بفاس يوم الثلاثاء مهل صفر عام 1353 / 15 ماي 1935. ودفن بروضتهم داخل باب الفتوح أمام ضريح سيدي بوغالب من حومة الصريوة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1353.

محمد حجي

البشير بن **محمد**، مقاوم ولد سنة 1918 بأيت النص أيت باعمران من عائلة متواضعة، والتحق بصفوف جيش لتحرير في أوائل سنة 1957 وناضل تحت مسؤولية القائد كريم محمد بن عبدالله بالمقاطعة 13، وظل يجاهد إلى أن استشهد في معركة تيلكوكت أواخر سنة 1957.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

البْصَارة، اسم قبيلة تسكن سهلا شبه منغلق، يوجد في المغرب الشمالي الشرقي، بين سلسلة بني إزناسن ومجموعة خطية من التلال والمرتفعات متواصلة بين مدينتي العيون ووجدة. ويطلق هذا الاسم بالتالي على السهل نفسه،رغم أن مجموعات قبلية أخرى غير البصارة، تسكنه، وخاصة عند الحواشي الشمالية الجبلية، كمثل مجموعة بني موسي حول مركز سيدي بوهورية.

مساحة سهل البصارة 300 كلم2، تحيط به المرتفعات من كل الجهات، عدا في الزاوية الجنوبية الغربية، حيث يخرج مجرى صغير، هو واد ملغلاز من المنخفض، متعمقا في تلال شبكة المحارات، ليصب في مياه بورديم في سهل لعيون. والمرتفعات المشرفة على الحوض هي : شمالا سلسلتا بني بومحيو وبني إزناسن، شرقا مرتفعا مگراز ومغيريس، جنوبا تلال نعيمة، وغربا تلال شبكة المحارات.

وهو حوض تهدلي منذ النيوجين، أي منذ تكوين التضاريس الأساسية للمجال الأطلسي الذي يكون المغرب الشرقي أحد أجزائه. فالتواء جبال بني إزناسن، وارتفاع كتل بني محيو أو مگرز كان الاشارة لانطلاق تهدل أصاب مجال أوسط، أصبح يتلقى فتاتات تهديم هذه المرتفعات.

المرتفعات المشرفة مكونة من قاعدة أولية شستية، تظهر شمال البصارة عند سافلة جبل تانزرت، ويُغلفها غطاء رسوبي ينتمي للترياس والجورسي. الترياس عبارة عن طبقة سميكة أهم مكوناتها طفوح بزلتية متفسخة ترافقها مواد طينية، بينما الجورسي عبارة عن توالي طبقات من الكلس والدولومي من جهة، والصلصال أو الحث من جهة أخرى. بعض الطبقات، بفعل صلابتها وسمكها تمثل أجرافا ضخمة وتغطي سفوحا طويلة تشرف على المنخفض السهلي.

المنخفض، جزء من مجموعة السهول التي تمثل الممر الواسع الفاصل بين بني إزناسن وجبال وجدة، والذي يمتد من گرسيف غرباً إلى تلمسان وسيدي بلعباس في الجزائر. رغم ذلك، لم يعرف سهل البصارة نفس التطور الجيولوجي الذي عرفته المنخفضات الأخرى المجاورة.

ذلك أن وضعه كمنخفض شبه مغلق، منع دخول البحر الميوسيني اللاحق لمرحلة البنائية المسؤولة عن تشكيل المرتفعات الجبلية. ذلك البحر الذي مثل حلقة وصل بين مختلف المجالات المتهدلة جنوب السلسلة الريفية ـ التلية، مكن من ترسيب مواد متشابهة في السحنة من سهل الغرب غربا، حتى سهل تلمسان شرقا. بينما ينفرد حوض البصارة بعدم دخول هذا البحر إليه. فهو بالتالي منخفض في موقع جنوب ريفي، لكنه تلقى رواسب قارية خاصة.

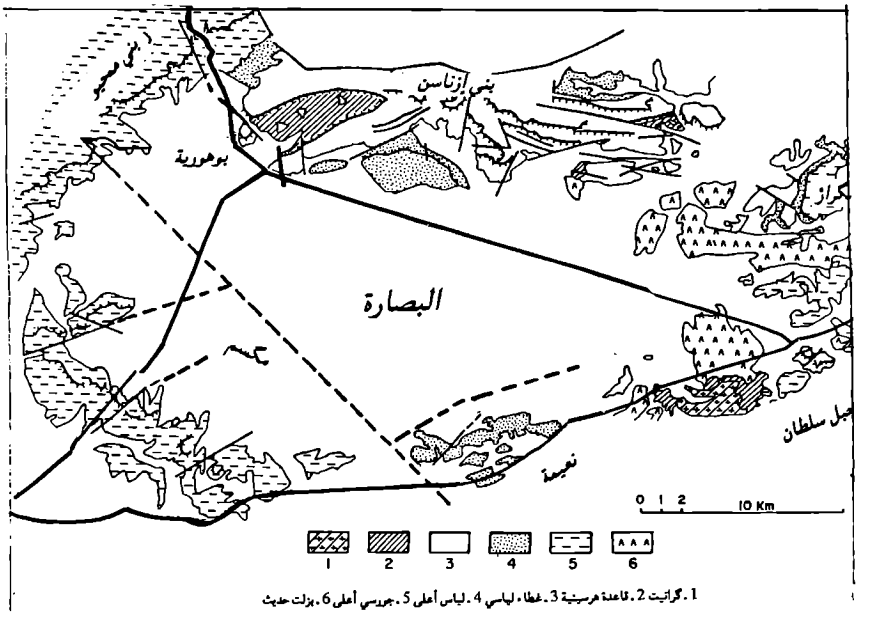

1. گرانيت 2. قاعدة هرسينية 3. غطاء لياسي 4. لياس أعلى 5. جورسي أعلى 6. بزلت حديث

هذه الرواسب عبارة عن مواد تحطيم السلاسل والمرتفعات المشرفة، يتم توضعها مفروزة ارتباطا بحركية السيل أساساً ومياه الفرشة المائية ثانيا، والموارد الشمالية هي الغالبة بسبب ارتفاع سلسلة بني إزناسن ـ بني بومحيو، تبدأ عند قدم الجبل بفتاتات خشنة هي عبارة عن حصى ثم رمال، عندما يتضاءل الانحدار تتموضع المواد الطينية التي تزيد دقة بعد ذلك. وتصل المياه السائلة إلى ضايات أو مستنعقات حيث تتركز المحلولات معطية طبقات من الكلس المنقعي. كما أن عمليات التصخر الناتجة عن حركة بطيئة للفرشة المائية تؤدي إلى تركز بعض الأملاح في المستويات المعرضة للتبخر، الكلس أولا على شكل قشرات، والجبس ثانيا في مناطق الانحباس الكلي.

وهكذا نجد الرواسب القاعدية، الموافقة تاريخيا للميوسين البحري خارج البصارة، تتكون أساساً من صلصال مبرقع (أحمر وأخضر) تحت تأثير الميهة التي أصابت مواداً أصلياً حمراء، وجبسا. وهذه الرواسب تصل إلى 100.80 م سمكا. والتراكم الرباعي اللاحق أكثر تنوعا، به دقة، ورصيص وكلس بحيري، كما تصله مقذوفات وطفوح بركانية قادمة من الهامش الشرقي للسهل. وتتضح التغايرات الجانبية للتوضعات من فحص الاستبارات التي قامت بها شركة الإسمنت للمغرب الشرقي، قبل فتحها لمقلع ضخم قصد تزويد معمل الإسمنت بمواد طينية. يتضح أن الرباعي امتاز باستمرار الخشونة عند قدم الجبل وكذلك على طول واد ملغلاز، المحور الجرياني الوحيد الذي يصرف المنخفض. وسط السهل، وتحت 5 م من القشرة الكلسية، يصبح الإرساب متجانساً مكوناً أساساً من مواد طينية (60 م) تتحول نحو الأعماق إلى صلصال أبيض (30 م) ثم إلى طين جبسي وأخيراً طين أخضر. أما عندما نتجه للجهة الجنوبية من الحوض، مباشرة شمال مرتفعات نعيمة فإننا نلاقي وسط الطين طبقات متعددة من الكلس تدل على غلبة الإرساب الكيماوي في الجهات الأبعد من الموارد الفتاتية القادمة من بني إزناسن.

وهكذا يصل السمك العام للرواسب التي تغلف القاعدة الجوراسية للحوض إلى حوالي 250 م في وسط السهل، مع تضاؤل نحو الجوانب، الشيء الذي يدل على النزعة التهدلية، منذ الميوسين الأعلى. لكن طبغرافية القاعدة الصخرية السابقة للإرساب تمتاز بالتعقد الكبير، دلالة على بنائية متغايرة تبعاً لمواقع مختلفة داخل المنخفض. وهكذا أظهرت الدراسة الجيوفزيائية والاستبارات المتعددة وجود عدة انكسارات لها اتجاه عام شرق ـ غرب، وتجاعيد تتوسط السهل ويقل فيها سمك الرواسب النيوجينية والرباعية.

داخل هذه التكونات تسري فرشة مائية، قاعدتها الطين الميوسيني غير المنفذ. وهي فرشة اتساعها اتساع السهل، انحناؤها بطيء يقدر بمعدل 1 للألف. وعمقها بين 14 و42 م، مع تغاير واضح حسب فترات الاختزان والشح، وسمكها بين 10 و15 م. وهكذا يقدر حجمها العام بما يساوي 150 إلى 225 مليار من الامتار المكعبة (مساحة 300 كلم^2 ـ سمك 10 إلى 15 م ـ نسبة التخزين حوالي 5٪).

تتسم ميزانية الفرشة بنوع من الاستقرار بسبب ضعف نسبة المياه التي تسيل خارج المنخفض والتي لا تتعدى نصف الكمية الإجمالية. فهي إذن فرشة محجوزة نسبياً، نصف مخزونها يضخ باستعمال آليات ضخ عصرية، تضاعفت أعدادها منذ سنة 1950. إلا أن تكاثر الآبار، والطاقة المفرطة للمحركات التي تجهز هذه الآبار، أدت إلى اقتلاع كميات مائية صارت تفوق إمكانيات تجدد المخزون المائي.

A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental*, Publ. Rectorat Univ. d'Oujda, Nº 1, 1990 ; *Approche du phénomène de l'encroutement calcaire (Cimenterie de l'Oriental) R. G. M.*, Nº 7, 1938 ; M. Simonot et Q. T. Nguym, *Le couloir de Taourirt Oujda*, in *Ressources en eau du Maroc*, t. 1, Notes et Mém. Serv. Géol. Nº 231.

عبدالله العوينة

البصرة، ـ أثر ـ هي إحدى المدن الإدريسية، الواقعة بين فاس وطنجة، وما زالت آثارها ماثلة للعيان على جانبي الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة وزان، على بعد حوالي 22 كلم من مدينة سوق أربعاء الغرب، و40 كلم من شاطئ المحيط الأطلنتي.

كانت رقعة البصرة تمتد على مساحة 30 هكتارا، يحيط بها سور سميك يمتد على 2.5 كلم، ويشكل شبه مستطيل ضلعه الأول 625 متر والثاني 500 متر تقريبا (انظر التصميم العام). واليوم يحتل مدشر كبير تسكنه عائلات من المزارعين القسم الشمالي الأوسط من الموقع القديم، كما تشقه الطريق المعبدة الرئيسية الواصلة ما بين سوق الأربعاء ووزان.

ونظراً لما كان لهذه المدينة، من أهمية فإن ذكرها يوجد في أمهات المصادر التاريخية، لم يُغفلها أي منها، وصفاً وتحديدا. ولعل أهم هذه الأوصاف تلك التي نجدها عند كل من ابن حوقل والبكري، وخلاصتها أنها كانت "مدينة متوسطة، تقع في منتصف الطريق بين طنجة وفاس، تحيط بها أسوار مبنية من أحجار وآجر، تفتحها عشرة أبواب، وبداخلها مسجد جامع له سبعة بلاطات، وحمامان ومقبرتان توجد كبراهما بشرق المدينة والثانية بغربها" (*Corpus*, p. 119).

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أمثال تيسو Tissot (*Recherches*, p. 160) وطبراس (*Hist.* I : 61) أن البصرة أخذت مكان مدينة تريمولاي Trimulae الرومانية التي نجد ذكرها في رحلة أنطونان *Itinéraire d'Antonin*. وفي غياب أية حجة مادية وأثرية تؤكد هذا الزعم، فإن ما هو مؤكد أن تجمعا سكانيا كان موجودا قبل الفترة الإدريسية بنفس الموقع، ثم اختار الأدارسة تطويره وحمله إلى مرتبة مدينة. لكن حتى في هذه الحالة فإننا نفتقر للمعطيات التي تحدد بما يجب من الدقة الفترات الأولى للحاضرة الادريسية، ذلك أن ما توحي به المصادر هو أن الواقف على جعل البصرة

مدينة كان هو إدريس الثاني وأن بعض الباحثين يرى أن التأسيس قد يكون تم في 833/218 (*وصف افريقيا*، ص 310، هامش 102). فقد كانت البصرة في تعداد المدن التي ضربت بها النقود باسم المولى إدريس الثاني في فترة كفالة مولاه راشد وفي فترة ملكه بعد رشده. وبعد وفاة هذا الامام سنة 828/213 آلت البصرة إلى ابنه القاسم، قبل أن تنزع منه سنة 216 هـ لتقع تحت حكم أخيه عمر، ثم تعود إليه في عهد ابن أخيه يحيى بن محمد إلى أن توفي سنة 254 هـ. ما بين هذا التاريخ و347 هـ، تاريخ دخول جوهر الصقلي واستيلائه على المدينة. كانت هذه الأخيرة محط نزاع بين الأسر الإدريسية المتعاقبة على حكم الشمال الغربي. ثم في سنة 362 هـ دخلت البصرة تحت حكم أمويي الأندلس لما دخلها قائدهم الغالب. وفي سنة 368 هـ عاد إليها الحكم الفاطمي بقيادة أبي الفتوح يوسف ابن زيري المكنى بِبُولُكِّين الذي هدم جانبا من أسوارالبصرة وأزال عنها بصفة نهائية دور العاصمة الإقليمية الذي كان لها فيما قبل، لتستمر كمدينة تجارية نشيطة إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11 م) حيث يؤكد المقدسي بعد ذلك خرابها (*أحسن التقاسيم*، ص 26).

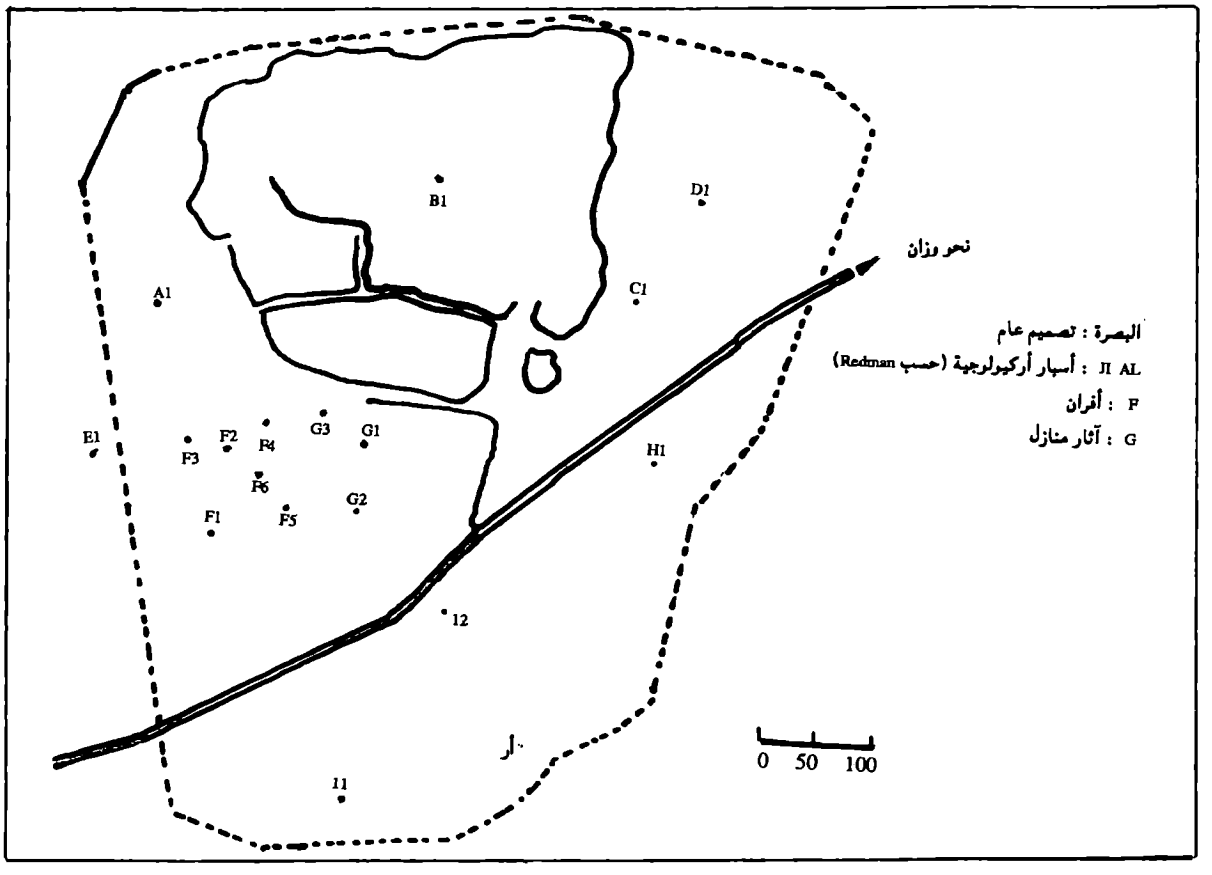

وعلى الرغم من أهمية البصرة بالنسبة لفترة هامة من تاريخ المغرب، وخاصة منه ما يعود لتاريخ التمدن وتاريخ الفنون، فإنها لم تنل بعد ما تستحقه من اهتمام وفضول علماء الآثار. فأهم ما أقيم بموقعها أسبار محدودة وتحريات هامشية، قامت بها بعثة أمريكية في بداية الثمانينات، تلتها أخرى قامت بها بعثة مغربية ـ أمريكية في السنة الماضية 1990 استهدفت بالخصوص معاودة التحري ومتابعة ما قامت به الأولى. وقبل تقديم نتائج هذه التحريات، فهذا وصفٌ بما يزال من آثار هذه الحاضرة.

لم يبق واقفا من السور الخارجي الذي كان يمتد كما سبق الذكر على طول 2.5 كلم سوى قسمه الشمالي ـ الغربي، وهو بناء سميك من أحجار متوسطة الحجم، يشتمل على برج نصف دائري مهدم، هو واحد من مجموع ثمانية أبراج كانت ملصقة به (قطر كل برج 4 أمتار) وبجوار السور، توجد بقايا خزان ماء مدفون، ما زالت بجدرانه آثار الأقواس التي كانت تحمل السقف. هذا وتنتشر بقايا بنايات مختلفة الأحجام والمساحات على مسافة كبيرة تغطي معظمها النباتات البرية والمحروثة. وفي أيام الصيف، بعد الحصاد، تظهرمساحات هامة تكسوها قطع صغيرة من الفخار ومواد البناء كالآجر والجير وغيرهما.

أما الحفريات الأثرية السالفة الذكر فهمت أماكن متفرقة من الموقع مع تركيز على الجهة الغربية الوسطى (انظر التصميم العام). ومن أهم ما كشفت عنه مجموعة من بقايا منازل (G3, G2, G1) هي عبارة عن جدران متراكبة (G2, G1) وأرضية لغرفتين (G3). ووضوح التراكب في الموقعين الأولين مكّن من تمييز ثلاث مستويات ستراتيغرافية يمثل كل منها مرحلة خاصة، وهو ما يتفق

والتاريخ العام للموقع : مرحلة التشييد الأولى (القرن الثالث (9 م))، ثم مرحلة "الاحتلال" الخارجي (القرن الرابع (10 م))، فمرحلة إعادة التعمير الذي يرجح أن يكون قد امتد إلى ما بعد القرن السادس (12 م) كما تبين ذلك بعض نماذج القطع الخزفية. هذه الملاحظة تناقض طبعا ما نجده عند المقدسي، وهي في نفس الوقت دعوة لتكثيف البحث وتوسيع رقعة التحري بغية الكشف عن خبايا الموقع والتأكد من المعطيات. هذا ومما يميز الفترة الثانية آثار حرائق تبين عنف الاحتلال القاطمي وعنف الرد الأموي ـ الأندلسي.

كذلك أبانت الحفريات عن مجموعة من الأفرن (F1 إلى F6) كانت تستعمل في غالبيتها لصنع الأواني الفخارية أو لإنتاج مادة الجير والجبس. وكشافة هذه الأفرن توضع أهمية النشاط الصناعي (المتمثل هنا بالفخار خصوصا) الذي كان لمدينة البصرة، والذي لا يفسر إلا بحركة تصدير هامة في اتجاه مناطق أخرى من البلاد. على أن حصيلة هذه الأسبار الأركيولوجية لا تمكّن في مستواها الحالي من تمييز نوع خاص من الخزف يمكن إلصاقه بهذا الموقع، لكون أغلب اللقى هي قطع فخار يدوي الصنع وغير مطلي (1٪ فقط هي نسبة القطع المطلية)، لا يختلف كثيراً عما نعرفه في غير البصرة من مواقع.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

E.I, Nlle, Ed. p. 1220 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, I : 61, 122, 160, 187 ; *L'Art Hispano-Mauresque*, p. 214 et p. 1. XLI; *Guide Bleu*, 1954, p. 278 ; D. Eustache *El - Basra : Capitale Idrisside et son port, Hesp.*, 1955 ; *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*, Rabat, 1971, p. 20, n° 67, p. 28 et 118, 123 ; L. Ch. Redman, *Survey and test excavation of six medieval islamic sites on northen Morocco, B.A.M.*, 15, 1984, p. 311, 349.

عبدالعزيز توري

البصرة ـ تاريخ ـ مدينة مغربية أثرية، أسسها المولى إدريس الثاني، أو ابنه محمد ثالث الملوك الأدارسة، ويرجّح نسبتها لإدريس الثاني أن محمداً ابنه لما ولي أمر المغرب وزع ـ بإثر ذلك، و بإشارة من جدته السيدة كنزة ـ أقاليم المملكة بين إخوته، فجاءت البصرة في حظ أخيه يحيى ومعها أصيلا والعرائش... وهي ما كانت لتكون في القمة إلا لأنها كانت يومئذ قائمة الذات.

والبصرة سميت كذلك تذكيرا ببصرة العراق، وهي تنعت بالحمراء من كونها على تربة تضرب إلى الاحمرار، وتعرف أيضا، بمدينة الكتان، لأن أهلها كانوا يقايضون به في أكثر أعمالهم التجارية، وتُنْبَزُ بمدينة الذبان، لأنه كان يتكاثر بها من كثرة ما يوجد بها من الألبان.

والبصرة كانت مدينة رافهة لأنها وجدت بأرض كثيرة الريع والخصوبة، وكان حوالَيها العديد من الحدائق والمزارع، ووراء ذلك المراعي التي كان أهلها يُسيمُون فيها المروج، كما كانت أرجاؤها مُسْتراداً للقنص والاصطياد لوفرة ما هنالك من الحيوان الدأبِّ والطائر.

وقد نوه غير واحد من المؤرخين والجغرافيين والرحالة بما كان عليه أهلها من بَسْطَة خَلْق وكرم شمائل، كما ذكروا عن نسائها أنهن كن على غاية من اللطف والرقة والجمال.

كانت البصرة مُصطافاً طيبا للأولين من ملوك الأدارسة، ثم اتخذها الآخرون منهم قاعدة لهم، وظلوا يكابدون قوتين كبيرتين هما دولة العبيديين بإفريقيا ودولة الأمويين بالأندلس إلى أن كانت نهايتهم بموت الحسن بن گنون مقتولا سنة 375 هـ وبعدها تراجعت حال البصرة عما كانت عليه من عمارة ويسار لما كان ينتابها من الغزو والنهب حالا على حال، وهي لم تصابر الزمن إلا قليلا قبل أن تصبح أطلالا ما تزال بقايا منها قائمة إلى اليوم.

ي. الحموي، *معجم البلدان*، 2 : 208.207 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1 : 215 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 311.310 ؛ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 197.196 ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، المجلد 3، ص 668.667 ؛ ش. أرسلان، *الحلل السندسية*، 1 : 67.66 ؛ أحمد المكناسي، *خريطة المغرب الأركيولوجية*، ص 11 ؛ ص. بن العربي، *كتاب المغرب*، ص 86 ؛ ع. بن عبدالله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 4 : 243.241.

D. Eustache, *El Basra Capitale Idrissite et son port, Hesp.*, 1955, p. 217 - 238.

أحمد الشرقاوي إقبال

بصري، أسرة مكناسية علمية نابهة، تنتسب إلى الجد ولي الله أبي موسى عمران البصري ـ بالتعريف ـ من بصرة المغرب، وهو أول من انتقل منهم إلى مكناس في تاريخ غير محدد، غير أن حفيده مَحمد بصري صاحب *الفهرس* يرفع نسبه إلى عمران في عمود يشتمل على ستة جدود. وعلى القاعدة الخلدونية يمكن أن يقدّر تاريخ استقرار عمران البصري بمكناس بالقرن العاشر (16 م) وتذكر المصادر عدداً غير قليل من العلماء والأساتذة والصالحين من آل بصري المكناسيين، أمثال :

بصري، الطيب بن محمد من أفراد أسرة بصري المكناسية، وباسم الطيب ذُكر عدد من أفراد هذه الأسرة، والمقصود هنا قاضي مكناس وإمام مسجدها الأعظم في حدود عام 1786/1201.

بصري، العربي بن الطاهر المكناسي المدعو قطيطة. علامة مشارك قضى حياته في التدريس والإفادة إلى أن توفي بعد 1290 / 1873.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3، 81 ؛ 5 : 429.

محمد حجي

البصري، عمران بن عبدالله، نسبة إلى بصرة المغرب، يتصل نسبه بعمر بن الخطاب. لذلك يقال له العمري. وتذكر بعض الروايات أنه خرج حاجاً مع جماعة من أهل بلده، فوصلوا إلى المدينة المنورة، فقصد دار جده عمربن الخطاب، فاجتمع بأهله وانتسب لهم، فقبلوه وصححوا نسبه، وأخرجوا إليه درع عمر وسيفه، فلبس الدرع وتقلد السيف.

سمع بالأسكندرية من ابن ميسر، وابن أبي مطر، وبالقيروان من ابن اللباد؛ وكان عمران عالما جليلا، فقيها متضلعاً؛ وهو أول من أدخل كتاب ابن المواز إلى الأندلس والغرب الاسلامي بعامة، يقول سلمة بن الفضل البجائي (ت 949/338): «طرأ علينا إلى بجانة - أبو هارون البصري، فسمع منه أبي *كتاب ابن المواز*». وتذكر بعض الروايات أنهما تدبَّجا: فسمع كل منها من الآخر. وكانت وفاة عمران ببلده البصرة سنة 925/313.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، 5: 148، 149.

سعيد أعراب

بصري، محمد بن**عبدالرحمان** بن **أحمد** مقرئ يحفظ السبع. قال في حقه صاحب *الإتحاف*: "حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء؛ حسن الصوت، متقي الشبهات...". سمع السلطان المولى إسماعيل بصوته وجودة تلاوته، فأمر باحضاره ليلة سبع وعشرين من رمضان، فأم به تلك الليلة، وختم القرآن برواية ابن كثير - يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس - وأدرج القراءة إلى المفلحون؛ فخلع عليه السلطان حلة سنية كانت عليه، وطلب منه صالح الدعاء، ثم أصدر ظهيرا بتوقير واحترام آل بصري جميعا، مؤرخا بربيع الأول عام 1112.

له *حاشية على الجعبري* في مجلدين، ورجز في *إمالة البصري* يقع في 33 بيتا. لم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

ع. ابن زيدان، إتحاف، 4: 57 - 60.

عبد العزيز بوعصاب

بصري (ابن -)، **محمد** بن **عبدالرحمان** بن عبدالله بن عمر الولهاصي المكناسي النشأة والدار، المعروف بسيدي بصري. أدرك جملة من مشايخ العلم، غير أن اسمه ارتبط باسم العلامة أحمد ابن الحباك الفاسي (ت. 1529/936).

ويفهم من نص الإجازة التي أجازه بها شيخه المذكور أن ابن بصري قرأ عليه *القرآن العظيم* من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها قراءة الأئمة السبعة المشهورين، فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات، مع *الألفية والرسالة والبردة*، إلى جانب قصيد أبي القاسم الموسوم *بحرز الأماني ووجه التهاني*، وقصيد أبي الحسن ابن بري الموسوم *بالدرر اللوامع*، والرجز الموسوم *بمورد الظمآن في رسم أحرف القرآن* لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز... وغير ذلك مما ورد في نص الإجازة التي أجازه بها شيخه سنة 1519/925 (*إتحاف*، 4: 29، 31).

وقد اسندت إليه مهمة الخطابة بالمسجد الجامع بمكناس، وهي المهمة التي ظل يقوم بها إلى أن توفي. غير أنه لم يكتف بالعلم الظاهر، وإنما نزعت همته إلى أخذ العلم الباطن، والدخول في طريق القوم. وإذا كانت المصادر تتفق في القول بأنه تربى، في هذا الصدد، علي يد امرأة صالحة، اختلفوا في تسميتها. فالبعض يقول إنها "السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية، دفينة رأس التاج خارج باب عيسى، أحد أبواب مكناسة الزيتون" (*دوحة*، 84؛ *إتحاف*، 4: 33). بينما يذكر البعض الآخر بأن المرأة المتصوفة المقصودة هي "فتحون البزازية، دفينة رأس التاج وأن السيدة مريم هي التلميذة (*إتحاف*، 4: 33).

ومهما يكن من أمر، فقد ترقى ابن بصري في مقامات الطريق الصوفي، حتى أصبح من الأولياء الصالحين العارفين، وظهرت على يديه الكرامات وخوارق العادات. الأمر الذي زاده شهرة، وجعله يتمتع بالتعظيم من لدن العامة والخاصة على حد سواء. وكان زاهدا خاملا، سخر نفسه وحياته في خدمة العلم إلى أن أدركته الوفاة في ذي الحجة عام 1584/991، ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة، وقبره إلى الآن مزارة شهيرة.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*؛ م. الحضيكي، *طبقات*؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

أحمد الوارث

بصري، محمد العربي بن مَحمد - فتحاً. كانت له مشاركة تامة في جل المعارف المتداولة في عصره. تلقى العلم بمدينة مكناس على أشهر فقهائها أيام المولى إسماعيل كأحمد بن يعقوب الولالي وأبي عثمان سعيد العمْيري والبهلول البوعصامي وغيرهم. وبهذه المدينة تصدر للتدريس في جامعها الأعظم وتخرج عليه كثير من التلامذة كان منهم من علت شهرته العلمية كأبي القاسم العميري. ومن مؤلفاته *منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار، والكواكب الدرية في مدح النبي وآله وصحبه وسائر الأمة المحمدية*، ويوجدان ضمن المجموعة الزيدانية بالخزانة الحسنية بالرباط.

كانت وفاته حسب الضعيف الرباطي سنة 1711/1123، ودفن بضريح سيدي بصري بمكناسة الزيتون.

ع. ابن زيدان، إتحاف، 4: 426 - 427؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 92.

عبد العزيز بوعصاب

بصري، مَحمد بن **محمد** بن **محمد** عبدالرحمان المكناسي، عالم مقرئ، وراوية مسند؛ أخذ عن والده السالف الذكر، ولازم الشيخ مباركاً الشيظمي، قرأ عليه عدة ختمات من *القرآن العظيم* بما يحتاج إليه من رسم وضبط؛ ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن جملة من مشايخها، من بينهم: محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، والشيخ التاودي ابن سودة، وبنيس والعراقي واليازغي وابن شقرون وسواهم، واعتمد في القراءات إمام عصره محمد بن عبدالسلام الفاسي.

رحل إلى المشرق سنة 1788/1203، فحج ودخل مصر وغيرها من البلدان، وطوف على المشايخ في مختلف

الأقطار، فعاد مملوء الوطاب، وجمع من الروايات والأسانيد ما عز نظيره عند غيره من شيوخ العصر ؛ وجمع كل ذلك في ثبته الحفيل الذي أسماه *إتحاف أهل العناية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقي وطرق الإسناد*، فرغ من تبييضه عام 1791/1206.

اول صحيفة من فهرس بصري بخطه في مسودته

(عن *إتحاف* ابن زيدان، 4 : 158)

والغريب أن الرجل على سعة حفظه وطول باعه في سائر العلوم والفنون، أبت كتب التراجم والسير إلا أن تطبق بالصمت عنه، ولم تشر إليه لا من قريب ولا من بعيد، لولا هذا الثبت الذي خلفه في مسودته بخط يده لانمحى أثره !.

م. بصري نفسه، *الفهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*

البصري، مصطلح يعني في عرف القراء المغاربة القراءات الثلاث : قراءة نافع بن عبدالرحمان المدني (ت. 169/ 785)، وقراءة عبدالله بن كثير المكي (ت. 737/120)، وقراءة أبي عمرو البصري (ت. 770/154) تغليبا لهذا الأخير ؛ فيقال : فلان بصري، وفلان يحفظ البصري ـ يعني القراءات الثلاث.

البصري ـ في عرف القراء المغاربة ـ يعني القراءات الثلاث : قراءة نافع بن عبدالرحمان المدني (ت 169/ 785)، وقراءة عبدالله بن كثير المكي (ت 737/120)، وقراءة أبي عمرو البصري (ت 770/154) تغليبا لهذا الأخير ؛ فيقال : فلان بصري، وفلان يحفظ البصري ـ يعني القراءات الثلاث.

ولعل هذه التسمية جاءت بعد ما ابتدع المغاربة والأندلسيون جمع القراءات وإردافها. وطريقة المغاربة في ذلك : أن يحفظ القرآن أولاً برواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش (ت 795/179)، ثم يردف ذلك برواية أبي موسى عيسى بن مينا الملقب بقالون، (ت 835/220). ويسمى ذلك التحنيش، والأندلسيون يعكسون فيقدمون قالون على ورش ؛ والحروف التي اختلف فيها الراويان تزيد على ثلاثة آلاف حرف، مثل تخفيف الهمز وتحقيقه، وإظهار وإدغام، ومد وقصر، وفصل ووصل، وترقيق وتفخيم، إلى غير ذلك. فإذا حفظ الطالب حرف نافع، جمع إليه حرف عبدالله بن كثير براوييه البزي وقنبل؛ وإذا حفظ حرفي نافع وابن كثير، جمع إليهما قراءة أبي عمرو البصري، والرواية المشهورة عنه بالمغرب. هي رواية اليزيدي يحيى بن مبارك العدوي (ت 202 / 817)، وأشهر طرقه : طريق الدوري أبي عمر بن عبدالعزيز بن اصبهان الأزدي (ت 250 / 864)، وطريق السوسي ـ نسبة إلى سوس الأهواز ـ (ت 261 / 874).

أما الطرق إلى نافع، فأنهاها بعضهم إلى مائتين وخمسين طريقا، منها ثمان وستون لورش، وست وسبعون لقالون، اقتصر ابن غازي منها في أرجوزة له على عشر، أسماها *تفصيل عقد الدرر، في طرق نافع العشر*. وأشهرها عند المغاربة ثلاث :

طريق أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 / 1052)، وطريق أبي محمد مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي، (ت 437 / 1045)، وطريق أبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت 476 / 1083).

أبو القاسم الشاطبي، *حرز الأماني (الشاطبية)* ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية* ؛ *النشر في القراءات العشر* ؛ ع. ابن القاضي، *الإيضاح لما ينبهم عن الورى، في قراءة عالم أم القرى* ؛ *علَم النصرة، في تحقيق قراءة إمام البصرة*، مخطوطان ؛ م. ابن غازي، *تفصيل عقد الدرر*، مخطوط ؛ م. ابن عبدالسلام الفاسي، *الوقف والابتداء*، مخطوط ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

بصَيلة، أو بَصَل فرْعَون أو عَنْصَل، أسماء تطلق على أنواع برية من جنس سِيلاً Scilla أوأُرجِينيا Urginea، وهي من فصيلة الزنبقيات Liliaceae.

يتوطن هذا الجنس منطقة البحر المتوسط، وهو ممثل في المغرب بستة أنواع، أهمها العنصل أو البصيلة البحرية Scilla maritima الذي يعطي بصلا من حجم كبير لا يستعمل في الطبخ لأنه يحتوي على ماد ة سامة تستخدم لإبادة الفئران.

وتكثر البصيلة أو العنصل في المراعي الساحلية التي تعرف رعياً جائراً، يجعل الأعشاب تنقرض تاركة لها المجال فارغا لتترعرع.

أبحاث شخصية ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهد عبدالمجيد وآخرين، القاهرة ـ نيويورك 1962.

عبدالمالك بنعبيد

البَصَل، بقل زراعي بصلي معمر من فصيلة الزنبقيات Liliaceae يسمى علميا Allium cepa وضروبه الزراعية كثيرة. البصل هو الاسم الشائع عند العرب.

تتكون النبتة من جذور خيطية الشكل ومن ساق أرضية مستديرة ومنتفخة بداخلها قرص لحمي مخروطي قليلاً وأوراق لحمية متراصة ومحمولة على القرص. الأوراق أسطوانية الشكل ومقعّرة، البرعم المركزي طويل ومجوف، يحمل في مؤخرته أزهارا صغيرة بيضاء خيمية الشكل. الثمرة جافة ومتفتحة تحمل بداخلها عدة بذور.

موطنه الأصلي حوض البحر المتوسط وآسيا، يزرع في جميع أنحاء المغرب وهو شائع في أسواق الخضر ويعتبر من المواد الغذائية الهامة. يحتوي على مادة متبخرة مسيلة للدموع وعلى كمية هائلة من الأملاح المعدنية وفيتامين "ب" و "ج".

للبصل عدة مميزات عقاقيرية فهو مسكن لآلام داء المفاصل بفضل خاصياته التي تزيل مادة البَوْلة (Urée) والكلورور الزائدة في الجسم كما أنه مُدِرٌ للبول ومنقص للسكر في الدم.

يستعمل عصير البصل لإفراغ الصفراء، ولإيقاف نمو الجراثيم وللمساعدة في تركيب الكويرات الحمراء في حالة فقر الدم.

يستعمل شراب البصل المحلي (Sirop) ضد التهاب اللوزاة والبلعوم. للاحتفاظ بكل هذه المزايا يستحسن أن يؤكل البصل نيئا.

A. Akoka, *Médecine Naturelle, Le médical du 20ème siècle*, Edilec, 1978 ; *La Phytotherapie, Le médical du 20ème siècle*, Edilec, 1977

نجاة الخياطي

البصير، (آل ـ) أسرة صحراوية تقول بانتمائها إلى قبيلة الركيبات الساحليين بالساقية الحمراء، ويقول زوايا ومرابطو أسرير بوادي نون بانتمائها إليهم. ومعلوم أن الفقير گيسوم (قاسم) الجد الفعلي لهذه الأسرة عاش في نهاية القرن الثاني عشر/1780، وهو لا يُخفي انتماءه إلى آل المؤذن الركيبات. أما تسمية البصير فإن أول من تلقاها هو ابنه إبراهيم الذي كان ضريراً، وخلف ابنه مبارك الذي كان أيضاً ضريراً، شأنه في ذلك شأنُ ابنتيه وعدد من أحفاده وحفيداته.

وبموازاة ما كان يتمتع به آل المؤذن من سمعة دينية، فإن إبراهيم البصير سيعمل على توسيع نفوذه الديني ليستفيد من القنوات التي فتحتها أمامه وظائفه المختلفة في هذا المجال. فقد تميز بما يتميز به كبار الزوايا المرابطين ذوي السلطات التي تؤهلهم لفض النزاعات القبلية على مختلف أحجامها. فمكانته المتميزة كانت تقربه من قبيلة أزوافيط، وكذا باقي قبائل اتحادية تكنة والأطلس الصغير. ولعل هذه العلاقة وما كان يغدقه الناس عليه بموسم سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي بأسرير هي التي قربته من الأسرة الدينية التي صاهرته وأهدته سبعة بساتين وماء يوم كامل بالساقية (*المعسول*، 12 : 90). مهما يكن فإن هذه العلاقة تنتقل كما نرى بالقرابة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لكيان آل بصير بأسرير. وبهذا المدلول المحدد لا تعود إقامة آل البصير منحصرة فقط في ركيبات الساحل بقدر ما تمتد أيضا إلى وادي نون والأطلس الصغير.

البصير إبراهيم، أسس سنة 1245/1830.29 زاوية آل البصير بقبيلة الأخصاص، مضيفاً وهو في التاسعة والسبعين من عمره، إلى حجمه الاجتماعي والسياسي، ولا غرابة في ذلك ما دامت هذه المرحلة لن تنتهي إلا بعد خمس وثلاثين سنة حين توفي وهو ابن 114 سنة. على أن السيرة الذاتية لابنه مبارك ستحُولُ دون هذه المرحلة والانتهاء. فقد حرص على ما خص به مجمل أعيان وفقهاء إگزولن والده من التوقير والاحترام، شأنهم في ذلك شأن كبيرهم سيِّد إليغ.

كان محمد بن محمد واعزيز قد طوّر قبر إبراهيم البصير إلى مدرسة لتعليم علوم الظاهر. وقد أسهمت هذه المؤسسة إلى حد كبير في الدفاع عن سمعة هذه الأسرة وعن كيانها بسوس والأطلس الصغير.

البصير، مبارك بن إبراهيم. عمل على تعزيز مكانة أبيه على ضوء ما اتخذه من مواقف واختطه من طريق متمِّمة لمسيرة أبيه. فلم تمض سنتان على وفاة أبيه سنة 1280/1864.63 حتى كان من أبرز الفقهاء بمجلس الحسين أ ُهاشم فوق رأس وادي أ ُلغاس للنظر في أمر حضور المولى الحسن يومها كخليفة لأبيه. وإذا كانت خاصية ووظيفة السلطان محددتين ضمن نصوص الشريعة الإسلامية، فإن مبارك كان من بين المؤيِّدين يومها لضرورة إقامة "ميزان الشرع" مع ابن أمير المومنين (*المعسول*، 12 : 99). وهو تأكيد لحرص مبارك على موروثه من مفاهيم وممارسات عائلية. وعلى امتداد حياته اللاحَقَة سيُعرف دوماً بتجنبه للدوائر المخزنية على اختلاف مستوياتها بما في ذلك خلال سنة 1302/1884 التي عرفت الزيارة السلطانية لتزنيت. وقد كان يتحكم في ذلك إلى علاقته الوثيقة بالأعيان المحليين وبأنداده من كبار رجال علم الظاهر والباطن، كسيدي لحسن بيبيس والشيخ لحسن التِّيمكدشتي والشيخ سعيد المعدري والقطب ماء العينين. وبذلك تكون ممارسات مبارك البصير وممارسات أبيه قد ارتبطت بالعوامل المحددة لاستمرارية الكيان الاجتماعي وآلياته المحددة لاستمراره أو تحوله. ويتجلى ذلك فيما لا تزال تشهد به الرواية الشفوية المحلية.

وهناك نضيف بأن التساؤلات التي يمكن أن نطرحها بشأن آل البصير تصب كلها في إشكال التفاعل بين الثوابت والمتغيرات بما تفرزه من تكيفات ويترتب عنها من نتائج وردود أفعال. فمع وصول الاستعمار إلى عين المكان سيزداد الاحتكاك بين آل البصير وقيمهم المثلى في حقبة

لايمكن فهم التحول الهيكلي للمجتمع المحلي إلاّ على ضوئها. فقد حرصت هذه الأسرة على قطع أواصرها مع الجهاز المخزني مقتصرة على وظيفتها الاجتماعية الدينية، وأفسحت المجال أمام كل المحتكمين إليها. وهي حقيقة فيها خضوع أبدي لسلطة الزوايا بأبعادها الدينية والدنيوية.

م. المختار السوسي، *العسول*، ج 12 ؛ م. سالم ولد الحسين ولد لحبيب ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الركيبات*.

مصطفى ناعمي

البضاضوة، مفردها بَضّوي ـ بكسر الضاد المشددة ـ وهي تحريف لتسمية الإباضية مفردها إباضي. ورغم هذه المواطأة في التسمية، فإنه لا وجود لمشابهة أو جامع أوجب إطلاق لقب شيعة عبدالله بن إباض (ت 705/86) على البضاضوة الذين ينتسبون إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت 1524/931) مؤسس الطريقة الراشدية بالمغرب الأوسط، المعروفة أيضاً بالطائفة اليوسفية التي نشأت في المغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجري (16 م)، وهي طائفة صوفية يتصل سندها بالامام أبي الحسن الشاذلي (ت 1259/58/656) عن طريق الشيخ أحمد الراشدي تلميذ الشيخ أحمد زروق (ت 1493/899).

وتسمية البضاضوة هي إحدى التسميات المتعددة التي ابتدعها خصوم اليوسفيين من أهل السنة، تعبيراً عن رفض نسبتهم إلى التصوف بوجه عام والطريقة الشاذلية بوجه خاص، وعملا على إخراجهم من دائرة السنة بالمرة والزج بهم في دائرة الملل والنحل الضالة.

تشكل هذه التسمية أحد عناصر التداخل الحادث بين تاريخ الطائفة اليوسفية وتاريخ الطريقة الراشدية، على مستوى المعارضة التي واجهت الشيخ أحمد بن يوسف ومذهبه وأتباعه في كل من المغربين الأوسط والأقصى. ذلك آننا لا نستبعد أن تكون هذه التسمية قد أطلقت أول ما أطلقت من قبل خصوم الراشدية من أهل المغرب الأوسط: فقد أكد محمد الصباغ مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وهو كتاب *بستان الأزهار* المصنف ما بين 1545/952 و1555/962، أن فقهاء هذا الصقع حاولوا إخراج شيخه الراشدي ومذهبه وأتباعه من دائرة السنة، ورامو الزج بهم في دائرة الملل والنحل. ولم تكن هذه المحاولة وهذا المرام ليكلفا فقهاء المغرب الأوسط بوجه عام وفقهاء البلاد الراشدية بوجه خاص كبير عناء، لأن الوحدة المذهبية في إطار السنة لم تتحقق في هذه البلاد، مثلما تركزت السنة ورسخت في المغرب الأقصى، على هذا العهد ومن قبله ومن بعده. وقد كان خصوم الراشدية، في وطنها الأصلي، في غنى عن الرجوع إلى أسفار السلف المؤلفة في الملل والنحل، وكان يكفيهم التفكير في حال الواحات الجنوبية، ليتذكروا المجتمع الإباضي المستقر بها، والمستعصي على السنة، منذ عهود الاسلام الأولى في هذه البلاد : فسقوط الدولة الإباضية الرستمية، بالمغرب الأوسط، على يد الشيعة الفاطميين عام 908/297 ولم يقض القضاء النهائي على مذهب الخوارج الإباضية في هذه البلاد، ولم يستأصل شأفة أتباعه الذين فرت بقيتهم ناجية بدمائها وأموالها وكتب عقائدها إلى الواحات الجنوبية، فنزلت أول الأمر بواحة سدراتة ثم انتقلت بعد ذلك إلى وادي مزاب الذي استقرت به بصفة نهائية.

وقد دأب أهل السنة في المغرب الأوسط على مكافحة مجتمع مزاب وتطويقه، وطالت هذه المكافحة قرونا عديدة، وأصبحت النسبة إلى مذهب الإباضية أخطر وأعظم تهمة تحارب بها البدع المخالفة للسنة، والتي نشأت بالمغرب الأوسط، سواء كانت على صلة بنحلة مزاب أو لم تكن لها أية صلة بها. ولما ظهرت الطريقة الراشدية في المغرب الأوسط، في مطلع المائة العاشرة (16 م)، رفض أهل السنة مذهبها القائم على الجراءة في النظر والتجريد والمغالي في الدعوة إلى التحرر من التقاليد الصوفية الفكرية والسلوكية السائدة خلال هذا العصر، وأنكروا عليها نسبتها إلى الطريقة الزروقية القائمة على الحسبة لصالح السنة في العلم والعمل وفي الشريعة والطريقة، ودفعوا بها خارج سلك التصوف بالمرة، ونسبوها إلى نحلة الإباضية بالذات. وما زال علماء الجزائر على عهد سلفهم، ينظمون العلاقة بين الطريقة الراشدية وإباضية مزاب، وهذا إلى مطلع القرن الرابع عشر(20 م)، وحذا حذوهم غير واحد من الباحثين الأجانب الذين اهتموا بالراشدي والراشدية.

وقد انتقلت هذه التسمية إلى المغرب الأقصى، مع دخول هذه الطريقة إليه، واستخدمت لتمييز الفرع اليوسفي من أتباعها. وتمت نسبة اليوسفية إلى نحلة الإباضية في مرحلة مبكرة من تاريخها، إذ يذكر ابن عسكر(ت 1578/986) في *دوحة الناشر*، بأن مؤسس هذه الطائفة قد "تزندق وذهب مذهب الإباضية". لكن تسمية البضاضوة والعكاكزة لا تظهر إلا مع مصادر القرن الحادي عشر(17م)، وبالضبط في *رسالة العكاكزة* التي حررها الإمام الحسن اليوسي عام 1670.69/1080، وقد اشتهرت بها خلاله فرقة معينة من الطائفة اليوسفية من أعراب تادلا. وبعد هذا القرن تمركزت دواوير البضاضوة بالغرب، ويذكر لنا عبدالكبير الكتاني (ت 1931/1350) في تأليفه *زهر الآس*، استقرار رهط منهم بفاس، وتأسيسه لأحد البيوتات الفاسية الشهيرة وهو بيت بني البضاضوة.

لانعرف بالضبط متى استوطن البضاضوة سهل الغرب، غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن بداية استقرارهم به تعود إلى عهد المولى إسماعيل، وأن دواويرهم به قد تكون، في الأصل، إحدى المنافي التي رحّل إليها المولى إسماعيل بقية اليوسفيين الناجين من نكبة عام 1691/1102. وقد انضم إليهم خلال القرن الثالث عشر (19 م) العديد من حفدة الشيخ أحمد بن يوسف، على اثر هجرتهم من مدينة مليانة التي تأوي ضريح جدهم، فارين في وجه الفرنسيين.

ولا يزال يوسفيو الغرب يسمون بالبضاضوة وهذا إلى

مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ويعيشون في عدة دواوير، أهمها دوار الملاينة من قبيلة أولاد عيسى الواقعة على ضفاف نهر سبو. وترجع بعض الروايات أصلهم إلى عنانة الساورة، مثلهم مثل الغنانمين اليوسفيين المستقرين في ناحية مراكش.

م. الصباغ، *بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار*، مخطوط خ. ع. بالرباط،243 ك، ص 112 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص 115؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخطوط ضمن مجموع في خ. ع. بالرباط ، 1224 ك، ص 175 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع. بالرباط، ع 1281 ك، ص 327 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، ملحق 2، ص 8، 100، 316، 345 ؛ ع. نجمي، *مساهمة في دراسة تاريخ التصوف المغربي في القرنين 16 و17، طائفة العكاكزة*، ر. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط.

G. Salmon, *Les Bdadoua, A.M*, Vol. 2, n° 2, 1904, p. 358 - 363 ; A. Moulieras, *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905, p. 5, 54, 55 ; E. Doutte, *Marrakech*, p. 368, n° 1 ; L. Gognalons, *Une fraction des Ghenânema de la banlieue de Fès : Ouled Aïssa, B. S. G. A. O.*, t. 27, p. 354, 359 ; A. Bernard, *Les confins Algéco-Marocains*, Paris, 1911, p. 29 - 30 ; E. Michaux-Bellaire, *Le Gharb, A.M.*, Vol. 20, 1913, p. 249 - 251 ; *Les Confréries religieuses musulmanes, A. M.*, Vol. 27, 1927, p. 13 ; G. S. Colin, *Sayyidî Ahmad Zarruq*, Estrato dalla *revista della Tripolitania*, anno 2 , Roma 1925, p. 14 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris, 1954, p. 240, 241, 244, 245 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Heddawa*, p. 436, 437 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : Les Zkara*, Archives du C.H.E.A.M., Paris, (s. d.), p. 19 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, p. 436 ; *L'intérieur de Maghreb*, Paris, Gallimard, 1978, p. 101, n° 1.

عبدالله نجمي

بطاطا أو بطاطس، نبات زراعي عشبي حولي عسقولي من الفصيلة الباذنجانية صولاناسي Solanaceae. ضروبه الزراعية عديدة ومنابته الأصلية من البيرو Perou وقد تم إدخاله إلى إسبانيا سنة 1535 م ومن هناك انتشر في الدول المجاورة. إن لفظة "بطاطا" إسبانية وهي من لغة سكان هايتي الأصليين. اسمها العلمي صولنوم توبيرزوم Solanum tuberosum.

يبلغ طول النبتة 100.60 سم، الأوراق متركبة. ينتهي الساق بسنمة من أزهار بيضاء لها 5 تويجات ملتحمة ومستديرية الشكل. الثمرة عنبية سوداء. تنتج العساقل المستهلكة عن عدة عقد على سيقان تحتأرضية.

تغرس العساقل في المزارع السقوية عادة وذلك في المناطق المعتدلة المناخ. أما في المغرب فإن زراعة البطاطا تصادف في جميع أنحاء البلاد.

تعتبر البطاطس من المواد الغذائية الأساسية في المغرب وتحتل الصف الرابع في الإنتاج الوزني العالمي للتغذية.

تحتوي البطاطس أيضا على ڤيتامينات B1 وB2 وC.

كما تحتوي العساقل الخضراء على جراثيم ومواد سامة Solamine تضر بمعدة الإنسان وينتج عنها صداع وعرق بارد وانخفاض في الدورة التنفسية والدموية.

تستعمل البطاطس في علاج الحرق ولفحات الحَرّ.

من المكونات الغذائية في 100 گرام نذكر :

	المطبوخ	النيء
الماء	74.29	76.10
الزلاليات	2.58	2.06
الدهنيات	0.10	0.12
هيدرات الكربون	21.26	20.69
رماد	1.07	1.03

بالاضافة إلى هذا النوع المعروف توجد أجناس أخرى يطلق عليها لفظ بطاطا وأهمها :

بطاطا حلوة، نبات عشبي معمر من ذوات الفلقتين ومن فصيلة المحموديات Convolvulaceae. يزرع لعساقله النشوية السكرية المغذية وهو من أصل أمريكي.

بطاطا حلوة هو اسمه الشائع في المغرب، ويقال له في الشرق العربي قلقاس هندي، واسمه العلمي هو Ipomoea batatas أو Convolvulus batatas.

السيقان رقيقة، تحمل أوراقاً بسيطة كاملة الصفيحة وأزهاراً مزدوجة الغلاف، لها 5 تويجيات ملتحمة و قمعية الشكل. العساقل حمراء، منتفخة يفوق وزنها أحيانا كيلوغراما واحدا وهي غنية بالنشأ Fécule.

تغرس في المناطق الشبه الاستوائية والبَيْمدارية وخاصة في السهول والمناطق الغير المرتفعة.

ثم إدخالها إلى المغرب من إسبانيا وهي شائعة في أسواق الخضر، وخاصة في فصل الخريف.

بطاطا قصبية، نبات عشبي معمر من الفصيلة المركبة Composées يُزرع لعساقله وهو من أصل أمريكي.

بطاطا قصبية هو اسمه الشائع في المغرب، ويعرف في الشرق بعباد الشمس العسقولي، وقلقاس رومي. وطرطوفة، وحرشف القدس، وتفاح الأرض. واسمه العلمي Helianthus tuberosum.

الساق سنوي، يتراوح طوله ما بين 0.7 ومترين. يتراوح قطر الرؤيس ما بين 4 و10 سم. الأوراق مسننة، متقابلة في القاعدة ومتناوبة قرب الأزهار.

العساقل بيضاء غنية بالإينولين Inuline تغرس في السهول وهي شائعة في أسواق الخضر بالمغرب.

م. الشهابي، *مصطلحات العلوم الزراعية*.

P. Crete, *Précis botanique*, T. 2 ; Cl. Ch. Mathon, *Phytogéographie appliquée : L'origine des plantes cultivées* ; A. Akoka, *Médecine naturelle : Le Médical du XXème siècle.*

نجاة الخياطي

البطانة، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية حيث توجد الفَرْسيّة، المنبع الرئيسي للساقية الحمراء. تنقسم الناحية إلى قسمين : البطانة الكلبية، والبطانة التلّية، وبها توجد

السبخة التي تحمل اسم الناحية التي تقع بين المنطقتين الطبيعيتين المعروفتين بالعيدر وأخشاش.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario géografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 27, 189.

محمد ابن عزوز حكيم

البطاوري، أسرة رباطية جاءت من مدينة شرشال القريبة من العاصمة الجزائرية على ساحل البحر المتوسط، لذلك يدعى البطاوريون أيضا بالشرشاليين وهم ينتسبون إلى الشرفاء الحسنيين ولا يعرف جدهم الذي هاجر من شرشال إلى الرباط حيث برز منهم العديد من أهل العلم والصلاح. ويتصل عمود نسب هذه الأسرة بسليمان بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام.

وسليمان هذا هو شقيق المولى إدريس الأكبر، أمهما عاتكة بنت عبدالملك المخزومية. كان بعثه أخوه محمد المعروف بالنفس الزكية حين بايعه أهل الحجاز إلى مصر داعيا له، ولما علم بقتل أخيه سار إلى بلاد النوبة ثم إلى السودان ثم إلى زرب إفريقية ومنها توجه إلى تلمسان فاستوطنها أيام أخيه المولى إدريس، وتعاقب نسله بها، وانتقل بعض أولاده إلى شرشال. وأحد أجداد البطاويين هو الشيخ العالم عيسى الغبريني الذي عاصر الإمام ابن عرفة. ومنذ استقرار أسرة البطاويين بالرباط برز فيها عدد من رجالات التصوف والفقه والأدب، وأسندت إلى بعضهم الخطط الشرعية كالإمامة والخطابة والقضاء.

سعيد البطاوري الشرشالي

أحمد

عبد الرحمان

علي (ت. 1267) — محمد (ت. : حوالي 1250)

التهامي (ت. 1325) — محمد (ت. 1280)

محمد المكي القاضي (ت. 1355)

وهناك أسرة بطاورية تطوانية يذكر أن أصلها من الأندلس ما زالت موجودة حتى اليوم بتطوان، ويعرف منهم محمد البطاوري الذي تصفه وثيقة عدلية سنة 1721/1133 بالقائد ؛ وعبدالقادر بن محمد البطاوري الذي كان على قيد الحياة سنة 1866/1182.

البطاوري، التهامي بن علي، صهر قاضي الرباط أحمد بناني الذي ذكر نسبه في كناشته. تفقه على يد علماء الرباط أمثال الطاهر بريطل وأحمد دينية، وكان من المهتمين بالحساب والفرائض أخذهما عن الحيسوبي الطاهر ضاكة. وقد ذكر ابن أخيه القاضي محمد المكي البطاوري أنه كان من المدرسين، قرأ عليه الكثير من المتون وبعد التدريس يتعاطى الشهادة، وكان من العدول الذين اشتغلوا بمرسى الجديدة. وفي السنين الأخيرة من حياته لازم المسجد الأعظم بالرباط في الأوقات الخمس وخصوصا في الليل، عرف بالوقار والجد، ووصف بالفضل والرزانة والصرامة. وفي سنة 1325 توجه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. وعندما قفل راجعا توفي بطنجة أوائل ربيع الأول 1908/1326، ودفن بضريح الشريف عبدالسلام الوزاني.

البطاوري، علي بن عبدالرحمان جد القاضي محمد المكي، وقد ذكره الشيخ العربي التهامي الوزاني في معجمه المعنون *بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ أهل الفضل والكمال*. ووصفه بالفقيه العدل الخطيب البليغ الشريف... كما حلاه رسم صداق زواجه بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء. ترك بعض القصائد في المديح النبوي مطلع إحداها :

بمدح رسول الله كن متمسكاً ... تنالُ به قرباً وعزاً ومنصبا
فيا منشداً ردِّد مديح محمدٍ ... وعلِّلْ به قلب الشجيِّ مُرحِّبا

تتلمذ على القاضي الشهير الطيب بسير وغيره من علماء وقته الرباطيين. وتولى الخطابة في مسجد المولى سليمان بعد الفقيه أحمد الرغاي أواسط القرن الثالث عشر، وظل شغوفاً بالعلم إلى وفاته سنة 1267.

البطاوري محمد بن عبدالرحمان، عاش أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (18-19 م) وذكره أديب الرباط محمد بن التهامي بن عمرو في جملة تلامذة أستاذه الحكمي. ويلتقي كل من الأديب ابن عمرو هذا ومحمد البطاوري في جد واحد هو القاضي عيسى الغبريني التونسي. ذلك أن والدة ابن عمرو شرشالية.

عرف محمد البطاوري بخطه الجميل وباعتنائه بالتقييد، فقد ترك تقاييد كثيرة. وله *قصائد* منها واحدة في مدح الرسول أنشدها ليلة المولد النبوي عام 1231 مطلعها :

قد أقبل السعدُ واستوت زواهرُهْ ... وخَيِّم اليُمْنُ وازدهتْ أزاهرُهْ

وله *شرح على لامية العرب*، يقول عنه بوجندار «يشهد له بالتقدم في الأدب» كما قال عن قصيدته «ولو لم يكن من مآثره الأدبية سوى تلك القصيدة الرائية المولدية لكان كافيا في الدلالة على قدره وتفوقه في الأدب».

توفي أواسط القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

البطاوري، محمد بن علي الرباطي. فقيه ناسك تولى الخطابة بعد والده بالمسجد السليماني وكان منخرطا في الطريقة الوزانية. تزوج بنت القاضي الطيب بسير في حدود 1270 فأنجبت ولده الشهير محمد المكي آتي الترجمة.

توفي عند فجر يوم عيد الأضحى عام 1868/1284.

البطاوري، محمد المكي بن محمد، ولد عام 1274 وتلقى تعليمه على يد إبراهيم التادلي، وعمه محمد

التهامي البطاوري والهاشمي الزياني وأحمد مُلين والقاضي محمد بن إبراهيم والقاضي محمد بن عبدالرحمان البريبري وعبدالرحمان لبريس وعمر عاشور ومحمد المكي بن عمرو ومحمد دينية والشيخ العربي بن السايح وأحمد بناني وغيرهم.

وممن أجازه إبراهيم التادلي، وعلي البوجمعاوي الدمناتي، وعبدالملك العلوي، وحسن بن إبراهيم الأزهري مفتي المالكية بمكة، وصديق عبدالرحمان كمال شيخ مكة، ومحمد الكسراوي. عُرف محمد المكي بطول الباع في التحصيل والتلقين والإملاءات، وفي شمولية المعرفة، وكان يلقي دروسه بالزاوية التهامية وبضريح مولاي المكي. وقد أجاز عدداً من الطلبة والعلماء منهم محمد المدني بن الحسني وعبدالحفيظ الفاسي، وهذا الأخير ترجم للمكي البطاوري في كتابه *المعجب المطرب*، كما أجاز الغازي سباطة ومحمد بوجندار.

وظف المكي البطاوري أولا مع صهره النائب السلطاني بطنجة محمد برگاش سنة 1290 وبقي في هذه الوظيفة زهاء عشر سنوات سافر أثناءها ضمن الوفد الرسمي إلى إسبانيا، وحضر مؤتمر مدريد عام 1880/1297، ثم سافر مرة ثانية سنة 1884/1301 إلى إسبانيا وفرنسا وإنجلترا مما ساهم في تنويع معارفه ومشاهداته، وفي سنة 1886/1304 توجه إلى الحجاز، فلقي أعلام المشرق وأخذ عنهم، ودفعته رحلاته إلى تحرير رحلة صور فيها ما شاهده وتحدث فيها عن نفسه وأساتذته سماها *ثمرة أنسي بالتعريف بنفسي* وقد ضاعت.

انتدبه الخليفة رشيد بن عبدالرحمان بن هشام لتعليم أولاده. وفي سنة 93/1311 1894 عينه السلطان المولى الحسن لتعليم أولاده الذين كانوا موجودين في قبيلة مزاب. وبعد ذلك وظف عدلاً بمرسى لرباط مرتين وفي ديوانة طنجة. وكان في أثناء ذلك مواظبا على التدريس إلى أن ولي قضاء الرباط سنة 1906.1905/1323. فاكتمل بذلك نشاطه العلمي الذي كان مضرب الأمثال. وقد ظل في القضاء عشر سنوات، وألف ما يَربو على ستين كتاباً زيادة على قصائد شعرية عفوية تدل على أنه كان من الشعراء الموهوبين، ومن هذه المؤلفات عدد من الشروح الأدبية، منها على مقصورة المكودي : *أزهار الأغصان المهصورة من رياض أفنان المقصورة* ؛ وعلى الشمقمية : *اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الونّان*، إضافة إلى رائية حسن العطار المسمى *منح الأوطار في نفح العطار*، وشرح *الجوهرة في التوحيد* لإبراهيم اللقاني، وشرح *صغرى السنوسي* وهو مطبوع.

وقد أفرد الشيخ البطاوري بكتب ألفها في ترجمته عبدالحي الكتاني، وعبدالرحمان ابن زيدان، والعربي الوزاني وأحمد سكيرج ومحمد المدني ابن الحسني ومحمد بوجندار ومحمد بن علي دينية وعبدالله الجراري.

توفي محمد المكي البطاوري ليلة الأربعاء ثاني محرم 25/1355 مارس 1936.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 214، 279، 289 ؛ *سلسلة شخصيات مغربية* (3)، *شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري الرباطي* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 166، 172، 190، 271 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 50، 180، 183، 188، 285، 444 ؛ *تعطير البساط*، 46، 49 ؛ *دورية الوثائق الملكية*، 4 : 93، 94 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، 150، 166، 287، 289 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

عبدالاله الفاسي

بَطَايُون، قاعدة عسكرية كبرى بناها الإسبانيون بإفني سنة 1934 في أرض قبيلة أيت اخْلُف، على هضبة مستوية مشرفة على المحيط مباشرة على حافة انكسار جيولوجي بـ 50 م على مستوى سطح البحر. مساحتها 4 كلم × 2 كلم، يحيط بها سور كبير. تشتمل على ميدان للحرب والتدريب، ومكان للرماية، واصطبلات للخيول، ومخازن للسلاح والتموين، وصهاريج للمياه. فهي أشبه ما تكون بمدينة عسكرية قائمة بذاتها. وفي سنة 1957 ضمت إسبانيا أراضي أخرى خارج تلك التكنة، فشيدت ثلاثمائة منزل لضباطها أطلقت عليها "كولومينا" وتسمّى حاليا حي كلاّمينا.

كوّنت إسبانيا في قاعدة بطايون جيشاً كبيراً من أيت باعمران وغيرهم من شمال المغرب، قادهم الجنرال فرانكو في الحروب الأهلية الإسبانية ما بين 1936 و1939. ومن أشهر القادة المغاربة المكونين في هذه القاعدة : القائد أُلودي محمد الدكالي الأصل، والقائد عبدالله السرغيني، والقائد المحجوب السرغيني، والقائد محمد الرميلي الزيلاشي، الذين أسند إليهم اختيار الشباب وتدريبهم لإرسالهم إلى إسبانيا.

وفي باطايون أنزلت إسبانيا أركانها الحربية لتسيير أربعين ألفاً من الجنود في عهد الثورة الباعمرانية 1969.1957 وهي القاعدة الجوية الوحيدة التي صدّت هجوم أيت باعمران وجيش التحرير بعدما استسلمت الثكنات الأخرى خارج مدينة سيدي إفني، بل ألحقت خسائر كبيرة بالمجاهدين عند هجومهم على هذه القاعدة العسكرية، فقبض على كثير من رجال جيش التحرير (*العلم*، ع 2737 في 57.12.4).

ومن باطايون أخذ المقاومون كثيراً من السلاح، بطرق مختلفة نقلوه إلى الدارالبيضاء. وقد حافظت هذه القاعدة على مدينة إفني إلى أن استرجع المغرب بطايون في سائر ما استرجع من إقليم سيدي إفني بموجب اتفاقية فاس بين إسبانيا والمغرب في 4 يناير1969، وبذلك رجعت قبائل أيت باعمران ـ كما كانت ـ جزءاً لا يتجزأ من الأمة المغربية.

الخريطة الطبوغرافية لباطايون بمكتبة الباعمراني الحاج مبارك الخلفي ؛ *وثائق باعمرانية* عنده أيضاً ؛ مجلة *المشاهد*، عدد خاص

بتاريخ فاتح سنة 1958 ؛ ح. جـهـادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقـون ؛ *الجريدة الرسمية* عـدد 2958 بتاريخ 28 مايو 1969، الرباط.

الحسين جهادي

البطحاء، من المعاني التي أعطاها صاحب *لسان العرب* لكلمة البطحاء : مسيل فيه دقاق الحصا، ومنه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم صلّى بالبطح يعني أبطح مكة، قال هو مسيل واديها. الجوهري : والبطيحة والبطحاء مثل الأبطح ومنه بطحاء مكة".

وفي مدينة فاس تطلق البطحاء على حي من أحيائها القديمة (فاس البالي)، في الجهة الغربية منها بين باب بوجلود وباب الحديد في منطقة مسيل واد فاس. ومن بنايات هذه المنطقة قصر البطحاء المعروف عند العامة بدار البطحاء أو دارالسلاح (السناح).

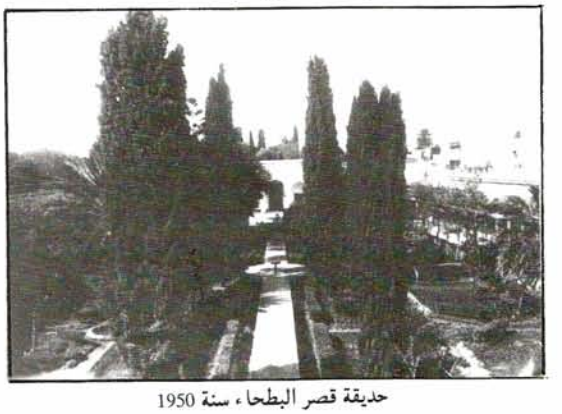

حديقة قصر البطحاء سنة 1950

أسس قصر البطحاء في أواخر القرن الثالث عشر (19م) بين 1883 و1879، وبُني معظمه في عهد السلطان الحسن الأول، وزاد في بناياته ابنه المولى عبدالعزيز، وأشرف على إنجازه الحاج عبدالسلام المقري أمين الأمناء آنذاك. ويعتبر قصر البطحاء من أجمل البنايات التي خلفها ملوك الدولة العلوية. إذ يحتوي على أحسن رياض أندلسي موجود بالمغرب العربي، تبلغ مساحته 2918 مترا مربعا، أي ما يعادل تقريبا 40٪ من المساحة الاجمالية، وتوجد في كل من الجهتين الشرقية والغربية ساحة تفصل رياضا عن قاعات الاستقبالات، وتبلغ مساحة كل منها 711 م، وكلها مبلطة بالرخام والزليج.

يحتوي هذا القصر، بالاضافة إلى القاعات الشرفية المخصصة للاستقبالات، على عدة مرافق ، منها المطبخ والحمام والمراحيض والمخازن.

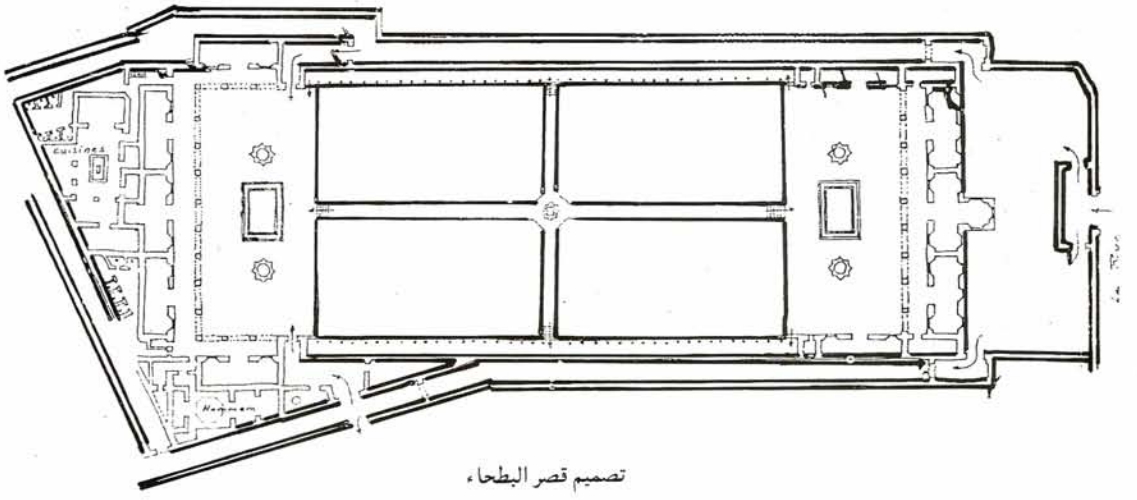

تصميم قصر البطحاء

وفي سنة 1915/1334 أصبح قصر البطحاء مقراً لأول متحف أُنشئ بالمغرب، وهو يعتبر من أكبر متاحف المملكة نظراً للقيمة التاريخية والتراثية التي تمتاز بها المجموعات التي يتوفر عليها، خصوصا في ميدان الآثار والفنون الاسلامية الحضارية بالمغرب.

ومن المجموعات الموجودة بهذه المؤسسة نذكر :

1 ـ الخشب المستعمل في المباني العتيقة والاثاث ذي الطابع الديني، وأذكر منها قطعة مزخرفة بخط كوفي بديع يرجع تاريخها إلى عهد الادارسة (داوود بن إدريس سنة 256 هـ)، وقطعا أخرى من الخشب المنقوش والمخروط والمزوق بالألوان، وأغلبها يرجع إلى عهد الدولة المرينية (1358.1258/760.656) التي تعتبر بحق الدولة التي خلفت أكبر عدد من البنايات وأجملها بمدينة فاس.

وتضم المجموعة الخشبية بمتحف البطحاء عدداً من المنابر، أهمها منبر مسجد الأندلس الذي يرجع صنعه إلى القرن الرابع الهجري، وهو أقدم منبر في العالم الإسلامي بعد منبر جامع القيروان بتونس، أول إنجاز فني يحمل بصمات الفن الإسلامي المغربي.

2 ـ مجموعات من الجبس المنقوش والزليج والرخام والبرونز إلى غير ذلك مما يتعلق بالفنون المعمارية.

3 ـ مجموعات الفنون التقليدية الحضرية : كالخزف والطرز والنسيج وأثاث معدنية، ونعرف أنّ الخزف يعتبر من الفنون العريقة بمدينة فاس، ويحتوي هذا المتحف على مجموعة هامة تبين ما استطاع الخزفي الفاسي إنتاجه من أواني منزلية جميلة ذات زخارف نباتية وهندسية وخطية إلى غير ذلك.

وتبين قطع المخطوطات مدى اهتمام المغربي بفنون الكتاب من خط وتزويق وتسفير، فمجموعات البطحاء تمهد للمهتم كيفية تتبع تطور هذا الفن من القرن السادس الهجري إلى اليوم.

4 ـ مجموعات الفنون القروية، منها مجموعة الزرابي من انتاج بعض قبائل الأطلس المتوسط والمغرب الشرقي، كبني وَرَاين وبني سَدّنْ وبني مْگيلْدْ وبني بويحيي الخ، والفخار المصنوع في أشهر المراكز المغربية كالتسول وسلاس وبني ورياغل والبهاليل، كما يحتضن هذا المتحف أيضاً عدداً من التحف الأخرى كالحلي والنقود المغربية والأسطرلابات إلى آخره.

منتزه داخل قصر البطحاء

والجدير بالذكر أن قصر البطحاء كان مقراً لتنظيم الحفلات ذات الطابع الديني والثقافي كموسم مولاي إدريس، والعروض المسرحية، والسهرات الموسيقية والندوات إلى غير ذلك من الأنشطة التي تشهدها المدينة.

دراسة ميدانية.

علي أمهان

البط، طيور مائية من فصيلة البطيات Anatidae ورتبة كفيات القدم Palmipèdes وصفيحيات المناقر Anseriformes التي تشمل عشيرة الإوز والتم وغيرها.

البط مفرده بطة ويقال أيضا بَركة جمعها بْرُك وبراك كما هو شائع في شمال افريقيا وفي الشرق العربي. إن البط الإوز واحد في اللغة ويميز العلماء بينهما في العشيرة والجنس.

تتكون عشرة البط Anatinae من جنس البط Canards وجنس البلقشة Harles وجنس الحذف Sarcelles وجنس العفاس Fuligules.

البط شبيه بالإوز في هيئته إلا أنه أصغر منه، الأرجل والعنق قصيرة. المنقار عريض ومصفح. الأقدام كفية مما يساعدها على السباحة.

يتميز البط بازدواجية الشكل الجنسي : للإناث ألوان موحدة، شقراء بنية في أغلب الحالات، وللذكور ألوان مختلفة براقة ولامعة تساعد على معرفة النوع.

تبيض الأنثى ما بين 8 و12 بيضة ابتداء من مارس تحضنها لمدة تتراوح ما بين 21 و25 يوما. تطير الفراخ بعد خمسة أسابيع على الأقل. يتكون غذاء البط من مختلف الحيوانات المائية اللافقرية كالحشرات والقشريات والديدان والحلزونات ومن أوراق النباتات، كما أنها تصفي كل ما في الماء من بذور وطحالب وبلنكتون Plancton. تتغذى أنواع البلقشة من الأسماك وهي تحسن الغطس. يفضل البط العيش في البحيرات العذبة والمالحة الكثيرة النباتات.

تضم عشيرة البط 116 نوعا، 17 منها تعيش في المغرب خلال فصل الشتاء. إنها طيور مخالطة، تتنقل وسط مجموعات عديدة الأفراد وتنظم في الجوَ خطوطا منحرفة أو على "٨" أثناء القطع الذي يتم في أوائل فصل الشتاء (قادمة من أوروبا لتشتو في المغرب وجنوب الصحراء) وفي أوائل فصل الربيع (لتتوالد في شمال أوروبا وأواسطها).

تتوالد ثلاثة أنواع من البط في المغرب :

1 ـ البط ذو العنق الأخضر، المعروف بالخضيري Anas platyrhynchos وهو أكثر الطيور انتشارا على طول الساحل الأطلنتي وحول البحيرات والمستنقعات حيث يصل عدده إلى أزيد من 12.500 أعظمها تأتي من أوروبا لتضاف إلى الأفراد التي تعيش في المغرب. العنق والرأس أخضران لامعان عند الذكر، تتوسط العنق حلقة بيضاء رقيقة، الصدر بُني، البطن رمادي، الأقدام برتقالية. يبلغ طوله 58 سم وطول بسطة جناحيه 95.80 سم ويزن ما بين 900 و1400 گرام. يبني عشه وسط العشب المكثف القريب من الماء وكثيراً ما يألف الإنسان ويعيش بجانبه. قنصه منظم في جميع الدول. إنه أصل البط الأهلي الذي دُجّن منذ زمن بعيد.

2 ـ شهرمان أو أبوفروة المسمى علمياً Tadorna ferruginea هو بط بري أحمر الرأس والعنق، في أسفل عنقه طوق أسود وسائره أمغر أي ضارب إلى الحمرة. يطلق عليه في المغرب البرك الأحمر، ويكثر في البحيرات الجبلية وفي المستنقعات والوديان بالمناطق الشبه الصحراوية. يبلغ طوله 64 سم وطول بسطة جناحيه ما بين 105 و115 سم ويزن ما بين 800 و1500 گرام. يتراوح عدده ما بين 650 و800 ومن المحتمل أن كل أفراده آبدة في المغرب وقنصه منظم.

3 ـ الحذف المعرف Anas angustirostris هو النوع الثالث الذي يتوالد في المغرب وهو بط صغير يبلغ طوله 41 سم يألف المناقع وشواطئ الأنهار والبحيرات، الأرجل خضراء زيتونية والظهر أبيض وأشقر. يتوالد في مَخْلف سيدي

بوغابة ولا يزيد عدده عن 50 زوجة هناك إلا أن عدده في باقي مناطق المغرب يفوق 500 فرد.

يشتو في المغرب ما يعادل 50.000 فرد من البط يأتي معظمه من أوروبا وعلى رأسه البط الصافر Anas penelope وأبو ملعقة Anas clypeata اللذان يشكلان ما يعادل 30.000 فرد. يتكون العدد الباقي من الأنواع الآتية : الحذف الصيفي Anas querquedula وهو أقلهم عدداً، الحذف الشتوي أو الشرشير Anas crecca، البلقشة المتوجة Mergus scrator، البط الأشقر Netta ruffina، العفاس fuligula Aythya وA. nyroca وA. ferina، البلبل Anas acuta وA. strepera وTadorna tadorna وAnas discors الذي يعد من البط النادر جداً في المغرب. توجد أيضا في فصل الشتاء بالسواحل الأطلنتية والمتوسطية Melanitta nigra قنص البط منظم في المغرب ويمنع صيده في المخالف.

P. Geroudet, *Les Palmipèdes*, Genève, 1972, p. 284 ; H. Heinzel, R. Littre et J. Parslow, *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Genève, 1972, p. 319 ; M. Thevenot, P. Bergier, et P.C. Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, Document Inst. Scient., Rabat, n° 6, 1981, p. 95.

محمد رمضاني

بطّاش (سيدي ـ) ـ جغرافيا ـ قرية تعتبر مركزاً لهضبة سيدي بطاش وهي جزء من بلاد زعير السفلى التي تنتمي لشمال غرب الهضبة الوسطى. يشكل واد كريفلة حداً شرقيا، وواد الشراط حداً طبيعياً من الغرب. تنقسم هذه الهضبة إلى متون وعناصر هضبية طولية وواسعة تفصل بينها أودية تتجاوز 250 م عمقاً.

سيدي بطاش

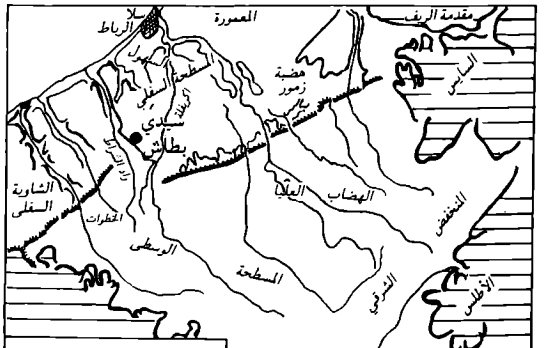

الانحدار العام من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حيث تتناقص الارتفاعات من 520 م جنوباً إلى 200 م عند مشارف هضاب سيدي يحيى زعير.

ويتميز السطح الطبغرافي بانتشار منخفضات مغلقة تملأ بالمياه خلال الفصل المطير وتعطي المنطقة طابعا خاصاً.

ـ جيولوجياً : تتميز المنطقة بانتمائها للقاعدة الأولية، ولم تعرب إرسابات الزمن الثاني لأنها ظلت مرتفعة. كما أن توضعات الزمن الثالث محدودة جداً. وقد تأثر السطح بمحاور نهرية فيلافرانشية مملوءة بإرسابات من عالية الهضبة الوسطى غنية بالحصى تفصلها هضاب عرفت تفسخا محلياً للقاعدة أعطى فسخات غنية بتصلبات فلزية خصوصاً في المجالات التي تحتلها الضايات.

ـ عناصر المناخ : تتميز بالطابع شبه الجاف، فالتساقطات تتميز بعدم انتظامها وتركزها الفصلي واليومي الحاد مع ما لذلك من آثار كالتخديد والانزلاق وانجراف المواد الدقيقة. متوسط التساقطات 462 ملم علما أن المنطقة لا تبعد عن المحيط إلا بـ 38 كلم. وعدد أيام المطر 58 يوماً.

متوسط الحرارات القصوى 25،8° أما متوسط الدنيا 5،5°.

تتميز المنطقة باحتوائها على واحدة من أكبر غابات البلوط الفليني بالمغرب، ويمثل النبات الأوجي المتوازن مع البيئة المحلية التي تقع بين الطابق البيومناخي شبه رطب وشبه الرطب، ويتوزع النبات بالشكل التالي :

ـ على سطح الهضبة تنتشر غابات البلوط الفليني.

ـ على السفوح الشميسة والقوية الانحدار تنتشر الزيتونيات والعرعر البربري.

ـ على المصطبات نجد البطم والزبوج والطرفاء والخزامى وشجر الغار.

ـ هناك نباتات فصلية متحملة للميهة في الضايات.

ـ على السفوح العارية والهوامش المجتثة تنتشر أشجار الصنوبر الجبلي و الاوكالبتوس وهي أنواع مشجرة اصطناعيا.

فيما يخص التربة فهي تتنوع حسب وضعيتها الطبغرافية والقاعدة الصخرية، فعلى سطح الهضاب تمتد الأتربة الميهة الغنية بالتعقدات الفلزية وتتميز بلونها الأحمر، أما فوق السفوح فتوجد أتربة ضعيفة التطور. وعلى الدرجات النهرية نجد أتربة ترسية أو طينية حمراء غنية بالحصى.

عرفت المنطقة استقرارا بشريا حيث تعيش قبائل زعير ذات التقاليد العربية كالسكن في الخيام والرعي والعناية بالخيول.

وقد استقرت قبائل المنطقة أول الأمر في الأطلس المتوسط حيث مارست الرعي، وقد أشار الحسن الوزان إلى أنهم كانوا يوجدون خلال القرن العاشر (16 م) في منطقة خنيفرة، واستمر زحفهم نحو الشمال الغربي، وفي القرن الموالي دفعهم من طرف قبائل زيان نحو أودية بورقراق، وكريفلة، وگرو.

وفي أصلهم خلاف فحسب الوزان يرجع أصلهم إلى بني معقل وقد وصلوا إلى المغرب في القرن السادس (12م). بينما يشير ابن خلدون إلى أنهم ينتمون لقبائل لواتة الزناتيين الرعاة وقد أتوا من برقة بليبيا. لكن حتى تسميتهم فهي عربية خالصة وتعني "الصعلوك أو الجوال".

وأهم القبائل المحيطة بمركز سيدي بطاش : بني عبيد، أولاد ميمون، أولاد خليفة في الشمال، السلامنة، أولاد زيد أولاد قطير أولاد عمران، الرواشد في الجنوب.

بين الحربين العالميتين توطد الاستعمار الفرنسي والخاص على سطح الهضبة حيث استولى حوالي 180 معمر على مساحة أربعين ألف هكتار وقد أدى ذلك إضافة إلى النمو الديمغرافي والضغوط الادارية إلى استقرار السكان نهائيا، لكن ظل الرعي مورداً أساسياً خصوصاً على هوامش الغابات وحول الضايات وفي الأراضي البائرة.

ويتم استغلال الغابة لمدة طويلة خلال السنة في إطار نظام إحصائي لعدد الأيام بين مختلف الفخذات يصل أقصاه إلى 300 يوم، الشيء الذي يؤثر على نمو الغابة واستمراريتها بالاضافة إلى استغلالها للاستعمال المنزلي كالحطب والتدفئة والبناء.

لذا تتخذ إجراءات حمائية كتحديد أيام الرعي، ومنع أراضي السفوح العطوبة وتحريم دخول الماشية إلى المجالات التي تكون في طور الانبات، وتشجير المناطق العارية بأشجار ملائمة للبيئة وسريعة النمو بالاضافة إلى المنع التام لقطع الغابة أو حرقها وفرض ضرائب على قطعان الماعز للحد من تربيتها لأثرها السلبي على النبات.

ـ الحياة الاقتصادية تتمثل بالاساس في الزراعة والرعي واستغلال الغابة بالاضافة إلى التجارة والمبادلات الداخلية بين الأسواق المحلية أو مع المدن الكبرى المجاورة.

تتوفر المنطقة على أسواق أسبوعية كثيرة مثل سوق خميس سيدي بطاش، يحيط به سوق ثلاثاء سيدي يحيى شمالا، وسوق ثلاثاء صيبارة جنوباً. وسبت مغشوش شرقا، وسوق بئر الكلب في ج غ هذه الأسواق لها أهمية بالغة حيث تربط بين المركز والشاوية غربا، والقبائل الساحلية لمنطقة الرباط شمالا.

ومن أهم المنتجات بالمنطقة القمح الصلب والطري والشعير والمغارس والقطاني والذرة بالاضافة إلى اللحوم والألبان ومشتقاتها. تنتمي جماعة سيدي بطاش إداريا إلى اقليم الخميسات دائرة الرماني، عدد سكانها 10.550 ن سنة 1982 بكثافة تصل إلى 20 ن /كم^2.

يتميز السكن القروي بتمزقه، ونادراً ما تُصادف تجمعات سكنية متقاربة، وتنتشر المنازل المنعزلة حتى داخل المجال الغابوي وعلى هوامشه، ويتميز السكن في غالبيته بالنوع الصلب أو المبني مع استعمال الخيمة في إطار محدود وخصوصاً في فصل الصيف أو أثناء التنقل بالقطعان.

أخيراً تتوفر منطقة سيدي بطاش على إمكانيات سياحية مهمة تتمثل بالأساس في توفرها على غابة غنية بالحيوانات والطيور توفر المتعة للممارسين لهواية القنص، نذكر منها غابة بني عبيد 15.000 هكتار. غابة كريفلة 15.000 هكتار، غابة سلامتة 5.500 هكتار، غابة الواد العاطش 15.500 هكتار، غابة صيبارة 9.000 هكتار. وكل هذه إمكانيات هائلة مازالت لم تستغل كاملة، وتكوّن ذخيرة بالغة الأهمية بالنسبة للمنطقة.

ر. نافع، *دراسة جيورفلوجية لمنطقة سيدي بطاش*، ر. د. د. ع. الرباط 1987 ؛ *البيئة الطبيعية والسلوك البشري في منطقة عطوية مثال : هضبة سيدي بطاش*، مجلة بحوث، كلية الآداب III بالمحمدية، ع. 1، ص 197،212.

P. Aubert, *Le Pays des Zaers, B. E. S. M.*, Vol. XXIV, 1961 ; *La Mise en valeur et équipement rural de la province de Rabat, B. E. S. M.*, N° 69, 1956 ; *Rabat et sa région, Villes et Tribus*, T. III, Paris, 1920 , Sicar, *L'Organisation des Zaers, R. M.M.*, T. XI, Juin 1910.

رشيدة نافع

بطاش (سيدي ـ) ـ تاريخ ـ مركز قيادة قبيلتي السلامنة والحلاليف في بلاد زعير تابع لدائرة الرماني التابعة لعمالة الخميسات.

كان سيدي بطاش في بداية القرن العشرين عبارة عن روضة لدفن الموتى، ويبدو أن تلك الروضة اتُّخذت بجوار مدفن أحد الصلحاء المسمى بهذا الاسم، تكاثرت العمارة حولها إلى أن تأسست فيها قيادة سيدي بطاش سنة 1979، بعد أن كانت تابعة لقيادة أحد الغوالم.

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الرجل الصالح غير معروف، كما لا يعرف تاريخ وفاته. على أنه يمكن الاستئناس بالرواية الشفوية التي تشير إلى أن الأمر يتعلق بعالم ينتمي لجهة أخرى، توفي ودفن بالمنطقة. روضة سيدي بطاش اليوم مهجورة، وبقربها ضريح أو روضة أخرى مهجورة أيضاً تنسب لشخص آخر يسمى سيدي محمد المباركي.

يعمر بسيدي بطاش سوق أسبوعي كبير يوم الخميس منذ العشرينات من هذا القرن. فحتى سنة 1916 كان السوق الأسبوعي لقبيلة السلامنة يعمر بعين فوزار، وهو مكان مشهور معدّ لتخييم المحلات السلطانية في الطريق بين مراكش وفاس عبر الرباط. وكان السوق يعمر يوم الأحد وعندما حول لمركز سيدي بطاش أصبح يعمر يوم الخميس.

روايات شفوية.

Cicar, *L'Organisation des Zaers, R. M. M.*, 1950.

علال الخديمي

بطاش (بن ـ)، هارون المعروف بهارون اليهودي في مخطوط مؤلفه مجهول وعنوانه : *ذكر قصة المهاجرين المسمين اليوم بالبلديين*، كما أن الوزان ذكره باسم بن شمون، يقال إن بن بطاش كان وزيراً بفاس للسلطان المريني عبد الحق، لكن أهل المدينة ثاروا على السلطان فجعلوا حداً لدولة بني مرين وقتلوا بن بطاش، وذلك عام 1465/869.

لم يترك بن بطاش أثراً يذكر في تاريخ يهود فاس في حين أن سبب اضطهادهم بعد الثورة ضد المرينيين، يرجع حسب ما ذكره الربي أبنير حسا رفاتي مستنداً بنفسه إلى ماورد على لسان الربي سعدياً ابن دثان ـ إلى الاتهام الموجه إلى اليهود بقتل أحد المسلمين (انظر أخبار فاس : *Yahas* (*Fas*, de Ribbis Abner Hassarfaty المصادر العربية متعددة لكن *رحلة عبدالباسط* بن خليل مصري هي الوحيدة التي أشارت إلى هذه الأحداث، مع العلم بأن صاحب الرحلة لم يشاهدها وإنما سمع عنها خلال إقامته بتلمسان

(عبدالباسط بن خليل : *الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم*. انظر كذلك : R. Brunschwig, *Deux récits inédits de voyage en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936) وحسب المؤلف فإن هارون بن بطاش كان صرافاً أو رجل أعمال يخدم الوزراء، فجعل منه عبدالحق شبه وزير لمواجهة ما كان لوزيره الوطاسي من نفوذ، فأصبحت لهارون أهمية كبرى، وعلت كلمته فوظف في شؤون الدولة بعض أقاربه من اليهود، منهم شاول بن بطاش الذي غدا يقوم مقامه كلما رافق السلطان في حركاته بنواحي تازا. فاغتاط سكان فاس لنفوذ اليهود وانفجر غضبهم يوم تطاولت وقاحة شاول فشتم امرأة شريفة وانهال عليها بالضرب، فغضب أهل المدينة وأخذوا في تقتيل اليهود - ومن بينهم شاول - ثم إلى تمردوا على السلطان، فاستولوا على السلطة ونصبوا محمد ابن عمران على رأس الدولة، ثم نصبوا كمينا لعبدالحق لجلبه إلى فاس لكن هارون نصحه بعدم التوجه إلى فاس، فاتهمه السلطان بأنه هو سبب الفتنة، وقتل أحد رجال حاشية السلطان هارون، وبمجرد ما وصل عبدالحق إلى فاس، ألقي عليه القبض وقتل ذبيحاً. ويقول الوزان في كتاب له باللغة اللاتينية عنوانه : *De viris quibusdam illustribus apud arabes*, Hambourg, 1726 (في تراجم بعض مشاهير الأعلام عند العرب) يقول : "إن هارون، ابن شنتون ولد في أسرة يهودية رفيعة الشأن بفاس، وكان طبيباً وفيلسوفاً وفلكياً وعضوا في الحاشية الملكية منذ كان السلطان شابا" وفي رواية أخرى للوزان "كان الوزير الوطاسي يسيطر على السلطان ويسوس البلاد، فأوحى إليه هارون بالتخلص منه. وبعده عين الوزير هارون وليا، فبقي بمنصبه سبعة أعوام إلى أن ثار السكان ودبر الأشراف مقتل هارون وهو في حركة مع السلطان، وعندما ألقي القبض على عبدالحق في أرباض المدينة، وضعه القوم على ظهر بغلة عرجاء ثم ذبحوه. تحلل المؤرخة الإسبانية مرسيديس گارسيا أرينال Mercedès Garcis Arenal في كتابها القيم : *ثورة فاس لعام 1465/869 وموت السلطان عبدالحق المريني* The Revolution *of Fas in 869 / 1465 and the death of sultan Abd Al-Haqq Al Mrini - BSOAS*, 41, 1978 كل المصادر المعروفة والأخبار المغربية التي أفرزتها رواية أحمد ابن القاضي في درة الحجال التي تكشف النقاب عن رجل ثالث اسمه الحسين، كان يستخلص الجبايات فلم يستثن منها امرأة من بيت الشرفاء، فضرب يوماً هذه المرأة. وقد مضى هارون وشاول يضطهدون الشعب والشرفاء والعلماء. وعالج كل من عبدالسلام القادري في *الدر السني* ومحمد القادري في *نشر المثاني* هذا الموضوع الذي اتخذ اتجاها آخر عند الناصري في *الاستقصا* حيث ورد أن الحسين كان يهودياً صاحب الشرطة ومكلفا باستخلاص الجبايات. وأضاف الناصري أن البرتغاليين كانوا في هذه الفترة يحتلون طنجة بينما آل جبل طارق إلى الإسبان، وهو آخر موقع كان بأيدي المرينيين بإسبانيا.

إذا أضفنا هذه المعطيات إلى تحركات الوطاسيين وتقليص رقعة مملكة فاس تبين لنا بوضوح مدى الضغط المالي الذي أمسى بنو مرين يعانون منه، فباتت مضاعفات الأزمة المالية تطغى على أهالي فاس بمن فيهم الشرفاء، فترتب عن هذه الحالة غضب السكان قاطبة، في حين أن الضغط المسيحي تزامن مع هذه الأحداث التي شكلت أحد العوامل الهامة لتنظيم المقاومة في ظل الطرقية الدينية القوية، مثل الجزولية وغيرها.

تتحدث الأخبار المتواترة عن تقتيل لليهود كاد يكون جماعياً، وهذا ممكن حسب بعض الرواة المسلمين الذين لم يعاصروا تلك الأحداث وحسب ما يؤكده الربي ساعديا ابن دنان الذي جزم بأنه لم ينج من اليهود في الكارثة إلا ما يقرب من عشرين رب أسرة وعدد قليل من النساء والأطفال. ولكن من هو يا ترى هذا الشخص المسمى ساعديا ؟ إن أقدم من حمل هذا الاسم كان ربيا بغرناطة قبل أن يهاجر إلى فاس ويتوفى بها عام 1493.

ومهما يكن فإن المؤرخ اليهودي المعاصر هيرشبيرغ Hirshberg, *A History of the jews in North Africa*, Leiden, 1974, p. 339 يخالف هذا الرأي بقوة مؤكدا عدم وجود أي نص يهودي مكتوب في عهد ذلك الجيل من اليهود، فلا صحة إذن لما قيل عن تقتيلهم جماعياً، وليس من الممكن أن يكونوا قد تمسكوا بمؤامرة الصمت عن حدث بالغ الهول كهذا، لذلك فإن الخبر يتميز بجانب خرافي، أي بالعنصر الروائي الأدبي كما أشارت إليه المؤرخة مرسيديس گارسيا أرينال.

المصادر المذكورة داخل النص.

سيمون ليفي

بطّالي، محمد بن المكي المكنى بـ "الفيرنسور" مقاوم ولد عام 1933 بالدارالبيضاء. وكان عضواً بارزاً في منظمة اليد السوداء. ومن بين العمليات الفدائية التي قام بها اغتيال الشرطيين "عدكوني" و"تيزيدو".

تم اعتقاله يوم 27 نوفمبر 1953 وحكم عليه بالإعدام بتهمة تكوين عصابة مجرمين ومحاولة اغتيال شرطيين عمداً. ونفذ في حقه هذا الحكم بتاريخ 9 دجنبر 1954 بسجن العاذر وهو ما يزال عازباً لم يتجاوزالسنة الواحدة والعشرين من عمره.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

بطّان، أو أبطان أسرة يهودية أعطيت كثيرا من الربّيين الذين مارسوا مهامهم الدينية بفاس والصويرة ومراكش والدارالبيضاء وجبل طارق، من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين.

بطّان، إسحاق، ربّي يستقطب قبره بدرعة عدداً هاماً من الزوار اليهود الذين يحجون إليه من جهات كثيرة.

بطّان، يعقوب ابن القبّالي مردخاي بطّان المراكشي، تولى مهام الربّي الأكبر لمدينة مراكش إلى أن مات عام 1873، وهو مؤلّف *حدّوشيم*، الذي يحتوي على تأويل أصيل لما يتضمنه التلموذ من نصوص فقهية وما يطرحه من مشاكل. ونشير إلى أن *حدّوشيم* تشكل بعض فصول كتاب عنوانه *قُولْ مبصّر* (القدس، 1908) الربّي يعقوب بطّان واسمه *موشي روزيليو*.

الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 8.

Y. Benaim, *Malke Rabbanam* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

بطّان (ابن ـ) الصنهاجي، يذكر ابن الخطيب تحت هذا الاسم كنيتين : الشيخ أبا الحسن بن بطان، والوالي الفاضل أبا محمد بن بطان. ويبدو أن الاسمين لشخص واحد.

فالأول يقول عنه :"... وخاطبت الشيخ أبا الحسن بن بطان، بقية الرعيل، وخاتمة الاسرياء، أهنئه بولده عبد الواحد... بعد اغتراب وشدة، وانبتات بالبلاد الشرقية عظم لأجله بثه، إلى أن تأتى خلاصه ..." (*نفاضة*، 2 : 145، 146 ؛ *ريحانة*، 2 : 198). ويتحدث عن كرم أبي الحسن المذكور والاعتذار له عن عدم الحضورللتهنئة :"لولا أنني ملازم حرمة لا أبرحها" ولعله يقصد حرمة ضريح أبي الحسن المريني بشالة. أما البلاد الشرقية التي يذكرها فيحتمل أنها تلمسان التي قد يكون قصدها عبدالواحد المذكور ضمن حملة أبي سالم المريني سنة 761.

أما الشخص الثاني، فيقول ابن الخطيب في بداية رسالته إليه :"وخاطبت الوالي الفاضل أبا محمد بن بطان... :

لا ناقة لي في صبري ولا جمل من بعد ما ظعن الأحباب واحتملوا
قالوا استقلّوا بعين الفطر قلت لهم ما عرسوا بسوى قلبي ولا نزلوا

(*ريحانة*، 2 : 195 ؛ *نفاضة*، 2 : 199). وهذا ما يفيد بأن المخاطب هو والي عين الفطر أو تيط بناحية أزمور، خصوصاً وأن المقري يضيف إليه لقب (الصنهاجي) (*أزهار*، 1 : 288 ؛ *نفح*، 6 : 484)، فيصفه ابن الخطيب بالجود والكرم، وربما يكون قد تعرف عليه في طريقه إلى جبل هنتاتة قبل الاستقرار بسلا. ويتضح من بعض الإشارات عند ابن الخطيب تعرض هذا الوالي للنكبة واستصفاء الأموال، وهذا شيء كان عادياً في فترة ضعف السلطة المركزية وتوالي السلاطين على الحكم بعمليات انقلابية، وهي فترة سادت فيها سلطة الوزراء. يقول ابن الخطيب مادحاً كما ورد في *أزهار الرياض* وفي *نفح الطيب* :

لله درك يا ابن بطان فما لشهير جودك في البسيطة جاحد...
ويستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد

ويثني عليه في شكل حوار بينه وبين شخص خيالي يصف فيه بتركيز أحوال بعض الولاة فيسأل :"... قلت : فوالي تيط ابن بطان ؟ قال : كوكب سحر، وكريم قرى ونحر، وأبهت وسحر، ما شئت من ترتيب وتقدير، وخليق بالبر جدير، وروض غدير... هذب الأدب خدامه، وأطاب الاحتفال خبزه وإدامه، إلى عطاء يحسب الاسل، ويثقل الناقة والجمل، عضه الدهرفما عض من طباعه، واستأثر بماله ورباعه، وتركه فريسة بين سباعه، فما حط من همته ولا قصر من باعه". (*نفاضة*، 2 : 277، مع بتر).

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ج 2 ؛ *ريحانة الكتاب*، ج 2 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 1 : 288 ؛ *نفح الطيب*، 6 : 484.

أحمد عزاوي

بطّوطة (ابن ـ)، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي. ولد بطنجة في 17 رجب 25/703 فبراير 1304. جل معلوماتنا عن حياته نستقيها من رحلته المشهورة التي تبوئه المرتبة الأولى بين الرحالين المسلمين على الإطلاق. ولا وجه للمقارنة بينه وبين معاصره الرحالة الإيطالي المعروف "ماركو بّولو" الذي ذهب من البندقية متجهاً إلى الصين حيث أقام ست عشرة سنة في ضيافة الامبراطور المغولي كوبيلاي خان حفيد جنكيز خان، ثم عاد إلى بلاده عن طريق البحر. فابن بطوطة تفوق عليه بكثرة البلاد التي زارها وأقام بها، وبطول المدّة التي قضاها في غيبته. وتفوّق عليه بشيء أهم، وهو أنه كمسلم استطاع أن يمتزج مع سكان البلاد التي زارها، إذ أكثرهم مسلمون واختلط بهم عن طريق المصاهرة والوظائف التي تقلدها، والاتصالات المختلفة التي أقامها مع أعيان البلاد وعلمائها.

وليست لدينا معلومات كثيرة عن نشأته. ولم يهتم أبناء بلده المغاربة بكتابة ترجمته. ولعل تخليه عن كتابة رحلته بنفسه يدل على ضعف مواهبه في الكتابة. ومع ذلك، فإن قيامه ببعض الوظائف الدينية المهمة مثل القضاء يكفي كبرهان على تمكنه من علوم الشريعة وتحصيله جملة صالحة من مادة الثقافة السائدة في عصره.

انطلق ابن بطوطة في رحلته الطويلة ابتداء من ثاني رجب عام 13/725 يونيو 1325. فخرج من طنجة في ذلك التاريخ "معتمداً، كما يقول في بداية رحلته، حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول" فقصد إلى تلمسان ثم من هنالك إلى مليانة، فإلى مدينة الجزائر، فبجاية، فقسنطينة، فبونة، فتونس، فسوسة، فصفاقس، فقابس، ثم طرابلس. وتزوج في تلك الأثناء ببنت من تونس اضطر إلى فراقها ليتزوج ببنت مغربية، ويصل في النهاية إلى الاسكندرية التي يطنب في وصفها، وبعد ذلك إلى القاهرة التي يسميها "مدينة مصر" واصفاً إياها "أمّ البلاد، وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة".

وينتقل بعد ذلك إلى الجنوب في أعالي النيل فيزور بلاد الصعيد وبعض المدن مثل البهنسا ومنفلوط وأسيوط وإخميم، وتنتهي رحلته هنالك في عيذاب "مدينة كبيرة

كثيرة الحوت واللبن" واتجه بعد ذلك إلى الشام فمر بفلسطين، حيث زار مدينة الخليل والقدس التي وصف معالمها الدينية. ووصل إلى لبنان فزار صور، فصيدا، فبيروت، فطرابلس، فحمص، فحماة، فحلب التي أفاض في وصفها، ثم تحدّث عن بلاد النصيريين ومدينة اللاذقية ليصل إلى مدينة دمشق "التي تفضل جميع البلاد حسنا وتتقدمها جمالا".

ومن الشام يتجه إلى المدينة، فيدخل "الحرم الشريف" ويخصص صفحات لوصف معالمها ومزاراتها، ويتجه بعد ذلك إلى مكة التي يفيض أيضا في الحديث عنها، واصفاً المسجد الحرام والكعبة المشرفة وكسوتها والصفا والمروة وعرفة.

وفي 20 ذي الحجة عام 17/726 نوفمبر 1326، يغادر ابن بطوطة مكة، متوجها نحو العراق، حيث يبدأ بزيارة مدينة النجف، ثم واسط فالبصرة "إحدى أمهات العراق الشهيرة الذكر". ومن هناك توغل في بلاد الفرس، فزار اقليم خوزستان، وفارس حيث يقف طويلا على مدينة أصفهان، ثم يتجه إلى شيراز "مدينة أصيلة البناء، فسيحة الأرجاء، شهيرة الذكر منيفة القدر" فيتوسع في وصفها. ويعود أدراجه نحو العراق، فيمر على الكوفة "مثوى الصحابة والتابعين" ثم يصل إلى بغداد "متوى الخلفاء ومقر العلماء". ويتحدث عن الخراب الذي أصابها ويصف بعض آثارها كالمساجد وقبور الخلفاء والصالحين. قبل أن يتجه إلى الموصل.

ويجاور بعد ذلك طوال ثلاث سنين بالبقاع المقدسة من عام 727 إلى عام 1330.1327/730 ويتجول في البحر الأحمر ويزور اليمن، حيث يقيم في ضيافة سلطانها وشاهد مدنها مثل صنعاء وعدن وزيلع، ثم يتجه إلى الساحل الشرقي في أفريقيا، فيزور موكاديشيو وقد نزل أيضا في ضيافة سلطانها. كما زار مراسي أخرى في أفريقيا الشرقية، ثم عاد أدراجه إلى البقاع المقدسة عن طريق عمان والخليج العربي فأدى حجة أخرى عام 1332/732.

بعد ذلك قام برحلة ثانية إلى مصر فسوريا فآسيا الصغرى حيث انتشرت الإمارات التركية في عدد من جهاتها وتقلصت رقعة الدولة البيزنطية. ووصل في تجواله إلى بلاد القفجق Cosaques وبلاد القرم Crimée والبلغار وتجول في بلاد التتار. وزار بعد ذلك القسطنطينية، عاصمة الأمبراطورية البيزنطية واستطاع أن يحظى بمقابلة الامبراطور "نكفور" ويزور تلك المدينة التاريخية ويتحدث عن معالمها. ثم اتجه بعد ذلك إلى بلاد خوارزم، وانتقل إلى ما وراء النهر فزار بخارى، وتحدث عن خرابها على يد التتار. واستقبله ملك ما وراء النهر. كما زار بلاد أفغانستان.

وفي فاتح محرم عام 12/734 شتنبر 1333، وصل إلى الهند وأقام بدلهي إلى غاية سنة 1342/743 أي أنه أقام بها تسع سنوات. وتوسع في ذكر معالمها وغرائبها وزار "دلهي" أي دلهي الحالية. فوصفها بأنها "مدينة كبيرة الساحة، كثيرة العمارة" وأفاض في وصف مسجدها المتميز بكبره وهندسته ومواد بنائه ولما تحدث عن صومعته قال :"وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة".

ويزور بعد ذلك عدة جهات أخرى في الجنوب الشرقي بآسيا مثل جزر المالديف وسيلان والبنغال وأسام وسمارة. ثم يصل إلى الصين. وكانت أول مدينة نزل بها هي ميناء الزيتون وزار مدينة شوان شوفو. وقد خرج بانطباعات مهمة عن تلك البلاد التي يتحدث عنها بقوله :"واقليم الصين متسع، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض". وتحدث عن الفنون والصناعات الصينية وعن الأحكام والتنظيمات الادارية بتلك البلاد، دون أن ينسى الكلام عن الجماعات الإسلامية المستوطنة بها.

وفي محرم عام 748/أبريل - ماي 1348 خرج من الصين واتجه إلى سوماطرة، ثم انتقل بعدها إلى ملابار. وكان في طريق العودة من رحلته الطويلة، حيث يمم الخليج العربي وزار بغداد مرة أخرى، ثم سوريا، ثم مصر وحج مرة أخرى. وأخذ الطريق من جديد ماراً بمصر، فالاسكندرية، فتونس فجزيرة سردانية، فالجزائر، ففاس، فغرناطة، ففاس. وكان ذلك في سنة 1350/750.

لكن ابن بطوطة لم يطل به الاستقرار أكثر من سنتين ونيف حتى اشتاق للرحلة من جديد، فخرج في محرم عام 753/فبراير 1352 من سجلماسة في رفقة قافلة. فقطع الصحراء وزار الأفارقة وملوكهم ورجالهم ودرس عاداتهم، ورجع في السنة الموالية إلى سجلماسة وبذلك انتهت رحلات ابن بطوطة التي دامت ثلاثين سنة تقريبا.

كان من الضروري التعرف، ولو بمنتهى الاختصار، على المسالك والطرق الكبرى التي مر منها ابن بطوطة حتى نستطيع تقويم رحلته ووزن أهميتها بالنسبة لمن سبقوه أو عاصروه من كبار الرحالين. ونستطيع أن نقول، دون تردد، أنه يفوقهم جميعا. وليس من المستبعد أن يكون هنالك أشخاص سافروا وتجولوا أكثر منه. وقد تحدث لنا هو نفسه عن لقياه مغربياً آخر في بلاد الصين أصله من سبتة. ولكن ميزته هو أنه كتب رحلته، بينما الآخرون لم يتركوا لنا شيئا. وتفوقه على أصحاب الرحلات المكتوبة يتجلى :

1 - في اتساع البقعة الجغرافية التي زارها والتي تمتد من المحيط الأطلنتي غرباً إلى بحر الصين شرقاً، ومن بلاد التتار شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوبا. وهكذا زار القارات الثلاث التي كانت معروفة في عصره وهي أفريقيا وأروبا وآسيا. وعرف عدة بحار مثل المحيط الأطلسي والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي والمحيط الهادي وبحر الصين الخ ....

2 - في طول المدة التي قضاها في رحلاته والتي تقترب من ثلاثين سنة. الشيء الذي مكنه من إغناء اطلاعه

باستمرار وتعميق معرفته بالأشياء والأشخاص والأحداث.

3 ـ في أهمية اتصالاته. فهو لا يلج البلاد كأي مسافر، بل يهتم برجالها وكبرائها ويسعى للاتصال بهم والتعرف عليهم. فيلتقي برجال العلم والقضاة والشرفاء من آل البيت والأولياء. بل إنه يجد السبيل لربط الصلة مع الملوك والأمراء في عدد من البلدان التي زارها مثل أفراسياب ملك إيذج وتستر ؛ وأبي سعيد بهادر خان ابن محمد خذابنده التتري، سلطان العراق وخرسان ؛ والامبراطور نكفور بالقسطنطينية ؛ وسلطان ما وراء النهر علاء الدين الخ ... والأمثلة كثيرة. ففي أي محل وصل تكون له، في الغالب، لقاءات على أعلى المستويات. ومن ذلك يخرج بمعلومات لا يفوز بها الزائر العادي، وتفتح له الأبواب ويلتقط الروايات من أفواه رجال لهم مكانتهم في المجتمع وكفاءتهم الفكرية.

4 ـ في فضوله وتطلعه إلى اكتشاف الأسرار ودقة ملاحظته واهتدائه إلى الأشياء الجديرة بلفت النظر والتسجيل.. فما أكثر اللوحات التصويرية التي قدم لنا عن مجتمعات مختلفة مثل مجتمعات الهند والصين وبلاد السودان بأفريقيا.

5 ـ في محصول الرحلة بالنسبة لبعض العلوم، مثل التاريخ والجغرافيا والإثنوغرافيا والتراجم الخ... فهنالك تعريف بكثير من الدول الاسلامية المعاصرة وبدول أخرى غير إسلامية، ووصف لكثير من العادات والتقاليد المحلية، وإشارات متعددة للإنتاجات الزراعية والمعدنية، ووصف لمشاهد الطبيعة من جبال ووديان وسهول، وذكر لعدد من الرجال من حكام وقضاة وفقهاء وعلماء وصوفية.

أثارت رحلة ابن بطوطة قديما وحديثا الاهتمام. وهكذا نجد السلطان المريني أبا عنان يعجب بها ويأمر بتدوينها ويكلف أحد أدباء البلاط ابن جزي بمساعدة ابن بطوطة على تحريرها. ولا أدل على الشهرة التي أدركتها الرحلة من شهادة ابن خلدون، الذي يشير إلى ورود ابن بطوطة على بلاط أبي عنان بعد رحلته الطويلة ويقول :"وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض. وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه المستمعون" (1 : 323) فيتضح من هاته الرواية أن ابن بطوطة قبل أن يدون رحلته حدّث الناس بها. وهذا ما أثار فضولهم واستغرابهم ودفع إلى الأمر بتدوينها.

وقد أثارت كتابة الرحلة تعاليق بسبب كونها عملا مشتركا بين مؤلفين : ابن بطوطة وابن جزي. وليس من الصعب التمييز بين كلامي الرجلين. فهنالك فقرات مكتوبة بأسلوب طبيعي وسهل تحتوي على معلومات وعناصر ملموسة، لا أثر فيها للتكلف وهي التي يمكن نسبتها لابن بطوطة. وهنالك فقرات أخرى قليلة المحتوى ولكنها تتميز بالتأنق في إنشائها ولجوئها للوسائل البيانية وربما كان فيها تقليد لابن جبير وغيره. ولا ينسى ابن جزي، في بعض الأحيان، أن يشير إلى كونه هو صاحب الكلام الآتي من بعد. ويوضح في مقدمة الرحلة طبيعة العمل الذي قام به بقوله :

"ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبدالله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضحة للمناحي التي اعتمدها، وربما أوردت لفظه على وضعه، فلم أخل بأصله ولا فرعه. وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار (*رحلة*، ص 8).

ظلت رحلة ابن بطوطة تقرأ في المغرب وفي البلاد العربية دون أن تثير كثيراً من التعاليق إلى أن حل القرن الثالث عشر (19 م). وكان العلماء والمستشرقون الأوربيون، بالخصوص، يجهلونها ويجهلون مؤلفها إلى ذلك العهد. وكان أول من اكتشفه بعض الرحالين الأوربيين مثل زيتسن Seetzen وبوركهارت Burckhardt. وفي سنة 1829، قام العالم الانجليزي لي Lée بترجمة *مختصر الرحلة*. كما ترجمت الرحلة بمتنها الكامل إلى البرتغالية. وحصلت المكتبة الوطنية بباريس على عدة مخطوطات، منها فصول بخط ابن جزين نفسه. وقام المستشرقان دوفريري Defrémery وسانگينتي Sanguinetti بترجمتها إلى الفرنسية فيما بين سنتي 1853 و1858 في أربعة أجزاء، واستقبل الكاتب الفرنسي رونان Renan بكثير من الاهتمام هذا العمل. وهنالك ترجمات أخرى يطول تعدادها، ولعل أهمها جميعاً هي التي أنجزها المستشرق الانجليزي جب Gibb مشفوعة بتعاليق جد مفيدة. ولا ننس، في الأخير، الاهتمام الذي أظهره المستشرق أندري ميكيل André Miquel في كتبه وفي الدراسة التي خصصها له في *دائرة المعارف الاسلامية* (الطبعة الثانية).

يبقى علينا، في الأخير، أن نقوم ولو بتقويم موجز للرحلة وعطائها العلمي. لقد جمع ابن بطوطة في شخصه بين صفات المستكشف للعالم وصفات العالم الانتروبولوجي والجغرافي والمؤرخ. وهي صفات قلما تجتمع في شخص واحد. هل كان محقاً ومحققاً في كل ما أورده في رحلته ؟ قد تكون هنالك هنات وأخطاء مرجعها إلى النسيان لأن ابن بطوطة اعتمد على ذاكرته أكثر مما اعتمد على مذكراته. ولكنه، على العموم، كان صادقاً ومدققاً في الكثير مما أورده.

فرحلته إلى أفريقيا، مثلا، ظلت هي القول الفصل، كما ذكر كراتشكوفسكي، في الموضوع إلى عهد الرحلات الأوربية في القرن التاسع عشر. وقد شكك عدد من الباحثين في كون ابن بطوطة وصل إلى الصين. لكن كراتشكوفسكي Krachkovski المتخصص في الأدب الجغرافي العربي يبين بالحجة أنه لا مجال لتكذيب ابن بطوطة، ثم استشهد بقول الباحث الياباني ياماموتو Yamamoto :"إنه لمن العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده. حقاً، إن وصفه المفصل لتلك البلاد يشمل عدداً من النقاط الغامضة، ولكنه لا يخلو أحيانا من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة

مباشرة عن الصين". (كراتشكوفسكي، *تاريخ*... ص 466).

وابن جزي الذي كتب الرحلة كان هو أول من شعر بأهمية الرجل وقيمة رحلته حيث أصدر عليه هذا الحكم في ختام الكتاب :

"ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر. ومن قال : رحال هذه الملة لم يبعد" (ص 681).

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الحكم أنه كان أكبر رحال في العالم بأسره إلى غاية القرن الرابع عشر، وأن العرب لم ينجبوا بعده رحالا من هذا المستوى، وتركوا مهمة استكشاف العالم للأروبيين. وليس بين وفاة ابن بطوطة واكتشاف أمريكا إلا قرن ونيف.

وكانت وفاته بالمغرب في سنة 1377/779. فيكون قد عاش ثلاثاً وسبعين سنة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 1 : 322 ؛ م. ابن بطوطة، *الرحلة*.

H. A. Gibb, *Notes sur les voyages d'Ibn Battuta*, in *Etudes Levi-Provençal*, 1962 ; R. Blachère et H. Darmaun, *Extraits des principaux géographes arabes du Moyen Age*, Paris, 1957 ; A. Miquel, *Ibn Battuta*, in *E. I*, 2.

محمد زنيبر

البَطُّومي، أسرة تطوانية لعل أصلها من الجزائر لأنها لم تكن موجودة بتطوان قبل سنة 1830/1246، لذلك ربما كانت من الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي لبلادها. وكان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد من بينهم الجندي محمد البطومي في السنة المذكورة، كما نجد الجندي عبدالصمد البطومي وعبدالرزاق البطومي وأحمد البطومي ومصطفى البطومي سنة 1832/1248 وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَطُّوية أو بَطِّيوة، أو بني بطوي، أسماء مشتقة من الأصل الأمازيغي أبطوي، جمع إبطوين. وإذا التجأنا إلى المفهوم اللغوي للفظ، وجدنا أن المعنى موافق لما يفهم من لفظ "بطو". وهذا دال على التجزئة المرتبطة بالانقسام والانفصال. فإذا أخذنا بهذه الدلالة، نكون قد تصورنا أن البطوي، رئيس الجماعة المنفصلة أعطى اسمه لبنيه ولمواطنهم الجديدة بالجبال الشمالية المشرفة على البحر المتوسط من الريف الشرقي. (اقليم الناضور الحالي).

وبتطبيق فكرة الهجرة يطرح مبدأ البحث عن الموطن الأصلي، وهذا بدوره مرتبط بمعرفة الفصيلة الرئيسية التي انحدر منها بنو بطوى، موضوع يصعب إيجاد الاتفاق عليه. فابن حوقل البغدادي الذي زار بلدان المغرب حوالي 331 هـ. اكتفى بإدراج بني بطوي ضمن قبائل زناتة. وسار على منواله كل من ابن أبي زرع وعبدالحق البادسي. وقد زاد هذا الأخير توضيحا لذلك النسب بجعل بطوي ابن جانا، جد زناتة كلها. وفي الوقت الذي أوحى إلينا البكري بانتماء بطوية إلى جذع صنهاجة، أكد لنا ابن خلدون برد ذلك الأصل إلى الفصيلة الصنهاجية، ولو أنه أثار شكوكا بعد ذلك بتحويل الاحتمال إلى قبائل نفزة. ومهما تعدد هذا الاختلاف، فإن الرأي الراجح مائل إلى شرقية أصل بطوية. وإلى قدم استقرار تجمعاتها بجبال الريف الشرقي. ولا يسع تقديرنا هذا القدم إلا بما لا يقل عما قبل زمن الفتح الاسلامي.

ويمكن تحديد الإطار الجغرافي لناحية بطوية من خلال ما ذكرته المصادر وما يُستنتج من كتب التراجم. فالمستخرج من مصادر ما قبل القرن السابع الهجري أن حدود بلاد بطوية منطبقة على القسم الشرقي من جبال الريف، أي ما كان معروفا آنذاك بقلوع جارة أو جارت (قلعية العصر المريني ومابعده)، إذ أن كلا من البكري والإدريسي أشار إلى الانتماء البطوئي في مليلة ونواحيها، وكان من هؤلاء السكان بنو ورتدى أو ورتيدي في الجهات الوسطى والغربية من السلسلة الجبلية (تمسمان).

وارتبط اسم بطوية خلال العصر المريني أكثر بقبائل القسم الأوسط من جبال الريف الشرقي، أي المساحة التي كانت تشغلها قبائل بني سعيد وبني توزين وتمسمان وبني أوليشك وتفرسيت. كانت الجهة مصدر قوة المرينيين المعدة لمواجهة الموحدين والزيانيين. فهذا هو البارز لدى ابن أبي زرع وابن خلدون. ويعود الفضل إلى هذا الأخير لتأكيد استمرارية انتماء جبل قلعية إلى بطوية، مضيفا إلى ذلك جبل أمجاو، المجاور له من الجهة الغربية، بمناسبة المساندة التي وجدها عبدالرحمن بن أبي يفلوسن الثائر بجهات غساسة. على أن ابن خلدون وسع نطاق بلاد بطوية من الناحية الغربية، حينما جعلها ممتدة غرب واد النكور، متضمنة أيضا بني ورياغل وبقُّوية.

وأحسن تعبير عن حدود بلاد بطوية هو الذي قدمه عبدالحق البادسي، إذ جعلها ممتدة من جهة الغرب من حوز المزمة الذي شمل آنذاك كلا من بقوية وبني ورياغل إلى مصب واد ملوية، عند مشارف شرق جبال كبدانة. وسار الحسن الوزان على نفس الرسم بتعداد الجبال الدخلة في اقليم كرط الذي يعرف سكانه باسم بطوية، إلا أنه لم يذكر من تلك الجبال جبل تمسمان المتصل بكل من بني توزين ووردان (بني أوليشك)، كما ألزمه الانتقال بالحديث إلى اقليم الريف لإدخال بني ورياغل وبقوية ضمن الإقليم الأخير.

ويرسم حدود جبال بطوية من جهة الجنوب مجرى واد كرط الذي يجري من الغرب نحو الشرق، ليفصل الجبال عن المنخفضات والهضاب الجنوبية المعروفة خلال القرن العاشر(16 م) بصحراء كرط. وحدد البادسي الزاوية الجنوبية الغربية من بطوية بفج العروس (باب بوعروس) ليفصل بينهما وبين جبال گزناية.

ابن حوقل، *وصف الأرض*، ص 102 ؛ البكري، *المغرب*، 94 ؛ الإدريسي، *نزهة*، 533 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 10 ؛ ابن أبي

زرع، *الذخيرة*، 36 ؛ ابن عذاري، *البيان* ، 14 ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 174، 268، 441، 472 و7 : 245، 256.

حسن الفكيكي

بطّـوية، رأس يقع غرب مصب وادي كرت بأرض قبيلة بني سعيد الريفية، ويعرف عند الإسبان بـ Punta Betoya وهو الاسم الجغرافي الوحيد الذي يذكرنا اليوم بقبائل بطّوية أو بطيوة التي كانت بناحية الكرت في القديم.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 47 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 62 ; Comission historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

البطّـويي أو البَطّيوي، أسرة تطوانية أصلها من قبائل بطّيوة أوبطّوية التي كانت بناحية الكرت واندثرت، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان الفقيه محمد بن علال البطيوي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1645/1055.

وأسرة البطيوي هي نفس الأسر التي تعرف بـ"أبطّيو" و"الحمامي" و"أولاد حدّو" و"التمسماني" و"الريفي" فبهذه الأسماء كلها نجد بتطوان أفراد أسرة البطيوي التي اشتهرت بقيادة جيش المجاهدين الذي أسسه السلطان مولاي اسماعيل وكلفه بالعمل على استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المغرب وغربه.

ولازالت أسرة البطّيوي وأسرة أبطّيو موجودتين بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 41 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

البطّـويي، أحمد بن حدو، (ويكتب أيضاً البطّوئي والبَطّيوي) من كبار قواد جيش المجاهدين الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل للدفاع عن حوزة الوطن واسترجاع المغتصب من التراب المغربي وأسند رآسته إلى القائد الكبير عمر بن حدو البطيوي ـ أخ المترجم ـ.

كان القائد أحمد في أول الأمر خليفة لأخيه عمر عندما كان قائداً بالقصر الكبير، وفي شهر جمادى الثانية 1084/ سبتمبر 1673 عينه مولاي إسماعيل حاكما بتطوان وناحيتها. ومنذ ذلك العهد تنسب إليه زنقة القائد أحمد حيث كانت توجد داره التي تعرف اليوم بدار الحمامي.

وفي جمادى الأولى 1090/نوفمبر1679 عين القائد أحمد حاكما بالقصر الكبير حيث إن أخاه القائد عمر كُلّف بأمر الجهاد من أجل استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المملكة.

وفي سنة 1681/1092 شارك بجانب أخيه عمر في حصار مدينة المهدية (المعمورة) التي تم استرجاعها من يد الإسبان يوم 30 أبريل 1681. وفي نفس السنة توفي عمر بالوباء فحل أحمد محله على رأس جيش المجاهدين حيث نجده بمعية ابن عمه القائد علي بن عبدالله يحاصر الأنجليز بمدينة طنجة ويتمكن من استرجاعها يوم 5 فبراير 1684.

ولا صحة لما جاء في بعض الكتب من أنه قام بأمر السلطان مولاي إسماعيل بمحاصرة مدينة أصيلا إلى أن استرجعها سنة 1690/1101 لأن استرجاع هذه المدينة من يد البرتغال كان قد تم يوم 13 سبتمبر 1589.

وفي شوال 1100/غشت 1688 شارك القائد أحمد في محاصرة الإسبانيين بمدينة العرائش التي تمكن القائد علي بن عبدالله من استرجاعها أيضاً يوم 17 محرم 1101/فاتح نوفمبر1689.

ونجهل متى وكيف مات القائد أحمد حيث يقول سكيرج إنه أراد أن يقتل السلطان مولاي إسماعيل فاشترى من بلاد النصارى لباساً مسموماً وقدمه هدية للسلطان، وحيث إن زوجة القائد كانت قد أخبرت السلطان بمكيدة زوجها فإن السلطان عندما قدم له اللباس أمر قائده بلبسه فمات في حينه وذلك سنة 1684/1095.

هذه الرواية لا أساس لها من الصحة لأن سكيرج يقول إن اسم القائد هو حدو وأنه مات سنة 1684/1095 ونحن نعلم أن اسم القائد هو أحمد وأنه كان حياً بعد ذلك التاريخ بخمس سنوات، وأما الرهوني فقد اكتفى بأن قال إن مولاي إسماعيل قتل القائد أحمد سنة 1688/1100.

ويوجد قبر القائد أحمد قرب وادي مْضَى بناحية الغرب وقد بنيت عليه قبة يقام حولها موسم بمناسبة "العنصرة" في كل سنة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ج 1، ص 134، ج 2، ص 27 و32، ج 3، ص 66 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 253، و2 : 401.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البطّـويي، علي بن عمر (وقيل بن قاسم) عالم محقق كثير التقاييد، ولد بفاس سنة 1559/967 ونشأ بها حيث أخذ مختلف العلوم عن جماعة من أئمة فاس أمثال الشيخ اليدري ورضوان الجنوي والقدومي والمنجور، كما أخذ عن مفتي فاس وقاضيها يحيى السراج وعن قاضي الجماعة عبدالواحد الحميدي وأبي المحاسن يوسف الفاسي وأضرابهم.

تصدر البطيوي للتعليم بفاس واشتهر منهجه بالسهولة وعدم التكلف، فتخرج عليه كثيرون منهم الشيخ محمد ميارة.

ولي المترجم قضاء الجماعة بفاس مدة، لكنه كان يؤثر العزلة والخلوة للذكر والمطالعة والتقييد، قيد فوائد عن شيخه المنجور على العقيدة الكبرى للسنوسي، وله تقييد على المطول، وحاشية على تحفة ابن عاصم، وأخرى على

شرح المكودي للالفية. وله فهرس ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى.

توفي علي البطيوي بفاس يوم الجمعة 28 ربيع الثاني 1039/1629.

أ. ابن القاضي، *درج المحال* ؛ م. ميادرة، *شرح المرشد المعين*، 329؛ م. الإفراني، *صفوة*، 48، 94 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 280 ؛ *التقاط الدرر*، ترجمة رقم 154 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 179 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 2 : 314 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 454.

محمد الحبيب نوحي

البطّـويي، عيسى بن محمد الراسي، ولد بقبيلة بني سعيد الريفية، فرقة أولاد الفقيه، مدشر تيزي عدنيت. وكان في سنة 996/1587.1588 في سن الدراسة الأولى حيث تتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ البطوئيين أمثال علي وارث الغساسي وأحمد بن إبراهيم الراسي، واستكمل دراسته على يد شيوخ العلم الواردين على بني سعيد، أمثال الشيخ أحمد الفيلالي، دفين بني بوزرة وأحمد السوسي (ت.998 هـ). وفي سنة 1002 أو 1003 هـ . انتقل البطوئي إلى فاس بقصد التحصيل، فلم تطل إقامته فيها بسبب وباء مطلع القرن الحادي عشر، ولذلك غير اتجاهه إلى تلمسان، التي كان بها سنة 1008. واستمر بها إلى آخر العقد الأول.

كانت هذه المرحلة الدراسية حدثاً رئيسياً في حياة عيسى البطوئي بفضل احتكاكه بالعديد من رجال العلم بتلمسان، إذ أن قائمة شيوخه وصل عدد أفرادها إلى تسعة عشر شيخاً، منهم الشيخ المفتي سعيد المقري. إلا أن تعلقه اشتد أكثر بالشيخ محمد بن مريم التلمساني، إذ أنه قصد من التقرب إلى مجلسه الانتساب أيضا إلى مذهبه الصوفي. وهذا ما توصل إليه عيسى قبل وفاة شيخه سنة 1025 هـ. إذ حصل على إجازته.

بعودة عيسى البطوئي إلى منزله بتيزي عدنيت من قبيلة بني سعيد دخلت حياته في طور جديد، قدم لنا خلاله أول انتاج له في التصوف ورجاله. ففي سنة 1028هـ. كانت فكرة التأليف قد شغلت باله، وفي سنة 1033، أصبحت قابلة للتنفيذ، لتستمر إلى ما بعد 1040 هـ. أخرج مؤلفه مطلب الفوز والفلاح، في آداب أهل الفضل والصلاح، في قسمين، خص القسم الأكبر منهما لشؤون التصوف عامة، بينما أفرد الباقي لتعداد رجال الفضل والصلاح على عهده.

توفي بعد عام 1040/1630.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 454، 456 ؛ ح. الفگيگي، *عيسى بن محمد الراسي البطوئي، دعوة الحق*، ع 250 ـ 251.

حسن الفگيگي

بطّي بن إسماعيل، لا شك أنه اسم مقتبس من اللغة الصنهاجية اللمتونية. ولذا، فإن المؤرخين لم يضبطوه ضبطا دقيقاً فمنهم من كتبه بالباء مثل القرطاس، ومنهم من كتبه بالياء فأصبح يطي.

وقد كان بطي بن إسماعيل من القادة المرموقين في جيش يوسف بن تاشفين، إذ كانت تسند إليه مهام عسكرية صعبة تحتاج إلى كثير من الخبرة والمهارة والصبر.

فهو الذي قام ببسط نفوذ المرابطين في الغرب ومكناسة وناحيتها، وذلك بعد أن وجهه يوسف بن تاشفين على رأس جيش إلى تلك الجهات. واستطاع أن يدخل إلى مكناسة دون حرب. إذ بعث بكتاب إلى أميرها الخير بن خزر الزناتي يدعوه إلى الطاعة. وعرض الخير الكتاب على زناتة لإخبارهم واستشارتهم. فأظهروا التمنع وأشاروا بمحاربة بطّي. إلا أن الخير أبى أن يسير في هذه الطريق وفضل أسلوب التفاوض والتفاهم. فبعث إلى بطّي رسولا من عنده هو منغفاد بن عبدالعزيز الزناتي. وأمكن للرجلين أن يتفاهما ويصلا إلى اتفاق تمكن بطّي بمقتضاه أن يدخل إلى مكناسة بعد أن قبل الشروط التي اشترطها الخير بن خزر الزناتي. وانسحب هذا الأخير من المدينة إلى جهة القناطر، بينما عين الافضال اللمتوني والياً عليها. ويظهر أن يوسف كان راضيا على بطي من جهة قيامه بالمهمة التي أسندت إليه إذ يقول ابن عذاري في هذا الصدد : "ورحل ابن إسماعيل بعسكره مع الخير المذكور إلى مراكش، وأنعم عليه الأمير يوسف بكل ما أراد ثم صرفه. فبقي الخير مستوطنا بخارج مكناسة إلى أن مات رحمه الله" (*البيان*، 4 : 27).

والظاهر أنه ظل يعمل إلى جانب يوسف كأحد القادة الذين رافقوه في مواصلة العمليات العسكرية بالمغربين الأقصى والأوسط، وأنه كان من جملة القواد المرابطين الذين اتفقوا على أن ينادوا يوسف بن تاشفين بلقب أمير المؤمنين، فرفض وقال لهم :"حاشا لله أن أتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به الخلفاء. وأنا راجل الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد الغرب". واتفق معهم على أن ينادوه باسم أمير المسلمين.

ويدل على أهمية الرجل ومكانته أنه كان من بين القادة المرابطين الذين شاركوا في حروب المرابطين بالأندلس، حيث قام بأدوار عسكرية مهمة، وبالخصوص في الحملة الثانية التي قادها يوسف بن تاشفين إلى تلك البلاد ابتداء من سنة 481/1088. ومن المعلوم أن العاهل المرابطي لم يصادف الإقبال والمساعدة التي كان ينتظرها من ملوك الطوائف الذين قاطعوه ما عدا ابن عبدالعزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد، وظلوا يتعاملون مع ملوك النصاري. الشيء الذي أغضبه ودفع به إلى احتلال بلادهم وخلعهم عن عروشهم. مما أدى بابن عباد إلى التخوف منه والانقباض عنه. فنشأت عن ذلك جفوة بين الرجلين. قرر يوسف بن تاشفين على إثرها الاستيلاء على مملكة ابن عباد وخلع المعتمد. وأسند المهمة إلى قائده سيري بن أبي بكر اللمتوني.

وبينما كان سيري يحاصر أشبيلية، بعث بطّي، الذي

كان يعمل تحت إمرته، على رأس جيش لإخضاع عدد من المدن الأندلسية الأخرى، فاستولى على جيان بعد أن حاصرها ودخلها صلحا. ثم سار بعد ذلك إلى قرطبة التي كان المأمون بن المعتمد أميراً عليها. ففتحها وفتح حصونها ومعاقلها، وذلك في صفر من سنة 484 / 26 مارس 1091. ثم استولى على بياسة وأبذة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة.

وتنقطع عنا أخبار بطّي لمدة طويلة. والظاهر أنه ظل يعمل في قيادة الجيوش المرابطية وهو شيخ كبير، إذ نجده بعد ذلك بأربعين سنة وهو ما يزال يشارك في المعارك التي قامت بين الموحدين والمرابطين في الأطلس الكبير. فيخرج مع بكور بن علي بن يوسف لملاقاة الموحدين في ناحية أغمات، فينهزمون، حسب رواية ابن القطان إلى مراكش.

وكان تميم بن علي بن يوسف في جبل كيك لمنازلة الموحدين. لكنه انهزم أمام هجومهم وتراجع المنهزمون إلى الخروبة، فخرج بكور بن علي ومعه بطّي بن اسماعيل لمصادمة المهاجمين في عسكر ضخم. فانهزموا وتركوا وراءهم غنائم كثيرة في يد العدو. وواصل الموحدون زحفهم إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة. ويذكر ابن القطان أنهم صادفوا هنالك "عسكر بطّي وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر" فهاجموهم. ولم يصمد المرابطون كثيراً أمامهم. بل بدأوا ينهزمون. وهنا أظهر بطّي موقفاً بطولياً وصفه ابن القطان بقوله :"ولما رأى بطّي بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه إلى الأرض وجلس على درقته ليرجع الناس إليه. فأدركته الدفعة وقتل وهو على درقته".

ا. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ م. ابن عذاري، *البيان*، ج 4 ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

بطّيخ، نبات حولي عشبي زراعي يمتد على الأرض من الفصيلة القرعية Cucurbitacés، يسمى علميا كوكوميس ميلو Cucumis melo وضروبه الزراعية عديدة. كنيته في المغرب البطيخ الأصفر "لهاية" والسويهلة والشمام Cucumis, melo et dudaim.

موطنه الأصلي هو آسيا، وقد انتشر في افريقيا وأوروبا منذ القرون الوسطى. وهو شائع جداً في الأراضي السقوية في المغرب لثماره المشهورة.

يزرع في فصل الربيع وتُجنى ثماره في فصل الصيف.

تتكون ثماره من :

95.00٪ ماء

0.60 ٪ مواد أزوتية

0.11 ٪ مواد دهنية

3.72 ٪ مواد سكرية

0.33 ٪ سلولوز

0.25 ٪ رماد

وتحتوي أيضاً على ڤيتامين A, B1, C. تختلف مكوناته السكرية حسب الضروب وحسب النضج وتتراوح ما بين 1 و6.8 غ ٪.

البطيخ من الفواكه المفضلة في فصل الصيف، يساعد على الهضم، وينقي الدم، ويُدرّ البول ويسهل.

نجاة الخياطي

بطّيوة ← **بطّوية**

البطّيوي ← **البطّوبي**

بُطْم، أو بَطْمَة، أو بَطُّوم، أسماء تطلق على جنس بِسْتاسْيا Pistacia الذي ينتمي إلى فصيلة البطميات Anacardiacea والأنواع الموجودة في المغرب منه هي :

1 ـ البطم الحقيقي Pistacia vera الذي يعطي الفُسْتُق. وهو غير متوطن بالمغرب، وقليلٌ من أهالي هذا البلد يعرفونه. غراسته بالمغرب جد محدودة، وهي لا تُعرف إلا في بعض ضيعات سهل سايس، غير أن إمكانية انتشار الفستق متوفرة، وذلك بسبب وجود الظروف البيئية الملائمة، وشجرة البطم الأطلسي الذي يمكنه أن يُطعَّم من طرف شجرة الفستق.

أما موطنه الأصلي فهو يمتد ما بين إيران وتركيا، ومنهما انتشر في جميع أنحاء شرق البحر المتوسط.

2 ـ بِسْتاشْيا تريانْتوس Pistacia terebinthus أو بطم تربانْتْ، شجيرة نفَضية، تعيش عامة في غابات البلوط الأخضر المصادف في الارتفاعات المتوسطة من سلاسل الريف والأطلس.

3 ـ المُصطكي أو بطم لانْتيسْكْ أو فاضيس باللهجة البربرية، أو الضْرو أو الدْرُو يسمى بِسْتاسْيا لنْتسْكوسْ Pistacia lentiscus شجيرة دائمة الاخضرار تعيش بكثرة في السهول أو على سفوح الجبال التي لا يتعدّى ارتفاعها 1200 م، وعلى أتربة طينية كثيرة الرطوبة، وفي مناطق بيومناخية شبه جافة وشبه رطبة، ورطبة، ذات شتاء دافئ ومعتدل ؛ حيث يُصادف في أحراج الزيتون البري، والعرعر الفنيقي والعرعر البربري.

يستغل الضرو في تغذية الماشية. إذ تقتات من أوراقه المعز، ويستعمل في التدفئة وتهييء الفحم. كما يستخرج منه راتنج المُصْطَكى الذي عرف منذ العهود القديمة. ويمكن للمصطكى أن يبرز تلقائيا من جذع الشجيرة على هيئة دموع هشة بيضاوية طويلة لونها أصفر ناصل. ويحضر من المصطكى بُرْنيق ناصل اللون، يستعمل في حفظ المعادن والصور الزيتية والمائية، وفي صناعة العطور وبعض الأدوية الخاصة بتقوية لثّة الاسنان.

4 ـ البطم الأطلسي أو بِسْتاسْيا أطْلنْتيكا Pistacia atlantica، شجرة جميلة تتراوح قامتها ما بين 15 و20 متراً؛ قطر جذعها يبلغ متراً واحداً ؛ تاجها كبير الحجم ومستدير، أوراقها مركبة ونفضية. أزهارها على هيئة عناقيد جد متفرعة، ثمارها مفردة النواة لا يتعدى حجمها حجم

الجلبانة، صفراء تميل إلى الاحمرار قبل نضجها ثم تسود بعد ذلك.

إن البطم الأطلسي شجرة تميز المناطق الجافة حيث كانت تشكل سقانات واسعة الانتشار في الجانب الجنوبي من حوض البحر المتوسط ابتداء من الجزر الخالدات في عرض ساحل المحيط الأطلسي إلى إيران.

أما في المغرب فكانت تنتشر تشكيلات هذا النوع في السهول الدافئة الممتدة في ناحيتي ملوية السفلى والوسطى. ويمكنه أن يصادف ممثلا بأفراد موزعة في أحراج العرعر البربري والزيتون البري وأرگان.

تتميز مناطق البطم الأطلسي ببيومناخات شبه جافة وجافة ذات شتاء دافئ أو معتدل، تكون أتربتها متوسطة السمك وحمراء.

إن للبطم الأطلسي كما أشير من قبل، دورا اقتصاديا كبيراً في تنمية زراعة الفستق، والسر يكمن في أن البطم الأطلسي الذي يتحمل قساوة الجفاف يستعمل كمطعّم للفستق الذي يقل تحمله لهذه الظروف البيئية.

بالاضافة إلى هذا فإن البطم الأطلسي يعتبر من أحسن الأشجار العلفية، وخشبه جيد جداً يستعمل لإنجاز الأثاث من النوع الرفيع. لكن تشكيلاته التي كانت تغطي مساحات شاسعة بشمال أفريقيا والتي تحدث عنها المؤرخون العرب، قد اندثرت تماما بسبب الرعي المفرط، وبسبب اجتثاثها لفائدة زراعة العرض، وصناعة الصابون "البلدي" "صابون تازا" التي كانت تتطلب كميات كبيرة من رماد هذه الشجرة.

أبحاث شخصية ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*. تر. زاهر عبدالمجيد وآخرين.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبدالمالك بنعبيد

بطن الرمان، مكان في الأطلس المتوسط وقعت فيه المعركة الحاسمة بين العلويين والدلائيين في أوائل عام 1079 / 1668، حيث انتصرت جيوش الرشيد بن الشريف على فرسان الدلاء بقيادة عبد الله بن محمد الحاج الدلائي.

ولا يعرف بالتحديد موقع بطن الرمان الذين جرت فيه المعركة، إذ يكتنف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان. ففي شمال الزاوية الدلائية بطريق خنيفرة يقع السهل الذي تسميه قبائل زيان (بو رمّان) وهو الذي نرجح ان المعركة دارت فيه، لوقوعه على الطريق الطبيعية التي يمكن أن يسلكها الرشيد من فاس إلى الزاوية الدلائية. ويوجد جنوب مدينة الدلاء في طريق قصبة تادلا مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ. ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التي تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الأولى، لا سيما وأن بلاد الغرب وتمسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد في طاعة السلطان الرشيد، ولا يمكن أن نفترض اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين، لأن الحسن اليوسي وهو البربري الذي لا تخفى عليه مواقع بيئته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر في *المحاضرات* عن ميدان المعركة ببطن الرمان، وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين. فلم يبق إلا أن نفترض أن (بورمان) كان يسمى آنذاك بطن الرمّان، أو أن اليوسي تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمّان) في قالب عربي.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، 1 : 249 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 253، هامش 28.

محمد حجي

بَطْنوطْر، جـول Patenôtre. J وزير فرنسا المفوض بطنجة من يناير 1889 إلى أن عين سفيراً بواشنطن في أكتوبر 1891. ولد في أبريل سنة 1845، وكان أستاذاً من 1867 إلى 1871، وانخرط في السلك الديبلوماسي وعُين باليونان والصين والهند. له مراسلات مع السلطات المغربية وتقارير وجهها إلى الحكومة الفرنسية. وكان شقيقه لويز Louis مساعداً له بالمفوضية.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 610 ـ 611.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 26.

بَطيرْسون جون، Peterson, J مبشر أنجليزي من بعثة "سوذرن موروكوميشن" استوطن الصويرة من سنة 1890 إلى 1893 ثم انتقل إلى مراكش حيث مات سنة 1895.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1414.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 151.

مصطفى بوشعراء

البعثات الثقافية بالمغرب ← التعليم الأجنبي بالمغرب

البعثات الطلابية، في إطار المحاولات الإصلاحية التي قام بها المخزن بعد منتصف القرن التاسع عشر اقتداء بالعثمانيين وبمصر أيام محمد علي، واستجابة لنصائح بعض ممثلي الدول الأوربية بطنجة، تمّ إرسال بعثات طلابية مغربية عديدة في اتجاه الديار المصرية وأوربا لتحصيل العلوم العصرية في مختلف التخصصات.

وارتبط توجيه هذه البعثات إلى الخارج قصد التعلم بضعف الأحوال العسكرية للمغرب وتراجعها، حيث أظهرت هزيمتا إسلي 1844 وتطوان 1859 ـ 1861 مدى التباين الموجود بين القوات المغربية ومثيلتيها الفرنسية والإسبانية، سواء على مستوى العتاد الحربي، أوعلى مستوى خبرة المقاتلين المستندة إلى تكوين علمي وتقني محكم ودقيق.

اعتقد السلطان عبدالرحمان بن هشام (1822ـ1859) في بداية الأمر أنه بالإمكان الاعتماد على خبراء من العالم الإسلامي لتطوير بنيات المغرب العسكرية على مستوى الأطر. ولأسباب دينية امتنع السلطان عن فكرة إرسال طلبة مغاربة مسلمين للتعلم في "بلاد الحرب"، وفضل توجيههم إلى مصر قبيل وفاته سنة 1859. وتكونت تلك البعثة من

ثلاثة أفراد فقط كان من بينهم الحاج محمد بنكيران وأحمد شهبون الفاسيان.

وفي عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان 1859.1873 ارتفع عدد البعثات المغربية إلى مصر إلى ثلاث بعثات أرسلت آخرها سنة 1867 وتجاوز عدد أفرادها الثلاثين وكان يتم اختيار عناصر هذه البعثات بناء على أوامر سلطانية كانت توجه إلى عمال المدن العريقة كفاس والعدوتين ومراكش والصويرة. وكان المقياس المعتمد في الترشيح هو الانتماء في بعض الأحيان إلى عناصر جيش البخاري وصغر السن والنجابة ومعرفة القراءة والكتابة وأحياناً الوجاهة. وبعد عملية الانتقاء يخضع المرشحون إلى تكوين أولي يتلقون خلاله المبادئ الأولية البسيطة في مواد الحساب والتوقيت والهندسة. وتنوعت الميادين التي أرسلوا قصد التكوين فيها بين صناعة البارود والنجارة والطباعة وغيرها. واشتهر من بينهم عبدالقادربن عبدالكريم الذي حل بمصر لتعلم فن الطباعة ومكث بها إلى وفاته سنة 1895. وقد اتجه إلى مصر بعض المغاربة قصد التعلم بطريقة اختيارية دون أن يكونوا ضمن بعثة رسمية وعددهم غير مضبوط.

وبعد الهزيمة الثانية التي لحقت بالجيوش المغربية في تطوان اقتنع محمد بن عبدالرحمان بضرورة الاعتماد على خبرة الأوربيين ومعاهدهم ذات الفعالية العلمية الحقيقية لتكوين الأطر المغربية في مختلف التخصصات ذات الصلة القريبة أو البعيدة بالمجال العسكري. في هذا الإطار، ونظراً للمكانة الخاصة التي تبوأتها بريطانيا لدى المخزن. خاصة بعد مساندتها للمغرب لتمكينه من استعادة تطوان، فقد طلب من ممثلها بطنجة جون دراموند هاي الكتابة إلى لندن للحصول على موافقة رسمية تم بموجبها السماح لحوالي مائتين من الشبان المغاربة الذين وقع اختيارهم من مختلف القبائل والحواضر المغربية، بالتمرن على فنون الحرب والهندسة في جبل طارق. وقد مكثوا هنالك ثلاث سنوات أظهروا خلالها لمدربيهم البريطانيين قدرة عالية على التحصيل والتعلم وتطبيق الخبرات المكتسبة بدقة متناهية أثارت إعجابهم وتقديرهم.

إن لجوء محمد بن عبدالرحمان إلى المناهج والأساليب الغربية في تكوين بعض الأطر المغربية في الوقت الذي كانت فيه عناصر مغربية أخرى تتكون في المشرق يدل على أن المخزن كان بصدد جس النبض للمقارنة بين النتائج الأكثر فعالية لدى الشرقيين والغربيين حتى يتسنى له اتخاذ موقف نهائي وتحديد السياسة المستقبلة الأكثر مردودية لتكوين المتعلمين المغاربة. هذا وإن كان خلفه المولى الحسن قد أقدم على إرسال بعثة خامسة إلى مصر في 1875 فإن ذلك لم يكن إلا مجرد وفاء لتقليد سابق وللحفاظ على نوع من العلاقات والصلات الودية مع باشا مصر. أما في الحقيقة فإنه قرر الاعتماد الكلي على المعاهد والمراكز التعليمية الأوربية لفعالية التكوين بها من جهة، واستجابة لضغوط ممثلي بعض الدول الأوربية بطنجة من جهة ثانية.

حين قرر المخزن الحسني بعد 1873 وضع برنامج بعيد المدى لتحديث الجيش وتطوير أساليبه اتضح غياب شبه تام للأطر المستأنسة بالتكوين العلمي الحديث. وأملاً في الاستجابة إلى ضروريات كانت ملحة وقتئذ اضطر المولى الحسن كإجراء أول ومؤقت إلى جلب مهندسين وخبراء أجانب من أوربا رغم التكاليف الثقيلة التي فرضها ذلك. وحتى لا تستمر البلاد في تحمل أعباء المصاريف بدأ التهيئ لإرسال بعثات مغربية إلى بلدان أوربا للتكوين في المعاهد المختصة في الهندسة والصحة والفنون الحربية وفقا لآخر المستجدات التي عرفتها تلك التخصصات.

وكانت بريطانيا بحكم نفوذها الذي تقوى أكثر أيام المولى الحسن، وبحكم اللهجة الاصلاحية التي تبناها نائبها في طنجة د. هاي، مؤهلة أكثر من غيرها ليعتمد عليها المخزن في تكوين أطره بالديار الأوربية. وكان من الطبيعي أن يستغل المولى الحسن حسن الاستعداد الذي كان عند بريطانيا في هذا الميدان فآثرها بنصيب هام من البرنامج التكويني للمتعلمين المغاربة وخاصة في جبل طارق كمرحلة أولى.

تلقى هناك حوالي أربعمائة من المشاة والمدفعيين تداريبهم العسكرية ما بين 1873 و1878 تحت إشراف الكولونيل كامرون Cameron. وتتوفر معلومات دقيقة حول البعثات الثلاث الأخيرة إلى جبل طارق، من حيث أعداد مبعوثيها والميادين التي تكونوا فيها. ففي 1879 أرسلت مجموعة من خمسة وعشرين فرداً كان على رأسهم علال بن بلأ المراكشي. وبعد سنة كاملة استوفت عناصر هذه الدفعة تكوينها في الرماية والمدفعية وعادت إلى المغرب لترسل مكانها بعثة أخرى تكونت من ثمانين فرداً، اثنا عشر من بينهم لتعلم مهارات استخدام المدافع وصيانتها. وسبعة وستون من المشاة للاستئناس بمختلف الأساليب العسكرية الحديثة، وخمسة فقط لتعلم الطب وطرق العلاج. وبلغ عدد أفراد آخر البعثات المغربية إلى جبل طارق سنة 1878 مائة وخمسة وسبعين فرداً، مائة وثلاثون من المشاة، وخمسة وأربعون من المدفعيين. وكان على رأسهم القائد محمد الزروالي. وفي بعض الأحيان كان يلتحق بجبل طارق لمدة قصيرة بعض "الزنايدية" للتمرن على طرق إصلاح الأسلحة النارية الخفيفة وصيانتها.

أبان الطلبة الخمسة الذين بعثوا إلى جبل طارق سنة 1877 لتعلم الطب رغبة أكيدة في التحصيل، فنالوا كامل الثناء من أساتذتهم. واطلع المولى الحسن على المراحل التي قطعوها في تكوينهم. فاتضح بأن استكمالهم لتكوينهم الطبي يتطلب توجيههم إلى المستشفيات الكبرى لمعاينة طرق العلاج بها لمدة أربع سنوات إضافية. وقد وافق السلطان على إرسالهم إلى أي بلد أوربي لتمكينهم من إتقان مهنة الطب. ويبدو أن ذلك قد تعذر، والراجح أنهم

اكتفوا بما تلقوه في جبل طارق. وربما كانوا هم الوحيدين الذين تلقوا تكوينا طبيا من بين كل المتعلمين الذين بُعثوا إلى جبل طارق.

كانت كل المصاريف اليومية المتعلقة بهؤلاء المتعلمين على حساب المخزن. وتشمل أداء أجور المدربين البريطانيين ومجازاتهم بالهدايا كلما انهوا تدريبهم لكل بعثة. أما المتعلمون فكانوا يتقاضون رواتبهم بانتظام بالإضافة إلى كسوتهم وآلاتهم الموسيقية والأسلحة الضرورية لتداريبهم. وحتى مصاريف إطعامهم كان يتحملها المخزن. حيث خصص مكان وطباخ لأطعامهم بوجبات تتلائم مع العادات والتقاليد المغربية. بالإضافة إلى العناية الطبية، حيث أسندت إلى طبيب بريطاني مهمة تلقيح أفراد البعثات ضد الجدري وإجراء فحوص منتظمة عليهم مقابل أجرة قيمتها خمسون ريالاً عن كل ثلاثة أشهر.

وتجدر الاشارة إلى أن تكوين البعثات المغربية بجبل طارق كان يطرح بعض المشاكل. ذلك أن عناصر البعثات كانوا إما ينتمون لفئات اجتماعية مرموقة كأن يكونوا من أبناء الخاصة، أو كانت لديهم مرتبة سامية داخل الجهاز المعزني أو حتى قرابة مع السلطان، وبالتالي كانوا يجدون صعوبة كبيرة في تحمل أعباء التداريب وأتعابها. بل كانوا يشعرون بنوع من الاستصغار والاحتقار خاصة وأنهم كانوا يتلقون تكوينهم ويجرون تداريبهم فوق أرض مسيحية وعلى يد مدربين نصارى. وقد تكررت بعض الأحداث والخصومات بين المتدربين ومكونيهم، وكان من أهم أسبابها في الغالب رفض المتعلمين الانصياع للأوامر التي كانت توجه إليهم وتظاهرهم بالمرض للافلات من متاعب التداريب. وحين بلغ ذلك إلى علم المولى الحسن، أنّبهم على سلوكهم "بأنهم من جملة عامة العسكر حتى تقدمهم مزية الخدمة أوتؤخّرهم". وابتداءً من 1877 توقف المخزن عن إرسال البعثات التعليمية إلى جبل طارق بناءً على نصائح د. هاي الذي أقنع المولى الحسن بإمكانية الاعتماد على أولئك المتعلمين لنقل خبراتهم إلى غيرهم من المغاربة فوق التراب المغربي. وقد حل أعضاء بعثة 1877 بالجديدة واستقبلهم السلطان بمراكش مبديا رضاه التام عما اكتسبوه من مهارات.

واتضح فيما بعد أن فرنسا لم تكن راضية عن استئثار البريطانيين بتدريب المغاربة بجبل طارق. وراج الحديث عن احتمال دخول مدربين عسكريين فرنسيين في خدمة الجيوش السلطانية. وحين تحقق ذلك بالفعل لم تجد بريطانيا بداً من اقناع المولى الحسن بإيقاف البعثات إلى جبل طارق سنة 1878 وإسناد مهمة الإشراف على تكوين عناصر من الجيش المغربي إلى بعثة عسكرية بريطانية ترأسها ماكلين.

وفي الوقت الذي كانت تستكمل فيه آخر بعثة مغربية تكوينها في جبل طارق، وبينما حل أفراد البعثتين العسكريتين الفرنسية والبريطانية بالمغرب للإشراف على تدريب المشاة والمدفعيين كان قد وقع الاختيار على مجموعة من خمسة عشر طالبا من جهات مختلفة من البلاد، واتخذت كل التدابير لاستقرارهم بطنجة فتلقوا مبادئ الحساب واللغات الأجنبية بالمدرسة الحسنية. وتم تقسيمهم فيما بعد بالتساوي إلى خمس مجموعات صغيرة من ثلاثة أفراد، اتجهت كل واحدة منها إلى كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا. ولم يكن التفكير في إرسال هذه البعثات التي قسمت بصفة متكافئة على كل الدول الأوربية التي كانت مهتمة بشكل أو بآخر بمصير المغرب، لم يكن عملا اعتباطيا، بل كان جزءاً من مخطط إصلاحي واسع. وكان هذا البرنامج يسير بشكل مطابق للسياسة العامة التي نهجتها بريطانيا في تعاملها مع المغرب، والتي كانت تقوم على مبدإ الحفاظ على الوضع الراهن والحيلولة دون كل ما من شأنه أن يفسح المجال لأي دولة أوربية لتنفرد بامتيازات كبيرة في المغرب.

تكونت البعثة الموجهة إلى بريطانيا من محمد الجباص وإدريس بن عبدالواحد والزبير سكيرج. وقد وافقت الحكومة البريطانية على تعليمهم بمعاهدها منذ 1875 في الوقت الذي كانوا ما يزالون بصدد تعلم اللغة الانجليزية بطنجة. وفي سنة 1876 التحقلوا ببريطانيا "لتلقي العلوم المتنوعة في صفوف ضباط الجيش بمدرسة مدينة شاتهام Chatham التي هي مركز حربي لبناء المدرعات الحربية، على حد قول الزبير سكيرج في مذكرته. وقضى أفراد البعثة في بريطانيا ثلاث سنوات حصلوا خلالها على إجازات في تخصصاتهم. واستقبلت أكاديمية مودينا Modena الإيطالية ابتداء من 1876 أيضا كلا من المختار الرغاي وعبدالسلام الأوديي ومحمد بناني، فمكثوا هنالك ست سنوات، حيث عادوا إلى المغرب سنة 1882 حاملين معهم إجازات في العلوم التي تلقوها. وتكون أعضاء البعثة المغربية إلى اسبانيا من أحمد بنشقرون ومحمد الشدادي وعبدالسلام الفاسي أو الرباطي. وتلقوا تكوينهم بأكاديمية الهندسة بوادي الحجارة Guadalajara. وكانت عودتهم إلى المغرب سنة 1884. أما ألمانيا فقد اختير للتوجه إليها منذ 1881 كل من الميلودي الرباطي والحسين الأوديّي وعبدالسلام التسولي. وقد اضطروا إلى انتظار وصول أحد الرهبان مباشرة من برلين لتلقينهم مبادئ اللغة الألمانية في طنجة. ودخل التسولي إلى مدرسة للمعادن في كلاوسطال Klausthale بينما التحق الحسين الأوديي بمدرسة للضباط المهندسين والميلودي بأكاديمية عسكرية أخرى. واتجهت أول بعثة طلابية مغربية إلى فرنسا سنة 1881، بعد أن مكث أفرادها الثلاثة أكثر من ست سنوات بطنجة لتعلم مبادئ اللغة الفرنسية والرياضيات. وكان أعضاؤها هم قاسم الأوديي، والطاهر الأوديي، ومحمد بن الكعاب الشرگي. ومكثوا بفرنسا أربع سنوات والتحقوا مباشرة ببلجيكا سنة 1884 كمترجمين للبعثة المغربية هناك.

بالنسبة لعناصر هذه الدفعة الأولى من الطلبة الذين توجهوا أساسا إلى أوربا نسجل بعض الملاحظات.

فالعناصر الثلاثة الذين حلوا ببريطانيا انتقاهم د. هاي من ضمن المتفوقين من مجموعة الخمسة عشرة الذين كانوا بطنجة ولا سيما الجباص الذي أثنى عليه أساتذته البريطانيون والذي وضع أول خريطة مستوفية لكل الشروط العلمية باللغة العربية وإن كان قد اعتمد في وضعها على نسخ أجنبية. كما أن عناصر البعثة المغربية إلى بريطانيا قد استكملت تكوينها بنجاح في أقصر مدة وهي ثلاث سنوات، بينما قضت عناصر البعثة المغربية في إيطاليا وإسبانيا تسع سنوات، والبعثة الموجهة إلى ألمانيا اثنتي عشرة سنة. وعلى مستوى النتائج تمكن أفراد البعثة البريطانية من شغل مناصب هامة بعد عودتهم. حيث تمكن الجباص من الصعود بسرعة ليعين وزيراً للحرب ثم نائباً سلطانياً فصدراً أعظم فيما بعد. أما الزبير سكيرج فقد تولى مهمة إتمام بناء الأبراج التي بدأ بناءها مهندسون بريطانيون في طنجة وتقاعسوا عن إتمامها. كما ساهم سكيرج في مساعدة الألماني روتنبورغ Rottenburg لبناء أبراج الرباط وإقامة مدافع كروب عليها. بالاضافة إلى تركيب الموازين المجلوبة من بريطانيا بالمراسي المغربية وصيانتها. في حين تولى إدريس بن عبدالواحد الفاسي مهمة تكوين المدفعيين المغاربة بنجاح. وتولى أعضاء البعثة الإيطالية بعد عودتهم سنة 1882 مهمة تدريب عناصر من الجيش المغربي. أما أعضاء البعثة الفرنسية فقد زارهم محمد برگاش في فرنسا، وقال عنهم إنه "توسم فيهم عدم النتيجة ولم يحصلوا سوى معرفة اللسان التي صلحوا بها لجعلهم ترجمانات للأناس الذين توجهوا للتعلم بالبلجيك بخلاف الذين تعلموا ببلاد النجليز والطليان والصبنيول فكلهم تعلموا ووردوا وينتفع بهم". وعند عودتهم إلى المغرب، عين محمد بن الكعاب مهندساً بالمكينة بفاس، والطاهر الأوديي كلف بالعمل في مصنعي السكة والسلاح بفاس. وعين عناصر البعثة المرسلة إلى ألمانيا في مناصب مختلفة. ففي 1886 اشتغل كل من الميلودي والحسين الأوديي كترجمانين للمهندس ڤاگنر Wagnerممثل شركة كروب Krupp. في حين عين التسولي ترجمانا بأحد المراكب الألمانية بالرباط. واشتغل الحسين في الجيش، وعين قائداً عسكرياً على طرفاية. وعاد الميلودي إلى ألمانيا مجدداً في 1888 وتابع دراسته في برلين إلى حدود 1896 حيث اشتغل كاتبا بالقنصلية الألمانية بالدارالبيضاء إلى حدود سنة 1903 مع ما أثار ذلك من خلافات بين المخزن والسفارة الألمانية بطنجة.

وفي سنة 1882 رغب المولى الحسن في تكوين نواة للبحرية المغربية تتوفر على أطر تقنية بمساعدة الدول الأوربية، فأمر نائبه محمد برگاش باجراء الاتصالات الضرورية في الموضوع مع ممثلي الدول الأوربية بطنجة واستفهامهم عن إمكانية موافقة حكوماتهم على المساهمة في تكوين ثلاثين من الشبان المغاربة بمعدل ستة أفراد بكل دولة في اختصاصات تتعلق بقيادة المراكب وعلم الميكانيكا البحرية. وحين استشير د. هاي في ذلك أشار بأن يُوجه إليه ستة أفراد لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرين على أن تكون قامتهم طويلة حتى يتولى هو تسليمهم إلى أرباب المراكب البريطانية التي تجوب السواحل المغربية لتمكينهم من الاستئناس بشؤون البحر. ونصح المخزن بأن يسلم نفس العدد إلى ممثلي إسبانيا وفرنسا ليتعلموا على متن مراكبهم التجارية. ويبدو أن المولى الحسن رفض هذا الاقتراح لكونه غير كفيل بتعليم البحارة المغاربة أسرار البحرية، ولو استجاب لذلك الاقتراح لكان قد قدم لأرباب المراكب التجارية الأوربية يداً عاملة بالمجان لاستغلالها في التنظيف والشحن والتفريغ فقط. وفي أواخر 1884 جدد المخزن الحسني طلباً إلى د. هاي واقترح عليه تهيئ الظروف لتوجيه خمسين متعلماً للتكوين على متن المراكب التابعة للأسطول البريطاني في علوم البحر، على "أن يتعلم عشرة من بينهم هندسة مكينة "البابورات". لكن فوجئ المولى الحسن برفض تام لاقتراحه، وبرّر د. هاي رفضه ذلك باستحالة قبول الحكومة البريطانية لذلك لكونه مخالفاً تماماً للتشريعات البريطانية. كما طرح أمام المخزن صعوبات كثيرة حول موضوع تعليم الشبان المغاربة لهندسة الميكانيكا البحرية منها ضرورة إتقانهم للرياضيات واللغات الأجنبية، واختيارهم من خيرة القوم ثم جعلهم رهن إشارة خبير أنجليزي لابد أن يتعاقد معه المخزن مقابل أجرة ثابتة ومرتفعة. وبذلك لم تتح الفرصة مجدداً لإرسال أي بعثة إضافية إلى بريطانيا باستثناء بعثة أرسلها مولاي عبدالعزيز سنة 1901 لا نعرف عنها شيئا لحد الآن. واضطر المولى الحسن إلى الاعتماد على الدول الأوربية الأخرى للاستمرار في إرسال البعثات قصد التحصيل والمعرفة.

وبذلك التحق بألمانيا سنة 1884 عشرة أفراد للحصول على تكوين في المدفعية تحت إشراف مؤسسة كروب. وفي نفس السنة حل مُحمد برگاش ابن النائب السلطاني بألمانيا ليطلب من غليوم الأول 1797 - 1888 السماح لوفد يتكون من أربعة وعشرين فرداً للحصول على تكوين في مختلف التخصصات ولا سيما العسكرية منها في كل من برلين وإسين وأوهم Berlin-Essen-Ulm. وفي سنة 1885 حلت بألمانيا بعثة من تسعة طلبة وخمسة عشر جنديا لنفس الغاية. واستمرت مؤسسة كروب في استقبال المغاربة للتمرس على اكتساب خبرة المدفعين.

وابتداء من سنة 1884 وإلى حدود 1888 استقبلت بلجيكا أزيد من ستين متعلما مغربيا في ست دفعات، حلُّوا بكل من سيران Seraing وليبج Liege وتلقوا تكوينهم في المدفعية والميكانيك والبحرية. وكل من ظهرت نجابته استمر في التحصيل ومتابعة التكوين، وإلا عادوا إلى المغرب وعوضوا بآخرين.

وفي سنة 1884 أخبر رئيس البعثة الفرنسية بالمغرب لوڤالوا Levallois وزارة الحربية الفرنسية برغبة السلطان في توجيه بعثة طلابية لتمكينها من تكوين عسكري متطور

وألحّ على ضرورة الاستجابة لتلك الرغبة لخدمة المصالح الفرنسية بالمغرب. وعند موافقة وزارة الحربية الفرنسية على هذا الطلب أمر السلطان بدفع نفقات المبعوثين التي بلغت ستة فرنكات يومية لقائد البعثة، وفرنكين لكل متعلم. وفي 1885 حل اثنا عشر شاباً مغربياً بفرنسا للالتحاق بمدرسة المهندسين في مونبليي Montpellier للحصول على تكوين في التلغراف والهندسة. وكان النائب السلطاني فيما يبدو قد اعترض على إرسال هذه البعثة إلى فرنسا مستشهداً بالنتائج الهزيلة التي حققها أفراد البعثة الأولى سنة 1881. حين قال : إن الكفيل بتعليم المغاربة حقا هم الألمان خاصة وأن تكاليف التعليم عندهم أرخص بالمقارنة مع فرنسا. وبعد أربع سنوات أي في 1889 صدقت توقعات برگاش واتضح عجز البعثة المغربية في مونبليي، حسب مكونيهم، عن مسايرة الدراسة، وحصلوا على نتائج ضعيفة، بل تجاوزوا ذلك إلى ارتكاب مخالفات عوقبوا عليها بالسجن هناك. فالطالب محمد بن عبدالرحمان العلج سجن سبع مرات لمخالفات متنوعة وصدرت عقوبات مماثلة في حق كل من محمد بن سعيد السوسي وعبدالله بن مالك الأوديي وصالح التدلاوي وغيرهم، وبناء على ذلك اقترحت وزارة الحربية على المخزن إرجاعهم إلى المغرب. ووصلت هذه الأخبار إلى السلطان في الوقت الذي كانت توضع فيه الترتيبات لارسال بعثة أخرى للتعلم في مدرسة المدفعيين بڤرساي. وكان من الطبيعي أن يتم إلغاء هذه البعثة أمام النتائج السلبية لمجموعة مونبليي. ولم ترسل بعدئذ أية بعثة جديدة تجاه فرنسا إلا بعد سنوات 1912.

وفي 1884 حلت بإيطاليا بعثة طلابية مغربية تكونت من خمسة عشر طالبا تراوحت أعمارهم بين 13 و16 سنة، حيث تلقوا تكوينهم بالمدرسة الملكية الدولية بطورينو Torino وفي أكاديمية ليفورنو Livourne البحرية. وتضمنت هذه الدفعة ثلاث مجموعات في شؤون البحرية، وفنون الحرب البرية. والصناعة الميكانيكية وشؤون الأسلحة. وكان من بين هذا الوفد محمد بن طوجة الرباطي. وقد حظيت هذه البعثة باهتمام كبير من طرف المخزن الحسني حيث أرسلت سفارة ترأسها عبدالسلام بن رشيد السلاوي إلى إيطاليا سنة 1892 لتفقدها. وقد اشتغل عناصرها بعد عودتهم على متن المركب المخزني المعروف "بالبشير" واشتهر من بين المتعلمين في إيطاليا في بعثات موالية الحسين الزعري وأحمد الجبلي العيدوني. وقد حصل الزعري على شهادة عليا من مدرسة اللغات بطورينو سنة 1898، وعرف عنه إتقانه للغات أوربية متعددة. وتقلب في عدة مناصب بعد عودته إلى المغرب وترك مذكرة مفيدة عن البعثات المغربية التي حلت بإيطاليا.

وعلى العموم، فإن البعثات الطلابية التي تحمل المخزن مصاريفها الثقيلة لم تحقق إلاّ نتائج متواضعة جداً لصالح البلاد، وذلك لأسباب عديدة لخصها الناصري في قوله : «إلا أن ذلك لم يظهر له كبير فائدة، إذ كان ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات وتمهيد أصول، ينبغي الخوض في تلك العلوم والعمل بها عليها».

وكان من المنتظر أن تساهم تلك العناصر القليلة التي تفتحت على العلوم الحديثة في إحداث بعض التأثيرات الايجابية داخل المجتمع المغربي التقليدي، إلا أن أعدادهم كانت قليلة لم تتجاوز في أقصى الحالات أربعمائة متعلم في تخصصات مختلفة. ولم ينالوا الرعاية اللازمة بعد رجوعهم إلى المغرب باستثناء عدد قليل منهم، وشغلوا مهام بسيطة لا تتناسب مع التكوين الذي حصلوا عليه بالاضافة إلى كل هذه العوامل فإن إرسال تلك البعثات وإن كان ضروريا، فإنه كان بعيدا كل البعد عن تمكين المغرب من تدارك التفاوت الحاصل بينه وبين أوربا التي تبنت المنهاج العلمي القائم على التجربة والملاحظة والصياغة الرياضية للقوانين التي تتحكم في كل الأشياء مهما كانت طبيعتها. ومن تم كان فشل البعثات شيئا حتمياً لغياب قاعدة علمية فعلية عند المتعلمين منذ البداية.

محفظة التعلم بالخارج بمديرية الوثائق الملكية ؛ع. ابن زيدان، *العز والصولة* ؛ م. بوشعرة، *الاستيطان*، 4 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 ؛ ع. سكيرج، *مذكرة الزبير سكيرج* (1850-1932) دارالنيابة، ع. 8 ؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر*، ولأدة 1880.

E. Aubin, *Le Maroc d'Aujourd'hui* ; J. Caillé, *Les Marocains à l'école de génie de Montpellier, 1885 - 1888, Hesp.*, Vol. XLI; 1954 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc, 1870 - 1905* ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Paris, 1977 ; J.L Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830-1894*, T. 4, Paris, 1964 ; B. Simou, *L'Islah au Maroc : les réformes militaires de 1844 à 1912*, thèse de Doctorat (inédite), Paris IV, 1987, Vol. II.

خالد بن الصغير

البعثة العسكريّة، Mission Militaire تعريف أطلقته فرنسا وبعدها باقي الدول الغربية على المدربين العسكريين الأوربيين الذين دخلوا الجيش المخزني منذ 1877 في إطار السياسة العسكرية التي نهجها المخزن بعد معركة إسلي والتي كانت تهدف إلى تغيير نظام الجيش التقليدي وخلق جيش نظامي مدرب على النمط الأوربي.

وهذا التعريف يدلّ على الطابع الرسمي الذي أعطته الدول الغربية لهؤلاء المدربين، في حين أن المخزن ظل يسميهم بالمدربين أو "الحرّابة"، لنزع كل صفة رسمية عن مهمتهم.

تزامن تاريخ البعثات العسكرية مع ارتفاع الضغط الأوربي على المغرب في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتطورت هذه البعثات بتطور هذا الضغط حتى أصبحت شكلا من أشكال التغلغل الاستعماري ووسيلة من وسائل "زعزعة" الاستقرار التي التجأت إليها الدول الأوربية لإخضاع المغرب.

وقد بدأ مشروع البعثات العسكرية منذ سنة 1876 حين توقف مولاي الحسن في وجدة بعد حركة ضد القبائل الشرقية اندحر فيها الجيش المخزني أمام قبيلة غياثة، وقدم

الجنرال Osmont على رأس وحدات من جيش وهران ليقدم التحية للسلطان باسم الحكومة الفرنسية. وقد استغلت السلطات العسكرية الفرنسية الإعجاب الذي أبداه السلطان بالمناورات التي قام بها الجيش الفرنسي أمامه، وتعبيره عن رَغبته في تدريب جيشه على النمط الفرنسي، لتحقيق الحلم الذي ما فتئ يراود الفرنسيين منذ احتلال الجزائر وهو زرع عناصر فرنسية دائمة داخل "المخزن المتنقل"، بإرسال بعثة عسكرية لتدريب الجيش المخزني.

ورغم تحذيرات ممثلي إسبانيا وألمانيا وإنجلترا للسلطان من أخطار قبول بعثة عسكرية فرنسية داخل الجيش، وتراجع مولاي الحسن عن الفكرة فإن الحكومة الفرنسية استطاعت بعد ضغوط دبلوماسية الحصول على طلب رسمي في هذا الباب.

وبقي المخزن يماطل في قبول البعثة مطالباً بأن لا تكتسي البعثة أي صفة رسمية وأن تقتصر على مدربين مسلمين يدربون العسكر على الرماية ويدخلون في خدمة المخزن بصفة شخصية.

وانتهى الأمر بإرسال بعثة أسست في الجزائر باقتراح من الحاكم العام، مكونة من تسعة أفراد : 3 ضباط وطبيب و5 ضباط صف من بينهم مسلمان جزائريان.

ولإضفاء صفة غير رسمية على هذه البعثة اعتبر أعضاؤها في حالة إجازة إدارية بدون مرتب، ووضعوا في خدمة المخزن الذي صار يؤدي لهم أجورهم وتعويضاتهم التي تبلغ ضعف أجورهم الأصلية، وقد استقرت هذه البعثة الأولى في وجدة في دسمبر سنة 1877 ولم يذهب منها إلى مراكش إلا الضابط Erckman وضابط الصف Richert المتخصصان في المدفعية واللذان صارا ملحقين بشخص السلطان يتبعانه في جميع تنقلاته، في حين بقي أعضاء البعثة الآخرون يزاولون تداريب منقطعة في وجدة، ولم يلتحقوا بالرباط إلا بعد سنتين، وذلك على إثر الاستياء الذي أظهره السكان من وجود الضباط الفرنسيين وتعرض أحدهم لمحاولة اغتيال.

وقد وزع أعضاء البعثة فيما بعد بين الرباط والدارالبيضاء وفاس ومراكش، ولم تكن مدة إقامتهم في المغرب تخضع لقاعدة قارة رغم أن المدة التي حددت للإجازة دون مرتب كانت سنتين.

وتناوب على رئاسة البعثة من 1877 إلى 1912 أحد عشر ضابطا هم :

النقيب بّيين Capitaine Payenne نوفمبر 1877 غشت 1879.

النقيب إركمان Capitaine Erckman سبتمبر 79 سبتمبر 1883.

رئيس طابور لُوفالوَا Chef de Bataillon le Vallois سبتمبر 1883.

مقدم دُبْرُويْ Commandant de Breuille أكتوبر 85 سبتمبر 1889.

مقدم گوشميز Commandant Gauchemez دسمبر 89 أكتوبر 1892.

مقدم شلومبرجي Commandant Schlumberger يناير 94 سبتمبر 1897.

النقيب روستينگ Capitaine Rostaing سبتمبر 97 دسمبر 1898.

مقدم بوركارت Commandant Burckardt دسمبر 98 نوفمبر 1902.

ملازم عقيد دوبرايّي دوسان جوليان Lieutenant-colonel de Boyer de St-Julien يناير 1903 فبراير 1904.

مقدم فاريان Commandant Farian مارس 1904 دسمبر 1908.

مقدم مانجان Commandant Mangin يناير 1909 مارس 1912.

وبسبب التنافس بين الدول الأوربية وطبقا لسياسة مولاي الحسن المتمثلة في الحفاظ على التوازن بين مختلف الدول الأوربية الطامعة في المغرب لمنع تمركز نفوذ أي دولة منها، فتحت البعثة الفرنسية الباب أمام البعثات الأوربية الأخرى.

فأثناء المفاوضات حول البعثة العسكرية الفرنسية، عبر المخزن لممثل انجلترا في المغرب جون دراموند هاي عن نيته في قبول مدربين انجليز، وباقتراح من هذا الأخير تم تعيين الضابط الأنجليزي هاري أوبرى دوفير ماكلين Harry Aubry de vere Mac Lean وهو ضابط مستقيل من الحامية الأنجليزية في جبل طارق حيث كان يدرب الطابور 69. ووصل ماكلين إلى طنجة في مارس 1877 قبل وصول البعثة الفرنسية كمدرب في خدمة المخزن دون أي طابع رسمي.

لم تعين انجلترا بعثة عسكرية رسمية إلا بعد وفاة مولاي الحسن وذلك لتعويض الأخوين ماكلين اللذين صارا متخصصين في تجارة الأسلحة وصفقات تجارية أخرى.

وفي سنة 1887 قبل المخزن بعثة عسكرية إيطالية برئاسة الملازم العقيد Bregoli كانت تضم الضابط Falta الذي خلفه الملازم Ferrare سنة 1889 وخبيرين في صناعة السلاح (Notari) واستقرت البعثة بفاس في أبريل 1888 وأوكل إليها بناء مصنع للسلاح داخل دار المخزن "الماكنة" والسهر على تجهيزه وإدارته.

وفي سنة 1888 وصل إلى الرباط المهندس الألماني Rottenburg وكان قبطاناً في Landwehr واستخدمه المخزن بصفة غير رسمية لبناء حصن ساحلي في الرباط "حصن الألماني" أو "حصن Hervé" فيما بعد لاستقبال مدافع Krupp. وابتداء من 1892 عزز Rottenburg بمهندسين عسكريين ألمانيين من شركة Krupp هما : نيلسن Nielsen وروزيس Rosinsa ثم بضابط صف مبير Meyer في 1896 لتدريب رماة الحصن على استعمال مدافع Krupp التي اقتناها المخزن.

وفي فبراير 1890 استقرت بفاس بعثة إسبانية مكونة من ضابطين من درجة مقدم Commandant هما خوصي الفاريز José Alvarez Cabrera ونقيب هندسي فيلاردي Velardé وبضابطي صف من أصل مغربي من حامية سبتة، وعززت هذه البعثة في 1891 بطبيب عسكري كورتس Cortés للأهمية الخاصة التي كان يتمتع بها الأطباء داخل المخزن، وقد أوكل لهذه البعثة القيام بالأعمال الهندسية وتكوين مختصين في بناء الجسور، وقد انضافت هذه البعثة لبعثة طوبوغرافية مكونة من ثلاثة ضباط وطبيب استقرت في تطوان سنة 1881 وترأسها في سنة 1882 Alvarez Ardamcy وهو ضابط شارك داخل الجيش الإسباني في حرب تطوان، وكان رئيساً لأركان الحرب العامة في سبتة سنة 1883. وبلغ مجموع المدربين الأوربيين في آخر عهد مولاي الحسن خمسة عشر مدرباً.

ورغم أن التجاء المخزن إلى عناصر أجنبية في الجيش لم يكن وليد القرن التاسع عشر إذ أن مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب استخدمت في جيوشها إما العلوج أو الأسرى المسيحيين أو الأتراك أو السود، فإن هذه العناصر كانت تختلف عن البعثات العسكرية الأجنبية في القرن التاسع عشر في كونها كانت خاضعة لأوامر المخَزن معزولة عن كل تأثير خارجي، على عكس البعثات سواء الرسمية منها أو غير الرسمية التي كانت تعتبر "تتميما للعمل السياسي الذي تقوم به القنصليات" إذ كانت تقوم بخدمة مصالح بلدانها وتنفيذ تعليماتها، تحت غطاء تدريب الجيش المخزني.

لهذا فإن وجود هذه البعثات لمدة عشرات السنين داخل الجيش العسكري المخزني لم يعط إلا نتائج ضعيفة من الناحية الثقنية ظهرت آثارها على المدى القريب في عهد مولاي الحسن، فيما كانت له انعكاسات سياسية خطيرة على المدى البعيد.

لقد أعطت هذه البعثات بعض التفوق للجيش المخزني على مقاتلي القبائل في عهد مولاي الحسن وخصوصا في ميدان المدفعية التي أوكلت للبعثة الفرنسية، واشهرُ من نظمها ودرب الطبجية وقاد مدفعية المخزن في الحركات، هو ايركمان الذي كان من بين أفراد البعثة الأولى وترأس البعثة الثانية من 1879 إلى 1883.

كما أن "القائد" ماكلين استطاع أن يكوِّن طابوراً من الحرابة مدربين على النمط الأوربي صار يشكل العسكر الخاص بالسلطان، مما أعطى للجيش المخزني مظهراً من النظام والقوة ميزه عن مقاتلي القبائل.

أما أعمال البعثات في الميادين العسكرية الأخرى فكانت نتائجها ضعيفة لا تتناسب مع المصاريف التي أنفقت عليها، وذلك بسبب حذر المخزن الذي لم يول البعثات كل ثقته، وبسبب انشغالها في الصراع فيما بينها وفي التجسس فيما بينها وعلى المخزن، وعدم تقبل العساكر المغربية الخضوع لمدربين "كفار".

ففي ميدان المشاة "الرجالة" لم تستطع البعثة الفرنسية بعد عدة سنوات من الوجود في المغرب أن تدرب أكثر من طابور الرباط والدارالبيضاء وفضالة.

أما في ميدان التجهيزات العسكرية فإن الماكينة التي تكلفت بها البعثة الإيطالية وأولاها مولاي الحسن كثيراً من الاهتمام والجهود والمال منذ سنة 1887 لم يكن إنتاجها في أواخر عهد مولاي الحسن يغطي مصاريفها، إذ لم يكن معدل هذا الانتاج يفوق ستا وأربعين بندقية (مكحلة) في الشهر، وكما أن انتاج البارود كان يتوقف لأتفه الأسباب كعدم وجود عود الدفلى مثلا، وكادت مهمة الماكينة سنة 1894 تنحصر في إصلاح أوان لا علاقة لها بالأسلحة.

أما حصن الرباط الذي تكلفت به البعثة الألمانية، فلم يتم بناؤه رغم السنوات الستّ التي قضاها روتنبورغ في ذلك ورغم المصاريف الهائلة التي خصصت له.

وعلى عكس النتائج التقنية لهذه البعثات التي بقيت سطحية وضعيفة فإن نتائجها السياسية كانت لها انعكسات مباشرة وعميقة على الجهازالمخزني، فدخول بعض أفراد البعثة الفرنسية والأنجليزية لمراكش لتدريب المدفعية والحرّابة ودخول البعثة الإيطالية لفاس، فتح العواصم السّلطانية لباقي البعثات العسكرية الأخرى، وللتجار الأجانب والقناصلة والبعثات الدينية التبشيرية الأنجليزية والإسبانية والأمريكية.

كما أن هذه البعثات ساهمت في "تدويل" المسألة المغربية واحتدام الأطماع حول البلاد، إذ أن الصراع والتنافس على احتلال مواقع النّفوذ داخل المخزن كان مستمراً من المدربين الفرنسيين والإسبان والإيطاليين والأنجليز والألمانيين، وكل امتياز أو تساهل من المخزن لفائدة بعثة ما، كان يذكي هذا الصراع ويفتح باب المناورات والضغوط لكن يطبق على البعثات الأخرى ويصبح حقاً ذا صبغة دولية. وهكذا كان دخول إركمان Erckman وماكلين Mac Lean، للمحلة السلطانية، حافزاً لإسبانيا وألمانيا فيما بعد للوصول لنفس الشيء، إذ استطاع الدكتور الإسباني بيلار كافاليس Pilar Cavalez الذي كان مكلفا بتكوين ممرضين عسكريين بطنجة أن يدخل المحلة كطبيب للعسكر، كما دخلها الألمان كخبراء في المدافع، وانتهى الأمر بتمثيل كل البعثات داخل الحركات السلطانية. كما أن هذه البعثات سواء التي لها صفة رسمية أو خاصة، قامت بحركة وجمع معلومات لصالح حكوماتها. وسَهّل مأموريتها وجودُها داخل الجهاز المخزني وتنقلها في أنحاء البلاد بصفة رسمية من خلال مصاحبتها للحركات.

كانت هذه المعلومات ترسل في شكل تقارير إلى الوزراء المفوضّين في طنجة الذين يقومون بدورهم بإرسالها إلى الجهات المسؤولة حسب نوع التقرير، فمثلا كان رئيس البعثة الفرنسية يرسل تقاريره إلى الوزير المفوض الفرنسي الذي يقوم بتوجيهها حسب محتواها، إما لوزارة

الدفاع أو الخارجية أو الحاكم العام في الجزائر وفي بعض الأحيان حينما يتعلق الأمر بأمور جد سرية يرسل التقرير في غلاف مختوم باسم الوزير الذي يريد رئيس البعثة أن يزوده بالمعلومات ويوضع الغلاف في غلاف باسم الوزير المفوض ثم صار رئيس البعثة يرسل كل شهر تقريراً للحاكم العام في الجزائر مباشرة. وكانت هذه التقارير تحتوي على تحليلات ومعلومات مختلفة عن الحالة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وعن السلطان وحركاته وسكناته واستقبالاته وكل أنواع الأخبار الرائجة عن القصر وفي الأوساط المخزنية، وعن كل أفراد المخزن وذهنيته، ونقط ضعفه وميولاته، وعن الأشخاص الذين يمكن "الاعتماد عليهم" إذا اقتضى الأمر، وعن البعثات الأوربية الأخرى ونوايا حكوماتها وعلاقاتها بعضها ببعض وعلاقتها بالمخزن. وهذا النشاط الاستعلامي قام به حتى الضباط الذين حازوا ثقة المخزن، فقد استغلوا هذه الثقة ليستقوا معلوماتهم من مصدر موثوق، وليكونوا عيناً على كل ما يجري داخل البلاد، ويوجّهوا كثيراً من الاختيارات المخزنية لصالح بلادهم، وأشهر هؤلاء ثلاثة ضباط هم :

- إركمان الذي اختاره الجنرال Chanzy الحاكم العام الفرنسي من بين جنود الجيش الفرنسي في الجزائر الذين يتقنون اللغة العربية، ويعرفون العادات والتقاليد المغربية، وقد مكث داخل الجيش المخزني ست سنوات من سنة 1877 إلى 1883، لبس خلالها الزيّ المخزني وصار مستشاراً لمولاي الحسن في أمور السلاح، وكان يجتمع به مرة كل أسبوع في دار المخزن للرمي بالمدفع، وقاد حركاته وعند انتهاء مهمته أنعم عليه السلطان بظهير شريف. وإلى جانب التقارير التي أرسلها إركمان طوال هذه المدة، خلف كتابا بعنوان مغرب *اليوم* وهو تحليل نقدي عسكري وسياسي لعهد مولاي الحسن.

- الدكتور لينياريس الذي مكث داخل الجيش كطبيب عسكري من سنة 1878 إلى 1902، وقد اتخذت اجراءات إدارية منذ البداية لإزالة كل الشبهات حوله. وتسهيل مأموريته، إذ تم انتدابه "Détaché" عن وزارة الحربية ووضع رهن إشارة وزارة الشؤون الخارجية، وطوال الأربع والعشرين سنة التي بقي فيها داخل الجيش وبحكم مهنته كان يدخل القصر، ويرافق السلطان في كل مكان ويقدم النصائح. وعمل على التعرف على أكثر الأسر المغربية سواء المخزنية منها أو غيرها، وعلى تكوين "لوبي" فرنسي، ولم يتوقف عن نشاطه إلا حينما أصيب بمرض في عينيه فارق على اثره المغرب، وقد نعتته بعض الكتب والجرائد في ذلك الوقت بلقب "الفاتح الأول للمغرب".

- القائد ماكلين Hary Haubry de vere Mac Lean وقد اشتهر باسم القائد ماكلين، و"الكلونيل" وعمل داخل الجيش المخزني كمدرب للحرّابة، وكان يلبس الزي المغربي هو وزوجته وبناته واخوانه، وبصفته غير الرسمية حاز ثقة السلطان مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز من بعده. وأوكلت إليه كل الأمور المتعلقة بشراء الأسلحة والتجهيزات كتجهيز الماكينة "وصار في عهد وزارة المنبهي للحربية يحتل تقريبا مكانة رئيس عام لأركان الحرب" وأوكلت إليه حتى المهمات السياسية والدبلوماسية، فمثلا في سنة 1902 حينما تزايد الضغط الفرنسي على المغرب أرسل في مهمة سرية لانجلترا حيث استقبله الملك إدوارد السابع، وبلغت درجة قربه من مولاي عبدالعزيز حداً جعلت الإشاعات تروج عن زواج السلطان بأحد بنات ماكلين، وكان هاي يعتبره "السفير الأنجليزي في المغرب".

وإضافة إلى هذا النشاط الاستعلامي المتمثل في جرد علمي لكل المعطيات في المغرب مما سهل إلى حد ما المهمة الاستعمارية فيما بعد، إذ كشف للأجانب نقط الضعف في البلاد ودرجة تدهور المؤسسات العسكرية والسياسية، ساهمت البعثات بقسط وافر في عملية زعزعة المؤسسات التقليدية. بصفة غير مباشرة ومباشرة.

فوجود عناصر "كافرة" داخل الجيش المخزني في وقت تأججت فيه الحزازات الدينية ضد العدو الكافر الذي احتلّ الجزائر وتأكدت فيه الأطماع الاستعمارية تسبب في مشاكل للمخزن تضاعفت بارتفاع الضغط الأوربي. فمثلا لم تلق البعثة الفرنسية الأولى التي استقرت في وجدة أي ترحيب من السكان رغم توجّه شريف وزان لأهالي وجدة يطلب منهم أن يحسنوا علاقاتهم مع الفرنسيين، وتعرض أحد أفرادها اليوتنان جورني Journée لمحاولة اغتيال، وبقي الجنود يرفضون إطاعة أوامر مدربي البعثة. وبالرغم من كون الضباط الأجانب داخل المحلة خلال الحركات كان يفرض عليهم لباس الطربوش عوض القبعة العسكرية الأوربية، فقد تعرض الضابط Smith للاغتيال في قبيلة زمور. مما أوقع المخزن في مأزق مع الحكومة الفرنسية التي طالبت بتأديب قبيلة القاتل وفرض غرامة عليها دية للقاتل.

وقد ظهرت أخطار هذه البعثات للسلطان المولى الحسن فطالب سنة 1886 الدول الأوربية بسحب بعثاتها، وجدد طلبه في 1889 بمناسبة إرسال بعثة مغربية للمشاركة في المعرض الدولي بباريس، وبقي إلى موته يطالب بذلك فرنسا والدول الأخرى، ولكن كل دولة كانت تشترط قبول سحب بعثتها بانسحاب البعثات الأخرى أولا، بل إن فرنسا عرضت على السلطان أن تؤدي هي مرتبات بعثاتها حتى تخفف من عبء النفقات التي كانت من بين التبريرات التي قدمها السلطان لتعزيز طلبه.

ومع تسارع حركة التغلغل السياسي الأجنبي، وانحلال المخزن المغربي تحت الضغط الأجنبي في أواخر عهد مولاي الحسن خلال حجابة أحمد بن موسى، لعبث البعثتان الأنجليزية والفرنسية دوراً مباشراً في هذا التغلغل وفي خلق متاعب المخزن في علاقته، فالبعثة الأنجليزية ازداد نفوذها في فترة وزارة المنبهي في الحربية، ووجد ماكلين في ترويج الاختراعات العصرية الأوربية بابا للربح، إذ زاول كل أنواع التجارة من سلاح وآلات ودراجات وسيارات الخ وأدخل

مجموعة من الأنجليز كان لهم أثر سلبي في أعين القوى الحية من قبائل وعلماء وسكان المدن، كما أن وجود قواد أوربيين في جيش مولاي عبدالعزيز عند مواجهة جيش مولاي حفيظ المكون من القبائل كان له نصيب وافر في انهزام الجيش المخزني أمام الجيوش الرافعة لراية الجهاد.

وبعد انتهاء الوضع القائم المغربي Statuquo marocain والاتفاق الفرنسي ـ الانجليزي في 8 أبريل 1904 وإعطاء الضوء الأخضر لفرنسا في المغرب، تعززت البعثة الفرنسية بفرع في طنجة، وصار دورها هو وضع اللبنات الأولى للاستعمار الفرنسي، فقد وسعت اختصاصاتها واستولت على تسيير الجيش وتدريبه وصارت منذ 1905 تعلن صراحة أن هذا الجيش الذي أسند إليها تدريبه يجب أن يستعمل مباشرة في تدخلها العسكري في المغرب. ولهذا الغرض قدمت مشروع قانون جديد لتنظيم الجيش المغربي، واضطر المخزن الذي كان في حاجة إلى اعانة الجيش الفرنسي لإخماد ثورة الجيلالي الزرهوني الملقب ببوحمارة الذي كان من بين الطلبة المهندسين الذين درّبهم الضابط طوماس، إلي الرضوخ لمطالب البعثة : فاستغنى عن البعثات الأخرى بما في ذلك المدربون الأتراك العشرة الذين كان المولى حفيظ قد أحضرهم لمقاومة نفوذ البعثة الفرنسية، وكلفها سنة 1909 ببناء مستشفى عسكري في فاس وأوكل المدفعية وخزائن السلاح والعدة التي كانت فيما قبل تحت يد وزير الحرب الى قائد البعثة مانجان وأوكل إليه كذلك مؤونة الجيش والرواتب مما زاد في عزل الجيش المخزني.

وأسست البعثة ست وحدات من الگوم في كل وحدة مائة وخمسون من الرجالة وخمسون من الخيالة، وقاد مانجان كل العمليات العسكرية ضد القبائل المغربية "الثائرة" كالعملية ضد شاردة وأولاد جامع وبني مطير.

وفي 4 مارس 1910 قامت البعثة بتطبيق القانون الذي قدمته في 1905 بتجريد العسكر المغربي من سلاحه وجمعته في خمسة طوابير من الرجالة و ثلاثة من الخيالة وطابورين من العبيد.

ومنذ 1911 نسقت البعثة تسير الجيش المغربي مع جيش الاحتلال مما تسبب في خلافات متعددة حول "الصلاحيات".

وبمرور الجيش "الشريف" تحت أوامر الجنرال الفرنسي Brulard منذ مارس 1912 انتهى دور البعثة الفرنسية.

كناش شؤون الجيش في خ. ح، كناش 112 م، 210 شؤون الجيش، كناش 429، 3144 ؛ تقارير البعثات الفرنسية ؛ وثائق وزارة الحربية الفرنسية فانسين ؛ وثائق وزارة الخارجية، كي دورسي Quai d'orsay ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف ؛ ع. ابن منصور، أعلام المغرب العربي، ج 1 و2.

J. Erckman, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885 ; E. Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900; E. Ferry, *La réorganisation marocaine*, Paris, 1905 ; Ch. René-Leclerc, *L'armée Marocaine*, Alger, 1905 ; Brives, *Voyages au Maroc, 1901 - 1907*, Alger, 1909 ; J. Caillé, *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman, Hesp.*, 1954, T. XLI ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XXème siècle*, Rabat, 1958 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1820 - 1894*, Paris, 1961 - 1963, T. III et IV ; T. Berrada, *Quelques aspects du rôle des missions militaires européennes au Maroc, Hesp.*, Vol. JXXV, 1987.

ثريا برادة

البعثة العلمية للمغرب، La Mission Scientifique du Maroc مجموعة فرنسية للبحث اهتمت بالدراسات المغربية لأغراض سياسية استعمارية بعد أن تم احتلال الجزائر سنة 1830، ومرّ وجودها بعدة أطوار خارج المغرب قبل أن تصبح مؤسسة رسمية تعمل بطنجة ثم بالرباط، وتُصدر منشورات متنوعة عن المغرب الأقصى. ومن الأكيد أن عملية الاستكشاف "العلمي" قد تفاعلت، خصوصا في فترة ما قبل الحماية، مع مصالح اقتصادية ومالية فرنسية صعّدت الصراع بين الشركات الرأسمالية الكبرى. وكان لكل من هذه المصالح امتداده أو من يمثله على مستوى الفعاليات "العلمية" التي كانت تهتم بالمغرب. مما أدى إلى نوع من الصراع بين باحثين ينتمون للمدرسة العليا للآداب بالجزائر، وآخرين ينتمون للمتربُول. ويمكن اعتبار سنة 1890 كبداية للاهتمام الذي أولاه الباحثون الجامعيون الفرنسيون لدراسة منتظمة للمغرب. ذلك أن المعلومات كانت، قبل هذا التاريخ، غير كافية. ويلاحظ أن هذه الدراسة تركزت، في البداية، على معرفة المغرب من الناحية الجغرافية : بنية الأرض، تحديد المناطق الجغرافية، وعلى جمع المعطيات، والمخطوطات المتعلقة بالمغرب : تاريخ البلاد، اللهجات المستعملة من طرف السكان وعاداتهم، وكذا معتقداتهم وتنظيماتهم الاجتماعية.

احتكر عملية الاستكشاف هذه "فرنسيو الجزائر"، بينما ظل "فرنسيو فرنسا"، الذين كانوا يُنعتون ب "المغاربة" يعتبرون أن المغرب يجب أن يبقى ميدان بحث من اختصاصهم. ونتج عن هذا التنافس، على مستوى البحث "العلمي"، تكوين لجنة المغرب Le comité du Maroc ضمن لجنة افريقيا الفرنسية Le comité de l'Afrique Française التي تأسست سنة 1890، بادرت باصدار دورية : نشرة لجنة افريقيا الفرنسية *Le Bulletin du comité de l'Afrique Française*، صدر العدد الأول في يناير 1891. ومن بين المهام التي أنيطت بلجنة المغرب، داخل لجنة افريقيا الفرنسية، تولى إدارة العملية الاستكشافية المتعلقة بالمغرب وذلك حتى تاريخ تأسيس البعثة العلمية.

تأسست اللجنة العلمية للمغرب بطنجة على يد الفريد لوشاتوليي Alfred Le Chatelier، الذي بدأ عمله بالجزائر كضابط للشؤون الأهلية، وكعضو في لجنة افريقيا الفرنسية أصبح يتتبع، بعد 1890، السياسة الاستعمارية لبلده وخصوصاً منها المتعلقة بالمغرب. ومما ميزه أنه أكد منذ البداية على ضرورة معرفة المغرب ودراسته دراسة مستفيضة سواء من حيث الطبيعة، أو الانسان، أو من حيث المعتقدات والتقاليد والمكونات الاجتماعية. كما كان لوشاتوليي من الذين ألحوا على ضرورة الحصول على ثقة السكان و ثقة المخزن.

ابتداء من سنة 1889، بدأ لوشاتوليي في إلقاء دروسة بكوليج دو فرانس Collège de France. وبفضل مساندة ودعم شخصيات سياسية وبرلمانية كأوجين إتيين Eugène

Etienne وريفويل Revoil تم تأسيس كرسي علم الاجتماع الاسلامي Sociologie Musulmane بكوليج دو فرانس سنة 1903 وعين الفريد لوشاتليي أول أستاذ لهذه المادة. والظاهر أن الغرض من تأسيس هذا الكرسي، لم يكن يقتصر فقط على تكوين إداريين استعماريين، بل أيضاً بناء سياسة استعمارية بالعمل على اقتراح برامج استناداً على وثائق ومعرفة "علمية" بالأوساط الاسلامية. لذلك فكر أ. لوشاتليي، أول الأمر في خلق ملاحق لكرسي علم الاجتماع الاسلامي عبر مختلف المستعمرات الفرنسية، بغية الاقتراب، بما فيه الكفاية، من السكان المعنيين وإفادة كل من يهمهم الأمرسواء كانوا مدنيين أو عسكريين. وقد راودته، في البداية، فكرة تأسيس معهد مغربي، على غرار معاهد أخرى كمعهد الآثار الشرقية بمصر ومعهد الهند الصينية.

وبعد أن تخلى لوشاتليي عن فكرة تأسيس "المعهد المغربي" ومباشرة بعد إحداث كرسي علم الاجتماع الاسلامي بكوليج دو فرانس، أرسل جورج سالمون Georges Salmon أحد قدماء مدرسة القاهرة، الذي سبق أن التقى به بطنجة في سنة 1892، في مهمة لمدة سنتين للبدء في تكوين اللبنات الأولى لما سمي "بالبعثة العلمية للمغرب". كما كلفه أيضا بجمع الكتب وتنظيم مكتبة مختصة في كل ما يتعلق بالمغرب لتكون في خدمة أطر البعثة العلمية والمفوضية الفرنسية بطنجة والعمل على إنجاز دراسات منغرافية حول المغرب.

تأسست "البعثة العلمية للمغرب" بقرار من الحاكم العام بالجزائر م. جونار M. Jonnart بتاريخ 20 أكتوبر 1903. وبالرغم من اعتبارها مؤسسة خصوصية، إلا أنها استفادت من إعانات وزارة الخارجية الفرنسية كما اضطلعت الجزائر بتمويل جزء من ميزانيتها. وكانت تعمل بجانب المفوضية الفرنسية بطنجة. الغاية من تأسيسها حددها إ. ميشو بيلر Edmond Michaux-Bellaire كالتالي :"البحث في عين المكان عن كل الوثائق الضرورية لدراسة المغرب، وإعادة صياغة تنظيماته وحياته، ليس فقط بالاستعانة بالكتب والمخطوطات، بل أيضا بالمعلومات الشفوية وبأعراف القبائل والزوايا والعائلات". وبموازاة مع هذه الوظيفة "العلمية" هناك وظيفة أخرى ذات طابع سياسي، الغرض منها توفير الظروف المواتية للدخول الفرنسي إلى المغرب مع "تفادي الأخطاء المرتكبة في الجزائر نتيجة عدم دراسة البلاد بما فيه الكفاية". ذلك ما دفع بفرنسا لتعطي كامل الأهمية لتهييء دخولها إلى المغرب بطريقة منهجية. لذلك نرى أن العمل على إعداد دخول استعماري "علمي" و"سلمي" كان من بين الأسباب التي دفعت إلى إحداث البعثة العلمية.

أصدرت البعثة العلمية مباشرة بعد تأسيسها أول جزء من سلسلتها *الوثائق المغربية Les Archives Marocaines*، هذه السلسلة التي تكوّن رصيدا وثائقياً يضم 34 جزءا (الجزء الخامس والعشرون لم يظهر) توالى نشرها فيما بين 1904.1936. تشكل هذه السلسلة إحدى المجموعات الوثائقية المطبوعة، الأساسية لدراسة المغرب سواء من ناحية التاريخ والجغرافيا أو اللغة والسكان، والغرض الأساسي من إصدار هذه السلسلة كان هو العمل على إعداد "فهرس" للمغرب وقبائله ومدنه وزواياه، وكذا البحث عن أصول القبائل المغربية وأصول السكان وتتبع مختلف الصراعات والأحلاف عبر الدول التي مرت بالمغرب، والتعرف على أعراف البلاد ومؤسساتها.

ومن النتائج العملية المباشرة لانشطة البعثة العلمية أنْ تم توزيع الأجزاء الأولى من سلسلة الوثائق المغربية على المشاركين في مؤتمر الخزيرات سنة 1906، والذي حضره جورج سالمون وتولى فيه الرد على مندوبي المغرب الذين نبهوا إلى أن الدراسات الاستكشافية تتنافى ومقتضيات التشريع الإسلامي. وأكد سالمون مشروعية هذه الأبحاث وشرعيتها.

بعد وفاة جورج سالمون سنة 1906، خلفه زميله ميشو بيلير، الذي كان يعمل بجانبه في البعثة منذ سنة 1904. وفي نفس سنة 1906 أصدرت البعثة العلمية للمغرب، إلى جانب *الوثائق المغربية*، *مجلة العالم الإسلامي La Revue du Monde Musulman*، التي أضافها لوشاتليي، لأنه كان يفكر ـ حسب ميشو بيلير ـ في إصدار دورية لدراسة الحضارة الإسلامية، التي يجب أن تدرس، على اعتبار شكلها ونتائجها، حسب مختلف البلدان الإسلامية. استمر صدور هذه المجلة حتى سنة 1927 ثم تغير عنوانها فأصبحت تحمل عنوان : *مجلة الدراسات الإسلامية La Revue des Etudes Islamiques*.

بعد التوقيع على معاهدة الحماية، حصلت البعثة العلمية على الشخصية القانونية بمقتضى ظهير 11 أكتوبر 1913. ولأن المقيم العام آنذاك Lyautey فكر في إحداث إطار تابع للإقامة العامة يتكلف بالإعلام "العلمي"، لذلك اقترح على لوشاتوليي في مراسلة وجهها إليه بتاريخ 31 يناير 1913، مشروعا للتعاون بين البعثة العلمية والاقامة العامة. من بين ما يتضمنه هذا المشروع العملُ على تجميع ونشر بعض أعمال ووثائق مصالح الحماية. كما نص هذا المشروع، في بنده الأول، على أن الجذاذات التي تتناول الأوضاع التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والادارية للمدن والقبائل المغربية التي يتم إنجازها في مختلف المناطق، وكذا الكتابات والأعمال المختلفة التي تصدر عن أعوان الحماية، والتي لها طابع اجتماعي أو تهم السياسة الأهلية، ويراها المقيم العام تستحق النشر، يتم تجميعها لتكوّن سلسلة وثائقية تتولى البعثة العلمية للمغرب بطنجة نشرها، تحت إشراف الاقامة العامة.

وأكد هذا المشروع، كذلك، على امكانية استشارة البعثة من طرف مصالح الحماية في كل المسائل المتعلقة بالتاريخ الإسلامي للمغرب، بنظامه القانوني ومؤسساته الأهلية بمختلف أشكالها، وفي مختلف النقط المتعلقة

بالسياسة المغربية الداخلية. كما حدد الفصل السادس طبيعة هذه الاستشارة، حيث نص على أن المعلومات التي قد تتمّ بصددها الاستشارة يمكن أن تكون ذات طابع وثائقي أو طابع استشاري، للحصول على معلومات ذات طابع "موضوعي".

بعد أن تم الاتفاق مع المقيم العام بتسليم الجذاذات التي يعدها ضباط الاستعلامات، للبعثة العلمية، تكفلت هذه الأخيرة بكتابة منغرافيات تتعلق بمدن وقبائل المغرب. وهكذا ابتداء من سنة 1914، وبتعاون مع مديرية الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات، ظهرت سلسلة *مدن وقبائل المغرب Villes et Tribus du Maroc*، والتي تتكون من أحد عشر جزءاً تم نشرها فيما بين 1915 و1932. وتهم هذه الدراسات على التوالي :

1 ـ *الدارالبيضاء والشاوية Casablanca et Chaouia*، 1915، في جزئين.

2 ـ *الرباط واقليمه Rabat et sa région*، 1918، أربعة أجزاء.

3 ـ *طنجة ومنطقتها Tanger et sa zone*، 1921، جزء واحد.

4 ـ *القبائل البربرية Les Tribus Berbères*.

I ـ *أيت باعمران*، ج 1، 1930.

II ـ *مقاطعات وقبائل الهضبة العليا لدرعة*، ج 2، 1931.

5 ـ *منطقة دكالة La Région des Doukkala*، 1932، جزآن.

وفي سنة 1919 تم إلحاق البعثة العلمية بمديرية الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات تحت اسم "الشعبة الاجتماعية Section Sociologique"، وانتقل مقرها من طنجة إلى الرباط.

ويمكن القول إن أنشطة البعثة العلمية همت، حتى سنة 1920 بالخصوص، المناطق التي تستعمل فيها اللغة العربية؛ كما أنها ركزت أساسا على انجاز أعمال منغرافية عن مدن وقبائل الشمال الغربي للمغرب.

عملت المنشورات والأدبيات التي أنتجتها "البعثة العلمية" على تطوير ونشر فكرة أو مصطلح "بلاد السيبة" مقابل "بلاد المخزن" بالمغرب، كما تميزت السياسة الأهلية بالارتكاز على نتائج الأبحاث وعلى معطيات الاستمارات والتحقيقات التي أنجزتها البعثة، حيث إن الاستعمار عمل جاداً في البحث عن طريقة تمكنه من إخضاع الأهالي بأقل كلفة ومن إحلال وضعية سلمية دائمة. كما احتل ميشو بلير، كرئيس للبعثة من سنة 1906 حتى تاريخ وفاته في 15 ماي 1930 مركزاً هاماً في تسطير سياسة الحماية، وكان ألفريد لوشاتوليي قد سبقه بالوفاة في تاسع أكتوبر 1929. فأخذ معهد الأبحاث العليا المغربية يحل محل الشعبة العلمية. وبصدور العدد الرابع والثلاثين من الوثائق المغربية سنة 1936 عن "شعبة الدراسات الإسلامية" التابعة لمديرية الشؤون السياسية، برآسة الكولونيل جوستينار، انتهت إصدارات "البعثة العلمية".

E. Burke III, *La Mission Scientifique du Maroc. Sciences Sociales et politiques dans l'âge de l'impérialisme au Maroc, Actes de Durham : Recherches récentes sur le Maroc moderne*, Rabat, *B.E.S.M.*, 1979, N° 138 - 139, p. 37 - 56 ; E. Michaux-Bellaire, *La Mission Scientifique du Maroc, Conférence faite au cours des Affaires Indigènes*, Rabat, 1925, p. 22.

مَحمد جادة

البُعْزة، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إنها شريفة دون أن يذكر أصلها، حيث نجد في المصادر الإسبانية ما يؤكد أنها أندلسية، وما زالت هذه الأسرة معروفة حتى اليوم بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azszuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البعّاج ← **الصبيحي**

بعقيلة ← **إدا وْبعقيل**

البعقيلي، إبراهيم بن عبدالله البوشيكري، أدرجه صاحب *المعسول* (11 : 136) بين إخوة سبعة ترجم لهم، ينتمون إلى الوالد عبدالله ويُذكرون بحفظ القرآن الكريم والاشغال بالتدريس بمدارس بلدهم بعقيلة مع المشاركة في فضّ النوازل المحلية، يضاف إلى ذلك ما نقل عن بعضهم من منظومات وأرجاز.

أخذ إبراهيم عن والده عبدالله آتي الترجمة، *القرآن الكريم* وما معه من المعارف، واقتصر على الأخذ عليه فيما يظهر، وذلك بسبب ما كان لوالده من حدب على بَنيه تربية وتعليماً وتغدية، حتى إنه كان يستصحبهم جميعاً إلى كل دعوة طعام مؤثراً إياهم آحيانا في الأكل مقتحماً في سبيلهم مشقة قرع أبواب المسؤولين بالناحية حتى لا ينشأ أحدهم جاهلاً أو ناقص تعليم.

لذلك نشأ هؤلاء الأبناء، من بينهم إبراهيم، على ما ورثوه من والدهم من خصال البساطة في العيش والنسك مع سذاجة في الطبع تتناسب ومقام الأسرة في الشرف والنسب، وحرص على التحلي بالسنة والابتعاد عن البدعة في المأكل والمشرب واللباس والزواج وغيره.

واشتهر إبراهيم، إلى جانب التدريس، بالمداعبة والمرح، وكانت له لحية كثيفة مسترسلة على صدره بلغ من شدة الاعتناء بها ومشطها والحرص على ألا يسقط شعرها الكثيف أنه كان ينام على قفاه خوفا من تعرضها للضغط وسقوط شعرها. وكان يقول : ليس من السهل على أي إنسان أن يربي مثل هذه اللحية !.

وكانت فيه إلى جانب روحه المرحة صراحة عرف بها بين أهل بلدته وعند (المجاطيين) عامة حيث قدر له أنه يعلّم بمساجدها على الشرط متنقلا ما بين مسجد دوگادير وقرية أكْرض نْتَسَگدلت.

توفي إبراهيم البعقيلي عام 1883/1301.

م. المختار السوسي، *رجالات*، 134.135 ؛ *المعسول*، 11 : 136، 143، 144.

البعقيلي، الأحْسن بن محمد بن بوجمعة (الحاج ـ) ويكتب أحياناً الحسن ـ بدون همز. حفظ القرآن ببلدته الأولى بعقيلة بمدرسة (إگضي) وفيها رأى أن الرسول عليه السلام كساه حلة أولّها صاحب الترجمة بالدين والإمامة والاطلاع على الحقائق (*المعسول*، 11 : 161.163).

ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة العربية، فأخذ عن جملة من الأساتذة أمثال أحمد المافاماني وأبي القاسم التاجرمُونتي بالمدرسة الإلغية، والمحفوظ الأدوزي بالمدرسة البوعبدليّة، وأحمد البوزوگي الگسيمي، والحاج علي المسفيوي بمدرسة أخليج بأريكة قرب مراكش. ثم لازم بعد ذلك الحاج مسعوداً الوفقاوي بمدرسة بْوابُوض قبل أن يلتحق بفاس سنة 1900/1318 حيث بقي بمدرسة الصفارين مدة يسيرة، ثم التحق بالقائد سعيد الدمناتي من قواد الرحى وحضر معه في وقعة نزع السلاح من الجيش في عهد المولى عبدالحفيظ. ثم التحق بأولاد گنون فتزوج هناك وولد له واكتسب مالاً قبل انتقاله إلى القصرالكبير الذي تزوج به من إحدى الأسر الفاسية، على أنه سرعان ما انتقل إلى مدينة سطات ماراً بالخزازرة واستقر به المقام أخيراً بمدينة الدارالبيضاء سنة 1929/1348 وظل بها إلى وفاته سنة 1948/1368.

إلى جانب هذا النشاط العلمي والرحلات والمهمات الرسمية أسهم صاحب الترجمة بحظ وافر في مجال التصوف، فقد أذن له باكراً في الطريقة الأحمدية = التيجانية أستاذه الشهير الحاج الحسين الإفراني مؤسس الزاوية التجانية بتزنيت.

كما أخذ التصوف أيضاً عن الشيخ عبدالله القشاش السويري (*المعسول*، 11: 160) وقد أثبت صاحب *المعسول* إجازة الشيخ الإفراني لصاحب الترجمة تتضمن توجهات دقيقة في كيفيات استعمال بعض الأذكار وآداب ذلك للمريد السالك طريق الترقي والتزكية عند الصوفية عامة وعند الشيخ التجاني خاصة، مع الإذن بتلقين المريدين هذه الأذكار وما يفعل في تلقين الاسم الاعظم (*المعسول*، 11 : 161).

وقد أجيز صاحب الترجمة في السلوك الصوفي من طرف شيوخ آخرين، منهم علي الإگسلي والطيب بن أحمد بن الطيب السفياني، وأحد أحفاد الشيخ التجاني مؤسس الطريقة، ومن الشيخ التجاني نفسه عن طريق الاتصال الروحي في الاسم الأعظم وغيره.

وحصَل له بسبب هذا التجوال على مستوى الأمكنة والرجال ما بين قراء وعلماء وصوفية وحكام ملامحُ سلوكية وعلمية بارزة طبعت شخصيته فجعلته متمكناً من الحديث، حَسَنَ المحاضرة والاستطرادات اللغوية والقصصية وغيرها، مع ميل إلى الانبساط، متخذاً ذلك أسلوباً تربوياً لإنياس المريدين والزوار، مع ما استلزمه ذلك من كرم في الضيافة ورفع للحرج بينه وبين خواص جلسائه إلى درجة المازحة الحرة اللائقة للنظر.

ورغم ذلك كان ضابطاً للسانه في تناول سيرة الأشخاص مع حرص على ملازمة الوضوء وإقامة الصلوات في أسرته ذات العدد زوجات وأبناء.

وإلى جانب هذه الحياة الصوفية الحافلة أنتج قلمه مجموعة من المؤلفات وربما كان ذلك من أثر تخرجه من المدرسة الإلغية ذات الاتجاه الأدبي بسوس حتى وصفت مؤلفاته بالجودة، فكتب في التفسير على طريق الصوفية أهل الحقائق كتابه المسمى *مقاصد الأسرار والخفى والجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى*، وهو في تفسير سورة البقرة في جزءين طبع بالدارالبيضاء سنة 1935/1354. وكتب في الأنساب كتابه المسمى *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجّه كل سائل*، طبع بالمطبعة نفسها سنة 1939/1358 في 122 صفحة. وطبع له أيضا كتاب *تحفة الأطفال في مُعرب الأسماء والأفعال*، سنة 1935/1354 في 36 صفحة. وله في هذا الاتجاه *رسالة إلى الولدان من فارس أهل الميدان*، طبعت سنة 1938/1357.

كما خصص بعض مؤلفاته للرد على بعض العلماء ككتابه *الاشفاق على مؤلف صاحب الاعتصام مما جناه إفكه على أهل الاسلام*، المطبوع عام 1938/1357 في 60 صفحة. وكذا كتابه : *إعلام الجهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق*، ممزوجا بالمولد النبوي، طبع سنة 1938/1357 في 37 صفحة.

وله في التصوف وعلوم الحقيقة عدة مؤلفات، منها *حاشية على كتاب علي حرازم برادة جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدنا أبي العباس التجاني* وسمى هذه الحاشية *بالشرب الصافي من الكرم الكافي*، طبعت سنة 1935/1354 في جزأين. وله أيضا *إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية*، طبع سنة 1934/1353. *وتحقيق الحقائق عن كشف مقالات أهل الطرائف*، طبع سنة 1937/1356 في 160 صفحة. وله أيضاً : *ترياق لمن فسد قلبه ومزاجه*، طبع سنة 1939/1358. *والزلال الأصْفَى واللباب المحض الأوفى*، طبع سنة 1934/1353 في 220 صفحة. وكذا *سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار*، طبع في السنة المذكورة أيضاً في 135 صفحة. *ورفع الخلاف والغمة فيما يظهر فيه اختلاف الأمة*، طبع سنة 1935/1354 في 108 صفحة. *وإيضاح الأدلة بأنوار الأئمة*، طبع سنة 1934/1953 في 115 صفحة.

وقد أسس من أجل إخراج هذه المؤلفات التي دأب على نشرها تباعاً المطبعة العربية بالدارالبيضاء، وكانت زاويته بحي درب غلّف في المدة التي قضاها بهذه المدينة ما بين نشاط علمي وطباعي ونشاط تربوي صوفي لم يخل من مكدِّرات وظروف حرجة ومواقف صعبة في مرحلة دقيقة من تاريخ المغرب.

وكانت وفاته عام 1948/1368.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 155.186، 12 : 193 ؛ *سوس العالمة*، 208، 218 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 74 ؛ م. ر. كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 211 ؛ إ. بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 174.175.

البعقيلي، أحمد بن علي بن إبراهيم، أحد الفقهاء البعقيليين المشهورين خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر(17م) في منطقة إداوْبعقيل بالأطلس الصغير(جبل جزولة) وقد تخرج من هذا الجبل خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر عدد كثير من الفقهاء والعلماء من بينهم العلامة عبدالله بن يعقوب السملالي المعروف لدى السكان في سوس بـ "ابن يعقوب" الذي يعتبر صاحب الترجمة من تلاميذه حسب الحضيكي (1 : 68) فهو يقول :"أحمد بن علي بن إبراهيم البعقيلي كان رضي الله عنه فقيها خيراً صالحاً من أصحاب الشيخ الإمام سيدي عبدالله بن يعقوب توفي رحمه الله سنة إحدى وخمسين وألف". ونقل المختار السوسي عن *المناقب والوفيات* في *المعسول* (5 : 20) قال في الوفيات :"الولي الصالح المسكين المتبرك به سراً وإعلاناً. كان رحمه الله ذا مسكنه وديانة ملازما لدين الله غاية، توفي رحمه الله في رمضان قبل عيد الفطر بيوم أو يومين من عام 1033 وصلى عليه نحو أربعة آلاف. ودفن بـ(تيزكي) ...".

هكذا وقع اختلاف في سنة وفاته، إلا أن المختار السوسي يرجح سنة 1033 باعتبارها منقولة في *الوفيات* التي يأخذ منها صاحب *الطبقات*. ولم يُعرف تاريخ ولادته ولا الشيء الكثير عن أسرته مما جعل السوسي يقول : "هناك عالم بعقيلي يكبره من (تافراوت) يسمى علي ابن إبراهيم ولا أدري أهو والده أم لا...".

م. الحضيكي، *مناقب* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5.

محمد حنداين

البعقيلي الحسن بن **مبارك** ← **الوَسلامي**

البعقيلي، سعيد بن الطيب بن خالد الأگماري الأغرابوئي. ولد حوالي عام 1863/1280، وكان والده الطيب من العلماء الربانيين، له تسعة أبناء منهم صاحب الترجمة، وقد أتيح له ولبعض إخوته وأخواته أن يحفظوا القرآن الكريم، وكانت إحدى أخواته عائشة بنت الطيب (ت بعد 1925/1344) فقيهة أيضا (*المعسول*، 11 : 96).

أخذ سعيد عن خاله الأستاذ أحمد بن عبدالله بن عبدالوافي (ت نحو 1903/1321) من قُراء البصري، وأحمد بن بلقاسم التاضكوكتي، وحماد بن بلقاسم وهو من هذه الأسرة نفسها (ت نحو 1904/1322)، بالاضافة إلى أخذه عن صالح بن أحمد التاضكوكتي بمسجد "إفْغَل" من (إغير مَلُّولن).

وبعد أن جود القرآن الكريم انتقل إلى دراسة العلوم العربية والاسلامية فأخذ عن الفقيه محمد بن عمرو البعقيلي (ت 1933/1352) بمدرسة (موزايت) وعن الشاعر الفقيه داوود الگرسيفي (ت 1893/1311) وعن الأستاذ النحوي الفارس الرحالة محمد أُعَبُّو (ت 1913/1332) وبه تخرج.

على أنه رجع بعد ذلك وقبل حلول سنة 1893/1311 إلى بلدته "بإداك گمار" ليدرِّس بمدرسة تانكرت إلى سنة 1901/1319 وانتقل بعدها إلى التدريس بمدرسة تاضكوكت وأناب عنه في تعليم الصبيان المسمى (الحاكي) متفرغا بعد ذلك إلى الإمامة، ولم يلبث أن انتقل إلى مسجد إليغ بتازروالت فجمع فيه بين القضاء والإمامة.

على أن ولعه بالإمامة ومحافظته على أوقات الصلوات في هذه البيئة السوسية لفت النظر إليه حيث إنه ليقيم الأذان بمنزله على منهج السنة عند حلول أوقات الصلوات، الأمر الذي جعل أهل الوادي في (إداك گمار) ينتظرون تسميعه في صلاة الصبح استمتاعاً بصوته، فكان تسميعه في ليالي الصيف الساجية ليسمع في كل جنبات الوادي المذكور، ويعزى ذلك إلى ما أُعطيه من حلاوة وإقبال على التهجد وقيام الليل على نهج السلَف الصالح، مُفضِّلا ذلك على الإخلاد إلى النوم شأن عامة أهل بلده. يضاف إلى هذا النشاط التعبدي الرفيع قيامه بتهيء الوَضوء لنفسه ولأهله في جوف الليل كما يشهد بذلك أحد معاصريه من الإلغيين (*المعسول*، 11 : 199) ولم يمنعه ذلك من التدريس، حريصاً على التبكير إلى المسجد ليلا، حاملا معه مصباحاً زيتياً بين الطرقات المتشعبة في ضفاف الوادي المذكور، مع ملازمة المسجد من الليل إلى الضحى، متعمداً أن يصل وقت المغرب بوقت العشاء مكوثاً بالمسجد كل يوم.

ومع هذا النسك أولع سعيد البعقيلي باقتناء الكتب بسبب ما بث فيه والده من محبة لها. فجمع مكتبة نفسية معظمها ما يزال مخطوطا (*رجالات*، 130 ؛ *المعسول*، 11 : 98). واشتهر، إلى ذلك، بفض المنازعات والنوازل، وقد أوتي من ذلك حظاً عظيماً مع نفوذ معنوي لا يجاري واتصال بالرؤساء المنفذين للأحكام في تلك النواحي، رؤساء (أيت الرخا) و(إليغ) مما تسبب له في بعض المتاعب بينه وبين آل المقدم عدي بن أحمد الكردوسيين (*المعسول*، 11 : 98).

ولعل هذه الشهرة والنفوذ الواسع مع ما نقل عنه من صلابة وقوة في المواقف أو غرت عليه صدور أعوان الحماية الفرنسية بعد احتلال سوس، فكان ذلك سببا في سجن ولديه : أحمد ومحمد، وتوقيفه عن التدريس بمدرسة تانكرت ثم توقيفه عن القضاء بعد أن كثرت الشكاوي الكيدية به، فاتخذ أحد شيوخ بلدته تخلُّفَ صاحب الترجمة عن المساهمة بدوابه في خدمة إجبارية ذريعةً للإيقاع به (*المعسول*، 11 : 99).

ولعل قوة بنيته وتمرسه بالعبادة وتنظيم أوقاته عوامل ساعدته على الصمود أمام الزوابع حتى إنه ليواجه أعماله اليومية حاسر الرأس مع الاقتصار على ما عرف ببلده من ألوان الطعام المحدودة العدد والنوع، مستغربا من أن يقدم إليه مرةً القائد أحمد بن محمد الإلغي أربع دجاجات في صحن واحد على خلاف عادة بلده سوس.

وكان مع ذلك شديد التوقع للأخطار، فكان يقول : إنني أرتعش ترقباً كلما ذهب الناس إلى سوق (أنزي) يوم الأحد حتى أعرف ما راج به.

توفي سعيد البعقيلي عام 1935/1354.

م. المختار السوسي، *رجالات*، 131، 137، 152 ؛ *المعسول*، 11 : 85، 86، 96، 97، 98، 99، 100.

البعقيلي، عبدالرحمان بن عمرو بن أحمد بن زكرياء الجزولي. من قرية (أيت الطالب) ببعقيلة، ومن بيت آل عمرو المجيد، يتصل نسبهم بآل سعيد بن عبدالمنعم الشرفاء فيما قيل (*المعسول*، 8 : 150) لم يذكر مترجموه شيئاً عن دراسته الأولية، وان كان يظهر من ثنايا ترجمته أنه صحب والده إلى فاس أثناء مرضه الذي توفي فيه، وأنه أوصاه بمغادرة فاس إشفاقا عليه (*المعسول*، 8 : 155).

وإذا كان والده عمرو قد اشتهر بالفقه والإفتاء والخطابة والقضاء فإن صاحب الترجمة ممن حالفهم التوفيق حتى وصف بالنبوغ في ميادين أخرى كاللغة والنحو والعروض والتصريف. يضاف إلى هذه الدراسات اللغوية علوم عقلية كالحساب والفرائض والتوقيت والمنطق، وأخرى كالتنجيم وعلم الأوفاق.

وقد استطاع بفضل رحلاته في طلب العلم من بلدته جزولة إلى كل من تارودانت ومراكش وفاس أن يتمكن من توسيع دائرة معارفه. ويظهر أن ما اتصف به من ذكاء وفطنة إضافة إلى ما تقدم كان له أكبر الأثر فيما بعد على تصديه للتأليف في عدد من الحقول المعرفية. واشتهر بلقب (الجرادي) نسبة إلى حشرة الجراد المعروفة وذلك في قصة طريفة : فعندما رأى المنصور السعدي (ت 1603/1012) من دلائل علم التنجيم شيئاً كأنه جيوش مقبلة إليه هاله الأمر وظنها جيوشا حقيقية تزحف إلى حاضرة مراكش من مكان مّا، فكاشف بهذا صاحبَ سره عليّ بن سليمان بن عبدالله التملي (ت. بعد 1500/999) فما كان من هذا الأخير إلاّ أن كاتب أخاه بسوس أبا بكر بن سليمان (ت. حوالي 1602/1010) الذي كان في هذه الفترة يدرس على صاحب الترجمة فتجرأ وسأل أستاذه عن هذا الأمر : وكان الأستاذ بارعا في علم الهيئة والتنجيم والأوفاق، فنظر فرأى أنها مجرد فرق من الجراد ستطبق على أنحاء من المغرب، فلما وصل الخبر إلى المنصور وعلم بجلية الأمر سرّي عنه وأمر باستقدام صاحب الترجمة إلى مراكش حيث قُدر له البقاء حتى دفعه الوباء إلى الهجرة عنها.

وقد انتصب في هذه المدة لتعليم علم التوقيت بحاضرة السعديين، ثم انتدب إلى الإشراف على تنظيم الأوقات الشرعية بمساجد تارودانت : كمنارة القصبة والجامع الكبير، فوضع بها رخامات نقشت عليها الساعات والأصابع المبسوطة والسموت وخط الزوال وخط الظهر والعصر وخط آخر العصر لمدينة تارودانت وما وافقها في خط العرض، مع تركز مسمار في وسط كل رخامة يعتبر بظله مع كل خط من تلك الخطوط حتى يهتدي بذلك مؤذنو المساجد إلى أوقات الصلوات النهارية بشكل مضبوط (*المعسول*، 8 : 153).

أما ماذُكر من أن لقبه (المجرادي) بالميم نسبة إلى المنظومة المسماة بجمل المجرادي فلم يصح، لأن صاحب هذه المنظومة هو أبو عبدالله محمد بن محمد السلوي المعروف بالمجراد (ت 778/ 1376). وصاحب الترجمة وان اشتهر بقول الشعر المليح إلا أنه لم ينسب إليه أنه نظم في الجُمل. ومن جيد شعره قوله :

تسفّه بعضُ النـاس كِبراً ونخوةً ... وجـاروا وعـمَّ الناسَ منه فسادُ

فيا أسفي ! إن الأفاضلَ قد مَضوا ... فقام علينـا الأرذلون فسادوا

وتعتبر الرياضيات والفلك والمنطق وعلم الأوفاق مواد تخصص المترجم، وفيها ألف شرحه لكتاب ابن البناء العددي المراكشي (1326/721) المسمى *بالجسارة في تعديل الكواكب السيارة* والذي عليه عدة شروح أخرى غير شرح البعقيلي صاحب الترجمة، وقد وصف شرح البعقيلي بأنه فتح رموز هذا الكتاب وأوضح مسائله.

و*شرح القصيدة الموضحة* لعبدالرحمن الكَادِيري (ت 1435/839) في علم التوقيت والهيئة. وشرح *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* لعبدالرحمان الكَادِيري المتقدم. وله أيضاً *أرجوزة في المنطق* تصدّى لشرحها بعد ذلك عالم سوسي من الأسرة البعقوبية الأدوزية يبُورك بن عبدالله بن يعقوب السملالي (ت 1648/1058) وسَماها *الدّريّ المشرق في علم المنطق*.

ومن هذا الباب أيضاً اهتمامه بعلم الأوفاق : فنذكر أن بعض تلامذته قرأ عليه بعض شرح الجزنائي في علم الأوفاق (وهو المسمى بعلم سرّ الحرف وعلم الجدول).

فيما عدا هذا النشاط العلمي يظهر أن غلبة الانقباض على طبعه صرف عنه معظم الطلاب، فلم ينقل من أسماء تلامذته إلا ما كان من مؤسس الأسرة العلمية الأدوزية عبدالله ابن يعقوب (ت 1616/1025) الذي قرأ عليه مع علي بن أحمد الرسموكي (ت 1662/1073) بعض شروحه الآنفة الذكر، وكفاك بهما ! وإن كان الخلاف في عدد الآخذين عنه قائماً بين مترجميه (*المعسول*، 8 : 154، 155).

ووقع الخلاف أيضا في محل وفاته : فقيل إنه توفي بمسقط رأسه بعقيلة في قرية أيت الطالب، وقيل ببلدة أغرابوا بجزولة، ولعل الرواية الأخيرة أصحّ إذ رجحها الحضيكي صاحب *الوفيات* ناقلا عن أحد أبناء المترجم مباشرة، (*المعسول*، 8 : 154). ووقع شيء من الخلاف أيضا في سنة وفاته، فقد صحح ابن إبراهيم في *الإعلام* (8 :117) ما في *نشر المثاني* (1 : 110) من أن وفاته عام 1611/1020.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 117 ؛ م. المختار السوسي، *سوس*، 186؛ *رجالات*، 31 ؛ *المعسول*، 8 : 153، 155 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 159، 573، 583، 585.

البعقيلي، عبدالكريم بن عبدالواحد بن عمرو الأغرابوئي الأگماري، اشتهر بالعلم والرآسة وحفظ كتاب الله تعالى والاهتمام بالقراءات والاشتغال بالنوازل والرحلة في طلب العلم خارج سوس.

فوالده ممن عاصروا الشيخ الشهير أحمد بن موسى الجزولي (ت. 1563/971) وحضروا وفاته وشاركوا في غسله وكفنه والصلاة عليه إماماً (*المعسول*، 11 : 91).

وربما تكون الرابطة بين صاحب الترجمة وبين ما قيل من أن والده عبدالواحد بن عمرو قد دُفن بمراكش واضحة إذا علمنا أنه كُتب له أن يسكن مراكش مدة من الزمان وأن يبقى بها إلى حين أدركته الوفاة أواخر القرن الحادي عشر(17م).

والعجب أن ابن إبراهيم صاحب *الإعلام* لم يذكره ضمن من حل بمراكش وأغمات من الاعلام، كما أغفل ذكر والده.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 81، 91، 132 ؛ *رجالات*، 30.

البعقيلي، عبدالله بن محمد البوشيكري من أسرة البوشيكريين الشريفة المشهورة في وادي (إداك گمار) ببعقيلة، انتقل أحد أجداده من (تُودما) بقبيلة أيت صواب فنزل في قرية (بوشيكر) فنسبت الأسرة إلى هذه القرية. واشتهرت بالعلم والتدريس وما إلى ذلك. وذكر صاحب *المعسول* من بين رجالها المترجم لهم حوالي خمسة وأربعين عالماً أشهرهم عبدالله هذا المولود قبل 1766/1180.

أخذ عن الأستاذ أحمد الهوزيوي (ت 1799/1214) نزيل تارودانت المؤلِّف الشهير، وكان مبرزاً في ميدان الحديث الشريف والفصل في النوازل والاهتمام بسيرة الرسول عليه السلام. وأخذ عنه، في مقدمة من أخذ، أبناؤه الستة. وعبدالله بن سعيد الايعداني المجاطي (ت بعد 1844/1260) النوازلي الماهر. وبالإضافة إلى ما تقدم شغف عبدالله البعقيلي بتدريس *صحيح البخاري* وأكب على سرده في المناسبات وغيرها حتى وُصف بأنه كان قائما على السنة راميا للفخفخة من ورائه. يدل على ذلك قصة تزويجه ابنته إلى أحد علماء الناحية بطريقة سهلة مقتصراً على الحد الأدني في الصداق حتى أصبح ذلك مثلاً يضرب بسوس.

ويظهر أن أخذه أمور الدنيا ببساطة الشريعة شجع الناس للاحتكام إليه في النوازل من قبيلة مجاط، فوصف بالنزاهة والنظر السديد فيها (*رجالات*، 134).

وقد جمع إلى ذلك كله الإقبال على التعليم، ومن العجب أن هذه الأشغال المتعددة لم تكن لتجعله بالعالم الميسور الحال، فقد طلب مرة من العالم الشهير الطيب بن خالد الأغرابوئي أن يتنازل له عن مدرسته بسبب أنه لا يملك حتى قوت يومه، وقد دفعته الحاجة أيضا إلى الاتصال بأحد الشرفاء السملاليين شاكياً إليه الحاجة إلى النفقة على أبنائه الطلبة حتى لا يضيع العلم بتضييعهم، فأهداه حمارة للركوب لقب بسببها صاحب الحمارة.

ومن شدة تعلقه بأبنائه الكثيرين وحدبه عليهم أنه كان يصر على استصحابهم عند الدعوة إلى طعام، ووقعت له نادرة بذلك تُحكي (*المعسول*، 11 : 144). ومن نوادره في إحدى المناسبات قوله على البديهة باللسان البربري ما معناه (كسكس بلحم أفضل من عصيدة) فأرسلها مثلا. يضاف إلى ذلك المثل الذي أطلقته العامة بعد أن سمعوا بتزويج ابنته بالطريقة آنفة الذكر (هل تريد مثل عرس البوشيكري) على سبيل الاستغراب.

توفي عبدالله البعقيلي عام 1851/1270.

م. المختار السوسي، رجالات، 134، 185 ؛ *المعسول*، 11 : 134، 144، 146.

البعقيلي، علي بن أحمد الرسموكي، تنتمي أسرته إلى المولى إدريس الأكبر على ما صححه صاحب *المعسول* (11 : 201) مخالفا ما ذهب إليه الحضيكي من نسبه إلى رجال رگراگة. وترجم لنحو أربعة عشر عالما منهم اشتهروا بالتدريس والفقه والافتاء وتعاطي الأحكام في النوازل، كما اشتهر بعضهم بالقراءات والمشاركة في التأليف مع مكاتبة بعض أعلام السياسة لهم.

ولد علي بقرية إغشان برسموكة إحدى قبائل وَلْتيتة، وكان أحد أجداده المسمى زوزان بن يعلى المولود برسموكة قد انتقل من تامْدُولْت إلى تافْراوت فاستوطنها، ثم إن بعض أولاده انتقل إلى قرية إغشان مسقط رأس المترجم.

رحل علي في طلب العلم إلى تارودانت مع العالم الشهير جد الأدوزيين عبدالله بن يعقوب (ت 1643/1052) وصحبه في الأخذ عن عدد من الشيوخ أشهرهم أبو مهدي عيسى السكتاني (ت. 1652/1062).

وبعد أن اكتمل تكوينه العلمي انتقل إلى قرية "أفلاوگنس" برسموكة للتدريس، فأنشأ بها مدرسة، وولد له فيها أبناؤه الثلاثة : محمد وأحمد ويحيى، كما يستفاد من *تقييد* أورده السوسي في أولاد المترجم له وفروعهم وأصولهم (*المعسول*، 11 : 203). لازم صاحب الترجمة التدريس بهذه المدرسة نحوا من عشرين سنة، فرحل إليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه مختلف المواد العلمية التي كانت تدرس بسوس في هاته الفترة. كما اشتغل بالإفتاء والنشاط الأدبي نظماً ونثراً، فحصلت له بسبب ذلك شهرة عظيمة جعلت بعض أمراء سوس آنذاك من أمثال علي بودميعة يكتب إليه (تحريراً) له ولأبنائه من بعده من جميع التكاليف المخزنية مع وضع أعشار وزكوات الناحية رهن إشارته لتُصرف على طلبته (*المعسول*، 11 : 204).

كما يستفاد من مكتوب آخر من الأمير المتقدم الذكر أن صاحب الترجمة وبنيه وطلبته معفون من المشاركة في (الحركة) و(الخرص) و(الإدام).

أما الآخذون عن علي البعقيلي في هذه الفترة فيذكر من بينهم ولده محمد آتي الترجمة، وأحمد (ت. 1662/1073) ويذكر في مجال الإفتاء والقضاء خاصة (*المعسول*، 11: 215).

أما مؤلفات المترجم فمنها *شرح مبسط لجمل المجراد* محمد بن محمد السلوي (ت 1376/778)، و*شرح لألفية ابن مالك* (ت 1273/672) و*كتاب في حقائق الإعراب*، و*شرح على الكبرى والصغرى* للإمام محمد بن يوسف السنوسي

(ت 1409/895). وقد ذكر الرسموكي صاحب *الوفيات* أنه (كان حيا سنة 1683/1095) وأنه حضر إحدى مجالس صاحب الترجمة ذات ليلة فصادفه يشرح للطلاب *عقائد السنوسي* المذكور مع *متن السلم* في المنطق لعبد الرحمان الأخضري (ت. 1575/983) كما ينسب إليه *شرح فرائض ابن يامون* قاسم بن أحمد التليدي الأخماسي (معجم *المطبوعات*، 371).

أما قول المختار السوسي : إنه جمع كلمات من الأموات وشرحها فيفهم منه أنه قد يكون ذا روحانية خاصة مكّنته من الاتصال ببعض الأشخاص وتسجيل كلماتهم (*المعسول*، 11 : 202) كما قد يفهم منه عكس ذلك وأنها كلمات من أفواه رجال ماتوا وتركوا كلمات تستحق أن تسجل فقام صاحب الترجمة بذلك، والمسألة تحتاج إلى تمحيص.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 204، 213 ؛ *سوس العالمة*، 184 ؛ إ. ابن الماحي، *معجم المطبوعات*، 371 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 583.

البعقيلي، عمرو بن أحمد المفتي، من بيت يتصل بنسب آل عبدالنعيم الشرفاء فيما قبل (*المعسول*، 8 : 150) وهو جد لمجموعة من كبار العلماء الذين عدّ منهم صاحب *المعسول* نحو عشرين.

أخذ عن الإمام ابن غازي وطبقته بفاس حين رحل إليها، فأتيح له الاطلاع على كتب هذا الأخير في التاريخ والرجال والحساب والفقه والقراءات ورسم القرآن والنحو، إلا أنه غلبت عليه الميول التشريعية فكانت أكثر دروسه في الفقه. على أنه مارس الخطابة مدة من حياته وهو بتارودانت. ويتضمن *المعسول* وثيقة منقولة من خطه يتحدث فيها عن معاناته خطيبا بهذه المدينة التي كانت عاصمة للمغرب في بعض الفترات، وأتبعها بقصيدة متوسطة الجودة هي إلى شعر الفقهاء أقرب. (*المعسول*، 8 : 152).

وقد اشتهر في ميدان الفتوى خاصة في بلدته الأولى "بعقيلة" ولكثرة دَوَران الافتاء عليه دون غيره عُرف بعمرو المفتي، وهو ممن بَحَث فَي *ألواح سوس* المسماة *ألواح جزولة* المكتوبة باللغة العربية ولكنها لا تخلو من اللحن والدخيل من الألفاظ الشلحيّة السوسية. وتدور في معظمها على تحديد الغرامات الصارمة المطبقة على التجاوزات الجنحية والخيانات. وكان عمرو لا يرى بأساً في اعتماد هذه الألواح ما دامت لا تصادم القواعد الشرعية مع استجابتها في الوقت نفسه للمتطلبات والتقاليد المحلية، وله في هذا الصدد *لوح* نموذجي وضعه لقبيلته بعقيلة يحمل تاريخ جمادى الثانية عام 964/أبريل 1557 بناه على قوله تعالى : «*وداوُودَ وسليمان إذْ يَحْكُمان في الحرث إذْ نَفَشَتْ فيه غنم القوم*». (الأنبياء، 78) وعلى مبدإ الغرم لما أتلف مثلاً أو قيمة المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية، مجتهداً في تحديد المبالغ والعقوبات المالية بحسب ما تتلفه الماشية من الأشجار، سيراً مع خطة الألواح من ذكر الجنايات وعقوبتها، في مثل من دخلت غنمه أو أبقاره بستاناً للغير وأتلفت له شجرة التين أو الهرجان "أرگان" فيغرم درهما كبيراً عن الشجرة الجيدة ودرهما صغيراً عن المتوسطة ونصف درهم عن الصغرى، مع تفصيلات في وسائل الإثبات والإلزام (راجع نص اللوح في *المعسول*، 8 : 151، 152).

ومن آثاره الفقهية المخطوطة *تقييد* على قول خليل : "وخصّصت نية الحالف وقيدت" وهو بخزانة أحفاد صاحب الترجمة ببعقيلة. كما ذكر له صاحب *المعسول* شرحاً على متن فقهي لم يذكر اسمه (*سوس العالمة*، 179) وكذا *أجوبة فقهية مخطوطة*.

وقد مكث صاحب الترجمة أواخر عمره بمدينة فاس إلى حين مرضه الأخير فأوصى أحد أولاده الثلاثة المتقدم ذكرهم بمغادرة هذه المدينة إلى سوس بمجرد دفنه، وقد اعتقد أبناؤه أن ذلك منه على سبيل المكاشفة، فما كان منهم إلا أن نفذوا وصية والدهم بمجرد وفاته.

ع. التمنارتي، *الفوائد*، مخطوط خ. ع. 38 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات سوس*، 18 ؛ *المعسول*، 8 : 150، 155 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 336 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 712 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 584.

البعقيلي، محمد بن إبراهيم التيفروني المعروف بالطالب، إليه تنسب قرية (أيت الطالب) ثالثة المراكز الشهيرة ببعقيلية، وهو جد لأسرة من الأحفاد العلماء والقراء الذين تسلسل فيهم العلم أجيالاً، واستقروا فيما بعد بقرية (بونعمان) غربي مدينة تِزنيت بحوالي 15 كلم. وقد ذكر منهم صاحب *المعسول* (12 : 279، 280) خمسة عشر عالما.

وقد قال صاحب *بشارة الزائرين* عن الطالب البعقيلي إنه رسموكي الأصل، ورسموكة إحدى القبائل الكبرى الثلاث المستقرة بجبال "ولتيتة" إلى جانب بعقيلة وسملالة - (*المعسول*، 12 : 280).

أما سبب لقبه بـ "الطالب" دون غيره من العلماء بهذه الناحية، فإنه لما خرج الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي من بلدته تمنارت مع بعض أبنائه وتلامذته ومريديه لمجاهدة البرتغال في البريجة (الجديدة) مر على قرية (أيت فروين) محل التدريس الذي كان قد اختاره صاحب الترجمة فتسامع به الطلبة فأخبروه فخرج مسرعا حافيا يطأ الشوك بدون شعور فرحاً واهتماما بمقدم هذا الشيخ العالم المربي المجاهد، فلما التقيا، وكان الشيخ التمنارتي على دابته وهو في سن متقدمة، أراد صاحب الترجمة أن يقبل يده على العادة، فأنكر عليه ذلك وقال له : مسألتان إن لم تنته عنهما فلا أعرفك ولا تعرفني : تقبيل اليد وكلمة (سيدي فلان) فهما محدثتان في هذه البلاد. (*المعسول*، 12: 279 - 280). ويذكر أن أول من قدم بلقب (سيدي) الذي أطلق على العلماء آنذاك، إلى سوس هو الحسن بن عثمان التملي آتي الترجمة (ت. 1525/932) شيخ التمنارتي المذكور وكان تخرج بفاس،

ولم يكن لقب العلماء بسوس إلا (الطالب فلان) أو (عمي فلان) (*إيليغ قديما وحديثا*، 267، هامش 534).

هذا ويُذكر صاحب هذه الترجمة من بين أصحاب الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي (ت. 1563/971). وفي هذا السياق ينقل محمد بن أحمد المرابط البعقيلي، وهو تلميذ صاحب هذه الترجمة، أن أستاذه هذا كان قد أفتى للطلبة بعدم جواز السلام على تاركي الصلاة من المسلمين، فأوقع ذلك التلميذ في حيرة من أمره، فلما كانوا معه في إحدى زياراتهم لِلشيخ أحمد بن موسى، وبعد أن عانق صاحب الترجمة شيخه في مشهد حافل بالشوق، وصافح الشيخ التازروالتي بقية الحاضرين قال موجها الخطاب في الحقيقة إلى تلميذه صاحب الترجمة : جميع من لقيتموه فسلموا عليه كان من المصلين أو من غيرهم، فكان هذا الجواب بمثابة كشف لحيرة التلميذ.

ويذكرمن بين تلاميذ الطالب البعقيلي أيضاً عبدالله بن عمر الماسكيني وقد وصفه زميله في التلمذة صاحب *مناقب البعقيلي* (ص. 34) بالصلاح والعلم والعمل.

أما الجانب الأكثر لفتاً للنظر في سيرة المترجم، بالاضافة إلى اهتمامه *بمختصر خليل*، فهو عكوفه على *كتاب سيبويه*. ورغم أن الكتاب طويل النفس صعب العبارة عويص المسائل فقد أكب عليه صاحب الترجمة حفظا واستظهاراً، وبذلك يكون - إن صحّ - آخر حفاظ هذا الكتاب.

توفي محمد الطالب البعقيلي عام 1569/976.

م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 7 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 8، 9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 279، 280 ؛ *رجالات*، 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 585.

البعقيلي، محمد بن أحمد بن عبدالواسع، من أسرة الأغرابوئيّين الفضلاء، وفيهم علماء ورؤساء يرتفع نسَبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وتطفح تراجم أسرته هذه بالأعمال العلمية والمآثر، وقد ذكر منهم صاحب *المعسول* نحو سبعين رجلا (11 : 81، 133). ولم نجد في ترجمته من لقبّه بالصبّاغ إلاّ ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* (ص 266) وهو نفس المترجم الوارد عن محقّقي مناقب البعقيلي باسم محمد بن أحمد المرابط، وذكر بهذه النسبة نفسها في *سوس العالمة* (ص 185) وربما أسقط بعضهم اسم والده أحمد فسماه محمد بن عبدالواسع، ونسبه بعضهم إلى جدوده الأغرابوئيين بدل البعقيليين. ومهما يكن فإنه غير محمد بن أحمد البعقليلي شارح *المرشد المعين*.

أخذ محمد البعقيلي في صغره عن شيوخ الإقراء أمثال محمد بن محمد اخنافو البعقيلي وهو من الموصوفين بالفضل وإتقان التلاوة ومعرفة أحكام القرآن، حذق عليه القرآن حذقتين ووصفه بإجابة الدعوة. (*مناقب البعقيلي*، 13). كما أخذ تجويد القرآن، وهو شاب، عن الشيخ العابد عمه يحيى بن محمد البعقيلي الاغرابوئي (ت. أوائل ق. 17/11م) بمسجد أزرو الذي قضى به الشيخ المذكور أكثر من ثلاثين سنة. كما أخذ القراءات عن الإمام محمد بن يوسف الترغي (ت. 1595/1004 تقديرا) ويظهر أن شيخه هذا قدم من فاس إلى إليغ بتكليف من السلطان السعدي عبدالله الغالب بالله للبحث عن شيخ مرب يأخذ عنه الأذكار والسلوك الصوفي، فالتقى بأستاذ صاحب هذه الترجمة قطب سوس الكبير أحمد بن موسى السملالي (ت. 971/ 1563) في قصة ذكرها صاحب الترجمة في *مناقبه* (ص 29، 30) (انظر *إيليغ*، 22، هامش 101).

وأخذ صاحب الترجمة بعد ذلك *مختصر خليل* وختمه على أستاذه محمد بن إبراهيم الطالب البعقيلي، وكذا *ألفيه ابن مالك* حفظاً في اللوح وتقريراً في الكتاب.

وقد ذكرمؤلف *المعسول* أن صاحب الترجمة صحب بالإضافة إلى من ذكر الشيخ القطب أحمد بن موسى وعبدالرحمن التيلكاتي (ت. 1599/1008 تقديراً) وعبدالله بن سعيد الحاحي (ت. 1903/1012).

ويظهر أن المترجم رحل إلى أسرير بالجنوب الصحراوي وبقي به نحو أربع سنوات. ساعدته هذه الاتصالات والرحلات المحلية بالاضافة إلى ما رُكز فيه من حب للصلحاء وحرص على زيارتهم، على التمكن في الفقه والتصوف، وجمع نحو ثمانين ترجمة لرجالات جزولة وغيرهم، ولم يُسبق إلى هذا الصنيع من معاصريه.

وقد طبعت *كراسة البعقيلي* في رجالات جزولة وغيرهم باسم *مناقب البعقيلي*، وهي التي ترد أيضاً تحت اسم *طبقات بعض الأعلام*. والكتاب عبارة عن تراجم تتراوح ما بين أسطر قليلة وما بين صفحة ونصف ولا خطة للكتاب في ترتيب التراجم وإن كان أشار إلى أنه يبدأ بشيوخه ثم يُتبعهم بذكر مَن تيسر له الاطلاع على حياتهم مشاهدة أو قراءةً مع الاهتمام بوفياتهم، وهو ما لم يلتزم به إلاّ في القليل النادر. على أنه صرح في أثناء الكتاب باهتمامه ببلديّيه البعقيليين بعد ذكر شيوخه وذكر من صحبهم أو اتصلوا بشيوخه، ثم أتبعهم برجال الفحص، ثم برجال رسموكة وسملالة وما يليهما من المتقدمين ثم من المتأخرين مختتما برجال تمنارت.

وقد تفرد ابن سودة بذكر تاريخ وفاته سنة 1665/1072.

م. البعقيلي، *مناقب*، 8، 11، 13، 17، 25، 29 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 266 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 129 ؛ 12 : 55 ؛ *رجالات*، 25، 30، 38، 51 ؛ *سوس العالمة*، 185، 193، 84 ؛ م. حجي، *الحركة*، 161، 603.

البعقيلي محمد بلعيد ← **بلعيد** (الحاج -) (الرايس)

البعقيلي، محمد بن علي بن أحمد الرسموكي، المكنى أُوباها. تنسب أسرته إلى المولى إدريس الأكبر كما تقدم في ترجمة والده.

أخذ عن والده بمدرسة أفلاّ وگنّس ما تيسر له من المواد العربية والإسلامية، كما قرأ عليه في الغالب، شروحه على *ألفيه ابن مالك*، *والجمل* للمجراد السلاوي، *وكبرى السنوسي*

وصغراه وغيرهما من المواد التي كانت تدرس في عهد والده بالمدرسة المذكورة.

وبعد أن أتم محمد البعقيلي دراسته رجع إلى مسقط رأس والده برسموكة حيث فضل السكنى بالمكان المسمى "عنق تكنفل" وبنى هناك مدرسة تلقّى فيها مكاتبات من قبل أهم الشخصيات السياسية في عصره، أمثال المولى الرشيد العلوي (ت. 1670/1081)، الذي كتب إليه ظهير (تحرير) له ولإخوته ولأولادهم وعمومتهم، مع الأمر بتوقيرهم واحترامهم وأن يُحملوا على سبيل البر والإكرام ولا يُمسُّوا بسوء جزاءً لهم على طريقتهم، ويحمل هذا (التحرير) تاريخ 1670/1081. (*المعسول*، 11: 207، 208).

وقد أقطع المولى الرشيد في السنة نفسها صاحب هذه الترجمة أرضا (فيضا) بالموضع المسمى اسمَنْ بين تكدُوت وأتراض بحدود سماها حبساً عليه وعلى أولاده وأن يعمل بمقتضى ذلك (*المعسول*، 11 : 208).

كما أن المولى إسماعيل، فيما يظهر، كتب إليه سنة 1671/1082 تحريراً لطلبته أن لا يحبسوا في "نائبة" ولا في غيرها ما داموا "مسافرين" عنده. ويستفاد منه أن طلبته كانوا يجمعون بين حفظ القرآن الكريم ودراسة أمهات المواد العلمية (*المعسول*، 11 : 209).

ومما يؤكد اتصاله بالمولى إسماعيل ومكاتبته إياه وجود خطاب إسماعيلي آخر إلى صاحب هذه الترجمة سنة 1087/1676 يجيب فيه المترجم عن رسالة بعث بها إليه صحبة ولده يخبره فيها بحال القرية والمدرسة والناحية والسكان من المحبة له والرعاية لجانبه، ويحمل هذا الخطاب تاريخ 20 صفر من السنة المذكورة قبله.

ويظن صاحب *المعسول* أن الرسالة التي وجهت إلى صاحب الترجمة في شأن (حركة) يعتزم صاحب الخطاب القيام بها إلى سوس ناحية (أيت صواب) و(رسموكة) قد تكون من قبل المولى إسماعيل يطلب منه أن يتدخل لإقناع القبائل المشار إليها وحملهم على القدوم إلى السلطان وعليهم الأمان، وإلا فسينتقم منهم (*المعسول*، 11 : 209).

وفي سنة 1670/1090 تلقى محمد البعقيلي خطاباً يظن أنه من المولى إسماعيل أيضاً يشعره فيه بمحبته وتقديره لدوره في القبائل المجاورة له وينعم عليه فيه بالجبايات المخصصة لبيت المال من قبل أهل ولتيتة (بعقيلة وسملالة ورسموكة) وأحوازها ويذكر فيها أماكن بعينها يُقطعه إياها إقطاعاً كلياً.

وفي سنة 1681/1092 وصله (تحرير) آخر له ولطلبته يتضمن توقيرهم من قبل القبائل الساكنة بجبال هلتيتة (يقصد ولتيتة). وفي السنة نفسها وجه أحد الأمراء خطاب (تحرير وتوقير) إلى صاحب الترجمة يُحيل إليه زكاة وأعشار قبائل ولتيتة كلها على طلبته ومدرسته، وقد نص فيه على أسماء بعض القواد المكلفين بتلك الناحية.

وفيما يتعلق بوفاته يظهر من الوثائق الآنفة الذكر أن آخرها زمنا ينتهي إلى سنة (1681/1092) ممّا يدل على أنه عاش إلى أواخر القرن الحادي الهجري(17 م). وقد وقع اضطراب في تحديد تاريخ وفاة محمد البعقيلي والمؤكد أنه توفي بعد 1681/1092.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 203، 209.

البعقيلي، يحيى بن **إبراهيم** صهر الشيخ الشهير أحمد بن موسى دفين تازروالت. لازم الشيخ وصاحَبَه، لذلك يرد ذكره بين ثنايا تعداد مناقبه كأحد الرواة المباشرين عن الشيخ الناقلين عنه شفاهاً أو كتابة.

كان يحيى حاضراً حين قبّلت إحدى الأعرابيات لحية الشيخ تبركاً، فبكى الشيخ متأثراً، وسأله صاحب الترجمة عن سبب ذلك فأجابه الشيخ مظهراً التواضع لله تعالى.

ونقل أيضاً كلام الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي (ت. 1564/971) وشهادته في صهره الشيخ السملالي، وذكر أيضا قصة الشيخ السملالي مع أحد طلبته المتوفين وكيف جلس بجانب قبره منصتاً. كما ذكر أيضا عن صهره المشار إليه أنه بقي ثمانية عشر عاماً وليس على جسده ثياب منسوجة، وعدّ ذلك من كراماته.

يوصف صاحب الترجمة عموما بالعلم والعمل مع الورع، وقد دفن بعد وفاته في ناحية المقبرة الخاصة بالشيخ أحمد بن موسى مع أبنائه.

م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، 8 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 44 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 601، 617.

البعقيلي، يحيى بن **محمد** الونكضائي نسبة إلى (انكضا) ببعقيلة، من الشرفاء الوَسْلاميين. وهو غير يحيى بن محمد البعقيلي المشهور بالإقراء. (*مناقب البعقيلي*، 12).

ويظهر من الشيوخ الذين أخذ عنهم يحيى هذا مدى المكانة العلمية التي وصل إليها وهو تلميذ قبل أن يشرع في التأليف. فمنهم أحمد الصوابي (ت. 1736/1149) العلامة شيخ الجماعة المرشد بأگدال ماسة، وإبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن يعقوب السملالي (ت. 1747/1160)، والشيخ أحمد بن مَحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي (ت. 1717/1129). كما أخذ عن مسعود المزرگوني السملالي (ت. بعد 1840/1156) بمدرسة بومروان. وقد استقر صاحب الترجمة بهذه المدرسة وتصدى للتعليم بها حتى وقع الوباء سنة 1749/1163. فاضطر إلى الرجوع إلى داره بأگلاي حيث توفي ودفن بالمقبرة المجاورة للمسجد، وعُلّم قبره بحجارة بيض (*المعسول*، 12: 257).

تعدد نشاط يحيى البعقيلي ما بين خطة التوثيق والإفتاء، وقد وقف صاحب *المعسول* على بعض فتاواه، وهي تدل على مدى توفيقه في هذا الاتجاه. كما اشتغل إلى جانب ذلك بالقضاء مضيفاً إليه التدريس، إذ يُذكر من بين تلامذته محمد المرواني السوسي.

أشهر مؤلفات يحيى البعقيلي شرح الارجوزة التعليمية المشهورة في سوس *بمنظومة الزواوي* والمتداولة بين طلبة

سوس إلى مدى قريب، وهي في نحو مائة بيت وخمسين بيتا في إعراب الجمل وبعض الأدوات والحروف. وتعتمد مصدراً للتدريس متكاملة مع شروح *الأجرومية* التي اقتصرت على جانب من العربية لا يتم إلاّ بالأرجوزة هاته، وقد اعتمد السوسيون فيها على شرحين محليين أحدهما لأحد معاصري المترجم محمد إبراهيم الركني (ت. 1756/1170) والثاني لصاحب الترجمة وسماه *النهل العذب الحاوي شرح أرجوزة الامام الزواوي*، سار فيه على نشر الأبيات وتطريزها مع تفسير المضمّن والاستشهاد بالأمثلة وإعراب الأبيات غالبا والإشارة إلى بعض الخلافات بدون ترجيح إلاّ في القليل محيلا على بعض مصادره التي لا تتجاوز في الغالب *مغنى اللبيب* لابن هشام، و*شرح منظومة المَجْرادي* ليبورك السملالي، و*شرح القواعد* للسوسي.

وقد طبع الشرح المذكور طبعتين، أولاهما بالمطبعة العربية بالدارالبيضاء سنة 1936/1355 في 150 صفحة، والثانية بمطبعة الأمنية بالرباط سنة 1952/1371 في 120 صفحة، وتداول الطلبة بسوس في هذه المدة الشرح مطبوعا ومخطوطا أثناء دراستهم للمنظومة المذكورة بالتصحيح والتعليق والاضافة.

أما الأثر الثاني للمترجم فيتعلق بجانب صوفي بحت اذ يُنسب إليه *شرح بعض الأدعية التي وضعها الحسن اليوسي* (ت. 1691/1102) ذكر صاحب *سوس العالمة* ص 191 أنه وقف عليه.

ومما يتصل بنشاط صاحب الترجمة في النظم والقريض *قصيدته الرائية في رثاء شيخه* إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن يعقوب (ت. 1747/1160) وهي دون شعر الفقهاء بكثير (*المعسول*، 12 : 253).

توفي يحيى البعقيلي عام 1749/1163.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 252، 254 ؛ *سوس العالمة*، 191؛ *رجالات*، 58 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 176، *كلية اللغة العربية بمراكش، بحث منجز حول المنظومة وصاحب الترجمة* (مخطوط) بخزانة الكلية.

البعقيلية، تاونّو الأحكاكية. يتصل نسبها بالشرفاء الأحكاكيين المذكورين في نسب ولدها الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي التازروالتي (ت. 1563/971) ذي الشهرة الخارقة والكرامات المتواترة والمواقف الغريبة، وفي أحفاد السيدة تاونّو نحو اثني عشر عالماً وأربعة أمراء وثمانية رؤساء حكام (*رجالات*، 24).

أما زوجها موسى بن عيسى والد الشيخ أحمد فمازال قبره ظاهرا ملحوظاً بسملالة، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى صاحبة الترجمة والدة أحمد بنموسى. وقد نسب الناس الصلاح إلى الوالدين المذكورين إما على سبيل الاستصحاب لحالة ولدهما الشهير أحمد، وإما على سبيل الشرف المتسلسل في الأسرة قبله.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 207 ؛ 12 : 6 ؛ 18 : 402 ؛ *إيليغ*، 19 ؛ *رجالات*، 24.

البعقيلية، عائشة بنت الطيب الأكمارية، من بيت الشرفاء الأغرابوئيين ووالدها الطيب بن خالد (ت. 1893/1311) صوفي ناسك متوسط في التدريس، ولها إخوة ثلاثة علماء أشهرهم سعيد بن الطيب البعقيلي.

تزوجت صاحبة هذه الترجمة محمد بن عبدالله بن عبدالوافي البعقيلي الأكماري الأستاذ المجوّد العارف بالقراءات والنوازل. وتذكر في ترجمته قصة احتكام عالمين سوسيين مشهورين إليه ورضاهما ونزولهما على مقتضى ما حكم به (*المعسول*، 11 : 87). ولما كانت زوجُه صاحبة الترجمة قد عكفت على *مختصر خليل* المترجم إلى تاشلحيت من قبل محمد بن علي أوزال (ت. 1748/1162) حتى أتقنته حفظاً واستشهاداً، فقد ساعدتها هذه الميزة على تقديم المعونة لزوجها فيما يعرض له من أمور الفتوى حتى في بعض المواقف الحرجة (*المعسول*، 11 : 87).

كما يذكر لها إلى جانب هذه الميزة حفظها لطرف من *القرآن الكريم* وتصدّرها لتعليم النساء ووعظهن، ووصفت بأنها لا نظير لها في عصرها.

توفيت عائشة البعقيلية بعد عام 1925/1344.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 87، 94، 134 ؛ *رجالات*، 75.

البعقيليّة، فاطمة أمّ هدوز التازروالتيّة، من حفيدات الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي دفين تازروالت ومؤسس زاويته الشهيرة بها. تزوجت أحد مريدي الشيخ سعيد أُهمو المعدري ناشر الطريقة الدرقاوية بسوس. وكانت سكنى الزوج بقرية إغبولا القريبة من مدينة تزنيت إلى الجنوب، وقد صادف أن نزل بهما الشيخ المذكور ليلة فحدثت فاطمة نفسُها على استراق السمع إلى كلامه الذي سرعان ما أثر فيها، فحاولت ـ وهي في حالة نفاس ـ القيام ببعض المجاهدات التي لقفتها خلسة حتى أضرّ بها ذلك وغيرت أحوالها إلى درجة المرض الذي لم ينفع معه طبيب، وصادف أن حضر الشيخ المذكور مرة أخرى إلى قرية إغبولا فأسرت إليه بجليّة أمرها، فتمكن الشيخ من إنقاذها من حالتها تلك بهمته. ففُتح عليها وظهر عليها الصلاح في تلك الناحية، وقد صادفها الشيخ الحاج علي الإلغي والد المختار السوسي (ت. 1910/1328) وأحد المريدين البارزين للشيخ سعيد أُهَمو المذكور في إحدى سياحاته صحبة مريدي الطريقة، فوجدها بقرية العوينة القريبة من سكنى زوجها، ولم ينشرح صدره لها لما رأى من أحوالها وهي عجوز شمطاء باذلة نفسها في سبيل الاتصال بالمريدين، لكنه لم يلبث أن تغير موقفه منها بسبب ما رأى من مكاشفتها له ولواقع حاله. وكانت لا تنفك عن الضرب على فخذه وعلى كتفه في محاولة منها لإفهامه حقيقة حالها حتى عجب منها (*المعسول*، 16: 28، 29) وقد أورد صاحب *المعسول* جملة من أحوالها وكراماتها في كتابه من *أفواه الرجال*. وعلى قبرها مشهد يزار.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 62 ؛ 4 : 306 ؛ 6 : 28، 29 ؛ من *أفواه الرجال*.

محمد البابك

بعل، يعتبر من بين أشهر الآلهة التي عرفت لدى الفينيقيين والقرطاجيين. وباعتبار أصل قرطاجة Carthage الفنيقي، فإن الديانة القرطاجية حافظت على الكثير من الملامح الدينية الفنيقية، فسيطر على مجمع آلهتها بعل هامون Baal Hamon وتانيت Tanit وملقرت. ويبدو أن بعل هامون كان هو الاله الرئيسي والأكثر حيوية وفعالية بمدينة قرطاجة إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، لأن النقائش النذرية بالمدينة خصصت له وحده فقط.

نتج عن استيطان القرطاجيين للمراكز التي انشؤوها على السواحل المغربية انتشار الحضارة البونيقية في هذه المراكز التي من أهمها طنجة ولكسوس اللذين كانا يعتبران مركزين مستقلين من الناحية الإدارية. ولقد تم العثور بهذين الموقعين على قطع نقدية تحمل شعاراً باللغة البونيقية وبعض صور الألهة التي من بينها صورة للإله بعل هامون (Mazard, 181) وهذا الدليل الأثري قد يؤكد انتشار عبادة هذا الإله مع الديانة القرطاجية بصفة عامة بين المورين في المراكز والمستوطنات القرطاجية على الأقل.

ولما أفل نجم قرطاجة وتسربت الحضارة الرومانية إلى المجال القرطاجي وقع تحول في الديانة، فحل الإله ساتون Saturne محل الإله بعل هامون الذي كان يقابله لدى الرومان مثلما قابله كرونس Krones لدى الإغريق.

Y. Mazard, *Corpus nummurum numidiae mauritaniaeque*, Paris, 1955, Diodore de Sicile, XX, 14, 4 ; F. Decret, *Carthage ou l'empire de la mer*, Paris, 1981 ; M. Cras (et al...), *l'Univers phenicien*, Paris, 1989 ; G. Charles-Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

الزبير بوحجار

البغدادي (ابن ـ) **بوشتى** بن محمد الجامعي، نسبة إلى قبيلة أولاد جامع العربية التي تمتد مساكنها إلى أسوار مدينة فاس من جهة الشمال. لا نعرف مصادر تعرضت لترجمته، ومن ثم لا نعرف تاريخ ولادته أو وفاته، والمعلومات التي نعرضها عنه هنا مقتطفة من بعض الوثائق المخزنية أو الرحلات.

تصفه الوثائق بالذكاء والقوة والجرأة والكفاءة في إدارة الأمور، وهذه الصفات إلى جانب كونه من أعيان قبيلته أولاد جامع، ومن عشيرة الوزيرين الجامعيين الحاج المعطي الجامعي الوزير الصدر على عهد مولاي الحسن، وأخيه الصغير الجامعي وزير الحربية لنفس السلطان، رشحته لمنصب القيادة على قبيلته أولاً وعلى جيش شراگة ثانيا (حسب المشرفي). ثم عينه السلطان الحسن الأول عاملا على مدينة وجدة لما توجه إليها سنة 1874/1291 حسب *الإتحاف* (2 : 162) ورشحه السلطان المذكور كذلك خبيرا وقائداً للبعثة التي أرسلها لمراجعة الحدود مع فرنسا سنة 1883/1301 والتي كان على رأسها الأمير عرفة صنو السلطان، والفقيه علي السوسي السملالي كاتبا لها. وفيها ألف رحلته المشهورة *منتهى النقول* وتحدث عن موقف بوشتى بن البغدادي ودوره في هذه البعثة ضد الفرنسيين حول المساحة التي اغتصبوها على الحدود بنقطة (گرگر سيدي حمزة) حيث قال :

"وقد أخذ النصارى هنا حرث خمسمائة زوجة... وسبب الأخذ أن هناك موضعين متشابهين ككوشة الجير، فترك التي تليه وزاد أمام إلى التي تشبهها فقال : هذا گرگر سيدي حمزة، وهنا وقع نزاع كبير بين بوشتى ابن البغدادي هو والروم، بأن قال بوشتى للرومي : أنت أردت أن تجعل الحدود وجدة، فقال له الرومي : وأنت أردت أن تجعل الحدود بمغنية، وجرى بينهما كلام ألح فيه الرومي على أن المقابل لجوج بغال هو الذي يليه لا الذي يلينا".

كما عين السلطان الحسن الأول بوشتى بن البغدادي عضواً في السفارة التي بعثها إلى إسبانيا سنة 1882/1300 وكان على رأسها محمد برگاش إلى جانب عضوية أحمد البلغيثي، حسب رسالة حسنية لبرگاش مؤرخة في 4 رمضان 1300 (*الإتحاف*، 2 : 331).

كما عُين بوشتى بن البغدادي عضوا في اللجنة التي بعثها السلطان المذكور لتسوية المشاكل مع إسبانيا في سانتا كروز حسب رسالة ملكية إلى برگاش بتاريخ 14 قعدة 1883/1301 (*الإتحاف*، 2 : 337). وترأس بوشتى بن البغدادي السفارة التي توجهت إلى إيطاليا بمعية الكاتب العربي المنيعي في السنة التالية حسب رسالة حسنية إلى وزير الخارجية الإيطالي بتاريخ 7 شوال 1884/1302 (*الإتحاف*، 2 : 351، 352).

وحسب كتاب *العلاقات السياسية للدولة العلوية* لابن زيدان (مخطوط خ. ح. الوثيقة : 132) فإن بوشتى بن البغدادي أصبح باشا لمدينة فاس، ولذلك عالج مشكل التاجر القنصل البريطاني الذي حاول أن يرفع علم بلاده على مقر سكناه بمدينة فاس يوم عيد الأضحى من سنة 1310 هـ مما أثار ضجة كبرى نجح ابن البغدادي في إخمادها وعجل بطرد القنصل في الحال كما تفصل ذلك الفقرة التالية من الكتاب :

"وفي عاشر حجة منصرم هذه السنة 1310 هـ رفع علم دولته على باب محل نزوله باشدور الانجليز الذي ورد سفيراً من دولته في أمور تجارية... وأكرم المترجم وفادته وأنزله ببستان بنيس الشهير بفاس... فاغتنم تلك الفرصة (فرصة العيد) ورفع العلم والناس في مصلاهم، ورغم ذلك فإن الملكف بمراقبة أموره من قبل الحكومة وهو رئيس الشرطيين بمحكمة باشا فاس إذ ذاك القائد بوشتى بن البغدادي الجامعي ـ والد الباشا محمد ابن البغدادي عامل فاس المتوفى قريبا ـ علم بذلك وأعلم به الرعاع فهرعوا لباب محله وهموا بقتله... لولا تيقظ العامل المذكور وإتيانه قبل وصول العامة وكفه أذاهُم عنه بكل ما أوتيه من قوة ودهاء وسياسة وكياسة، وأخذ العامل الباشدور إلى أن أوصله للحضرة السلطانية في فزع عظيم... وبارح فاسا من يومه منقلبا لوطنه".

إن السياسة والكياسة والدهاء هي العناصر التي

رشحت بوشتى بن البغدادي ليتولى مهام كثيرة على عهد السلطان مولاي الحسن، وهي العناصر التي جعلت السلطان المذكور يقربه إليه. ولا نعلم كيف اختفى بوشتى بن البغدادي عن المسرح السياسي إثر وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894/1311. مما لا شك فيه أن نكبة الحاجب أحمد بن موسى للوزيرين الجامعيين المذكورين على إثر بيعة السلطان عبدالعزيز كان لها تأثير على وضعية بوشتى بن البغدادي الجامعي ووظيفته ودوره الذي من الممكن أن يكون قد تجمد مع تجميد وظائف جميع الجامعيين باعتبارهم من عصبية المعطي الجامعي الوزير الصدر السابق. ونتوقع أن يكون بوشتى ابن البغدادي توفي في العصر العزيزي وخلفه ولده محمد في مكانته الاجتماعية ودوره على فاس خلال عهد الحماية.

ع. السوسي السملالي، *منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخطوط. خ. ع. رقم 633 د ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف*، ج 2 ؛ *العلائق السياسية للدولة العلوية*، مخطوط، خ. ح. رقم 3176 ؛ ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط، ح. ع.

أحمد العماري

البغدادي، محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح بن لواء الخزرجي من أهل جيان يعرف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد، وإليه ينسب مسجد البغدادي بجيان.

ولد بجيان يوم الخميس ثاني عيد الأضحى من سنة 470 هـ، وبها درس، ومن الأندلسيين الذين روى عنهم، أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب. ثم رحل للحج فحج وتوجه إلى بغداد فاستقر بها مدة طويلة وقرأ بها وروى عن جماعة وافرة، منهم أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي أخذ عنه تواليفه وجلب منها إلى الأندلس كتاب *أحكام القرآن*، وكتاب *أصول الفقه*، وكتاب *الردعلى أحمد بن حنبل*. كما أخذ ببغداد عن أبي طالب الزينبي وأبي بكر الشاشي.

كان البغدادي فقيها مشاوراً يحفظ كتاب البرادعي، قال : حفظته وأنا صغير قبل رحلتي. وألف تعاليق في الفقه وغيره.

وروى عنه أبو عبدالله النميري، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو عبدالله ابن حميد، وأبو القاسم عبدالرحيم بن الملجوم الفاسي، وأبو علي الحسن بن عبدالرحمان بن عبدربه البجلي وغيرهم كثير.

قال في *الجذوة* : خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقلبها في أول الموحدين وخرج بسببها عدد من الشخصيات والعلماء، فكان البغدادي ممن غادرها نتيجة ذلك، واستقر بمدينة فاس، وبعد سبعة أعوام من خروجه لحقته منيته فتوفي بفاس يوم الجمعة 26 حجة 1152/546.

ابن الابار، *التكملة لكتاب الصلة*، 2 : 474 رقم 1311 ؛ أ. القاضي، *جذوة الاقتباس*، 262، العدد 269 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3: 266.

أحمد العماري

البغدادي، (ابن ـ) **محمد** بن **بوشتى** الجامعي باشا فاس الشهير الذي ظل عاملا عليها أزيد من عشرين سنة في بداية عهد الحماية، كان أبوه عاملا على فاس وعلى غيرها من حواضر المغرب مدة طويلة كما ذكر آنفاً. وصفه صاحب *إتحاف المطالع* بقوله :"الفارس الأنجد، والقائد الأسعد، كان له بعض العدل في أحكامه، وربما حكم بشدة لكن بغير قصد". وهو الذي جلد الوطنيين المتظاهرين بفاس بعد صلاة الجمعة ثامن يوليوز سنة 1930 ضد الظهير البربري وفي مقدمتهم محمد حسن الوزاني الذي تحدث عنه طويلا في *مذكرات حياة وجهاد* وسجّل حديثه معه ومع القبطان الطروشي المندوب المخزني، كما وصف ابن البغدادي وهو يدخل عصر ذلك اليوم دار بوعلي (مقر المحكمة الباشوية) راكباً على بغلته المطهمة ومن حوله المخازنية راجلين يؤدون له التحية التقليدية : (الله يبارك

عمر سيدي) ثم يدخل الغرفة الكبرى حيث يجلس عادة للأحكام على فراش وثير ويأمر باحصار الماعون (فلقة وسياط). أشار ابن البغدادي إلى زبانيته بالعمل فبدؤوا بالفقيه خطيب المظاهرة فأسقطه عونان على الأرض وأدخلا رجليه في القلقة وأمسك آخران بيديه موثقتين، وانهال آخران على مقعدته بالسياط المفتول من الجلد بعد غطسه في الماء. وبعد ذلك جاء دور الصفريوي فمحمد حسن الوزاني فبقية الشبان المعتقلين. كل ذلك يجري "بينما كان الباشا ـ محمد ابن البغدادي ـ ينظر باهتمام وهدوء وهو يحرك شفتيه فتتحرك لحيته الكثيفة، ويداه تمسكان سبحة كأنه في حفلة ذكر أو كأنه يحصي الضربات".

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني وعشري رجب عام 1351 / 13 نونبر 1932، ودفن بروضة الشيخ قاسم ابن رحمون.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1351 ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات*، 3 : 87.92.

محمد حجي

البغدادي، محمد (الحاج ـ) اسم مستعار اتخذه المغامر الاسباني خوسي ماريا ذي مورگا إموگارطيگي Jose Maria de Murgay Mogartegui الذي كان يعرف بلقب المورُو بيثكاييكو El Moro Viscacico (المغربي من مقاطعة بيكايا Viscaya الاسبانية)، ولد بمدينة بيلباو Bilbao في 20 يونيو 1827، والتحق بالأكاديمية العسكرية في 30 ماي 1843 حيث تخرج برتبة فارس سنة 1846 والتحق بصفوف الجيش وبه حصل على رتبة ملازم، فقبطان، فكومندار سنة 1853، وفي السنة الموالية منحت له إجازة لمدة سنة شارك خلالها في حرب كريميا Crimea.

ومن سنة 1851 إلى سنة 1859 قام مورگا بجولة عبر دول أوربا، وتعلم اللغة العربية أثناء مقامه بباريس ثم عاد إلى صفوف الجيش في شهر غشت 1859 إلى غاية شهر ديسمبر من السنة التالية حيث قدم استقالته.

زار مورگا المغرب مرتين وهو يرتدي جلباباً مغربيا مدعيا أنه اعتنق الاسلام، وكان تارة يتعاطى التطبيب وتارة يقوم بدور العطار المتجول. دامت رحلته الأولى من 1863 إلى 1866 حيث زار ناحية الغرب انطلاقا من طنجة التي ظل بها عدة أشهر يتعلم اللهجة العربية الدارجة، وبعد ذلك زار أصيلا والعرائش والقصر الكبير وسلا والرباط ومكناس وفاس ومنها عاد إلى طنجة.

وفي سنة 1866 عاد البغدادي إلى اسبانيا فحرر كتابه المشهور بعنوان : *Recuerdas maroquiés ذكريات مغربية*، وطبعه في بيلباو سنة 1868.

وكانت للبغدادي رحلة ثانية للمغرب سنة 1872 زار خلالها عدة أقاليم قبل أن يعود إلى بلاده، وفي شهر أكتوبر من سنة 1876 بينما كان بقادس يستعد للقيام برحلة ثالثة فاجأته المنية يوم 30 نوفمبر من نفس السنة.

يشتمل كتاب *ذكريات مغربية* على الفصول التالية : المرتدون، تأسيس الدولة العلوية بالمغرب، معركة وادي المخازن، مفارقة بين الاسبانيين والبرابرة، بنو جيفة (اليهود)، الأجناس المتساكنة بالمغرب، شريعة الدخل.

ومن الغريب أن الأستاذ عزيز سلام في كتابه *ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية* الذي أصدرته وزارة الأنباء بمطبعة فضالة د. ت. نشر في صفحة 103 صورة هذا المغامر الإسباني وتحتها العبارة التالية : "الحاج محمد البغدادي أحد قواد القرن الثامن عشر/1876".

J. Murga, *Recuerdos Marroquies*. Bilbao, 1868 ; F. Duro, Cesareo, *Apuntes biograficos del Hach Mohammad El Bagdady* (Jose Maria Murga), Madrid, 1877 ; T. Garcia Figueras, *El Hach Mohammad El Bagdady. Rev. El Español*, Madrid IV num. 150 de 8 Septiembre 1945 : T. Garcia Figueras, *Murga o la originalidad*, Archivos del I. E. A. Madrid, num. 1 P. 85 - 106 ; *El Moro Vizcaino y el Padre Lerchundi. Rev. Africa*, Madrid, 1967, p. 130 - 132 ; *Miscelanea de estudios historicos sobre Marruecos*. Larache, 1949, p. 369 - 340 ; J. de Ibarra, *Jose maria Murga, El Moro Viscaino*, Madrid, 1944 ; *El porque del Moro Vizcaino, Rev. Africa*, Madrid, 1966, p. 716 - 717 ; M. de Olivart, *Recuerdos marroquies del Moro Viscaino*, Madrid, 1906 - 1907.

محمد ابن عزوز حكيم

البغل، حيوان ثديي، عاشب، يصدر عن التهجين المفروض من طرف الإنسان على فحول الحمير وإناث الخيل. اسمه الشائع في المغرب هو البغل و "الكدار" في بعض المناطق، ولو أن هذه التسمية تُعطى للفرس العادي في مناطق أخرى.

يشبه الفرس في بنيته وفي عرفه وذيله الغزيري الشعر وفي عدد فقرياته الصلبية (65). ويشبه الحمار الأب في طول أذنيه الكثيرة التحركات، وفي ثقل رأسه وفي نهيقه القريب من صوت الحمار.

يختلف البغل عن أبويه في عدد صبغياته (للفرس 64 صبغية، للحمار 62 وللبغل 63)، وفي جلده الصامد لاحتكاكات العدة، وفي قامته التي لها صلة وثيقة بقامة أمه وأبيه. فالبغل المتولد من الحمار المغربي العادي أقل قامة من نظيره المتولد من الفحول الجيدة التي تعطي بغلا قويا ضخما صبوراً. تتعدى قامته 155 سم.

تدوم مدة حمله ما بين 310 و370 يوما بمعدل سنة تقريبا.

طوله عند الغارب ما بين 120 و155 سم، ويزن من 300 إلى 400 كلغ.

صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قواطع، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 (4) أضراس = 40 أو 42 سنا عند البالغ. الأنياب عموما منعدمة عند الإناث. تستعمل الأسنان في تحديد أعمار الخيليات.

يبدو أن إنتاج البغال يرجع إلى الميكيين Myciens، (ألف سنة قبل الميلاد)، كما أن الإغريق والرومان أحسنوا تربيتها. وقد عُرف إنتاج البغال بافريقيا منذ العصور القديمة، ونمت تربيته عند الفنيقيين والقرطاجنيين حيث

استعملوه في نقل العتاد الحربي والبضائع. وما زال البغل يقدم للإنسان خدمات متعددة وهامة سواء في القرى أو المدن وذلك لصبره وقوته وتحمله للمشاق.

يُستعمل حالياً في الفلاحة (الحرث والدراس) ونقل البضائع والأسفار، وجر العربات ونقل المواد الغذائية وغيرها داخل المدن الضيقة كما هو الشأن في فاس وتطوان.

والمعروف عن البغل أنه ذو مزاج ذكوري وعاق، لذا يخضع غالباً لعملية الخصي المعروفة بـ "الصلح" وهي عملية غالبا ما تجري من طرف "المعلم البيطار" ونادراً من طرف الطبيب البيطري.

ترتكز تغذيته أساسا على العشب والتين والشعير.

الذكور كلها عقيمة، أما الإناث فقد ثبتت مؤخراً خصوبتهن بالصين بفضل بحوث على مستوى الصبغيات. وقد حدث أن وضعت بغلة في أوائل السبعينات بالمغرب، وأخرى أجهضت في نواحي گرسيف سنة 1989.

يبقى البغل، بالنظر إلى الخدمات التي يسديها للإنسان ولضآلة تكلفة تربيته، مطلوبا أكثر من الفرس في البادية المغربية، حيث يتم التناسل في أغلب الأحيان بين فحول الحمير المحلية وإناث خيل غير مناسبة مما يؤدي إلى انتاج بغال قصار القامة وأقل قوة وصموداً.

ولقد اهتمت مرابط الخيول الوطنية بالمغرب منذ نشأتها برفع مستوى التهجين وإنتاج بغال جيدة، وذلك باستيراد أجود فحول الحمير من فرنسا وإسبانيا. ويوجد الآن في حيزها ما يناهز مائتي رأس توضع بالمجان رهن إشارة المربين بمحطات تجويد نسل الخيول.

أدى تفوّق طلبات البغال، خاصة في المناطق الجبلية، إلى فقدان التوازن بين عدد البغال وعدد الأحصنة الذي عرف تدهوراً كبيراً منذ سنة 1950.

يعيش في المغرب حالياً أكثر من 500.000 رأس من البغال أغلبها من صلب الحمير المحلية. ويختلف البغل عن النغل الذي يصدر عن التهجين بين الأتان والفرس. فالنغل أقل قامة وقوة من البغل، فهو يقدم للانسان نفس الخدمات التي يقوم بها الحمار، مما جعله غير مرغوب فيه زيادة على صعوبة الحصول عليه. فهو نادر جداً بالمغرب.

H. Aublet et L. N. Marcenac, *Encyclopédie du Cheval*, Paris, 1980 ; H. Benjelloun, *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : Cas de la Medina de Fès*. Thèse de Doctorat Véterinaire. I. A. V. Hassan II, Rabat, 1990 ; A. C. Chandley, MRC, *Human Genetics University Edinburgh, Fertility in mules and hinnies* 1 st International Colloquium on Dinkey, mules and Horses, 3 - 6 Sept., 1990 Edinburgh U.K.

مصطفى يعرف

بقار (Bavares)، من القبائل التي عرفت انتشاراً في كل من موريطانيا القيصرية ثم الستيفية وفي موريطانيا الطنجية وحتى في نوميديا. إن اسم "Bavares" على هذه الصيغة لا يوجد سوى فوق النقائش في حين أن النصوص الجغرافية حملت اسم "Barbares".

ففي لائحة ڤيرون (*G. L. M.*, p. 129) نجد أسماء عدد من القبائل في موريطانيا من بينها على سبيل المثال، الموريون المازيكيس ثم الموريون البكوات والموريون البربار (Bavares).

فالمازيكيس يوطنون من طرف بطليموس جنوب شرشال (IV, 2, 19) أي في الورسونيس، أما البقار فيشغلون قسماً من الهضاب العليا ويمتدون إلى غاية الأطلس المتوسط المغربي.

يذكر صاحب كتاب "*Liber Generationis*" عدداً من أسماء القبائل فيقول "الموريون البكوات والمكناتيون والجيتوليون والبربار الأفري (Afri) والمازيكيس وأخيراً الگارامانط". نلاحظ إذن من خلال هذه اللائحة أن "البقار" لوحدهم سموا بالأفري (أفارقة) فهل هذا راجع لأهميتهم أو لكونهم الأكثر انتشاراً في الأراضي الخارجة عن النفوذ الروماني ؟

نلاحظ كذلك أنه يفصلهم عن قبائل البكوات، الجيتوليون ولكن هؤلاء يوطنون في الغالب جنوب البكوات.

يرى الباحث توڤنو أن صاحب لائحة ڤيرون يذكر أسماء القبائل من الشرق نحو الغرب بينما صاحب "*Liber Generationis*" يشير إلى وجود هذه القبائل على نفس خط الطول انطلاقاً من الشمال نحو الجنوب.

يعطينا الفلكي (Riese, *G L M*, p. "Julius Honorius" (53 توطيناً طبوغرافياً أكثر دقة فيقول "إن نهر مالڤا.. يفصل البقار والبكوات ويصب في البحر الذي نسميه أعمدة هرقل". ويعطينا أيضاً لائحة بأسماء القبائل فيقول "هناك النبطيون ثم عرب Bosha (شبه الجزيرة العربية) ثم النازامون وينتهي بالمازيكيس والبربار والسلاماگنيت (المجاورين لسلا) والبكوات والماسيليين". يبدو من خلال هذه اللائحة أن المازيكيس يوجدون في الورسونيس كما سبق ذكره (وقسم منهم يوجد في موريطانيا) والبقار فوق الهضاب العليا الوهرانية، أما القبائل المتبقية فتوطن في موريطانيا الطنجية.

يذكر المؤرخ A. Marcellin (XXIX, 5, 33) في حديثه عن حملة الامبراطور Theodore ضد الثائر Firmus أسماء بعض القبائل التي توجد في موريطانيا القيصرية والستيفية منها Baivrae ، Abanni ثم Davares.

إلى جانب النصوص، فإن اسم البقار، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، حملته العديد من النقائش سنشير إلى بعضها.

أولى هاته النقائش عثر عليها بمدينة لمبيز تتحدث عن الهزائم التي منى بها البقار وحلفاؤهم Quinquegentani على يد القائد الروماني "Micrianus Decianus" سنة 259. 260 م ثم ظل البقار في هدنة نسبية مع الرومان إلا أنه سرعان ما بدأوا يتحركون، تشهد على ذلك بعض النقائش المعثور عليها في موريطانيا القيصرية، فالأولى مؤرخة بفترة حكم الأباطرة ديوقليتيانوسي وماكسيميانوس مهداة إلى الإله Jupiter تعبيراً عن الانتصار الذي حققه

حاكم موريطانيا القيصرية Aurelius Litua على Barbari Transtagnenses (يقطنون قرب سبخة الحضنة)، والثانية مهداة إلى الآلهة المورية حيث يقدم لهم القائد الروماني Aelius Aelianus اهداءً تعبيراً عن انتصاره وسحقه لقبيلة من البقار تسمى "Bavares Mesegneitses". كما تشير إليهم أيضاً إحدى النقائش التي عثر عليها في مدينة Anzia وهي مؤرخة بسنة 260 م.

إذن هذا العدد من النقائش دفع الباحثين إلى اعتبار البقار من القائل القاطنة في موريطانيا القيصرية والستيفية، إلا أن العثور على نقيشتين بموريطانيا الطنجية غير اتجاه البحث. فالنقيشة الأولى (*IAM*, 2, 402) تشير إلى التحالف بين البقار والبكوات تحت رئاسة قائد موحد (تحت حكم سفير ألكسندر) ـ كما كان الشأن بين البكوات والمكناتين سنة 173 ـ 175 م ـ وإلى الاتفاق بين هاته العناصر وحاكم موريطانيا الطنجية. إلا أن هذه العملية لن تكون طويلة الأمد حيث إن النقائش الوليلية المؤرخة ابتداء من سنة 239 م لن تحمل سوى اسم البكوات وحده. فمن المعروف أن قبائل البكوات كانت دائماً في مناوشات مستمرة مع السلطة الرومانية كانت تنتهي عادة بإبرام اتفاقيات بين الطرفين.

إن ما يهمنا من هذه النقيشة هو ذكر اسم البقار الذي يشكل العنصر الأساسي في هذا التحالف حيث إنهم سيشكلون قبيلة واحدة إلى جانب البكوات، وهم الذين ورد ذكر اسمهم في الأول، الشيء الذي يدل على أهميتهم وعلى احتياط روما منهم. أما النقيشة الثانية فقد عثر عليها بمدينة تمودا (*IAM*, 2, 55) وتشير إلى اجتياح هذه القبائل (Barbares) لتمودا في فترة مجهولة لدينا. إلا أنه بعد حكم الامبراطور Sévère Alexandre لن نجد لهم وجوداً في موريطانيا الطنجية. أما في باقي الولايات فلن نعثر على نقائش تحمل اسمهم إلا مع انتشار الحركة الدوناتية حيث سيظهرون في الجزائر الغربية وسوف يتوغلون إلى غاية مدنية (Arbal) Al Regias حيث عثر بهذه المدينة على نصب تذكارية تشير إلى قيامهم بتقتيل عدد كبير من السكان حوالي 366 م. ثم سنجدهم أيضاً ينضمون إلى صف الثائر Firmus كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حوالي 373 م. ولن نجد لهم ذكراً في الوثائق بعد هذا التاريخ.

إذن من خلال هذه المصادر التي ذكرنا سواء كانت مكتوبة أو أثرية يبدو أن البقار يسكنون شريطاً ترابياً هاماً يمتد على حد قول توڤنو من ملوية العليا إلى جنوب شرق مدينة سطيف، هذا الشريط المكون من الهضاب العليا ومن السهول هو الذي سيشكل في الفترة الوسيطية، مجال القبائل الزناتية.

G. Camps, *Les Bavares, peuples de la Maurétanie Cesariennes, R. A.*, XCIX, 1955, p. 241 - 288 ; Dessau, S.V "Bavares", *Real-Encyclopédie*, Col. 149 -150 ; R. Thouvenot, *Rome et les Barbares africains, à propos d'une inscription de volubilis, PSAM*, VII, 1945, p. 166 - 183 ; M. Euzennat, *Les troubles de Maurétanie, CRAI*, 1984, p. 372 - 391 ; Desanges, *Catalogue des tribus africaines*, p. 47 - 48 ; Ch. Tissot, *Géographie comparée de la province romaine d'afrique*, T. I, p. 458 - 460 ; *CIL* VIII, n° 9324, 21486, 9047, 21630, 2615.

عبد العزيز بل الفائدة

بَقْدُورَة (معركة ـ) من المعارك الكبيرة التي دارت في المغرب بين الجيش العربي والبربر اثر انتفاضتهم تحت راية الخوارج سنة 741/123. فبعد الانتصارات الأولى التي حققها الثوار بقيادة ميسرة المطغري، قرر الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (743.724/125.105) القيام برد فعل قوي، فعزل واليه على افريقية عبدالله بن الحبحاب، وعين بدله كلثوم بن عياض القشيري، وجعل بجانبه نائبين، هما بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سليمة العاملي، وأمده بجيش كثيف من الجند الشامي تضخم تضخما عظيما بمن انضم إليه من جند مصر وطرابلس وافريقية، حتى إن المصادر قدرت عدده بسبعين ألف مقاتل. خرج هذا الجيش العظيم من افريقية سنة 741/123 في اتجاه طنجة لتأديب الثوار البربر الذين جمعوا جموعهم تحت قيادة إمامهم الجديد خالد بن حميد الزناتي. إلا أن الضغائن والأحقاد كانت تنخر عظام الجيش العربي بسبب الانقسام الذي دب في صفوفه بين العناصر الشامية الوافدة وبين العرب الأفارقة "البلديين"، الذين استقروا بالبلاد منذ الفتح الاسلامي، وأصبحوا يعتبرون أنفسهم أصحابها ولا يطمئنون إلى أحد من القادمين من المشرق.

على هذه الحالة تم اللقاء بين الطرفين على الضفة الشمالية لأسافل وادي سبو، في موضع يقال له بقدورة (أو نقذورة حسب بعض الروايات)، وكان لقاء هائلا تمكن فيه البربر من تحقيق انتصار كبير (741/123). ويؤكد المؤرخون أن ثلث الجيش العربي قتل، وأن ثلثه الآخر قبض أسيرا، وأما الباقون فقد تفرقوا فلولا مهزومة. وقد قتل في المعركة كلثوم بن عياض وعدد كبير من وجوه العرب، من أمثال حبيب بن أبي عبيدة ومغيث الرومي وهارون القرني وسليمان بن أبي المهاجر. وكان من جملة الناجين فرقة من الجند الشامي من حوالي تسعة آلاف رجل بقيادة بلج بن بشر، تحصنت بسبتة حيث شدد عليها البربر الحصار حتى كادت تهلك جوعا، إلى أن سمح لها والي الأندلس، عبدالملك بن قطن، بالعبور إلى الضفة الشمالية بعد أن تفاقمت هنالك ثورات البربر.

كان لمعركة بقدورة هاته نتائج حاسمة، إذ أنها كانت نذيرا بامتداد الثورة إلى كل بلاد الغرب الاسلامي، من طرابلس إلى الأندلس، كما أنها كرست انفصال المغرب سياسيا بصفة نهائية عن الخلافة الشرقية.

مجهول، *أخبار مجموعة*، نص عربي وترجمة اسبانية، نشره Lafuente Alcantara مدريد، 1867، ص 31، 34 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ت. كولان وبروفنصال، ليدن 1948، ج 1، ص 54، 56.

محمد الأمين البزاز

بقر، حيوان أهلي من البقريات Bovidés ومن فصيلة البقر ورتبة مزدوجات الأصابع المجترات، يربّى للحرث ودرّ اللبن واللحوم.

البقرة في العربية واحدة البقر وتطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد التخصيص قيل ثور وبقرة. الاسم العلمي هو Bos Taurus الذي ينحدر أصله إلى نوع Bos primigenius الذي كان يعيش في أوروبا وأفريقيا الشمالية في العصر الحجري.

يرجع تاريخ بداية علاقة الانسان بالبقر إلى ما يزيد عن 6.500 سنة قبل الميلاد وقد أكدت أبحاث علوم الأثريات أن أول علامات تدجين الثور الوحشي ظهرت في الباكستان ما بين 7.000 و6.000 سنة قبل الميلاد ثم في خرزستان وإيران وتركيا وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا. تطورت طريقة التدجين مع تطور الفلاحة وخاصة في عهد الفراعنة والرومان، ونتجت عن هذا التهجين عدة سلالات لتلبية حاجيات الإنسان من اللحوم والحليب وخدمة الأرض.

من السلالات الشائعة في المغرب هناك سمراء الأطلس La Brune de l'Atlas التي تعيش في تونس والجزائر والمغرب ويحتمل أن البرابرة أتوا بها من النيل منذ 3.000 أو 4.000 سنة.

يتراوح وزن سمراء الأطلس ما بين 280 و310 كلغ بمعدل 300 كلغ في حالة التربية المكثفة بالمزرعات، وما بين 187 و245 كلغ في حالة التربية الممددة وهي الأكثر استعمالا في المغرب. ينخفض الوزن في فصل الشتاء لقلة الأكل في المراعي ويرتفع في فصل الصيف لوفرة الأعشاب وتنوعها. تشرب من مياه الآبار والعيون والبحيرات العذبة والوديان مرة كل يوم.

تقوم بعض المزرعات بالتربية المكثفة لسلالة سمراء الأطلس فتقدم لها الكلأ الوافر طول السنة، ويتكون من البرسم والشمندر والذرة وسرغو. تعطي البقرة صغيراً كل سنة في هذه الحالة ولا يُعزل عنها بينما تعطي صغيراً كل سنتين في حالة التربية المُمَدّدة. تعطي الحليب في الصباح والمساء لمدة ثلاثة أشهر ونصف بعد الولادة وكثيرا ما تفصل الصغار عن الأمهات لكي لا ترضعها وسط النهار.

تعيش في المغرب أيضا سلالة أُلماس وهي كثيرة الشبه في عاداتها الغذائية. تكوّن إلى جانب سمراء الأطلس 80٪ من عدد رؤوس البقر المحلي في المغرب، وتشتهران بمقاومة قوية ضد الأمراض الناتجة عن الجراثيم والطفيليات التي تفتك بسهولة السلالات الأوروبية المستوردة كالبقرة المبرقعة Pie noire وHolstein وSwiss Brown Guernesey وغيرها.

استوردت السلالات الأوربية إلى المغرب لتلبي حاجيات السكان من الحليب واللحوم.

عرف عدد رؤوس البقر تطوراً محسوساً منذ سنة 1982 في المغرب كما يوضح الرسم ذلك. بلغ العدد 3.136.900 رأس في نونبر 1988 منها 67.7٪ تابعة للإدارة الاقليمية للفلاحة و32.3٪ تابعة للمكاتب الجهوية للإصلاح الزراعي.

يعتبر إقليم سيدي قاسم من أهم الأقاليم في تربية البقر (16.4٪) ويليه إقليم الجديدة ومراكش والخميسات وتطوان وسطات وتاونات وأگادير ومكناس حيث يشكل مجموعها 48٪ من عدد الرؤوس داخل الوطن.

Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire : *Enquête d'élevage : Effectifs des bovins, ovins et caprins*, 1989 ; M. Chadli, *Physiopathologie de la malnutrition chez les bovins bruns de l'Atlas*, Doctorat Es-Sciences agronomique, 1989 ; F. Marleen, *Genus Bos : Cattle breeds of the World*, MSD, Agvet, Rahway - USA, 1985.

محمد رمضاني

البَقْس، أو بُوكْسوس Buxus شجيرات تعدُّ جنساً من فصيلة البقسيات، وفي المغرب نوعان طبيعيان منه :

1 ـ البقس الدائم الاخضرار أو بُوكْسوس سَامْبرْفْرانْس Buxus sempervirens شجيرة أو شجرة قصيرة القامة، لها قشرة متجعدة ذات لون رمادي يميل إلى الاصفرار، وأوراق جد متعددة دائمة الاخضرار لكنها تحمر بسبب قساوة البرودة الشديدة في أعالي الجبال، وأزهار صغيرة بيضاء.

يُعرف هذا النوع من البقس في جميع سواحل البحر المتوسط الشمالي ابتداء من المحيط الأطلسي إلى جبال القوقاز، بالإضافة إلى بقعتين الأولى في الجزائر والأخرى في المغرب.

يسكن البقس الدائم الإخضرار في بعض أحراج البلوط الأخضر والعرعر الفنيقي، والعرعر الفواح، وعلى سفوح صخرية شستية وكلسية في بعض جبال الأطلس الكبير الشرقي ما بين 1900 و2.800 م من الارتفاع.

إنه بالإمكان استعمال البقس الدائم الاخضرارللزينة لأنه سهل التشذيب. خشب البقس جد ثمين ومطلوب لأنه يعتبر الخشب المثالي للنحت والنقش، ولهذا كانت أجود قطع الشطرنج الخشبية هي التي تصنع من خشب البقس.

2 ـ بقس البليار أو بُوكْسُوسْ بَلِيَارِيكا Buxus balearica يشبه النوع السابق لكنه يتميز عنه بعدم ظهور الزغب على الأغصان الصغيرة وبأوراق أكبر.

يصادف هذا النوع في جزر البليار حيث ينحصر في بقعة محدودة، وفي جنوب إسبانيا وفي جزيرة سردينيا وفي المغرب.

ففي المغرب يسكن بقس البليار في الغابات المنفرجة المشكلة من البلوط الأخضر أو العرعر البربري أو العرعر الفنيقي أو الأرز. وذلك في الريف، وسلسلة بني ازناسن، والاطلس المتوسط والأطلس الكبير. وفي هذه المناطق يصادف البقس ما بين سطح البحر في الريف و2.500 م من الارتفاع في الأطلس الكبير.

أما من حيث متطلباته البيومناخية فإنه يقطن في شبه الجاف وشبه الرطب والرطب ذوي الشتاء الدافئ والمعتدل والبارد والقارس. وفي كل هذه الحالات لا يبالي البقس بالنوعية الصخرية التي يعيش عليها.

استعمالات بقس البليار لا تختلف عن استعمالات النوع السابق.

أبحاث شخصية.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبدالمالك بنعبيد

البقس، وله في اللسان المغربي الدارج أسماء أخرى تختلف باختلاف المناطق. عرفت هذه الشجرة الطبيعية انتشاراً كبيراً في المغرب خلال تاريخه القديم والوسيط، ثم تقلص وجودها تبعاً لتقلص المساحات الغابوية، إلا أن تقلص تجمعات شجر البقس كان كبيراً وذلك لعدة أسباب، منها : الاستغلال البشري المكثف لهذه الشجرة لميزاتها وخصائص خشبها المتمثلة في الصلابة والدقة وحسن المنظر، وتتميز عن باقي الأخشاب بكونها تصلح لصناعة الأدوات والأشياء الدقيقة والحادة الرؤوس، أي أن خشبها وعيدانها لا تنكسر رؤوسها بسهولة ولا تتشعث عند النحت أو عند الاستعمال في الأمشاط والمغازل والملاعق وما إلى ذلك (*التشوف*، ص 6 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 191) هذه المميزات جعلت الاستهلاك يزيد في العصر الوسيط الأوسط والأدنى بسبب التحسن النسبي في المستوى المعاشي والإقبال الكبير على المصنوعات الخشبية خاصة في المدن. أهم أماكن تجمعات البقس، غابات البلوط الفليني، أي أنها كانت تختلط بها خاصة في المناطق الساحلية والمطلة على المحيط (*وصف افريقيا*، 1 : 88، 165، 251) إلا أن غابة المعمورة ربما كانت في الدرجة الأولى حسب نفس المصدر.

تأتي صناعة الأمشاط كصناعة أولى تستهلك البقس، وليس المقصود الأمشاط الخاصة بتسريح الشعر فقط بل حتى الأمشاط المستعملة في صناعة النسيج، لأن مميزات خشب البقس تساعد على نحت تلك الأمشاط دون أن تنكسر أسنانها أو تتشعث.

هذا الاستغلال المكثف الذي أشارت إليه مصادر أخرى (*فضالة الخوان*، 53) تراجع لعدة أسباب، منها تراجع الغابات كما أسلفنا خاصة حول المدن الكبرى، فأصبح الحصول على البقس يتطلب تكاليف ومشاق أكثر، ومنها انتشار استعمال الحديد والأدوات الحديدية بشكل أوسع منذ العصر الوسيط الأدنى (*وصف افريقيا*، 1 : 184، 188، 191) فصنعت أدوات النسيج منه. واستمرت صناعة أمشاط تسريح الشعر تعتمد على شجرة البقس لكن بكثافة أقل من السابق لدخول الأمشاط المصنوعة من العاج وقرون الأبقار في المنافسة. فقل تصدير هذه البضاعة، لكن استهلاكها بقي منتشراً في الأوساط الفقيرة لأن الأنواع الأخرى ليست في متناولها.

استمر وجود الأمشاط الخشبية إلى وقت قريب منا، إلا أنها ليست مصنوعة من شجر البقس فقط، بل دخلت أنواع أخرى من الخشب في هذه الصناعة خاصة الأخشاب المستوردة التي عرف المغرب بعض أنواعها منذ تاريخ قديم كالأبنوس مثلا، ويمكننا أن نجد بسهولة في السوق اليوم بعض الأمشاط الخشبية المنحدرة صناعتها من تاريخنا الوسيط، وقد نعثر من بينها على أمشاط من البقس.

لم تعد شجرة البقس اليوم تشكل تجمعات كبيرة كما كانت في العصر الوسيط، بل أصبحت متناثرة وسط غابات البلوط إلى جانب أنواع أخرى في المعمورة وامتداداتها جنوب وادي أبي رقراق وعلى السفوح الغربية لمنطقة جبالة وجبال الريف الغربية (*A. M.*, 1911, Vol. 17).

ي.التادلي، *التشوف* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 2 Vol.

محمد حجاج الطويل

البَقّ، حشرة من رتبة نصفية الأجنحة Hemiptera ومن فصيلة البقيات Cimicideae. ومن أسمائها في المغرب بق الفراش، بق الخشب، بق الحيطان، وفي الشرق العربي البق والضَمْج وبنات الحصير والفسافس.

إنها ذويبة مفرطحة حمراء أو سوداء منتنة، جناحاها قصيران جدا لا يساعدان على الطيران. تنتهي مقدمة الرأس بمتك رقيق يمتص الدم ويلسع. لا يتعدى طول الحشرة 10 ملم.

يعيش من هذه الفصيلة ثمانون نوعاً في العالم من أشهرها Cimex lectularius وCimex hemipterus التي تكيفت مع الإنسان منذ أقدم العصور، وهي منتشرة الآن في جل بقاع العالم.

تعيش هذه الدويبة عادة في المنازل داخل أخشاب السقوف وداخل الفراش. تختفي في النهار وتخرج في الظلام لتلسع النائم وتمتص دمه وتعود إلى الأخشاب وفتحات الجدران لتلد البيض.

تتغذى الأنواع الأخرى عادة من دم الخفافيش ونادرا من دم الطيور.

إن البق شائع في المنازل القديمة بالمغرب، ومحاربته بالأدوية والنظافة تساعد على انقراضه.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، 1932.

J. Carayon, *Les Hemiptères*, *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques*, *Zoologie II*.

محمد رمضاني

البقّاش، أسرة تطوانية أصلها من قبائل غمارة، وكان من بين أفرادها :

البقاش، عبدالخالق بن أحمد فقيه كان حياً سنة 1818/1233 وكلمة البقاش في اللهجة الدارجة تعني الشخص الذي يقوم بالتفتيش والبحث، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بقّاق، أو البقّاق، أسرة تطوانية أصلها من قبائل جبالة وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1899/1317.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البقال، أسرة من شرفاء اغصاوة بناحية وزان، استقر بعضهم في تطوان ومكناس وغيرهما، وعنها تفرعت أسرة البقالي آتية الذكر. وهناك أفراد يدعون البقال لا صلة لهم بهذه الأسرة.

البقال، أحمد بن أحمد من مواليد مراكش سنة 1932 وهو شقيق الشهيد محمد البقال. شارك في الحركة الوطنية في سن مبكر وتعرض لمطاردة سلطات الحماية كلما تأزمت الأوضاع السياسية. وكان من بين المنظمين لمظاهرات المشور في 15 غشت 1953 المنددة بمؤامرة الاستعمار وأذنابه من الخونة فسقط فيها بعض الشهداء والجرحى وتم اعتقال أحمد البقال بعد إصابته برصالة في رجله. فقضى سنتين في السجن. ولما أفرج عنه التحق بجيش التحرير بالصحراء. وفي 14 جمادى الأول عام 17/1376 دجنبر 1956 أسندت إليه قيادة بني عامر بقلعة السراغنة، وفي 22 ربيع الأول 17/1377 أكتوبر 1957 تم نقله قائدا لقبائل تكانة وغجدامة واگلاوة الشمالية وظل متحملا هذه المسؤولية إلى سنة 1962 حيث استقال وهاجر إلى فرنسا وهناك وافاه أجله في أحد مستشفيات باريز بتاريخ 7 أبريل 1989.

م. الحبيب الفرقاني، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، ج 1 ؛ *ظهير التعيين* ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي* بتاريخ 1989.4.17 ؛ *معلومات من أسرة أحمد البقال*.

محمد ماگامان

البقال، أبو بكر بن علي الحاج، ولي صالح من رجال القرن العاشر (16 م) يوجد قبره بضريح أخيه سيدي عيسى آتي الترجمة بحومة السانية بتطوان.

البقال، الطيب بن عبدالسلام، فقيه ولد بمدشر محراشن من قبيلة بني حسان سنة 1174، وكان من بين الأعيان الموقعين بتطوان على عقد البيعة للأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 17/1236 مارس 1821 كما كان من أعضاء الوفد التطواني الذي توجه إلى فاس لتهنئة السلطان مولاي عبدالرحمان بمناسبة عيد الأضحى لسنة 1827/1242 وكان يزاول خطة العدالة بتطوان إلى أن وافته المنية سنة 1837/1253.

البقال، عبدالجليل، فقيه تطواني زاول خطة الإفتاء بمدينته من سنة 1772/1186 إلى أن وافته المنية بها سنة 1804/1219.

البقال، عبدالفضيل بن المهدي، فقيه تطواني كان يزاول خطة العدالة بالمدينة من سنة 1819/1234 إلى سنة 1828/1243.

البقال، عبدالله بن محمد، فقيه تطواني كان يزاول خطة الإفتاء والعدالة بمدينته سنتي 1882/1299 و1883/1300.

البقال، عبدالله الحاج بن محمد، ولي صالح ولد بتطوان وتوفي بها يوم 5 ربيع الثاني 20/1207 نوفمبر 1792 وقد بني عليه ضريح بساحة الفدان بتطوان في نفس سنة وفاته، وبجانبه شيّد القائد أشعاش سنة 1834/1250 مسجدا تقام به الصلوات الخمس وصلاة الجمعة.

ويحكى عن الشيخ البقال هذا أنه سُئل عن مصير تطوان ومصيره فقال : "مسكينة يمّا (أمي) تطّاوين وأما أنا فَهَمّي (مصيبتي) بالشبك" (أي عظيمة)، وقد فسر الناس فيما بعد هذه المقولة بأنها إشارة إلى الاحتلال الإسباني الذي تعرضت له مدينة تطوان و إلى ما آل إليه ضريحه معهم فقد حوّل الإسبان هذا الضريح المسجد عند احتلالهم لتطوان إلى كنيسة أطلقوا عليها اسم سيدتنا ذات الانتصارات. وأقاموا بها قداسهم يوم الأحد 20 رجب 12/1276 فبراير 1860. ويذكر أيضا أنه أول مسجد تمت فيه قراءة القرآن الكريم جماعة ابتداء من يوم الجمعة 4 جمادي الثانية 14/1353 سبتمبر 1934.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 12، 4 : 89. 113. 130، 6 : 11. 13. 187 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 234. 235، 3 : 156. 217. 267. 294، 4 : 221، 5 : 326، 6 : 185. 215، 7 : 142. 247. 249. 254. 295، 8 : 117.

محمد ابن عزوز حكيم

البقال، علي الحاج، أو ابن البقال ـ حسب بعض النصوص ـ ينتمي إلى شرفاء اغصاوة المشهورين ببلاد جبالة، وهو مؤسس الزاوية البقالية بها. تصفه المصادر بأنه شيخ وولي، وفقيه وأديب.

فصفته الأولى التي طغت على غيرها، ذكرت في كل الكتابات التي ترجمت له، وجلها تتفق على أن علي الحاج البقال من كبار شيوخ العصر القرن العاشر (16 م)، تظهر "الخوارق على يديه". وقد أخذ عن شيوخ مشهورين مثل عبدالله الهبطي ومحمد الخروبي السفاقسي، وغلبت على عليّ الحاج البقال طريقة الخروبي التي تميل إلى القادرية.

كان كثير الصوم، ينقطع عن الناس على عادة الأولياء. وقد أسس زاوية ببلاد الهبط، وكان له أتباع كثيرون، يقصدونه في زاويته باغصاوة من ضاحية وزان، حتى خشيه الأمراء السعديون. وقد وفد على السلطان الغالب بأمر الله مرتين، وخرج السلطان للقائه بظاهر فاس تكريما له.

ذكر صاحب *الجذوة* أنه كان ينزله "منزلة الأمراء". ولا غرابة في ذلك حيث إن الدولة السعدية كانت تعتمد بالأساس في نشر دعوتها ودعم سلطتها على مكانة هؤلاء الأولياء في قلوب العامة.

أما صفته الثانية فلم تكن أقل شهرة من الأولى حيث إن علي الحاج البقال اشتهر كذلك بالتمكن في فقه الفروع، درسه على فقهاء المشرق، وزار أقطاره وقضى هناك ما يزيد على ست عشرة سنة. وكان قرين ابن عسكر صاحب *الدوحة*. ذكر المنجور في *فهرسه* أنه قرأ عليه بالمدرسة المصباحية بفاس قبل أن ينتقل إلى زاويته باغصاوة ببلاد الهبط، حيث استمر يدرس ويشارك في المناظرات والنقاشات بين الفقهاء في غمارة وخارجها. ومن أشهر تلك المناظرات التي وقعت بينه وبين ابن عسكر حول مسألة إقامة الجمعة في قرى البادية، وبين الشيخ أبي عمران موسى بن علي الوزاني في مسألة الفرار من الطاعون.

أما شهرته بالأديب فلم نجد لها مبرراً ملموساً من شعر

أو كتابة أو غير ذلك، اللهم إلا عبارة الأديب التي وصفه بها كل من ابن عسكر والمنجور.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص 40.39 ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، الفصل 15 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 76 ؛ أ. المنجور، *الفهرس*، ص 77 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 76.

محمد مزين

البقال، عيسى بن علي الحاج، ولي صالح توفي بتطوان في أوائل القرن العاشر الهجري ويوجد ضريحه بحومة السانية، وهو جد الولي الصالح سيدي محمد الحاج بوعراقية دفين طنجة الذي كان قبل وفاته قد أوصى بصرف جميع ماله في صيانة ضريحه.

البقال محمد بن أحمد، ولد في مدينة مراكش سنة 1926، ونشأ يتيما، فسهرت أسرته على تربيته حتى حفظ القرآن وأخذ مبادئ العربية والفقه، ثم اشتغل بالتجارة في المواد الغذائية بحي القصبة، فكان من جملة الشبان المراكشيين الذين نشأوا في أحضان الحركة الوطنية منذ الطفولة وعرفته المدينة شاباً مستقيماً ووطنياً غيوراً. تعرض للاضطهاد والمضايقات والسجن من طرف سلطات الحماية بسبب مواقفه وتأطيره السياسي داخل الحي. ومنذ مظاهرات الدارالبيضاء في دجنبر 1952 احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي النقابي فرحات حشاد أخذ يفكر في تغيير أسلوب العمل داخل الحركة الوطنية واختمرت فكرة التغيير في ذهنه فوجد في اعتداء المستعمر على العرش المغربي في غشت 1953 فرصة سانحة للانتقال من الدعوة إلى العمل المسلح، وقاد مظاهرات 15 غشت بالمشور سقط فيها عدد من الشهداء، وعلى إثرها اختفى عن الأنظار وشرع في العمل السري حيث أسس أول خلية للمقاومة بمدينة مراكش كان من بين أعضائها : أحمد المزوضي وعبدالقادر الوجدي وأربعة آخرون من قبيلة أولاد سيدي الشيخ بالسويهلة وخلية أخرى شكلها بمعية الشهيد العربي البناي فكانت أول تجربة لمثل هذا التنظيم السري لاختبار مخططه الذي عليه أن يراعي التنظيم والهدف ووسائل التنفيذ حتى لا ينكشف أمره. ومن المؤسف أن هذه الخلايا التي ترأسها محمد البقال لم تعمر طويلا فقد ألقى عليه المستعمر القبض في 29 دجنبر سنة 953 وحاكمه بتهمة تخريب السكة الحديدية ووضع المتفجرات والمس بالأمن العام وأعمال العنف ونفذ فيه الحكم بالإعدام في سجن العادر في 22 أبريل 1954.

معلومات من عائلة الشهيد ؛ *روايات شفوية من أهل مراكش* ؛ *مذكرات من تاريخ المغرب*، ج 7.

محمد ماگامان

البقال، (ابن ـ) محمد بن **محمد** بن علي. كان عالماً محصلا مشاركا محققا، قرأ الفرائض والحساب بتازا على أبي عبدالله العباس بن مهدي، والكلام على محمد الترجالي، ثم قطن بفاس حيث دأب على القراءات وأتقن المعقول، ثم اشتغل بالتفسير والفقه الخلافي، وذلك إلى جانب حظه الوافر في الأدب واللغة والبيان والعروض وقرض الشعر والكتابة. أما في الفلسفة فكان من أبرز علماء وقته فيها مع التدين والوقوف مع الشريعة. وقد عرف عنه الورع والنسك، وأصبح في آخر عمره مدرساً بارعاً في الفقه مكثراً من قراءة *القرآن*، وله أجوبة في *التفسير والأصول* أجاب بها عبدالرحمان بن العشاب (ت 1324.1323/724).

توفي محمد ابن البقال سنة 1325.1324/725 بفاس، ودفن داخل باب الفتوح، وعمره يقارب الخمسين (حسب ما أورده أحمد باب في *نيل الابتهاج وكفاية المحتاج*. وفي *وفيات الونشريسي* ورد منسوبا بالأنصاري والفاسي منعوتا بالمدرس و الكاتب، وذكرت وفاته سنة 1377.1376/778.

أ. الونشريسي، *وفيات* ؛ أ. باب، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج*.

ر.د. د. ع. بكلية الآداب بالرباط.

محمد مطيع

البقال، المختار، فقيه من أعيان تطوان الذين وقعوا على وثيقة مبايعة الأمير مولاي السعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية عام 1236.

البقال، النادي بن الطاهر، فقيه كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان وكان من بين الذين وقعوا على عقد مبايعة الأمير مولاي السعيد بن اليزيد العلوي.

البقال، الهاشمي بن عبدالرحمان، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1842/1258.

البقال، يخلف بن الراشدي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1758/1171 إلى سنة 1811/1226.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 12 ؛ 4 : 89، 113، 130 ؛ 6 : 11، 13، 187 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 234 ، 235 ؛ 3 : 156، 217، 267، 294 ؛ 4 : 221، 5 : 326 ؛ 6 : 185، 215 ؛ 7 : 242، 247، 249، 254، 295 ؛ 8 : 117 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، 1 : 188.

Rodriguiez de Celis, *Rev. Mundo*, Madrid, 27 - 12 - 1911 ; P.L. de Alacon, *Diario*.

البقالي، أسرة شريفة أصلها من مدشر الحرايق بفرقة بني مدراسين من قبيلة اغصاوة قرب مدينة وزان حيث توجد زاويتهم الأم. وهي ذات فروع عديدة وشعب كثيرة حاول جمعها والترجمة لأعلامها وإثبات نسبها الشريف محمد سكيرج الطنجي في كتابه : *الدرر الآلي في إثبات الشرف البقالي*، وهو مطبوع على الحجر بفاس، وعلى الحروف بطنجة. وقد انتقل بعض البقاليين إلى تطوان وفاس ومكناس وسلا وغيرها.

واشتهر منهم بتطوان :

البقالي، أحمد بن **التهامي**، فقيه صالح ولد بقرية تاسفت بفرقة أمسا من قبيلة بني سعيد الغمارية سنة 1800/1215 وتوفي في فاتح ربيع الأول 1876/1293.

البقالي، أحمد بن **محمد** فقيه تطواني تولى القضاء بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان سنة 1928/1347 وتوفي بمسقط رأسه سنة 1941/1360.

البقالي، التهامي بن أحمد، فقيه صالح كان إماماً بالزاوية الريسونية إلى أن وافته المنية سنة 1893/1310 بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

البقالي، الطيب بن عبدالسلام، ولد بقبيلة بني حسان القريبة من تطوان سنة 1174، وفيها قرأ القرآن ومبادئ العلم، ثم قدم تطوان يافعاً وواصل الدراسة والأخذ عن علمائها، واختص بأحد علماء أسرته محمد بن المهدي البقالي وبه تخرج وتزوج ابنته.

كان له اتصال كبير بعامل تطوان القائد عبدالرحمان أشعاش، ورزق قبولا كبيراً بين الخاصة والعامة، وجاها عند الحكام، ملحوظا منهم بالتجلة والتعظيم. ولوفور عقله ودينه وصلاحه استغل ذلك كلّه في الإصلاح بين الناس، فكان يخرج لإصلاح ذات البين وإطفاء نيران الفتنة والشحناء عندما تتقد بين القبائل وعشائر البادية.

ومن مواقفه المذكورة أن مولاي إبراهيم بن مولاي اليزيد لما خرج داعيا لنفسه مخالفاً على عمه مولاي سليمان وقدم تطوان توفي بها بالقرب، فقام أخوه مولاي السعيد مطالبا أهل تطوان ببيعته، وفاوضهم في ذلك، فلم يجبه منهم إلاّ المترجم قائلا له : نحن لا نبايعك، فقال له ولِمَ ذا ؟ قال : لأن بيعة عمك في أعناقنا ولا يجوز لنا خَلْعُه بدون سبب شرعي، فأمر في الحال بسجنه، وبينما الأعوان يسوقونه مع المسجونين مصفّدين بالأغلال نازلين إلى (باب الرُّموز) مروا بداره التي كانت قرب مسجد الساقية الفوقية، فقال القائد أحمد اعنيقد رئيس (الطّبجية) الآن سنأكل هذه الدار يعني نهبها، فَسمعته بنت السيد الطيب فقالت وهي باكية مشفقة على مصير أبيها وهي تطل عليهم : الله يجعلك فريسة للذياب. فكان من قدر الله إجابة لدعوة البنت المظلومة أن مولاي سعيد خرج لقبيلة الحياينة فخرج عمه مولاي سليمان لمقابلته فقيل له : إن بمحلة ابن أخيك مولاي السعيد معلماً (طبجيا) لا نظير له، يقال له المعلم أحمد اعنيقد، فوجه إليه جنداً أمرهم بقتله بحيلة للتخلص منه، فتسلل الجند لمعسكر مولاي السعيد وجعلوا ينادون المعلم فلما أجابهم وخرج جاهلا بهويتهم أفرغوا فيه بنادقهم وفروا، فقامت الحرب وسرعان ما انكسر مولاي السعيد فلجأ إلى الضريح الادريسي بفاس محتميا به، وتفرق شمل جنده، وتُرك المعلم اعنيقد مضرجاً بدمائه في العراء بأرض المعركة حتى أكلته الذياب.

ولما وقع الصلح بين المولى سليمان وابن أخيه السعيد سرح السلطان مساجينه ومن جملتهم الفقيه السيد الطيب البقالي، فأنعم عليه وعرض عليه قضاء تطوان فأباه، وظل مشتغلا بالتدريس والعبادة إلى أن توفي - رحمه الله - سنة 1253 / 1837، ودفن بالزاوية البقالية بالطرافين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 6 : 11.

محمد بوخبزة

البقالي، عبدالسلام المعروف بسيدي عبدالسلام دَ البحر وبكحل العيون، ولي صالح لا نعرف عنه سوى أنه مدفون بشاطئ مرتيل بالضفة اليمنى من النهر التي تعرف بديزة سيدي عبدالسلام.

البقالي، عبدالله بن عبدالسلام، ولي صالح توفي بتطوان سنة 1854/1270.

البقالي، محمد بن أحمد بن التهامي، فقيه ولد بتطوان سنة 1838/1254 وكان خطيبا بجامع القصبة من سنة 1910/1320 إلى أن أعفي يوم 14 جمادى الثانية 23/1328 يونيو 1910. وقد توفي يوم الجمعة 22 محرم 8/1336 نوفمبر 1917.

البقالي، محمد بن **الحسني**، فقيه طبيب من أهل تطوان، وصفه الفقيه الرهوني بقوله "النبيه النبيل الأصيل الطبيب الماهر، ذو السر الظاهر، والخارق الباهر وقد حصلت له بمطالعة *قانون* الشيخ أبي علي الحسن ابن سينا وتذكرة الشيخ داود الأنطاكي وغيرهما ملكة في الطب والتشريح يعجز عن إدراكها من أفنى عمره في "الاسبطارات" و"المارستانات" وله من الاطلاع على مفردات الأدوية ومركباتها ما يعجز عنه أكبر صيدلي، والحاصل أن الله سبحانه قد فتح عليه في هذا الفن فتحاً كبيراً".

البقالي، محمد بن **عبدالسلام**، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان إلى أن توفي بها يوم الاثنين 9 جمادى الثانية 15/1317 أكتوبر 1899.

البقالي، المفضل بن عبدالسلام، مجذوب كتب في شأنه السلطان مولاي عبدالرحمان يقول في رسالة موجهة إلى باشا تطوان محمد أشعاش بتاريخ جمادى الثانية 1839/1255 "تأمرك أن تدفع لحامله البركة السيد المفضل البقالي أربعة أذرع من الملف وخمسة وعشرين ذرعاً من الطرول وعشرين مثقالا" وقد توفي سنة 1854/1270.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 115، 184 ؛ 2 : 114 ؛ 6 : 13، 15، 150، 151، 187، 188 ؛ 8 : 12 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 324.

البَقُّولي، أسرة تطوانية نجهل كل شيء عنها بالرغم على أنها كانت من أنبل أسر تطوان، بدليل أنه كان من بين أفرادها شخص أرسله السلطان مولاي إسماعيل سفيراً إلى انجلترا ونحن نجهل اسمه الشخصي لعدم توفرنا على وثائق تتعلق به وبمهمته باستثناء ما أورده عنه الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwait في رحلته المشهورة حيث قال إن **البقولي** أرسله مولاي إسماعيل سفيراً إلى أنجلترا أواخر سنة 1726 وأنه حلّ بجبل طارق عائداً من الديار البريطانية

يوم 29 أبريل 1727. وكان بصحبته السفير البريطاني جون روسيل John Russel.

ويبدو أن البقولي علم بوفاة مولاي إسماعيل عند حلوله بجبل طارق، وحيث إنه كان يحمل معه هدايا ثمينة من ملك أنجلترا إلى ملك المغرب فلم يقدم على الرجوع إلى أرض الوطن في الوقت الذي كانت فيه الأوضاع مضطربة حيث إن سكان تطوان كانوا على خلاف مع الباشا أحمد الريفي الموجود آنذاك بطنجة، فإذا عاد البقولي إلى طنجة فسوف تتعرض أسرته إلى غضب سكان تطوان، وإذا عاد إلى مسقط رأسه وقع في غضب الباشا، وهذا ما جعله يفضل البقاء بجبل طارق إلى أن يقع انفراج في الحالة المضطربة، وحيث إن حاشية السلطان مولاي أحمد الذهبي كانت تنتظر بفارغ الصبر الحصول على "حقها" في الهدايا الثمينة فقد أوحوا للسلطان بأن يبعث أمير البحر عبدالقادر بِّيريس إلى البقولي يأمره بالعودة إلى أرض الوطن فكان وصول البقولي إلى طنجة يوم 10 سبتمبر.

هذا كل ما نعرفه عن هذا السفير التطواني الذي لم نجد ذكره في أي مصدر مغربي باستثناء ما نشره الفقيه داود اعتماد على ما جاء في كتاب Braithwait.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 105، 162، 318 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwait, *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc depuis la mort du dernier empereur Muley Ismael*, Amsterdam, 1731 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

البَقَّيقي، أسرة غمارية كانت بتطوان إلى حدود سنة 1677/1088 حيث انقرضت على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة كافة.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بَقَّيوَة، أو بقُّوية، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني ورياغل وبني يطفت. وتقدّر مساحتها بـ 281 كلم^2، وكان عدد سكانها سنة 1946 : 11.135 نسمة، يتكلمون باللهجتين الريفية والعربية الدارجة. وبهذه القبيلة كانت توجد مدينة بادس، وسوقها الرئيسي يوجد بأحد الرواضي، كما تحتوي القبيلة على أربعين مسجداً و أحد عشر ضريحا وثلاث زوايا وأحد وأربعين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : أزغار (17 مدشراً) وايزمُّورن (9 مداشر) وتيگيذيث (15 مدشرا).

وفي النظام الاداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما جماعة ايزمُّورن وجماعة الرواضي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 20، 63، 91، 122، 124 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة*، 101.

Aranda, Coronel, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particulier*. s. l. s. a. ; A Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916 ; Comisiòn històrica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T. II : A. Domenech, *Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926 ; *Vademecum*.

البقّيوي، أو البَقُّوبي، أسرة تطوانية أصلها من بقّيوة أو بقُّوية، وكان من بين أفرادها بتطوان بعض الفقهاء مثل:

البقّيوي، أحمد بن حدو المتوفى سنة 1871/1288.

البقّيوي، عطوش بن عمر الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1897/1315.

وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُقُول، (عام ـ) أطلق في المغرب على سنة 987/ 1580.1579. ويرجع سبب هذه التسمية إلى كون المغاربة خلال العام المذكور اضطروا إلى أكل البقول أي حشائش الأرض لقلة المنتجات الزراعية وشدة الغلاء. (*نزهة*، 161). بل تذكر بعض المصادر التي اهتم أصحابها بمنطقة الشمال الغربي أن المجاعة والغلاء كانا شديدين للغاية إلى حد أن سكان أحواز مليلية وغساسة وغيرهما من الثغور المغربية المتوسطية المحتلة آنذاك اضطروا إلى بيع أولادهم للنصارى (*مطلب*، الفصل 9).

وقد سميت هذه السنة أيضاً بعام كحيكيحة لانتشار مرض السعال، الذي أزهق أرواح عدد كثير من المغاربة (*نزهة*، 191 ؛ *الاستقصا*، 5 : 191).

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ ع. البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط، خ. ع ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

أحمد الوارث

بَقِيّ، (ابن ـ) **أحمد** بن يزيد بن عبدالرحمان الأموي، يكنى أبا القاسم. ولد بقرطبة في 12 ذي القعدة عام 1142/537. وهو ينتمي إلى بيت من أجل بيوت قرطبة، والأندلس قاطبة، علماً ونباهة، وقد توارث سلفه خطه القضاء بالأندلس منذ عهد بني أمية، وهو من أحفاد محدث الأندلس الشهير بقيّ ابن مخلد.

درس أحمد بن بقي على عدد من علماء الأندلس أمثال ابن بشكوال وأبي جعفر بن مضاء وأبي القاسم ابن حبيش والإمام السهيلي وابن الرمامة وابن مسرة وابن عات وأبي الحسن بن وهب وغيرهم ممن ضمنهم في *برنامجه* الذي لم يصل إلينا، وإنما نقل عنه بعض من ترجموا له.

وقد برع المترجم في علوم اللغة والعربية حتى عُد إماما فيها، كما كان له تمكن في علم الحديث والفقه والتفسير.

تنعكس شخصية أحمد بن بقيّ في التراجم التي خُص بها وأشادت بقوة شخصيته وأخلاقه الرفيعة ومكانته العلمية المتميزة، فقد أشار بعض مترجميه إلى ميوله المذهبية الظاهرية وتشيعه لابن حزم، رغم أنه أولى *موطا الإمام مالك* عناية خاصة دراسة وتدريساً، حيث إنه انفرد بروايته عن ابن عبدالحق قراءة وعن ابن الطلاع سماعاً، ولهذا عده صاحب *نيل الابتهاج* من علماء المالكية نقلا عن *فهرس* أبي القاسم ابن الشاط.

ومما يؤكد ظاهرية ابن بقي إضافة إلى شهادات مترجميه، اختيار يعقوب المنصور الموحدي له وتعيينه قاضياً للجماعة بمراكش سنة 1195/592 بعد عزل القاضي محمد بن علي ابن مروان الذي كان هو الآخر ظاهري المذهب، في وقت أبدى فيه المنصور تشجيعه لعلماء الظاهرية والمحدثين، بعد قيامه بإحراق كتب المذهب المالكي ومتابعة بعض فقهائه.

وقد كان أحمد بن بقي يعمل بمقتضى الظاهرية في أحكامه القضائية، ومن ذلك أنه كان لا يرى الحكم بالتدمية ولا العمل بها.

ويبدو أن ارتياح المنصور لابن بقي جعله يسند إليه - إضافة إلى قضاء الجماعة - خطة المظالم التي كان الخليفة يتولاها بنفسه، وخطة الكتابة العليا، أي ديوان الرسائل السلطانية، نظراً لما كان المترجم يتمتع به من إجادة في كتابة الرسائل وميل نحو السهولة والاختصار.

ومما يثير الانتباه في ترجمته أن المنصور اشترط عليه عندما عينه قاضياً للجماعة أن يجلس للحكم بين الناس في مكان لا يفصله عنه سوى ستر من ألواح حتي يتمكن المنصور من سماع أحكامه في القضايا التي تعرض عليه. وربما كان ذلك رغبة من المنصور في مراقبة القضايا التي تعرض عليه في إطار نظره في المظالم التي تتجاوز عادة اختصاص القضاة. ولا شك أن المنصور اتخذ هذا الإجراء بعد توقفه عن الجلوس للأحكام بنفسه في مسجد مراكش، وكذا عن الجلوس للمظالم من حين لآخر.

لقد برهن ابن بقي عن جديته واستقامته مدة ولايته لقضاء الجماعة إلى أن توفي المنصور سنة 1198/595 ولم يلبث ابنه محمد الناصر، على الرغم من وصية المنصور له بأن يُترك في القضاء ما حَيِي، أن عزله في السنة الموالية وعيّن القاضي محمد بن علي ابن مروان في ولايته الثانية.

وقد استقر ابن بقي بمراكش مدة طويلة بعد عزله، ثم عُين قاضيا على بلده قرطبة، وصُرف عن القضاء قبل وفاته بقليل.

وإلى جانب مهامه القضائية كان أحمد بن بقي يجلس لتعليم الطلبة سواء بمراكش أو بقرطبة حتى سمع منه خلق كثير، ونظراً لعلو أسانيده وكثرة سماعه تنافس الطلبة والعلماء في الأخذ عنه. ومن تلاميذه جلة من علماء القرن السابع الهجري أمثال ابن الزيات صاحب *التشوف*، وأبي الحسن الرعيني، وابن القطان المراكشي.

ألف ابن بقي *كتابا في الآيات المتشابهات*، اعتبره العلماء أحسن شيء في بابه، وكان يعتني بتدريسه إلى درجة أنه لم يكن يفارقه في سفر ولا حضر. كما وضع *برنامجا* جمع فيه شيوخه ومروياته ومقروءاته، لكن واحدا من الكتابيين لم يصل إلينا.

وإضافة إلى هذا فقد كان ابن بقي يقرض الشعر وجمع *ديوانه* في حياته، وتوجد بعض المقطعات متفرقة في الكتب التي ترجمت له.

ع. المراكشي، *المعجب*، 264، 285، 312 ؛ أ. الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تـ. إ. شبوح، دمشق، رقم 16، ص 50 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، تـ. عزة العطار الحسيني، القاهرة، رقم 292، ج 1، ص 115 ؛ م. ابن عبدالملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تـ. إحسان عباس، بيروت، رقم 264، ج 4 : 140 ؛ أ. النباهي، *تاريخ قضاة الأندلس*، نشر ليفي بروفنصال، القاهرة، 1948، ص 117 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ص 232 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تـ. إحسان عباس، 5 : 68 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تـ. عنان، 4 : 190 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، ص 63 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، تـ رقم 165، 2 : 135 ؛ خ. الزركلي، الأعلام، 1 : 271.

محمد مغراوي

بَـكّادة، مبارك، ولد حوالي 1932 بقلعة السراغنة وسط عائلة متواضعة، حيث حفظ القرآن وتعلم قواعد الدين فشبَّ مؤمنا زاهداً. وفي ريعان شبابه انتقل إلى مدينة القنيطرة ليعمل هناك كسائق طاكسي. واحتجاجا على السياسة العدوانية التي كانت تقوم بها سلطات الاستعمار انضم إلى صفوف المقاومة السرية بمنظمة "اليد السوداء" تحت مسؤولية سفيان العربي، وكان نشاطه موزعا بين مدينتي قلعة السراغنة والقنيطرة، حيث شارك في عدة محاولات لاغتيال الخونة بكل من المدينتين المذكورتين.

وبالقنيطرة حصل على مسدس لاغتيال أحد عملاء الاستعمار. وأثناء جمع المعلومات عن هذا الخائن علم به هذا الأخير واستعد لمواجهة الموقف. ورغم ذلك استطاع الشهيد التمكن منه إلا أنه أثناء قيامه بالعملية تعثر مسدسه فأطلق عليه الخائن الرصاص وسقط بكادة صريعا على الأرض سنة 1954.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بِّكار، إرنيست Picard, E. محام وصحافي بلجيكي رافق البارون ويطنال وزير بلجيكا المقيم بطنجة أثناء سفارته لدى السلطان الحسن الأول سنة 1889. وقد أصدر سنة 1893 كتابا بعنوان : *المغرب الأقصى* تحدث فيه عن أحوال المغرب. وكان مراسلا لصحف بلجيكية وجريدة *التايمز أوف مروكو* أثناء وجوده بالمغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1524.

J. L.. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 269.

مصطفى بوشعراء

أبو **بكر** بن **أحمد الوطاسي**، حفيد محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ مؤسس الدولة الوطاسية. ترتبط بداية ظهور اسم أبي بكر بالمعارك التي دارت بين المتأخرين من بني وطاس وبين الشرفاء السعديين القائمين بسوس. وهكذا نجد هذا الأمير يقود جناحاً من جيش والده أحمد الوطاسي في معركة درنة أمام السعديين (شتنبر 1545)، حيث انتهت المعركة بانهزام الوطاسي ووقوعه وابنه أبي بكر في الأسر.

ثم نجد أبا بكر طليقاً قائداً لقبيلة قلعية، ينظم بمساعدتها هجوما على الإسبانيين في مليلية (يناير 1554). وظل على صلة بأبي حسون عم والده بعد أن انهزم بدوره أمام السعديين وفر مستنجداً بالإسبان ثم بالبرتغاليين، فكان يتصل به ويكاتبه وينقل إليه أخبار المغرب ورغبة أهل فاس في عودته إليهم.

يظهر أن أبا بكر التحق بالجيش التركي الوافد على المغرب نصرة لأبي حسون، وأنه تقرب من قائد الحملة التركية صالح رايس إلى حد أنه فكر في تنصيبه ملكاً على فاس، تشويشاً على أبي حسون واحتجاجا بكونه أحق منه بولاية عهد أبيه أحمد، فكان أن ثار أهل فاس ومالوا لأبي حسون، فعاد التركي عن عزمه (يناير 1555) وتسارعت الأحداث بهجوم السعديين على فاس وتغلبهم على أبي حسون في معركة انتهت بمقتله.

وقد فر أبو بكر إلى تلمسان حيث توفي فيها بالوباء قريبا من دخوله إليها أواخر سنة 1555/966.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. م. حجي و م. الأخضر ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، تر. جماعة من الأساتذة.

S.I.H.M ; *Série saadienne*, Espagne Tomes I et II.

عبداللطيف الشاذلي

أبو **بكر** بن **عبدالحق** المريني، كنيته أبو يحيى. خلف أخاه محمد بن عبدالحق على رأس قبائل بني مرين سنة 1244/642، وساندته جميع قبائل بني مرين إلا قبيلة بني عسكر التي تحالفت ضده مع أعدائه بني عبدالواد وكذا مع الخليفة السعيد الموحدي. عمل أبو بكر على تقوية بني مرين الذين تنتمي إليهم عشيرته. وكان هدفه هو جمع شملهم ليتأتى له استغلال خيرات البلاد والاستيلاء على حكم الموحدين. وليضمن لنفسه إخلاص شيوخ القبائل وولاءهم منح كل واحد منهم إقطاعاً. وقد طلب منهم أن يُمدُّوه بالرجال المحاربين والفرسان، وبعد أن استتب له الأمر علَى قبائل الموحدين، بدأ يُغير على ممتلكات الموحدين بالبوادي. وقد اكتسب خبرة في تدبير الشؤون. كما كانت له خطة محكمة في الميدان العسكري تتمثل في اجتناب مواجهة العدو إذا كان الأمر لا يقتضي ذلك. وكانت تلك هي خطته حينما قام باحتلال مكناس وجاء إليه الخليفة السعيد بجيوش عديدة لا قبل له بها. فكان رد فعله أن اجتنب المعركة ولاذ بالفرار. وقد استطاع ان يدُس الدسائس ويُفرّق الحلف الذي كان قد تكون ضده. وكان هذا الحلف ـ كما رأينا ـ يضم عسكر الموحدين وبني عبدالواد إلى جانب بني عسكر. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه أفلح في خلق العداء بينهم حتى إن الخليفة السعيد الموحدي قام بمحاربة يغموراسن العبد الوادي ولقي حتفه أثناء المعركة التي دارت بينهما. وكان قد منع أخاه من الجواز إلى عدوة الأندلس قصد الجهاد.

ولما قُتل الخليفة السعيد الموحدي وعلم بذلك أبو بكر انتظر فلول جنود الخليفة المهزومين في گرسيف وقضى عليهم. ثم أدمج في عسكره جُند النصارى والغُزّ الذين كانت لهم دراية وبراعة في الرِّماية واستعمال القوس. وكان ذلك مما منح التفوق لجنوده من الرجال والفرسان. وهكذا تكوّن لديه جيش متنوع الاختصاصات، فتوجه إلى فاس واحتلها واتخذها عاصمة له، ثم احتل تباعاً تازا ومكناس ثم الرباط وسلا. وبينما هو في فاس، جاء لمقاتلته الخليفة الموحدي المرتضى الذي تمكن من استرجاع الرباط وسلا، فخرج إليه أبوبكر وجابهه وهزمه.

في سنة 1257/655 استولى أبو بكر على الرباط وسلا من جديد ثم على سجلماسة وسيطر على أغلبية حواضر المغرب إلا مراكش. وعيّن العمال ونظم الجبايات وقرّب إليه الفقهاء الذين كانوا معادين للموحدين، وقد عيّن أحدهم وهو الفقيه أبو عبدالرحمان المريني كاتبا لها.

وهكذا يمكن القول إن أبا بكر هو مؤسس الدولة المرينية الناشئة لكونه مهّد السبيل لأخيه يعقوب بن عبد الحق أول سلطان من بني مرين. وهو الذي قضى على الموحدين بصفة نهائية. ومن الجدير بالذكر أيضا أن فترة أبي بكر شاهدت نشأة العديد من مؤسسات المخزن المريني.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc (XIV°, XV°s)*, Paris, 1987 ; A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans Mérinides, 1269 - 1331 : Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

أحمد الخنبوبي

أبو **بكر** بن **علي** بن يوسف بن تاشفين، يحرّف اسمه أحيانا إلى بكُّور أو بكُو، وهي صيغة للتدليل والحميمية. وهو أول ولد لعلي بن يوسف وُلد له وهو ابن ست عشرة سنة، عام 493، وجده يوسف ما زال بقيد الحياة. واختار والده أن يوجهه إلى الأندلس، ليتلقى تربية راقية حسب تقاليد الأسر الأرستوقراطية بتلك البلاد فيجمع بين العلم المتين والتهذيب الرصين. وأسند تكوينه إلى الطبيب المشهور عبدالملك بن زهر. فنمت شخصية أبي بكر وتأكدت بفضل تلك التربية التي أبعدته عن جو البلاط السلطاني والتي جرت في جو لا يخلو من الحرية والجد مع الصرامة. فاكتسب من ذلك روح الاعتزاز والاستقلال برأيه والعزوف عن مواقف الضعف والاستكانة. الشيء الذي سبب له مشاكل في حياته. وقد لخص ابن عذارى طبيعته حين قال عنه إنه "كان ذا مرّة ونجدة". ولعل أباه اصطدم بشخصيته القوية فلم يكن دائما راضياً عنه بل وجه إليه مرة رسالة يعاتبه فيها.

تقلد أبو بكر أول منصب في الدولة وهو ابن خمس وعشرين سنة، حين عينه والده واليا على أشبيلية في محرم سنة خمسمائة وثمان عشرة، وعزله عنها في رجب سنة خمسمائة واثنتين وعشرين، فكانت مدة ولايته أربعة أعوام وخمسة أشهر. وهي مدة يدل طولها على أنه كان موفقا في مهمته مسموع الكلمة من المرابطين والأندلسيين على

السواء، في وقت كانت الأندلس تجتاز ظروفاً حرجة وتعاني أزمات حادة.

فنجده في سنة 1127/520، يخرج على رأس قوات أشبيلية للمشاركة في مطاردة ألفونسو المحارب الذي أراد أن يقوم بهجوم واسع النطاق على أراضي المسلمين بالأندلس ووصل بتهديده إلى غرناطة، ولكنه اضطر إلى التراجع أمام مقاومة المرابطين وهجماتهم المضادة. إلا أن هؤلاء تكبدوا، مع ذلك، هزيمة بسبب خطإ ارتكبه القائد الأعلى أبو الطاهر تميم بن يوسف.

عزل علي بن يوسف ابنه أبا بكر عن ولاية أشبيلية سنة 522، لا لخطأ ارتكبه في أداء مهمته، ولكن لأنه لم يرض عن تقديم أخيه سير لولاية العهد، معتبراً، ولا شك، أنه أكبر منه سناً. والظاهر أن علياً لم يعتبر مسألة السن، بل ربما كان متأثراً بايحاءات من داخل بلاطه، من النساء ومن بعض رجال حاشيته. وهذا ما جعله ينحّي أكبر أولاده أبا بكر من ولاية العهد، إلا أن هذا الأخير، نظراً لقوة شخصيته، لم يرضخ لقرار أبيه، ولم يرد أن يعترف بأخيه سير ولياً للعهد.

اكتست القضية، حينئذ، جانبا من الخطورة بالنسبة لمستقبل الدولة. فلم يجد علي بن يوسف، تلافيا للخطأ السياسي الذي ارتكبه، بداً من عزل أبي بكر ونفيه إلى الصحراء. ولنقل، بين قوسين، إن قضية ولاية العهد كانت تثير دائماً مشاكل في تاريخ المغرب، لأنها لم تكن خاضعة لقواعد ثابتة وصارمة. والذي زاد في حنق أبي بكر أن والده كان، في نفس الوقت، يعترف بكفاءته، إذ عينه قائداً أعلى على جيش المرابطين بالأندلس منذ سنة 520 واستطاع أن يقود حملة عسكرية إلى كولية في سنة 522.

نُقل أبو بكر إلى الصحراء مكبولا. لكن سرعان ما زال غضب والده عليه، خصوصاً وقد أصبحت الدولة المرابطية تواجه حرباً مصيرية أمام تنامي خطر الحركة الموحدية الناشئة تحت قيادة ابن تومرت، وتحتاج إلى تجنيد كل الكفاءات لحسم الداء. وهكذا رجع أبو بكر إلى مراكش ليكون بجانب والده وأسندت إليه، حسب *القرطاس* قيادة "جيوش عظيمة من لمتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم" لملاقاة عساكر الموحدين التي كانت قادمة من تينمل إلى مراكش. وجرت المعركة في أغمات ودامت ثمانية أيام وانتهت بهزيمة المرابطين. ويقول صاحب *القرطاس* في هذا الصدد :

"فهزم الأمير أبو بكر بن علي ولمتونة. وتبعهم عبد المومن ابن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم في كل فج، واتصلت الهزيمة إلى أن أدخلوهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب في وجوههم. فحاصروهم بها ثلاثة أيام . ثم ارتحلو عنها إلى تينمل" (ص 179).

ويذكر ابن القطان والبيذق معارك أخرى حضرها أبو بكر في الخروبة وفي تيفنوت وفي أمجدار عام البحيرة أي سنة 524، دون أن يحقق أي انتصار. ومعلوم أن المؤلفين كان هواهما إلى جانب الموحدين كما يظهر ذلك بوضوح من قراءة روايتهما.

وتسكت المصادر بعد ذلك عن أبي بكر، ولعله ظل إلى جانب والده يسانده ويساعده في تلك الظروف الحرجة التي أصبح فيها وجود الدولة المرابطية مهدداً. ومن رواية أوردها ابن القطان يظهر أنه كان يتصدى للقبائل التي وحّدت، فينتقم منها بما يدل على أن سكان المغرب أصبحوا في تلك الآونة يتعرضون لإرهاب مزدوج : إرهاب الموحدين وإرهاب المرابطين. وهو ما حدث، مثلا، بالنسبة لبني سوار من منانة الجبل" الذي قتل منهم أبو بكر بن علي أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم في كاسطت من منانة" (*نظم الجمان*، ص 241).

وفي سنة 533، توفي ولي العهد سير بن علي، فلم يكن من علي بن يوسف إلا أن تناسى أبا بكر، مرة أخرى، وأسند ولاية العهد لأخيه تاشفين، فعاوده حينئذ ريح الرفض، ولم يرض بقرار أبيه. ولم يكن والده يطمئن إلى موقفه إذا توفي ونودي بولي العهد خلفا له. لذلك، عمد إلى نفيه، مرة أخرى، ووضعه تحت الحراسة. ويصف لنا ذلك ابن عذارى بقوله :"ولما يئس (علي) من نفسه، أمر عند ذلك بإخراج ابنه أبي بكر من مراكش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها، لأنه خاف من خوضه في أمور. فأصاب أبا بكر في سفره مرض، فكان الرجال يحملونه على أعناقهم. ووصل المذكور إلى الجزيرة فسجن بها ولم تطل مدته في محبسه هذا إلى أن هلك" (4 : 101).

وهكذا، يكون موت أبي بكر قد حدث فيما بين سنتي 537 و538 أي مات وهو لم يتخط الشباب إلا بقليل، إذ لم يتجاوز خمسا وأربعين سنة. وعندما نتأمل ترجمته، ندرك أن الدولة المرابطية كانت تعاني مشاكل داخلية تصل إلى الأسرة الحاكمة ذاتها، مما يدل على وجود شروخ داخل العصبية الصنهاجية التي كانت ترتكز عليها. وتلك إحدى نقط الضعف في معسكر المرابطين التي ساعدت خصومهم على الإطاحة بدولتهم في خاتمة المطاف.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

أبو **بكر** بن **عمر** بن تلاگاگين اللمتوني، ثالث أمراء المرابطين بالصحراء. كان أولهم هو يحيى بن إبراهيم الگدالي الذي استصحب معه عبدالله بن ياسين إلى الصحراء بعد عودته من الحج. ولما توفي انتقلت الرياسة من قبيلة گدالة إلى قبيلة لمتونة، لأن عبدالله بن ياسين قائد المرابطين وزعيمهم الذيني لاحظ أن هاته الأخيرة أكثر إقبالا على دعوته وأكثر مساهمة في نشرها والدفاع عنها، فاقترح أن يكون أمير صنهاجة اللثام منها. وهكذا كان ثاني أمرائهم هو يحيى بن عمر بن تلاگاگين (وفي رواية تكلاگين) اللمتوني. وفي عهده توسعت مملكة المرابطين من تخوم السودان إلى سجلماسة. وأدركته الوفاة في بعض غزواته ببلاد السودان سنة 1056.55/447.

وعندئذ، قام عبدالله بن ياسين بتعيين أخيه أبي بكر بن عمر سنة 1056/448. وتلح المصادر على إعطاء الأولوية في السلطة الفعلية لعبدالله بن ياسين، جاعلة من الأمير اللمتوني مجرد منفذ لإرادته. ولا ننس أن معظم المصادر كتبها فقهاء أو متفقهون، ولذلك فهم يشعرون بتعاطف خاص مع فقيه جزولة الذي استطاع أن يحل في مقام الزعامة والرياسة بفضل علمه وذكائه. ولا شك أنهم يبالغون بعض الشيء في تقديرهم للوضع السياسي الحقيقي في تلك الفترة الأولى من تاريخ المرابطين.

والحقيقة أن عبدالله بن ياسين كان محتاجا إلى اقتسام السلطة مع أمير صنهاجي، اعتباراً لعامل العصبية، من جهة، وللاختصاص في مباشرة الحرب، من جهة أخرى. فعبدالله بن ياسين جاء كفقيه وعالم إلى صنهاجة لا كرجل متمرس بالحروب. فكان لا بد من أن يستند إلى قائد متعود عليها مستعد للقيام بمهام القيادة العسكرية. كما أن صنهاجة كانوا محتاجين إلى عبدالله بن ياسين، فيما يخص الدين وسائر الأحكام الشرعية والآداب الاسلامية. هنالك، إذن، تعاون وازدواجية في مباشرة السلطة، شبيهة بما نجد عند بعض الدول المسيحية في التمييز بين السلطة الروحية والزمانية. وهذا ما هو واضح من عبارة *القرطاس* حين يقول :

"لما توفي يحيى بن عمر، قدَّم عبدالله بن ياسين عوضا عنه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب" (ص 128).

والظاهر أن عبدالله بن ياسين كان يفضل أن يتحلى بلقب الإمامة ويزهد في لقد الإمارة، إذ نراه، حسب ابن عذاري، يتوجه بأبي بكر إلى سجلماسة ليأخذ له البيعة من أهلها. ثم يجدد أبو بكر تلك البيعة بنفسه سنة 450 في سجلماسة ذاتها.

ومنذ ذلك الحين تُفيض المصادر في ذكر أعماله، ففيما بين 548 و550، تقدم أبو بكر على رأس جيشه وفي طليعته ابن عمه يوسف بن تاشفين لغزو بلاد سوس، حيث فتح الأطلس الصغير أي بلاد جزولة واستولى على مدينتي ماسة ورودانة، وهنالك قضى على نحلة البجلية المنبتقة عن الشيعة الرافضة التي كانت انتشرت هنالك منذ عهد العبيديين. ويظهر أن المعركة معهم كانت حامية ودامية وانتهت باقرار مذهب السنة في المنطقة وإقامة جهاز إداري بها.

وبعد ذلك قام عبدالله بن ياسين بإخضاع جبل درن وما بقي من بلاد المصامدة، فكان من المدن التي فتحها شفشاوة ونفيس كما أخضع قبائل گدميوة ورگراگة وحاحة. وبعد ذلك، اتجه إلى أغمات. والظاهر أن خطة المرابطين كانت هي الحصول على خضوع المصامدة، أقوى شعب وأوسعه استقراراً بأراضي المغرب، والاستعانة بهم لإخضاع بقية البلاد. ولذلك نرى المرابطين منذ البداية يتصلون بهم ويوجهون لهم الزكوات والصلات ويعملون على التقرب منهم، ويبلغونهم دعوتهم.

وبرغم كل تلك الاحتياطات السياسية، كان لا بد للمرابطين من الاستيلاء على أغمات التي كانت تعتبر عاصمة الجنوب آنذاك. واشتهرت عند الجغرافيين الذين تحدثوا عنها بالخصب والثراء. وكان يبرر استيلاءهم عليها كونها كانت تحت حكم أمير من خصومهم زناتة : لقوط بن يوسف المغراوي. ثم إن دخولها في حوزتهم سيزيد من هيبتهم لدى سكان الأطلس الكبير والحوز. لذلك فإنهم بقيادة أبي بكر قاموا بفتح أغمات في سنة 450 على الأرجح وطردوا منها لقوط الذي التجأ إلى تادلا، فطارده أبو بكر وقتله في معركة جرت بعد ذلك بشهرين.

وترك لقوط وراءه أرملة اشتهرت في وقتها بالجمال والذكاء وصواب الرأي هي زينب بنت إسحاق النفزاوية. فخطبها أبو بكر وتزوجها. ولا شك أنها ساهمت في كثير من التدابير التي حولت المرابطين من جماعات رحل إلى أهل استقرار وحضر، ومن جملة ذلك بناء مراكش، وهو موضوع سنعود إليه.

تأتي بعد ذلك فترة عشر سنوات، تقريباً، لا نعرف عنها إلا القليل. فلا شك أن أبا بكر توجه لبرغواطة في تامسنا لأخذ الثأر منهم، بعد مصرع عبدالله بن ياسين في حربهم، وقضى هنالك زمانا في قتالهم ومحاولة القضاء عليهم. ولا شك أن جيش المرابطين قضى فترة أخرى في الاستراحة، بعد الجهود الكبيرة والمتواصلة التي بذلها في ملحمته منذ خروجه من الصحراء.

ومن القضايا المهمة التي تطرح في ترجمة أبي بكر بن عمر البحث عن دوره في تأسيس مراكش. هل كان هو مؤسسها ؟ أم تأسيسها يرجع لابن عمه وخلفه يوسف بن تاشفين ؟.

إن معظم المصادر تضع تأسيس مراكش بين سنتي 454 و462 وهي فترة كان أبو بكر ما زال مقيما أثناءها بالمغرب. ونجد من بين تلك المصادر، مؤلفات تعتبر هي أوثق ما لدينا عن تلك الحقبة وأقربها إليها، مثل *الاستبصار* الذي عاش مؤلفه بعد قرن من تأسيس مراكش، وابن عذاري الذي يذكر أن مراكش أسست سنة 461 تارة، وطوراً 462، *القرطاس*، الذي يورد تاريخ 454، *والحلل الموشية* التي تورد تاريخ 462 الخ... وكل هذا يجعل من أبي بكر، كما قال "دوفردان" في كتابه *مراكش منذ التأسيس إلى 1912* الرجل الذي ينسب إليه "شرف اختيار مراكش، والذي كان أول من استقر فيها، على الأرجح في مايو 1070، وشرع يبني فيها أول قصبة في تاريخ المرابطين" (ص 63).

ولعل بناء المدينة في أرض كانت خالية إحدى القضايا الكبرى التي شغلت أبا بكر ومن حوله من المرابطين في العشر سنوات التي لاحظنا من قبل سكوت المصادر في شأنها، وهي كما قلنا الفترة الواقعة بين 452 و462. ونحن في غنى عن الإلحاح على أهمية الحدث، حدث بناء مراكش بالنسبة لتاريخ المغرب عموما، إذ كانت كما هو معلوم عاصمة لأكبر الدول التي حكمت المغرب..

هذا الانجاز الحضاري الكبير كان له أثره في اشهار دولة المرابطين الناشئة وتمكين سلطتها. مما جعل ابن عذاري يقول: "وفي سنة ستين وأربعمائة استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر وطاعت له البلاد ووجّه عماله إليها". فنفهم من ذلك أن المرابطين بقيادته اشتغلوا بجد واجتهاد أثناء السنوات العشر السابقة. ونجد نفس الانطباعات لدى صاحب *الحلل الموشية*.

وسيتحرك أبو بكر في السنة الموالية، أي 461، إذ سيواصل العمل العسكري بالمغرب في جهة عرفت بوعورتها وهي الأطلس المتوسط، الذي كانت ما تزال فيه بقايا من زناتة ومن عناصر التمرد. وقد رصد لعملياته جيشاً كبيراً يضم جملة من أشياخ لمتونة وقبائل المصامدة وقدم عليه يوسف بن تاشفين. وكان القصد من هذا الجيش الضخم مواصلة إخضاع الأقاليم الأخرى في المغرب، وبالخصوص القضاء على بني يفرن الزناتيين الذين اعتصموا بقلعة المهدي بن تبالا أو توالى، وتسمى كذلك قلعة فزاز. وتمكن المرابطون منهم وفر من جملتهم معنصر بن حماد إلى فاس.

وبينما هو منهمك في المهام العسكرية وفي تدبير شؤون دولته الناشئة، إذ تواردت عليه الأنباء من الصحراء بحدوث نزاع شديد بين گدالة ولمتونة وأن الأولين هجموا على الأخيرين وقتلوا الرجال وسلبو الأموال. وعندئذ جمع أبو بكر قومه وأخبرهم بأنه راحل إلى الصحراء لفض النزاع القائم بها وعين يوسف بن تاشفين خليفة له على المغرب وقسم الجيش معه فأخذ الثلثين إلى الصحراء وترك له الثلث. كما أنه رأى من الأنسب تطليق زوجته زينب، لأنها لا تستطيع أن تعيش معه عيشة الصحراء وسط الفتن والحروب. ولعلها هي التي رغبت، من جهتها في الطلاق. ومهما يكن، فإنه طلقها طلاقا شرعياً وأشار على يوسف بن تاشفين بالتزوج منها. وذلك ما كان، إذ دخل بها يوسف في شعبان عام 563، بعد تمام عدتها.

سار أبو بكر على رأس جيشه نحو الصحراء، فتصدى لمحاربة گدالة وانتقم منهم. وكان يتلقى، في تلك الأثناء، مراسلات يوسف بن تاشفين الذي كان يخبره بكل ما يصنع ويطمئنه على أحوال المغرب. ولم يكتف أبو بكر بتسوية الخلاف بين قبائل صنهاجة، بل انه اهتم بمواصلة غزو بلاد السودان لنشر الإسلام بها. وظل هنالك قرابة سنتين وبدأ يفكر في العودة إلى المغرب.

لكن يوسف استطاع في هاته المدة أن يحقق أعمالا كبيرة بالمغرب، منها مواصلة بناء مراكش، وتحقيق انتصارات أخرى بجهات من المغرب، وانشاء إدارة جديرة بدولة كبيرة. يقول ابن عذاري :"فدوّن يوسف الدواوين ورتب الاجناد وطاعته البلاد. وكتب إلى بعض إخوانه في السرّ من أبي بكر بن عمر يحضهم على الوصول إليه والقدوم عليه ويعدهم بالخير الجزيل الحفيل فوصل منهم جماعة كبيرة".

يتضح من هاته الرواية أن يوسف بن تاشفين بدأ يفكر بالحلول محل أبي بكر بن عمر بصفة نهائية على ملك المغرب ورئاسة الدولة المرابطية. ولعل زينب النفزاوية لم تكن أجنبية عن نشأة هذا الطموح في نفسه ؛ سيما وأنها لم تكن ترغب في أن يعود الرجل الذي طلقها إلى منصب الإمارة على البلاد.

ومنذ سنة 464 بدأ أبو بكر يفكر في العودة إلى المغرب، وقد بلغته أنباء التطورات الكبرى التي حصلت في الدولة المرابطية على يد يوسف، والمنزلة الرفيعة التي أصبح يتمتع بها هذا الأخير. وصعب على يوسف أن لا يفي بالتزامه لابن عمه ويحنث بكلمته، فاغتم لذلك كثيراً. لكن زينب أشارت عليه بالرأي الذي يساعده على التخلص من أبي بكر.

ووصل أبو بكر إلى ناحية مراكش في ربيع الأول عام 565 فوجد مملكة قائمة برجالها ورسومها، فعلم أن عودته إلى الإمارة لم يعد شيئا سهلا. وازداد يقينه بذلك لما أخذ أصحابه يتسابقون إلى يوسف للحصول على صلاته وهداياه. فقرر حينئذ أن يتنازل له عن الملك. وجرى ذلك في احتفال كبير بمحضر الجنود والعبيد. وكان مما قال أبو بكر في المناسبة :

"يا يوسف أنت ابن عمي ومحل أخي، وأنا لا غنى لي عن معاونة إخواننا بالصحراء. ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك. وقد خلعت نفسي ووليتك عليه، فاستمر على تدبير ملكك ...".

وحضر في المناسبة أشياخ لمتونة وشهد بذلك بعض العدول وأعيان القبائل. وعاد أبو بكر إلى أغمات ويوسف إلى مراكش. ويشير ابن عذاري إلى أن حل المشكل على هاته الصورة الوادعة كان برأي زينب النفزاوية التي جسرت يوسف على أخذ ذلك الموقف الذي جعله يصبح ملكا على المغرب. ووجه يوسف لابن عمه أبي بكر من مراكش هدية سنية تحدثت عنها المصادر بإسهاب وذلك تطييبا لخاطره وسعيا في رضاه.

وعاد أبو بكر إلى الصحراء حيث أقام ثلاث سنوات أخرى كان يتلقى أثناءها الهدايا من يوسف. ودأب على محاربة السودان، كما ذكرنا من قبل. وفي إحدى غزواته لهم أصيب بسهم كان سبب وفاته، وذلك في شهر شعبان من سنة 468/نوفمبر 1087. وكان حكمه قد استتب بالصحراء كلها إلى جبال الذهب. ودفن بالبيبة التي تبعد عن تيجكجة بيوم ونصف وقبره معروف بها.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*.

محمد زنيبر

أبو **بكر** بن أبي **عنان** المريني الملقب بالسعيد. بعد رجوع أبي عنان من تلمسان سنة 1358/759 أحس بمرض أليم وعيّن ابنه أبا زيان وليّا لعهده. لكن هذا الاختيار لم يُرْض

شيوخ بني مرين وخاصة الوزير الحسن بن عمر الذي دبّر مؤامرة وعين مكانه أخاه أبا بكر بن أبي عنان الذي كان طفلا يتراوح عمره ما بين خمسة أو عشرة أعوام. وهكذا حكم هذا الوزير باسمه وقام بقتل كل من ولي العهد أبي زيان وأبي عنان الذي خاف من انتقامه وبطشه. وبعد ذلك حجز السعيد في قصره. ودام حكم هذا السلطان سبعة أشهر وبضعة أيام. ثم قُتل غرقا أواخر عام 1358/759 وخلفه عمه أبو سليم إبراهيم.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*.

أحمد الخنبوبي

أبو **بكر** بن **يعقوب** بن عبدالحق المريني، يكنى أبا يحيى، أحد الأمراء المغمورين في تاريخ بني مرين، إذ لا نعرف شيئا عنه في حياة والده، بل حتى المصادر المرينية لم تذكر اسمه صراحة ضمن أولاد يعقوب ما عدا كتاب *روضة النسرين* (ص 18). في حين كان لأخويه يوسف وأبي زيان منديل حصة الأسد في الأخبار التي ارتبطت بأبناء السلطان يعقوب، لا سيما المتعلقة بالحملات الجهادية التي كان يوجهها إلى بلاد الأندلس. لكن في عهد أخيه السلطان أبي يعقوب بدأنا نتوفر على إشارات قليلة عن الأمير أبي بكر بعد أن كلفه أخوه بقيادة الحملات العسكرية ضد بني عبدالواد وبالمساهمة إلى جانبه في حصار تلمسان.

فعندما كان السلطان يوسف متوجها إلى المناطق الشرقية من المغرب الأقصى سنة 1296/695، نزل بحصن تاوريرت الذي كان مقسما بين سلطان بني عبد الواد عثمان بن يغمراسن وسلطان بني مرين يوسف، وهو بذلك يعتبر حداً فاصلا بين بلادهما. لكن بعد أن طرد يوسف عمال بني عبدالواد من حصن تاوريرت، أعاد بناءه ثم سوره وأسكن به قبائل بني عسكر وعين عليه شقيقه أبا بكر بن يعقوب (*القرطاس*، 385) وهي أول إشارة ترد في المصادر المرينية بخصوص هذا الأمير.

وفي سنة 1297/696 ولاّه يوسف كذلك على مدينة وجدة بعد أن حصّن أسوارها وبنى بها القصبة ومنشآت أخرى، كما نقل إليها قبائل بني عسكر وأمره بضبط نواحي المنطقة والقيام بحملات استطلاعية على أحواز تلمسان عاصمة بني زيان (*القرطاس*، 385 ؛ *العبر*، 7 : 195). وعند محاصرة يوسف لتلمسان الحصار الثاني سنة 1298/697، أمر أبا بكر بالإغارة على ندرومة وتاونت وما والاهما من الجهات، فضاق أهل ندرومة بذلك "فأقبل أشياخها إلى الأمير أبي يحيى فبايعوه وطلبوا منه الأمان، فأمنهم ومكّنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ إلى أخيه أمير المسلمين يوسف... فبايعوه بفاس... وسألوه التوجه إلى بلادهم ليريحهم من عدوهم..." (*القرطاس*، 386).

كان هذا من بين الأسباب التي شجعت السلطان المريني على التوجه إلى تلمسان سنة 1299/698 ومحاصرتها الحصار الطويل الذي استمر مائة شهر ولم ينته إلا بمقتله بضواحيها سنة 1307/706 (*العبر*، 7 : 195، 199 ؛ *القرطاس*، 386، 387).

وينفرد ابن خلدون بمعلومات هامة عن دور الأمير أبي بكر في تطويع بعض القبائل المتمردة بالمناطق الشرقية خلال حصار تلمسان الأخير، فتحدث عن منازلته سنة 1305/704 لراشد بن محمد في معقل بني بوسعيد وحصاره إياه، ثم استيلائه على بلاد مغراوة إلى أن استسلم راشد الذي راسل السلطان المريني يوسف من أجل عقد السلم بينهما. في هذا الاطار أيضا تمكن أبو بكر من وضع حد لتمرد ابن علان مليكش الذي كان متغلباً على جباية بلاد متيجة، فصالحه بعد أن توسط له في ذلك القاضي أبو العباس الغماري لدى السلطان المريني (*العبر*، 7 : 140، 141، 209).

عند وفاة السلطان يوسف أثناء حصاره لتلمسان طرحت من جديد مشكلة الخلافة، خاصة أنه لم يعين خليفة له مما ترك المجال مفتوحا للصراع حول الحكم بين أبنائه وإخوته، وهو الصراع الذي برز فيه أبو ثابت عامر ـ حفيد يوسف ـ كمرشح أقوى بفضل المناورات والدسائس التي كانت السبيل إلى سيطرته على الحكم دون بقية المرشحين. فقد تعصب له أخواله بنو ورتاجن وبايعوه خليفة لجده وهو ـ أي عامر ـ لا يزال بالمنصورة في ضواحي تلمسان. بينما بايعت حاشية السلطان المتوفي ووزراؤه ولده الأمير أبا سالم. وحتى يقضي أبو ثابت على منافسيه ويحسم الأمر لصالحه عقد حلفاً مع صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن، اتفقوا فيه على أن يمداه بالعون والآلة ويساعداه في السيطرة على الحكم مقابل رفعه الحصار عن تلمسان. فتمكن بذلك أبو ثابت من قتل غريمه أبي سالم بندرومة بعد أن فر إليها وخلت له الساحة من أقوى المنافسين (*العبر*، 7 : 485، 486).

كان الأمير أبو بكر حاضراً أثناء وقوع هذه الأحداث، بل ساهم فيها بشكل يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة موقفه منها، خاصة وأن المصادر تشير إلى أنه لم يبذل أي مجهود يذكر في سبيل خلافة أخيه مع العلم أنه كان الأحق من أخويه أبي ثابت وأبي سالم بالحكم. بل على العكس من ذلك نجده يساند عامراً ويبايعه على الخلافة ويمهد له الأمر، حيث كان من وراء تصفية بعض رجالات أخيه السلطان يوسف كوزيره يخلف بن عمران الفودودي وأبي الحجاج ابن اشقيلوله الذي كانت له معه عداوة قديمة (*العبر*، 7 : 486، 487).

بالرغم على كل ذلك ارتاب أبو ثابت في أمر أبي بكر وتخوّف من تنامي نفوذه "لما تعدد فيه الترشيح، وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبدالحق بن عثمان بن أبي معرف محمد بن عبدالحق، ومن حضره من الوزراء... ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته، وابتغاء العصابة لأمره". (*العبر*، 7 : 487). فصنع له كميناً بأن أدخله إلى قصر المنصورة بظاهر تلمسان لعزاء الحرم في

أخيه السلطان يوسف، ودس إليه من اعتقله، وهو عبدالحق بن عثمان المذكور سلفاً، فأمر بالإجهاز عليه وقتله هو ووزيره عيسى بن موسى الفودودي. وذلك في شهر ذي القعدة من عام 1307/706 (*العبر*، 7 : 488 ؛ *رحلة التجاني*، 197).

ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السابع، بيروت 1968 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط 1962 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 ؛ التجاني، *رحلة التجاني*، قدم لها حسن حسني عبدالوهاب، ليبيا- تونس 1981.

M. Kably, *Société* ; A. Khanboubi, *Les premiers Sultans*.

رشيد السلامي

أبو بكر بن يَنْدُوح، اسمه يثير بعض الخلاف بين المصادر. فابن القطان يسميه أبا بكر بن يندوح، بينما يدعوه البيذق في *أخبار المهدي* عمر بن يندوك. ولعله هو الشخص الذي يسميه ابن خلدون أبا بكر بن محمد اللمتوني عامل سوس.

مهما يكن، فالفائدة التاريخية الوحيدة التي نجنيها من معرفة هذا الشخص هي أنه كان أحد القواد المرابطين المكلفين بالسهر على الحصون التي "بنوها في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا بها على الموحدين" كما ذكر البيذق (ص 91).

والحصن الذي كان يشرف عليه ابن يندوح هو حصن تافرككونت في كيك غيغرة. ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لمراكش. مما جعل علي بن يوسف يسند لابنه تميم قيادة جيش مهم نعته ابن القطان "بعسكر لجب". ثم يذكر هذا المؤلف أن تميما تلقى ما يكفيه من الأموال والسلاح، مما جعل الجند يطالبون بنصيبهم من ذلك، لكن الهزيمة حاقت بهم في يوم الغد، فأضاعوا كل شيء.

وعندئذ، أمكن لعسكر الموحدين الذين كان يقودهم أبو محمد البشير أن يهجموا على حصن تافرككونت وأن يتغلبوا عليه ويقتلوا ابن يندوح، ويغنموا مائة وخمسين فرسا، ويقتلوا خمسمائة من الرجال ويستولوا على كثير من الدواب والأنعام.

وإذا رجعنا إلى رواية ابن خلدون، نجد أن الرجل كان عاملا بسوس وأنه أول من زحف على هرغة حين ظهر بينهم ابن تومرت. فاستغاثوا بإخوانهم من هنتاتة وتينملل الذي هبو لنصرتهم "فاجتمعوا إليهم، وأوقعوا بعسكر لمتونة. فكانت مقدمة الفتح" (*العبر*، 6 : 470).

وهكذا، يتضح أن ابن يندوح كان من القواد المرابطين الأولين الذين واجهوا حركة ابن تومرت، وهي ما تزال في مهدها، وأنه اعتُمد عليه لمراصلة عمله العسكري إلى أن قتل في المعركة التي جرت بناحية كيك غيغرة. فالمرابطون حاولوا أن يوطدوا سلطتهم على الأطلس الكبير (جبل درن) ببناء عدد من الحصون وتعيين عدد من القواد العسكريين بها، لكن الظاهر أن مصامدة الجبل ظلوا مستوحشين من جهة المرابطين ومستعدين لأن ينتقضوا عليهم متى أتيحت لهم الفرصة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6.

أبو بكر بن يوسف بن تاشفين، لعله أكبر أولاد يوسف بن تاشفين، وربما كانت أمه هي زينب النفزاوية. كان وليا لعهد أبيه. وله أخ أصغر منه هو، أيضا، ابن زينب النفزاوية. ذكر ابن عذاري أن أبا بكر ولد سنة 564. وذكر في *القرطاس* أن يوسف بن تاشفين لما بدأ يستعد لنصرة الأندلس، "بعث ولده المعز إلى سبتة في جيش عظيم، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكتب إليه بالفتح" (ص 144).

إذا قارنا بين التواريخ، وجدنا أن المعز أسندت إليه قيادة جيش عظيم وهو في سن الثالثة عشرة. وهذا غير معقول. ولا شك أن قائد الجيش كان هو أبا بكر الابن الكبير وولي العهد، وأن الأمر التبس على صاحب *القرطاس*. ومهما يكن، فالمعلومات عن أبي بكر قليلة في المصادر. وذلك راجع لكونه لم يعش طويلا، إذ تتفق المصادر على أنه مرض في سبتة وقت ذهاب أبيه يوسف إلى الأندلس على رأس جيشه لمنازلة النصارى في معركة الزلاقة.

وهنا تطرح علينا أسئلة يصعب الجواب عنها، ولكن عدة قرائن تدفعنا لطرحها : هل كان أبو بكر يسير في ركاب أبيه عند جوازه إلى الأندلس وأمسكه المرض بسبته ؟ أم هل كان مقيما بسبتة أو والياً عليها كما كان الشأن بالنسبة لأخيه عليّ من بعده ؟.

على كل، لم يستمتع يوسف بن تاشفين طويلا بنشوة الانتصار في معركة الزلاقة سنة 1086/479، إذ سرعان ما وردت عليه الأنباء بوفاة ابنه أبي بكر بسبتة "فاغتم لذلك وانصرف راجعاً إلى العدوة. ولولا ذلك لم يرجع" (*القرطاس*، 152)

تدل هذه العبارة على أن أبا بكر كان بمكانة كبيرة عند والده، وأن وفاته تركت فراغا لا يصح التباطؤ في علاجه. وهذا ما جعله يتخلى بسرعة عن ميدان انتصاره ويعود في الحين إلى حضرة مراكش.

أما كونه ابن زينب، فكل القرائن ترجح ذلك. فما كان يوسف يستطيع أن يعين ولياً للعهد من غير أبنائها لما كان يكنُّ لها من تقدير ومحبة. يشهد بذلك ما قاله ابن عذارى عنها. "وكانت أحب ما لديه، امرأة غالبة علية... ولا كان أمر إلا أمرها. وكان يقول لبني عمه إذا خلا بهم وورد ذكرها إنما فتح البلاد برأيها" (4 : 30).

ولعل هاته المنزلة الخاصة التي حظي بها أبو بكر كولد بكر وولي عهد هي التي جعلت ولده يحيى يتلكأ في مبايعة عمه عليّ لما اعتلى عرش المرابطين سنة 500 هـ، ويثور بفاس إذ كان واليا عليها.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. الرباط 1972 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

أبو **بكر** بن **يوسف** بن **عبدالمومن**، أحد أولاد الخليفة الموحدي الثاني يوسف بن عبدالمومن. وقد أورد كل من *القرطاس* و*المعجب* و*البيان المغرب* اسمه ضمن قائمة أسماء أبنائه الذكور الذين يبلغ عددهم ثمانية عشر.

والمعلومات عنه قليلة حيث لا تتحدث عنه كل المصادر فهنالك إشارة غامضة في *البيان المغرب* تذكر أن أبا بكر بن يوسف الگومي كان يعمل كوزير ليوسف بن عبدالمومن "بين يدي ابنه أبي يوسف" أي يعقوب الذي سيحمل لقب المنصور فيما بعد. فهل يتعلق الأمر به أم بشخص آخر والغالب على الظن أنه شخص آخر، لآن ابن الخطيب ، حين يورد اسمه في ترجمة الخليفة يوسف بن عبدالمومن، لا يذكر أي صلة للقرابة بينه وبين يوسف. وتلك جزئية ينتبه لها، عادة، أصحاب التراجم، سيما إذا كانوا من صنف ابن الخطيب.

هنالك إشارة أخرى اختص بها *القرطاس* حين يقول : "وفي سنة ثمان وستين أغزى أمير المؤمنين يوسف ولده السيد أبا بكر بلاد الروم، فسار حتى بلغ طليطلة. فقتل وسبا وأحرق القرى، فخرج إليه زعيم الروم سانشو خيمينو المعروف بأبي برذعة، عرف بذلك لأنه كان يركب برذعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر. فكان بينهما قتال عظيم، قتل فيه سانشو أبو برذعة وجميع جيشه. ولم يفلت منهم أحد، فكان عدد من قتل في هذه الغزاة من الروم ستة وثلاثين ألفا" (*القرطاس*، ص 212).

لكن، عند مراجعة المصادر الأخرى، نجد الاشارة إلى الأحداث، دون إيراد اسم أبي بكر بالمرة أثناء سردها. فابن صاحب الصلاة يتحدث عن خروج "القومس المسن الضال شان منوس المذكور المعروف عند أهل الثغور والمسلمين بالأحدب" أي أبي برذعة، ويذكر بعد ذلك بالتفصيل معارك المسلمين معه. وكان الخليفة يوسف حاضراً بالأندلس آنذاك فوجه له جيشا لمناجزته. وأسند قيادة الجيش لأخيه أبي زكريا يحيى" ومعه أخوه أبو إبراهيم إسماعيل، وبنو الجماعة كالحافظ المرحوم أبي عبدالله بن الشيخ المرحوم أبي إبراهيم وأبي يعقوب يوسف بن أبي عبدالله بن تيجيت وأشياخ الموحدين أعزهم الله، وأشياخ العرب بنخبة قبائلهم" (519). ثم ذكر ابن صاحب الصلاة بعد ذلك التقاءهم بجيش الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي وهجومهم على العدو وقتلهم لأبي برذعة.

كيف يمكن أن نفسر الخلاف بين المصادر في هذا الموضوع ؟

إذا وازنا بين الروايات، لا نجد بدا من ترجيح رواية ابن صاحب الصلاة الذي كان معاصراً للأحداث وكان حاضراً مع الخليفة في تلك الأثناء. إلا أن هذا لا يمنع من تأويل رواية *القرطاس*، فيكون أبو بكر انتدب من أبيه ليحضر المعركة لا كقائد أعلى ولكن كأمير شاب ليتدرب على فنون الحرب. فأبلى فيها بلاء حسنا وظهرت شجاعته وهذا ما جعل الروايات تتناقل أخباره. وكان صاحب *القرطاس* هو الوحيد الذي تلقفها.

وبالجملة، فنحن بإزاء أمير لم يحظ باهتمام المصادر التاريخية، لأنه لم تسند إليه مناصب عليا، ولربما توفي صغيراً، إذ لو طال عمره لكان حظه أحسن عند المؤرخين.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان المغرب*.

محمد زنيبر

بكراوي، إبراهيم، ولد سنة 1916 ببني ميمون ناحية وجدة. ولما تحركت الجماهير ضد السياسة الاستعمارية، كان من الأولين الذين حاولوا التصدي لهذه السياسة، فانخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال، وعمل تحت مسؤولية السيد حماد البرباس والسيد الناجم الكروج بمدينة بركان. نفذ عدة عمليات فدائية وقام إلى جانب رفاقه الثوار بعدة اشتباكات ضد جنود الاحتلال ومواقعهم. وآخر اشتباك وقع بعين مومن حيث سقط بكراوي إبراهيم في ساحة الشرف على إثرإصابته بنار العدو يوم 6 أكتوبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

البكراوي، إدريس بن عبدالقادر الودغيري، حامل راية القراء في وقته، وكان إليه المرجع في ذلك ؛ عارف بالتجويد لا يضاهيه فيه أحد من أبناء عصره، حسن الصوت، كثير التلاوة، متفننا في علوم شتى من فقه ونحو ولغة وما إلى ذلك.

أخذ علم القراءات عن الشيخ ابن عبدالسلام الفاسي، ولا نعرف له في هذا الفن شيخاً سواه ؛ قال في *السلوة* : "وبه خُتم فن القراءات، فلم يوجد بفاس من يقوم فيه مقامه". كان فصيحا بليغا، خطب بالسلطان المولى سليمان في فاس العليا، ثم في الرصيف ؛ وفي أيام خلافة المولى عبدالرحمان تولى خطابة القرويين، وظل به إلى أن تنحى عن ذلك في أخريات حياته.

وكان السلطان المولى سليمان يقدره ويعرف فضله في هذا الفن، وهو البقية الصالحة من شيوخه، وكان كثير الاتصال به يجالسه ويذاكره، نظم ثلاثة أبيات في علم القراءات، فأجازه عليها بثلاثمائة مثقال.

توفي في 16 محرم عام 1257/1841.

خلف في علم القراءات مؤلفات أنهاها بعضهم إلى ثمانية عشر مؤلفا، منها :

- *التوضيح والبيان، في مقرأ نافع المدني ابن عبدالرحمان*. أمره بتأليفه السلطان المولى سليمان، واقترح عليه أن يرتبه على حروف المعجم.

- *عمدة البيان، في حكم المحذوف في القرآن*، أرجوزة في 387 بيتا.

- وله عليها شرح.
- *درر المنافع، في أصل رسم السبع غير نافع*، منظومة في 220 بيتاً.
- *حاشية على الجعبري*.
- *تقييد في تفسير الغنة*.
- *شرح دالية ابن المبارك*.
- *أزهار الحدائق، في علم مخارج الحروف والصفات والبوائق*، أرجوزة في نحو 100 بيت.
- *نظم في الفرق بين السكت والوقف*.
- *رجز في مراتب المد لدى القراء السبعة*.
- *منظومة في التوسط*.
- *رجز في همزة الوصل*.

توفي إدريس البكراوي في 16 محرم 9/1257 مارس 1841.

إ. البكراوي نفسه، *التوضيح والبيان* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

البَكْري، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1886/1303 وكان من بين أفرادها :

البَكْري، محمد فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1648/1058. والمعلم :

البَكْري، محمد بن العربي معلم خبير كان حيا سنة 1702/1114.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282، 290 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البكرية، آمنة بنت عبدالله بن أحمد الشكورية، نسبة إلى أبي بكر الصديق، الصالحة إحدى نساء الشيخ أحمد الناصري الخليفة. ولدت بشفشاون سنة 1089 هـ ونشأت في أحضان أسرة فاضلة من ذرية المجاهد أبي حسون بن عبدالحميد الشفشاوني، إلى أن تزوجها الشيخ أحمد الخليفة عام 1102 هـ. وتدخل هذه المصاهرة في إطار تمتين الصلات بين زاوية تمگروت ومدينة شفشاون. فمنذ عهد الشيخ مَحمد ابن ناصر (ت.1085هـ) انخرط في سلك الطريقة الناصرية العديد من رجالات المدينة الذين أصبحت لبعضهم علاقة متينة بالناصريين وترددوا مراراً على زاوية تمگروت مثل الشريف الحسني محمد الحوات قاضي شفشاون (ت. 1160 هـ) وابنه المؤلف الشهير سليمان، والفقيه الأديب أحمد بن محمد الشفشاوني البرنسي (ت. 1127 هـ) والفقيه أحمد بن عبدالله الشكوري صهر الشيخ أحمد الخليفة الذي صاهر كذلك الأسرة البرنسية بالزواج من السيدة صفية بنت محمد البرنسي (ت. 1138هـ) فكانت هذه العلاقات المتميزة تمتينا للصلات الروحية التي تربط رجال الطائفة الناصرية بمدينة شفشاون بأشياخ الطريقة. وقد كانت صاحبة الترجمة أحظى أزواج الشيخ لديه فاسكنها زاوية الفضل التي أسسها عام 1115 هـ جنوب تمگروت واشتهرت في الزاوية بالصلاح والفضل والعناية بالضعفاء والمساكين وإعانة ذوي الحاجات، وكانت لها مسكة من الطب، تعالج المرضى احتسابا لله تعالى، إضافة إلى ما كانت عليه من زهد وورع ومثابرة على أوراد الطريقة الناصرية، كما استمرت بعد وفاة زوجها في الإشراف على شؤون الزاوية المادية حتى وفاتها مفتتح سنة 1153 هـ ودفنت بتمگروت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط خ. ت. م. نوحي، ر. د. د. ع. بالرباط.

محمد الحبيب نوحي

البكرية (الزاوية ـ) ← **الدلائية** (الزاوية ـ)

بكّار، أسرة فاسية تتكوّن من ثلاث فرق، فرقتان عربيتان من بني قيس انقرضتا، وفرقة من بربر أحواز فاس وهي باقية حتى اليوم. يبتدئ ذكر الأولى مع بكار حاجب المولى إدريس بن إدريس وقد انقرضت في القرون الأولى. والفرقة القيسية الثانية استمرت بفاس إلى منتصف القرن السادس (12 م) واشتهر منها الجد بكار بن قاسم قاضي فاس المتوفى سنة 1061/453. وحفيده الفقيه العلامة بكار بن عبدالرحمن بن بكار بن قاسم المتوفى عام 1145/540.

أما الأسرة البربرية الباقية فإليها تنسب عقبة المخفية المسماة بعقبة ابن بكار، وسماهم الفضيلي في *الدرر البهية* (2 :361) البكارين، وذكر منهم الشيخين الجليلين : يحيى ابن بكار وابنه محمد بن يحيى ابن بكار.

بكّار (ابن ـ)، **محمد** بن يحيى المعروف بالأصغر، وهو أخو زوجة الشيخ المجاهد محمد بن يحيى البهلولي. لا تذكر المصادر شيوخه ولا تلامذته، وإنما تحدث عن ولايته وصلاحه عبدالله الهبطي، ومحمد ابن عسكر. ويبدو أنه كان يهتم بالشؤون السياسية حيث اعتمده ملوك عصره السعديون واسطةً بينهم وبين الرعايا في المهمات من المسائل الدينية والدنيوية"، ومات مسموما بفاس عام 1567/975.

ع. الهبطي، *الألفية السنية* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

بكار (ابن ـ)، **يحيى** بن عبدالله المعروف أيضاً بالغمدي (بفتح الغين)، ولعل هذه التسمية التي حملتها الأسرة كلها منذ القديم، كما ذكر أبو عبدالله ابن يحيى، ترجع إلى سكناهم قرب جبل وبلان بموضع يقال له الغمد (جفن السيف) لشكل تضاريسه الحاد كالسيف، وجبل وبلان أو بويبلان من جبال الأطلس المتوسط "على مرحلة من فاس" كما يقول ابن عسكر.

اشتهر يحيى بن بكار بصلاحه وزهده. ولعله ورث ذلك عن أبيه الذي اشتهر كذلك "بمفاخره الحسان" وباتِّباعه لطريقة أبي مدين الغوث (ت. 1196/594) كما اشتهر يحيى بمساهمته في الجهاد حيث "كان يمد أهل الثغور بالخيل والعدة" يأخذ ذلك من الصدقات التي كانت تصله من زواره وأتباعه. وكان معاصراً لأحمد الوطاسي وحضر وصول محمد الشيخ السعدي إلى مدينة فاس عام 956 هـ.

توفي يحيى ابن بكّار عام 960 أو 961 / 52 . 1553.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص 63، 64 ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد مزين

البگّارة، تحمل هذا الاسم في الوقت الحاضر فرقة تابعة لقبيلة وادراس، من عمالة تطوان. تحتل فراغا سهليا بين مجموعة من المرتفعات : جبل وادراس في الشمال والشرق، وجبل حبيب في الجنوب وجاره جبل بني مصور في الغرب. يدخل ضمنها من المداشر : غرباوة ومرج اللوه والرمل وظهر ميمون وگليد والعتنون. وينطبق اسم الفرقة على ما تشتهر به من تربية الأبقار بفضل مسارحها الواسعة وفرشة مياهها الغزيرة.

وعرف اسم البگارة خلال القرن التاسع الهجري، وآنذاك كانت قرية مستوطنة للفراغ السهلي الواسع الممتد بين تطوان والبحر المتوسط. واشتهرت منذ ذلك الوقت بعدد رؤوس الأبقار التي كانت بحوزتها، نتيجة الاستفادة من المسارح المنتشرة بين واد أليلى وواد تطوان (مرتيل).

وعلى الرغم من كثرة سكان القرية فقد اعتادت إقامة الحراسة الليلية بالتلال الشمالية جهة سبتة. فإذا ما حل وقت الضحى وتأكد الأمن، انسحبت الحراسة بعد إعطاء إشارة تسريح الابقار وتوجه الرجال إلى أعمالهم اليومية. توصل حاكم سبتة بهذه المعلومات، فلم يتوان في الاغارة عليهم وقت الضحى، ولذلك بلغ ما جلبه الجيش ثلاثمائة وخمسة وثمانين رأسا من الأبقار. كان ذلك في جمادى الأولى أو جمادى الثانية عام 839/ ديسمبر1435. ومنذ ذلك لم نسمع عن وجود القرية بمكانها، خاصة بعد تردد جنود سبتة على جارتها بني معدن وعلى مدينة تطوان. وليس ببعيد أن تكون فرقة البگارة الودراسية من أصل قرية البگارة الحوزية.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، ص 40.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*. 2 / chap. 36, p. 607 ; *Cronice de D. Duarte de Meneses*, p. 86 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 179.

حسن الفگيگي

البكاري، محمد بن محمد، ولد بفاس وبها نشأ ودرس على أكابر الشيوخ، أمثال : مَحمد بن قاسم القادري، وأحمد بن الخياط، ومَحمد گنون، وعبدالسلام الهواري، وخليل الخالدي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وأبي شعيب الدكالي وغيرهم. تخرج عالماً مشاركاً، وأديباً شاعراً ناثراً، لم يَشتغل بالتدريس، وإنما تقلب في عدة وظائف مخزنية، أصبح في نهاية المطاف خليفة وزير العدلية، ثم نائباً في الأملاك المخزنية. وهو طويل النفس في الشعر ينظمه على الطريقة الأندلسية.

وقد جمع شعره في *ديوان*، ونَشَر بعضَ قصائده عبدالرحمان ابن زيدان في مجموعة أمداح السلطان المولى يوسف.

توفي محمد البكاري بالرباط عشية يوم الأحد سادس ربيع الأول عام 23/1375 أكتوبر 1955.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1375 ؛ *سل النصال*، الترجمة 228.

البكاري، محمد بن إدريس، فقيه مدرس وخطيب مفوّه. دَرَس بفاس وتخرج عالما من القرويين. لم يشتغل منذ ريعان شبابه بغير التدريس والخطابة، فكان في أواسط الخمسينات أصغر خطيب بفاس، إذ رشح للإمامة والخطابة بجامع بوجلود حين أدّى به صلاة الجمعة محمد الخامس في أول زيارة لفاس بعد رجوعه من المنفى، ومن ثم لمع نجم محمد البكاري وأصبح في نهاية الخمسينات خطيب الجمعة بزاوية سيدي أحمد ابن ناصر بسويقة ابن صافي، فكانت خطبه "تستقطب مجموعة كبيرة من المصلين من كل

أحياء فاس، يفدون على المسجد للاستماع إلى دررالفقيه البكاري الذي لم يكن سماعها مألوفاً آنذاك... أحدث صياغة جديدة لخطب الجمعة تتناسب والظرف المعيش،

ووظف في خطبه لغة عربية ذات أسلوب سلس ومفردات متداولة ...".

ظل محمد البكاري يؤدي رسالته كأستاذ يفيد الطلبة والعوام، وخطيب بالمسجد والمصلى إلى أن لقي ربه في 20 شعبان عام 7/1411 مارس1991.

معلومات عن عبدالكريم الوزاني ؛ *مجلة الجواهر*، العدد 21، ماي - يونيه 1991.

محمد حجي

بكّاس، موسى بن أحمد البعقيلي. ينتمي لأسرة كانت ذات وجاهة بقبيلة إدا وبعقيل. ولي منصب القيادة على نصف إدا وبعقيل من قبل السلطان الحسن الأول في 13 شعبان 1299 هـ.

ظهير حسني صادر بتاريخ 13 شعبان 1299 هـ ؛ م. الأگراري، *روضة الافنان*، ص 102، تـ. أنوش حمدي، ر.د. د. ع. الرباط.

علي المحمدي

البكّاي، مبارك الهبيل، ولد بمدينة بركان من قبيلة بني إزناسن سنة 1325 / 1907 وتخرج من المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1926 برتبة نقيب (قبطان) وساهم في الحرب العالمية الثانية إلى أن أصيب بجروح خطيرة أدت به إلى فقد إحدى رجليه سنة 1941. وأسند إليه في عام 1943 منصب قائد لقبيلة بني درار بإقليم وجدة، كما عين سنة 1944 باشا لمدينة صفرو، وظل بهذا المنصب إلى أن استقال منه سنة 1953 احتجاجاً على خلع السلطان محمد الخامس، وهو يحمل عدة أوسمة ملكية وعسكرية.

ترأس مبارك البكاي أول حكومة عرفها المغرب بعد حصوله على الاستقلال، وكان ذلك في 7 دجنبر 1955، كما ترأس حكومة ثانية في 28 أكتوبر 1956 إلى غاية 16 أبريل 1958، وقبل ذلك عُيّن عضواً في مجلس حفظة العرش الذي كان قبل عودة محمد الخامس من المنفى.

توفي ليلة الخميس 27 شوال عام 1380 / 13 أبريل 1961.

دوگلاس آي، آشفورد، تر. د. عائدة عارف أبو حكمة، *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، مراجعة عبدالهادي بوطالب، ص 111 إلى 469 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1380.

Hassan II, *Le Défi*, p. 73 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, p. 148, 430 ; E. Faure, *Mémoires*, T. II, p. 372, 381, 461... ; G. Delanoë, *Lyautey, Juin, Mohammed V : Fin d'un protectorat*, p. 171, 174 : *Grande Enc. Mar.*, Vol. I, (*Institutions*), p. 28, 58.

جواد المهدي

بَكُّو أو **بَكُّور** ← أبو **بكر** بن **علي**

بكُّور، أسرة تطوانية أصلها من بني حزمر القبيلة المجاورة لمدينة تطوان، وما زالت هذه الأسرة بتطوان لحد الآن.

البَكّوري، أسرة تطوانية شريفة، وهي غير أسرة الباكوري.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 41.40 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْكّوگة، أو يَرْني = أرْني = إرْني، نوع نباتي عشبي يسمى علميا أرُومْ أريزَارُوم Arum arisarum وينتمي إلى فصيلة الأراسيات Araceae.

إنه نبات عديم الساق، ذو أوراق قليلة العدد. رُمْحية الشكل. لها إزهراد جُبَابي أسود وأبيض يشبه في شكَله الجرو ومحمول علَى رأس سويقة.

للنبات بصيلة صغيرة لا يتعدى حجمها حجم حبة العنب، وتحتوي على كمية كبيرة من النّشاء.

ينتشر هذا النوع في أرجاء حوض البحر المتوسط وقد لعب دوراً كبيراً في تغذية الإنسان خلال سنوات المجاعة التي عرفها المغرب في أوائل الأربعينَات، إذ كان المغاربة في البوادي يقضون ساعات طويلة من النهار للبحث عن بصيلات بْكوگة لتعويض طحين القمح.

أبحاث خاصة.

عبدالمالك بنعبيد

بلاد سيدي علال **البحراوي**، من أهم المخلفات الأثرية التي تم اكتشافها بمنطقة سيدي علال البحراوي في منطقة الغرب بعض المدافن التلّية، وأهمها ذلك الذي تم التنقيب به على يد سوفيل خلال سنة 1957. بني المدفن بعدة طبقات رملية وطينية ممتزجة بعدة أحجار. ويبلغ قطره 30 متراً في حين قد يتراوح علوه ما بين مترين أو ثلاثة أمتار. وعلى عمق يناهز ثلاثة أمتارتمّ الكشف عن هيكل عظمي. ومن خلال التنقيب تبين أن الميت دُفن على ظهره كما وجه رأسه نحو اليمين، ووُضعت يده اليمنى على صدره، أما اليسرى فكانت بعيدة شيئا ما عنه. وفيما يخص الساقين فكانتا متقاطعتين فوق الركبة في حين لم يعثر على الرجلين معا. ويرجع سوفيل ذلك إلى تقاليد الدفن التي كانت متبعة آنذاك بالمنطقة. وقطع الأرجل يعني حسب رأيه منع الميت من الاختلاط بالأحياء مرة ثانية.

ولم يعثر كذلك على أية أداة أثرية قرب الهيكل يكون من شأنها أن تسهل تحديد تاريخ الدفن ولو نسبيا، في حين وجدت عدة شظايا وقطع فخارية بالطبقات العلوية أو فوق سطح المدفن، غير أنه لا يمكن التعرف عن مصدرها أهي حديثة بالنسبة للمدفن أو أُوتي بها مع الرمل والأحجار التي بني بها المدفن وبالتالي تكون قديمة بالنسبة إليه.

وللإشارة فقد تم الكشف على ما يناهز ثلاثين هيكلا عظميا على عمق 25 إلى 50 سنتم أرجعها الباحث إلى الفترة الإسلامية وبالأخص إلى عهد المولى الحسن نظراً للعملة النقدية التي وجدت قرب الهياكل.

ويعدّ هذا المدفن واحداً من بين العشرات التي تم جردها بالمنطقة، غير أنه يبقى الوحيد الذي تم التنقيب به....

G. Souville, *Le Tumulus de Si Allal Bahraoui. Lybica*, T. 6 - 7, 1958 - 59, p. 243, 259 ; *Bled Si Allal El Bahraoui. Atlas préhistorique du Maroc*, 1973, p. 145, 147.

محمد عبدالجليل الهجراوي

بلاد الجماعة، يقصد ببلاد الجماعة مجموع الأراضي (من حقول ومراع وغابات) التي هي في حوزة إحدى التجمعات القبلية (دوار، فخذة...). وتمثل أول إشكال تملك الأرض بالمغرب، الذي ساد إلى أوائل هذا القرن، خصوصا في المناطق التي يعتمد أهلها في عيشهم على الرعي (كالمغرب الشرقي، وسهل ملوية، والغرب، ونواحي البروج ومراكش...) مما يحملهم على التنقل باستمرار، فكانت الأرض تحتل عندهم مرتبة ثانوية بالنسبة للماشية، رمز الغنى والجاه.

إنها أراض غير قابلة للتفويت، وتوزع مبدئيا سنويا بين أرباب الأسر بالتساوي، مع مراعاة خصائص بقع الأرض، اجتنابا لاحتكار أفضلها من طرف البعض دون غيرهم.إلا أنها في الواقع غالباً ما كانت توزع حسب الإمكانيات الاقتصادية للأفراد (عدد زوجات الحرث التي يملكونها)، مما يتيح تكديس الأرض بين أيدي الموسرين، الشيء الذي يفسر مطالبة هؤلاء بتوزيع نهائي قصد امتلاك بقعهم. وفي حالة ما إذا تم هذا التوزيع وطعن فيه من طرف أحد أفراد الجماعة، فإنه يُلغَى وتعود الأرض إلى وضعها السابق، إلا أن جزءاً من هذه الأراضي تم تملكها من طرف بعض الخواص ـ كما حدث بالنسبة لأراضي الإقطاع ـ (انظر مادة : إقطاع) إما باللجوء إلى العنف أو بوضع عقود ملكية مزورة.

مثلت الملكية الجماعية قاعدة لمقاومة التدخل الاستعماري، لذا، عمل الاستعمار على القضاء عليها قصد تدمير البنيات القبلية وإنشاء مستوطنات للمعمرين. ولهذا الغرض، كان الاستيلاء على الأراضي الجماعية يتم باسم المصلحة العامة، وبضمها إلى أراضي الإقطاع (أراضي الگيش) حتى يمكن توزيعها بدعوى أنها أراض مخزنية وأن للسلطان (أو لمن يمثله) الحق في التصرف فيها، بل أحيانا بمجرد العنف حيث كانت الإدارة الاستعمارية تحجز الأراضي "غير المستغلة" (المراعي) التي قد تكون صالحة للاستيطان بدعوى أنها ملك للمخزن.

اجتناباً للدخول في صراع مع القبائل، وسعيا إلى إضفاء الشرعية على سياسة الاستعمار فإنه أخضع الأراضي الجماعية لمقتضيات ظهير 27 أبريل 1919 الذي يجيز للقرويين كراء أراضيهم ـ بعدما يتم توزيعها عليهم ـ للمعمرين كراء أبديا مقابل ريع سنوي، الشيء الذي يمثل في الواقع بيعا دون مقابل. وبمقتضى ظهير 2 يونيو 1923، أصبحت الأراضي الجماعية بالمناطق البربرية، هي بدورها، خاضعة للتسجيل، ومن ثم للمحاكم الفرنسية، مما يسهل عملية خلق مستوطنات للمعمرين بها. كما أنشئت في فترة البيزانا (انظر هذه المادة) جل قطاعات التحديث Les S. M. P. فوق أراض جماعية.

ما زالت حالياً، هذه الأراضي خاضعة لنفس القوانين، إلا أن إعادة توزيعها الذي كان معمولا به سابقا، لم يبق ساري المفعول منذ 1956، مما دفع بالبعض إلى محاولة استغلال هذا الوضع للاستيلاء على هذه الأراضي، فكان ذلك سببا في أزمات عرفتها بعض المناطق (مثل تادلافي أوائل الثمانينات)

E. Amar, *L'Organisation de la propriété foncière au Maroc*, Paris, 1913 ; Benachenhou, *Régime des terres et structures agraires au Maghreb*, Alger, 1975 ; Callies, *Les terres collectives au Maroc*, C.H.E.A.M/322 ; A. Guillaume, *La Propriété collective au Maroc*, 1960 ; A. Halim, *Structures et changement social au Maroc*, Casablanca ; Leclère, *Terres collectives de tribu*, Rabat, 1925 ; J. Moland, *Le régime juridique de la terre au Maroc*, Paris, 1963.

عبدالجليل حليم

بلاد الگيش ← **الگيش**

بلاد مورگان. سمّ بيبيرسون وشوبير وفوري موري ولوكوانتر إلى وجود عدة أدوات ببلاد مورگان تعود حسب رأيهم إلى الحقبة الجيولوجية الملقبة بالسالسيان أي السلاوي نسبة إلى الموقع الموجود بمدينة سلا. ويوجد موقع مورگان على الضفة الشمالية لوادي بورقراق على بعد 25 كلم من مصب النهر. وتتجلى هذه الأدوات في عدة أنواع من الحجر القاطع.

وللاشارة فإن المقطع الجيولوجي الذي اتخذ كنموذج للحقبة السلاوية تمت مراجعته في بداية الثمانينات من طرف جون بول راينال وجون بول تيكسيي اللذين يعتقدان بأن اختلاف اللون الظاهر على المقطع وخاصة بالنسبة للطبقة الجيولوجية التي أرجعها السابقون إلى الحقبة الساليسية ناتج عن تطور التربة القديمة، وبالتالي لا يمكن اعتبارها في أي حال من الأحوال طبقة جيولوجية خاصة.

P. Biberson, G. Choubert, A. Faure et G. Lecointre, *Contribution à l'étude de la Pebble-culture du Maroc Atlantique, B.A.M.*, T. III, 1958 - 59, p. 18 ; J. P. Raynal et J. P. Texier, *Rapport d'activité de la mission préhistorique et paléontologique française au Maroc*, 1982 ; G. Souville, *Bled El Morgan. Atlas Préhistorique du Maroc*, 1973, p. 112.

محمد عبدالجليل الهجراوي

بْلاش ← بلياش

بْلاشْكو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Blasco أو هكذا Velasco.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1787/1201، ويقول الفقيه الرهوني إنها كانت تدّعي الشرف.

بْلاصْكّة، أو بلاشْكة، أسرة تطوانية من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1747/1160.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البلاط، إحدى القرى الداخلة حالياً "بقبيلة الساحل" الجنوبي، فرقة المدشر الجديد، مقابلة جارتها بني كيسان وتركونت، ترتفع مبانيها على كدية (100 م) بالقرب من واد بوفكران، رافد واد المخازن.

أشار برناردو ردريش، صاحب *حوليات أصيلا* إلى قرية البلاط، فكثيراً ما وصلت الحملة البرتغالية إليها من أصيلا، لوقوعها بالحد الجنوبي مما كان يعرف خلال القرن العاشر الهجري (16 م) بحوز أصيلا. واتخذ المغاربة القرية طالعا لمراقبة التحركات البرتغالية داخل نفس المحيط. مما اضطر حكام أصيلا لتنظيم الحملات على المكان، مثلما حدث سنة 1508/914.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*. 2 :316، 352، 354، 359 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 51.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 155, 156, 205, 206.

حسن الفكيكي

البلاغة بالمغرب، يرى متتبع تاريخ البلاغة العربية أن التسمية بـ "علم البلاغة" لم تهيمن إلا في عصور متأخرة باعتبارها علما شاملا للعلوم الثلاثة : المعاني والبيان والبديع. لقد أشار ابن خلدون إلى أن الاسم الأول الذي كان متداولا بين المهتمين هو "البيان" الذي كان ينقسم إلى "علم البلاغة" الباحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وإلى "علم البيان" الذي يهتم بالبحث عن الدلالة على اللازم والملزوم مما يجعله يحتوي على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل، وإلى "علم البديع" الذي يبحث في وسائل تزيين الكلام وتحسينه.

والمتتبع للدراسات البلاغية في المغرب يجد، حقا، أن التسمية التي كانت شائعة بين أوساط المهتمين هي اسم "البيان". ذلك أن الكتب التي وصلتنا للمؤلفين المغاربة تجعلنا نميل إلى هذا الحكم، فالسجلماسي في *المنزع البديع* يستعمل ثلاث تسميات وهي : "علم البيان" و"صنعة البلاغة" و"البديع"، إلا أنه غالبا ما يردد في كتابه "علم البيان" و"صنعة البلاغة". أما ابن البناء في كتابه *الروض المريع في صناعة البديع* فيتحدث عن "البلاغة" وعن "صناعة البديع"، وعن "علم البيان" الذي منه "صناعة البديع" ويرى أن العلم أشمل من الصناعة لأنه يميز الكليات ويميز الجزئيات ويميز بين جزئيات كلي وجزئيات كلي آخر لا يختلط شيء بشيء، وأما الصناعة فتعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات، وعلى هذا، فإن "علم البيان" أعم من "صنعة البلاغة" و"صناعة البديع". ومن ثمة شاعت التسمية في المغرب بـ "علم البيان" فصار المؤلفون يتداولونها في كتبهم وينص عليها السلاطين في ظهائرهم، فأمر بعضهم بتدريس البيان *بالإيضاح والمطول*.

على أن هذه التسمية لم تكن مستعملة وحدها، ذلك أن الباحث يعثر أيضا على احتلال "علم البلاغة" موقع "علم البيان" تبعا لتأثير مفتاح العلوم للسكاكي وخصوصا تأثير كتابي القزويني : *الإيضاح وتلخيص المفتاح*، فالقزويني يشير بصراحة إلى أن كتابه *الإيضاح* هو "كتاب في علم البلاغة وتوابعها"، مسايراً لما ورد لدى البلاغيين العرب من أمثال عبدالقاهر الجرجاني. وقد مشى على نهج القزيني سعد الدين التفتازاني. ومهما يكن، فإن التسميات الثلاث : "علم البيان" و"علم البلاغة" و"البديع" كانت شائعة في المشرق وفي المغرب.

تبادلت التسميات الثلاث المواقع بحسب الظروف التعليمية والثقافية والاجتماعية، ولكن هذا التبادل لم يكن إلا في عناوين الكتب، وأما داخلها فكانت تتعايش وتتفاعل وتتداخل، هكذا يجد المهتم *أسرار البلاغة*، ويعثر على *البديع* ويُواجهُ *بالبيان والتبيين*، ولكنه يجد في كل كتاب من هذه الكتب حديثاً عن العلوم الثلاثة. إلا أن التمسية بـ "علم البلاغة" فرضت نفسها بعد كتب القزويني.

يقدم ابن خلدون شهادة على أن أهل المغرب اختصوا من أصناف "علم البيان" بـ "البديع" وصعب عليهم مأخذ "البلاغة" و"البيان". ولربما كان مستند ابن خلدون في هذا الحكم هو ما وجده في مؤلفات سابقيه ومعاصريه من المغربيين والمصريين والأندلسيين ككتاب *العمدة* لابن رشيق الذي جرى عليه كثير من أهل أفريقية والأندلس *والمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، *والروض المريع في صناعة*

البديع، والإضاءات والإنارات في البديع، وإحكام التأسيس في أحكام التجنيس، وبديع القرآن وتحرير التحبير والوافي في نظم القوافي وغيرها.

على أننا نتساءل عما يقصد ابن خلدون بـ "المشرق" و"المغرب" وبـ "المشارقة" و"المغاربة" وبـ "العجم" و"العرب". وللإجابة عن التساؤل نرجع إلى ما ورد في *المقدمة*. ليس هناك تحديد جغرافي مضبوط للمشرق وللمغرب، وغياب التحديد يوحي إلى الأذهان أن المقصود هو المغرب الأقصى، وبعضد هذا الإيحاء تنصيصه على أهل أفريقية والأندلس. بيد أن ذكر "العجم" الذين هم معظم أهل المشرق يشوش على هذا التأويل لكلمة "المغرب". وعليه، فقد قابل ابن خلدون بين "أهل المغرب" الذين هم من يتوطن أفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، بالإضافة إلى الأندلس ومصر والشام، وبين "أهل العجم". ولعل هذا الامكان يصير احتمالا إذا لم نقل يقينا حينما يطلع القارئ على ما ورد من كلام لأبي حامد أحمد بن علي بهاء الدين السبكي المصري (ت 763/1361) في *كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. فقد تحدث فيه عن أهل المشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم "ولا سيما العلوم العقلية والمنطق" كما تحدث عن كتابه الذي جاء "واسطة بين *مفتاح* المشرق ومصباح المغرب". وعلى أساس هذا ذكر من الكتب المشرقية : كتاب *الزهرة والخريدة والأغاني واليتيمة* (...) ومن الكتب المغربية *العقد والعمدة وقلائد العقيان والذخيرة* (...) هناك مقابلة، إذن، بين "أهل المشرق" وبين "أهل المغرب"، بين المدرسة العجمية وبين المدرسة المغربية "العربية".

هناك فرق واضح، بحسب ابن خلدون، بين المدرستين. إذ يرى أن المشارقة أقوم على "فنّ البيان" من المغاربة الذين اختصوا من أصنافه بـ "علم البديع" خاصة، فاستفاضوا في الحديث عنه لأسباب ذكرها. إن قول ابن خلدون صحيح في مجمله لأن الكتب المؤلفة في فن البلاغة قبل ابن خلدون وأثناء حياته يحتل فيها اسم "البديع" وألقابه وأبوابه وأنواعه مكانة مرموقة. ولكننا سنقسم التأليف البياني في المغرب إلى حقبتين متمايزتين، هما ما قبل *مفتاح العلوم* وما بعده. والقدماء أنفسهم من المشارقة والمغاربة أشاروا إلى هذه القسمة. فعبروا بـ "سلف البلاغيين" وبـ "خلف البلاغيين" أي ما قبل السكاكي، وما بعده.

ما قبل المفتاح : يصح هذا التقسيم في التأليف البلاغي في المغرب أيضا. فقد كان كتاب *المفتاح* وما أحدثه من تأثير فاصلا بين عهدين. وبحسب ما بأيدينا من مؤلفات مغربية بالمعنى الجغرافي المتقدم، فإن العهد الأول يمكن أن يصنف إلى ثلاثة اتجاهات :

ـ الاتجاه الأول مزج فيه أصحابه أنهاج البلغاء القدماء من مثل الجاحظ وقدامة بن جعفر وعبدالقاهر الجرجاني والحاتمي والزمخشري وغيرهم مثلما يجد القارئ في *العمدة*، وفي *الذخيرة* (...) ولكن لم تصلنا مؤلفات مغربية بالمعنى الضيق لكلمة مغرب.

ـ الاتجاه الثاني استثمر فيه أصحابه معارفهم الفلسفية والمنطقية والرياضية والأصولية. ولحسن الحظ، فإن بعض مؤلفات هذا الاتجاه وصلت. لذلك يمكن استخلاص الآليات التي حكمت مؤلفاته، وتشخيص الاستراتيجية التي وجهتهم.

ـ الاتجاه الثالث حاول أن يوفق بين الاتجاهين : الاتجاه البلاغي العربي "الصرف" والاتجاه البلاغي المبني على المعقول. وليس بأيدينا مؤلفات هذا الاتجاه حتى نبرز معالمها، ولكننا سنعتبرها نواة ستنمو فيما بعد *المفتاح*.

يفرض علينا عدم توفرنا على الوثائق أن لا نتحدث عن الاتجاه الأول نهائيا ولا عن الاتجاه الثالث إلا فيما بعد، ولكن وجودها يحتم علينا العناية بالاتجاه الثاني. لقد وصلنا منه كتابان قيمان هما : *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، *والروض المريع في صناعة البديع*. وتتحكم المعقولات في هذين الكتابين تحكما واضحا تقسيما وتحديداً ووصفاً وإجراء. وقد اعترف صاحب *المنزع* باتجاهه في تقديمه لكتابه. فقد قام بعملية إحصائية أولا ثم صنف إحصاءه ضمن عشر مقولات، وكل مقولة دعاها جنسا عاليا، والأجناس العالية هي : الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والرصف والمظاهرة والتوضيح والاتساع والانثناء والتكرير. وقد عرف كل جنس أو رسمه بحسب الصناعة المنطقية. لكنه أقر بالصعوبات التي اعترته في التحديد المنطقي الصناعي. وقد دعا التحديد الجامع المانع بـ"الفاعل" الذي هو "الحد المحرر بحسب الأمر الصناعي"، ولكنه غالبا ما لا يستقيم له الفاعل ويصعب عليه القيام به فيلجأ إلى الرسم. ولذلك نجده يعبر بقوله "فلنرسمه". وعلى هذا، فإن الخلفية المنطقية للتحديد والرسم ـ كما شاعت في أوساط المتفلسفة والمتمنطقة الإسلاميين ـ هي التي تحكمت في بنائه لكتابه. وإذا ما استعرض القارئ الأجناس العالية التي بني عليها الكتاب تتبين له استراتيجية صاحب *المنزع*، ولنمثل لها بمقولة "الإيجاز" أو جنس "الإيجاز" فهو يتشعب إلى "نوع" أول وإلى "نوع" ثان، وكل نوع من هذه الأنواع يصير "جنسا" لما بعده، فهو، إذن، "نوع" بالنسبة لما بعده، وهو "جنس" لما قبله. وقد كون هذا التسلسل تلك القسمة المعروفة في الكتب المنطقية التي هي الأجناس العالية والأجناس الوسطى والأجناس السفلى، تلك القسمة الناتجة عن التحديد الأوسطي وما لحقه من تطوير وإيضاح في الشجرة الفورفورية.

على أن المقولات العشر إذا كانت ذات طبيعة إجرائية فعالة في مجال الأشياء الطبيعية مثل أنواع الحيوان والنبات والجماد ومختلف الماديات كما تصورتها علوم عصر أرسطو من بيولوجيا وفيزياء وميكانيكا (...) فإنها تعترضها صعوبات مؤكدة في مجال اللغة الطبيعية وفي منظور إبستمولوجي غير وضعي، فالمقولات تلتقي وتتقاطع في موضع ما من التفريع والتشجير مما ينتج عنه تداخل وتقاطع. إن التداخل يشمل كل التفريعات التي قام بها

السجلماسي تحت جنس أعلى أو تحت مقولة. ومن ثمة تصبح عملية التجنيس أو الصياغة المقولية لإحصاء الأشياء والكائنات والكيانات وعملية وصفها وتصنيفها في معزل عن بعضها بعض غاية عسيرة المثال.

يمكن التمثيل لما تقدم بالجنس الثاني أي "التخييل" من كتاب *المنزع البديع*، فقد فرع إلى ما يلي :

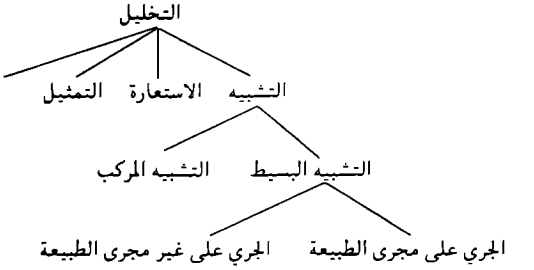

وأما الكتاب الثاني فهو *الروض المريع في صناعة البديع*. والمعقول وراء نسيج هذا الكتاب. إذ تتجلى فيه المعرفة المنطقية والرياضية والأصولية. فمن بين الأركان التي يقوم عليها الكتاب خمس مقولات أساسية، وهي الخروج من شيء إلى شيء، وتشبيه شيء بشيء، وتبديل شيء بشيء، وتفصيل شيء بشيء، واشتباه النسب. وما يجمع بين هذه المقولات مفهومان مركزيان هما : المناسبة التي تدخل ضمنها كل العلائق بمختلف أنواعها مما يسوغ عمليات الإبدال والحذف والعكس والتركيب والتفصيل. وأما المفهوم الثاني فهو المشابهة ؛ والمفهومان متلازمان استقاهما ابن البناء من مهارته العددية والهندسية ووظفهما لدراسة البلاغة العربية على أسس جديدة، كما وظفهما غيره بوعي أو بدونه لإقامة علم الأصول الذي له صلات حميمة بالدراسات البلاغية.

إن الكتابين معا استندا إلى المعقول لتبيان إعجاز المنقول وجماله، ولذلك نجدهما يحللان الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والمأثورات المتداولة ؛ وعلى هذا فهما اشتركا مع من سبقهما من البلاغيين في المادة ولكنهما امتازا عنهم في الصورة.

ما بعد المفتاح : على أن هذا الاتجاه المعقولي "الصرف" لم يكتب له النجاح، وإنما هيمن عليه الاتجاه الثالث الموفق بين المعقول والمنقول الذي احتل الفضاء البلاغي في مختلف البقاع الإسلامية إلى يومنا هذا. والسكاكي صاحب *المفتاح* (ت. 1228/626) هو ناشر هذا الاتجاه. وقد خصص القسم الثالث من كتابه لـ "علم المعاني والبيان والبديع". وتحدث فيه عنها حديثاً جعله مصدرا ومرجعاً للمشارقة والمغاربة. وهكذا اختصره بدرالدين بن مالك (ت. 1287/686) في كتاب عنوانه : *المصباح في اختصار المفتاح*، وتناوله القزويني (ت. 1338/739) في كتابيه : *التلخيص والإيضاح*، ثم شرح مسعود بن عمر التفتازاني (ت. 1390/793) *تلخيص المفتاح* في كتابه : *المطول على تلخيص المفتاح* وكتاب : *مختصر المطول*. وإلى جانب هذه الكتب هناك *الفوائد الغياثية* لعبدالرحمان بن أحمد الإيجي الشافعي المدعو بالعضد (ت 1355/756)، و*حاشية المطول* لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني المشهور بالسيد (ت. 1313/816)، والأرجوزة المشهورة *بالسمرقندية* للسمرقندي (ت. 1475/880)، و*الرسالة الفارسية* لإبراهيم الإسفراييني الملقب بالعصام (ت. 1582/990).

هذه أهم الكتب المشرقية التي وصلت إلى المغرب بطرق مختلفة فبدأت تدرس في الأمصار والقرى والبوادي في شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه، وعكف عليها العامة والخاصة، لأن قراءتها والإحاطة بما فيها وفهم مغاليقها كانت عنواناً على التبريز والتفوق وكسب الحظوة.

هكذا، يجد الباحث اهتماماً كبيراً من قبل البلاغيين المغاربة بتلك الكتب المذكورة. فقد رجز المصباح في اختصار المفتاح المراكشي الأكمه (ت. 1404/807) بعنوان : *ترجيز المصباح في اختصار المفتاح*. وأما كتاب *التلخيص* فتناوله من جميع جوانبه ؛ فهناك *تلخيص المفتاح* لابن الصباغ المكناسي (ت. 1348/749) و*تلخيص المفتاح* لعبدالهادي بن عبدالله بن طاهر الحسني (ت. 1646/1056)، و*حاشية على تلخيص المفتاح* وإن لم تتم للبوسي (ت. 1692/1102)، ومختصر *تلخيص المفتاح* وشرحه لمحمد بن سليمان الروداني (ت. 1683/1094)، وخَتْم *تلخيص المفتاح* لمحمد بن حمدون بن الحاج (ت. 1857/1273)، و*خطبة مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح* لأبي العباس أحمد بن يعقوب الولالي (ت. 1717/1128)، و*مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* له أيضا، و*تقاييد على الشرح المختصر على التلخيص* لمحمد ابن عبدالسلام البناني (ت.1750/1163)، و*معالم التنصيص على ما خفي من شرح التلخيص* لمصطفى بن محمد البناني.

وقد حازت كتب السعد إقبالا مهما في الأوساط المتعلمة بالمغرب، ومن مظاهره : *استعارات مختصرة من السعد* للطيب بن عبدالمجيد بن كيران (ت. 1812/1227) و*الثمر المهتصر من روض المختصر* لحمدون بن عبدالرحمان ابن الحاج المرادي المرداسي (ت.1232 / 1817)، و*إحاطة الدرر الثمين بلبة مختصر سعدالدين*، له أيضا، و*حاشية على مختصر السعد على تلخيص المفتاح* لمحمد بن محمد بن منصور الشفشاوني (ت. 1817/1232)، و*مراقي المجد في آيات السعد* لأحمد المنجور (ت. 1587/995). كما تناول المغاربة بعض الأرجوزات المشرقية بالتعليق والشرح مثل *تقييدات على رسالة الإمام السمرقندي في الاستعارات* لحمدون بن الحاج، و*شرح الجوهر المكنون في صَدَف الثّلاثة فنون* للولالي، و*الصنيع البديع في شرح الحَلية ذات البديع* لابن زاكور (ت. 1708/1120).

وقد ساهم البلاغيون المغاربة في ميدان الأراجيز لضبط علم البلاغة بعلومه الثلاثة أو أحد علومه. هكذا يجد القارئ *أرجوزة ياقوتة البيان* لمحمد الصغير الإفراني (ت. 1740/1153). و*أرجوزة المجاز والاستعارة في علم البيان* للطيب بن كيران، و*فيض الفتاح على نور الأقاح* لعبدالله الشنجيطي (ت. 1817/1233)، و*علاقات المجاز* لابن

الصباغ المكناسي، *ونظم تلخيص المفتاح* لعبدالهادي بن طاهر السجلماسي (ت. 1646/1056)، *وأرجوزة عبدالغني بن الحاج بنيس* (ت 1907/1325). وقد شرحها المرجّزون أنفسهم أو غيرهم، فهناك *المسالك والبرهان في التوصل لدقائق علم البيان* لعبدالغني بن الحاج بنيس، وهو شرح لأرجوزته، *وشَرَح* الإفراني أرجوزته *ياقوتة البيان*، *وشرح أرجوزة ابن الصباغ* أحمد المنجور، *وشرح أرجوزة الطيب ابن كيران* محمد التهامي بن محمد البوري (ت. 1827/1243)، وشرح أحمد الولالي *الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون*، وقد كتب حول هذه الشروح حواش وتقارير ونكت وتحارير.

ويعثر الباحث على مساهمات أخرى للبلاغيين المغاربة منها : *القطف الداني في البيان والمعاني* لعبدالرحمان الفاسي (ت. 1685/1096)، *والمباحث الإنشائية في الجملة الخبرية والإنشائية* لمحمد بن عبدالقادر الفاسي (ت. 1116/ 1704) *والمجاز إلى معرفة المجاز* لإبراهيم التادلي (ت 1893/1311)، *والقول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء خبر* لأحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي (ت. 1156/ 1743).

هذه بعض الكتب البلاغية المغربية التي سارت على نهج المؤلفات المشرقية التي تنتمي إلى "ما بعد *المفتاح*" ولذلك اتسمت بسماتها وإن بدرجات مختلفة ؛ وأهم المظاهر التي يلاحظها الباحث في المؤلفات المغربية هي :

أ ـ عرض آراء البلاغيين في القضية الواحدة ومواجهة آراء بعضهم ببعض لترجيح رأي على آخر. وهكذا يجد القارئ في كل قضية بلاغية آراء السكاكي والقزويني والسعد والعصام والسمرقندي وغيرهم، وكأن همّ الشارح أو المحشي أو الراجز هو أن لا يسقط شيئاً من كلام العلماء الذين سبقوه، وأن لا يحرفه عن مواضعه.

ب ـ مزج الدراسات البلاغية بالمقاصد الكلامية والرياضيات والطبيعيات وقواعد المنطق وعلم الأصول ؛ فالقارئ يجد حضور هذه العلوم كلها، واستثمارها لتحليل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والأمثال المأثورة، ولتبيان القواعد التي تحكمها. ويتجلى هذا الحضور في :

1 ـ المقاصد الكلامية لضوابط إدراك الحقيقة من المجاز؛ فالتعبير يكون مجازيا حين يستحيل إدراكه عقلياً أو نظرياً أو عادياً ؛ وأنواع الاستحالات هذه تظهر في التراكيب التي تسمى بالمجاز العقلي، فالموحد لا يقول بتأثير الأسباب في مسبباتها، وإنما المؤثر حقيقة هو الله وحده ولا فاعل سواه. كما أن عرف اللغة يوجه بعض التراكيب لأن تؤول بالمجاز.

2 ـ الرياضيات، فقد استعمل البلاغيون المتأخرون القواعد الرياضية لتفريع الأقسام وضبط العلائق فيما بينها. ويكفي أن نضرب مثلا بما فعله الولالي في تفريع أقسام طرفي التشبيه، وهذا التفريع ينطبق أيضا على ركني الاستعارة، وقد شاعت مثل هذه التقسيمات الرياضية في مجال البحث في كل العلوم الإسلامية في المغرب حينئذ، بل وتسربت إلى الشعر فصار بعض الشعراء يولدون قصائد اعتمادا على عمليات حسابية.

3 ـ الطبيعيات، وقد استثمرت في الحديث عن الحسي وعن العقلي، وعن أسبقية الحسي على العقلي، وهذه النزعة الحسية متوارثة عن نزعة أرسطية وبيولوجيته الشعبية. وقد دفع بهذه الحسية أغلب البلاغيين العرب، ومنهم المغاربة، إلى أقصى مدىً، فخطّأوا بعض الشعراء لتفضيلهم الوهمي والمتخيل على المحسوس الذي يدرك بإحدى الحواس.

4 ـ المنطقيات، وتأسيسا على النظرة الفلسفية والعلمية التي أثرت في دراسات البلاغيين عبر العصور، فإن البلاغيين المغاربة كانوا يخضعون لذلك التأثير بشعور منهم أو بدونه. هكذا يجد القارئ تأثير المقولات والتحديد المنطقي في تحليلهم للجامع الذي قسموه إلى نوعين : الجامع الذي يكون داخلا في مفهوم الطرفين والجامع الذي هو خارج عن الحقيقة ؛ فالشجاعة خارجة عن ماهية الأسد والرجل معا، والصفات الخارجية هي التي تسوغ التعابير الاستعارية. كما يجدهم يتحدثون طويلا عن التناقض وعن شروطه... وكانوا بين آونة وأخرى يستعينون بالقواعد الأصولية لضبط القواعد البلاغية، وكانوا لا يجدون صعوبة للتماثل بين بعض الآليات الذهنية لعلمي الأصول والبلاغة.

5 ـ تحكم العرفان في البيان : على أن هذه النزعة العقلية كانت في خدمة نَزْعة صوفية وعرفانية، فالقارئ يجد مشاهير المؤلفين المغاربة يكتبون في البلاغة والمنطق والتصوف في الوقت نفسه، كما يعثر على التعابير الصوفية، وقد تسربت إلى أمثلتهم وملأت مقدمات كتبهم. بل صار المتحدثون عنهم يردون نبوغهم إلى مخالطة العارفين من المتصوفة.

6 ـ آفاق بلاغية مغربية جديدة : تلك خطوط كبرى لرصد تطور التأليف البلاغي في المغرب، ولبعض مظاهره، ويتجلى منها أن البلاغيين المغاربة تلقوا الكتب البلاغية المشرقية فدرَسوها ودرَّسوها ثم كتبوا حولها. وقد تنوع تلقيهم بتنوع المشارب الثقافية. ذلك أن القارئ يجد مؤلفين استوعبوا المعقول والمنقول معا فأتوا بمؤلفات ذات نكهة خاصة، ويعثر على من له نزعة تعليمية صرف، ويصادف من حاول أن يستعرض مجمل معارف عصره من خلال التأليف البلاغي ؛ على أن نواة تفكير بلاغي معاصر بدأ يشق طريقه لصياغة بلاغة مراعيه لطبيعة اللغة ولدورها في المجتمع ولعلاقتها بتحصيل العلم وإبداعه.

أبو القاسم السجلماسي، *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، ت. علال الغازي ؛ أ. بها الدين السبكي، *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح* ؛ أ. الولالي، *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* ؛ أ. ابن البناء المراكشي، *الروض المريع في صناعة البديع*، ت. رضوان ابن شقرون ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *علم البيان* ؛ الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبدالمنعم خفاجي ؛ م. المهدي الوزاني، *حاشية على شرح*

البوري لمنظومة الطيب بن كيران، طبعة حجرية ؛ *مجموع مهمات المتون*، ط 4، 1949، ص 737.558 ؛ م. رمضاني الجربي، دراسة وتحقيق كتاب *جامع العبارات في تحقيق الاستعارات* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة*؛ السكاكي، *مفتاح العلوم* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

ملاحظة : أغلب الكتب المذكورة مخطوط موجود في الخزانات المغربية (خ. ع ؛ خ. ح ؛ خ. ص وغيرها) كما أن بعضها مطبوع بالمطبعة الحجرية.

محمد مفتاح

البْلاغْمَة، اسم لأحد قصور منطقة "الرّتَب" بتافيلالت (عمالة الرشيدية)، ولا ندري أصل التسمية. يقع قصر البلاغمة على ضفة وادي زيز قرب زاوية ابن عبد الصادق بجوار ضريح سيدي علي الگومي القريب من "ربيت" وهو قصر صغير رباعي الشكل شبيه بالقصبة، ويظهر أنه بني لهذا الغرض التحصيني، سكنه في الأصل عناصر عربية معقلية، وبعض أُسر الأشراف العلويين، والحراطين.

وقد نقل السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام (1859.1822/1274.1236) جماعة من سكان قصر البلاغمة إلى فاس الجديد، وهؤلاء هم الذين أعطوا الاسم الحالي لحي البلاغمة بهذه المدينة، وهو مكون من أربعة أزقة متفرعة عن زقاق رئيسي ينتهي برياض السلطان المجاور لشارع بوطويل.

اشتهر من سكان حي البلاغمة بفاس الجديد بعض رجالات الدولة منهم القاضي التهامي البلغمي، وأسرة الوزير الحاج محمد ابا حنيني. ويلاحظ أن الأسر التي سكنت حي البلاغمة بفاس الجديد هي التي عُرفت بلقب "البلغمي" أما التي تعيش بقصر البلاغمة بتافيلالت فتحمل أسماء أسرها الأصلية.

معلومات ميدانية.

هاشم العلوي القاسمي

بلافريج، أسرة رباطية مجيدة أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك في إسبانيا أسر تدعى Pelafres. وقد أنجبت عدداً من التجار والصناع ورجال الدولة والسياسة، منهم :

بلافريج، أحمد (الحاج ـــ) بن **عبد السلام** من الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المغرب المعاصر بوصفه أحد زعماء الحركة الوطنية المغربية منذ تأسيسها. وبفضل ذكائه وتجربته، كان من القادة الذين استطاعوا أن يسيّروا النضال الوطني بحكمة ومهارة إلى أن تمكن المغرب من الحصول على استقلاله. كما كان من السياسيين الأوائل الذين عملوا إلى جانب جلالة محمد الخامس وابنه جلالة الحسن الثاني في عهد الاستقلال من أجل تصفية مخلفات الاستعمار وبناء مغرب جديد.

ولد أحمد بلافريج بالرباط سنة 1326 / 1908. وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالرباط. واحتفظ لأساتذته الأولين بتقدير ومحبة كبيرين. وواصل دراسته في القاهرة حيث شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين. ثم التحق بفرنسا حيث أتم دراسته العليا بالحصول على الليسانس في الآداب من كلية السوربون بباريس.

بدأ نشاطه السياسي بالديار الفرنسية بالمشاركة في تأسيس "جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا" سنة 1926، في نفس الوقت الذي تأسست فيه حركة سياسية مهمة تجندت للدفاع عن قضايا شعوب شمال أفريقيا، وهي "نجم شمال أفريقيا" التي تزعم تسييرها القائد الوطني الجزائري مصالي الحاج. وكانت ثورة محمد بن عبد الكريم بالريف لم يمر على انتهائها آنذاك أزيد من سنة واحدة، بحيث إن هاته الفترة التي بدأ يتحرك فيها بلافريج وبعض أقرانه من الطلبة المغاربة بالخارج يمكن أن تعتبر حلقة وصل بين تلك الثورة المسلّحة المجيدة وبين بزوغ الحركة الوطنية السياسية سنة 1930، إثر صدور الظهير البربري.

وفي تلك الأثناء بدأ بعض الشبان المتنورين يتصلون ببعضهم ويكونون حلقات في كبريات المدن للتباحث في شأن بلادهم. وكان بلافريج من مؤسسي أول جماعة وطنية من هذا النوع، عقدت أول اجتماعاتها بعرصة جسوس التي أصبحت فيما بعدُ مكان مؤسسة جسوس الحالية بالرباط.

وفي سنة 1930، صدر الظهير البربري، فأثار احتجاج الشعب المغربي ونشأت الحركة الوطنية المتمثلة في "كتلة العمل الوطني" ضمت جملة من الشبان الواعين كان من بينهم أحمد بلافريج، الذي اختار منذ ذلك الحين مسيرة حياته في إطار الكفاح الوطني من أجل تحرير البلاد. وظهرت مخايل نجابته وهو ما يزال في بداية الشباب بما اتصف به من رصانة في التفكير وحصافة في تقدير نتائج الأحداث ولباقة وتوفيق في الاتصال مع الناس، مواطنين وأجانب، لإبلاغهم الدعوة وإقناعهم بوجهة النظر الوطنية، مما رشحه لأن يقوم بعدة أعمال خارج البلاد.

اتصل أحمد بلافريج، مع شبان مغاربة آخرين بالأمير شكيب أرسلان الوطني العربي الكبير الذي كان مقيماً بسويسرا فراراً من الاضطهاد الاستعماري، والذي كان يشارك بآرائه وتوجيهاته في نضال الحركات الوطنية القائمة بالعالم العربي من شرقه إلى غربه. وعن هذا

الاتصال انبثقت فكرة إصدار مجلة "مغرب" في باريس باللغة الفرنسية لإبلاغ صوت الحركة الوطنية المغربية إلى الخارج، وبالخصوص إلى الرأي العام الفرنسي. وكان لبلافريج بما عرف عنه من كياسة ولباقة دور مهم في الاتصال بعدد من الشخصيات الفرنسية وإقناعهم بتبني المشروع. وهكذا صدرت مجلة "مغرب" لمدة طويلة، وكان لها صدى في الأوساط السياسية بفرنسا.

وما أن تم إنجاز هذا المشروع حتى عاد بلافريج إلى المغرب لإنجاز مشروع آخر ذي أهمية كبرى، على المستوى الوطني، وهو إنشاء "معهد مَحمد جسوس" المدرسة الحرة النموذجية التي ستستقبل عدداً كبيراً من التلاميذ المغاربة لتلقنهم تعليماً عربياً إسلامياً، وفي نفس الوقت، تعليماً عصرياً يضاهي بمحتوياته وبرامجه وتجهيزاته أحسن ما تقدمه المدارس في البلاد المتقدمة. ففتح بذلك صفحة أخرى من النضال لمواجهة التعليم الحكومي الذي كانت تقدمه المدارس الاستعمارية وتسعى من ورائه إلى إضعاف شأن اللغة العربية وطمس الثقافة الوطنية.

ودخلت الحركة الوطنية في أطوار نشيطة، كان من بينها تقديم مطالب الشعب المغربي للحكومة الفرنسية ثم المطالب المستعجلة، وشارك فيها بلافريج دون توان. فسافر إلى فرنسا لإجراء اتصالات مع الفرنسيين، وبالأخص مع الاشتراكيين غداة وصولهم إلى الحكم، إثر نجاح "الجبهة الشعبية" في الانتخابات. وكان الاشتراكيون أكثر الفرنسيين تعاطفاً مع الوطنيين المغاربة. لكن، لما صعدوا إلى الحكم، أصبحوا متحفظين ومماطلين في وعودهم، ومتخوفين من ردود فعل اليمين الفرنسي. وهو ما ظهر للعيان في حوادث 1937، إذ ترك الاشتراكيون للمقيم العام الفرنسيي بالمغرب الجنرال نوگيس حرية التصرف في قمع الحركة الوطنية المغربية، فكان اعتقال آلاف الوطنيين ونفي الزعماء. واضطر بلافريج إلى الالتحاق على جناح السرعة بباريس لمحاولة الدفاع عن أصدقائه. لكن ظروف الإرهاق التي عاشها أثرت كثيراً على صحته، فاضطر للتوقف عن العمل والذهاب إلى سويسرا للاستشفاء من المرض الخطير الذي كان يهدد حياته.

ولما أبل من مرضه، استأنف نشاطه السياسي، متنقلا بين مختلف العواصم الأوربية، وكانت حريته الشخصية مهددة إذا عاد إلى المغرب لأنه يعتبر من الشخصيات الخطيرة في نظر الدوائر الاستعمارية. ولذا، بقي مقيماً بأوربا إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، وانهزمت فرنسا سنة 1940. وحاول بلافريج أن يتصل بالألمان إثر انتصارهم ليتحقق من نواياهم تجاه المغرب، فلم يجد لديهم أي استنكار للنظام الاستعماري وأي عطف على القضية المغربية. مما جعله يحذر أصدقاءه الوطنيين من أي أمل في الألمانيين. وعند ذاك عاد من توه إلى طنجة الخاضعة للنظام الدولي والمنطقة الشمالية التابعة لإسبانيا، حيث ظل هنالك يتربص الفرصة للقيام بخطوة جريئة في مجال الكفاح الوطني، سيما ورياح الحرية بدأت تهب مع اشتداد الحرب وتصريحات الحلفاء بإقامة النظام العالمي على حرية الشعوب.

أمكن للحاج أحمد بلافريج بعد غيبة طويلة عن بلاده أن يعود لأهله وأصدقائه ومدرسته. فكان لرجوعه صدى كبير في البلاد، سيما وقد تراءى للمغاربة، إثر مؤتمر أنفا، ما كان لهم من حظ بوجود ملك مثل محمد الخامس على رأس المغرب. فزادت عودة بلافريج الزعيم المحنك والقائد الحكيم في آمالهم. فكانت حركة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 التي سيرها بلافريج برفقة أصدقائه من بدايتها إلى نهايتها، فقلبت المعطيات السياسية بالمغرب رأساً على عقب وغيرت من مجرى الحركة الوطنية. وتأسس حزب الاستقلال في تلك المناسبة وكان الإجماع على تعيين بلافريج أميناً عاماً له.

لكن أساطين الاستعمار لم يكونوا ينظرون بارتياح إلى التطورات السياسية الجارية بفضل موقف محمد الخامس ونشاط الحركة الوطنية. ولذلك فإنهم أقدموا على قمع عنيف للوطنيين في 29 يناير 1944، فاعتقلوا بلافريج واتهموه بالتعاون مع المحور ونفوه إلى كورسيكا، ولم يطلقوا سراحه إلاّ سنة 1946. وكانت الحرب العالمية قد انتهت آنذاك. فاستأنف بلافريج نشاطه السياسي وسافر إلى فرنسا لربط الاتصال من جديد مع أصدقاء الحركة الوطنية المغربية وتنظيم فرع الحزب بباريس الذي أصبح يضم آلاف الطلاب والعمال والتجار.

وكان لخطاب محمد الخامس بطنجة سنة 1947 وقعه القوي الذي زعزع الأوساط الاستعمارية وزاد في تحميس الوطنيين حيث بدأت الأنظار تتجه إلى تدويل القضية المغربية، وإجراء اتصالات مع الدول الأجنبية، وخاصة الدول العظمى للدفاع عن قضية المغرب. وفي هذا الإطار، خرج بلافريج من المغرب. واقتسم العمل مع الوطنيين الذين ذهبوا إلى القاهرة لإجراء اتصالات مكثفة إلى جانب قائد الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي، مع القادة العرب، وتنشيط مكتب المغرب العربي. وذهب إلى أمريكا مع وفد من الوطنيين للدفاع عن القضية المغربية سواء لدى الأمريكيين أو في أروقة الأمم المتحدة.

ولما أقدم الفرنسيون على نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953، انطلقت معركة التحرير على قدم وساق في المغرب وخارج المغرب، وكان بلافريج يتردد بين أمريكا وإسبانيا. ففي نيويورك، يحضر جلسات الأمم المتحدة بصفته عضواً في الوفد الباكستاني يحمل جوازاً باكستانياً، فيشارك في الدفاع عن قضية المغرب كلما أثير الموضوع. وفي إسبانيا، يعمل على تنسيق العمل بين الوطنيين المغاربة في الداخل والخارج. واستمر في تحركه ونضاله إلى أن أذعن المسؤولون الفرنسيون للمطالب الوطنية، بإعادة محمد الخامس من منفاه في نوفمبر 1955، والاعتراف باستقلال المغرب في مارس 1956.

ظل الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال منذ تأسيسه، وكان، في الحقيقة، هو الزعيم الوحيد الذي اضطلع بتسيير الحزب الوطني منذ نفي علال الفاسي إلى الگابون في 1937. وفتح صفحة جديدة في حياته بتحمل أعباء المسؤوليات الرسمية. فكان وزيراً للخارجية منذ 26 أبريل 1956، في ظرف خطير وشائك يتطلب تسيير المفاوضات مع فرنسا وإسبانيا والهيئة الدولية لإنهاء مخلفات الاستعمار وإعادة توحيد البلاد. ثم عُين وزيراً أول في مايو 1958 في وقت بدأ يعاني فيه حزب الاستقلال من أزمة داخلية أدت إلى انقسامه، وإلى استقالة بلافريج من منصبه، ثم التخلي عن وظيفته كأمين عام لحزب الاستقلال. ولا شك أنه لم يتحمل التطورات الخطيرة التي حصلت في حركة كانت تتميز بوحدة الصف والانسجام والتعاطف بين أفرادها.

كان بلافريج قد أعطى أحسن ما يمكن للمواطن المخلص أن يعطيه لوطنه، لكنه لم يخلد إلى الراحة، بل ظل يواصل عمله فعاد إلى وزارة الخارجية في سنة 1962. ثم عينه جلالة الحسن الثاني ممثلا شخصياً له في نوفمبر 1963 إلى أن تخلى عن عمله في يونيو 1972. ومنذ ذلك الحين، ترك كل مسؤولية، ومع ذلك ظل قدوة ومرجعاً لكل الوطنيين المخلصين ولكل الراغبين في معرفة ذلك الماضي الحافل لحركة نبيلة كان هدفها هو تحرير المغرب وإعادته للمنزلة الرفيعة التي يستحقها في مصاف الدول الحرة.

توفي أحمد بلافريج بالرباط بعد مرض عضال ألزمه الفراش سنوات عديدة في 18 رمضان عام 1410 / 14 أبريل 1990.

وثائق مختلفة، ومعلومات شخصية.

محمد زنيبر

بلافريج، أحمد بن **محمد**، من أعيان الرباط وكبار التجار في القرن الثالث عشر (19 م). كان يتاجر مع أوربا وبخاصة مع هولاندا، ويحقق أرباحاً طائلة ينفقها في وجوه البر والإحسان. وإلى ذلك كان متصوفاً من مريدي الزاوية المختارية الكنتية. شيّد قبة ضريح سيدي بوعزة بن مالك بجوار باب الجديد أمام السوق البلدي بالرباط، وجدد ضريح سيدي علي بوبركات المدعو بوقنادل بحومة تحت الحمام، وظل يتعهد ضريح سيدي بوعزة بالهبات والصدقات، وخلفه في ذلك ابنه رضوان آتي الترجمة وبذلك بقي الطلبة يقرؤون فيه *القرآن* وينالون جرايات منتظمة.

وفي إحدى سنوات المسغبة وهب الحاج أحمد بلافريج ثلث ماله للضعفاء نقداً وعقاراً ولم ينقطع إحسانه إلى أن توفي في شهر رجب عام 1302 / أبريل - ماي 1886.

بلافريج، رضوان بن الحاج أحمد. قرأ ما تيسر له في صباه، ثم اشتغل بالتجارة مع والده، وخلفه في ذلك بعد موته فأصبح من أكبر المتاجرين مع هولاندا. ثم أسندت إليه خطة الحسبة بالرباط في شهر قعدة عام 1334 / شتنبر 1916 وظل يزاولها بنزاهة واقتدار طوال عشر سنوات إلى أن صرف عنها سنة 1344 / 1926 وقد جال كثيراً بأوربا وأقام مدة بمدينة طنجة وأدركته الوفاة بمسقط رأسه الرباط حوالي سنة 1384 / 1964.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 194 ؛ *تقاييد، ومعلومات خاصة.*

محمد الأمين بلكناوي

بلاك، روبير Blake Robert، مواطن أنجليزي ولد عام 1599 وتوفي عام 1657 بمدينة بليرموث بأنگلترا، قضى زهاء عشرين سنة من حياته في المغرب بالخصوص بين مراكش وآسفي وسلا، في عهد الملك السعدي محمد الشيخ الأصغر، فجاءت إقامته بالمغرب حافلة بالأحداث المدنية والدبلوماسية والحربية.

قدم بلاك إلى المغرب عام 1636. ليمارس التجارة لحساب جماعة من أصدقائه الأنجليز المقيمين ببلادهم. وما أن لبث بضعة أسابيع حتى التحق بمراكش وتمكن من ربط صداقة مع محمد الشيخ الأصغر الذي كان بدوره يتحين الفرص لتدعيم علاقاته مع شارل الأول ملك بريطانيا العظمى التي كانت تكنُّ العداء لإسبانيا وهولاندا والبرتغال لأسباب سياسية واقتصادية من جراء المنافسة القائمة بين هذه الدول على احتكار المعاملات التجارية مع المغرب من شماله إلى جنوبه، والطموح إلى امتلاك بعض المواقع البحرية به.

استطاع بلاك أن يقنع ملك مراكش بضرورة إطلاق سراح الأسرى الأنجليز المحتجزين بأسفي وسلا، لتطبيع العلاقات بين المغرب وبريطانيا العظمى، فاستجاب الملك لذلك وسرح بدون افتداء بعض هؤلاء الأسرى ووعد بتسريح الأخرين عندما يسترجع سيادته على سلا والرباط وإقليم سوس.

كان وقتها إقليم سوس بما فيه حاحة والشياظمة وثغر أمگدول (الصويرة فيما بعد) غير خاضع لنفوذ ملك مراكش، وكان محمد الشيخ يحرص على منع بيع الأسلحة إلى خصومه بجنوب المغرب وإلى الدلائيين الذين سيطروا على سلا وأطراف أخرى من البلاد.

وتتويجا للصداقة بين محمد الشيخ وبلاك، قرر ملك مراكش تعيين التاجر الانجليزي سفيراً له لدى ملك بريطانيا، ثم أوفده إلى لندرة رفقة عبدالله جؤدر في سفارة قصد التفاوض مع شارل الأول لإبرام معاهدة بين البلدين، تقتضي احتكار الانجليز للتجارة الخارجية المغربية، وضمان سلامة رعايا البلدين في كل منهما ومنع الأنجليز من بيع الأسلحة والبضائع الأخرى إلى خصوم ملك المغرب.

على أثر ذلك أمرشارل الأول بتأسيس شركة تجارية انجليزية تحمل اسم "برباري كومباني Barbary Company" يسيرها بانجلترا تجار محليون ويسيرها بلاك بالمغرب حيث يكون مقرها بأسفي، على أن يؤدي التجار الأنجليز تعويضات إلى بلاك.

عندما عاد بلاك إلى المغرب، استأنف نشاطه التجاري لحسابه ولحساب شارل الأول ولحساب مؤسسي "بربارى كومباني". فأخذ محمد الشيخ يكلفه بالتفاوض مع المجاهد العياشي بسلا ومع المورسكيين بقصبة الرباط من أجل إطلاق سراح الأسرى الأنجليز وإعلان ولائهم إلى ملك مراكش.

أما التجار الأنجليز فإنهم مضوا يخالفون بنود المعاهدة المبرمة بين البلدين وذلك ببيعهم الأسلحة وغيرها إلى خصوم ملك مراكش، فغضب بلاك، وأدى ذلك إلى حل شركة "بربارى كومباني" بعد أربع سنوات على تأسيسها.

مقابل ما ضاع لبلاك، قرر محمد الشيخ تنحية اليهود من ديوانة أسفي والوليدية وإسناد شؤونها إلى هذا التاجر الأنجليزي الذي جمع بين مصالح بلده ومصالحه من جهة، ومصالح الطرفين بمصالح ملك مراكش الذي تزايدت مكانته لديه خاصة ولدى الأنجليز عامة. وهكذا رأينا بلاك المغامر يرافق محلة محمد الشيخ الأصغر لمحاربة فرقة من الدلائيين بتادلا، بموقع بوعقبة يوم 26 أكتوبر 1638، على واد العبيد، وهي المعركة التي انهزمت فيها محلة الملك الذي نجا هو وبلاك بمعجزة من الوقوع في أيدي الدلائيين.

رجع بلاك إلى أنجلترا بعد ذلك فتصدى لانتقاد شديد من طرف التجار الأنجليز الذين ألحقت بهم "بربارى كومباني" أضراراً جسيمة بمنع حرية التجارة مع جميع جهات المغرب. وطالبوا بالرجوع إلى ما كان عليه الأمر قبل تأسيس الشركة المذكورة، فوافق المجلس البريطاني الخاص على طلبهم، فانتعشت التجارة من جديد، إذ كان الأنجليز يرفضون إخلاء المكان الصالح للهولانديين والإسبان وغيرهم. على إثر هذا القرار، عاد بلاك إلى أسفي عام 1640 وأطلع ملك مراكش على ما آلت إليه الأمور، فكان رد فعل الملك أن ألغى المعاهدة المبرمة مع الأنجليز، فشعر بلاك بخيبة كبرى، و مضى يحجز بميناء آسفي سلعاً محظورة ويتحين الفرصة للرجوع إلى أنجلترا، وكان ذلك في غضون شتنبر من عام 1641.

هناك أطاح كرومويل بنظام شارل الأول، فوجدها بلاك فرصة لدق باب مغامرات حربية، فاقترح على حكومته احتلال قصبة الرباط للقضاء على القرصنة في الشواطئ المغربية، فأسندت إليه قيادة أسطول بحري حربي مهمته ضرب الأتراك في البحار وانتزاع مواقعهم في البحرالمتوسط وبسط نفوذ انجلترا بالقوة على الشواطئ المغربية، وصار بلاك التاجر يسمى الأميرال بلاك.

ظهرت بطولاته غير المتوقعة ضد الأسطول التركي بتونس عام 1655، حيث تفوق على الأتراك وعلى البحارة التونسيين في معركة أسفرت عن تدمير سفنهم، وتفوق عليهم بالجزائر حتى انتزع من حاكم الجزائر وقتئذ اتفاقية متميزة للغاية بالنسبة لمصالح الأنجليز، بعد ذلك تصدى لقراصنة سلا فضرب حصاراً شديداً على سلا وقصبة الرباط، غير أنه لم يحقق نتائج إيجابيه إلا بعد انتصاره على الأسطول الإسباني بالجزر الخالدات وهو الانتصار الذي مكنه من التفرغ لخصوم محمد الشيخ الأصغر، عام 1657.

بعد هذه الأحداث، رجع بلاك إلى بلده إلا أنه توفي قبل أن تصل سفينته إلى مدينة بليموث في أواخر نفس السنة 1657.

م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

S.I.H.M. ; A. Cour, *L'Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc* ; E. Albertini, G. Marçais, G. Yver, *L'Afrique du Nord française dans l'histoire* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*.

أحمد بنجلون

بلال، عزيز، ولد بتازا سنة 1351 / 1932 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بوجدة. بدأ يشارك، وهو ما يزال تلميذاً، في الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار. وتابع دراسته العليا في تولوز بفرنسا. ولما عاد إلى المغرب عُين مكلفاً بمهمة في التخطيط حيث ساهم في إعداد المخطط الخماسي الأول (1960 - 1964)، ثم سُمي كاتباً عاماً بوزارة الشغل، ونائب عميد كلية الحقوق بالرباط حيث كان يدرس الاقتصاد السياسي. وفي سنة 1965 ناقش أطروحته للدكتوراة حول *الاستثمار بالمغرب*، وقد أحرزت على جائزة جامعة گرونوبل الفرنسية.

شارك في عدة مؤتمرات دولية للاقتصاديين حول مشاكل دول العالم الثالث، وقام بنشاط كبير للتعريف بالقضية الفلسطينية على الصعيدين الوطني والدولي. يعد عضواً بارزاً في حزب التقدم والاشتراكية، ونقابة أساتذة التعليم العالي. وقد انتخب سنة 1976 عضواً في المجلس البلدي لعين الذياب بالدار البيضاء ونائب رئيس المجلس، وأسس في نفس السنة مع جماعة من زملائه "جمعية الاقتصاديين المغاربة" وظل رئيساً لها إلى وفاته. كما انتخب ثلاث مرات على التوالي رئيساً لشعبة العلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بالدار البيضاء.

توفي مخنوقاً بغاز انفجر في فندق هلتون بمدينة شيكاغو يوم 23 ماي سنة 1982، ونقلت جثته إلى المغرب حيث أقبر في الدار البيضاء.

ما نشر من كتابات عزيز بلال :

كتب :

- *Abdelkrim Ben Abdallah : Un modèle d'intellectuel révolutionnaire - Al-Bayane*, N° 121, 2 Avr. 1975.

- *Plus une minute à perdre dans la bataille pour notre sahara, Al-Bayane*, N° 137, 3 Juin 1975.

- *Quel socialisme africain ?, Al-Bayane*, N° 184, 29 Juillet 1975 ; N° 191, 6 Août 1975.

- *La Négociation avec l'Espagne ne doit pas aboutir au relachement de la mobilisation, Al-Bayane*, N° 258, 25 Oct. 1975.

- *La Gauche européenne et la question du Sahara marocain, Al-Bayane*, N° 317, 10 Jan. 1976 ; N° 318, 11 - 12 Jan. 1976. *L'Actuel*, Vol 1, N° 3, 1976.

- *Science, idéologie et révolution nationale démocratique, Al-Bayane*, N° 330, 25 - 26 Jan. 1976.

- *Le Concept de révolution, Al - Bayane*, N° 335, 1 - 2 Fév. 1976.

- *La Véritable authenticité, Al-Bayane*, N° 341, 8 - 9 Fév. 1976.

- *Le Socialisme en Afrique, Al-Bayane*, N° 358, 28 Fév. - 1 Mars 1976.

- *La Déroute du gauchisme marocain, Al-Bayane*, N° 353, 22 - 23 Fév. 1976.

- *Abdelkrim Ben Abdallah : L'unité de la pensée et de l'action, Al-Bayane*, N° 383, 30 Mars 1976.

- *Les Révolutionnaires marocains qui luttent depuis plus de trente ans, n'ont de leçon de patriotisme ni de révolutionnarisme à recevoir de personne, Al-Bayane*, N° 400, 18 - 19 Avr. 1976.

- *Le Parti d'avant-garde et la révolution nationale démocratique, Al-Bayane*, N° 423, 16 - 17 Mai 1976.

- *Elections : espoirs indécis, interview - Lamalif*, N° 84, Nov., Déc. 1976.

- *Les Elections communales et municipales, Al-Bayane*, N° 590, 1 Déc. 1976.

- *Encore une fois sur le problème des emprisonnés politiques, Al-Bayane*, N° 598, 11 Déc. 1976.

- *Va-t-on reconduire les mêmes options dans le futur plan ?, Al-Bayane*, N° 706, 19 Avr. 1977.

- *Le Gage du succés du processus démocratique c'est le P.P.S., Al-Bayane*, N° 707, 20 Avr. 1977.

- *Nous sommes confiants dans l'issue de la bataille électorale parce que nous présentons un programme très clair : notre confiance, c'est notre intégrité, notre honnéteté, Al- Bayane*, N° 738, 27 Mai 1977.

- *Contre la falsification de nos positions : une propagande mensongère et grossière, Al-Bayane*, N° 739, 28 Mai 1977.

- *Evolution comparée des politiques économiques maghrébines - Les Temps modernes*, N° 375 bis, Oct. 1977. Spécial, "*Du Maghreb*", *Al-Bayane*, N° 1156, 10 Oct. 1978 ; N° 1157, 11 Oct. 1978 ; N° 1158, 12 Oct. 1978.

- *Elevons le niveau de débat politique, Al-Bayane*, N° 897, 2 Déc. 1977.

- *Il faut doter les communes des moyens nécessaires, Al-Bayane*, N° 901, 7 Déc. 1977.

- *Amilcar Cabral : notre ami, notre camarade, Al Bayane*, N° 938, 20 Jan. 1978.

- *Il faut satisfaire les revendications des travailleurs et faire avancer la cause nationale et démocratique, Al-Bayane*, N° 1022, 3 Mai 1978.

- *La Roumanie socialiste connait un développement accéléré et prodigieux dans tous les domaines, Al-Bayane*, N° 1033, 16 Mai 1978.

- *L'Economie marocaine : bilan et perspectives, Al-Bayane*, N° 1053, 8 Juin 1978.

- *L'Evolution de la situation économique et sociale au Maroc, Al-Bayane*, N° 1075, 4 Juillet 1978.

- *Un Protectorat déguisé : l'association au marché commun européen*, Casablanca, 1962.

- *L'Investissement du Maroc, 1912 - 1964, et ses enseignements en matière de développement économique*, Pref. André Page, Paris ; La Haye, 1968, 2ème éd., Casablanca, 1976.

- *Problèmes socio-économiques du monde arabe*, Rabat, 1974 (Coll. B.E.S.M. ; série Economie).

- *Développement et facteurs non-économiques*, Rabat, 1980. (Coll. Atlas).

- *Impératifs du développement national*, Rabat, 1984.

مقالات :

- *Algérie, au IV de la révolution - La Nation*, N° 7, 6 Juin 1958 ; N° 9, 20 Juin 1958 ; N° 12, 11 Juillet 1958.

- *Bas les pattes devant Cuba* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 12, 9 Nov. 1982, suppl. en langue française au N° 115.

- *Le Référendum n'est pas démocratique : le peuple veut une assemblée nationale constituante* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 12, 9 Nov. 1962, Suppl. en langue française au N° 115.

- *Nous boycottons le référendum sur la constitution octroyée pour faire triompher le principe de la souveraineté populaire* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, suppl. au N° 120, 7 Déc. 1962.

- *Après le référendum : poursuivons la bataille pour la souveraineté du peuple* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 15, suppl. en langue française au N° 122, 21 Déc. 1962.

- *L'Etat doit prendre toutes ses responsabilités devant les inondations* / A. Belal, (et al...) - Al Moukafih, N° 24, 22 Févr. 1963.

- *Boycottons dans l'union la presse colonialiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 27, 15 Mars 1963.

- *Aux menées colonialistes : opposons des mesures anti-colonialistes* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, suppl. hebdo, N° 28, 22 Mars 1963.

- *Déclaration des communistes marocains (relative aux élections législatives)* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 34, 1 Mai 1963.

- *Travailleurs, travailleuses : faisons du 1er mai, une journée de lutte pour les revendications, la libération totale, la démocratie et la paix* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 34, 1er Mai 1963.

- *Pour répondre aux élections à la sauvette : réalisons le front patriotique et progressiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 33, 26 Avr. 1963.

- *La Lutte pour le pain et la lutte pour la démocratie sont inséparables* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 40, 20 Juin 1963.

- *Unissons-nous pour vaincre la réaction aux élections du 28 Juillet* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 43, 11 Juil. 1963.

- *Il n'y a pas de conflit entre les peuples marocain et algérien* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 56, 10 Oct. 1963.

- *1er Mai : Unité et actions pour salaires, démocratie, réforme agraire, solidarité internationale* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 85, 1 Mai 1964.

- *Imposer dans chaque circonscription l'élection du condidat progressiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 35, 8 Mai 1965.

- *Comment prépare-t-on l'homme de l'an 2000, Al-Kifah al-Watani*, N° 209 - 210, 7 - 14 Fév. 1969 ; N° 206 - 207, 17 Jan. - 7 Fév. 1969.

- *La Résistance palestinienne et le mouvement révolutionnaire mondial, Souffles*, N° 15, 3ème trim. 1969. Spécial : "*Pour la révolution palestinienne*".

- *Les Solutions que propose le P.P.S. constituent une alternative démocratique et progressiste à la crise actuelle, Al-Bayane*, N° 1086, 18 Juillet 1978.
- *Les Relations entre le Maroc et la C.E.E. et leurs perspectives d'avenir, Al-Bayane*, N° 1112, 17 Août 1978.
- *A propos du prochain congrès national des indépendants : maintien du statu-quo et des options existantes, Al-Bayane*, N° 1142, 22 Sept. 1978.
- *Les Interférences dans les facteurs économiques et non économiques dans la stratégie du développement, Lamalif*, N° 104, Fév. 1979.
- *Tout en défendant ses droits : la classe ouvrière reste mobilisée pour la défense de l'unité territoriale, elle n'a de leçon de patriotisme à recevoir de personne, Al-Bayane*, N° 1263, 18 - 19 Fév. 1979.
- *Hadi Messouak : notre ami, notre frère, Al-Bayane*, N° 1519, 14 Déc. 1979.
- *La Crise persiste avec un endettement extérieur qui approche les 6 milliards de dollars et un déficit des finances publiques de 722 milliards de centimes : le plan triennal n'a atteint aucun de ses objectifs, Al-Bayane*, N° 1710, 2 Août 1980 ; N° 1711, 3 - 4 Août 1980.
- *Le Redressement de la situation de notre enseignement exige un changement radical dans l'orientation, la conception de la politique de l'enseignement, ses objectifs et ses moyens, Al-Bayane*, N° 1816, 13 Déc. 1980.
- Parti du progrès et du socialisme, *Aziz Belal : Vie d'un militant exemplaire*, Casablanca, 1982.

عبد المجيد بنيوسف

بلامبو ← بلانبو

بَـلامينُو، أسرة أندلسية كبيرة استقر بعض أفرادها بتطوان، وبعضم بسلا والرباط، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Palamino ومعناه عندهم فرخ اليمام، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088. لم يرد ذكرها عند الضعيف الذي أحاط بأخبار الرباطيين في العصر العلوي إلى أيامه. مما يدل على عدم بُروز شخصيات هامة في العدوتين من هذه الأسرة قبل القرن الثالث عشر (19 م).

بَـلامينو، محمد بن يحيى الرباطي أديب شاعر فقيه تجاني الطريقة، تلقى تعليمه على يد المؤدب محمد بن علي البطاوري والشيخ العربي بن السائح وغيرهما، ووُصف بالدين والنسك. له قصائد في المديح النبوي وفي أغراض أخرى خاصة الهجو المقذع. ومن شعره مرثية قالها في رثاء شيخه العربي بن السايح الشرقي. كان يدرس في الزاوية التجانية وغيرها، وتعاطى خطة الشهادة وعرف بالصدع بالحق وتجنب البدع.

توفي في 4 جمادى الأولى عام 1914/1333 ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 194 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 231 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 310.

عبدالاله الفاسي

بَـلان، حيوانات من رتبة هدابية الأرجل Cirripeda ومن القشريات البحرفية، تعرف ببَلوط البحر وكانت قديما تنسب من طرف علماء الحيوانات إلى الرخويات.

يعيش ملتصقاً بالصخور الشاطئية بواسطة قشرته الكلسية التي تكسو جسمه. يتكون الصدر من أجزاء يحمل كل واحد منها زوائد مجذافية يساعد الحيوان على التنفس وأخْذ المأكولات. يبقى البالغ منعدم العينين والزباني.

يعد البلان من الحيوانات النادرة التي تلتصق بالصخور بواسطة قشراتها الصلبة المخروطية الشكل. إنها قوقعة مكونة من ستة أجزاء تشكل سوراً يغلق من فوقه بغلاف رقيق أثناء الجزر ليحمي الجسم من التبخر وفقد الماء من داخل القوقعة ويفتح أثناء المدّ لتخرج الهدابات لتتنفس وسط الماء وتمسك المأكولات.

إنه حيوان مزدوج الجنس ويُحتمل أن الأفراد المنعزلة تستعمل التلقيح الذاتي. أما بالنسبة للمجموعات المحتشدة بالصخور فيتم التلقيح بواسطة المجس الذي يخرجه الذكر من القوقعة ويمد به الأفراد الملتفة حوله.

تبقى البويضات الملقحة داخل القوقعة حتى تفرخ وبعد ذلك تسرع الصغار لتلتصق بدورها بالصخور المجاورة.

تعيش على الصخور بالشواطئ المغربية عدة أنواع من هذا الحيوان.

R. Boue H. Chanton, *Biologie animale zoologie-invertébrés*, T. I, Paris, 1962 ; G. Bitar, *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution, comparaisons biogéographiques*. Thèse Doct. Et. et Univ., Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Lausanne, 1986; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*. Thèse Doct. Et. et Univ. Mohammed V.

محمد منيوي

بْـلان، أوربان Blanc Urbain عمل مفوضاً عاماً لدى الإقامة الفرنسية بالمغرب مدة أربع عشرة سنة، من يوم تعيينه سنة 1919 خلفا للالية دي كودريه Lallier Du Coudray إلى يوم عزله في شهر نونبر من سنة 1933 ليخلفه هيلّه Helleu، ولقد ضرب رقما قياسيا في احتلال ذلك المنصب الذي كان على صاحبه أن يعوض المقيم العام كلما تغيب المقيم أو ينوب عنه كلما استنابه في بعض المهام. ولئن كنا ما زلنا لا نتوفر على دراسة مستوفية لأدوار المفوض العام لدى الإقامة، ولا على ترجمة لحياة أوربان بلان وأعماله، فإننا نعلم أن تلك الوظيفة مقتبسة من وظيفة نائب الرئيس في دستور الولايات المتحدة، وأن المسؤولين عن الحماية أرادوا بها اجتناب كل انقطاع في استرسال السلطة الفرنسية بالمغرب، كما أرادوا منها نوعا من التوفيق بين موظفي وزارتي الحرب والشؤون الخارجية. وإننا من جهة أخرى نستقرئ من طول احتلال أوربان بلان للمنصب ما كان له حتما من النفوذ والتأثير على سير الحماية. فإنه كان من موظفي السلك الديبلوماسي واشتغل كاتبا عاماً للحماية التونسية قبل أن يعين مفوضاً عاما بالمغرب، وقت كان ليوطي في أشد الحاجة إلى من يساعده على إطفاء غليان المعمرين والمرشحين للاستعمار الذين

كشروا عن أنيابهم غداة الحرب العالمية واشرأبت أعناقهم لاستغلال خيرات المغرب بدون قيد ولا شرط، فلم يعودوا يطيقون تحفظات ليوطي، ولا سياسته الرامية إلى حصر الاستعمار في نخبة من المعمرين، فثاروا عليه كفاحا سنة 1919، فاحتاج إلى من يتوسط بينه وبينهم ويحول بين كبريائه وجسارتهم، وكان أوربان بلان مؤهلا لذلك بما كان عليه من الاقتناع بفضائل الاستعمار، مهما كان من هوية المعمر، وبما كان عليه من الخبرة بإدارة المستعمرات وأساليب التحايل على أهل البلاد، فعمل بالتي هي أحسن، في ظل ليوطي، لتحريف الحماية من مفهومها الدولي القاضي بحصرها عند مجرد مراقبة فرنسية للإدارة المغربية، إلى إدارة فرنسية مباشرة للمغرب وتصرف قهري في أدنى جزئيات حياته، حتى إذا عزل ليوطي سنة 1925، سهر أوربان بلان على توطيد دعائم تلك الإدارة المباشرة بدعوى الإخلاص إلى أساليب المارشال، ومسؤوليته ثابتة في هذا الصدد، لذلك أطلق اسمه أثناء النصف الثاني من عهد الحماية على أحد شوارع الرباط الكبرى (شارع المولى الحسن حالا).

عمل أوربان بلان بإزاء أربعة مقيمين عامين، وهم ليوطي الذي عينه، وستيك Steeg، ولوسيان سان Lucien Saint وهانري بونصو Henri Ponsot، وهو الذي تم عزله في مقيميته، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ما كان عليه بونصو من الاعتدال في الاستعمار وما كان عليه أوربان بلان، بالعكس، من التصلب الناتج عن قناعاته الذاتية وعن طول مكوثه بالمغرب وتعاقب أربعة مقيمين عامين فيما بين 1925 و1933، مما خول المفوض العام سلطة لم تكن مقدرة له في الأصل. وكان أوربان بلان قد تعود على الاستقلال بالتصرف منذ عهد ليوطي الذي تغيب عن الرباط فيما بين 1920 و1924 فترات طويلة، لأسباب صحية. وتبدو بصمات أوربان بلان في العديد من القرارات التي أثرت على مجرى تاريخ الحماية الفرنسية بشكل ملموس، فهو الذي أوحى لليوطي بضرورة إشراك المعمرين، وهو الذي ساهم في جعل حد لرواج السكة الحسنية لفائدة الفرنك من خلال ما اقترح من أوجه الإغراء للتجار المغاربة مثل السخاء برخص بيع السكر ورخص الذبح بالمجازر البلدية، وهو الذي كتب رداً على اقتراح تقدمت به وزارة الخارجية سنة 1923 بإلحاق المغرب وتونس بجمعية الأمم، لا حبا فيهما ولكن لتوازن بهما وجود المستعمرات الإنجليزية بتلك الهيئة الدولية، قال :"إذا قلنا للعالم إن المغرب وتونس أمتان قابلتان، بعد تهذيبهما واقتفائهما لمثال فرنسا، لأن تصبحا شخصيتين تستطيعان إحراز استقلالهما في المستقبل، فإننا نكون قد اتخذنا موقفا نهائيا ووجهنا محمييينا وجهة تبرر وتقنّن كل ما سيبذلونه من المجهودات لإقصائنا، وسوف ينحصر النقاش بين فرنسا وبينهم عندَ مسألة التوقيت، فإنهم سوف يزعمون أنهم تمدنوا قبل الوقت، وسوف يعلنون الرفض.

ومن الأكيد، على ما قال الأستاذ ريفي، أنه أحبط مجهودات ليوطي، على تواضعها، للأخذ بيد الشباب المغربي الناهض، وهو الذي واخذ المولى يوسف بعدم ذكره لفرنسا في بعض خطبه قائلا :"إن باي تونس كان لا ينسى ذلك أبداً"، مما اضطر ليوطي إلى الرد عليه، بنوع من الحدة، بأن المولى يوسف سلطان ابن سلطان،، وباي تونس موظف من موظفي الدولة العثمانية.

وتميز أوربان بلان في تاريخ الحماية بما سعى فيه، في العلانية والخفاء، لبلورة سياسة التمييز الاجتماعي والقبلي، فهو الذي أثر على ليوطي الذي لم يكن مريضا "بالبربرومانيا"، كما يقول الأستاذ ريفي، إلى الحد الذي كان عليه بعض أعوانه، وفي طليعتهم أوربان بلان، ليلعب على حبل التفرقة العنصرية بين المغاربة، فهو الذي أخرج موريس لوگلي Maurice Le Glay قطب تلك السياسة على الإطلاق، من شبه النفي الذي كان قد اضطر إليه، عندما عين مراقبا مدنيا بإقليم أسفي بإلحاح من المولى يوسف الذي كان قد عيل صبره من أقوال ذلك الضابط ومن تصرفاته في قبائل الأطلس المتوسط. استقدمه إلى الرباط سنة 1923 واستعان به في ضبط قواعد السياسة البربرية، كما استعان بمارتي، القطب الآخر في هذا المضمار، لتعزيز القضاء العرفي بواسطة الجماعات القبلية على حساب القضاء الشرعي. ولولا دولة المولى يوسف، لكان هذا الثالوث من أعداء وحدة الشعب المغربي، قد استطاع استصدار الظهير البربري قبل 16 ماي 1930، وكانت الغاية من الظهير إلحاق نصف سكان البلاد بالقضاء الفرنسي، ولا يسع المؤرخ إلا أن يسجل أن الظهير المشؤوم صدر سنة 1930 وأوربان بلان مفوض عام بالإقامة بالرباط، وأن الظهير الذي ألغى مبدأ إلحاق القبائل البربرية بالمحاكم الفرنسية في أبريل سنة 1934 صدر وهو معزول عن منصبه، وكيف لا، وقد كان عدواً لدوداً للإسلام، قال سنة 1922 :"إنه ينبغي كلما عرضت آثار الكنائس على أحد أهالي افريقيا الشمالية أن لا يقال له :"هذا ما بناه آبائي"، لأن ذلك خطأ، بل يقال له :"هذا ما بناه آباؤك"، لأنهم كانوا مسيحيين قبل أن يكونوا مسلمين"، هذا مع العلم أنه لم يكن لا كاثوليكيا ولا ملتزما بأية عقيدة، بل كان لايكيا وعضوا في الجمعية الفرانماصونية الميالة على العموم إلى الإلحاد، لكن لما كان الأمر يتعلق بمحاربة الإسلام وحضارته، كان أوربان بلان يتحول إلى صليبي متصلب، وما ذلك إلا من مفارقات الاستعمار.

كان أوربان بلان يترقب ظهور الحركة الوطنية بعد جيل من انعقاد الحماية، فإنه كتب قائلا سنة 1923، بناء على تجربته التونسية :"إن الحركة الوطنية لا تظهر إلا بعد اختفاء الجيل الذي يكون قد شاهد وعاش الأيام القديمة"، ولما بدت طلائع الأفواج الوطنية الأولى، خاطبها بلغة من يريد إسكات المخاطب قائلا :"إنكم سوف تحرزون على الاستقلال يوم تستطيعون صنع القاطرة"، وغني عن البيان أنه كان ساهراً على أن لا يتعلم المغاربة أبدا تلك

الصناعة، فهو الذي كان ينهى عن استقدام أبناء البادية المغربية إلى المدن ليتابعوا بها دراستهم، بدعوى أن المدينة تفسد أخلاقهم، والحقيقة أن المدينة باتت تعلمهم كيف يقاومون حيل الاستعمار بسلاح العرفان.

الجريدة الرسمية، سنوات 1919 إلى 1934.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc*, Paris, 1988.

إبراهيم بوطالب

بلانبو، وتكتب أيضاً بالميم بلامبو، وبدون واو : بلانبُ، أسرة رباطية سلاوية أصلها من الأندلس، عُرف أفرادها بالديانة والمروءة. اشتهر السلويون بالمشاركة في الجهاد البحري، والرباطيون بالانتساب للطريقة العيساوية، وحفظ أذكارها وإنشادها بأنغامها المعروفة، والاعتناء بشعر الملحون عموماً، حفظاً وإنشاداً. منهم :

بلانبو، عبد الله، (الحاج ـ) من المجاهدين البحريين السلويين الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

بلانبو، محمد الرباطي تاجر في سوق السباط، من أعيان الطائفة العيساوية الذين كانوا لا يتخلفون عن مجالس الأذكار والإنشاد الأسبوعية.

توفي حوالي عام 1376 / 1956.

بلانبو، محمد السلوي. كان أستاذاً من حفظة القرآن ومن رجال البحر الواقفين على باب الجهاد، وبهذه الصفة أدرج في قائمة الصلة التي خص بها الحسن الأول المجاهدين في وثيقة مؤرخة بثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 195 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2 ، 150 و223 ؛ *معلومات شخصية*.

م. الأمين بلكناوي

بْلانص، أو بلانس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل الاسم Blanes. وهو اسم مدينة بمقاطعة خيرونا Gerona.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1163/1750.

بْلانْكُو، أسرة تطوانية ورباطية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Blanco أو هكذا Palanco.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171/1758.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْلانْكُو، بلقاسم من الأندلسيين المهاجرين إلى الرباط، كان من بين الموقعين على الاتفاقية المعقودة بين سلا وبريطانيا في 10 ماي 1627.

بْلانْكُو، محمد من أندلسيي الرباط كذلك. شغل حوالي سنة 1630 وظيفة كاتب للديوان، وحرر بهذه الصفة عقد الهدنة بين السلاويين وفرنسا. كما كان ضمن لائحة محرري نص مشروع اتفاق بين الرباط وملك إسبانيا، حيث يظهر اسمه مقترنا بصفة "كاتب المحكمة".

S.I.H.M., Angleterre, T. 3 ; G. S. Colin, *Un projet de traité entre les morisques de Rabat et le roi d'Espagne, Hesp.*, Vol. 42, 1955.

عبداللطيف الشاذلي

بلبل، طائر من رتبة الجواثم وفصيلة Pycnonotidae التي تضم 119 نوعا يعيش معظمها في أفريقيا وآسيا. إنه طائر جميل حسن الصوت يبلغ طوله 19 سم، طويل الذيل، أسود الرجلين، ظهره رمادي بني داكن وبطنه أبيض. يسمى علميا Pycnonotus barbatus.

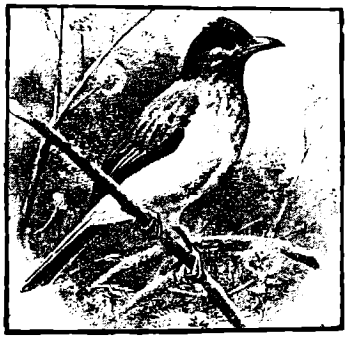

البلبل المغربي هو ضرب من هذا النوع يعيش في المغرب والجزائر وتونس وسط مجموعات صغيرة كثيراً ما تحدث أصواتا مطربة أثناء تنقلاتها. يعيش في الغابات والبساتين والحدائق والأماكن المشجرة وبقتات من الثمار اللحمية كالعنب والتين والبرقوق ومن الحشرات أيضا.

إنه طائر مشاكس، كثيرا ما يقوم بتغاريد متواصلة في الصباح الباكر وقبل غروب الشمس. تبتدئ مدة التوالد من أبريل، ويبني عشه على الأشجار، وتبيض الأنثى عادة من بيضتين إلى ثلاث، ونادراً أربع بيضات، مزركشة بنقط بنية، يبلغ قطرها 24.6 × 17.2 ملم.

البلبل شائع في المغرب من شمال البلاد إلى سفوح الأطلس الصغير، ويعيش ضرب آخر من هذا النوع في مصر والشرق العربي ويسمى أيضا بلبلاً كما يسمى كُعيباً وجُمَيْلاً.

H. Heinzel, R. Fitter, et J. Parslow, *Les Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Suisse, 1972 ; Thevenot Berger et Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, 1980

محمد رمضاني

بَلّج بن **بِشْر** القُشَيْرِي القَيْسِي، نسبة إلى قُشير بن كعب، من فروع قيس بن عيلان، هو قائد خيل كلثوم بن عياض والي بني أمية على المغرب سنة 123 /741. وبهذه الصفة تولى قيادة طلائع كلثوم، وكان الجيش الذي صحب الوالي الجديد يضم عشرات من الألوف. ولم يكن كلثوم ولا قريبه بلج القشيري من ذوي الحنكة السياسية، فلما بلغا أفريقية لم يحلاّ بالقيروان، بل أهان بلج ممثليها، وتنحيا عنها إلى سُبَيْبَة قريباً منها، ثم كانت لهما صدامات مع بعض القادة الأمويين الموجودين بأفريقية قبلهما. وأخيراً

توجها نحو طنجة. وكانت الحزازات شديدة بين عرب أفريقية والجيوش الشامية التي رافقت ابن عياض. وقد أثرت هذه الحزازات في مصير العرب بهذه المنطقة، لأن عرب أفريقية خشوا من استقرار جيوش الشام بينهم، واستيلائهم على مقدرات البلاد. وكان الزحف على طنجة انتقاماً من البربر الذين أوقعوا بالعرب حولها قبل ذلك سنة 123 هـ. وهلك في هذا الصدام عدد من قادة العرب فسميت المواجهة بغزوة الأشراف أو موقعة الأشراف. لكن هذا الزحف الجديد لم يتجاوز به العرب نهر سبو، أي أن صفرية البربر الذين يستولون على طنجة، لم يمكنوا جيش ابن عياض من الاقتراب من هذه المدينة التي كانت حينذاك عاصمة للمغرب، فكانت هذه المواجهة بمنطقة الغرب في حوض سبو وقيل ببقدورة وليس عند تاهرت كما نقل بعض المعاصرين (حسين مؤنس، *فجر الأندلس*). وقاتل البربر بزعامة خالد بن حميد الزناتي الذي نصبوه خليفة بعد ميسرة. قاتلوا وهم يرتدون سراويل، وباقي جسمهم مكشوف. وكانت طلائعهم رجالة، فهاجمتهم خيل بلج لتدوسهم، فانهزموا لأن الهجوم كان مباغتاً عند الصّبح، ثم عادوا فألقوا بمقذوفات من مقاليعهم وهجم عدد منهم راجلا على قادة العرب فقتلوا كلثوما وحبيب بن عبدالرحمان وآخرين، وانهزم معظم الجيش العربي مولياً نحو افريقية، وكان المنهزمون من أهل مصر وعرب إفريقية. أما عرب الشام فقصدوا سبتة بزعامة قائدهم بلج بن بشر، وكان قد جُرح في المعركة، وكان المفروض أن يتولى أمر المغرب ويستقر بطنجة فيما لو انتصر الجيش العربي. وعلى هذا فهو لم ينعم بهذه الولاية كما وهم الحميدي. ويذكر ابن عذاري، نقلا عن ابن القطان أن العرب كانوا في ثلاثين ألفا، على أن الشاميين الذين كانوا عشرة آلاف هم الذين انتقلوا مع بلج إلى سبتة، وتذكر المصادر أن كلثوم ابن عياض أوصى بالولاية بعده لبلج، وكانت الأندلس ضمن منطقة ولايته، ولذلك كتب إلى عبدالملك بن قطن يطلب منه تجويز مراكب الأندلس إلى سبتة ليعبر فيها بلج من سبتة مع جيش الشام، لكن البربر منعوا الإمدادات عن سبتة فضاق الأمر بالشاميين حتى أكلوا دوابهم، كما أن والي الأندلس المذكور امتنع عن إمداد بلج ومن معه، ثم استقدمه بعد أن اشترط عليه أن يعود إلى أفريقية وأهل الشام بعد مُقَامٍ سنة. فلما اجتازوا إلى الأندلس رفضوا الخروج منها بعد ذلك، وكانت لهم اشتباكات مسلحة مع عبدالملك بن قطن وأنصاره، انتهت بمقتل هذا الوالي بعد أن اعتقل مدة، واستولى بلج على السلطة بالأندلس، لكنه لم يقم بها إلا أسابيع قليلة، ثم قتله الشاميون سنة 124 وولوا مكانهُ ثعلبة العاملي بعهد من الخليفة بدمشق. وقيل إن قتله تَمّ على يد عبدالرحمان بن حبيب في مواجهة وقعت خارج قرطبة.

ويرتبط انتقال بلج إلى الأندلس بحادثيين مهمين : 1 ـ المذابح التي قام بها جيشه في صفوف بربر شذونة والتي ازدادت قسوة بعده في صفوف بربر ماردة على يد خلفه ثعلبة. 2 ـ نشأة دولة برغواطة بسهول تامسنا المغربية. وهذا الحدث الأخير تعبير عن القطيعة النهائية مع الخلافة المشرقية، فيما عدا الاعتراف الرمزي اللاحق أيام المرابطين ولشَطْرٍ من الدولة المرينية. وهكذا توقف النفوذ العباسي الحَقيقي عند طُبْنَة، أيام الأغالبة.

ع. ابن عبدالحكم، *فتوح أفريقية والأندلس*، ت. البير كاتو، ص 126، 132 ؛ أ. ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ت. عبدالله الطباع ، ص 41 ؛ م. الحميدي، *جذوة المقتبس*، ت.م. ابن تاويت الطنجي، ص 170 ؛ ع. ابن الأثير الجزري، *الكامل*، ت. ع. النجار، ج 4 : 223، 250، 254 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 258، 406 ؛ حسين مؤنس ، *فجر الأندلس*، ص 172، 175 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم قبائل العرب*، مادة قشير.

إبراهيم حركات

بَلْجي، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246 على إثر الهجوم الفرنسي. وكان جل أفرادها يعملون في فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان، حيث نجد من بينهم رايس البحر أحمد بلجي في السنة المذكورة، والبحارة محمد بلجي وعبدالله بلجي وعبدالعزيز بلجي وحسن بلجي وعبدالغفور بلجي سنة 1834/1250.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 202 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بلجيكا والمغرب، يبدو أن العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وبلجيكا ترجع إلى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن الذي وافق عام 1838 على تعيين ليون ڤان لار (Léon Van Lare) قنصلا لبلجيكا مقيماً بطنجة، ثم جاء تعيين إرنيست دالوين (Ernest Dalvin) قنصلا عاماً لبلجيكا بالمغرب سنة 1845 ليجسم الأهمية التي أخذت تطبع العلاقات بين البلدين ؛ وعندما خلَف السلطان السابق ولدُه المولى محمد، أبرم البلدان بتاريخ 4 يناير 1862 معاهدة تجارية وملاحية، مما أعطى القنصل البلجيكي السابق الذكر اختصاصات وصلاحيات مضى يشمل مداها جميع الشواطئ المغربية المطلة على المحيط الأطلنتي. أما الوثائق المتوفرة فإنها تشير إلى اقتناء المغرب، أسلحة بلجيكية بمقتضى عقد تجاري مؤرخ في 6 فبراير 1866. وفي عهد الحسن الأول، عينت بلجيكا قنصلا آخر بالجديدة، يدعى فليكس ديسگان (Félix Desguin) وقد تميز هذا العهد بتطوير العلاقات بين البلدين من مرحلة العلاقات القنصلية إلى مرحلة تبادل البعثات الدبلوماسية، وهكذا بعث العاهل المغربي عام 1876 وفداً هاماً إلى بلجيكا يرأسه الزبدي ويضم عسكريين وتقنيين وملحقين. وبعثت بلجيكا إلى المغرب بعد سنوات قليلة سفارة برئاسة إ. ويثنال (E. Whethnal) للتباحث مع العاهل المغربي حول إمكانية تنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين ووضع خطوط للسكك الحديدية وتنظيم البريد بالمغرب.

وفي سنة 1890، توجهت إلى بلجيكا بعثة دبلوماسية ثانية بقيادة أحمد بن المؤذن السرغيني الذي أبلغ الحكومة البلجيكية موافقة المغرب على الترخيص لها بإيداع فحمها الحجري بموانئه وذلك لمدة ثلاثين سنة. وورد في بعض المصادر أن الملك البلجيكي ليوبولد الثاني (Léopold II) زار المغرب مستخفياً عام 1897. ونشير بهذا الصدد إلى أن ما تضمنته عدة مصادر عن النوايا الاستعمارية البلجيكية للمغرب، إنما هو افتراء كشف عنه التاريخ مقابل ما كانت تبيته فرنسا وإسبانيا من أهداف استعمارية.

غير أن العلاقات بين المغرب وبلجيكا لم تختلف إلا قليلا عن علاقاته بالدولتين الأوربيتين الحاميتين سابقاً وغيرهما من الدول الأوربية. ثم أخذت روابط المغرب ببلجيكا طابعاً متميزاً وقوياً لبعض الفترات بعد الاستقلال حيث أعرب المغرب عن معارضته الشديدة للسياسة البلجيكية بالكونغو الذي كان مسرحاً لاضطرابات خطيرة غداة حصوله على الاستقلال في يونيو 1960.

تميزت هذه الأحداث بعصيان الجيش المحلي ضد ضباطه البلجيكيين وشهدت البلاد في مجموع ترابها حركات تمرد أهمها إعلان موسى تشومبي (Moïse Tchombé) استقلال إقليم كاطنگا (Katanga) وانفصاله عن المجموعة الكونغولية، ثم أرسلت بلجيكا إلى الكونغو وحدات من جيش المظليين لحماية رعاياها.

أمام هذه الأحداث، طلب الوزير الكونغولي الأول، بتاريخ 11 يونيو 1960، من الأمم المتحدة إيفاد جنود للحفاظ على الأمن وصيانة وحدة البلاد الترابية وتنظيم الجيش الوطني. وهكذا وقع تدويل النزاع الكونغولي البلجيكي، فأعرب المغرب عن تضامنه المطلق مع الحكومة الكونغولية.

للموقف المغربي عدة أسباب منها مقاومته للمطامع الاستعمارية الأوربية بالقارة وللمواقف العدوانية التي اتخذتها دول حليفة لبلجيكا، ومنها مساندة الشعوب المكافحة من أجل السيادة والاستقلال، وقد نجد هناك تشابهاً بين ما كان عليه المغرب سنة 1950 وما كان عليه الكونغو سنة 1960.

ترجم المغرب مساندته للمشروعية الكونغولية على الصعيدين العسكري والدبلوماسي، فعلى المستوى الأول، أرسل إلى الكونغو وحدات تتألف من ألف جندي مجهزين بأسلحة خفيفة تحت القيادة العامة للجنرال الكتاني، أقلتهم طائرات أمريكية، للعمل تحت لواء الأمم المتحدة. غير أن تفاقم الأحوال الداخلية أدى إلى فشل مهمة القوات الأممية.

أما على المستوى الدبلوماسي، فإن المغرب شجب وهاجم علانية مناورات الاستعمار الجديد ضد افريقيا والأمم المتحدة معاً. وفي أوج هذه الحملة الدبلوماسية، دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر الدار البيضاء لمواجهة أخطار الاستعمار الجديد. وصار العمل المغربي ضد سلوك بلجيكا يكتسي طابع الجد والصرامة تجسم بتحرك المملكة المغربية بهيئة الأمم المتحدة وبمجلس الأمن الذي اجتمع بطلب من مجموعة الدار البيضاء في يناير 1961. وخلال الدورة الخامسة عشرة للمنظمة الأممية، قام ممثل المغرب بانتقاد شديد اللهجة لخروج بعثة الأمم المتحدة عن المهمة التي أنيطت بها بالكونغو ولوقوعها فيما خططه البلجيكيون ؛ وكان المغرب صاحب الآراء الواردة في الوصية التي تقدمت بها مجموعة الدار البيضاء والتي طالبت من منصة الأمم المتحدة بسحب الجنود والمستشارين السياسيين البلجيكيين من الكونغو، تلكم الوصية التي صادقت عليها الأمم المتحدة بتاريخ 15 أبريل 1961.

انعكست هذه الأحداث سلبياً على العلاقات البلجيكية المغربية، ثم أخذت تستعيد نشاطها انطلاقاً من سنة 1964 فتميزت بإبرام معاهدة تتعلق باليد العاملة المغربية ببلجيكا، بتاريخ 17 فبراير 1964، وأضحت العلاقات بين البلدين تتسع وتنمو بعد تدهور العلاقات بين المغرب وفرنسا، وراح المغرب يبحث عن بديل لفرنسا، فوجد لدى بلجيكا استعداداً للتعاون معه. وهكذا انتعشت العلاقات البلجيكية المغربية وصارت حكومة بلجيكا توفد عدة مبعوثين إلى الرباط، فتوالت الزيارات الرسمية إلى المغرب الذي حل به تباعاً من بلجيكا وزير السياحة في دجنبر 1966 ثم وزير التجارة الخارجية في أبريل 1967 ؛ ثم زيارة رسمية للعاهلين البلجيكيين خلال يناير / أبريل 1968 وزيارة أخرى قاما بها في نفس السنة للمغرب خلال أكتوبر 1968، رفقة وزيرهما في الشؤون الخارجية.

تجدر الإشارة إلى أن ما عرفته هذه الفترة المتميزة من ازدهار في العلاقات بين المغرب وبلجيكا كان ينبني على عدد من الأوفاق المبرمة بين البلدين، نذكر منها المعاهدة العامة المتعلقة بالضمان الاجتماعي (يونيو 1968) واتفاقية التعاون التقني (شتنبر 1971) واتفاقية حول ازدواجية استخلاص الضرائب (مايو 1972). وتمخض عن الحوار المثمر بين البلدين تشكيل لجنة مختلطة (أبريل 1965) بدأت أعمالها انطلاقاً من يوليوز 1968 فكانت هي الأداة الأساس في التعاون بينهما.

في الظروف الحالية يمكن تقييم ما وصل إليه التعاون بين البلدين سواء بمدى أهمية النصوص القانونية المبني عليها أو بمدى العلاقات الاقتصادية التي تربطهما (اتفاقية التعاون الزراعي المبرمة بتاريخ 17 / 04 / 1981 ؛ اتفاقية حول النقل البري الدولي وعبور المسافرين والبضائع المبرمة بتاريخ 12 . 5 . 1981 ؛ الاتفاقية الخاصة المتعلقة بتمويل دراسة تهتم بإنشاء محطة حرارية لتوليد الطاقة الكهربائية بالجرف الأصفر والمبرمة بتاريخ 17 / 04 / 1987، إضافة إلى مختلف الاتفاقيات المالية المبرمة من 1968 إلى 1991.

أما جرد العلاقات التجارية بين البلدين فإنه يعكس كذلك مدى أهمية هذا التعاون : إن دراسة اتجاهات التبادل الاقتصادي بين الطرفين والمسجلة من 1983 حتى 1986 تعطي صورة واضحة عن أهميته، ذلك أن قيمة الحجم

الإجمالي لهذه المبادلات التجارية ارتفعت من 1.143 مليون درهم إلى 1.746 مليون درهم، أي بمبلغ 603 ملايين درهم، وهو ما يعني زيادة نسبتها 52.75٪ نجد لها تفسيراً في رفع حجم الواردات المغربية من بلجيكا بما نسبته 86.13٪. ومقابل ذلك فإن الصادرات المغربية في نفس الاتجاه لم تسجل إلا زيادة نسبتها 26.33٪. من ثم فإن العجز في الميزان التجاري بين البلدين أمسى على حساب المغرب.

يظهر أن العلاقات القائمة بين المغرب وبلجيكا ليست جوهرية في حد ذاتها وإنما تكتسي طابع المساعدة أو التكملة، وتتسم على العموم بما تتميز به اليوم علاقات المغرب بالدول الأوربية وما تعرفه هذه العلاقات من مشاكل (قضايا الهجرة، الروابط الاقتصادية، آفاق مستقبلية تتعلق بتوحيد أوربا...).

A. Berramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, 1987 ; De Vos, *Vie et mort de Lumumba*, Paris, Calmann Levy, 1961 ; A. Duchesve, *Léopold II et le Maroc*, Bruxelles, 1965 ; Buisseret. Le Comte de, *A la cour de Fès*, Bruxelles, 1907.

عبد الله ساعف

بُلح - طائر - ← بولحية
بُلح البحر ← بوزروگ

البلدية، تنظيم حديث للتسيير المحلي. وعندما احتل الفرنسيون والاسبانيون المغرب في أوائل هذا القرن، لم يجدوه يتوفر على إدارة مركزية هامة (المخزن) فحسب، بل يتوفر كذلك على تنظيمات أصيلة ومحكمة للتسيير، بعضها خاص بالمجال الريفي وبعضها الآخر بالوسط الحضري.

ففي هذا الأخير، كانت الحياة الحضرية، التي ترعرعت وازدهرت بالمغرب منذ قديم، تتميز بوجود جملة من المؤسسات لتأطير السكان وتنظيم المعاملات بينهم وتسيير مختلف شؤون المدينة ومرافقها. وكان جل هذه المؤسسات والتنظيمات عريقا، نما وتفنن وتحسن عبر عدة قرون، في ظل العمارة الإسلامية والقوانين الفقهية، ومن هذه الخطط التي كانت تتولى ضبط الوظائف الحضرية قبل إحداث النظام البلدي المعاصر، خطة الشرطة، وخطة الحسبة، وخطة الأمانة الخ، ولكل خطة تنظيم يتميز بالمرونة وسهولة الاتصال بين مختلف المسؤولين عن تسيير المدينة وأهلها، لكنه تحجر تقريبا مع الاستعمار الذي شل مختلف المؤسسات الوطنية الاقتصادية والاجتماعية، المركزية منها والمحلية، لصالح مؤسسات الحماية التي غدت هي المرجع الأساسي للحكم والايالة والتسير والتدبير في كافة الميادين.

مباشرة بعد بسط الحماية سنة 1912، أقام الفرنسيون إدارة مؤقتة بالمدن، تختلف حسب المدن الساحلية المسيرة بصفة مشتركة بين الباشا وقنصل فرنسا، والمدن الداخلية التي تسيّرها مباشرة مكاتب الاستعلامات الفرنسية. وصدر بعد ذلك بقليل ظهير 27 يونيه 1913 المتعلق بإحداث لجن بلدية في المدن الساحلية مكلفة بالتدبير المالي وصيانة الشوارع والأبنية العمومية. وكانت هذه اللجن، التي أُسندت رئاستها اسميا للباشا، تتألف من موظفين فرنسيين هم قنصل فرنسا ورئيس الأشغال البلدية، وممثل إدارة مراقبة الديون (التي فرضتها القوات الأوربية على المغرب في 1904 و1910) وممثلين محليين لمديرية الأشغال العمومية ومصلحة الصحة العمومية ونائب رئيس الغرفة التجارية، إضافة إلى المحتسب وأمين المستفاد وعدد من أعيان المدينة يختارهم الصدر الأعظم.

لكن سرعان ما استبدلت سلطات الاستعمار بهذا التنظيم البلدي تنظيما آخر يتناسب أكثر مع تكاثر الجالية الأوربية وتعاظم اطماعها في التسيير المباشر للمدن والاستحواذ على المزيد من الأراضي والهيمنة على الاقتصاد. هكذا أصدرت ظهير 8 أبريل 1917 الذي استمر العمل به كقانون أساسي لتنظيم البلديات حتى 1952، رغم ما لحقه من إضافات وتعديلات مختلفة (ظهائر 1923، 1924، 1926، 1931 وغيرها). فقد نص هذا القانون الجديد على ضرورة تحديد المدار الحضري للبلديات وتقسيم المدينة إلى مقاطعات حضرية، وجعل التنظيم البلدي يقوم على ثلاث مؤسسات : رئيس الأشغال البلدية المجلس البلدي، الباشا وأعوانه.

فهذا الأخير فقد جل سلطاته لصالح رئيس الأشغال البلدية ممثل الإقامة العامة بالمدينة، الذي غدا يراقب الباشا في كل أعماله وقراراته، وبالتالي تولى التسيير الفعلي للمدينة في كافة ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية. كذلك همش هذا القانون وظيفة المحتسب الذي سلبت منه غالبية صلاحياته، خاصة بعدما صدر ظهير 29 غشت 1923 الذي أقر بالمغرب النظام المتري في المقاييس والمكاييل والأوزان، فلم يعد للمحتسب دور المراقبة في هذا الباب، وكذا بعد ظهير 8 غشت 1927 الذي أفقده كل سلطة تحكيمية (فض النزاعات المهنية) لصالح الباشا، وبذلك لم يعد المحتسب سوى عضو ثانوي في اللجنة البلدية، له مجرد دور استشاري في بعض القضايا التي كانت تدخل في نطاق اختصاصه.

أما المجلس البلدي، فهو جهاز غير منتخب، يعين أعضاؤه من طرف الإقامة العامة باقتراح من رئيس الجهة. فحتى 1927، كان هناك نوعان من المجالس : بعضها مؤلف من الأهالي فقط، والبعض الآخر من الأهالي والأوربيين. لكن بعد هذا التاريخ، دخل الأوربيون كل المجالس فأصبحت مختلطة. يختلف عدد الأعضاء حسب أهمية المدينة، كما تتفاوت نسب الأهالي ونسبة الأوربيين منهم تبعا لوزن كل طائفة في حجم السكان ؛ تمثيلية الأوربيين كانت دائما أقوى من تمثيلية المغاربة. تنعقد جلسات المجلس البلدي باستدعاء من الباشا (رئيسه الاسمي) أو رئيس الأشغال البلدية (رئيسه الفعلي). تعقد الجلسات مشتركة مبدئيا، لكن نظرا لمشاكل اللغة وتعارض المصالح واختلاف القضايا اللازم مناقشتها، غالبا ما كان المجلس

يتفرع إلى ثلاث لجن تشتغل كل منها على حدة يترأسها رئيس الأشغال البلدية أو مندوب عنه، الفرنسيون بالنسبة للأحياء الأوربية، والمسلمون بالنسبة للمدينة العتيقة، واليهود بالنسبة للملاح. إلى حدود 1926 كان الأعضاء يعينون لمدة سنة واحدة، ثم لمدة ثلاث سنوات بين 1926 و1931، لتصبح المدة ست سنوات بعد ذلك، مع قابلية تجديد نصف أعضاء المجلس كل ثلاث سنوات.

لم يكن لهذه المجالس المعينة سوى صلاحيات استشارية في القضايا التي يحددها القانون والمتعلقة أساسا بميزانية البلدية وإبرام العقود والصفقات ووضع برنامج الأشغال البلدية وتحديد أسعار المواد الأساسية، لكنها لا تملك حق الخوض في أي مسألة ذات طابع سياسي. ولميزانية البلدية موارد متنوعة، أهمها المكوس الحضرية المختلفة (عن المباني والعمليات التجارية والأسواق والمجازر والحفلات، واستعمال الطرق والمقابر) والعُشر المضاف إلى ضرائب الدولة، وربع الممتلكات البلدية من عقارات وغيرها، وعائدات الخدمات الجماعية التي تقدمها كتوزيع الماء والكهرباء وتيسير النقل العمومي. كما أن للبلدية، التي تتمتع بالأهلية المدنية، الحق في الحصول على مساعدات الدولة وكذا على القروض. وتصرف هذه الأموال أساسا لتسديد النفقات العامة لتسيير الجهاز الإداري البلدي وصيانة الطرقات والممتلكات البلدية ورفع الأزبال وتقديم الإعانات للمدارس والمؤسسات الخيرية.

ضمن هذا التنظيم العام،كانت هناك ثلاث مدن لها نظام بلدي خاص، نظراً لأهميتها، هي فاس والدار البيضاء وطنجة. فرغم كون فاس فقدت مع الحماية وظيفتها كعاصمة إدارية واقتصادية، فإن مكانتها ظلت مميزة بفعل ثقلها التاريخي ونفوذ تجارها ووزن علمائها وأعيانها. لذا أنشأ بها ظهير ثاني شتنبر 1912 مجلسا بلديا متميزا، وهو أول مجلس بلدي أحدث بالمغرب، يتألف من خمسة عشر عضوا، سبعة منهم معينون (الباشا وخلفاؤه الثلاثة ومحتسبان ومقرر يدعى بنائب المجلس) وثمانية منتخبون من طرف أعيان المدينة لمدة سنتين بحصة عضوين لكل من المقاطعات الحضرية الأربع، ويضاف إلى هؤلاء الأعضاء الذين لهم حق التصويت، أمين المستفاد الذي له رأي استشاري، علاوة على الترجمان الذي يدوّن محاضر الجلسات.حتى 1919، كان هناك مجلسان، أحدهما للمسلمين من أجل تدبير شؤون المدينة العتيقة، والثاني لليهود خاص بالملاح، ثم أنشىء بعد ذلك مجلس ثالث للفرنسيين لإدارة المدينة الجديدة.

كذلك أنشأ المقيم العام، ليوطي، مجلسا خاصا بالدارالبيضاء التي أرادها أن تكون العاصمة الاقتصادية للمغرب الجديد، والتي راحت الجالية الأوربية تتكاثر فيها بسرعة. كان المجلس يتكون من واحد وعشرين عضواً أوربيا، مقابل ستة مسلمين فقط ويهوديين. ونظراً لأهمية المشاريع وتعدد القضايا وتشعبها، يتفرع المجلس إلى لجن متخصصة (الشؤون العامة، الميزانية، الأشغال الكبرى، الطرقات، الأسواق والتغذية، الصحة، العمران...) يسير كلا منها خليفة لرئيس الأشغال البلدية.

• وفي طنجة، وقّعت الدول الأوربية، سنة 1923، على معاهدة تحدد القانون الجديد لإدارة المدينة، معوِّضة بذلك الإدارة الدولية العاملة منذ 1878. هنا، يقوم مندوب السلطان بدور الباشا، أي رئيس البلدية، يترأس المجلس التشريعي الدولي المؤلف من سبعة وعشرين عضوا يمثلون السكان الأجانب والمغاربة الذي يصدر القوانين والقرارات التنظيمية. وتمارس لجنة الرقابة المكونة من قناصل الدول الموقعة على معاهدة الجزيرة الخضراء، إضافة إلى ممثلي الولايات المتحدة والاتحاد السفياتي منذ 1945، حق المصادقة أو الاعتراض على هذه القوانين والقرارات التي صوت عليها المجلس التشريعي. غير أن جل الوظائف الرئيسية يتقاسمها الفرنسيون والإسبانيون، كما يتولى مهمة الإدارة الفعلية للمدينة حاكم عام (وهو منصب يتناوب عليه الأوربيون) بمساعدة أربعة نواب أوربيين.

على غرار النظام البلدي الذي أقامه الفرنسيون في المنطقة الجنوبية من المغرب الخاضعة لهم، أنشأ الإسبانيون في المنطقة الشمالية بلديات في المدن التي كانت تتعدى آنذاك 2.000 نسمة. هناك أيضا يملك الباشا، ممثل خليفة السلطان، نفوذا صوريا كبيراً بصفته رئيس البلدية، غير أن الحاكم الحقيقي هو المراقب الإسباني المدني أو العسكري حسب الحالات، ويوجد المجلس البلدي، الذي يترأسه هنا المحتسب، تحت وصاية ومراقبة المندوب السامي الإسباني الذي يعين أعضاءه.

بقي هذا التنظيم البلدي، الذي وضع في أوائل الاحتلال، قائما بدون تغيير كبير طيلة مدة الحماية، في جنوب المغرب كما في شماله. وقد تبدلت الأوضاع شكليا مع الاستقلال بنهاية الإدارة الاستعمارية. ثم جاء قانون 23 يونيه 1960 المنظم للجماعات فأقر مبدأ انتخاب المجالس البلدية. غير أنه لم يمنحها أي صلاحيات هامة، بل قوى كثيرا مكانة الباشا الذي استعاد ما كان قد سلبه منه رئيس الاشغال البلدية من نفوذ، فغدا الحاكم شبه المطلق للمدينة.

ولزم انتظار قانون 30 شتنبر 1976 لتسجيل إصلاحات هامة على صعيد تنظيم وتسيير البلديات بحيث غدت المجالس أكثر تمثيلية للسكان، وخففت بشكل ملموس وصاية وزارة الداخلية عليها عن طريق إضعاف نفوذ الباشا وتدعيم دور رئيس المجلس الذي غدا هو المحرك الأساسي للبلدية، وتصب نشاطها. وأصبح للمجلس البلدي الصلاحية الكاملة في تحديد جدول أعمال جلساته دور تدخل مباشر للسلطة المركزية في ذلك، وكذا الأهلية لوضع برامج إنعاش وتجهيز المدينة في كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية في إطار الخطة الإنمائية الجهوية والوطنية.

ولتسهيل مأمورية المجالس البلدية، منح هذا القانون إمكانات مالية وبشرية جديدة وهامة للبلديات. فقد تم

إصلاح إجراءات المصادقة على ميزانية البلدية وتحسين تدبيرها. كما تدعمت المداخيل المالية بشكل واضح عن طريق إعفاء البلديات من بعض النفقات الإجبارية التي كانت تتحملها (بالنسبة للتعليم والصحة والشرطة وغير ذلك)، وحصولها على تسعة أعشار مداخيل الضريبة الحضرية (التي رفع قيمتها القانون المالي لسنة 1978)، علاوة على عائدات مكوس جديدة تستمد من استهلاك الماء والكهرباء بالمدينة، وكذا من استعمال الملاعب الرياضية البلدية. كذلك أصبحت البلديات تستفيد من الاعانات المالية التي يقدمها صندوق تنمية الجماعات المحلية الذي انشأته الدولة، وتستطيع أخذ القروض من صندوق تجهيز الجماعات وصندوق المدن العربية. وفي 1987، غدت البلديات تتقاضى 30٪ من مداخيل الضريبة على القيمة المضافة، علاوة على ما تدره الضريبة المهنية من مداخيل كبيرة.

ويخول القانون أيضا للبلديات إمكانية إقامة نقابة فيما بينها من أجل التعاون لإنجاز مشاريع مشتركة تتطلب اعتمادات هامة وتبادل الخبرات، كما أن لها الحق في إبرام عمليات التوأمة مع مدن أجنبية عبر كل أنحاء العالم.

ولتحسين تدبير هذه المداخيل والقيام بالمهام الجديدة التي تحتاج إلى كفاءات أفضل، كان من اللازم تدعيم التأطير البشري للبلديات عن طريق توظيف مستخدمين يستجيبون للمتطلبات المحدثة. وقد ساعد على ذلك قانون جديد سوّى بين موظفي البلديات وموظفي الدولة، وكذا فتح مؤسسات لتكوين الأطر المتخصصة الضرورية.

ومما زاد من فعالية إصلاح 1976 في عديد من البلديات أن مستوى تكوين أعضاء المجالس البلدية قد تحسن بشكل عام بالمقارنة مع الفترات السابقة. فهؤلاء ينتخبون بالاقتراع المباشر لمدة ست سنوات. يلزم المجلس أن يجتمع أربع مرات في السنة في دورات عادية (فبراير، أبريل، غشت وأكتوبر)، يهيىء رئيس المجلس جدول الأعمال ويبعث بمحتواه للسلطات المحلية التي يمكنها أن تضيف إليه النقط التي ترى مناقشتها. كما يمكن استدعاء ممثلي المصالح الخارجية لحضور الجلسات.

هكذا يكون النظام البلدي بالمغرب قد مر بمراحل شتى وقطع لحد الأن أشواطا هامة ليصير من المؤسسات المهيكلة الرئيسية في حياة المدن الكبيرة والمتوسطة. وقد عمل نمو هذه المدن وتكاثر سكانها بسرعة وتعقد مشاكلها على تعدد البلديات وانتشارها عبر مختلف التراب الوطني. بل إن المدن الكبرى أصبحت تتقاسم كلا منها بلديات متعددة. إن عدد البلديات بالمغرب، بعد أن ظل مستقراً طيلة الفترة الاستعمارية قد صار في الستينات 28 بلدية، وفي السبعينات 29 بعد استرجاع مدينة إفني سنة 1969، و نحو 45 في مستهل الثمانينات (خمس منها بالصحراء المسترجعة وخمس أخرى بالدارالبيضاء)، وقرابة 70 بلدية في بداية التسعينات (باعتبار 17 بلدية بالدارالبيضاء وحدها، أربع بالرباط ـ سلا، وثلاث بكل من فاس ومكناس ومراكش).

P. Decroux, *La vie municipale au Maroc*, Paris, 1932 ; S. Benbachir, *L'Administration locale du Maroc*, Casablanca, 1969 ; M. Belfquih et A. Fadloullah, *Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc*, Rabat, 1986 ; D. Basri, *L'Administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990.

عبداللطيف فضل الله

البلديون، فئة متميزة داخل المجتمع الفاسي التقليدي. وتطلق هذه التسمية على ذوي الأصل اليهودي الذين اعتنقوا الإسلام خلال حقب مختلفة. وقبل أن يُسموا بالبلديين كانوا يُنعتون بـ"المهاجرين" وبالإسلاميين أو "العوام". ومن البيانات التي تُقدم لتفسير مصطلح "المهاجرين" أن اليهود الذين رفضوا تبديل دينهم خلال عهد المرينيين أصبحوا ينعتون إخوانهم الذين اعتنقوا الإسلام بالمهاجرين، أي الذين هجروا اليهودية إلى الإسلام. إلا أن هذه التسمية اختفت بعد القرن الحادي عشر (17 م) لتحل محلها تسمية "البلديين"، وهو ما تؤكده المصادر المكتوبة

إن ظاهرة اعتناق الإسلام من طرف اليهود المغاربة ظاهرة قديمة ترجع إلى العصور الأولى للدعوة الإسلامية بشمال إفريقيا. ويشير عبدالواحد المراكشي إلى أن مسألة وجود الإسلاميين ذوي الأصل اليهودي قد شغلت بال الأمراء الموحدين الذين وضعوا يهود دولتهم أمام اختيارين لا ثالث لهما : إما الإسلام أو السيف. لذلك فإن يهود المغرب على عهد الموحدين إما أسلموا وإما تظاهروا بالإسلام في انتظار ظروف تسمح لهم بممارسة ديانتهم. وقد أدى ذلك إلى صعوبة التفريق بين المسلم حقاً والمتظاهر بالإسلام، وهو ما دفع الموحدين إلى أن يشككوا في حسن إسلام اليهود ككل، ويلزموا الجميع بلباس زي خاص تمييزاً لهم عن بقية الرعية.

لكن ظاهرة الإسلاميين لم تكتسب البُعد الذي عرفت به في تاريخ مدينة فاس إلا في عهد المرينيين. ففي عهد الدولة المرينية التحق بالإسلام عدد من الأسر اليهودية وذلك خلال ثلاث مراحل. المرحلة الأولى ابتدأت بسنة 1276/674 عندما هاجمت عامة فاس اليهود بالمدينة فتدخل السلطان أبو يوسف يعقوب (ت. 1286/685) لحمايتهم. وبعد هذا بقليل نقل السلطان عاصمته إلى فاس الجديد ونقل معه اليهود إلى ملاحها. ويُعتقد أن العديد من العائلات اليهودية فضلت اعتناق الإسلام لتبقى بالمدينة القديمة ولتُحافظ على مصالحها التجارية هناك.

أما المرحلة الثانية فيرجع تاريخها إلى سنة 1438/842 وهي مرتبطة بعودة الشرفاء الأدارسة إلى مسرح الحياة الدينية والسياسية بالمدينة. ففي تلك السنة بالضبط تم اكتشاف قبر المولى إدريس الذي أصبح ضريحاً يحيط به حرم يزار ويُقدس. وكان من الطبيعي أن تتعزز قُدسية المدينة القديمة بصفة عامة كنتيجة لذلك وأن يُطالب أهل الذمة بإخلاء "فندق اليهودي" للالتحاق بإخوانهم بفاس

الجديد. وهنا كذلك فضلت بعض عائلات الأثرياء من اليهود، خاصة ممن كانت لهم مصالح بالقيسارية، أن تعتنق الإسلام لتبقى بالمدينة الإدريسية.

وأخيراً هناك مرحلة ثالثة جاءت بعد سنة 1465/869 وهي السنة التي ثار فيها أهل فاس على عبدالحق بن أبي سعيد، آخر الملوك المرينيين، المعروف بعبدالحق الأصغر. وكان قد اتُّهم بتقريب اليهود وجعل أمور المسلمين في أيديهم. وتذكر المصادر التاريخية أن اليهود كانوا قد بلغوا في عهده شأواً كبيراً واستأثروا ببعض المناصب الهامة في الدولة كالوزارة والحجابة والإشراف على الشرطة وجمع المغارم والمكوس. وحسب ذكر *قصة المهاجرين* المجهول المؤلّف فإن عبدالحق هذا كان يقبض المغارم حتى من الشرفاء، وهو ما أثار امتعاض واستياء أهل فاس بصفة عامة. وفي عهده كذلك استطاع البلديون أن يعودوا إلى قيسارية فاس بعد أن كانوا قد أخرجوا منها في سنة 1276/674. وبرجوعهم إلى القلب التجاري النابض للمدينة أصبحوا يزاولون الحرف والأنشطة التي كانوا ممنوعين منها بدعوى الغش وقلة المروءة والتعامل بالربّا. وقد سمح عبدالحق للبلديين بالعودة إلى القيسارية مقابل هدية سنوية تعهد هؤلاء بدفعها للسلطان. إلا أن أمر هذه الهدية لم يبق محصوراً في المهاجرين بل فُرضت المساهمة فيها على جميع تجار القيسارية بمن فيهم الشرفاء، وهذا ما أثار غضب أهل فاس وهيأ الظرف المواتي لتفجر الأوضاع ضداً على اليهود وعبدالحق الذي اتُّهم بالتواطؤ معهم وتفضيلهم على سائرالفئات الاجتماعية. وكان البلديون في عهده قد استفادوا من امتيازآخر زاد من حقد أهل فاس عليهم. وتمثل هذا الامتياز في تفويت الحوانيت الحُبسية لصالح التجار البلديين الذي سُمح لهم بشراء حق الجلوس فيها. واستمرت الأمور على هذا الحال إلى أن ثار أهل فاس بقيادة الشريف محمد الحفيد الجوطي على السلطان عبدالحق سنة 1465/869 وهي السنة التي قتلوه فيها ثم بايعوا الشريف المذكور محله. وكان ذلك إيذاناً بإطلاق يد القتل في يهود فاس وإخراج البلديين مرة أخرى من القيسارية بعد أن انتُزعت من أيديهم حوانيت الأحباس.

بقيت الأمور على حالها إلى أن جاء أحمد بن محمد الوطاسي (1549.1526/956.933) فرد الاعتبار للبلديين وعيّن منهم أحمد المنجور الإسلامي قابضا للمكوس، وبما أنه كان في حاجة إلى المال لمحاربة السعديين بالجنوب فإنه سمح لتجارهم بالرجوع إلى القيسارية مقابل مبلغ يدفعونه كل سنة. ومن جديد احتدّ الصراع واختلف العلماء في فتاويهم حول مسألة التمييز بين البلديين وغيرهم من المسلمين. ولما جاء السعديون تمسك محمد الشيخ المهدي بالفتاوي المناوئة للبلديين فأخرج هؤلاء من أسواق فاس الإدريسية، لكن حفيده الأمير المامون الشيخ أصدر سنة 1601/1010 ـ عندما كان والياً على فاس نيابة عن والده أحمد المنصور الذهبي ـ ظهيراً يندد فيه بما كان الإسلاميون يتعرضون له من تمييز واحتقار ويؤكد حق جميع تجار المسلمين في ولوج أسواق المدينة.

وبعد أن ضعفت الدولة السعدية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر(17 م) أصبح البلديون بفاس عرضة من جديد للاضطهاد والتفرقة. وكان الفقيه محمد بن أحمد ميارة (ت. 1073 / 1662) في طليعة المدافعين عنهم من خلال مؤلفه *نصيحة المغترين وكفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين* الذي بيّن فيه بطلان الفتاوي التي تكرس التمييز بين المسلمين على أساس العرق أو الانتماء السابق لغير الإسلام. ويظهر من هذا المؤلّف أن الشرفاء هم الذين كانوا يحملون لواء العداء للبلديين، وكان طبيعياً أن يؤكدوا على الحسب والنسب كأساس للتراتب الاجتماعي لأن ذلك كان يسمح لهم باحتلال الصدارة في المجتمع خاصة في مواجهة البلديين الذين استطاعوا بفضل كفاءتهم التجارية والعلمية أن يبرزوا كقوة تُضايق باقي الفئات الاجتماعية.

وعلى الرغم من مرور السنين والقرون فإن ظاهرة المهاجرين أو البلديين لم تتآكل بفعل الزمن وظلت تطفح إلى سطح الأحداث من حين لآخر. وخلال العصر العلوي استطاع البلديون أن يتبوؤوا مكانة متميزة في المجتمع الفاسي ونبغوا على الخصوص في مجال التجارة كنتيجة لتفتح المغرب المتزايد على التجارة الأوربية، ولكنهم كذلك أنجبوا العديد من العلماء اللامعين. ولاشك أن هذا النجاح كان وراء احتدام الصراع من جديد بشأن البلديين. ولم يكن المولى إسماعيل ينظر إليهم بعين الرضى و يرى فيهم قوة تُعارض سياسته بمدينة فاس سواء فيما يتعلق بمسألة تمليك الحراطين (موقف عبدالسلام جسوس) أو المساهمة العسكرية والجبائية للمدينة (تهرب أهل الثروة من تقديم الرماة). لكن المولى إسماعيل أقر تجارهم على وضعهم السابق الذي كان لهم زمن أخيه الرشيد والمتمثل في إبقائهم بالقيسارية مع إلزامهم بوضع شارة مُميزة فوق حوانيتهم. «فلما مات المولى إسماعيل أسقطوا الشارة بالمرة ـ يقول صاحب *ذكر قصة المهاجرين* ـ ولم يجدوا من يُنازع، وحتى إن وُجد مُنازع لا يصغى إليه» ويظهر أن العلاقة بين البلديين وباقي العناصر قد تأزمت بشكل ملحوظ خلال القرن الثاني عشر(18م)، والدليل على ذلك الجدل الذي ظهر حول أفضلية العرب أو بني إسرائيل، والتهم المضادة المتبادلة بين أنصار الحسب والنسب العربي والمسلمين الجدد المنسوبين إلى العجم. ومن تلك التهم ما وجهه محمد بن الطيب القادري (ت. 1773/1187) إلى العالم محمد بن زكري (ت. 1731/1144) من أنه ألف كتاباً ينتصر فيه لبني إسرائيل وينقص من شأن العرب. لكن القادري يعترف بأنه لم يطلع على الكتاب وأن ما وصله كان عن طريق السمع والرواية فقط. أما أبو القاسم الزياني (ت. 1833/1249) فيذكر أنه تحرى الأمر وطالع مؤلف ابن زكري دون أن يجد فيه أثراً لما اتُّهم به من شُعوبية. و الذي يهمنا هنا هو الجدل حول الموضوع وهو مؤشر واضح لاستمرار الصراع بين البلديين وخُصومهم.

وعند بداية القرن الثالث عشر(19 م) أُثيرت المسألة من جديد في شكل مؤلف وضعه أحمد بن عبدالسلام بناني (ت. 1818/1234) ينتصر فيه لابن زكري السابق الذكر وينفي عنه تهمة الشعوبية. ومما لا شك فيه أن البلديين أصبحوا مع نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، إذ نجد ضمن كبار التجار عدة أسماء تنتمي إلى هذه الفئة الاجتماعية، وفي مقدمتهم الطالب ابن جلون، أكبر التجار الفاسيين على الإطلاق وأمين بيت المال بفاس خلال عهد المولى سليمان. كما احتل العلماء البلديون الصدارة ضمن فقهاء الحضرة الإدريسية، وتكفي الإشارة هنا إلى محمد الطيب ابن كيران (ت. 1812/1226) شيخ الجماعة، وعبدالقادر ابن شقرون (ت. 1805/1220) وقد نُسب للسلطان المولى سُليمان تقريبُه البلديين وتفضيلُهم على غيرهم. ونجد في تاريخ الضعيف انتقاداً صريحاً لموقف السلطان تجاه هذه الفئة. «وكان السلطان ـ يقول الضعيف ـ يُساعدهم ويُوافقهم في الأمور ويُحبهم محبة كبيرة ويفضلهم على غيرهم من أهل فاس ويُعاملهم بالمال ويدفع في أيديهم السِّلع، ونالوا معه وأدركوا مالاً وافراً». كما يورد المؤرخ الرباطي بيتين لشاعر مجهول يعكسان نفس التذمر من سياسة المولى سليمان تجاه فئة البلديين :

بنو قُريضة قد نالوا مرادهـــمُ ... مـن الأمير وحـازوا غايـةَ الأرب
لا عيب فيه سوى تفضيله لهمُ ... على بنـي المصطفى وجملة العرب

ولا شك أن البلديين قد استفادوا خلال القرن الثالث عشر (19 م) من الاندماج التدريجي لاقتصاد المغرب ضمن النظام العالمي وخاصة عبر نمو المبادلات التجارية مع أوربا. كما أن حاجة المخزن المتزايدة للمال وذوي الخبرة في تسيير الشؤون المالية والإدارية سمحت للعديد من التجار البلديين بولوج أبواب الخدمة المخزنية. وكانت نتيجة ذلك أن اتسعت الفوارق الاجتماعية بين أهل اليسار وغيرهم من الفئات التي تضررت من الآثار السلبية للانفتاح التجاري على أوربا. وقد اتخذ تذمر هذه الفئات عدة أشكال من بينها انتفاضة الدباغين بفاس عام 1290/ 1873 ضد الأمين محمد بنيس الذي حُمل مسؤولية فرض المكوس على أصحاب الحرف بالمدينة. ولا أدل على استمرار مشاعر العداء للبلديين بفاس خلال النصف الثاني من هذا القرن من هذه الأبيات لمحمد العربي المشرفي (ت. 1895/1313) :

كم من مكان بيّضوه بالبنـا ... وسودوا وجهَ الإسلام بالغنـــا
أموالُهم قد كثرت من الرِّبـا ... ومن مكوس صعدت على الرُّبا
تقدموا ونالوا غاية الأرب ... تـأمّروا وذلّ أبنـاءُ العـــرب

مؤلف مجهول، *ذكر قصة المهاجرين بفاس*، مخطوط خ. ع. ك 270/ 8 ؛ م. ميارة، *نصيحة المغترين*، مخطوط خ. ع. م. ك 923 ضمن مجموع ؛ م. القادري، *نشر الثاني*، تـ. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977.1986.

محمد المنصور

بَلْطي، جنس أسماك نهرية بالخصوص، من شائكات الزعانف ومن فصيلة البلطيات Cichlidae ويدعى أيضا المشط.

من مميزاته منخر واحد في كل جانب بدل اثنين عند باقي الأسماك الأخرى. الحراشيف دُوِيْرية.

موطنه الأصلي افريقيا الاستوائية وشبه الاستوائية وقد تم إدخالها إلى بلدان أخرى بآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى وذلك لمحاربة يرقنات الناموس والبعوض بالبحيرات وكذلك لتربيتها التي أعطت نتائج مرضية.

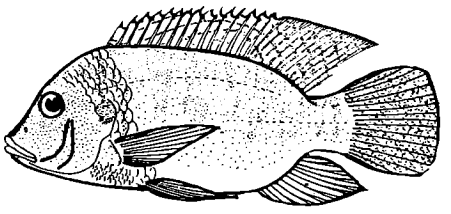

أنواع هذا الجنس كثيرة، جميعها متوسطة القد أو صغيرة يوجد منها نوعان بالمغرب بالأنهار القريبة من المناطق الصحراوية. يسمى النوع الأول بلطي زيلة Tilapia Zillü وهو شائع في الأنهار بأفريقيا الاستوائية والبيمدارية. يبلغ طوله 28 سم ويزن 1.000 ـ 1.070 غ. والنوع الثاني بلطي طبرية Sarotherodou galilaeus (Tilapia) يبلغ طوله 33-34سم ويزن 1.600 غ.

تعيش هذه الأنواع بالأنهار المجاورة لتزنيت وتتغذى من الطحالب والبلانكتون والحيوانات الصغيرة ولكن الطيورالآكلة للحوم تُقْبل على اصطياده. أما الأهالي وإن اصطادوه فإنهم قلما يأكلونه لا لأنه غير صالح للتغذية، ولكن اعتباراً لعاداتهم الغذائية التي تلغي السمك غير البحري من مأكولاتهم.

يتميز البلطي بكون الأنثيات منه تبيض عدة مرات في السنة وتحتضن في أفواهها صغارها. لحمه لذيذ وكثيرا ما يكون جزءاً هاماً من الأسماك فَي أسواق عدة مدن إفريقية.

J. Daget et J.R. Durand, *Les Poissons : Faune et flore aquatiques de l'Afrique Sahelo-Soudanienne* II, 1981 ; J.P. Farthouat, *Les ressources piscicoles des eaux du Maroc : Nature et forêts*, N° 5, 1975, p. 5 - 13.

محمد رمضاني ومحمد الملحاوي

بلعيد، أحمد بن محمد الزياني الرباطي، من حفاظ الأشعار والموشحات والأزجال لطرب الآلة، ومن الماهرين في العزف على العود. كان أميـاً لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يتمتع بحس دقيق وذاكرة قوية، يلازم الوطني الغيور أحمد الجبلي العيدوني، ويعمل معه في ميدان الحركة الوطنية في عهودها الأولى، وعرف بالكرم والبذل على قلة ذات يده.

توفي بالرباط أوائل الخمسينات من هذا القرن.

تقاييد، ومعلومات خاصة.

م. الأمين بلكناوي

بَـلْعيد (الحاج ـ) **محمد** البعقيلي، من أكبر "الريّاس" الموسيقيين الذين نتوفر على جزء مهم من أعمالهم ؛ فهو أشهر مؤلف موسيقي للأغنية الأمازيغية بالجنوب المغربي، وقد سجل أكثر من ستين قصيدة على أسطوانات " 78 دورة"، من بينها ثلاث عشرة أسطوانة أعيد تسجيلها على أسطوانات ميكروسيون " 45 دورة" قبل انتشار الشريط الصوتي (الكاسيط)، بالاضافة إلى مجموعة من القصائد الشعرية غير المسجلة. وبذلك يكون الحاج بلعيد من بين المغنيين المغاربة الأوائل الذين سجلت إنجازاتهم الفنية في فونوغراف مع بداية العشرينات من هذا القرن، حيث بدأ الرايس بلعيد في تسجيل أغانيه لدى شركة "غراموفون" الانجليزية الأصل (قصيدة «وارلامان» رقم 4094 K مثلا) قبل أن يلتزم مع «بيضافون» التي تعتبر أكبر شركة غير أروبية للأسطوانات، والتي عملت في الشرق الأوسط وشمال افريقيا في مطلع هذا القرن (Racy : 39) ؛ إلا أن علاقة المغني السوسي بهذه الشركة لم تخل من مشاكل نتيجة لمحاولة ممثل بيضافون بالمغرب، السيد تيودور الخياط، استغلال الحاج بلعيد وفنه بأبخس الأثمان ؛ وتوجد عدة أدلة على ذلك من بينها رسالة مؤرخة بتاريخ 12 شعبان 1933/1352 يعبر فيها موجهها السيد محمد القباج لفناننا عن استعداده للتدخل لتسوية النزاع القائم بينه وبين الخياط. ومع ذلك فإن هذه المشاكل لم تمنع الحاج بلعيد من التعامل حتى السنوات الأخيرة من حياته مع شركة بيضافون في غياب بديل آخر.

كان الحاج بلعيد معلماً مشهوراً وسط "الروايس" في عهده. بل إن الكثير منهم تتلمذوا على يديه، حيث يكون تقديم أغانيهم عادة على الشكل التالي : الرايس فلان أمحضار ن ـ لحاج بلعيد (أي تلميذه).

سافر الحاج بلعيد إلى الشرق ومكث فيه سنتين متتابعتين حيث أدى فريضة الحج قبل رجوعه ليستمر في تكوين أفواج من" الروايس" إلى أن توفي قبل نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد أشرف منذ الحرب العالمية الأولى على تكوين عدد من "الروايس" وعدة أجواق موسيقية. ويستفاد من رسالة مؤرخة بسنة 1919/1338 أنه كان يتم اللجوء إليه كفنان للحصول على بعض المغنيين الأمازيغيين الراغبين في الغناء والرقص في المقاهي، وتفيد نفس الوثيقة أيضا أن الرايس محمد بُودْرَعْ كان عضواً في فرقته آنذاك قبل أن يعتزل المجموعة ليكون مجموعته الخاصة ؛ بينما ظل الرايس مبارك أُو- تْزرْوَالْتْ الذي رافقه منذ سنة 1927، إن لم نقل قبل هذا التاريخ، مرتبطاً به ووفياً له إلى اخر حياته. وكان الأمر كذلك بالنسبة للرايس العربي بن عبدالله.

ويحكى عن الحاج بلعيد أنه كان راعياً وهو غلام صغير في قريته أنُو- نْ ـ عْدُو التي تبعد عن مدينة تزنيت بمسافة اثني عشر كلم شرقاً. فكان آنذاك يتقن الغناء بالمزمار، مما جعله يلفت انتباه شيخ زماة سيدي محمد أُصالح أُتزروالت، الذي أدمجه في فرقته البهلوانية. وخلال تنقل الشاب بلعيد مع هذه الفرقة باعتباره واحداً ممن يتقنون الغناء بالمزمار، كان يعمد ـ في أوقات فراغه ـ إلى العزف على آلات موسيقية أخرى وخصوصاً منها الرّباب، وظل الأمر على هذا النحو إلى نهاية القرن الماضي تقريباً. وحسب أقدم وثيقة متوفرة لدينا، وهي وثيقة شخصية يعود تاريخها إلى سنة 1908 م، فإن الرايس بلعيد قد حل بمدينة طنجة قبل أن يسافر إلى الشرق العربي. وفي يوم 28 أكتوبر 1910 وصل بلعيد في طريق عودته من الحج إلى مدينة مرسيليا الفرنسية واتصل هناك بقنصلية الإمبراطورية العثمانية قبل عودته إلى طنجة ثم إلى الصويرة.

ومنذ ذلك الوقت والحاج بلعيد ينتقل مع مجموعاته المتوالية متجولا بين قصور القواد والأعيان في كل من سوس والأطلس وحتى في مراكش والصويرة. وما فتىء طوال هذه الفترة يتلقى من شتى مناطق البلاد دعوات مكتوبة يوجهها إلى بعض الرؤساء السياسيين والأغنياء، بل وحتى من الجاليات المغربية المقيمة بفرنسا. فالكل يود الاستماع إلى أغانيه وألحانه. كما كان في ذلك الوقت يتوصل بهدايا عينية بخاصة من القواد والأثرياء في الظروف العادية وحتى في أوقات الأزمات. وفي سنة 1932م كان الحاج بلعيد ضيفاً عند بروسبير ريكار Prosper Ricard في معهد الموسيقى المغربية الحديث التأسيس بالرباط، حيث قنن الباحث الموسيقي أليكسيس شوطان Alexis Chottin الخطوط الرئيسية لبعض أعماله الموسيقية شأنها شأن أعمال الرايس الساسبو والرايس إبراهيم (Service : 45-53). وكان الحاج التهامي الأگلاوي باشا مراكش هو الذي قدم الفنان السوسي للباحث الفرنسي المذكور.

وحسب ما رواه لنا المرحوم الشيخ الحاج موسى بن الطيفور، وهو واحد من الذين زودونا بأخبار الحاج بلعيد، فإن لقاء الأگلاوي بالحاج بلعيد كان في مدينة تزنيت إبّان الرُّتْلْ (الطابور) الأول الموجه إلى سوس قصد الاحتلال سنة 1917 م بحضور القائد الطيب الگنتافي. ومنذ ذلك الوقت والحاج بلعيد ينزل ضيفا على أگلاوة بمراكش وتلوات.

خط الحاج بلعيد وطابعه

كان الحاج بلعيد يقوم بجولات عمل في جنوب تزنيت إلى غاية نواحي أيت باعمران الواقعة آنئذ تحت حماية الإسبان، وفي شمالها حتى مراكش والصويرة، ولعل أطول جولاته وآخرها هي التي قام بها إلى العاصمة الفرنسية باريس سنة 1938. ولا شك أنه كان يطمح للذهاب إلى فرنسا منذ أن أنشد قصيدة بعنوان : أمُودُّون باريز (الرحلة الباريزية) يصف فيها - دون أن يكون موجوداً بعين المكان - حلول سلطان المغرب محمد بن يوسف بالعاصمة الفرنسية عام 1931 (Galand-Pernet : 47-51). ثم إنه توصل سنة 1935 بدعوة من الجالية المغربية برويل - مالميزون (Rueil-Malmaison) بضواحي باريس وبأخرى بعد سنتين ؛ غير أن الظروف لم تسمح له بتلبية الدعوتين. وفي الأخير فإن جولته في فرنسا جاءت نتيجة اتفاقه مع شخص يحمل اسم الرايس حماد شحوريم المعروف بگُّو - گلّو كان يعمل في «سيرك» شعبي وأبرم مع فناننا عَقداً مدته ثلاثة شهور يلتزم بموجبه الحاج بلعيد بتقديم سهرات موسيقية مقابل مبلغ ضئيل كل شهر. في حين التزم الرايس حماد هذا من جهته بتنظيم جميع جوانب العمل بما في ذلك سفر الحاج بلعيد وأفراد فرقته وإقامتهم. وقد غنى الحاج بلعيد خلال هذه الجولة في جانڤيليي Genevilliers ونانتير Nanterre وكاتر- روت Quatre-Route بضواحي باريس، كما غنى في مدن أخرى حيث يوجد المهاجرون المغاربة كسانت - إيتيان Saint-Etienne وليون Lyon وغيرهما.

وخلال هذه الجولة سجل الحاج بلعيد لشركة بيضافون في باريس مجموعة من أخريات قصائده. وكانت هذه الأسطوانات تتميز بكونها تحمل في بدايتها الشعار الإشهاري التالي :«بيضافون الكومبنية الشهيرة، عمارة باريس، الحاج بلعيد والرايس مبارك والجماعة بحضور الأستاذ محمد عبدالوهاب». وكان من عادة هذه الشركة استعمال هذا النوع من المغالطات الإشهارية، مع العلم أن المغني المصري المذكور لم يكن حاظراً حسب المرحوم سيدي محمد أ بُوبكر الذي كان آنذاك عضواً في مجموعة الحاج بلعيد. في الواقع كان الأستاذ عبدالوهاب قد أصبح شريكاً جديداً في شركة بيضافون منذ عام 1931 م لما توفي ممثل مصر داخل الشركة، السيد بطرس بيضا، وهو أحد الإخوان الثلاثة المسؤلين عن شركة بيضافون (Racy : 41).

وفي سنة 1940 نقرأ في وثائق الحاج بلعيد أنه قد أعفي من الخدمة المخزنية بسبب تقدمه في السن. وبعد بضع سنوات توفي الحاج بلعيد حوالي عام 1944/1364 بعد أسبوع من المرض ودفن في قريته أنو- ن - عدّو بإدا - أ بُوعْقيل.

اعتمدنا في هذا التعريف بالحاج بلعيد على استجوابات مع شيوخ من تزنيت وضواحيها وعلى *بعض الوثائق* الموجودة في حوزة الرايس محمد ابن المرحوم. ومن بين *الأشخاص* الذين زودونا بمعلومات عن الحاج بلعيد الشيخ الحاج موسى بن الطيفور المتوفي في شهر فبراير 1990 عن سن تناهز المائة سنة، وكان ابن الطيفور يستضيف باستمرار الحاج بلعيد في رياضه بالعواينة ؛ كذلك سيدي محمد أ بُوبكر المترفى في الثمانينات الذي كان عضوا في آخر فرقة رأسها الحاج بلعيد ؛ والحاج محمد أ لعواينة والحاج الحسين إگيدر وكلاهما يستهويهما فن الحاج بلعيد من صباهما. فلهم جميعا منا جزيل الشكر.

Services des Arts Indigènes, *Corpus de musique marocaine*, fasc. II, Paris, 1933 ; P. Galand-Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs*, Paris, 1972 ; A. Racy, *Record Industry an Egyptian Traditional Music : 1904 - 1932*, *Ethnomusicology*, 20 (1), 1976, p. 23 - 48.

عبد الرحمان لخصاصي

البلغة، جاء في معجم دوزي حول كلمة «بلغة» ما يلي:"... هي النعل المصنوع من الحلفاء، كما أشار أيضاً إلى البيت الشعري الذي نقله ابن عبدالمالك المراكشي (القرن 8هـ) عن ابن عسكر المالقي (ت. 636 هـ) حول البلغاء :

لتبليغها المضطرُّ تدعى بِبُلْغَةٍ وإن قست بالتشبيه شبّهتها نعلا

تبين مما سلف ذكره أن وجود البلغة بالغرب الإسلامي قد عُرف منذ القديم كما لا تزال تلك البلغة المصنوعة من

الحلفاء مستعملة في بعض مناطق المغرب خاصة الجبلية إلى حدود الستينات. وتسمى بالأمازيغية "أُرْكَاسَنْ"، ويوجد نموذج من هذا الطراز معروضا بمتحف البطحاء في الجناح الخاص بالمجال القروي. وما يسمى الآن «البلغة» عند عامة الناس هو نوع من الأحذية المصنوعة من الجلد المدبوغ، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع :

1 ـ بلغة الرجال : وهي كلها من الجلد "فالوجه" يتكون من جلد الماعز مبطن بجلد الغنم، والنعل يتكون من جلد البقر.

2 ـ بلغة النساء : وتسمى "الشربيل" ويكون هذا النوع مطروزا بخيوط مذهبة أو بالحرير أو الجلد الملون ويكون "الوجه" في بعض الأحيان من الثوب. و"الشربيل" يلبس عادة في مناسبات خاصة كالأعراس والأعياد.

3 ـ النوع الأخير يسمى "الرِّيحيَّة"، ويكون كله من الجلد وتطرز بالجلد الملون في بعض المناطق المغربية.

وكانت صناعة البلغة في بعض المدن المغربية تعد من أنشط الحرف بها، فمدينة مراكش مثلا كانت تتوفر في سنة 1923 على 1411 صانعا يعملون في قطاع "البلاغي"، وكان هذا العدد موزعا على 300 معمل، كما توفرت في

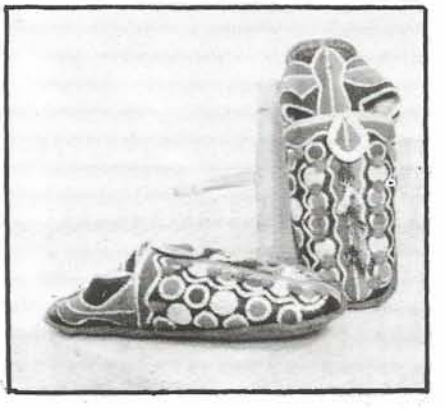

نفس السنة على واحد ومائة بائع لهذا الإنتاج.

أما مدينة فاس المشهورة بجودة إنتاجها في هذا القطاع في جميع أنحاء المغرب، بل حتى في بعض البلدان العربية الأخرى، فكان عدد "الخرازة" صانعي البلغة بها يصل إلى ألفي خراز سنة 1936، وكانت البلغة المغربية تصدر إلى باقي بلدان المغرب العربي ومصر والسينغال. وإذا كانت بعض المواد الحديثة "كالكارتون" و"البلاستيك" قد دخلت الآن في صناعة البلغة، بالإضافة إلى انتشار استعمال الأحذية العصرية، فإن البلغة ما زالت تتميز بجودتها وأناقتها واستطاعت أن تفرض وجودها في السوق الوطني وحتى في الخارج.

R. Dozy, *Supplèment*, T. 1 : 113 ; L. Massignon, *Enquête sur les corpotations d'artisans et de commerçants au Maroc, R.M.M.*, 1927, T. 58, p. 14 ; R. Guyot, R. Letourneau et L. Paye, *Les cordonniers de Fès, Hesp.*, T. XXIII, fasc., I, p. 8, 1936 ; P. Ricard. *Les métiers manuels à Fès, Hesp.*, 2ème Tr., p. 217, 1924.

علي أمهان

البَلْغَمِي ـ أسرة ـ ← **البلاغمة**

البَلْغَمِي، التهامي بن الحسن الفيلالي "الفقيه العلامة المشارك المطلع القاضي الأعدل المدرس النفاعة" (*سل النصال*)، ولد بفاس الجديد وبها نشأ وقرأ على كبار شيوخ عصره أمثال مَحمد القادري، ومَحمد گنون، ومحمد بن جعفر الكتاني، والمهدي الوزاني، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري.

اشتغل مدة طويلة بالتدريس وانتفع به عدد كثير من الطلبة، ومنهم عبدالسلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*. وتولى القضاء في عدد من المدن، أخراها مدينة تازا التي ظل قاضيا بها إلى أن تقدمت سنه كثيرا، فأُخر عن القضاء، ورجع إلى مسقط رأسه فاس الجديد حيث أدركته المنية صباح يوم الاثنين خامس عشر شعبان عام 1379 / 14 فبراير 1960..

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1309 ؛ *سل النصال*، الترجمة 50.

محمد حجي

بلغيث، عبدالواحد بن يوسف بن علي الشريف، وبلغيث أو أبو الغيث كنية له بها عرف واشتهر فصار أولاده يعرفون بأولاد بلغيث ثم بالبلغيثيين. كان عبد الواحد بلغيث يشتغل بالتجارة موصوفاً من لدن معاصريه بالصلاح والنسك، وخلّف من الأولاد ستة بسجلماسة. كانت منازلهم معروفة هناك في قصر يسمى أُخَنُّوس بجوار ضريح مولاي علي الشريف بالريصاني. لم نقف على سنة وفاة عبدالواحد هذا، ومرقده يوجد بمقبرة سيدي بوزكري بسجلماسة، وقبره مزارة هناك.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 228 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 297 ؛ *الدر السني*، 53 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 210 ؛ *الشجرة الشماء*، 275.

عبدالعزيز بوعصاب

البلغيثي، أسرة علوية من شرفاء سجلماسة الحسنيين، أخذت اسمها من الجد بلغيث (أبي الغيث) عبد الواحد بن يوسف بن مولاي علي الشريف سابق الترجمة.

وقد خرج أبناء بلغيث الستة من تافيلالت وتفرقوا في جهات المغرب فتكونت منهم فروع البلغيثيين في الحواضر والبوادي من بلاد توات بأقصى الجنوب إلى مراكش وفاس ومكناس وزرهون وتازا. وتكاثر البلغيثيون في الحاضرة الإدريسية وتفرعوا إلى أهل حومة العيون، وأهل الطالعة، وأهل حومة النجارين، وأهل الجزيرة، وأهل زقاق الحجر، حسبما هو مفصل في *الدرر البهية*. وأنجبت هذه الأسرة في القرون الخمسة الأخيرة عدداً من العلماء والأدباء والصالحين.

م. ابن الحاج، *الإشراف على بعض من فاس من الأشراف*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 210 . 230 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 11.

البلغيثي، أحمد بن **العربي** العلوي الحسني، فقيه أديب شاعر، اختلفت فيه روايتا إدريس الفضيلي وعباس الحجرتي السجلماسي، وكلاهما معاصر له. فقد حلاه الأول في *الدرر البهية* (1 : 228) بقوله :"يتقلب في بحر الإنشاء، كيف يشاء، فإذا نظم جواهر اللآلي، في سلوك المعالي، أو أسس قواعد المباني، في عمود المعاني، أتقن مبانيه غاية الإتقان، وحذف ما ثبت لابن خاقان ..." وقال إنه تولى خطة الكتابة في بلاط الحسن الأول مدة طويلة، وكان ملحوظاً لديه إلى أن أدركته الوفاة. بينما قال عنه الثاني في *الروض اليانع* :"الفقيه العالم العدل الفرضي... كان رحمه الله يتعاطى الشهادة بسماط عدول هذه الحضرة (فاس)، ثم لما تولى القائد السيد عبد الله بن أحمد السوسي تولى الكتابة معه هو والسيد محمد الصنهاجي، وبقيا كذلك إلى أن صارا كاتبين مع الوزير السيد محمد بت العربي الجامعي".

فقد يكون المترجمان مختلفين متفقين اسماً ونسباً، وإلا أمكن الجمع بين الروايتين بأن أحمد البلغيثي اشتغل بالشهادة والكتابة مع القائد والوزير قبل أن ينتقل إلى البلاط السلطاني، وإن كان سياق الحجرتي يقتضي أن عمله مع الوزير الجامعي اتصل بمرضه التي توفي منه ليلة الأربعاء ثالث وعشري ربيع الثاني عام 1307 / 11 دجنبر 1889.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 229-228 ؛ ع. الحجرتي السجلماسي، *الروض اليانع*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1307 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البلغيثي، أحمد بن علي بن محمد العلوي الحسني، من فرع البلغيثيين أهل زقاق الحجر بفاس، كان "علامة مشاركاً موقتاً معدلاً" (*إتحاف*)، له *شرح منهاج الطالب في تعديل الكواكب*، توجد نسخة منه بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا في 45 صفحة، لعله بخط الميقاتي محمد ابن علي الأغزاوي الفاسي. ومتن *منهاج الطالب* لأحمد ابن البناء المراكشي.

كان أحمد البلغيثي وثيق الصلة بالسلطان المولى سليمان، فوجهه صحبة ولده الطيب لزيارة ضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش فدخلوا تطوان وصعدوا أحد أبراجها، واتفق أن انفجر فيه صندوق بارود فمات أحمد البلغيثي بذلك الانفجار عام 1208 / 1793.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 227 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1208 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، 515. 516.

البلغيثي، أحمد بن **المامون** بن الطيب العلوي الحسني. ولد بفاس عام 1282 / 1865 وبها درس على أعلام الشيوخ أمثال محمد بن عبد الرحمان العلوي قاضي الجماعة بفاس، وعبد الملك بن محمد العلوي الضرير، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد بن الطالب ابن سودة، وجعفر بن إدريس الكتاني، وأحمد بن الخياط الزكاري، ومحمد بن قاسم القادري، ومحمد بن التهامي الوزاني، وعبد الله بن إدريس البدراوي. وأجازه بعضهم ورحل إلى المشرق ثلاث مرات، أولاها عام 1307 / 1889 حيث مكث ستة أشهر لقي خلالها جماعة من الشيوخ أخذ عنهم، وأجازه منهم بدر الدين بن يوسف المغربي الدمشقي.

كان أحمد بن المامون البلغيثي فقيهاً أصولياً معقولياً، وأديباً شاعراً ناثراً، وصوفياً تجانياً ذاكراً، ووطنياً غيوراً يشارك طلبته الشباب بفكره وعمله وماله، لا ينقطع عن التدريس في الإقامة والظعن، ولا يجف له قلم في تحرير الكتب التي يؤلفها، والرسائل والقصائد والمقامات التي يحبرها. وبالجملة كان وجهاً مشرقاً متميزاً في سماء المعرفة والأدب والشهامة بالمغرب طوال النصف الأول من القرن الرابع عشر (19 م). تولى خطة القضاء قبل الحماية

بالصويرة مرتين وبالعرائش. ثم عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط مرتين، فكان أكثر مقامه بمنزل باشا سلا العلامة الحاج محمد الصبيحي الذي كان شبه ناد علمي أدبي يغشاه كل مساء علماء العدوتين وأدباؤهما، وفي مقدمتهم الشاعر الطيب بن عبد الله ابن خضراء، والأديب المؤرخ محمد بوجندار. وكم لهم من مساجلات نثرية وشعرية تعد ـ لو جُمعت ـ طرفة أدبية رائعة. كما تولى قضاء الدار البيضاء ومكناس، ولم يكن يقرّ له قرار في مختلف الوظائف التي شغلها لصلابته في الحق وعدم مداراته فيه.

ألف أحمد بن المامون البلغيثي عدداً غير قليل من الكتب، طبع بعضها في حياته، وبقي معظمها مخطوطاً عند ولده الشاعر عبد المالك في فاس، وبعضها في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، منها :

الابتهاج بنور السراج شرح به قصيدة الأديب العربي المساري في العلم وآداب التعلم. طبع بمصر في جزءين عام 1319 ؛ *حسن النظرة في أحكام الهجرة*، طبع أيضاً ؛ ديوان شعر : *تنسم عبير الأزهار بتسنم ثغور الأشعار*، مخطوط في أربعة أجزاء ؛ *تشنيف الأسماع، بأسماء الجماع، وما يلائمه من مستلذات السماع*، جزآن، *مجلي الحقائق، فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق* ؛ *تحبير طرسي، بعبير نفسي، في التعبير عن نفسي* ؛ *فتاوى وأحكام*، في ثلاثة أجزاء ؛ *بيان الخسارة، في بضاعة من يحط من مقام التجارة* ؛ *استدراك الفلتة على من قطع بقطع البتّة* ؛ *تشطير قصيدة ابن أبي جمرة في ختم صحيح البخاري* ؛ *رحلة حجازية مخطوطة*، *رحلة حجازية* ثانية منظومة بعنوان *النحلة الموهوبة النجازية، في الرحلة الميمونة الحجازية*، طبع بفاس عام 1346 / 1927.

توفي أحمد بن المامون البلغيثي بفاس عام 1348 / 1929.

أ. البلغيثي نفسه، *تحبير طرسي*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 225 ؛ م. القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 15 ؛ ع. ابن إبراهيم، *جواهر الكمال*، 1 : 52 ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات*، 2 : 227 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 437 ؛ ع. الفاسي، *معجم الشيوخ*، 1 : 183 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 102 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1348 ؛ *سل النصال*، الترجمة 7 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 39 ـ 40 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 134 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 201 ؛ م. رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 2 : 56 ؛ إ. البغدادي، *إيضاح المكنون*، 1 : 9 ؛ م. العلمي، *أحمد بن المامون البلغيثي وبعض مظاهر التجديد في شعره*، ندوة كلية الآداب ـ وجدة 1984، الدار البيضاء 1986 ؛ *تحقيق ديوان أحمد بن المامون البلغيثي*، د.د.ع.

البلغيثي، إدريس بن الطايع العلوي الحسني الفاسي. عالم رياضي موقت حكيم مشارك، امتاز في عصره بالتفوق في العلوم العقلية، وهو الذي صحح *كتاب إقليدس* حين طبع على الحجر بفاس.

توفي بفاس في 28 رجب عام 1322 / 8 غشت 1904.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1322.

البلغيثي، إدريس بن عبد الرحمان العلوي الحسني. "له باع طويل في التدريس والفتيا، إمام في سائر العلوم". اختصر *المعيار المغرب* لأحمد الونشريسي في سفرين. وعاش ممتعاً بالحظوة والثروة مع القناعة والزهد. ولم يذكر الفضيلي تاريخ وفاته.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 252 ـ 253.

البلغيثي، الطاهر بن أحمد العلوي الحسني. ولد عام 1276 / 1859، ودرس على كبار شيوخ القرويين بفاس إلى أن تخرج فقيهاً أديباً ناثراً شاعراً. وفي سنة 1296 / 1878 عمل كاتباً مع الحسن الأول ثم مع ابنه عبد العزيز. له كناشة علمية حافلة وقف عليها عبد السلام ابن سودة، كما وقف له على *قصائد* عديدة جلها في المدح، وأورد له قطعة خمّس به إحدى قصائد أبي نواس الخمرية.

توفي بمراكش يوم الاثنين ثامن ذي قعدة عام 1316 / 20 مارس 1899، ودفن بروضة الشيخ عبد القادر الجيلالي هناك.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 229 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1316 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 265 ـ 267.

البلغيثي، الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني، عالم عامل وصالح عارف. أخذ عن الشيخين التاودي ابن سودة، وابن شقرون وغيرهما، وكان على صلة وثقة بالولي أبي القاسم الوزير الغساني.

توفي بتافيلات في ربيع الثاني عام 1234 / يناير ـ يبراير 1819.

م. الكتاني، *سلوة*، 3، 28.

البلغيثي، عبد الكريم بن محمد بن أحمد العلوي الحسني، "فقيه نبيه، باقعة زمانه وأوحده نبلا وفضلا وسياسة وجوداً وشجاعة وإقداماً" (*إتحاف أعلام*، 5 : 294).

استوزره السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، وقاسى معه شدائد الاضطرابات التي تسبب فيها جيش العبيد، ولا تعرف ظروف وفاته ولا تاريخه على وجه التحديد، وإنما يذكر أنه توفي بمكناس في حدود الخمسين 1150 / 1737 زمن الوباء. ومن المعلوم أن المولى عبد الله انهزم في هذه السنة أمام أخيه محمد ابن عربية الذي كان يؤازره عبيد البخاري، وطاردوه إلى تافيلالت، فانقطعت السبل وقلت الأقوات وعم الوباء.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 276 ـ 381 ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف أعلام الناس*، 5 : 294.

البلغيثي، العربي بن أحمد بن علي العلوي الحسني، حلاه السجلماسي الحجرتي في *الروض الطيب* "بالفقيه

العلامة الأصولي الفرضي الحيسوبي". تولى الخطابة بجامع الرصيف، ونقابة الشرفاء بفاس.

وكان إلى ذلك أديباً شاعراً، له *ديوان* صغير كله في المديح النبوي. توفي مطعوناً أواسط ربيع الثاني عام 1271/ يناير 1855، ودفن بوصية منه في مقابر الغرباء خارج باب عجيسة.

العباس السلجماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 227 ـ 228 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1271.

البلغيثي، علي بن محمد ابن الشريف الحسني، جد البلغيثيين أهل زقاق الحجربفاس. "كان عالماً عاملا مشاركاً، تفقه على الفقيه العلامة سيدي أحمد بن مبارك اللمطي البكري وغيره من أقرانه، وانتفع به خلق كثير". (*الدرر*).

سكن أولا مدينة تازا واشتغل فيها بالتدريس، ثم انتقل إلى فاس أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1207 / 1757 ـ 1792) وكان حظياً لديه.

توفي بفاس (دون تحديد تاريخ) ودفن بضريح الشيخ عبد العزيز الدباغ خارج باب الفتح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 226 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 204.

البلغيثي، العامون بن الطيب العلوي الحسني، والد العالم الأديب أحمد بن المامون البلغيثي سابق الترجمة. من الشرفاء البلغيثيين أهل حومة النجارين بفاس. حلاه في *الدرر البهية* بقوله :"أحد العباد القانتين، الأخيار المنتخبين الذاكرين الناسكين... وهو من أهل الثروة والمجادة، والتعظيم والسيادة". ولاه الحسن الأول نقابة الأشراف فأحسن السيرة إلى أن أدركته الوفاة يوم الجمعة عاشر ذي الحجة عام 1316 / 21 مارس 1899. ودفن بقبة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب الفتوح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 224 ـ 225 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1316.

البلغيثي، محمد بن أحمد بن العربي العلوي الحسني "الشيخ العلامة المشارك الأصيل سلالة العلم والأدب" (إتحاف). أخذ عن والده أحمد البلغيثي ومحمد بن التهامي الوزاني، ومحمد بن المدني گنون، ومَحمد القادري، وعبد الله البدراوي وغيرهم.

كان ملازماً لضريح المولى إدريس الأزهر، منقطعاً للعبادة والإفادة، إلى أن توفي صبيحة الجمعة تاسع رجب عام 1335 / فاتح ماي 1917 ودفن بروضة الشيخ محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1335 ؛ *سل النصال*، مخطوط، الترجمة 161.

البلغيثي محمد بن الطاهر بن أحمد العلوي الحسني. ولد بفاس أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ودرس على والده الطاهر البلغيثي، وعبد الله الكامل الأمراني، وعبد الملك العلوي الضرير، ومحمد گنون، ومحمد القادري، وأحمد بن الطالب ابن سودة وغيرهم. حلاه في *سل النصال* بقوله :"الشيخ الجليل العلامة المشارك المستحضر المطلع المدافع عن الحق بأقواله وأفعاله من غير خوف ولا وجل ولا مداهنة ولا نفاق".

ويعد محمد بن الطاهر البلغيثي في طليعة الوطنيين الذين رفضوا الحماية منذ فُرضت على المغرب، لذلك نُفي إلى إسبانيا مدة، ثم رجع واستقر بمراكش مشتغلا بالتدريس، وكان من الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة، لذلك ترجم له في جملة شيوخه في فهرسه *سل النصال*، وذكر أن أكثر ما استفاد منه عن حوادث المغرب في بداية الحماية.

توفي، وقد أشرف على مائة سنة، في آخر ربيع الأول عام 1388 / 17 يونيه 1968، ودفن بدار سكناه في الزاوية العباسية بمدينة مراكش.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1388 ؛ *سل النصال*، مخطوط، الترجمة 185.

البلغيثي، محمد بن الطيب العلوي الحسني، من أهل زاوية زرهون، "فقيه علامة محقق عدل رضى وجيه بركة فاضل، منور السريرة وقور معتقد عالي الهمة صلب في دينه". ولي منصب نائب قاضي زرهون من عام 1250 إلى عام 1260، وألف *شرحاً على حكم ابن عطاء الله* في جزءين، ونسخ بخطه *صحيح البخاري* وغيره، واشتهر عقبه في زرهون بأولاد القاضي.

توفي بمسقط رأسه زرهون عام 1263 / 1846 ودفن بالظهير المقبرة المعروفة هناك.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 188 ـ 189 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1263.

البلغيثي، محمد المبارك بن الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني، لا يُعرف عنه إلا أنه كان "علامة مشاركاً من أهل فاس".

توفي في آخر رمضان عام 1235 / 11 يوليوز 1820 زمن الوباء.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 29 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1235.

البلغيثي، مصطفى بن الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني. ديِّن صالح نسابة من أهل فاس، ينسب إليه *كتاب الدرة الفائقة في أبناء علي وفاطمة*.

توفي ليلة الخميس رابع وعشري شعبان عام 1268 / 13 يونيه 1852 ودفن بقبة الشيخ أبي القاسم الوزير بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 30 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1268.

محمد حجي

بَلقاسم أُبراهيم، (أهل ـ) تنتمي هذه الفصيلة إلى جدها الفعلي بلقاسم أُبراهيم بن داود بن الفقير بن سيدي أحمد الركيبي الجدّ الأسمي لقبيلة الركيبات. وإذا كان داود بن الفقير قد تزوج سنة 1680/1110 بامرأة من قبيلة سلام المعقلية (*جوامع المهمات*)، فإن ابنه إبراهيم تزوج بدوره من أخواله. وتزوج ابنه بلقاسم سنة 1762/1182 من فصيلة أولاد بوكرزي المنتمية إلى أولاد المولات المعقليين. وعن هذا الزواج تفرع أهل بلقاسم أُبراهيم الذين ينتمون كما نرى إلى القواسم من الركيبات.

ومما يؤكد الامتياز الروحي لأهل بلقاسم أُبراهيم من بين فصائل القبيلة، أن افراكهم تعرف عادة "بمحصر العناية". فقد اعتادوا ارتياد الكلأ والمراعي المحاذية للضفة الشمالية للساقية الحمراء (M. Dupat, *Notes*, 1937) حيث تربطهم بلفّيْ تكنة أوثق روابط التحالفات الحمائية، ومعلوم أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد عرف انجراف تجارة القوافل نحو السواحل حيث تسربت التجارة الأروبية بشكل قاتل، وبتفكك البنيات التجارية اختلّت الموازين التحالفية وأصبح على القبائل المرابطية المسالمة أن تتحمل مشقة الدفاع عن نفسها، وكانت قبل ذلك من مهام قبائل تكنة. وبذلك يدخل الركيبات في الدوامة العامة التي جعلت المواجهة تكون شاملة والصراع من أجل مراقبة المجال عنيفا.

وقد تسبب الاحتلال الفرنسي لمدينة تنبكتو سنة 1894 في احتدام الصراع خاصة بين الركيبات وتحكانت. فما كان من هؤلاء إلا أن تحالفوا مع البرابر لمباغتة محصر العناية بخنيگ السكوم بجوار الساقية الحمراء. فكانت النتيجة أن فقد أهل بلقاسم أُبراهيم جل رجالاتهم وإبلهم وخيامهم. وهو ما أفقد باقي الركيبات صوابهم فاندفعوا في أثر الغزاة إلى أن لحقوا بهم بالحمادة في المكان المعروف بالعريضة. ولكن تفوق عدد الغزاة تسبب في هزيمة الركيبات الذين فقدوا في المعركة خيرة محاربيهم وخاصة منهم أهل باد، كما أشار إلى ذلك محمد سالم ولد عبدالحي في مخطوطه *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*.

م. سالم ولد الحبيب ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، ت.م. ناعمي، 1991.

M. Dupat, *Notes sur la confédération des Reguibats Legouacem*, CHEAM, N° 770, Paris, 1937 ; S. Caratini, *Les Reguibats*, Paris, 1988.

مصطفى ناعمي

بلقاسم، لحسن بن محمد، ولد سنة 1900 بأسّا، إقليم گلميم. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956، وشارك مشاركة فعالة في الكفاح المسلح الذي خاضه جيش التحرير بالصحراء المغربية، ضمن المقاطعة السابعة بقيادة مبارك منار. كما خاض عدة هجومات ومعارك الرغيوة، ووادي الصفا وغيرها إلى أن استشهد بحمادة بالصحراء المغربية سنة 1959.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بُلگّين بن **زيري** بن مناد، أول أمراء الأسرة الزيرية الصنهاجية التي استخلفها الفاطميون على افريقية بعد رحيلهم إلى مصر. أبوه زيري كان له الفضل في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي (947/335) التي كادت تطيح بالعرش الفاطمي. وبعد مقتله سنة 970/360 في إحدى حروبه مع زناتة، تولى ولده بلكين زعامة صنهاجة، وبادر بتمهيد سبيل الثأر لأبيه، فسحق بني يفرن ومغراوة في المغرب الأوسط وطردهم إلى ما وراء نهر ملوية، مظهراً بذلك كفايته الحربية. فكان من الطبيعي أن يختاره الخليفة الفاطمي المعز (975.952/365.341) ليخلفه على افريقية عندما قرر نقل مقر الخلافة إلى القاهرة في 21 شوال 5/361 غشت 972. وقد شرفه بلقب أبي الفتوح، وسماه بيوسف.

كرس بلگين عهده (984.972/373.362) لتأكيد حضور الفاطميين أمام خصومهم الزناتيين وأمويي الأندلس. وقام في هذا الاطار بحملة كاسحة على المغرب سنة 979/369. قبيل هذه الحملة، كان الخليفة الأموي، الحكم الثاني (976.961/366.350)، قد أعاد المغرب إلى حظيرة السيادة الأموية بعد قمع ثورة الأدارسة بزعامة الحسن بن گنون (362.361 هـ). وبعد وفاته، تابع الحاجب الأموي المنصور بن أبي عامر سياسته القائمة على إبقاء هذه البلاد تحت سيطرة الأندلس لتكون خط دفاعها الأمامي ضد الخطر الشيعي.

في ظل هذه الظروف، خرج بلگين من افريقية، وأناخ على فاس سنة 979/369، وقتل عامليها محمداً بن علي بن قشوش، وعبدالكريم بن ثعلبة، واستعمل عليها محمداً بن عامر المكناسي. وولى وجهه شطر سجلماسة، وقتل صاحبها ابن خزرالمغراوي. ثم اجتاح اقليم الهبط، وتعقب رؤساء زناتة الذين انحازوا جميعا إلى سبتة مستصرخين بالمنصور بن أبي عامر. وأما الجيش الضخم الذي أعده هذا الأخير بظاهر المدينة، لم يجد الأمير الزيري بداً من الرجوع أدراجه، لكنه اجتاح البصرة وهدمها، وزحف إلى أصيلا واستولى عليها، ثم قصد برغواطة وقتل أميرها صالح بن عيسى بن أبي الأنصار. وبذلك استولى على المغرب كله ـ عدا سبتة ـ ومحا دعوة بني أمية من بقاعة.

تعتبر هذه الحملة آخر محاولة هامة قام بها أتباع الفاطميين لاعادة بسط نفوذهم على المغرب. وبعد رجوع بلگين، ووفاته في 11 ذي الحجة 25/373 ماي 984، عاد الزناتيون إلى احتلال مواقعهم في البلاد.

H. R. Idris, *La Berbérie Orientale sous les Zirides, Xe - XIIe siècles*, Paris, 1962, T. 1, p. 55 - 59.

محمد الأمين البزاز

بلاّ (ابن ـ) **مسعود** العبدي، فقيه صالح شهير في قبيلة عبدة في القرن الثالث عشر (19 م)، أصله من أولاد بو السباع، ثم استوطن عبدة وأسس بها مدرسة شمال ساحل أسفي على مقربة من سيدي بوشتا، وكان الطلبة يقصدونه من جميع النواحي المجاورة، ومازالت بناية هذه المدرسة قائمة، وبها اليوم مسجد وكتّاب.

رواية شفوية واطلاع ميداني.

عبد الرحيم العطاوي

بَـلاَّ نْتَرْعَمْتْ، أويلاّ واحْسين، حكيم شاعر، ومنشد شعبي يسترعي الانتباه في زمانه عندما يقف في الملاعب الأحواشية التي تقام احتفاءً بمختلف تناسبات الزفاف والعقيقة والإعذار وخلال الأعياد التي يحتفل بها سكان القبائل الواقعة فيما بين أيت باها وتافراوت وإداگنضيف إلى شتوكة على مشارف ماسة باقاليم أگادير.

واسمه بلا نترعمت مشلح ومختصر لاسم (عبدالله الناقة) وُلد وترعرع بقرية تولحاج قبيلة أيت واسُّو بمنطقة أيت باها، وهو قصير القامة سذج بسيط في لباسه ومأكله وأسلوبه في الحياة، لكنه ذكي دقيق الملاحظة يتميز بموهبة شعرية وفنية، يمزج الشعر الشعبي الشلحي بالحكمة البالغة رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب، وكان في قمة عطاءاته الشعرية خلال الثلاثينيات حيث ذاع صيته وامتدت شهرته إلى جميع مناطق سوس والجنوب المغربي، وما يزال البعض حتى الآن يحفظ أشعاره وأقواله المأثورة وخاصة ما يتعلق بحواراته مع أحد كبار شعراء أحواش بسوس وهو الشاعر الشعبي البنضيگ الكثيري.

توفي - حسب رواية بعض معاصريه - قبل الأحداث التاريخية التي عرفها مركز أيت باها ضد الاحتلال الفرنسي لمنطقة سوس سنة 1936 بعد أن تقدم به السن إلى درجة أنه كان في أواخر حياته يحمل عكازاً يتكئ عليه.

روايات شفوية.

أحمد أمزال لعسري

بَـلاَرج، طائر من فصيلة اللقلقيات Ciconiidae ورتبة طوال الساق، يسمى علمياً Ciconia coconia وبلارج هو اسمه الشائع في المغرب العربي ويعرف باللقلق أو اللقلاق في معظم البلدان العربية الشرقية، ويعرف أيضا بالعنز في مصر والحاج لقلق أو الحاج بلارج لزعم العامة أنه يحج. ويطلق عليه في لبنان البجع وهذا خلاف ما ورد في كتب اللغة لأن كلمة "بجع" تطلق على جنس Pelecanus وهو طائر مائي كبير له حوصله عظيمة، وتوزيعه الجغرافي يقتصر على بلدان شرق الأبيض المتوسط وآسيا وأستراليا ولا يوجد في المغرب إلا في حديقة الحيوانات.

سمي بلارج باللقلق للقلقته أي طقطقة منقاره فإنه لا يصوت من حنجرته كسائر الطيور. إنه طويل الساقين والعنق والمنقار، قصير الذيل، أحمر الرجلين والساقين والمنقار، أبيض اللون ماعدا قوادم الجناحين فهي سوداء. يتراوح طوله ما بين 100 و105 سم. غالباً ما يقف على ساق واحد أثناء الاستراحة.

إنه من الطيور القواطع يفرخ في شمال أوروبا وأواسطها والمغرب والجزائر وتونس وآسيا الصغرى والعراق، ويشتو في أفريقيا الاستوائية ولا يفرخ في مصر وإنما يعبرها في قطعه. شوهدت الطيور المختصة في المغرب في غانا ونجيريا ومالي كما شوهدت في المغرب الطيور المختصة في ألمانيا وإسبانيا. للتذكير فإن الخواتم توضع للصغار قبل مغادرة العش.

يعيش هذا الطائر بجوار الإنسان الذي أنسَه منذ القدم واحترمه. يتغذى من الحيوانات المضرة للإنسان كالأفاعي والفيران والجراذ وباقي الحشرات والديدان ويأكل أيضا الضفادع. يتكون عشه الضخم من الأغصان والأعشاب والطين يبنيه عادة فوق أعالي المباني المأمونة والأشجار والصخور وكثيراً ما يُستعمل العش عدة سنين من نفس الطائر الذي يعود إليه بعد الهجرة الشتائية.

تبيض الأنثى عادة ابتداء من شهر فبراير وتمتد مدة التوالد إلى غاية شهر أبريل. تضع الأنثى في المرتفعات من 3 إلى 5 بيضات عادة ونادراً واحدة أو 6، لونها أبيض يبلغ طول قطريها 73×52 ملم.

تدوم مدة الحضانة 29 إلى 34 يوما ويقدم الزوجان للصغار الحشرات والديدان وأحيانا صغار الضفادع. وبعد 55 يوما يغادر العش ويلاحظ في شهر يوليوز مجموعات متعددة الأفراد تستعد للهجرة نحو افريقيا الاستوائية.

إن بلارج شائع في المغرب بينما عرف عدده انخفاضا ملحوظا في أوروبا. وهو طائر مقدس لا يُؤكل لحمه ويلاحظ في شمال المغرب أن بعض الأعشاش تفرغ من الصغار وذلك لأن بعض الناس يعتقدون أن هذا يحل مشكل العقم عند المرأة.

نذكر في المغرب أيضا نوعاً آخر من نفس الفصيلة اللقلاقية وهو البلارج الأسود Ciconia nigra المعروف بالعَنْز والمعز وهو أبيض البطن وأسفل الذنب، أحمر الرجلين والمنقار وسائره أسود، يبلغ طوله 97 سم.

يفرخ في شمال أوروبا وأواسطها وآسيا الصغرى ويشتو في جنوب إفريقيا والهند. يعبر المغرب أثناء القطع خلال فصل الربيع وفصل الخريف وقد شوهد مراراً بماسة وأولوز والضويات ونواحي تطوان.

إنه أقل شيوعاً من البلارج الأبيض ولا يعيش بجوار الإنسان.

أ. معلوف، *معجم الحيوان*، ص 237.

H. Heinzel, F. Fitter et J. Pabslow, *Oiseaux d'Europe d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Neuchatel, Suisse, p. 320; C. Harrisson, *Nids, œufs et poussins*, Bruxelles ; J. Pineau et M. Giraud-Audine, *Les oiseaux de la peninsule tingitane*, Trav. Inst. Sci. Zool, N° 38, Rabat.

محمد رمضاني

بلأرج (فندق ـ) ← **البوعنانية** بسلا

بَـلاّوْ (أهل ـ) تنتمي هذه الفصيلة إلى بلاو بن موسى بن علي بن سيدي أحمد الركيبي الجد الأسمى لقبيلة الركيبات بالصحراء الأطلنتية. وقد أدى اتساع فصيلة أولاد موسى إلى تمييز الوضع التسلسلي القرابي لأهل بلاّو باعتبارهم سليلي الابن الكبير لموسى. فمفهوم وحدة التسلسل القرابي ينشأ ابتداءً من مبدأ التدرج النسبي مضمراً بذلك أحقية الأخ الأكبر. وهكذا فإن أهل بلاّو يتفرعون بدورهم إلى أهل يحيى، وأهل إبراهيم، وأهل بابا حمو، وأهل بوزيد وبلاّو وأهل سوفي. وقد وجه مجمل هؤلاء فاعليتهم نحو التسيُّد على أولاد موسى الذين يتزعمون بدورهم اللف الساحلي للقبيلة. فنجد محمياتهم من التجزئات والفصائل الأخرى كأهل بوعلية، وأهل بويالله وأهل البويشير من قبيلة أولاد تيدرارين، وأهل مبروك، وأهل سويدي احمدُّو من أهل داود، وأهل تايني ولد بشرة من أولاد الشيخ، وبعض أهل دادي، وأهل الكوري ولد عمار ولد داود من أهل لحسن، وأهل عبدالفتاح ولد الشيگر من أولاد بوالسباع، وأهل ددّي.

وبعود انشطار أهل بلاّو إلى فصيلة مستقلة إلى فترة انتقال القبيلة الركيبية من مرابطية محمية من طرف تكنة الذين غادروا مسالك التجارة بعد انجرافها نحو المرافئ الأروبية، إلى مُحاربة تعتمد على نفسها في المواجهات الخارجية. ومعلوم أن انسحاب تكنة التدريجي نحو شمال الساقية الحمراء قد تسبب في مرحلة من الصراعات وتناقض المصالح بين سائر القبائل المحمية دامت زهاء قرن. وقد عُرف علي ولد بَلاّو منذ نهاية القرن الثامن عشر بتصديه لقبيلتي تجكانت وأولاد بوالسباع شأنه في ذلك شأن الشيگر ولد باب المساوي. فقد كانا من بين الأوائل الذين استعملوا بنادق الوروار المحصل عليها بوادي نون ابتداءاً من 1796 (Larribaud, 253).

وهنا لا بد لكي نعني بالدور الحربي الطلائعي لأهل بلاّو الذي يجرى مفعوله على العصبيات الأخرى من الإشارة إلى أهل أفريبط، فهؤلاء يمثلون أصلب تجزئة داخل فصيلة أهل بلاّو تميزت بسمعة المحاربين الأشداء إلى ما بعد سنة 1934. فقد استطاع أهل أفريبط قلب الموازين الاعتيادية حين ادخلوا المعقليين أولاد سالم تحت حمايتهم بعد أن هزموهم. وبالرغم من أن منافسة الفصائل الأخرى وخاصة أولاد لحسن قد انتهت بكسر هذه العلاقة (*جوامع المهمات*، 91 : Caratini, 88, 89) فإن سمعة أهل أفريبط ومن خلالهم أهل بلاّو لم تزدد إلا قوة. لقد عُرف أهل أفريبط بأنهم أول من ناوش أعداء الركيبات التاريخيين أولاد دليم. فتعملوا الدفاع عن محميي أولاد دليم من أولاد أحمد وأولاد تيدرارين الذين اعتادوا منذ القرن الثاني عشر (18 م) دفع اغفار لحاميهم. وقد جاء هذا الدفاع عبر عملية عسكرية أفقدت أولاد دليم عشرة من محاربيهم وأُدخلت أولاد تيدارين تحت حماية أهل أفريبط (*جوامع*، 91. 92). كان محمد ولد الخليل يومها على رأس تجزئة أولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى. وبالرغم من موقفه المنافس لأهل بلاّو، فإن لجوء أولاد دليم إلى لف أيت الجمل التكني وخاصة أيت لحسن، إدى إلى التحام المواقف الركيبية ضد العدو الخارجي. لقد اضطر أولاد دليم يومها إلى طلب المساعدة من لف أيت الجمل عن طريق إزرگيين. ولكن هؤلاء رفضوا حسب ما أورده Caro Baroja مجبرين بذلك أولاد دليم على التوجه شمالا نحو أيت لحسن ومعلنين انتقال الصراع لأول مرة شمال وادي درعة.

هكذا وبالرغم من استحالة الدخول مع تكنة في مناوشات حربية فإن المساهمة الفعلية لأهل أفريبط تتجلى في رغبتهم التوسعية وتطوير الإطار الهيكلي للقبيلة جمعاء. على أن هذه الميزة الهجومية مهما اشتدت مع تطور الأحداث، فإنها تظل رهينة بظروف الترحال الرعوي التي تفرضها الظروف المناخية لتربية الإبل. فتدجين الوسط الطبيعي يقتضي تتبع الكلأ بضفتي الصحراء : أدرار التمر جنوباً ووادي درعة شمالا. نخلص بذلك إلى الارتباط العضوي بين فصائل هذه القبيلة والظروف المناخية المتوفرة بضفتي الصحراء حيث الكلأ والمرعى باستمرار. هذه المميزات الأساسية لمنطقة أدرار التمر جنوبا ستؤهل الحاكم الفرنسي في عين المكان للضغط على كبار الرحل بما فيهم اللف الساحلي لقبيلة الركيبات. فقد أدت سنوات الجفاف إلى احتداد الأزمة السياسية بين فصائل هذه القبيلة لمعرفة ما إذا كان الأولى هو إبرام اتفاقيات مهادنة مرحلية مع الوجود الفرنسي بأدرار. وكان من نتائج الجفاف أن ظهرت عمليات مد وجزر قربت بين بعض الفصائل الركيبية والحاكم الفرنسي خلال سنوات الجفاف وفرّقت بينهم خلال السنوات الممطرة. فكثيرا ما سجلت التقارير الفرنسية عدم احترام الفصائل لالتزاماتها مع ظهور المطر والابتعاد داخل الصحراء. لم يكن إذن من المستغرب أن نجد أهل بلاّو وأولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى والتهالات بصدد ابرام اتفاقية مع الحاكم الفرنسي Gaden بسان لوي St Louis سنة 1925 (Brissaud, 1938). فعلينا أن نفرق هنا بين الضرورة التي فرضها الجفاف هذه السنة على مربي الإبل والاستراتيجية السياسية الفرنسية البعيدة المدى. لم يكن بين طرفي الالتزام أي تحالف موضوعي تفترضه إستراتيجية التغلغل الاقتصادي المشترك. بل الأولى أن نأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار لفرز الخلط والخطأ النظريين إذ يتبين لنا أن وراءه خلفيتين سياسيتين متناقضتين. ذلك أنه بينما عرفت نفس السنة مغادرة الماريشال ليوطي للمغرب معلنة بداية الاستعدادات الفرنسية لمهاجمة الصحراء شمالا وشرقاً وجنوباً، يفقد أولاد موسى رئيسهم محمد ولد الخليل وتعرف التناقضات والمفارقات بين مواقف فصائل القبيلة تطوراً كبيراً. فقد بدأت جبهة هذه الفصائل في التصدع أمام الرحف الفرنسي المتزايد واختلفت المواقف بفعل العوامل الخاصة المميزة لكل فصيلة. وهكذا ستعرف

نفس السنة إمضاء أول اتفاقية بين الحاكم الفرنسي بأدرار وفصيلة القواسم من اللف الشرقي عن طريق كبيرهم لحبيب ولد البيلاّل (Brissaud, 1938). وستستمر الوضعية على ماهي عليه بفعل الجفاف المتزايد إلى أن عرفت سنة 1927 صراعاً عنيفا بين الفقرا ومعهم بعض التهالات المتمردين على اتفاقهم مع الحاكم الفرنسي من جهة، وأهل أفريبط ومحمييهم إدْ يعقوب والشيخ سعدبوه أخي الشيخ ماء العينين قرب مقطر من جهة ثانية. تسبب هذا الصراع في جرح أبي زيد ولد محمد أ'براهيم ولد افريبط بعد أن فقد 150 رأسا من قطيع إبله. وعلى أساس الأخذ بثأرهم انطلق محاربو أهل أفريبط (70 أو 80 مدفعا) إلى تندوف مصحوبين ببعض أهل محمد بن القاضي من السكّارني قصد مباغتة الفقرا من الناحية الشمالية الشرقية (Fournier, Archives Nationales, Nouakchott, 13/3/1927, A. P. E/2/77) وقد كان من نتيجة هذه العملية أن تسببت هزيمة الفقرا في مسارعتهم إلى أدرار التمر لإبرام اتفاقية سلام مع الحاكم العام. ويفيد الضابط Tranchant في تقرير له بتاريخ 1928/1/12 بأن محمد سالم ولد أفريبط كبير أهل بلاّو قد توجه إلى سان لوي St Louis للدفاع أمام الحاكم العام عن سياسته الحربية ضد باقي الفصائل المتمردة أو الرافضة لموالاة فرنسا، وهو موقف يبدو متطرفا من حيث حرصه على تركيز الوجود الفرنسي. ولكن علينا أن نفرق بين هذه الرؤيا والمعرفة المبنية على الموروث السلالي والقرابي كظاهرة أكثر بروزا. يجب أن نعلم بأن هذا الموقف لم يتأت إلا لمجابهة موقف محيمد ولد محمد ولد الخليل كبير أولاد موسى الذي تميز بموقفه ضد استعمال العنف. فنكشف بذلك مرة أخرى طبيعة التنافس بين أهل بلاّو وأولاد موسى من أجل التسيُّد على ركيبات الساحل. الدليل على ذلك هو دور أمطار سنتي 1932 و1933 في تغيير مجرى الأحداث. فقد لعب انتشار فصائل الركيبات بكل من الحنك وزمور والساقية الحمراء في اشتعال نار مجابهة الوجود الفرنسي بدائرتي أدرار والترارزة. هذا ما يمكن أن نسجله ابتداء من شهر سبتمبر 1931 الذي عرف عملية غزي تجونين. فقد قام مائة وعشرون محاربا ركيبيا على رأسهم محمد المامون وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة الذي لم يتجاوز يومها سن العشرين بالقضاء على كتيبة فرنسية وغنيمة أسلحتها وذخيرتها. وكان من نتائج هذه الغزوة أن خرج أولاد موسى عن التزاماتهم ليتبعهم بعد ذلك بقليل أهل أفريط ومجمل الفصائل والتجزئات المسالمة لفرنسا.

لم يكن من شأن استعمال الطائرات أن يضعف من عزيمة هذه الفصائل التي استفادت سياسيا وعسكريا من التناقضات الفرنسية ـ الإسبانية حول مراقبة المنطقة. كما أن بوادر الفتور قد بدت على ضباط "الگوم" من أبناء القبائل المحلية حيث رفضوا تدريجياً المحاربة باسم فرنسا. على أن أهم غزوة قام بها أولاد موسى، وأهل بلاّو المنشقون عن فرنسا انتهت بالفشل الذريع. وقد كان على رأس هذه الغزوة التاريخية المعروفة بغزي السودان في مارس سنة 1932 لعروسي ولد بابا حمو من أهل بلاّو ومحمد سالم ولد عبدالحي قاضي ركيبات الساحل وصاحب كتاب *جوامع المهمات*. فقد اجتمع مائة وأربعون محارباً بعيون عبدالمالك لينطلقوا في اتجاه الجنوب الشرقي حيث يستهدفون كتيبة فرنسية قرب بئر تيجيجيل. وقد وقعت العملية في السادس من أبريل لتفشل بسبب الاستعداد المسبق للكتيبة التي كانت قد اتخذت جميع الاحتياطات بمجرد أن أخبرها البر ولد لحبيب من فصيلة أولاد الشيخ ومحمد ولد الناجم من كبار أهل بلاّو (Cercle de l'Adrar, *Rapport Politique*, Archives Nationales, Nouakchott, Juin 1932) لقد أعدت الكتيبة الفرنسية مدفعا رشاشاً للمناسبة وأحاطت تكنتها بالأسلاك الشائكة. وبالرغم من المحاولات المتكررة ووصول لعروسي رئيس الغزوة إلى الداخل فإن الكتيبة تمكنت من "قتله وحصد عدد قليل من الغزاة. وتمكن هؤلاء بعد مقتل رئيسهم من الانسحاب بعد أن قادوا أكبر عدد من الإبل منقسمين إلى قسمين. اتجه القسم الأول نحو الجنوب حيث وجد أمامه محاصرة فعلية من طرف قبيلة مشظوف بتمبدرة ولم ينج منها إلا بمشقة. أما القسم الثاني فقد اتجه نحو الشرق مضطراً إلى المرور ببئر القصيب بالحدود الفاصلة بين أزواد وتيرس. وهي عملية شاقة تقتضي تجنب أكبر عدد من الكتائب الفرنسية الملاحقة ومواجهة الإعياء والعطش والرياح الحارة التي أحرقت المراعي. وهكذا لم تصل إلا قلة قليلة إلى البئر لتجد في انتظارها كتيبتين تابعتين للدائرة الفرنسية بالسودان والدائرة الفرنسية بمالي، وقد قرر ضابط الكتيبة السودانية قتل جميع المسجونين بينما قرر الضابط الآخر الاحتفاظ بهم. وقر رأيهما أخيراً على توزيعهما إلى قسمين تنفذ فيهما التعليمات حسبما ارتأياه. وبذلك تنتهي هذه العملية المعروفة محليا بغزي تجيجيل والتي أفقدت أولاد موسى وأهل بلاّو سبعين محاربا وأفقدت أولاد القاضي أربعين محاربا.

وفي نفس شهر أبريل قام أحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة بتجميع جيش محلي مكون من أربعمائة محارب من أولاد دليم والعروسيين وأربعمائة محارب من القواسم من اللف الشرقي من الركيبات ومائة وثمانين من محاربي اللف الساحلي وأربعين محارباً من قبائل مختلفة. على أن هذا الحجم قد تجلى من حيث هو كرمز للإرادة القبلية في التحدي والمواجهة أكثر منه جبهة متحدة. فقد فشلت جميع المحاولات التنسيقية ولم يقوموا بأي عملية خاصة، وأن الطيران الفرنسي قد أسهم بشكل كبير في كشف المحاولات وصدها. وكانت فصائل الركيبات تنتظر إلى شهر غشت حين غزا بعض العناصر من قبيلة الكدادرة ابل الشيخ مبارك من أهل بلاّو وأهل داف من أولاد موسى (حوالي ألف رأس) بمنطقة عيون عبدالمالك. فجاءت هذه الغزوة من بين العوامل التي أطرت لعملية التونسي التاريخية التي

أفقدت دائرة الترارزة سبعة وثلاثين عسكريا ونجا فرنسي واحد. ففي عملية انتحارية انطلق أولاد دليم والعروسيون والركيبات من تيرس مخترقين مجمل التراب الموريطاني من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي في وقت تميزت شبكات المراقبة الفرنسية بقوتها وفعاليتها ومراكزها المحصنة وكتائبها المتحركة. وقد نشرت عمليات أبناء المنطقة الرعب الكبير بين الفرنسيين وأعوانهم بكل من أدرار وتگانت والترارزة قبل الرجوع من جديد إلى المنطقة الساحلية (Caratini, 189).

إن الاحتفاظ لأهل بلاّ بهويتهم الخاصة كنموذج لفصيلة لكبار الرحل ضرورة تفرضها المعرفة لذاتها. فقد عاشت وتعيش تجارب عصرها بما يشرح مواقفها وممارساتها أو يبررها. وهي ليست في الواقع إلا امتدادا للتجربة الكبرى، تجربة قبيلة الركيبات في وسطها الطبيعي والاجتماعي.

محمد سالم ولدّ لحبيب ولد الحسين ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، دراسة وتحقيق م. ناعمي ، الرباط، 1991.

M. Brissaud, *Historique de la question Rgueibat*, Nouakchott, Archives nationales, A.P.E/2/82, 1938 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos, Instituto de Estudios Africanos*, Madrid, 1955 ; S. Caratini, *Les Rgaybat : Des Chameliers à la conquête d'un territoire*, T. I, Paris, 1989 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, Archives de l'Institut Pasteur d'Alger, XXX, N° 3, Alger, septembre 1952.

مصطفى ناعمي

بلّبريك بوجمعة (مغن شلحي) ← أنشّاد

بَلّة (أهل ـ)، يمثل أهل بلة إحدى فصائل أيت احماد أُعلي من قبيلة ازوافيط التكنية (م.ناعمي، *ازوافيط، معلمة*) ويرد ازوافيط احماد أُعلي إلى عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن عثمان الذي قد يكون هو ابن مندى عامل عبدالله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11م). أما مدى صلاحية انتماء أهل بلة إلى هذا النسب الصنهاجي، فإن تضارب الروايات يحدّ في الوقت الراهن الابحاث من الفصل فيه. ذلك أن ما يزيد من حدة التناقضات اختلاف أيت احماد أُعلي أنفسهم حول أنسابهم. فمنهم من يحد عدد الفصائل المؤسسة في بلة والمعطي واحماد واسعيد وحمو. ومنهم من يكذب أو يضيف إلى هذا العدد فصائل أخرى. ومهما يكن من أمرفإن أهل بلة الذين يهمنا أمرهم هنا ينتمون إلى احماد أعلى الذي يصعب تحديد هويته وتاريخه الفعلي. ويضيف أهل بلة بأن جدهم الفعلي قد خلّف ابنين وبنتاً واحدة : علي واحماد ورقية، وقد خلف علي كلا من محمد مولود واحمدفال واعلي والبشير والحسين والكورية وفاطمة. أما احماد فقد خلف علي سالم والحريطاني الذي يحمل اسم أخواله من أبناء بوالسباع والأمين وعبدالله والسالكة وفاطمة وعائشة والباتول. أما رقية بنت بلة فلم تعقب. تعتبر هذه الأسماء أعلاما حقيقية لوحدات عائلية حديثة التكوين. ذلك أن أربعة أجيال فقط تفصل بينها وبين آخر أحفادها الحاليين.

وفي هذا السياق لا بد أن نشير إلى الاختلاف البين الذي ميز سيرورة هذه الأجيال الأربعة مركزين على الفوارق الجوهرية التي أصبحت تفصل أبناء علي ولد بلة عن أبناء احماد ولد بلة. فبينما يقتصر أبناء علي على ممارسة الفلاحة التقليدية وتربية المواشي، يتميز أبناء وحفدة احماد باهتمامهم الكبير بالتجارة عبر مسالك الصحراء، وقد عرفوا بخبرة واسعة في هذا الميدان الذي جعل منهم أسماء لامعة على ضفتي الصحراء. أما تديّن أهل الحريطاني وخاصة منهم أحمد وابنه محمد علي فقد جاء على ما يبدو نتيجة لتاثير أخوالهم من أولاد بوالسباع ذوي الصيت الذائع في هذا الباب (*جوامع المهمات*).

ولابد أن نشير أيضا إلى مساهمة أهل الحريطاني خاصة في تطوير وتأطير الوجود الزفاطي بموريتانيا منذ بداية هذا القرن. ولعله أمر يرجع إلى زمن اقرضوا فيه مجمل القبيلة مبالغ مالية أسهمت على حد قول السيد بلعيد ولد الحريطاني في حل بعض المشاكل العالقة يومئذ. من هنا ندرك إلى أي مدى يمكن لعائلة معينة أن تتميز بدور طلائعي يجعل منها وحدة متكاملة على المستويات الفلاحية والتجارية والدينية والسياسية.

م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات*، ت. مصطفى ناعمي.

بلّة (أيت ـ)، إذا حاولنا تحديد المعطيات التعريفية لأيت بلّة وجدنا متطلبات الملاحظة المضبوطة تقتضي مقارنة كل القرائن التي تكشف عنها قبائل اتحادية تكنة على امتداد وادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء.

تنقسم هذه الاتحادية إلى لف أيت عثمان شرقا ثم لف أيت الجمل الممتد غرباً على طول الشريط الساحلي من أيت باعمران شمالا إلى ما وراء الشبيكة جنوباً مروراً برأس الطارف والأدكن والحميديات وشبكة الأودية النابعة من سلسلة جبل زيني. ومن المعلوم أن تسمية أيت الجمل إنما تنبثق من مراقبة هذا الشريط الذي يسيطر عليه الترحال الرعوي بفعل العوامل المناخية والجيومرفلوجية. أما تسمية أيت عثمان فتشمل كل ما عدا هذا الشريط من أراض رعوية وفلاحية ومداشر (13 مدشراً لأيت الجمل و53 لأيت عثمان). وترتبط بالجد الاسمي عثمان بن مندي خليفة عبدالله بن ياسين على نول لمطة عاصمة المنطقة والأطلس الصغير حتى القرن السابع (13 م). هذا التفاوت في المساحات المراقبة يتجلى بوضوح أكبر إذا علمنا أن لف أيت الجمل يمثل أربع قبائل هي أيت لحسن وإزرگيين ثم أيت موسى أُعلي فأولاد بوعيطة، بينما يمثل أيت عثمان ثمانية قبائل تنقسم إلى أربع مجموعات فرعية هي أيت بلة وأيت الخمس وأيت النص وأيت أُسا.

يبتدئ تراب أيت عثمان غربا بمجموعة أيت بلة المجاورة للف أيت الجمل. وتنتهي هذه المجموعة بتراب أيت الخمس شرقا التي تنتهي بدورها بتراب أيت النص لنصل بعد ذلك مباشرة إلى تراب أيت أُسا.

أيت أ'سا : من المعلوم أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد مراعي تنفوشي وإيكيدي والحنك شرقا، أما جنوبا فهي ترتاد گلتة زمور ورأسي الشبيكة وطرفاية على الساحل الأطلسي. ويبدو جلياً أن قوة أيت أ'سا وقدرتهم على التسلط على قبائل سلسلة جبل باني من امريبط وغيرهم هي التي أهلتها منذ أزيد من ستة قرون لمراقبة حمادة وادي درعة والطريق الرابطة بين عواصم وادي نون وتندوف عبر خنيك بوالجبر وخنيك أكحل بسلسلة واركزيز. كما أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد البطانة حيث تتقاسم أفراوإيدار وزيني مع قبيلة يگوت التي انتهت بدخول لف أيت عثمان بعد أن غادرت لف أيت الجمل. وبذلك نجد تراب أيت أ'سا تحد شمالا بباني وگير بينما تحدها شرقاً واحة تيكوراين ومعدري افتاس وتفتايس، وغربا لف أيت الجمل وتراب أيت النص. أما قبيلة يگوت فإنها تؤكد بانتماتها إلى أيث عثمان مدى قدرة هذا اللف على مراقبة الطرق التجارية والمحاور الرعوية بعيداً عن مجاله الفلاحي.

أيت النص : في إطار هذه المزاوجة بين المنظور المجالي ونظام التحالفات تستجيب مجموعة أيت النص المجاورة غرباً لأيت أ'سا لمتطلبات التكامل الاقتصادي والسياسي. فقبيلة أيت براهيم المركزية بهذه المجموعة تشتمل خلال العشرينات من هذا القرن بمعزل عن حراطينها على ستمائة عائلة (La chapelle, *Les Tekna*, 97) ويمكن لأية دراسة متأنية حول هذه القبيلة أن تبرز التقابل بين التقسيم الترابي القديم والبنية الاجتماعية. ذلك أن أولوية التقسيم الترابي بالنسبة للعلاقات القرابية تتجلى بوضوح في الارتباط بالساقية والمداشر. بل إن تشكل مجموعة أيت النص حول أيت براهيم يعد مرهونا بالروابط القروية بين هذه المداشر الستة عشروأمها تاغجيجت (انظر أيت *براهيم*). ومعلوم أن تراب أيت النص تصل إلى أحواز أسا ودرعة المجاورة حيث يعد أيت براهيم من أشباه الرحل صغار النجعات. غير أنه ينبغي ألا نتناسى أن ارتباط أيت براهيم الشديد بلفها يعود أيضا إلى ذلك الجد الاسمي الذي يربطها بعثمان بن مندى. وهو مبدأ ينتعش إلى حد بعيد من العلاقة المتميزة التي تربط هذه القبيلة بأيت بلّة المرتكز المحوري لأيت عثمان.

أيت الخمس : أما اذا انتقلنا إلى قبيلة أيت احماد جارة مجموعة أيت النص فنجدها لا تكتفي بتصدر مجموعة أيت الخمس، بل تتمتع بسمعة حربية تجعل منها قوة متميزة بقدرتها على حرية القرار بمعزل عن أي طرف كان. وفي موقعها بين أيت بلة غربا وأيت النص شرقا تقدر هذه القبيلة حسب نفس المصدر بـ450 عائلة (*Les Tekna*, 97) تقيم بأوتلت وتوتلين وفصك وتاورير. وعليه فإن مميزاتها الآنفة الذكر وموقعها تؤكد جميعا دور المجال في إدماج المجموعات المتباينة أو المتكاملة وتكييفها مع مقتضيات الجوار، فإذا كانت الأودية المستعملة في تربية المواشي والأراضي البورية والمسقية هي الطاغية من حيث المساحة فقد استند النشاط الفلاحي ـ الرعوي إلى تبادل المنافع. وبذلك نرى أنه سواء تعلق الأمر بخطر الاستبداد الداخلي أم في إطار التصدي لعدوان جماعة مجاورة فإن تحالف هذه المجموعات في اطار أيت عثمان يفترض أن تعبئتها تتم على سلم النسق المحلي. هذا النسق يقتضي أن كل مجموعة تعد تجسيدا مجالياً لما تمخض عنه التجانس والصراعات من تحولات. كما أن كل مجموعة تعد في حد ذاتها تغييراً فعلياً عن تحقق الميكانزمات الواقية لمجموعة من صغريات الوحدات القبلية الملتفة حول قبيلة محورية.

من هنا فمجموعة أيت بلة التي تتصدرها قبيلة ازوافيط تتحدد أمامنا كبنية مجالية محشورة بين مجموعات أيت عثمان شرقا ولف أيت الجمل غرباً. فما من شك أنها مطالبة أكثر من المجموعات الأخرى بمقاومة عوامل الانشقاق والتفاوت بمجرد ما تظهر بوادرها الأولى. كما أن استمرارها لا يقتضي ركود عناصرها أو بقاءها في وضع ثابت قار، بل يتطلب قدراً معيناً من الدينامية في حدود النسق القائم. هنا يكون من المؤكد أننا باقتصارنا على هذا التعريف المجالي لن نكون قد عالجنا الموضوع من كل جوانبه ولا استوفينا كل مايطرحه من صعوبات وإشكالات.

أهم سؤال نكون قد وصلنا إليه الآن هو ما هي الأسباب التي جعلت تسمية أيت بلة تطغى باستمرار على تسمية أيت عثمان رغم المقدرات الحربية والمساحات الشاسعة والثقل الديمغرافي والسكني لأيت الخمس وأيت النص وأيت أ'سا ؟ هل هو الحجم الديمغرافي أم أنه الغطاء النباتي أو الموقع أم أن هناك عوامل أخرى ؟ إذا نحن قارنا بين المنغرافيات الفرنسية لسنوات 1914 P. Marty و F.C. de la Chapelle, 1943 و V. Monteil اتضح أن الحجم الديمغرافي لأيت بلة يتجاوز أكثر من نصف أيت الجمل مجتمعين. وقد أوضح الإحصاء الشخصي الوارد بآخر هذه المنغرافيات أنه بينما يمثل مجمل لف أيت الجمل 2780 عائلة يمثل لف أيت عثمان 6120 عائلة تحتل من بينها قبيلة أزوافيط دون باقي أيت بلة 1250 عائلة (*Les Tekna*, 6). ولكن هذا الرقم يكاد لا يتجاوز حجم أيت براهيم بينما يقل عن حجم أيت أ'سا التي تعد بحق أكبر قبائل تكنة حجما. نزيح بذلك العامل الديمغرافي لمسائلة دور الغطاء النباتي كمميز لأيت بلّة عن باقي أيت عثمان. وهنا أيضا يتضح أن قبيلة أيت أ'سا تعد بحق أغنى القبائل التكنية على الاطلاق. فقطيعها من الإبل يتجاوز حجم قطيع أيت لحسن وإززگيين القبيلتين المتخصصتين في هذا المجال. كما أن عدد نخيلها يصل حسب نفس المصدر إلى 30.000 نخلة متجاوزة نخيل كل مجموعات أيت عثمان بينما لا يملك أيت الجمل إلا القليل الأقل. وإذا كان سؤالنا ما يزال مطروحا، فإننا نكون قد استخلصنا منذ الآن أن مجموعات أيت عثمان تتحدد كبنيات مجالية بتراتباتها وبتفاوت مستويات وحداتها أكثر مما تتحدد بتجانسها أو بتكافؤ قبائلها المحورية.

يبقى أن نساءل موقع أيت بلّة عن دوره في تداخل التسميتين الذي يطرح هذه المجموعة كهيكل شمولي ينتظم داخله كل أيت عثمان. إذا كانت كبريات قبائل الرحل بالصحراء الأطلسية جمعاء تؤكد على هذه الحقيقة فذلك على ما يبدو راجع لما يرافق عادة تسمية أيت بلّة من ارتباط بكبريات إمارات الصحراء وحماية لصغريات القبائل. وهو عامل يكشف خلافا لما يراه De la Chapelle عن نزوع قبيلة ازوافيط الدائم إلى التوسع الحربي والسياسي (*Les Tekna*, 58-68-77). فندرك لماذا تعد هذه القبيلة بمثابة مركز الثقل الأساسي لأيت بلّة الملتفين حولها. بل الأوضح من هذا أن تسمية أيت بلة لا تفيد في نظر القبائل الجنوبية إلا الاسم الحقيقي لقبيلة أزوافيط (*Les Tekna*, 63). فنكون قد وصلنا إلى دور الموقع والوظيفة الحربية كعاملين أساسيين في تداخل تسميتي أيت بلّة وأيت عثمان.

وهنا لا بد من أن نتساءل ما إذا كان من الضروري الاكتفاء بهذين العاملين أم أن هناك عوامل خفية يجدر اكتشافها. فينبثق السؤال حول ما إذا كان المنظور الأصح يقتضي التحديد الدقيق والمفصل لمجمل تفرعات أيت بلة ككيان مندمج مع أزوافيط في الهيكل التأسيسي لهذه المجموعة ؟ هذا السؤال يطرح نفسه بإلحاح خاصة إذا علمنا أن القرابة بين هذه التجزئات تجعل منها أبناءً لبلّة المعاصر للقرن الحادي عشر (17 م).

حقا لقد كانت الوحدات القبلية تنتقل خلال هذه الفترة من إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة للكيانات الكمفدرالية، ولكن ظهور بلة وتطوره إلى جد اسمي يبدو نتيجة فعلية لتسيُّد عصبية معينة. كما أن احتكار ازوافيط لهذا الشخص كجد أعلى تجعل العلاقة بينهم وبين وحدات المجموعة تسيطر على صعيد البنية برمتها حتى تشمل وظائفها بقية المستويات المتداخلة والمعقدة. فمثلا نسجل بأن نزوع أزوافيط الدائم إلى التوسع على حساب أراضي الجيران الساحليين لم يشمل وحدات أيت بلة التي هي أيت ياسين وأيت مسعود وأولاد بلحويلات وأيت بكو وإذا أُلكان. هذا المعطى التاريخي الهام يبدو في حد ذاته كقاسم مشترك بين مختلف الفترات مثبتاً الإطار الجوهري المحدد لكيان أيت بلة (م. ناعمي، *أزوافيط، معلمة*، 2 : 364-367) ففي مجتمع يتميز بسيادة الملكية القبلية، يبدو جلياً أن عوامل الدفع إلى احتكار وتقسيم الأراضي المسقية والبورية هي التي أدت إلى تطوير أساليب التوثيق المكتوب من جهة وإلى ارتكاز الكيان الأساسي المتعايش لأيت بلة من جهة أخرى. ذلك أن التقسيم الترابي يعكس البنية الاجتماعية بحيث نجد أن معالم احتلال المكان والاقامة على الأرض تتطابق إلى مدى بعيد مع الحدود التي تجمع أيت بلة ككل متكامل موحد ومتماسك جغرافياً ومتمفصل بين باقي أيت عثمان وأيت الجمل. وبذلك ندرك أن الاقامة والدفاع عن الرقعة المشتركة من حقول وشبكات ري ومراعي وأراضي بورية يمكنها أن تتبلور في نفس الوقت مع تداخل الخطوط النسبية القرابية العريضة. فبحكم حاجات وطاقات أيت ياسين وأيت مسعود وأيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا أُلكان يتحدد مدى التضامن والالتفاف مع أيت احماد أُعلي وأهل حايين وأيت الخنوس وأيت امحند أُلحسن في إطار يصعب معه معرفة أي هذه الفصائل أكثر انتماء إلى ازوافيط. مما يزكي هذه المقولة أن تماسك الروابط القرابية ما تزال تعمل حاليا على هيئة مشجر لما يسمى هناك بأولاد بلة. كما أن اتحادية تكنة التي تقسم نفسها إلى أصليين ومنتمين ومتحالفين تصنف أيت بلة في إطار الأصليين. وهو ما لاحظته المنغرافيات الفرنسية حيث اعتبر De la Chapelle أزوافيط بمثابة ثلث الأصليين من أيت عثمان (*Les Tekna*, 9). وندرك بذلك لماذا يتشبث أيت ياسين وأيت مسعود وأيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا أُلكان بعثمان بن مندى كجد أسمي يربطهم بباقي أزوافيط. بل الأوفى من ذلك أنهم يرفضون إدماج "الأصليين" من لف أيت الجمل في نفس النسب (*Les Tekna*, 11).

وهنا لا بد أن نشير إلى كون هذه المقولة في حق أيت الجمل تعتبر بغض النظر عن مدى صلاحيتها اعترافا صريحا بتراتب مجتمع يعمد إلى كشف صراعاته. فإذا كان من خصوصيات مجموعة أيت بلة بالنسبة لباقي أيت عثمان منافسة لف أيت الجمل في مراقبة المسالك التجارية، فلأنها ملزمة بحكم موقعها بأن تمثل رأس حربة لفها. وهي حقيقة تعد من أهم الأسباب الداعية إلى احتكاكها المباشر بأيت لحسن وإزرگيين القبيلتين المحوريتين في لف أيت الجمل. ولا شك أن احتكاك هاتين القبيلتين بالمجال الترحالي جعلهما تفقدان استعمال الامازيغية بفعل تداخلهما مع القبائل المعقلية. فلم يعد غريبا والحالة هذه أن يتميز أيت احماد أُعلي الفصيلة الزفاطية الأكثر تصدراً للأحداث والأكثر احتكاكاً بالصحراء المعقلية، بالانتظام المبكر في سلك الناطقين بالحسانية (انظر تراب *البيضان*). من هنا تبدو خطورة التوقف عندما يدعيه أيت عثمان وعلى رأسهم أيت بلة بشأن انحطاط أصل أيت الجمل بانتمائهم إلى لف إگزولن. فهم يقولون على لسان أيت بلة بأن دخول أيت الجمل تحت حمايتهم هو الذي حال دون هؤلاء والبقاء في إطار لفهم الأصلي (*Les Tekna*, 14). غير أن أية نظرة متأنية تكشف عن مطالبة عدد من عائلات أيت لحسن وأيت موسى أُعلي بحقها في إرث نخيل وساقية أسرير وتيغمرت إلى الآن. وإذا كانت تنقلات قبيلة أيت موسى أُعلي من وإلى لف أيت بلّة قد تعددت، فإن مطالبة أيت لحسن تكشف عن طردها التعسفي من ممتلكاتها كعامل حسم نهائي بين اللفين. وهي هزيمة يمكن أن نستشفها أيضا من مطالبة إزرگيين بمدشري ازريويلة واوزرولت. فنحن على ما يتضح أمام تعبير عن إيديلوجية التمايز المجالي والسياسي بين لفين لا يعترف أضعفهما

صراحة بعلاقاته المحددة مع جيرانه، وهو بالفعل ما يدعو إلى إلغاء مفهوم «الديمقراطية القبلية» التي لا تخدم الا رؤساء القبائل والأحلاف دون غيرهم.

إن إبراز هذا الجانب التاريخي من علاقة اللفين يطرح بوضوح دور أيت بلة كإطار عام مجاور لأيت الجمل تتجسد من خلاله حدة الصراعات على تناقضاتها. فمن حيث هي كنسق مرجعي ترتبط بها مجموعات أيت عثمان كدعامة لوحدتها، تبرز مجموعة أيت بلة على صعيد الفوارق بين اللفين لتنتظم بها المقاييس ومقومات الهوية الجماعية واستمراريتها. تتجلى الأهمية الحقيقية لهذه المجموعة من خلال استقرارها بمداشر وعرون وزريويلة واوزرولت ودوبيان وأيت مَحند وأيت بكو وتالمكيست وسركس وبامهات القرى أسرير وتيغمرت المجسدتين لبقايا نول لمطة. لاشك أن الأهمية الاستراتيجية لهذه الأراضي الفلاحية المتميزة تجعل من أهلها مراقبي أهم المواسم وما يصلها من قوافل.

من هنا وبالنظر إلى تطورهذه المجموعة ككيان مركزي متصدر لإمكانات مجالية تنهض بمهام التنسيق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، فإنه لا بد من مسائلة علاقتها بمحيطها القريب والبعيد. وسيكون أولى بنا آنذاك أن نتحدث عن أقرب الأزمات إلينا وأكثرها رسوخا في الذاكرة الشفوية والمقروءة. معلوم أن التماسك البنيوي بين لفي تكنة قد عرف خلال العشرينات بعض التفكك بفعل التغلغل الاستعماري المتزايد. وكان التعارض الانقسامي قد تجاوز مستوى الاتحادية ليشمل مجمل المحاور الشرقية في صراعها ضد الساحلية. وهكذا تبلور محور المدني الاخصاصي ـ أيت بلة ـ الركيبات ضد محورأهل تزنيت ـ أيت الجمل ـ أولاد دليم. انطلاقا من هذا المنطق قام بعض أزوافيط خلال المكار سيدي بوعبداللي بتراب قبيلة أيت بْرييم قرب تزنيت سنة 1928 بحث تجار قبيلة أيت ياسين على المشاركة في العمليات الحربية ضد أيت الجمل بحكم انتمائهم إلى أيت بلة. فما كان من التجار إلا أن طلبوا المهلة الكافية لإيصال حمولة قافلتهم إلى مقرهم بأفركط وأسرير حيث يصل عدد عائلاتهم يومها إلى أربعمائة (*Les Tekna*, 97). ولكن تصلب أزوافيط انتهى بمعركة مات فيها ثلاثة أفراد من كل طرف وفقدت أيت ياسين قافلتها المكونة من ستين جملاً من المواد الغذائية والأثواب وغيرها. وبذلك تجلى النسق القبلي لأيت بلّة على هيئة بنية مبتورة خاصة وأن موقف أيت ياسين أصبح يقتضي منهم التحالف مع لف أيت الجمل. على أن الأهم هو رفض أيت الجمل لأيت ياسين بدعوى مقدراتها الحربية الكفيلة بصد أزوافيط. هذا المبرر الذي يُبقي على أولوية التضامن بين قبيلتي أيت بلة رغم أن ديناميات اللامساواة بين اللفين يعد في حد ذاته معطى أساسيا. فاعتباراً لرغبة لف أيت الجمل وسيدته أيت لحسن في التغلب على أيت بلة لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا من باب استحالة التطابق مع أيت ياسين على حساب أزوافيط. هذا التفسير يمكن أن يتأكد بصورة أكبر خاصة إذا علمنا بتوفق أيت أُسا في مساعيها السلمية بين الطرفين المتنازعين. فقد فقدت آليات التعارض بين الطرفين من مصداقيتها إذ لم تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تمعنا جيدا في الكيفية التي انبثق عنها الخلاف. فحرمة المجال الترابي قد ظلت مقدسة بقدر ما سمحت بذلك المسافة الفاصلة بين فهم الطرفين لمعنى الحقوق والواجبات. وهو دليل على أن الاختلاف والتباين بين تجزئات أيت بلة لا يكتسي طابع التعارض أو تقابل المصالح الأساسية حتى في أحلك اللحظات. إن هذه التجزئات تتضمن مستويات متفاوتة، منها ما يقرب الشقة، ومنها ما يضفي على تقابلها صبغة تقاطب حاد. وإذا كانت العلاقات السلطوية تعد من مسببات التعارض، فإن البنية الانقسامية تتمكن في نهاية المطاف من استيعابها.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988 ؛ مواد : *إزرگيين*، *أزوافيط*، *أيت أسا*، *أيت اعزى ويهدي*، *أسرير بمعلمة المغرب*، 21 ؛ م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، ت. م. مصطفى ناعمي، 1991.

M. Marty, *Les Tekna du Oued Noun* in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De la Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidentale*, Etudes, notes et documents sur le sahara occidental, VIIe congrés de l'IHEM, hesp, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S. O. Marocain, étude géographique historique et sociologique*, A. F., 1934, p. 109 ; Cl. Justinard, *Archives Marocaines*, vol XXIX, Paris Champion, 1933 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, Paris, 1948, p. 59.

مصطفى ناعمي

بَلّة (سيدي ـ)، عبدالله ابن عزوز المراكشي، العباسي نسباً، السوسي أصلا، ويكتب أيضاً «بَـلّ» و«بَلاّ» وهو غير ابن عزوز الرحماني دفين بن گرير، وغير محمد ابن عزوز الرباطي المراكشي وزير الحسن الأول خلال مدة خلافته بمراكش (*الإعلام*، 6 : 149).

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولم يبق اليوم من عَقِبه بمراكش سوى سيدة. ومن أشهر شيوخه أحمد بن محمد الحبيب بن صالح اللمطي البكري الفيلالي المولود سنة 1629/1039 والمتوفى سنة 1751/1165، وكان صالحاً شهيراً قارئاً من الدرجة الأولى، عارفاً بعلوم الحديث والعقائد. أخذ عنه سيدي بلّة الطريقة الشاذلية، ولازمه مدة طويلة، وذكر في *أجوبته النورانية* العلوم التي تلقاها عنه (*السعادة الأبدية*، 1 : 95،96). ويتصل سند اللمطي في الطريقة بعبدالسلام بن الطيب القادري، عن قاسم الخصاصي.

لم تذكر المصادر شيوخا آخرين في العلم لسيدي بلة، ومع ذلك أجمعت على أنه كان مفتوحا عليه في علمي الظاهر والباطن حتى كاد أن يعد من المجتهدين، ورأس الأئمة المعتبرين (*السعادة*، 93).

كان من أزهد الناس في وقته وأخشاهم لله متقشفا في دنياه، لا يأكل إلا من كسب يديه، وحرفته في ذلك صناعة

النعال الصغار، وككل الصوفية نسبت له كرامات ظهرت على يديه. إلا أن هناك من وصفه بالزندقة ورفض القواعد الشرعية وإبطال الصلاة (*المسوعة*، 2 : 59). وينسب لمحمد الحضيكي كتاب في الرد عليه وعلى طائفته الضالة التي كانت تنزل بجبل گيليز، ذكره المختارالسوسي (*سوس العالمة*، 193). وقال إنه رآه يباع في (دلالة) الكتب بمراكش (*خلال جزولة*، 4 : 193) وذكره ابن سودة كذلك إلا أنه لم يشر إلى موضوعه (*دليل*، 2 : 446).

ظهير حسني بتقديم على ضريح سيدي بلّة ابن عزوز بمراكش

وقد سبقت الإشارة إلى الالتباس الحاصل حول هذه الشخصية من وجود ابن عزوز الرحماني، وابن عزوز الرباطي، لذلك يصعب الحسم في هذا الموضوع بهذه السهولة.

وعلى العكس من ذلك فإن أغلب المصادر تشير إلى مكانته الاجتماعية والعلمية : فقد أصلح بين السلطان سيدي محمد بن عبدالله والعالم الفقيه التاودي بن سودة بعد الجفوة الواقعة بينهما بسبب رفض هذا الأخير توقيع حقوق الديوانة التي فرضها السلطان (*السعادة*، 1 : 95.93 ؛ *الحياة الأدبية*، 317).

عظمت مكانة سيدي بلة عند الشيخ التاودي بعد ذلك وصار يثني عليه، وجعل فيه تقييداً قال ابن المؤقت (أخبرني به من كان تحت يده) (*السعادة*، 1 : 95). وحظي بمكانة علمية محترمة فلقب (بحكيم الإسلام، ورأس الأئمة المعتبرين، وأحد الأفراد بالحضرة المراكشية). وكان يهتم، إلى جانب التصوف، بالطب والتنجيم وأسرار الحروف، تشهد على ذلك مؤلفاته التي بلغ عددها ستة عشر هي :

أ ـ في أسرار الحروف والأوفاق :

1 ـ *إثمد البصائر في معرفة أحكام الظاهر*، توجد منه نسخة خ.ع، 1559 ك ونسخ في خ. ح. 6891 . 7686 . 1081.

2 ـ *الأمر الوافي والترتيب الكافي في السر الخافي*، مخطوط خ. ح. 758 . 1678 . 9023 وخزانة ابن يوسف بمراكش 340.

3 ـ *الأنوار في سر الاختصار*، مخطوط خ. ح. 31.

4 ـ *بحر الوقوف على سر الحروف*، ذُكر في *السعادة*، 1 : 96، وفي *الإعلام*، 8 : 318.

5 ـ *الفصول في حل المعقود وعقد المحلول*، مخطوط خ. ح 4576.

6 ـ *لباب الحكمة في علم الحروف وعلم الأسماء الإلهية*، مخطوط خ. ع 269 . 1752. خ. ح. 1081 و1514.

ب ـ في التصوف :

7 ـ *الأجوبة النورانية*، مخطوط خ. ح. 1139.

8 ـ *تنبيه التلميذ المحتاج في الجمع بين الشريعة والحقيقة*، مخطوط، خ. ع. 2635 ك و2010 ك ؛ خ. ح. 3212 و7741.

9 ـ *رسالة الصوفي للصوفي في التعرف بالاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي*، مخطوط خ. ع. 2454 د، و478 ك، وخ. ح. 31 و5887 و7711.

10 ـ *قصيدة في التصوف*، مخطوط خ. ح. 6844.

ج ـ في الطب والحكمة :

11 ـ *ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة*، مخطوط خ. ع 173 د، 1133 د ؛ خ. ح. 314 . 5774 . 5799 . 5880 . 11.887.

12 ـ *كشف الرموز في العقاقير والأدوية*، مخطوط خ. ع 1551 د ضمن نفس المجموع.

د ـ في الفقه وأصوله :

13 ـ *الأسئلة والأجوبة*، ذُكر في *السعادة*، 1 : 96، وفي *الإعلام*، 8 : 318.

هـ ـ في البدع :

14 ـ *التذكرة السانية في بدع الدنيا العانية*، مخطوط، خ. ح. 3429.

و ـ في الفهارس والبرامج :

15 ـ *المختصر الأزهر في فضل العلم والعمل*، مخطوط خ. ح. 6891 . 7686.

وهي مؤلفات تبين مكانة المترجم له العلمية، ولا يسمح المجال بالحديث عنها بتفصيل. وكانت وفاة سيدي بلة بمراكش سنة 1789/1204، وهذا التاريخ يطابق ما جاء في آخر مؤلفاته، ووفاة معاصره التاودي ابن سودة. خلاف ما جاء ـ خطأ ـ عندابن الموقت في *السعادة*، وگنون في *النبوغ* من أنه توفي سنة 1295 هـ. ودفن في داره بدرب الحمام من حومة باب أيلان.

م. ابن المؤقت، *السعادة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. گنون، *النبوغ* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ ع. ابن سودة، *دليل* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة*.

حسن جلاب

بلحاج ـ أسرة فاسية ـ ← ابن **الحاج** السلمي

بلحاج، أحمد الحسين، ولد سنة 1919 بأيت عبلا أيت باعمران سيدي إفني. كان معروفا بغيرته الوطنية، الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1957، ورغم قصر المدة التي قضاها بين صفوفه أظهر شجاعة نادرة إلى أن استشهد في نفس السنة التي التحق فيها بصفوف جش التحرير في معركة تاموشة.

بلحاج، محمد الريفي، ولد سنة 1923 بدوار يوزيكي بورد أجدير دائرة أكنول إقليم تازا. التحق بصفوف جيش التحرير عند انطلاقته الأولى بالشمال في أكتوبر 1955. ورغم قصر فترة كفاحه بصفوف جيش التحرير فإنه أبان عن وطنية كبيرة وإيمان قوي وشجاعة نادرة. وقد استشهد بمعركة تمصرانت في الرابع أو الخامس من شهر أكتوبر 1955.

بلحاج، مسعود بن البشير، ولد سنة 1905 ببني خيران إقليم خريبكة، ونشأ في أحضان أسرة متواضعة. وعند اشتداد الأزمة المغربية ونفي محمد الخامس تحمس للعمل الوطني والكفاح المسلح فشارك مشاركة فعالة في المظاهرة الشعبية التي نظمت بوادي زم يوم 20 غشت 1955

فسقط شهيداً في ساحة الشرف بعد أن أصابته القوات الاستعمارية بطلقات نارية.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير ؛ كتاب الشهداء، ج 1 و3.

عزالدين العلام

بلحسن، وتكتب أيضاً ابن لحسن أو ابن الأحسن، أسرة سلوية عريقة، لا يعرف تاريخ مجيئها إلى هذه المدينة وربما كان ذلك في القرن الحادي عشر (17 م)، كما لا يعرف إن كان لهم علاقة بمن يحملون نفس الاسم في مدينة مراكش وغيرها. وقد ذكرت المصادر والوثائق المكتوبة عدداً من آل بلحسن السلويين بالعلم والأدب، أو التجارة والجهاد البحري.

بلحسن، أحمد بن إبراهيم الضرير الملقب بنجم الدين. ولد بمراكش عام 1894/1312 بحي حارة الصورة. إذ نزح والده من بلاد مسفيوة إلى مدينة مراكش، واشتغل بالفلاحة في بعض بساتين المدينة وكان يأخذه معه ليساعده في أعماله الفلاحية، لكن سرعان ما أصيب الطفل بمرض العينين أدى به إلى فقد نور البصر، ولما أحسّ والده بما يعانيه ابنه من الفراغ، أحاله على صهره السيد محمد (فتحاً) الجامعي الذي كان مدرراً بكتاب الحي، فاعتنى به، وسهر على تحفيظه القرآن الكريم في مدة وجيزة مع بعض المتون، ثم التحق أحمد بالجامعة اليوسفية فأخذ عن شيوخها أمثال : شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني، والفقيه الصوفي أحمد ولد الحاج المحجوب، وبلحسن الدباغ، وبوشعيب الشاوي، وابن كبور. وأجازه بعضهم.

ولما تأسس النظام بجامعة ابن يوسف كان المترجم من الأساتذة الأوائل الذين التحقوا بالتدريس فيها بعد اجتيازمباراة. وتدرج في أسلاك التعليم الثانوي إلى أن أصبح أستاذا بالقسم النهائي. وطوال المدة التي قضاها في التعليم كان محط إعجاب الطلاب والأساتذة. لحسن أدائه، وقدرته على امتلاك طلابه، ورواد مجالسه في الدروس الوعظية التي كان يلقيها بمسجد أبي العباس السبتي حيث كان يسكن بالزاوية العباسية.

إلى جانب هذا كان يتصف بالجود ، وعلى رأس المستفيدين من كرمه طلبة العلم، يوثرهم على أبنائه ليخفف عنهم وطأة العوز والغربة، فيطعم الجائع، ويكسو العاري، ويأخذ بيد المحتاج.

لقد وهبه الله لسانا ذاكراً، وقلبا خاشعاً، مع مسحة صوفية في جميع تصرفاته. ألف رسالة سمّاها : *مبرة الصلح والإلمام، بين الإخوان وذوي الأرحام*، وله *نظم صوفي* في الاستغفار والتوسل، و*نظم تعليمي* ضاع كله.

توفي رحمه الله في 27 صفر 1955/1375.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

بلحسن، حجي (الحاج ـ) من بين كبار تجار سلا الذين جمعهم خليفة العامل أحمد الطالبي بأمر من السلطان عبد العزيز، مع أمين المستفاد محمد بن الحاج قاسم جسوس والتجار اليهود بأساقفتهم وأعيانهم ليسترعي عليهم بأن من خاطر منهم بمتاعه وأعطاه لأحد ممن له يد تصرف بالقبض والدفع من الولاة وموظفي المخزن فقد عرض ماله للتلف، كما سبق أن وقع تحذيرهم من طرف الحسن الأول ومحمد بن عبد الرحمان لأن جميع ما بيد أولئك الولاة هو لبيت المال.

وقد وقع الإشهاد على حجي بلحسن ومن معه من التجار في 3 شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 257 ـ 259.

بلحسن، عبد الغني، لعله ابن الأديب محمد بن الحاج عبد الغني آتي الترجمة. كان عبد الغني من رجال الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، ونال بهذه الصفة حظه من الصلة التي خصصها الحسن الأول للمجاهدين في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، الوثيقة 84.

بلحسن، عبد الله بن أحمد، كان كسابقه بحرياً في فرقة الطبجية. أدرج اسمه بهذه الصفة في لائحة المستحقين

للصلة التي خص بها الحسن الأول المجاهدين السلويين في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

بلحسن، محمد بن الحاج **بناصر** من قادة رجال الدفعية الطبجيين الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، ولذلك كان من المستحقين للصلتين الحسنيتين، الأولى في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875، والثانية في 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 ووثيقة 170.

بلحسن، محمد بن **عبد العزيز** فقيه ناسك، من بين الفقهاء والأئمة والأعيان الذين قدموا للسلطان عام 1294 مطالب تهم مدينة سلا، ومطالب شخصية. وقد طلب محمد بلحسن "أن يجود عليه بظهير شريف يتضمن توقيره واحترامه وعدم مطالبته بالوظائف المخزنية".

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 164 . 165.

بلحسن، محمد بن الحاج **عبد الغني**، واسطة عقد هذه الأسرة، وعالمها الأديب الشاعر الناثر. ولاعتدال مزاجه ورقة طبعه كان ينظم القصائد بالفصحى وباللسان الدارج الملحون ويجيد في كل ذلك. كما كان يتميز بروح إسلامية ومزيد محبة في الشرفاء والصالحين، وبروح وطنية تجلعه يهتم بأمور قومه وبلديه، يتألم لآلامهم ونكباتهم ويسجل بطولتهم ومآثرهم. وعلى الرغم من ضياع أكثر شعره، فإن ما بقى منه مبعثراً في بعض كتب السلاويين وكنانيشهم العلمية يدل على علو كعبه في هذا المضمار.

ومن قصائده الباقية بائية في مدح آل البيت يقول في مطلعها :

مِن غرة الغرب نجمُ السعد لم يغبِ
ودار سلمى على الدوام في طرب

وأخرى في مدح الجد أحمد حجي مكتوبة في لوح كبير بخط جميل وألوان زاهية معلق بالضريح امحت بعض كلماته غير أن المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي نقل نصها كاملا في كتابه *السفينة المنجية بأخبار أهل الزاوية الحجية*.

ومن قصائد الملحون الباقية للمترجم *الجهادية* وهي طويلة وصف فيها هجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851 مبرزاً دور المجاهدين السلويين في التصدي للأسطول المهاجم، منها :

حافت له الرجال التياكْ اغْـزاوْ فيه بالطعن الباترْ
هَـدُّوهْ بحربْ شديـدْ بعدْ جـانـا بشقوف النارْ

توفي محمد بلحسن بمسقط رأسه سلا في ثاني قعدة عام 1273 / 24 يونيه 1857.

م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف*، 30، والهامش 13 ؛ *السفينة المنجية*، مخطوط ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط، 100.

محمد حجي

بَلْحَسَن، محمد بن محمد الدباغ شيخ الجماعة بمراكش وأحد كبار العلماء الذين جمعوا بين العقل والنقل. ولد بمراكش في السبعينات من القرن الماضي، ونشأ بها وحفظ القرآن وهو صبي على يد الفقيه ابن علال الذي تتلمذ عليه العديد من أبناء أعيان البلد كأولاد بوعشرين وغيرهم. درس علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وأدب وتفسير وحديث على الفقيه الهواري، كما كان يحضر دروس العلامة الحاج العربي الرحماني بجامع المنصوري بحي القصبة إلى جانب أبناء السلطان المولى الحسن الأول، وأنهى تعليمه في القاهرة بجامع الأزهر حيث درس المنطق وعلم الكلام والأصول والفلسفة، وأجازه عدد من علماء الجامعة المصرية. وكان قد وصل إلى مصر عام 1909 م برفقه أحد أعيان البلد إبراهيم ابن عثمان، بعد أن تم الاختيار عليه لفكره الثاقب وذكائه الراجح. وبعد ثلاث سنوات عاد الفقيه بلحسن متضلعا في المعقولات يكاد ينفرد بالتخصص فيها في ذلك الوقت.

وقد مارس حرفة الدباغة في صغره بحكم أن أباه كان أمينا لهذه الحرفة، ثم احترف الحدادة قبل أن يوظف بوزارة الأحباس ثم كاتبا عند الباشا.

ولما حل بمراكش السيد الجاي أول وزير للأوقاف بعد عقد الحماية رفقة السلطان المولى يوسف الذي عزم على إقامة عرس بناته بهذه المدينة، طلب الوزير من الباشا الأگلاوي أن يبحث له عن أستاذ كفء لتعليم أبنائه فاختار الباشا الفقيه محمد بلحسن للقيام بهذه المهمة. ثم انتدبه الأگلاوي لتعليم ابنيه المهدي وإبراهيم. ولما أرسلهما الباشا إلى فرنسا للدراسة سنة 1924 اختار لرفقتهما الفقيه بلحسن الدباغ فبقي هناك إلى حدود عام 1933.

مكنت هذه الرحلة الفقيه بلحسن من القيام بأنشطة عديدة والتعرف على عدد من المستشرقين والعلماء مشارقة ومغاربة. وقد كان التدريس بمسجد باريز أهم هذه الأنشطة حيث تحلق حوله عدد من الطلبة المغاربة أمثال أحمد بلافريج ومحمد الفاسي. وتمخضت هذه الدروس والحلقات عن إنشاء رابطة للطلبة المغاربة يرأسها الفقيه بلحسن، هذه الرابطة التي كانت نواة لمنظمة طلبة شمال افريقية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. وقد أنشئت هذه الرابطة لدحض الأفكار التبشيرية التي كانت تنشرها آنذاك ثلة من المسيحيين في أوساط الطلاب المغاربة المسلمين. وما يزال حفدة الشيخ يحتفظون برسالة المنتصر ابن عبدالجليل إلى أستاذه بلحسن الدباغ يخبره فيه بتخليه عن دين الاسلام واعتناقه ديانة المسيح ابن مريم. ومن الذين اجتمع بهم

بلحسن في باريز الدكتور فرج والأمير شكيب أرسلان والسلطان المولى عبدالحفيظ وعدد من المستشرقين أمثال ماسينيون ودرمنغيم وآخرين.

ومما طبع رحلته من الأحداث عقدُه قران الأغاخان الزعيم الروحي لفرقة الاسماعيلية مع الأنسة كارون Carron من مدينة إيكس ليبان في بداية شهر دجنبر 1929 م. وقد حضر الزفاف الرئيس دوميرگ وعدد من سامي الشخصيات الفرنسية، كما حضره الاستاذ محمد الفاسي للقيام بمهمة الترجمة. ومما يتميز به هذا الحدث هو أن الفقيه بلحسن لما سأل قبل عقد القران عن ولي الآنسة كارون قيل له إنه لا وليّ لها، فرفض كَتابة العقد باعتبار أن الولاية شرط صحة في المذهب المالكي الذي يلتزم به الشيخ. وبعد نقاش طويل اقترح محمد الفاسي هو أن يكون وليّ الآنسة الفرنسية فقبل الاقتراح وتم الزواج على الطريقة الإسلامية كما أراد الآغاخان، وفي إطار المذهب المالكي كما أراد الفقيه العدل بلحسن الدباغ.

ولما عاد الشيخ إلى المغرب في مطلع سنة 1933 استأنف دروسه بمختلف المساجد والزوايا بمدينة مراكش وأخذ يتحلق حوله عدد من التلاميذ أصبح معظمهم من العلماء الأعلام أمثال ابن عبدالقادر مسّو، وعبدالجليل بلقزيز، والمختارالسوسي، وأحمد بنفضيل، والخليل الورزازي، والحسن ابن الصديق، وأحمد أكنسوس، ومحمد بنبين، والصديق العلوي وآخرين.

وفي سنة 1937 رفض الفقيه بلحسن مع عدد من علماء مراكش التوقيع على وثيقة هيأها الاستعمار بواسطة السلطات المحلية تتهم زعماء الحركة الوطنية بالإلحاد والكفر. فحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا ونقلوا إلى حبس تارودانت. وكان من بين المحكوم عليهم عبدالله إبراهيم وعبدالقادر حسن وأحمد الملاخ وعمر الحركاني وعبدالقادر المسفيوي، وأحمد بنفضيل، وابن عبدالرزاق وابن المختار وآخرون.

وفي سنة 1939 دخل النظام الجامعة اليوسفية، وكان بلحسن من بين العلماء الذين رفضوا الدخول فيه، واستمر في التدريس الحر بمختلف المساجد بحيث كان الطلبة الذين يتحلقون حوله أكثر عدداً من طلبة ابن يوسف، الشيء الذي جعل رئيس الجامعة آنذاك الفقيه محمد ابن عثمان يطلب من الشيخ بواسطة الباشا الأگلاوي أن يلتحق بالجامعة ليجمع الشمل وتعم الفائدة، ولم يستجب بلحسن إلا في عام 1943 حين أصبح النظام يشمل السلك النهائي بابن يوسف.

هكذا استمر محمد بلحسن يدرس في جامعة ابن يوسف إلى أن وافته المنية في شهر يناير 1952 فكانت جنازته مشهودة، حضرها عامة المراكشيين وخاصتهم، ورثاه عدد من الشعراء، منهم تلميذه الصديق العلوي ببائية مطلعها :

أيها الشيخ ضاع فيك الشبابُ ... وبكتْكَ العلومُ والآدابُ

معلومات شفوية من تلاميذ المترجم ؛ وتقاييد خاصة بمراكش ؛ أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد شوقي بينبين

بلحسني ـ أسرة ـ ← ابن الحسني

بَلْحْويلات (أولاد ـ)، يتوسط مدشر وعرون حيث يقيم القارون من أولاد بلحويلات أهم منطقة فلاحية وتجارية بحوض وادي نون. هذه الأهمية الاستراتيجية للموقع تجعل منه نقطة مركزية لرصد المبادلات السلعية والتحركات البشرية من وإلى الصحراء من جهة ومن مراقبين مقتدرين من ذوي الكفاءة السياسية والحربية الأكيدة. يعتبر هذا المدشر أقرب ما يكون لأهم الأسواق الأسبوعية والموسمية القديمة والحديثة. وهي دلالة واضحة على كفاءة أولاد بلحويلات تأخذه مغزاها العميق خاصة إذا علمنا أن الرواية المحلية تنسبهم إلى الغور السكاني اللمطي الجزولي الأقدم. فعلاوة على الحراطين المحليين الذي تنسبهم الروايات وتربطهم كل الدلائل بأبعد الفترات القديمة، نجد أولا بلحويلات يتقاسمون هذا المدشر مع أيت احماد أُعلي، أهم فصيلة في قبيلة أزوافيط.

عن هذا الجوار وارتباط أولاد بلحويلات باتحادية تكنة، فإن المتصفح لعقود جماعات أيت أربعين التي يعود بعضها إلى أزيد من قرنين، يسجل انتماءهم الدائم إلى لف أيت بلة. ونسجل كذلك بأن صيغ هذه العقود واللوائح المطولة تجعل من هذا الانتماء تحالفاً دائماً قد يصل في بعض الفترات التاريخية إلى حد الاندماج الفعلي بقبيلة أزوافيط المحورية في هذا اللف. وهي حقيقة تاريخية تضع أولاد بلحويلات في خانة فصائل أيت بكو وأيت ياسين وأيت مسعود التي تنسبها الرواية المحلية إلى أقدم سكان هذا الحوض (*أحرار تكنة*). نستطيع بذلك تلمس خلفيات التحالف الموضوعي من أجل مراقبة المجال الاستراتيجي، خاصة وأن وعرون يطل على الحدود الفاصلة بين مداشر لفي أيت الجمل غربا وأيت بلة شرقا. هذه الخصوصية المميزة لورعون تجعل بنيته الداخلية أكثر عرضة للحساسيات، والصراعات التي قد تحدّ من فعالية نظام التحالفات. وهنا لا بد من الاشارة إلى أن الاسم الأسبق لوعرون هو أگاوْس الوارد في وثيقة معاهدة مملكة بوطاطا وملك ومملكة قشتالة سنة 1499/904 (*معلمة*، 2 : 597). خلال هذه السنة كان محمد بن أحمد المنتمي إلى قبيلة أولاد عمران الهلالية هو شيخ أگاوس. وكانت تجمعه بكل من محمد ميمون شيخ مدينة تگاوست المجاورة وعلي بن اينو شيخ قصبة تسگنان رابطة النسب إلى أولاد عمران والمصاهرة، وقد كانت قصبة أگاوس تحتضن يومها مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس قد تميز عن سائر شيوخ القبيلة المنتشرين عبر سهول وهضاب أودية نون وافران وتمنارت بمعرفته اللغة الاسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع الإسبان حاميه وحاميي قبيلته.

وكنا قد أشرنا في إحدى الدراسات بأن المنحنى الاسطوغرافي لهذه الوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. كما

انتهينا إلى أن الاختلاف بين موقف شيوخ هذه القبيلة وباقي الغور السكاني اللمطي الجزولي من التحالف مع الإسبان كان كبيراً وجوهريا. فالبعد الدلالي يكشف من خلال الاستعراض والمقارنة بين بنود ومراحل المعاهدة عن حدة الصراع بين أولاد عامر والغور السكاني القديم. من هنا فإن هذه المرحلة المضطربة لا تخلو من انعكاسات على بلورة الصيغة اللاحقة لأولاد بلحويلات.

إننا نجهل العوامل التي ساهمت في هيكلة هذه التجزئة القبلية على صيغة «أولاد» بدل «أيت» كما نتساءل ما إذا كانت تسمية وعرون تفيد حقا اسم شخص معين كما تريد ذلك بعض الروايات. لعل أقدم وثيقة ظهرت بها هذه التسمية هي عقد شراء ممتلكات الشيخ يحيى بن احماد الوعروني من طرف أمير إليغ بودميعة سنة 1633/1043 (P. Pascon, *La Maison*, 22) ندرك من هنا أنه ليس من السهل الإحاطة بتاريخ أولاد بلحويلات نظراً للقطيعات المحيطة به. ولما لم يكن لنا من مصادر تاريخية نعتمدها، فإننا نظل ملزمين بالاكتفاء بما يمكن أن تفضي به الرواية الشفوية. وهنا نلاحظ أن ذاكرة أولاد بلحويلات تكتفي بالتأكيد على أن عدم تدوين الأحداث إنما فرضته ندرة الاختلافات مع باقي فصائل القبيلة. وهو استنتاج يزيد من فعاليته الحضور البين لهذه الفصيلة على الواجهة السياسية والعسكرية من حيث هم كنموذج للوحدات الإثنية الجزولية اللمطية المتشبثة بمجالها القروي منذ ما قبل تشكل اتحادية تكنة. لقد كان سيد أولاد بلحويلات خلال الفترة الحاسمة التي عرفت طرد آخر الوحدات المعقلية من وادي نون والساقية الحمراء هو نفسه ولد مريزيگ الذي تزعم كل العمليات الحربية التكنية. وقد جاء طرد فصيلتي امْعَرَّفْ واسْنان في المعركة الفاصلة في الموقع حاليا بميگسم ولد مريزيگ. هاتان الفصيلتان كانتا تنتميان إلى اتحادية أولاد دليم التي كانت تشمل علاوة على الدليميين الحاليين أولاد سالم وأولاد المولات.

من هنا يتضح أن الاستنفاع بتراكمات التجربة المحلية يخضع أساسا لإدماج أولاد بلحويلات في باقي الفصائل الزفاطية. فأولاد بلحويلات قد شكلوا دائما كياناً مرتبطاً بالسياق العام للعلاقات المجتمعية للقبيلة كما تشير إلى ذلك أقدم وأحدث الوثائق على حد سواء. وهي حقيقة لا يمكننا أن ننتقل على ضوئها بالقرابة بين أولاد بلحويلات وقبيلتهم من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية التحالفية بل إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع قبيلة أزوافيط. ذلك أن العلاقات القرابية تعد مهيمنة على صعيد بنية قبلية برمتها تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى مقننة الفاعليات السياسية وغيرها. وهو ما سيسجله الضابط الفرنسي P. Marty سنة 1914 حين نسب فصيلة أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط محدداً عدد عائلاتها في 100 وحدة (*Les Tribus*, 68). إلا أن خلافا نجهل اليوم دقائقه حدث بعد ذلك بسنوات بين أولاد بلحويلات وأيت بليد انتهى بتعميق هوة الخلاف بينهما. وإذا كانت الأساليب التي اعتمدها أزوافيط في التقريب بين المتصارعين لم تأت بنتيجة، فإنهم يعتبرون أيت بليد الطرف المسؤول عن هذا النزاع الذي أضر بمصالح القبيلة. أما فيما يتعلق بمنظور الضباط الفرسيين لهذا الخلاف فنجده سنة 1934 على لسان F. C. De la Chapelle حين يقول بأن خلافاً كبيراً قد عصف خلال العشرينات بانتماء أولاد بلحويلات إلى لفّ أيت بلة (*Les Tekna*, 93). وهو ما سيؤكده V. Monteil سنة 1948 مسجلا اقتراب أولاد بلحويلات من قبيلة أيت لحسن (*Les Tekna*,, 10-11-14) على أن مميزات أولاد بلحويلات منذ اشتعال الخلاف مع فصائل أيت احماد أُعلي الزفاطيين اقتصرت على التأرجح بين اللفين في إطار لا يسمح بالتشكيك الفعلي في انتمائها أساسا إلى لف أيت بلّة. وهنا لا بد أن نسجل بأن التعارض بين فصائل القبيلة الواحدة لا يكون دائماً مصدره مشاكل وصراعات جوهرية حول قضايا استراتيجية بل كثيراً ما يكون فقط نتيجة نزاع محدود بين شخصين لأسباب واهية. وإذا نحن ركزنا على تطور العلاقات الاندماجية بين أولاد بلحويلات وغيرهم من أزوافيط لم نعثر على أي انعكاس واضح للصراع الذي وقع خلال العشرينات. فعلى غرار آبائهم نجد أجيال ما بعد العشرينات توظف سعيها إلى تحديد وتثبيت البنية القرابية والفلاحية والاقتصادية على ما كانت عليه. أما فيما عدا ذلك فإن توجه أولاد بلحويلات إلى الانشطاريزول بمجرد ما يتم التركيز على الطبيعة الانقسامية لفصائل قبيلة أزوافيط.

إن الأساليب التي يعتمدها أولاد بلحويلات في تحصيل معاشهم تعتمد على نفس المقاييس التي تعتمدها باقي الفصائل الزفاطية بالمقارنة مع لف أيت الجمل مثلا. لقد أوضح De La Chappelle بأن ثلثي مدشر وعرون يدخل خلال الثلاثينات تحت مراقبتهم الفعلية المباشرة. وأن نصفهم ينتجع ما بين وادي نون والقعدة. كما أكد على أن طابعهم الحربي لم يزد إلا تطوراً مما جعلهم يدخلون تحت حمايتهم بعض وحدات أهل الشيخ من قبيلة الركيبات. أما الهجرة إلى الموانئ المحيطية فقد قلصت حجمهم الدمغرافي إلى حد كبير. نجد أنفسنا بذلك أمام وضعية مطابقة لما كانت عليه فصائل أزوافيط المتبقية آنذاك. فتوطينها لأواصرها القرابية والتحالفية نجد الطرفين يختطان نفس الأسلوب في مواجهة هذا الظرف العصيب. هل معنى ذلك أن الروابط التي تشد الجماعات إلى أرضها أقوى وأمتن من الروابط التي تشدها إلى بعضها البعض. إن الصورة التي تحتفظ بها ذاكرة أزوافيط لشيخي أولاد بلحويلات إبراهيم ولد امبيركات والصديق ولد بوشلگة تؤكد إلى أي مدى لم يكن التعايش في نطاق القبيلة يكتسي صبغة تضامن ميكانيكي. كما أن السمات التي ما تزال تطبع المقولات المحلية على اختلافها هي من صميم البنية الاجتماعية

الممتدة في التاريخ. وقد ساعدت التطورات المجتمعية خلال الستينات على احتواء الحساسيات القبلية القديمة. فقد تميز المهاجرون من أبناء هذه الفصائل بارتباطهم التام بسيرورة مجتمعهم.

ويعتبر المعطى الأساسي لأولاد بلحويلات الحاليين في المعركة التي يخوضونها من أجل الاحتفاظ بسماتهم الرئيسية هو الارتباط بالأرض. فالبنية الاجتماعية تبرز لنا اليوم كيف أن أولاد بلحويلات يتحدون على مواجهة كل ما يحدق بهم من خطر خارجي متجاوزين نزاعاتهم. وهنا لا بد من أن نشيد بالدور الطلائعي الذي يلعبه السيد محمد مولود ولد السالك الحبيشي الذي تميز بما يتميز به الخواص من ذوي النظرة البعيدة المدى.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ أگاوس، *معلمة المغرب* ج : 2.

P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie* ; F. C. De La Chapelle, *Les Tekna du Sud Ouest Marocain* ; Vincent Monteil, *Les Tekna du Sud Marocain* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*

مصطفى ناعمي

بلْخريف (ابن ـ) علال، ولد سنة 1910 بقبيلة بني توزين بناحية الناضور، وعندما تأسس جيش التحرير، انخرط فيه وأبان عن فعالية كبيرة في المعارك والاشتباكات التي كان يَخوضها بمعية فرقته التي كانت ترابط بشمال المملكة بقيادة كل من السيد الحاج بخريف أحمد التوزاني والسيد محمد الغبوشي. وفي أحد الاشتباكات بين الثوار وجنود الاحتلال، سقط العديد من الشهداء ومن بينهم السيد بن بلخريف يوم 24 أكتوبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

بَلْخَضير أو بَلْخَضِر، وتكتب أحيانا ابن الخَضِر، أسرة معروفة في رباط الفتح وأسفي ويحمل هذا الاسم أيضا جماعات في قبائل الرحامنة والشاوية والغرب. وينتسب آل بلخضير الرباطيون إلى الشيخ أبي الشكاوي الحسني الإدريسي صاحب الضريح بشالة. أما آل بلْخضير الأسفيون فيستغرب من كون محمد الكانوني أغفل ذكرهم في كتابه *أسفي وما إليه كما* أغفل غيرهم، مع أنهم كانوا يحظون بمرتبة خاصة في مجتمعهم وأن الوثائق العدلية المتعلقة ببعضهم تشير إلى الأخوين الحاج الهاشمي بن محمد وشقيقه المكي بن محمد، وهما اللذان يشكلان فرعين كبيرين لآل بلخضير، وتضيف بعض الوثائق لقب الصفار إلى بلخضير، فتُسمّيهم "بلخضير الصفار" وكان منهم فقهاء وتجار وصناع.

بلْخضير، أبو **بكر** بن الحاج مُحمد، ولد عام 1318/ 1900، وتلقى تعليمه بأسفي وأخذ يمارس التجارة مبكراً، وخصوصاً في الحبوب، إذ كانت له علاقة متينة مع أهل البادية. ظل طيلة حياته يحظى بتقدير السكان فأمسى من رجالات المدينة ووجهائها وتوفي في غضون عام 1391/ 1971.

بلْخضير، عبد السلام الرّباطي، من نجباء التلاميذ المنقطعين لطلب العلم في أوائل هذا القرن، لازم بالخصوص مجالس الشيخ المكي البطاوري وانتسخ له جل مؤلفاته. ثم أخذ يلقي دروساً بالزاوية التهامية إلى أن أدركته الوفاة، وهو مازال في مقتبل عمره، عام 1325 / 1904.

رواية شفوية عن م. الأمين بلگناوي.

بلْخضير، محمد الحسني الإدريسي الرباطي. حلاه صاحب *البدور الضاوية* بقوله : "كان من العلماء الأدباء المحاضرين ذوي الإجادة في النظم على اختلاف أنواعه ما بين قصائد موزونة وأزجال معربة وملحونة، وموشحات ذات أسماط وأنماط، تزري بجواهر الأسماط" وأورد له قصيدة رائية طويلة في مدح الشيخ علي العكاري مطلعها :

سما في سماء المجدِ عن كوكب البدرِ
ثناؤك يـا شيـخَ الجهـابذةِ الغـُرِّ

توفي عام 1180/1766.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ *رسوم عدلية ووثاق مختلفة* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط.

أحمد بنجلون وعبد الاله الفاسي

بلْخضير، محمد اليوسفي، وتكتب أحياناً بلخدير، ولد سنة 1328 / 1910. من رجال موسيقى الآلة بالرباط، أخذ عن أحد شيوخ الآلة في وقته المعلم أحمد زنيبر فابتدأ عنده بعزف الطار، ثم تحول إلى الكمان، وأصبح يباشر مهنته كفنان في الثلاثينات. عمل كأستاذ للموسيقى الأندلسية بمعهد مولاي رشيد بالرباط، تحت إشراف الأستاذ الفرنسي المختص في الموسيقى المغربية شوتان، وساعده على إنجاز عدد من الأعمال الخاصة بموسيقى الآلة، وبالخصوص في تنويط عدد من موازينها، بعد أن أخذ أصولها عن بعض كبار الأساتذة، مثل عمر الجعيدي، رئيس الجوق الملكي لموسيقى الآلة. وكان بلخضير من جملة الموسيقيين الذين شاركوا في الثلاثينات بالمعرض الدولي في أمريكا مع عبد السلام ملين والمعلم سلومو الصويري حيث رافقوا العبدي صاحب المقهى التقليدي بمتحف الأوداية.

كان بلخضير من أول العاملين في الإذاعة المغربية، حيث كان يقدم حصصاً موسيقية على رأس جوق من تلاميذه. ثم واكبه جوق ثان كان يضم موسيقيين آخرين على رأسهم المعلم حبيبي امبيركو. ثم نُحي الجوقان ليحل محلهما جوق البارودي. على أن بلخضير استأنف نشاطه الموسيقي كعازف كمان في الجوق الوطني بالإذاعة المغربية.

توفي بالدار البيضاء في 12 رمضان 1385 / 4 يناير 1986 وكانت له جنازة كبيرة.

أرشيف الإذاعة ؛ استجواب مع المطرب صالح الشرقي.

محمد زنيبر

بلعامري ←ابن العامري

بلعربي ـ أسرة سلوية ـ ←ابن العربي

بلغازي ـ أسرة ـ ← ابن الغازي

البُلْفيقي، محمد بن محمد بن إبراهيم يُكنّى أبا البركات، وابن الحاج، من كبار أعلام القرن الثامن (14 م) قال عنه ابن خلدون :"شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس. وسيد أهل العلم بإطلاق، والمتفنن في أساليب المعارف" (*تعريف*، 60) واشتهر البلفيقي باعتباره أحد شيوخ كبار أعلام الغرب الإسلامي، أمثال ابن الخطيب، وابن خلدون، والنّباهي، والسراج، وقد أفرد له هؤلاء تراجم مهمة تحدثوا فيها عن نسبه، ورحلاته، وشيوخه، ووظائفه وعلاقاته بسلاطين ذلك الزمان. وهكذا اهتم ابن الخطيب بالنسب العربي للبلفيقي وصعد به إلى عصور ما قبل الاسلام (*الإحاطة*، 2 : 143)، وذكر المقري بأن البلفيقي كان "من بيت كبير علما وصلاحا، وزهداً، وجده الامام العارف سيدي أبو إسحاق ابن الحاج، أشهر من نار على علم، وقبره مشهور بمراكش" (*نفح*، 5 : 474).

وقد عُرف البلفيقي أيضا برحلاته العديدة فقال عنه السراج في *فهرسته*، "رحل في طلب العلم قديماً وحديثا"، وتتخلل المصادر العديدة من الأخبار حول تنقلاته بين حواضر الغرب الإسلامي كفاس، وسبتة، ومراكش، وبجاية، وتلمسان، ومدن الأندلس. وخلال هذه الرحلات كان يتلقى إجازات كبار شيوخ عصره، فبالاضافة إلى ما تلقاه على شيوخ الأندلس تذكر بعض المصادر أنه أخذ عن الإمام المشدالي ببجاية (*نفح*، 5 : 485) وعن أبي الحسن الصغيّر الزرويلي بفاس. كما أخذ عن ابن البناء العددي بمراكش (*جذوة*، 292، 295). وإذا كانت هذه الرحلات قد جعلت من البليقي عالما متنوع المعارف، حاصلا على مبتغاه من المعقول والمنقول فإنه كان أيضاً، وخلال هذه الرحلات يعقد مجالس للتدريس بمدن فاس، وسبتة، وبجاية، ومراكش وغيرها.

ولي البلفيقي قضاء الجماعة بالعدوتين وكان قاضياً بمدينة المرية ومربلة ومالقة وبجاية، واشتغل في نفس الوقت بالتدريس، ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا سالم المريني استقدمه عام 762 هـ للأخذ عنه، وكان ابن خلدون هو الذي يسرد على البلفيقي المدونات التي أخذها عنه السلطان، ومنها كتاب *الموطأ* للإمام مالك. وإلى جانب التدريس والقضاء أنيطت بالبلفيقي مهمة السفارة، فتردد عدة مرات على حواضر المغرب، ولا شك أنه قام بهذه الوظيفة لأن السلاطين كثيراً ما كانوا يختارون سفراءهم من ضمن قضاتهم، كما أن ذلك يرجع إلى المكانة التي كان يحظى بها لدى سلاطين عصره. وفي هذا السياق يذكر النباهي أن البلفيقي "استُعمل في السفارة بين الملوك فصحبه السداد، ورافقه الإسعاد" (*المرقبة*، 165). كما وصفه ابن خلدون بالمتفنن في "آداب الصحابة والملوك" (*تعريف*، 61.60) وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون أن البلفيقي قدم هو وأبو القاسم الشريف السبتي ليشفعا عند السلطان أبي عنان لفائدة القاضي أبي عبدالله الفشتالي آخر سنة 756 هـ (*تعريف*، 60) كما أشار إلى أنه قدم إلى فاس في سفارة بين ملك الأندلس وملك المغرب (*تعريف*، 305).

توفي محمد البلفيقي في شهر رمضان عام 772 / مارس ـ أبريل 1371.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ط. القاهرة 1974 ؛ *الكتيبة الكاملة*، ص 127 ؛ النباهي، *المرقبة العليا*، ص 164 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 5 : 471 وما بعدها ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 4 : 418 ـ 442.

عمر بنميرة

بلقاضي ـ أسرة سلوية ـ ← ابن القاضي

بلقايد، فرقة نابهة من قبيلة أولاد يعقوب بالسراغنة، ينتسبون إلى المولى عمران الإدريسي دفين دادس، ويكثر فيهم الفقهاء والقراء. وظلت قيادة القبيلة بأيدي آل بلقايد مدة طويلة وكان آخرهم بالقبيلة القائد المدني بن المعطي.

بلقايد، المعطي بن المدني اليعقوبي السرغيني. ولد بالسراغنة عام 1290 / 1873، وظهرت شجاعته وميله للفروسية في مراحل حياته الأولى، فانخرط، وهو لم يكد يبلغ العشرين من عمره، في جيش المخزن الحسني كقائد

مائة، ثم رقاه الوزير الصدر الكباص إلى قائد الرحى (خمسمائة). وفي عهد الحماية أسندت إليه قيادة بلاد الغرب حيث عين باشا لمدينة القنيطرة قبل سنة 1925 ولم نقف على تاريخ وفاته.

J. et M. Gauvion, *Aayan al-Maghrib al-Akça*, 567 - 569

محمد حجي

بلقزيز، أسرة مراكشية، ينحدر أصلها من شرقاوة بجّعد ذرية الشيخ المعطي بن الصالح الشرقي. ويرجع تاريخ نزوح هذه الأسرة إلى مراكش إلى أيام السلطان المولى سليمان حيث نزح من أبي الجعد أخوان، هما أحمد ومحمد، وسكنا بحي أزبزط قرب جامع ابن يوسف. وكان لأحمد ذرية من امرأة حرة بحي أزبزط، وأخرى بالزاوية العباسية.

وبالرجوع إلى بعض عقود الأنكحة نرى أن هذه الأسرة عُرفت بادئ الأمر بالتادلي أما كلمة بلقزيز فهو لقب، يعني عند أهل مراكش نوعاً من (الخرشوف) البلدي المشوك. ومع انعدام الوثائق التي توضح سبب تسميتهم بهذا الاسم، فلا بأس أن نستأنس برواية شفوية عن قيدوم هذه الأسرة الفقيه القاضي محمد بلقزيز يقول: «إن أحد أفراد هذه الأسرة كان كلما أراد أن يشتري بلقزيز (أي الخرشوف) قطع قطعة منه وأكلها، ليتأكد من جودته وعدم مرورته، فيقول للبائع (آش هذا بلقزيز !؟!)» تنقيصا له من جودته، وعدم رضاه عن طعمه ومذاقه، وتكرر هذا مرات فأطلق عليه الباعة هذا اللقب، وأصبح الناس ينادونه به فيتقزز منه، لكنه مع مرور الأيام تقبله، وغدا آله يحملونه كلقب عائلي. ومن أبرز أفراد هذه الأسرة أيام السلطان مولاي عبدالرحمان الفقيه أحمد بلقزيز الذي أخذ عن سيدي البهلوّل بن علي بوسلهام الرحماني. أما الآن فيوجد لها فروع كثيرة بمراكش وغيرها.

عقود أنكحة لآل بلقزيز : روايات شفوية.

بلقزيز، عبدالجليل بن أحمد المراكشي، ولد بمراكش عام 1900/1318، وكان والده ينوب عن المحتسب السيد عبدالرحمان المتوكي. ووالدته السيدة زينب بن داني، من حفظة القرآن الكريم، بعد حفظ القرآن الكريم، اشتغل قرابة عشر سنوات بطلب العلم، تلقى فيها مجموعة من العلوم على علماء مراكش وغيرهم أمثال : الفقيه محمد الداودي السرغيني، وبوشعيب الشاوي، وسيدي أحمد ولد الحاج المحجوب، ومولاي أحمد العلمي، وفتح الله بناني.

ومن حين لآخر كان يزور مراكش علماء نابهون أمثال : المدني بن الحسني ومحمد الرافعي وأبو شعيب الدكالي فينتهز فرصة وجودهم بمراكش ليُجالسهم ويأخذ عنهم العلم والمعرفة. وقد كان معجبا إعجابا خاصا بالفقيه الرافعي، يزوره من حين لآخر بمدينة الجديدة، ويتبادل معه الرأي فيما يراه مشكلا من قضايا الفقه والأصول والتفسير والحديث.

قام عبد الجليل بلقزيز بالتدريس في جامع ابن يوسف، حيث كان يلقي دروسا من الفجر إلى العشاء. وتختلف الدروس موضوعا ومستوى حسب قدرات الطلبة. ولما نظمت الجامعة اليوسفية يقول العلامة الرحالي الفاروق رئيس الجامعة : (عرضنا عليه أن يدعم الحركة العلمية بجامعة ابن يوسف، وعلى الرغم من أنه كان يميل إلى اكتساب الرزق عن طريق التجارة التي تعد عاملا قويا من عوامل التمدن والبناء، فقد لبى ـ رحمه الله ـ هذه الرغبة وانخرط في سلك النظام ...)

توفي بمراكش عام 1967/1387. ودفن بالزاوية الدرقاوية بسيدي بولعبادة.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

بلقصيري ← مشرع بلقصيري

بلكاهية، أسرة أسفية، ينسبون أحيانا بصيغة "الكواهي" ويذهب بعضهم إلى أنهم من أصل تركي، معتمدين في ذلك على لفظ "الكاهية" الدخيل الذي يعني "الخليفة" عند الأتراك. قد يكون هذا الزعم صحيحا نظراً لما كان للأتراك من نفوذ، ولو محدود، في شمال المغرب وفي الجيش المغربي خاصة. لكن صاحب أسفي وما إليه يقول إن أصل آل بلكاهية من دكالة، وإن أحد أجدادهم كان يسمى بلاّ وسمي ابنه كاهية، فصار اسم الأسرة "بلاكاهية" ثم "ابن الكاهية" وتطور إلى بلكاهية. ويستبعد هذا بأن اسم بلا يوجد في المغرب الشرقي وبناحية ورززات، ولم يسمع قط بدكالي اسمه بلا.

ويذهب آخرون إلى أن أسرة بلكاهية نزحت إلى المغرب من الأندلس، فمنهم من استوطن الرباط وسلا، ومنهم من استقر بأسفي. وفعلا ما يزال يوجد قليل من آل بلكاهية بالرباط.

أما الذين أقاموا بأسفي، فإنهم يشكلون فرعين جدهما المشترك عبدالفضيل بلكاهية، ينحدر أحدهما من سعيد بن عبدالفضيل، والثاني من محمد بن عبدالفضيل. ويلاحظ أن فرع سعيد بلكاهية يسير نحو الانقراض اذ لم يبق منه إلا ثلاثة أفراد يقيمون حالياً بأسفي، بينما هاجر عقب محمد بلكاهية إلى مراكش وأگدير ولم يبق منهم بأسفي إلا امرأتان.

ومع ذلك، فإن لكلا الفرعين أفراداً، منهم من تقلد القيادة، ومنهم من برز في التجارة أو في ميدان العلم والموسيقى.

بلكاهية، أحمد (حمدان) بن محمد، من فقهاء أسفي ومن ألمع وجهائها. اشتهر بسداد الرأي وتفتح البصيرة ورحابة الصدر والفضيلة وسمو الأخلاق، فولاه السلطان سيدي محمد بن عبدالله القيادة على يهود أسفي الذين كانوا من قبل لا يقبلون قائداً أو مقدماً عليهم إلا منهم. وبعد ذلك، تولى عمالة أسفي والصويرة معا في عهد السلطان المذكور.

وافاه الأجل عام 1775/1189.

أحمد بنجلون

بلكاهية، الطيب الرباطي، من شيوخ موسيقى الآلة، ولد سنة 1318 / 1900، وكان والده من أهل الزاوية الحراقية ومن حفاظ موسيقى الآلة. وعن والده أخذ العيزف عن الطار. ثم تتلمذ على الحاج عبد السلام بنيوسف الرباطي وعلى عزوز بناني الفاسي في النقر على تلك الآلة قبل أن يأخذ في حفظ موازين الآلة على عدد من الشيوخ من بينهم الحاج المختار الأوديي وعبد السلام الأزرق.

ولعله استمع كثيراً إلى الفقيه المطيري لما كان يرد على الرباط فتأثر بطريقته التي كانت تختلف عن طريقتي الجعيدي والبريهي، وإن كانت كل هاته الطرائق لا تختلف عن بعضها من حيث الرواية. على أنه استفاد كثيراً من عمر الجعيدي الذي لقنه جملة من الموازين تدخل في نوبات الاستهلال والأصبهان والرصد والعشاق.

ونظراً لنبوغه في هذا الفن، قدر له أن يترأس وهو لم يتجاوز العشرين، جوقاً يضم أحسن المطربين بالرباط من بين أفراده شيخه عبد السلام بنيوسف ومحمد السبيع ومحمد امبيركو ومصطفى المعروفي. وكان له دكان معروف بشارع الجزاء يصنع فيه أطر الصور ويبيع فيه بعض اللوازم الموسيقية.

اشتهر بالاستقامة الخلقية والروح الاسلامية والوفاء بالعهد. ومن جملة ما يشهد له بذلك أنه التزم هو وجملة من أفراد جوق الإذاعة في أيام الاستعمار بمقاطعتها لتحقيق بعض المطالب، فكان هو من الأفراد القلائل الذين تشبثوا بموقفهم إلى النهاية.

توفي بالرباط عام 1392 / 1972.

ع. بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح ؛ استجواب مع المطرب صالح الشرقي*.

محمد زنيبر

بلكاهية، الطيب بن **محمد** بن عبدالله، من فروع سعد بن عبدالفضيل، تلقى تعليمه بأسفي ثم بمراكش، وتولى قيادة أسفي في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان.

توفي عام 1255/1833.

بلكاهية، عبدالرحمان بن مَحمد بن أحمد، تلقى العلم بأسفي، وكان يزاوج بين التدريس والفلاحة، ويعدّ من أكابر تجار المدينة.

وافاه الأجل عام 1358/1939.

بلكاهية، محمد بن محمد بن الطيب، من مواليد سنة 1891 بأسفي، وبها نشأ ودرس على شيوخها ثم أتم دراسته بالقرويين بفاس، ولازم هناك بصفة خاصة الشيخ الفلكي سيدي مَحمد العلمي الذي انتهت إليه رآسة علم الفلك، وتعتبر تآليفه العديدة من أهم المراجع في هذا الفن.

بعد رجوع محمد بلكاهية من فاس إلى أسفي تلقى عنه طلبتها علم التوقيت بصفة خاصة، ولم يكن أحد يتقدم عليه في هذا المضمار. اشتغل بخطة العدالة، وكان أحياناً ينوب عن قاضي المدينة الفقيه الأصولي محمد العبادي. عرف عنه التحري الشديد في تلقي الشهادة وتحريرها والتنزه عن كل ما فيه شبهة، كما كان له الباع الطويل في عِلم الفرائض والحساب.

وبصفة عامة، كان ثاقب الذهن، حاضر البديهة، دقيق الملاحظة، تطبع سلوكه الجدية وعلو الهمة، ذو نكت لطيفة.

توفي سنة 1377 / 1957.

م. الكانوني العبدي، *أسفي وما إليه* ؛ أ. بنجلون، *من تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ ط. البواب، *مذكرات خاصة*.

أحمد بنجلون

بلكناوي، أو ابن الاكناوي، أو ابن الأجناوي أو ابن الجناوي، وتكتب أحياناً بدون ابن : الأجناوي أو الجَناوي وحتى اللّجنوي، أسرة رباطية مجيدة أصلها من رجراجة أو من جبل العلم مقر الشيخ عبد السلام بن مشيش الإدريسي الحسني. وفي تطوان آل الجنوي الحسنيون العمرانيون كان فيهم علماء وقضاة، يوجد ظهير رحماني مؤرخ في 17 رمضان عام 1238 يجدد ما بأديهم من ظهائر الملوك السابقين ويوصي بتعظيمهم وإعفائهم من الوظائف المخزنية مراعاةً لنسبهم الشريف واعتكافهم على التعليم، ولا يُعرف ما إذا كانت لهم علاقة بآل بلكناوي الرباطيين. وقد استوطن بعض هؤلاء بلاد زعير حيث أُقبر الشيخ الصالح محمد بن الطاهر بن المكي بلكناوي في كريفلة بجوار المجاهد عبد الله بن ياسين. وتذكر الوثائق وكتب التراجم والحوليات عدداً غير قليل ممن عرفوا من آل بلكناوي بالعلم والصلاح، أو بالتجارة وخدمة المخزن.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198 ؛ *الاغتباط*، 244 ؛ م. بنسودة، *قبيلة زعير*، 2 : 217 ـ 218.

بلكناوي، إبراهيم بن **محمد** بن الطيب الرباطي، فقيه عدل فرضي حيسوبي موقت، كان إليه المرجع في قسمة التركات، خطيباً بجامع السنة، إماماً راتباً بضريح مولاي المكي بحومة الدورة، قبل أن يعين قاضياً بالنيابة في الدار البيضاء، فاشتغل هناك بالتدريس والخطابة. وقد توسع في ترجمته تلميذه العربي الوزاني في *فهرس شيوخه*. وفي عام 1298 / 1880 رجع إلى مسقط رأسه فاشتغل عدلا بمرسى أسفي إلى أن توفي في قعدة عام 1311 / ماي ـ يونيه 1894 وأقبر بضريح مولاي المكي بالرباط.

العربي الوزني الرباطي، *فهرس الشيوخ*، مخطوط بنقل م. بوجندار؛ الاغتباط، 244 ـ 245 ؛ م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 235 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1311 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 260 ـ 1961.

بلكناوي، إبراهيم بن **محمد البدر** ولد بالرباط عام 1321 / 1903، وتلقى تعليماً مزدوجاً : تقليدياً على علماء الرباط، وعصرياً بثانوية مولاي يوسف. واشتغل بقسم الترتيب بإدارة المالية إلى أن طرد سنة 1944 لعواطفه الوطنية، ثم التحق بالإدارة الشريفة كترجمان. وبعد

الاستقلال نقل إلى قسم الترجمة برآسة الحكومة إلى أن توفي سنة 1391 / 1971.

معلومات شفوية عن م. الأمين بلكناوي.

بلكناوي، أحمد بن إبراهيم الرباطي، فقيه أديب، عمل مدة ناظراً لأوقاف الصويرة، وكان يتّجر مع آل بنشقرون في منشستر. ثم أقام مدة بمراكش مراسلا لجريدة *السعادة*، حيث تعرّف على إدريس البوكيلي، وقدم معه إلى

الرباط للعمل بدار المخزن في الصدارة، ثم في الاستيناف الشرعي، والأحباس. وأخيراً عاد إلى الصويرة حيث أدركته الوفاة يوم عيد الأضحى من عام 1361 / 19 دجنبر 1942.

بلكناوي، الطاهر بن المكي، أديب شاعر، فقيه مدرس نفاع، من تلامذته مولاي المكي بن محمد الوزاني صاحب الضريح الشهير بسيدي فاتح.

توفي بالرباط قبل عام 1150 / 1737.

بلكناوي، عبد السلام بن إبراهيم الرباطي، فقيه اشتغل مدة بالتجارة حيث كانت له دار سلعة (متجر كبير) بالسوق التحتي، وكان في نفس الوقت إماماً بمسجد سيدي عبد الله الحويشي في حي بوقرون. وقد رشحه السلطان مولاي يوسف سنة 1926 للإمامة والخطابة بجامع باريز،

فكان ثاني إمام مغربي فيه. ولما رجع إلى مسقط رأسه التحق بالمحكمة العليا الشريفة رئيساً لقسم الضبط ثم عضواً فرئيساً للقسم الجنائي.

وتوفي بالرباط عام 1392 / 1972.

م. الأمين بلكناوي، *تقاييد*.

بلكناوي، العربي بن علي بن الطيب، حلاه في *تعطير البساط* بالفقيه العدل. عمل كاتباً خاصاً للخليفة السلطاني بالرباط المولى رشيد، ثم سمي خليفة للمحتسب، فعدلا في سماط شهود الرباط إلى أن توفي في جمادى الثانية عام 1243 / دجنبر 1827 ـ يناير 1828.

م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 272 ؛ م. الأمين بلكناوي، *تقاييد*.

بلكناوي، علي بن الطيب الرباطي، توفي والده وهو صغير طالب علم بمسقط رأسه، فخرج إلى مدينة فاس لإتمام دراسته أوائل عهد المولى سليمان (1207 ـ 1238 / 1792 ـ 1822)، ومكث بها مدة طويلة إلى أن كادت أخباره تنقطع عن أهله. وفي أول رسالة كتبها لهم أخبرهم بأنه أصبح من كتّاب المخزن المقربين إلى السلطان المولى سليمان.

وكان إلى جانب الكتابة يكلّف أحياناً بمهام مدنية وعسكرية. فقد وجهه المولى سليمان إلى الشرق مع مَن سار لصلة الرحم مع أخته زوجة شريف مكة، فتعرف هناك على الحركة الوهابية. كما كلفه السلطان بإخضاع بعض القبائل الثائرة، وقد جاء في رسالة سليمانية :"خديمنا الأرضى الفقيه المرتضى، الحاج علي اللّجناوي... فإن قبائل زعير قد زاغت وراغت فاخرج إليها فإن هي طاعت وأذعنت فذاك وإلا فاعمل فيها السيف". وأدرك علي بلكناوي حظوة لدى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859) فعندما عقد لابن عمه المامون بن الشريف على كتيبة من الجند وجهها إلى وجدة عززه بالفقيه علي بلكناوي، ثم ولاه عمالة وجدة وما حولها.

كانت دار علي بلكناوي بدرب مولاي عبد الله من أكبر دور الرباط سعةً وأبهةً وكرماً، إذ كان له ثمانية عشر ولداً واثنتان وعشرون بنتاً، وأصهر إليه كثير من علية الأسر الرباطية والسلوية. وقد وشى به بعض الحساد إلى السلطان فانتقل إلى الصويرة، وفيها توفي مسموماً ـ على ما يقال ـ عام 1276 / 1859، ودفن بضريح سيدي مگدول.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 50 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 225 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198 ؛ م. الأمين بلكناوي، *مقيدات*.

بلكناوي، محمد بن إبراهيم المعروف بالبيضاوي، فقيه ناسك درس في الرباط على الشيخين المكي البطاوي وأبي شعيب الدكالي وغيرهما. اشتغل كاتباً بمرسى الرباط ثم محرراً بجريدة *السعادة*، وأستاذ بمعهد

الدروس المغربية العليا. تزوج بنت قنصل فرنسا بالرباط المترجمة الخاصة لزوجة المقيم العام ليوطي، ومديرة مدرسة البنات الأولى بالرباط. وقد أسلمت وسميت فاطمة. وأخيراً انتقل إلى العمل بالصدارة العظمى ككاتب أول رئيس قسم في الأملاك المخزنية، وفي نفس الوقت كان إماماً وواعظاً بمسجد الجزاء.

توفي بالرباط عام 1380 / 1960.

م. الأمين بلگناوي، *تقاييد*.

بلگناوي، محمد بن أحمد، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، يحفظ عن ظهر قلب أهم متونه : كمختصر خليل و*رسالة* ابن أبي زيد، و*تحفة* ابن عاصم، و*لامية* الزقاق، و*العمل الفاسي*، لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، و*العمل المطلق* لبلديّه الرباطي. اشتغل بالعدالة والتوثيق في مسقط رأسه، كما كان يخطب مع انقطاع في كل من الزاوية الناصرية وجامع السنة، ملازماً لتلاوة القرآن وقراءة الأذكار.

توفي عام 1310 / 1892.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 202 ؛ ع. بنسودة، *إتحاف*، مخطوط، 1310؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 81 ؛ م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 234.

بلگناوي، محمد بن علي بن الطيب، فقيه واعظ عدل، أخذ عن شيوخ الرباط في عصره وفي مقدمتهم أحمد دينية، وانتصب للشهادة والتوثيق في سماط عدول الرباط ثم الدار البيضاء، وأسند إليه قاضي الرباط محمد البريبري النيابة عنه في قضاء الدار البيضاء - إذ كانت تابعة له - وكان يخطب فيها بجامع السوق، ويعقد مجالس الوعظ بالجامع الأعظم، إلى أن استشهد في واقعة الدار البيضاء حين هاجمها الفرنسيون عام 1325 / 1907. ودفن بضريح سيدي بليوط.

م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 272 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 221.

بلگناوي، محمد المهدي بن عبد السلام، (الدكتور)، ولد بالرباط عام 1339 / 1920. وتكون تكويناً مزدوجاً حيث درس أولا على الشيخ الصديق الشدادي وغيره من فقهاء المدينة مبادئ اللغة العربية والتوحيد والفقه، ثم دخل المدارس العصرية فأتقن اللغة الفرنسية.

وفي أثناء دراسته بباريز انتُخب رئيساً لطلبة شمال افريقيا المسلمين لمدة ثلاث سنوات، وتخرج في القانون والطب، وقد عمل في المعهد المولوي معيداً وأستاذاً مساعداً ملحوظاً من طرف محمد الخامس. ثم زاول مهنته كطبيب ناجح بالدار البيضاء معرضاً عن المناصب الإدارية السامية التي عرضت عليه بعد الاستقلال.

توفي في حادثة سير وهو راجع من يفرن إلى الرباط في صيف عام 1388 / 1963.

ع. ابن سودة، *فهرس إتحاف المطالع*، ساقط من المخطوط الذي تحت يدي ؛ م. الأمين بلگناوي، *تقاييد*.

محمد حجي

بلكورة، أسرة رباطية أصلها القريب من ليبيا، والبعيد من بلاد فارس - على ما يقال - انتقل ثلاثة إخوة منهم من ليبيا في القرن الثالث عشر (19 م) فاستوطن أحدهم المدعو الطاهر بفاس، بينما استقر الثاني، وكان فلاحا، بحمة سيدي حرازم، والثالث في مكان آخر. وأنجب الطاهر بلكورة ولداً سمّاه عبدالكريم، فانتقل هذا إلى الرباط واستوطنها ووُلد له فيه ثلاثة أولاد، المختار الذي انتقل إلى مكناس، والمصطفى الذي انتقل إلى سيدي قاسم فسيدي سليمان، وأحمد الذي استقر بالرباط إلى أن توفي فيه ودفن بزاوية سيد عبدالرفيع الأندلسي قرب سوق الغزل، ويرجع فرعا آل بلكورة الرباطيين إلى ابني الحاج أحمد هذا، وهما أبو بكر والحاج محمد.

بلكورة، أبو بكر بن أحمد بن عبدالكريم. ولد بالرباط عام 1884/1303، واشتغل في بداية أمره بصناعة الحرير، ثم التجارة إلى أن أصبح متجره بالسويقة قرب المسجد الأعظم بالرباط من أكبر متاجر الشاي والسكر. وإلى ذلك كان متدينا ملازما حضور المجالس العلمية الليلية التي تعقد بالمساجد لا سيما مجالس الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي، فتشبّع بروح النهضة والاصلاح، وكان من الوطنيين الأولين الذين ناهضوا الاستعمار وسعوا في تأسيس المدارس الحرة، فحوالي 1928 **شارك** في فتح أول مدرسة قرآنية حرة بدرب والزهراء بالرباط، ثم المدرسة الرحمانية بحومة بوقرون. كما شارك في حركة الاحتجاج ضد الضرائب التي بدأ الفرنسيون يفرضونها على صغار التجار والصناع أيام أول مقيم عام المرشال اليوطي، وضد قيامهم بتوسيع شارع لعلو على حساب مقابر المسلمين. فكان أبو بكر بلكورة من بين المتظاهرين ، وأحد أعضاء وفد أعيان العدوتين الرباط وسلا الذين ذهبوا إلى القصر الملكي يشتكون والي الإقامة العامة يحتجون. وعلى إثر هذه الحركة الاحتجاجية الأولى نُفي أبو بكر بلكورة وبنعيسى لعلو إلى مدينة أسفي، كما نُفي أربعة آخرون من رواد الحركة الوطنية بسلا والرباط إلى وجدة والصويرة وطنجة، وسجن الأستاذ عبدالرحمن حجي الذي قاد المظاهرة في سلا.

وبعد أن رجع أبو بكر بلكورة إلى مسقط رأسه، اتسعت دائرة نشاطه التجاري، وخاصة بالخميسات من بلاد زمور، فأصبح هناك داعية للسلفية والوطنية، رفيقا لطلائع الوطنيين الزموريين الذين ستكون لهم مواقف مشرفة ضد الظهير البربري سنة 1930. كما كانت دار أبي بكر بلكورة في الرباط ملتقى الوطنيين، وفيها حرر رجال كتلة العمل الوطني المطالب المسعجلة سنة 1934.

وفي هذه السنة كانت له تلك المواقف المشرفة مع قبيلة بني خيران بدائرة واد زم المهددة آنذاك من طرف الإدارة الاستعمارية بانتزاع ملكية أراضيها الفلاحية التي تبلغ 33.000 هكتار، وقد تطوعت القبيلة لبلكورة بتمليكه ثلث هذه الأراضي كمكافأة عن أتعابه، لكنه بعد أن أحسن الدفاع وسلمت الأرض لأصحابها وجاؤوه ليملكوه ثلثها، أكرمهم وأبى أن يأخذ منهم أي شيء عن عمل يعدّه خدمة للمواطنين.

وقد أتاح قيام الحرب العالمية الثانية الفرصة للفرنسين لينتقموا من أبي بكر بلكورة ويعملوا على تعطيل تجارته التي كانت تغطي معظم أسواق المغرب، واحتجاز منتجات ضيعاته من بقر وغنم وصوف وغير ذلك، ثم أجهزوا على نشاطه التجاري بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال فعطّلوا جهازه التليفوني وسدّوا أمامه كل سبل الارتزاق، فما وهن لما أصابه في سبيل الله وما ضعف وما استكان حتى أدركه الأجل سنة 1373 / 16 شتنبر 1953 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب المعروفة اليوم بمقبرة الشهداء.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية* ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية* ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 236 . 251 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج 1 ؛ *روايات شفوية* عن م. الأمين بلگناوي.

محمد حجي

بلكوش، أسرة من أشهر بُيوتات قبيلة أحمر وأعرقها حضارة واتصالا بالمخزن. تنتسب إلى علي بن ناصر الحمري شيخ رماة عصره مع أخيه سعيد، دفين باب الدباغ بمراكش. ومن أبرز أفرادها :

بلكوش، العربي بن محمد بن الحاج العربي بن الطاهر الناصري الحمري من زاوية الخنوفة، ولد سنة 1292 / 1875. وتوفي والده وهو ما زال صبياً، وفي أثناء رحلة السلطان إلى الجنوب نزل بقصبة الشماعية التي كان أنجاله الأمراء يتدربون فيها على الرماية وركوب الخيل تحت إشراف أهل زاوية الخنوفة حفدة الشيخ علي بن ناصر. ولما كان محمد بن الحاج العربي بلكوش من خدام المخزن، استفسر السلطان عن أولاده، فأُخبر بأنه لم يترك إلا ولداً واحداً هو العربي، فأمر الفقيه الحاج المختار بن حميدة النواصري بأن يسهر على تربية هذا الولد. وفعلا حفظ العربي القرآن وهو ابن خمس عشرة سنة براويتي المكي والبصري، ثم توجه عند خاله الفقيه الطاهر بن الحبيب الگدالي القاضي بناحية أسفي "الساحل" وهناك درس مبادئ الفقه والنحو، ثم رجع إلى زاوية الخنوفة واشتغل بالفلاحة. وسرعان ما وقع عليه الاختيار ليندرج في المناصب المخزنية، فعُين شيخا مع القائد عيسى ابن عمر العبدي، ثم اختير قائداً لحركة أهل احمر المتجهة إلى تازا لمحاربة بوحمارة. ولما دخلَ الفرنسيون إلى أسفى ألقي عليه القبض القائد أحمد ابن عيسى العبدي ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك تولى منصب خليفة الزرّة احمر سنة 1916 م. وفي سنة 1918 عُين على الزُّرّة احمر ثم أضيف إليه أولاد يوسف وأنعم عليه بعدة أوسمة.

عرف القائد العربي بلكوش بالاستقامة والتمسك بالدين والوطنية الصادقة، الأمر الذي جعله في خلاف مع المراقب المدني وخاصة في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. وفي سنة 1943 حظي باستقبال الملك محمد الخامس لما زار زاوية الخنوفة وبقي معروفاً بالاستقامة إلى أن توفي سنة 1365 / 1945.

بلكوش، محمد بن العربي. ولد سنة 1325 / 1907 وخلف والده في قيادة قبيلة احمر وسار على سنته في الوطنية والاستقامة، وهكذا أخلصت هذه الأسرة إلى الوطن فرفضت مؤامرة الاستعمار ضد العرش المغربي في غشت 1953 فأقيل القائد وخليفته شقيقَيْ عبدالله ونُفيا إلى الجديدة ووُضعا تحت الإقامة الإجبارية إلى أن رجع محمد الخامش إلى العرش فأعاد إليهما اعتبارهما، وتوفي محمد بلكوش سنة 1395 / 1975.

معلومات من أسرة بلكوش، وروايات شفوية أخرى.

محمد ماگمان

بلماحي، أسر متعددة منتشرة في أنحاء المغرب، لا نعرف عنها كثيراً. وربما كان أشهرها أسرة بلماحي في تازا. ومنهم :

بلماحي، محمد بن مَحمد، المولود عام 1353 / 1934 بتازا. شبَّ يتيما فكفله أحد أعمامه، وكانت أمه تتفانى في خدمته، ولما أخذ المغرب يطبق النظام العصري للحالة المدنية، أضاف اسم أسرة أمّه "الوزاني" إلى اسمه العائلي فأخذ يعرف بـ "بلماحي ـ الوزاني".

كان طالبا متميزا متفوقاً في الرياضيات، حصل على دبلوم مهندس من جامعة بوليتيكنيك بلوزان (سويسرا) ثم

دكتورة الدولة في الفزياء من جامعة زوريخ (سويسرا) وانخرط في سلك أساتذة كلية العلوم بالرباط، ابتداء من فاتح أكتوبر 1965.

توفي في حادثة سير بالرباط أوائل شهر يوليوز 1977، له كتابان مخطوطان لم يطبعا بعد، الأول : *دروس في الفزياء*، والثاني : *مصطلحات فزيائية*. وقد سمي باسمه أحد المدرجات في كلية العلوم بالرباط.

ملف المترجم في كلية العلوم بالرباط ؛ معلومات مستقاة من زملائه وأقاربه.

أحمد بنجلون

بَلْهاشمي، محمد بن عبدالقادر، ولد عام 1905 بخنيفرة، وانخرط في صفوف المقاومة سنة 1955. ومن بين العمليات التي قام بها مجموعة من الحرائق والإتلافات ضد المصالح الاستعمارية، كما كان يشجع المتظاهرين بكل الوسائل المادية والمعنوية. وأثناء المعارك الحامية التي دارت بخنيفرة يوم 20 غشت 1955 استشهد برصاص الاستعمار.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 1.

عزالدين العلام

بَلْهاشمي، محمد المسفيوي المولد، المراكشي القرار والمدفن، ولد عام 1907/1325، بقرية تسمى الثلثية بمشيخة أيت فاسكة بمسفيوة، وفيها حفظ القرآن الكريم بروايتي ورش والمكي، وأتم دراسته القرآنية على يد عمه عمر نيت حَمْد بأمنوز مشيخة أيت عبدالسلام بمسفيوة. ودرس الأجرومية على الفقيه السيد سعيد المنتالي بفروگة، ثم انتقل عام 1917/1336 لطلب العلم على يد العلامة سيدي أحمد أگرام بمدرسة مولاي الجيلالي اجعيدي بالويدان بالرحامنة، ولزمه في مختلف العلوم من نحو وصرف وبلاغة وفقه وغير ذلك من العلوم التي تدرس آنذاك.

بعد ذلك التحق بالكلية اليوسفية، فدرس فيها علوما أخرى على يد شيوخها أمثال : الحاج عبدالسلام بن المعطي السرغيني، وأحمد أگرام اليعقوبي ومولاي أحمد العلمي ومحمد بن عمر السرغيني المعروف بابن نوح، ومحمد بن التاودي ومحمد بلحسن الدباغ وبوشعيب الشاوي، ومحمد المختار السوسي والحاج لحسن الشاوي والفقيه الصوفي أحمد ولد الحاج المحجوب. وأجازه بعضهم.

ولما آنس من نفسه القدرة على التدريس التحق بالجامعة اليوسفية كأستاذ عام 1939/1358 بقسمها النهائي، وتدرج من سلك الأُستاذية إلى مفتش بالجامعة اليوسفية، ثم مراقب للدروس إبّان مرض رئيسها السيد عبدالقادر المسفيوي. ولما عُزل هذا الأخير من منصبه كرئيس للجامعة اليوسفية بسبب مواقفه الوطنية عُين المترجم مكانه، وقد جاء هذا التعيين في ظروف حرجة، على إثر نفي السلطان محمد الخامس، وقد خلق له هذا المنصب الجديد متاعب ومشاكل في حياته التعليمية والاجتماعية.

ولما أحرز المغرب على استقلاله عُزل من رئاسة الجامعة. وأسندت الرآسة إلى العلامة الرحالي الفاوق، وعُين المترجم أستاذا بكلية اللغة العربية، وبقي بها إلى أ ن أُحيل على التقاعد. وتوفي عام 1983/1404، وأُقبر بمقبرة باب أغمات بمراكش.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

البَلْهْوان، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، وقد انقرضت في أوائل القرن الحالي.

محمد ابن عزوز حكيم

بلَوَازن، قرية مندرجة اليوم بفرقة البحراويين من حوز تطوان، حسب التقسيم الاداري المعاصر. وأرضية القرية عبارة عن منخفض معلق بالجانب الشرقي من جبل "فتح المهر" شمال تطوان، مما يقابل رأس المضيق، المعروف بكدية الطيفور، حسب الاصطلاح المعاصر (الرأس الأسود)، ويستفيد التجمع السكاني من العيون المتدفقة المكونة لعدد من منابع واد اسمير.

شكلت قرية بلَوازن خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري أهم نقط تجمع المجاهدين ضد سبتة، بما آوته من رؤساء الجهاد، فهي موطن رئيس المجاهدين عبو بن محمد وإخوانه وأبنائه. ولذلك حددت سبتة المحتلة موعداً لاقتحام دورها في جمادى الأولى 836 / ديسمبر 1433. ومن رجالها أيضا أحمد بن سلام بن مرزوق، رئيس المجاهدين سنة 833. 1430/834.

أ. الشراط، *تقييد*، نشره م. ابن عزوز حكيم بعنوان : لماذا نطالب بسبتة ومليلية، ص 31 ؛ *ظابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 40.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 77 ; *S. I. H. M.*, Portugal, 4 : 173 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 175.

حسن الفگيگي

البَلّوري، أسرة كانت بتطوان إلى حدود سنة 1701/1113 حيث انقرضت.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50.43 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بلوش (ابن ـ) ← **البلوشي**

البَلّوشي، أو **البَلّوشيّة**، أو الأبلوشية ـ كما ترد أحيانا عند محمد المختار السوسي ـ من الأسر العلمية الست التي وردت في *سوس العالمة* بالنسبة لمنطقة أيت باعمران وما إليها، باعتبار الشرط الذي التزمه المؤلف وهو أن يتسلسل العلم في أسرة مّا فترة معينة يقول : (وشروطُنا في الأسرة العلمية، أن يتوالى العلم فيها في ثلاثة أجيال على الأقل، أو جيلين إن تعدد فيها العلماء فتجاوزوا الأربعة (*سوس العالمة*، 121).

على هذا الأساس، أورَد هذه الأسرة، التي تنتسب إلى المقرىء عبدالله الملقب (بَلُّوش). ولفظة (بلّوش) تصحيف لعبدالله، فقد صحف السوسيون اسم (عبدالله) هذا التصحيف العجيب، بعد أن اعتادوا أن يصحفوا (عبدالله) إلى (بلاّ) فزادوه الشين فقالوا (بَلّوش) (*المعسول*، 10 : 163) وتوجد بعض الأسر في سوس تحمل هذا اللقب ولا علاقة لها بهذه الأسرة العلمية الباعمرانية.

البلّوشي، محمد بن عبدالله (بلّوش) بن عمر بن أحمد الباعمراني. ولد بقرية أدار في أيت عبدالله الباعمرانية سنة 1902/1320. أحد رجالات سوس العلمية، وفذّ من الأفذاذ، الذين تخرجوا من المدرسة (الإلغية)، وقد تكونت له حالة من الشهرة بعلمه وأدبه وتدريسه، ثم بتوليه خطة القضاء في إفني سنين كثيرة (*المعسول*، 10 : 232) تخرج بالإلغيين، فكانت له أيضاً في الآداب يد، وقد تصدر للتدريس، والافتاء والقضاء في بلاده، وعلا شأنه، وبقي على ذلك إلى وفاته (*رجالات العلم في سوس*، 237) وقد حفظ القرآن على يد والده عبدالله بلوش فختم عليه خمس ختمات، ثم التحق بالمقرئ الأستاذ مبارك التباني، في مسجد العوينة فختم عليه ختمتين، وهما شيخاه في حفظ القرآن لم يتعداهما. ثم اتجه، صحبة أخيه الذي يكبره بعامين الحسن بن عبدالله (بلوش) إلى مدرسة (دُو أگدير) بإلغ، وهو لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره وذلك عام 1333 / 1914 حيث ألقى عصا التسيار، ولازم المدرسة المذكورة ما ينيف عن أربع عشرة سنة، آخذاً عن أساتذتها المشاهير أمثال علي الالغي وأبي القاسم التاجر مونتي (ت. 1364) وأحمد بن محمد اليزيدي (ت. 1364/3/24) والمدني ابن علي (ت. 1365/6/17) ومولاي عبدالرحمان البوزكارني (ت. 1380/9/17) سواء في المدرسة الإلغية أو في أيت باعمران، حيث كان يتردد عليه شيخه هذا، أثناء مشارطته في مدرسة قبيلته بأيت عبلاً وبعد توليه القضاء (بافني) سنة 1928/1347 وهي السنة التي توفي فيها عميد المدرسة الشيخ علي بن عبدالله الإلغي.

وبالرغم من أن المختار السوسي يؤكد أن القاضي محمد ابن بلوش أخذ كل معارفه في مدسة (إلغ) ولم يبرحها إلى غيرها إلاّ لكي يتولى التدريس ثم القضاء في بلده، فإنه ذكر في ترجمة الفقيه محمد بن عبدالله المعروف (بأقاريض) أن المترجم من بين تلاميذه، وهذا العلامة تردد بين المدرسة التي في تانالت بأيت صواب حيث أبطأ كثيراً، ثم مدرسة فوكرض نحو سنة 1911/1330، وبقي في الثانية إلى أن توفي عام 1352 (*المعسول*، 8 : 88.87 و95). وإن صح أن المترجم أخذ أيضا عن (أقاريض) فإن ذلك يتصور في مدرسة (فوگرض) لأن مسيرة حياته العلمية، بعد حفظه القرآن، لا تخرج عن إطار المدرسة الإلغية، ففيها بدأه وظل لا يبرحها إلى غيرها أزيد من أربع عشرة سنة، والشيخ أقاريض أمضى الفترة الطويلة من حياته، وهو يدرس في مدرسة تانالت قبل أن يحفظ المترجم القرآن ويشرع في الدراسة العلمية. وعلى التسليم بأخذه عن هذا الشيخ في المدرسة الثانية، بعد سنة 1330، فإني أرجّح أن يقع ذلك، وهو يغادر المدرسة الإلغية إلى بلاده في أيت باعمران بحيث لم يمض أكثر من سنة عند أقاريض ثم لم يلبث أن استجاب إلى رغبة قبيلته أيت عبلاً ليشارط في الجمعة ابتداء من عام 1347. ومما يجعلنا نرتاب في هذه المشيخة الأخيرة أن تلاميذه الذين تخرجوا على يده في فترة تدريسه الأولى، وتمثلوا في الرعيل الأول الذي أخذ عنه بعيد تخرجه من مدرسة إلغ يؤكدون في رواياتهم الشفوية، أنه شارط في قبيلته، خلال السنة التي توفي فيها شيخه علي الإلغي، ويقول أكبر مؤرخيه : "بعد تخرجه شارط في مدرسة قبيلته آيت عبلا في تلك السنة نفسها (يعني التي توفي فيها شيخه في إلغ) فلازمها اثنتي عشرة سنة، كان فيها مثال الجد والإكباب على التعليم" (*المعسول*، 10 : 233).

ولما قضى في المدرسة الفترة المذكورة، وأعطى ثمار تحصيله من إلغ أحسن ما يكون العطاء، وتخرج على يديه كثير ممن لا يزال بعضهم فاعلين في ميادين القضاء والتعليم، انتدبه الواجب ليقوم بمهمة أخرى رشحته لها مؤهلاته المتعددة، ذلك أنه، وهو منهمك في التدريس والإفتاء، طلب منه، بمعية فقيه نوازلي آخر من أيت باعمران أن يتقدما لتولي قضاء إيالة إفني على أن يختار أكفأهما لقضاء الجماعة، ويكون الثاني من بين القضاة النواب في مختلف نواحي أيت باعمران.

كانت إسبانيا بعد احتلالها مدينة إفني والقبائل التابعة لها من أيت باعمران ابتداءً من سنة 1934 عمدت إلى تنظيم الشؤون العامة للمنطقة ومن جملتها الشؤون الدينية، وذلك محاولة منها لتطبيق الاتفاق المبرم بينها وبين أعيان البلاد الذي ينص على عدم تدخل إسبانيا في شؤون الباعمرانيين الداخلية، وخاصة الشؤون الدينية والعمل بالأحكام الشرعية دون العرفية، واحترام العادات والتقاليد المحلية. وتطبيقاً لهذيه البندين، وقع الاختيار من لدن القبائل الباعمرانية على محمد البلوشي من أيت عبلا وعلى فقيه آخر ليتوجها إلى مدينة تطوان في المنطقة الخليفية، قصد إجراء امتحانات هناك، فتفوق محمد البلوشي، وعين قاضي

القضاة في مدينة (إفني) سنة 1940/1359، ومن ثم عين نواباً عنه في كل النواحي التابعة للمدينة، باعتبارها عاصمة الباعمرانيين (*المعسول*، 10 : 229) وكانت محكمته في المدينة بمثابة استئناف، ترفع إليها أحكام القضاة الذين يتبعون إيالة إفني، كما كانت تسمى، وكان البلوشي وهو قاض لا يفتأ يدرس في الجامع الكبير بإفني، حيث انتقل معه جمع من طلبته المتقدمين، على حين بقي عدد منهم في مدرسة الجمعة تحت مسؤولية ابن أخيه الأستاذ أحمد بن اليزيد، الذي كان من أبرز المتخرجين على يده، فواصل سيرة عمه (*المعسول*، 10 : 231 ؛ *المدارس العلمية*، 337).

ظل البلوشي في خطته القضاء حوالي أحد عشر عاماً، إلى أن شعرت السلطات الاستعمارية بأن الشؤون الدينية أمست بعيدة كل البعد عن ضغوطها وتعليماتها، خاصة أن البلوشي يقوم بعدة مهام، كالتدريس في الجامع الكبير والخطابة أحيانا، بالاضافة إلى مهمته الرئيسية في القضاء، حينذاك بدأت السلطات تضايقه، وتحاول عرقلة أحكامه، خارقة بذلك بنود الاتفاقية المبرمة بينها وبين الأعيان حتى إنها لجأت إلى تنصيب هيأة من علماء خارج المنطقة، لنقض أحكامه، ففضّل مغادرة القضاء والرجوع إلى عمله الأول في مدرسة قبيلته بأيت عبلاً.

أعاد سيرته الأولى في مدرسة الجمعة مدعوا من قبيلته، ابتداء من 1951/1371، فحمدت تلك السيرة، وازدهرت بعودته العلوم والفنون من جديد.

وتمثل هذه الفترة مرحلة أخرى من مراحل حياته، استغرقت حوالي ثمان سنوات أعاد فيها المترجم إلى مدرسة الجمعة سالف مجدها، وتالد عزها، إذ استقطبت المدرسة من جديد طلبة أيت باعمران وغيرهم، حتى سنة 1379 / 59 ـ 1960 التي تعد من السنوات الحاسمة في تاريخه، إذ كانت أيت باعمران بجميع قبائلها تعيش معارك التحرير ضد اسبانيا منذ سنة 1957، مما جعل الظروف العامة غير مواتية للقيام بمهمة التدريس، فقد غدت البلاد كلها عرضة للهجمات الإسبانية خاصة القصف الجوي، فغادر مدرسة قبيلته إلى مدينة أگادير مترددا على الرباط ضمن الوفود الباعمرانية التي كانت تتوجه إليها، لعرض قضيتها على أنظار الملك الراحل محمد الخامس. وقال البلوشي في إحداها قصيدة مطلعها :

الحمد لله زال الذعر والحـــذر ... وجـاء ما كانت الآمالُ تنتظـــر
ليت القوافيَ تدنو لي فأجملهـا ... في سلك مدحك لولا العي والحصـر

وفي حياة محمد البلوشي جانب آخر لا يفتأ يتعهده بالصقل والتهذيب بالرغم من اشتغاله بالقضاء سنين طويلة، هذا الجانب هو القريض، ومن هنا حلاه مؤرخون بالأديب البارع، وسجلوا مشاركته في مساجلات أدبية، وندوات شعرية، كالتي شارك فيها، وهو ما زال طالباً بمدرسة إلغ إلى جانب فطاحل الأدب من شيوخه وكبار أدباء تلك المدرسة، بتاريخ 1923/1342 كما أثبت ذلك المختار السوسي في *المعسول* (2 : 45، 46، 47، 48).

والبلوشي، إلى جانب فقهه وعلمه، أديب طويل النفس، وأهم الأغراض التي تناولها في شعره : الإخوانيات، والوطنيات، وبعض قصائد المدح الخاصة بالملك محمد الخامس، نُشر بعضها، وما زال معظمها مخطوطاً. وله نظم أسامي البلاد ما يذكّر منها وما يؤنث، ونظم في أعضاء الإنسان، ما يذكر منها وما يؤنث، إضافة إلى نثره الفني، ورسائله العديدة بخط يده، وإجازات لبعض تلاميذه وأحكام قضائية بخط يده كذلك، وله تعليقات واستدراكات كتبها على *القاموس المحيط*.

ثم إن الظروف التي ساقته إلى أگادير، أدت به إلى تولّي القضاء من جديد، بعد الاستقلال، نزولا عند رغبة بعض طلبته، بالرغم من أنه كان يتمنى أن لا يغادر مدرسة قبيلته الباعمرانية بقية حياته، غير أن الأقدار عاجلته، ولما يمض على مقامه في أگادير إلا نحو أربعة شهور، فكان من الذين استشهدوا في الزلزال، أوائل رمضان 1960/1379 مع زوجته وبعض أولاده.

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *رجالات العلم بسوس* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية* ؛ *معلمة الصحراء* (ملحق 1) مادة : أدار، *معلمة المدن والقبائل* (ملحق 2) ص.19 ؛ المتوكل، عمر الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس* ؛ *كناشات ووثائق* خاصة في ملكية أسرته.

عبدالحميد محبي الدين الباعمراني

البلّوط أو السنديان جنس من فصيلة السنديانيات Fagacées يحتوي هذا الجنس على ستمائة نوع تقريبا، تعيش متفرقة، حسب خاصياتها البيئية، في نصف الكرة الأرضية الشمالي وبصورة خاصة في المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وشمال افريقيا والشرق الأوسط واليابان.

يعيش في المغرب ستة أنواع من هذا الجنس حيث تغطي مساحات شاسعة، وتلعب دورا اقتصاديا مهما.

الصفات النباتية للجنس : أشجار أو جنبات، البراعم حرشفية، الأوراق متساقطة أو دائمة، بسيطة أو مسننة أو مفصصة أو مجزأة، ريشية التعريق، نادرا ما تكون كاملة، الأزهار وحيدة المسكن، وحيدة الجنس، المذكرة (♂) رفيعة متهدلة بشكل نوارات. المؤنثة (♀)، دائرية أو مجتمعة بشكل نوارات قصيرة، الثمار جافة، تدعى "بلوطة"، محاط قسم منها بقمع يتألف من حراشيف رفيعة ومتطاولة، ملتصقة أم لا، متراكبة بعضها فوق بعض، تنضج خلال سنة أو سنتين حسب الأنواع.

الأنواع الموجودة في المغرب :

1 ـ البلوط الفليني Le chêne liège, Guercus suber L. فرنان ـ بشم ـ دلم ـ فرشي.

الصفات النباتية : شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 15 و20 مترا، كثيرة التفرع، تاجها مستدير، الجذع قصير طوله حوالي مترين، عرضه يصل إلى 50 سم في غالب الأحيان،

تغطيه قشرة غليظة مجعدة تسمى "الفلين"، الأوراق دائمة 2 إلى 3 سنوات، معنقة، قاسية، ذات عرق مسنن أو شوكي، خالية من الأوبار على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، الثمار عبارة عن بلوطة طويلة متفردة أو مجتمعة، قمعها له حراشيف وبرية ملتصقة تنضج الثمار خلال السنة الأولى، ولها مذاق حلو في غالب الأحيان. تعيش الشجرة من 100 إلى 500 سنة وتخلف بقوة بعد القطع.

الموطن : يعيش البلوط الفليني بصورة طبيعية في القسم الغربي من منطقة البحر المتوسط، حيث يوجد في يوغوسلافيا وإيطاليا وجنوب فرنسا، وكورسيكا، وفي إسبانيا والبرتغال والمغرب والجزائر وتونس.

يشكل هذا النوع في المغرب غابات تغطي حوالي 350.000 هكتار، تنتشر في مناطق شاسعة من الريف الغربي، وعلى الساحل ما بين الدار البيضاء وطنجة. كما يوجد كذلك في الهضبة الوسطى، وبصفة استثنائية في جبال الأطلس المتوسط والكبير. تعد غابة المعمورة الواقعة بين مدينة سلا وتيفلت والقنيطرة من أكبر غابات هذا النوع بالمغرب، حيث تغطي أكثر من 60.000 هكتار.

وجود البلوط الفليني في مناطق متفرقة بالمغرب يشهد على أنه كان يغطي مساحات كبيرة تقلصت بسبب الاستغلال المفرط من طرف الإنسان.

البيئة : يعيش البلوط الفليني خصوصا في الأراضي الرملية الحمضية، نافر من الكلس. يعيش في المناطق نصف الجافة والشبه الرطبة. في المناطق نصف الجافة، يفضل القرب من البحر حيث رطوبة الهواء تخفف عنه جفاف الطقس وقلة الأمطار. يقاوم البرودة نسبيا، إذ يصل إلى ارتفاع يفوق 2.000 متر عن سطح البحر في الأطلس الكبير.

الضروب : إن البلوط الفليني متعدد الأشكال وتوجد منه ضروب عديدة في المغرب تختلف حسب شكل الأوراق والثمار ومذاق الثمار، إلا أنها تعيش في نفس الظروف البيئية، ولذلك فإن تمييزها من الناحية النباتية ليس له فائدة كبيرة من الناحية الحراجية.

الاستعمال : تنتج غابات البلوط الفليني، الخشب والثمار والفلين، ولا يخفى كذلك أن عشائره النباتية غنية بالأنواع الصالحة للكلأ، بل حتى أوراقه تصلح لتغذية المواشي خصوصا في فصل الشتاء.

أما الخشب فإنه قاس ومتين وثقيل، يستعمل أحيانا لصنع الركائز وأيادي المعاول، ونادرا ما يستعمل لصنع الأثاث المنزلي، يصلح خصوصا للتفحيم وكوقود للتدفئة والطهي.

تحتوي قشرة البلوط الفليني على مادة عفصية تستعمل في الدباغة خاصة في البوادي. أما ثماره فتصلح لتغذية المواشي، وكذلك للإنسان.

الفلين : يتكون الفلين أو القرق من القلف الخارجي للشجرة، وهو غير متساو ومشقق وقيمته الاقتصادية ضعيفة. ولكن عندما يبدأ بنزع الفلين المذكر من الشجرة عند الأشجار التي يتراوح محيطها بين 50 و70 سم، تنمو طبقة فلينية أخرى تدعى الفلين المؤنث أو فلين التكاثر، وهو فلين منتظم وغير مشقق وقيمته الاقتصادية كبيرة.

يجري نزع الفلين من جذع الشجرة على ارتفاع يتراوح بين ميتر وثلاثة أمتار على رأس كل عشر سنوات تقريبا، وذلك حسب الظروف المناخية والبيئية. وأثناء هذه العملية تؤخذ الاحتياطات اللازمة بعدم جرح القلف الداخلي الذي قد يمنع تكوين قلف جديد في حالة تضرره، وربما هدد حياة الشجرة.

وأحد المشاهد العادية في غابات الفلين هو اللون الداكن المحمر للأجزاء المكشوفة. وينجز التقشير عادة في أوائل فصل الصيف حيث الجو أكثر ملاءمة. وتتلخص عمليات استخراج الفلين في عمل قطاعات عمودية ومستعرضة في جذع الشجرة ببلط أو منشار، ثم تنزع أجزاء القلف مع العناية التامة بأن تكون كبيرة.

استعمالات الفلين : يستخدم الفلين في أغراض كثيرة، وفي صنع عديد من المنتجات. ويستعمل تارة الفلين الطبيعي وتارة أخرى الفلين المركب الذي يصنع من قطع الفلين التي طحنت طحنا دقيقا وعوملت بمواد لاصقة. ومن بين السلع التي تصنع من الفلين الطبيعي : سدادات القنينات، والأحذية، والعائمات، ومقابض مضارب الگولف، والستارات، ومراس السفن وزوارق وألبسة الانقاذ وكور الأمواج. وتستعمل ألواح الفلين الطبيعي والمركب كمادة عازلة للمنازل وغرف التخزين الباردة والثلاجات. وتستعمل كذلك كوسيلة لتحسين الخواص الصوتية للحجرات، ولمنع الاطداء. ونظراً لمرونته يستعمل الفلين لعزل الآلات. ويدخل خصوصا في هذه الصناعات الفلين المؤنث، أما الفلين المذكر فيطحن ويدخل في صناعات أخرى. ويستعمل هذا النوع كذلك في بناء مساكن النحل التقليدية.

ويستعمل الفلين المركب لتبطين القبعاء، والأغطية المعدنية لختم الزجاجات، والسدادات، وفرش الأحذية، وعجلات التلميع، وبكرات الاحتكاك، وفي بعض لوازم السيارات وكذلك الطائرات، ويستعمل كذلك في أنواع مختلفة من الأغطية الأرضية، وتزيين الجدران والسقوف.

ويدخل الفلين المطحون في صناعات كثيرة مع الخشب أو دقيق الخشب.

2 ـ البلوط الأخضر Quercus rotundifolia L. كروش ـ كريش ـ تاسافت Le Chêne vert.

الصفات النباتية : شجرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 25 مترا، الجذع قصير ومعوج، يتفرع في سن مبكرة، تاجها مستدير فروعها غير مستقيمة، عمودية أو أفقيه، داكنة اللون، وبرية في السنة الأولى، القشرة رمادية داكنة إلى سوداء، متشققة في الكبر، الأوراق دائمة سنتين إلى 3 سنوات، متغيرة الشكل والقياس(0.5 - 5 سم ×1 - 8 سم)،

ذات حرف مُسنّن أو شوكي، نادراً شبه كاملة، معنقة قليلا، قاسية، خالية من الأوبار على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، الأوراق الصغيرة داكنة وبرية على الوجهين، الأزهار المذكرة على شكل نوارات متهدلة، معنقة طويلا ومجتمعة، الأزهار المؤنثة صغيرة، غالباً مجتمعة، الثمار بلوطة وبرية من الرأس، ذات قمع شبه بيضوي وبري، حراشف القمع ملتصقة كثيرا به، تنضج الثمار خلال السنة الأولى، شبه حلوة عند بعد الظروف، تعيش الشجرة طويلا وتخلّف بقوة بعد القطع.

مناطق الانتشار : ينتشر البلوط الأخضر بصورة طبيعية في القسم الغربي من منطقة البحر المتوسط حيث يوجد كذلك البلوط الفليني، إلا أن المساحة التي يغطيها أكبر من مساحة هذا النوع، ذلك أن خصائصه البيئية تسمح له بالعيش في ظروف مختلفة من حيث المناخ، والتربة والارتفاع عن سطح البحر.

في المغرب يغطي حاليا مساحات شاسعة تقدر بـ 1.350.000 هكتار، ويأتي في الدرجة الأولى من حيث مساحته. وتشهد آثاره الموجودة في مناطق كثيرة من المغرب أن غاباته كانت تغطي أراضي جد شاسعة غير أن تعديات الإنسان عليه تسببت في إتلاف أجزاء كبيرة من أحراج هذا الشجرة.

ينتشر هذا النوع في جبال الريف، والأطلس المتوسط والكبير والصغير، وكذلك في الهضبة الوسطى وتلال بني إسناسن في الشرق.

البيئة : يعيش البلوط الأخضر على صخور مختلفة وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة، إلا أنه يفضل التربة الكلسية في المناطق الباردة. يقاوم الحرارة والبرودة إذ يصل إلى ارتفاع 2.800 متر عن سطح البحر في الأطلس الكبير بسكساوة. يعيش في المناطق نصف الجافة والشبه الرطبة والرطبة. إنه من الأنواع الاليفة الثور والبطيئة النمو.

الاستعمال : الخشب قاس جدا، متين وثقيل، يستعمل بصورة خاصة للتفحيم وكوقود للتدفئة، فحمه من أجود الأنواع. يستعمل كذلك كركائز ومقابض المعاول، ويمكن استعماله أيضاً في صناعة الأثاث المنزلي ولبناء السكة الحديدة خصوصا عندما يكون جدع الشجرة مستقيما وطويلا.

تحتوي قشرته على مادة عفصية تستعمل في الدباغة، كما أن أوراقه وثماره تصلح كغذاء للمواشي خصوصا في فصل البرد حيث قلة المراعي وانعدام العشب تجعل الفلاحين يتوجهون إلى غابات البلوط الأخضر لقطع الفروع الصغيرة وحملها لقطعانهم التي تقضي جل أوقاتها في الاصطبلات. وهذا الاستعمال تسبب إلى حد كبير في انقراض مساحة شاسعة من هذا النوع خصوصا في ضواحي القرى والمنازل.

3 ـ البلوط القرمزي =Quercus coccifera L. الكريش = Le chêne Kermés

الصفات النباتية : شجرة صغيرة يمكن أن يصل ارتفاعها إلى 10 أو 12 مترا، عادة شجيرة، جذعها غير مستقيم، محشرف، أسود رمادي، التاج مستدير، الأغصان وبرية في السنة الأولى، الأوراق دائمة، قاسية حداً، بيضية أو طويلة ـ بيضية ذات عنق قصير، ذات حرف مسنن أو شوكي، لماعة على الوجهين وخالية من الأوبار، الأزهار تظهر في أبريل أو ماي، المذكرة على شكل نورات طويلة متهدلة، الأزهار المؤنثة صغيرة جدا دون عنق تقريباً، البلوطة منفردة أو مجتمعة، ذات شكل بيضوي، قمعها نصف كروي وله حراشيف وبرية صغيرة وحادة وغير ملتصقة. تنضج الثمار بعد سنتين من عمرها بخلاف الأنواع الأخرى، تخلف الشجرة بقوة بعد القطع.

مناطق الانتشار والبيئة : يعيش البلوط القرمزي بصورة طبيعية على جوانب البحر المتوسط الغربي. في القسم الشرقي يحل محله نوع قريب منه اسمه البلوط العادي Quercus calliprinos Webb. يوجد في المغرب قرب السواحل الشمالية والجبال الغير المرتفعة المطلة على البحر المتوسط من جبال الريف وبني إسناسن.

يعيش هذا النوع في الأراضي الفقيرة والصخرية وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة، إلا أنه يفضل التربة الكلسية.

إنه من الأنواع الأليفة للنور والبطيئة النمو جداً. يعيش في المناطق نصف الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

الاستعمال : خشبه قاس جداً ومتين وثقيل، يستعمل خاصة كوقود وللتفحيم، كما تستعمل قشرته في الدباغة، وتستخرج مادة القرمز، مصدر اسم الشجرة، من بويضات الحشرة التي تعيش عليها.

4 ـ بلوط الزان =Quercus Faginea L. التاش = تاشت = Le chêne Zéen

الصفات النباتية : شجرة متعددة الأشكال، يمكن أن يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً، ذات قشرة متشققة، حرشفية في بعض الأحيان، بنية اللون، أغصان السنة الأولى وبرية أو شبه وبرية، الأوراق معددة الأشكال، متساقطة أو شبه متساقطة (تصفر في الخريف وتسقط في الربيع)، معنقة، وبرية على الوجه السفلي، لماعة على الوجه العلوي، ذات حد مستقيم، متموجه، شبه مستقيمة، شبه مفصصة في بعض الأحيان أو مسننة، الأزهار شبه وبرية، المذكرة على شكل نوارات متهدلة ومعنقة، المؤنثة صغيرة وغير معنقة، البلوطة غير مستطيلة أو بيضاوية، قمعها نصف مستدير، يغطي ما بين ثلث وخمس البلوطة، الحراشيف ملتصقة وشبه وبرية. تنضج الثمار خلال السنة الأولى. تعيش الشجرة طويلا ولا تخلف بعد القطع إلا نادراً.

الموطن : يعيش بلوط الزان في القسم الغربي من حوض البحر المتوسط حيث يوجد في إسبانيا والبرتغال والمغرب والجزائر وتونس.

يغطي في المغرب مساحة تقدر بـ 16.000 هكتار يوجد القسط الأكبر منها في الريف الغربي والأوسط. ويوجد كذلك في الأطلس المتوسط والكبير وفي الهضبة الوسطى وفي هذه المناطق الأخيرة يغطي مساحات ضيقة حيث يقطن خاصة في الأودية والمنخفضات الرطبة بحثا عن الرطوبة الكافية والتربة الجيدة. تعد غابة "الجُعْبَة" الموجودة قرب مدينة إفران من أحسن غاباته حاليا بالمغرب حيث تغطي مساحة تقدر بحوالي 900 هكتار. أما غابات الريف فقد استغلها الإسبان أيام الحماية بشكل فظيع، ولم يبق من غابات جبال الخزانة والعلام وأبو هاشم الجميلة إلا الأشجار ذات القيمة الضعيفة الغير الصالحة لاستخراج الخشب أما الأشجار الجيدة فكلها قطعت وشحنت إلى إسبانيا قصد بناء خطوط السكة الحديدية هنالك.

البيئة : هذا النوع يعيش في المناطق الشبه الرطبة والرطبة، أما المناطق الشبه الجافة فإنه يصادف في الوديان والمنخفضات الرطبة حيث الماء والتربة الجيدة.

يصادف بلوط الزان على الصخور الكلسية والدولوميتية والبازلتية وكذلك الرملية. وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة. إلا أنه يفضل التربة العميقة الرطبة. ينشتر ما بين سطح البحر قرب مدينة طنجة (الجبل الكبير) و2.000 متر في جبال الأطلس. يتحمل البرودة والثلج.

الاستعمال : الخشب قاس نسبيا متين وثقيل، كان ولا يزال يستعمل في بناء خطوط السكك الحديدية، خواصه التقنية أحسن من الأنواع الأخرى، يمكن استعماله لصناعة الأثاث المنزلي. يستعمل كذلك كوقود. أما للتفحيم فجودته ناقصة. الدراسات التي أجريت عليه في تونس، حيث يغطي مساحات شاسعة، أثبتت إمكانية الاستخراج منه خشبا جيداً بعد معالجته وتجفيفه. تستغل أوراقه كتغذية للماشية في فصل الصيف خصوصا في منطقة الريف.

5 ـ بلوط البرانس = البلوط الزغبي Quercus pyrenaica Willd = Quercus tauzae Bosc

تاشت Le chêne Tauzin = Le chêne des pyrenées

الصفات النباتية : شجرة قامتها متوسطة ، يمكن أن يصل ارتفاعها إلى عشرين مترا، جذعها غير مستقيم وقصير، تاجها خفيف، أغصانها بيضاء، كثيرة الوبر، القشرة سوداء،مشققة، الأوراق متساقطة، معنقة طويلا، مجزأة، مفصصة، وبرية على الوجهين، التوريق متأخر (مايو، يونيو)، البلوطة، صغيرة، بيضوية الشكل، معنقة قليلا، القمع رمادي، نصف كروي، محشرف، مزغب الحراشيف خفيفة التركيب. تنضج الثمار خلال السنة الأولى. يعرف بلوط البرانس بكثرة تخليفه بواسطة جذوره السطحية.

الموطن والبيئة : يعيش بلوط البرانس بصورة طبيعية في المنطقة الساحلية الأطلنطية من حوض البحر المتوسط، حيث يوجد في جنوب غرب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب.

يغطي في المغرب مساحة ضيقة، ويعيش خصوصا في الريف الأوسط والغربي فقط. ينتشر في الجبال المتوسطة الارتفاع ما بين 900 و1.800 متر عن سطح البحر، حيث يكون غابات نقية أو مختلطة مع بلوط الزان على الخصوص. يكثر في جبال تيزيرين وخزانة والبينة وأبو هاشم والعلام والوتكة، وجلها مكونة من صخور حتية تغطي أتربة حمضية. يتطلب هذا النوع رطوبة كثيرة، ولهذا لا نجده إلا في المناطق الممطرة من الريف الغربي والأوسط.

الاستعمال : لخشب قاس وثقيل وكثير العقد، يستعمل خصوصا كوقود. فحمه ضعيف القيمة، قشرته غنية بالعفص (الدباغ)، أوراقه تصلح لتغذية المواشي في فصل الصيف. وهذا الاستعمال الأخير تسبب في تدهور غابات هذا النوع، لأن الأغصان تقطع كل سنة مما يضعف الشجرة ويتسبب في إتلافها.

6 ـ البلوط القزمي Quercus humilis L: كريش = Quercus.Fruticosa Brot

الصفات النباتية : شجرة صغيرة جداً لا يتعدى ارتفاعها أكثر من متر واحد تشكر بكثرة حتى أنها تغطي الأرض، أغصانها معوجة، مزغبة، الأوراق تتساقط متأخراً، قاسية، معنقة قليلا، صغيرة (25 - 6 × 1,5 - 3 سم)، لماعة على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، شبه مسننة، البلوطة صغيرة، شبه معنقة، القلف صغير، نصف كروي، حراشيفه ملتصقة، تزهر الأشجار في مايو، تنضج الثمار خلال السنة الأولى.

الموطن والبيئة : يعيش في نواحي مضيق جبل طارق، ويوجد فقط في جنوب إسبانيا والشمال الغربي المغربي. في المغرب لا يتعدى منطقة طنجة وتطوان وسبتة. نافر من الكلس يعيش خصوصا على التربة الحمضية وفي المناطق الرطبة. استعماله محدود جداً، تأكله المواشي، جذعه صغير لا يصلح إلا كوقود.

أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر.د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ؛ إ. نحال، 1983، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب، كلية الزراعة، حلب سوريا.

E. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1988 ; A. Benabid, *Etude phytoécologique biogéographique et dynamique du Rif occitental (Maroc)*. Thèse d'état, Fac. St Jérome, Marseille, France, 1982 ; A. Zine El Abidine, *Application de l'Analyse multidimensionnelle à l'Etude taxinomique et phytoécologique du chêne Zéen et de ses peuplements au Maroc*. Thèse de Docteur Ingénieur, Fac. St Jérome, Marseille, France, 1987.

عبدالنبي زين العابدين

البلوط، ـ تاريخ ـ كانت الغابات أكثر كثافة مما هي عليه الآن، بينما غطت غابة البلوط الفليني السهول الساحلية والمرتفعات المجاورة لها من طنجة إلى وادي تانسيفت، فالحسن الوزان ذكر أن غابة البلوط تكسو الجبل الأخضر وضفاف بحيرته في دكالة (*وصف إفريقيا*، 1: 126)

أي أن غابة البلوط كانت تمتد إلى أن تختلط بغابة أرگان جنوب تانسيفت.

إن تراجع غابة البلوط الفليني أساسه الكثافة السكانية التي عرفتها المنطقة الساحلية الرطبة منذ بداية العصر الوسيط وما صاحب ذلك من إحراق الغابات للحصول على الأراضي الزراعية الخصبة والمراعي أو إزالتها لأسباب أمنية، كما هو الحال أثناء الصراع البرغواطي الموحدي، وربما تسارعت وتيرة اجتثاث غابة البلوط الفليني في المنطقة الساحلية وخاصة السهول (تامسنا ودكالة وأزغار والهبط) منذ العهد الموحدي وبصفة خاصة منذ نزول القبائل العربية بها ـ وأيضا للإقبال على استهلاك الفحم والحطب في الأفران والحمامات التي كثرت وكثر الإقبال عليها للتحسن النسبي في المستوى المعيشي (*القرطاس*، 414).

وقد تكون صناعة السفن أضعفت إلى حد كبير غابة المعمورة في العهد المريني، ذلك أن ندرة شجر الأرز والصنوبر، وجه هذه الصناعة نحو خشب البلوط الفليني (*الاستقصا*، 3 : 22). إذ قطعت أعداد كبيرة من الأشجار وبطريقة عشوائية غالباً لتزويد دار الصناعة بسلا بما تتطلبه من مواد خام. وقد استمر استنزاف غابة المعمورة من طرف هذه الصناعة التي ازدهرت بعد العصر المريني على ضفتي أبي رقراق موازاة مع نشاط الجهاد البحري منذ أواخر العهد السعدي ـ واستمر هذا الاستنزاف إلى العقود الأولى من هذا القرن ـ أو لنقل إلى بداية استيراد الأخشاب الأكثر صلاحية لهذه الصناعة عن طريق الأوروبيين.

وأكبر دليل على ما ذهبنا إليه آنفا أن وادي سبو الذي يخترق المعمورة وينتهي بمرسى عرفت بحلق المعمورة أو المهدية، كان يتلقى في العهد الموحدي خشب الأرز والصنوبر من جبال فازاز (الأطلس المتوسط) بالطريقة العصرية المعروفة اليوم في أنهار كندا والاتحاد السوفياتي، فتسير الأخشاب مع الماء إلى حلق المعمورة حيث دار صناعة السفن (*المن بالإمامة*، 4 : 214 ؛ *زهرة الآس*، 38).

لم تشر المصادر التاريخية إلى الفلين واستعمالاته رغم كثرته، اللهم إلا إذا قمنا ببعض الإسقاطات من القرن الثاني عشر (19 م) حيث وصفت البعثات العلمية الفرنسية التي زارت المغرب تمهيداً لاستعماره بعض حالات الاستعمال، كاتخاذه فراشاً في بعض المنازل في شمال المغرب، ومثال ذلك ضريح مولاي عبدالسلام ابن مشيش. واستعمل الفلين الأسطواني الشكل والمجوف، أجباحاً لتربية النحل إضافة إلى استعمال الصيادين لقطع منه في شباكهم واستعمال قطع منه بشكلها الخشن كسدادات للقارورات والجرد وقنافش (قلالش) السمن (*Archives Marocaines*, V, 17, 1911).

أما ثمرة البلوط فقد كانت تعتبر من الفواكه الخريفية (*اختصار الأخبار*، 94) فرغم كثرته وسهولة التقاطه فإنه كان يباع في المدن الكبرى خاصة فاس وسبتة (*وصف إفريقيا*، 1 : 166) ويحقق ملتقطوه وتجاره أرباحا لا بأس بها، يقول الحسن الوزان متحدثا عن المعمورة "... بها أشجار باسقة تثمر بلوطاً طويلاً غليظاً بحجم برقوق دمشق يبيعه الأعراب في فاس ويحققون ربحاً". ويزداد هذا الربح إلى درجة كبيرة أيام المجاعات وغلاء الأقوات، بل إنه يعتبر نعمة من الله يرسلها بسخاء وقت الشدة حتى يقتات به الفقراء وضعاف الحال في فترة المسغبة (*رسائل موحدية*، 199).

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ج. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

محمد حجاج الطومل

بلوط البحر ← **بلان**

بَلِّيشَاع أو بن ليشاع Bellichaa أسرة يهودية اشتهرت بكون بعض عناصرها كانوا خداما لبعض ملوك المغرب في التجارة فأُطلق عليهم لقب تجار السلطان بمراكش والصويرة. ولهم فرع انجليزيّ في طليعته يشواع اللوب بَلِّيشاع، آتي الترجمة. وبعد إلقاء نظرة على شجرتهم التي وضعها حييم الزعفراني، نجد منهم :

بلّيشاع، إسحاق كان عام 1872 رئيسا للطائفة اليهودية "العربية الشرقية" المستقرة بمانشتير. لما توفي ابنه يعقوب، خلف من بعده صبيا اسمه ليلي (سلي) وتزوجت أرملة يعقوب بانجليزي من أسرة نبيلة اسمه سير أضير هوري، فأصبح ليلي يسمى سير هوري ـ بَلِّيشاع (1894 ـ 1957)، كان موظفاً سامياً بالخزينة الوطنية (1932.1934) ثم وزيراً للنقل، ثم كاتبا للدولة في الشؤون الحربية 1937 ثم عضواً في مجلس اللوردات 1954.

بلّيشاع، اللوب، جدّ هذه الأسرة أصله برتغالي، قدم إلى المغرب عام 1491، ولقي به مصرعه عام 1517 فأطلق على ولده موشي لقب بلّيشاع (بن ليشاع).

بلّيشاع، موسى (1788 ـ 1851) تاجر بجبل طارق ومانشتير.

بلّيشاع، يشُواع اللوب (1738 ـ 1808) حصل حسب ما ورد في تقييد لأسرته على رخصة تأسيس أولى بيعة بالصويرة.

دائرة المعارف اليهودية، القدس، ج 4، عمود 437 ؛ ح. الزعفراني، *الآداب الشعبية اليهودية*، 303.307.

ليفي شمعون

بلّيمني، ـ أسرة سلوية ـ ← ابن اليمني.

بَلَّيَسني حدّو، قائد بزرهون، تلقى تربية مخزنية أهلته لتولي مناصب سياسية في منطقة زرهون شمال مدينة مكناس، كخليفة في مدشر بني عمار في عهد السلطان مولاي عبدالعزيز، ثم عينه المدني الأگلاوي ـ الصدر الأعظم في مخزن مولاي حفيظ ـ شيخاً لنفس المدشر الذي كان في مقره الرئيسي، إضافة إلى مداشر أخرى كانت تابعة لمشيخته كالصخيرات، وبني مرعاز، وأيت احساين،

والخنادق، وصار في نهاية الحكم الحفيظي قائداً لهذه المداشر.

خلال توجه الحملة الفرنسية من الدارالبيضاء إلى فاس لرفع حصار القبائل عن مولاي حفيظ، مرت قوات هذه الحملة عبر فج زكوطة وفي طريقها إلى فاس قصفت بالمدافع مقر قيادة بليمني حدو في بني عمار وذلك يوم 31 ماي 1911، وكان قائد القوات التي قامت بهذه الغارة هو الجنرال گورو Gouraud في حين كان قائد الحملة العام هو الجنرال موانيي Moinier وذلك لإظهار قوة فرنسا وإرهاب سكان المنطقة التي سهل فيما بعد احتلالها.

بعد احتلال القوات الفرنسية صحبة الجيوش المخزنية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911، توجهت لإخضاع سكان زرهون الذين استسلموا دون مقاومة تذكر، وأثناء اجتماع القائد العام لهذه القوات بأعيان وقواد وأشياخ وسائر رجال السلطة بالمنطقة وترك جلهم في مناصبهم، ومنهم حدّو بليمني الذي احتفظ بقيادة المداشر السالفة الذكر، وبقي في هذا المنصب إلى نهاية سنة 1918 حيث ألقت القوات الفرنسية عليه القبض بتهمة المشاركة في مؤامرة باشا مدينة مكناس بنعيسى بن عبدالكريم البخاري التي دبرها للإطاحة بالقيادة الفرنسية بمكناس في شهر نونبر من تلك السنة. وكانت الأحكام الصادرة في حق حدّو بليمني تتلخص في عزله عن وظيفته ومصادرة أملاكه ـ استرجع بعضها سنة 1925 ـ والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، يعود بعدها إلى قبيلته الأصلية أو يبقى تحت الإقامة الإجبارية في مدينة تعينها السلطات الفرنسية.

توفي حدّو بليمني في نهاية الثلاثينات من هذا القرن.

بوشتى بوعسرية

بَلَنْجِينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Balaizena، وكان من بين أفرادها بتطوان الفقيه العدل :

بَلَنْجِينة، أحمد بن عبدالنبي المتوفي سنة 1689/1100.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1690/1101.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْلَنْدْ Blende أو سفاليريت، زنك أوخارصين الكبريت ZnS. نظامه البلوري تكعيبي، غالباً ما تكون بلوراته متلاصقة على شكل صفائح رقيقة، ممتازة الانفصام. صلابته 3.5 ـ 4 كثافته 3.5 ـ 4.2 ؛ أسمر إلى أسود، أحيانا أصفر، مخضر إلى مصفر، قليلا ما يكون عديم اللون، صمغي اللمعان، احيانا شفاف مصحوب بانعكاسات ضوئية حمراء.

يعتبر البلند أهم معدن خام للزنك، ويوجد على الخصوص على طول التسللات الحرمائية، ومصاحبا للبغماتيت أو منتشراً على شكل حبيبات في الصخور الرسوبية.

الكثير من مكامن البلند تم تشخيصها بالمغرب : (انظر الخريطة)،

ـ منطقة ملوية العليا (مكامن أحولي، مبلدن وزيدة).

ـ منطقة الأطلس الكبير المتوسطي وتافيلالت.

ـ المنطقة الشرقية لسلاسل الهورست منطقة المرتفات (تويسيت، بويكر، بدييان ومكتة).

ـ منطقة الأطلس الصغير، وخصوصا بالطاوس وعدانة.

ـ المناطق المتعددة المعادن، كجبل عوام (مريرت)، والرحامنة، وتازكا والريف الداخلي (الجنوب الشرقي وشمال مدينة تطوان).

يستعمل معدن الزنك للغلفنة، والصناعات المعدنية، ونقل لمعادن الثمينة، وكذا لخاصيته كمختزل في الصناعة. أما كبريت الخارصين فيستعمل كخضاب في صناعة الصباغة والمطاط، والمنتجات الضيائية.

أنتج المغرب سنة 1976 حوالي 29.568 طنا من فلز الزنك، وصدر ما يناهز 31.385 طنا ؛ مقابل إنتاج 14.796 طنا وتصدير 15.023 طنا سنة 1987.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème édition, Paris ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie* (français-arabe), Rabat, 1990, Rabat ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*. Paris ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopédié des minéraux*, Paris, 1986 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains*, (substances métalliques et non métalliques associées), 2ème Edition, tome 1, notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains* (Phosphates), 2ème Edition, tome 3, notes et mémoires du Service Géologieque ; P. Lapadu-Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

البَلَنْسِيَانو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valencianus أي البلنسي نسبة لمدينة بلنسية Valancia، وكان من بين أفرادها بتطوان :

البلنسيانو، العربي المعلم المساعد للقضاء الذي كان حيا سنةَ 1737/1150.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1737/1150.

بَلَنْصويلة، أو بنوصويلة، أو بن صويلة، أسرة تطوانية أصلهاَ من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Valenzuela أو هكذا Palenzuela.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 43 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْلُونْدان، Blondin مهندس عسكري فرنسي كان ضابطا في جيش الاستعمار الذي احتل الشاوية ابتداء من صيف سنة 1907، وهو الذي أشرف على بناء القنطرة العابرة لمصب وادي النفيفخ، ومازالت القنطرة قائمة إلى يومنا ويشهد ضيقها على وظيفتها العسكرية الأصلية، وتوفي الضابط المذكور بمركز الإسعاف المقام ببرشيد يوم 29 أكتوبر 1908 من أثر الجراح التي ألحقها به المجاهدون المغاربة، فأمر الجنرال داماد d'Amade إطلاق اسمه على تلك القنطرة وما زال الاسم رائجا على الألسن إلى يومنا.

Général d'Amade, *Campagne 1908 - 1909*, Paris ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le Corps de débarquement*, Paris, 1911 ; Seconds, *La Chaouia et sa pacification*, Paris (s/d) ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

البلوي، أحمد بن محمد بن عبدالرحمن القضاعي الإشبيلي أبو القاسم قرطبي الأصل، عرفت أسرته في قرطبة ببني علي. والأصل الأقدم للبلويين من القحطانيين اليمنيين، وقد سكنوا الحجاز قبل الإسلام. وكان مولد أبي القاسم البلوي في أواسط سنة 1179/575.

اشتهر بمهنتي القضاء والكتابة، قد تولى القضاء في شبابه، حيث اشتغل مسددا في إستبونة (جنوب رندة) حوالي سنة 606 هـ (*العطاء*، 74.73). و قضاء السدد هو قضاء في الأمور الأقل خطورة خاصة في غير المدن الكبرى، وأحكامه قابلة للاستئناف. وكان على صلة برجال الدولة الموحدية، منهم كاتب الخليفة الناصر أبو عبدالله بن عياش، وكتب عن عدد من السادة (الأمراء) الموحدين منهم السيد أبو إسحاق إبراهيم ابن الخليفة يوسف والي اشبيلية (600 . 612) الذي كان ينجز في عهده كتابه المسمى *بالعطاء الجزيل*. يقول البلوي عن نفسه :"ابتدأت جمع هذا الكتاب في شعبان سنة 610 هـ وختمته الآن هنا في شعبان 613... وقد كنت سميته في الصدر : *تشبيب الإبريز، والمزيد اللاحق التبريز، على ما جاء من الترسيل في كتاب أبي عمر المسمى بالوجيز*... ولما كمل الآن قده ... زدته درجة في التفضيل، وسميته : *العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل*، فهو كتاب ذو اسمين، (*العطاء*، ص 172.171) ولهذا فإن الاشارات الواردة في بعض المصادر تذكر اسم المؤلف تحت عنوان : *تشبيب الأبريز* ... (*الذيل*، 1 : 455).

قسم البلوي كتابه إلى عشرين باباً، كل باب يخص فناً من فنون الأدب يقدم خلاله نماذج ابتداء من العهد الإسلامي الأول ويختم بمساهمته في كل فن، وأضاف بعد ختم الكتاب رسائل سماها "زوائد" يمكن إلحاقها بكل باب في الأبواب. غير أن النسخة الوحيدة بالخزانة الحسنية بالرباط مبتورة البداية، فلم يبق غير الأبواب من الخامس عشر إلى العشرين، ومبتورة النهاية حيث ضاع في الزوائد وسائل تهم الباب الأول والزوائد التي تهم الأبواب اللاحقة. وقد استفاد كاتب هذه المادة من بعض رسائل العطاء في إنجاز رسالة جامعية تحت عنوان : *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*.

يذكر ابن عبدالملك المراكشي في *الذيل* مساهمات لأستاذه البلوي في علوم أخرى، فبالإضافة إلى مكاتبه في ميداني الآداب والقضاء له معرفة بعلم الحساب والهندسة، كما أنه ترك تأليفاً في اللغة، وبدأ في أواخر حياته *تأليفاً في ميدان الشعر* لم يكمله (*الذيل*، 1 : 456).

ومما يدل على اهتمام رجال الدولة بأهل العلم أن كتاب *العطاء* (أو *تشبيب الابريز*) أنجزه البلوي باقتراح وتشجيع من المُشرف (أي المسؤول المالي) أبي عبدالله ابن عبدالرحمن بن سهيل الاشبيلي (*الذيل*، 1 : 359.358)، وأن رسائل *"الزوائد"* أطلعه عليها مخدومه السيد أبو إسحاق في خزانته وشجعه على تنقيحه بهذه الإضافات (*العطاء*، 172).

قضى البلوي أواخر حياته في مراكش التي دخلها في أول عهد الخليفة الموحدي المعتضد سنة 1243.42/640 إلى وفاته بها في رمضان من سنة 1259/657، وكان يعيش فيها من دخل بسيط من مهنة التوثيق في دكان له. هذه الفترة كانت فيها مراكش من أهم المدن التي تستقطب رجال الفكر الأندلسيين الفارين من المدن الأندلسية التي كانت تتساقط بأيدي الإسبان، وهذه الكثرة لرجال الفكر بمراكش وبالمغرب عامة تؤكدها كتب التراجم، رغم أن هذه الفترة تمثل تدهور أحوال الموحدين الذين ستنتهي دولتهم في مطلع سنة 1269/668.

أ. البلوي، *العطاء الجزيل* ...، مخطوط خ. ح. رقم 6148، ص 172.171 ؛ م. ا. عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* ...س. 1 : 461.453 ؛ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 2 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، 1 : 123 ؛ أ. عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، ق. 1 : 4 و18، د.د.ع. الرباط.

أحمد عزاوي

البلوي، أبو بكر *عبدالرحمان بن سليمان السبتي*، عالم أديب، وشاعر رقيق، رحل إلى الأندلس للأخذ عن مشيختها، وانتهى به المطاف إلى قرطبة، وكان من رفاق أبي محمد ابن حزم الإمام الشهير، يختلفان جميعا إلى حلقات الدرس، ويتجاذبان شئون الأدب، وربما أنشد كل

منهما الآخر ما عنده من شعر ؛ وكان لهما رفيق ثالث يكبرهما قليلا، هو الحسين بن علي الفاسي، قدم على الأندلس تحدوه الرغبة في طلب العلم والأخذ عن المشايخ، ورغم ما اشتهر به من نسك ووقار، وفضل وصلاح، فقد كانت له أريحة أدبية، حدث ذات مرة أن أنشد أبو بكر البلوي أبياتا له في صفة متجن معهود، يقول فيها :

سريع إلى ظهر الطريق وأنه إلى نقض أسباب المودة يسرع
يطول علينا أن نرقع وده إذا كان في ترقيعه يتقطع

فصادف حضور أبي علي الفاسي ـ وهو في طريقه إلى مجلس شيخه أبي القاسم الصواف ـ فتبسم وقال :

إلى عقد المودة ـ إن شاء الله ...

وتدفع نشوة الأدب أبا محمد بن حزم إلى أن يقول في نفس الموضوع : ـ عاتبا على المتجني صدوده ونقضه لأسباب المودة ـ مضمنا في ذلك قول صديقه الفاسي :

دع عنك نقض مودتي متعمداً واعقد حبال وصالنا يا ظالم
ولترجعنّ ـ أردته أو لم ترد كرها ـ لما قال الفقيه العالم

ولا يخفى ما في البيت الأخير من ضعف، فقد جاءت كلمة : (الفقيه العالم) ـ ثقيلة الظل، ولعل للارتجال دوراً في ذلك ؛ بينما بيتا أبي بكر ليس فيهما ما يخدش وجه البلاغة.

ولأبي بكر قطعة أخرى أوردها الحميدي في *الجذوة*. ظل أبو بكر يتردد على مجالس العلم بقرطبة ردحا من الزمن وهي تعج بالعلماء والأدباء، ولما وقعت فتنة البربر بقرطبة، غادرها كثير من أهل العلم والأدب ـ وفيهم شيوخه أمثال أبي القاسم الصواف المصري، ورحل كذلك زميله أبو علي الفاسي ـ متوجها إلى المشرق، وتوفي في طريقه إلى الحج قبيل سنة 1026/417 ؛ وابن حزم نفسه لم يستطع المقام بقرطبة، فغادرها إلى المرية ومنها إلى بلنسية، ثم إلى جهات أخرى بشرقي الأندلس.

والمرجح أن أبا بكر البلوي قد عاد إلى سبتة، ويبدو من صنيع ابن حزم في *طوق الحمامة* : أنه كان في سنة 1027/418 لا يزال على قيد الحياة، فهو عندما يذكر أبا علي الفاسي لا يذكره إلا مقرونا بدعاء الترحم، والشأن أن يقال ذلك في حق من فارق هذه الحياة، بينما يذكر أبا بكر البلوي مجرداً من ذلك، ومعلوم أن تأليف ابن حزم *لطوق الحمامة* كان سنة 1027/418.

م. ابن حزم، *طوق الحمامة* ؛ الحميدي، *جذوة المقتبس*.

سعيد أعراب

البَلَوي، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن أبي خالد البلوي، يكنى أبا البقاء. وصفه الشاطبي بالشيخ الفقيه القاضي الأعدل (*نفح الطيب*، 2 : 532)، وترجم له معاصره ابن الخطيب في *الإحاطة*، ويستفاد من هذه الترجمة أنها ثانية اثنتين كتبهما هذا المؤلف للبلوي بعدما ترجم له في *الرحلة* التي قام بها برفقة السلطان الغني بالله النصري إلى البلاد الشرقية في الأندلس وهي المسماة *خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف* (*الإحاطة*، 1 : 500).

خالد البلوي من أهل قنتورية من حصون وادي المنصورة. وقنتورية هاته يذكرها البلوي مقرونة بكلمة بلدي (*تاج المفرق*، 2 : 155) وقد علق عبدالله عنان على الاختلاف في كتابة اسم هذا البلد بقوله إنها قنتورية المسماة بالإسبانية Cantoria وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية ألمرية على نهر المنصورة (*الإحاطة*، 1، هامش 500).

بهذه البلدة كان مولد البلوي في تاريخ غير معروف، من أسرة مشهورة بالعلم والجاه، وبها تلقى تعليمه الأولي على والده، ثم رحل إلى غرناطة وأخذ بها عن محمد بن محمد بن عاصم القيسي وغيره. ثم جاز البحر إلى العدوة فأخذ العلم بفاس عن عبدالعزيز بن محمد القروي وأحمد بن شعيب الجزنائي ومحمد بن عبدالكريم وعبدالرحمان الجزولي. كما أخذ بتلمسان عن أبي موسى بن الإمام وقاضي الجماعة أبي علي منصور بن هدية وعمران المشدالي والقاضي محمد بن عبدالنور (*جذوة الاقتباس*، 1 : 186.187) وقد عاد البلوي بعد ذلك إلى مسقط رأسه قنتورية ليغادرها مرة أخرى في اتجاه المشرق طلباً للاستزادة من العلم وأداء فريضة الحج. ذكر ابن القاضي أن رحلة البلوي كانت سنة 1337/737 (*درة الحجال*، 1 : 263). وهذا غير صحيح لأن هذه الرحلة دامت خمسة أعوام إلاّ شهرين وثمانية عشر يوما (*تاج المفرق*، 2 : 156) من تاريخ خروج المؤلف من قنتورية يوم السبت الثامن عشر لصفر من عام ستة وثلاثين وسبعمائة (*تاج المفرق*، 1 : 144) إلى تاريخ عودته إليها صبيحة يوم الاثنين أول ذي الحجة من عام أربعين وسبعمائة (*تاج المفرق*، 2 : 154).

اشتهر البلوي بكتابه الرحلة الحجازية المسماة *تاج المفرق في تحلية علماء المشرق*، وقد نقل المقري عن هذه الرحلة ووصفها بقوله مشحونة بالفوائد والفرائد، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد (*نفح الطيب*، 2 : 532) وللمؤلف تواليف أخرى نقل عن بعضها ابن القاضي (*جذوة الاقتباس*، 1 : 186.187) وأشار محقق الرحلة إلى أن للبلوي *تخريجا في حديث الرحمة* وأن له *ديوان شعر* من نظمه ومجموعة *شعرية منتقاة* اختارها من أشعار معاصريه (*تقديم تاج المفرق*، 36).

تقلد البلوي وظائف، أهمها اشتغاله بالكتابة لأمير تونس أبي زكريا يحيى الحفصي مدة قليلة من سنة 1340/740 (*الإحاطة*، 1 : 500) كما اشتغل بالقضاء في مناطق عديدة من الأندلس كبلده قنتورية وبرشانة وألمرية (*تاج المفرق*، 2 : 159 ؛ *جذوة*، 1 : 191).

قال ابن القاضي إنه لم يقف على تاريخ وفاة البلوي (*جذوة*، 1: 191). وذكر الزركلي أنه توفي بعد سنة 1364/765 (*الأعلام*، 2 : 297). وهذا التاريخ لا يفيد كثيرا في موضوع وفاة المؤلف لأنه لا يمثل شيئا بالنسبة لحياته ولا بالنسبة لكتابه. وكل ماهو مؤكد أن البلوي أكمل تدوين

رحلته في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول من عام سبعة وستين وسبعمائة حسب ما ذكره حفيده خالد بن أحمد (*تاج المفرق*، 2 : 159). وقد ذكر محقق الرحلة أن وفاة المؤلف كانت قبل عام 680 هـ لأن ابن الخطيب ذكره في *الريحانة* وترحّم عليه (*تقديم تاج المفرق*، 26).

خ. البلوي، *تاج المفرق*، تـ. الحسن السائح، مطبعة فضالة ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1973 ؛ ابن القاضي، *ذرة الحجال*، 1970 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1973 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 1968 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1979.

حسن الحافظي

البليار (جزر ـ) ← بني غانية

بلياش، ويكتب أحيانا بَلاش، ترجمة عن الفرنسية Pallache ؛ أسرة يهودية خرجت من إسبانيا الكاثوليكية والبرتغال بعد النكبة الأندلسية، في أواخر القرن الخامس عشر وما بعده. ومن اليهود البرتغاليين الذين لجؤوا إلى المغرب في ذلك الوقت، أسرة ورد ذكرها في الوثائق الأجنبية بلقب Pellache وجاءت في المراسلات السعدية بلقب بلياش، وهو اللقب الذي اعتمدناه إذ أنه هو المستعمل عبْرياً. ولو أن *يهاس فاس* أخبار فاس، المكتوبة بالعبرية بقَلم الربِّي حالسرفاتي لم تعالج هذا الموضوع.

كان أحد شيوخ أسرة بلياش، المدعو إسحاق ربّيا بفاس خلال القرن السادس عشر، وكان من بين أولاده، صمويل ويوسف، اللذين ظلا يبحثان عن الثروة والجاه فترددا على بعض البلاطات الأوربية قبل سنة 1579 حسب ما كتبه سفير فرنسا بمدريد، وترددا على فاس ومراكش وسلا، يعرضان خدماتهما على من يستطيع أداء الثمن. ثم أقام الأخوان صمويل ويوسف بأسفي التي كانت ميناء مراكش وثغراً هاماً للتجارة الخارجية ونقطة عبور إجبارية للبعثات الذاهبة من مراكش إلى الخارج أو الوافدة عليه من أوربا. وبأسفي تعرّف صمويل ويوسف، وهما يلمان باللغات الأجنبية، على تجار هولانديين، فحصلا على مساعدتهم للتوجه إلى هولاندا. وقد تقدم صمويل إلى السلطات الهولاندية للحصول على تأشيرة الدخول إلى أمستردام سنة 1608 وعرض خدماته كوكيل تجاري لشركات هولاندية بأسفي، فحصل على جواز سفر هولاندي بتاريخ 18 أبريل 1608، لكن السلطات الهولاندية تراجعت ولم تسمح لصمويل بالإقامة ولو مؤقتا ببلادها، خصوصا بعدما تذكرت عروضه الخالية من الجدّية، مثل غزو مدينة تطوان "المستعدة لاستقبال أي كان من الغزاة" واحتكار التجارة في الموانئ والمدن المغربية القارية، ويكونه على علم تام بأن ما تحتاجه هولاندا لصناعاتها، متوفر بالمغرب وبثمن بخس، مثل الأصواف وملح البارود والسكر وغير ذلك، كما أن المغرب الذي كانت له مشاكل مع إسبانيا والبرتغال وغيرهما يحتاج إلى التعامل مع هولاندا.

توجه صمويل بلياش إلى الملك زيدان بن أحمد المنصور السعدي واقترح عليه احتلال تطوان لكسب ثغر قريب من أوربا وذلك بعد أن ينقل إليها الجنود بحراً. فكيف يتأتّى ذلك وزيدان لا يملك أية سفينة ؟ فلوح صمويل بما يمكن جنيه من ثمار من التعامل مع هولاندا، زاعماً أنه يعرف هولاندا حق المعرفة وله فيها أصدقاء يهود برتغاليون وغيرهم ممن يسيطرون على القطاع التجاري والحربي.

استحسن زيدان الفكرة، وهكذا فتح صمويل باب النفوذ والدبلوماسية على مصراعيه لأخيه يوسف ولأبناء أخيه داود وموسى وإسحاق، وفتح باب البلاط السعدي لغيرهم من اليهود ليتلاعبوا بالمصالح العليا للمغرب،غير مهتمين إلا بمصلحتهم الخاصة.

بلياش، إبراهيم بن يوسف، كان يقوم بدور الرقّاص من مراكش إلى أسفي حاملا إلى الوكلاء الأجانب رسائل الملوك السعديين أو الرسائل التي يتسلمها من شقيقه موسى أمين زيدان الموجهة إلى هؤلاء الوكلاء أو إلى اليهود الذين كانوا يمسكون بشؤون ثغر أسفي وبالديوانة.

بلياش، إسحاق (الأعرج) كان كأخيه داود وأبيه يوسف، وعمّه صمويل، كان خبيراً في المناورات، استفاد كثيراً من الامتيازات الدبلوماسية والتجارية، ذلك ما جعل أسرة بلياش بكاملها تلعب دوراً كبيراً في العلاقات المغربية الهولاندية.

بلياش، داود بن يوسف. كان يقوم مقام السفير المغربي بلاهاي نيابة عن أبيه من عام 1620 إلى عام 1638، ثم صار وكيلا للسلطان محمد الشيخ الأصغر بهولاندا، من عام 1638 إلى عام 1649.

لم يحد داود عن الخطة التي كان يسير عليها أبوه وعمه، فافتضح أمره وظهر نفاقه وخداعه في علاقات المغرب بفرنسا، إذ تهاون في القيام بالواجب وأساء إلى سمعة المغرب والملك الوليد بن زيدان بشأن معاهدة بين البلدين، حيث توانى في تسليم نصها إلى ملك مراكش بعد ما وقعه لويس الثالث عشر. ولما انكشف الأمر، تبين أن داود كان يلفّق الوثائق الرسمية ويزوّر إمضاء الوليد، فطلب هذا الأخير من السلطات الهولاندية اعتقاله، لكن داود علم بذلك وفرّ إلى ألمانيا واختبأ بمدينة كولوني، ومنها أخذ يحرك الوساطات لتكذيب الاتهامات، فتوجت مساعيه بالنجاح وتراجع الوليد عن مطلبه وعفا عنه. الأمر الذي دفع الأوربيين إلى اتهام الوليد بالتواطئ مع اليهودي.

توفي داود بلياش بالمغرب سنة 1649.

بلياش، صمويل بن إسحاق، أشهر من قام في هذه الأسرة بأدوار سياسية وتجارية خطيرة في هولاندا كممثل للملك زيدان بن أحمد المنصور. لم تستطع السلطات الهولاندية أن ترفض صمويل بلياش كممثل الملك زيدان، حفيد الشرفاء، فقبلت أوراق اعتماده ممثلا لملك مراكش بلاهاي، وقبلت أن يكون شقيقه يوسف بلياش وكيل زيدان بأمستردام، وهكذا قضت مصلحة البلاد بتناسي ماضي

صمويل وغض الطرف عن مناوراته السابقة، فدام صمويل على رأس السفارة المغربية بلاهاي، من سنة 1609 إلى سنة 1616.

لم يلبث صمويل إلا أشهراً معدودات حتى أخذ يتبوأ مكانة مرموقة في هولاندا وصار زيدان يسبغ عليه كثيراً من النعم ويخصّه بالمزيد من العطف والثقة، فادعى اليهودي النبل بين الأوساط اليهودية والمسيحية في هولاندا واتخذ لنفسه شعاراً ولأسرته رمزاً تجسمهما قطعة نقدية من قيمة ريال ذهبي بيضوي الشكل يتوسطه أسد منحوت يعلوه تاج ملكي، فأضحى الهولانديون يسمونه "الكونت بلياش".

قلّما كان صمويل بلياش يُطلع زيدان على كل تفاصيل المفاوضات التي يجريها مع السلطات الهولاندية فانعكس ذلك سلبيا على مكانته لدى زيدان، وسخط عليه دبلوماسيو فرنسا وإسبانيا وانكلترا والبرتغال، خصوصاً عندما سمح لنفسه بامضاء الصفقات باسم ملك مراكش، دون أن يكون له تفويض خاص بذلك.

ما من وفد رسمي توجه من مراكش إلى هولاندا إلا وكان صمويل حاضراً في جلسات العمل، فيقدم النصائح ويحرر التقارير بالشكل الذي يخدم مصالحه أكثر مما يخدم مصالح المغرب، ولم ينكشف مكره إلا بعد وفاته، ذلك كان شأنه مع الوفد الذي ترأسه القائد حمو بن البشير أواخر عام 1608، ومع الوفد الذي ترأسه القائد أحمد بن عبدالله عامي 1610.1611 في شأن إبرام معاهدة تحالف بين المغرب وهولاندا التي كانت تضمر العداء لإسبانيا والبرتغال وانكلترا. وقد شارك في هذه المفاوضات موسى بن يوسف بلياش بصفته "مساعداً" للوفد المغربي، وقد أدرجه زيدان قبل ذلك في هيئة كتابه. وكذلك كان الأمر عندما قرر زيدان إيفاد بعثة ثالثة إلى هولاندا عامي 1612.1613 برياسة القائد أحمد الجزولي للتباحث مع الحكومة المحلية في شأن الباخرة الفرنسية التي كانت تقل خزانة كتبه وبعض النفائس من أسفي إلى درعة عن طريق أگدير والتي غيرت اتجاهها إلى الشمال فوقعت في أيدي القراصنة الإسبان.

وفي عام 1612، قاد صمويل وحده مفاوضات مع هولاندا قصد تزويد ملك مراكش بسفن حربية وأنواع من الأسلحة، وإيفاد مهندس للوقوف على أعمال تحصين المعمورة ـ قبل أن تقع في قبضة الإسبان ـ وتحصين أمگدول، أو كاستيلو ريال، تلك القلعة التي بناها البرتغاليون بجزيرة صغيرة تحادي اليوم ميناء الصويرة ـ ولم تكن الصويرة مبنية ذلك الوقت ـ لكن صمويل لم يفلح في تحقيق رغبات زيدان.

في منتصف سنة 1613، أبحر صمويل إلى روتردام في ظروف غامضة أثارت تشكك سفير انكلترا المقيم بأسفي، جون هارسون الذي نبّه حكومته إلى تحركات صمويل حيث اتهمه واتهم أخاه يوسف بالتحايل وخداع زيدان والنصارى.

في غضون سنة 1614، انتقل صمويل إلى انكلترا فألقي عليه القبض هناك بطلب من سفير إسبانيا الذي كان يقيم بمدينة درموت، لكنه التمس من الحكومة الهولاندية أن تتدخل لفائدته لدى جاك الأول عاهل انكلترا، ففعلت، فأطلق سراحه بعد عام تقريباً رغم معارضة دييگو دوكونيا السفير الإسباني. وعندما رجع إلى هولاندا، صادف عدة مشاكل في وجهه لأنه تطاول في البحر على يخت هولاندي فأغرقه، وحجز سفينتين برتغاليتين محملتين بالبضائع وأراد أن يحتفظ بالغنيمة دون إعطاء نصيب منها إلى بحارته، فتسبب له ذلك في متاعب جمة مع السلطات المحلية ومع الملاحين وغيرهم.

أصيب صمويل بمرض ألزمه الفراش، فتوفي بهولاندا يوم 5 فبراير 1616، وهو فقير، وتم دفنه بمقبرة اليهود البرتغاليين بمدينة "أدكيرك". ويحمل النصب الواقع عند رأسه، شعاره ورمزه البيضوي الشكل.

بلياش، موسى، قرّبه عمّه صمويل من زيدان، فاستحسن طلعته ومعرفته باللغات الأجنبية، وجعله عضواً في ديوانه، ثم سمح له بالسكنى بالقصر ليكون دائما قريباً منه، فصار موسى صاحب القلم كلما كانت لزيدان مراسلات مع الحكومات الأوربية أو مع ممثليها بأسفي أو مراكش أو غيرها. كان عندما يترجم الرسائل من العربية إلى اللغات الأجنبية يستبدل كلمة "ذمي" التي كانت تخص الوكلاء من أسرة بلياش، بلفظة "خديمنا" أو "مفوضنا الوفي". اشتكى منه العديد من الأجانب خصوصا بعدما أصبح على رأس الكتابة الخاصة لزيدان بمقام أمين السر، حيث تجلى مكره ورياؤه. والغريب أن أصداء تذمر الأجانب من سلوك أسرة بلياش لم تلق لدى السعديين صدى إلا في عهد محمد الشيخ الأصغر الذي نحّاهم تقريبا واستبدل بهم التاجر الانجليزي روبير بلاك.

بلياش، يوسف، تميزت حياته الدبلوماسية والتجارية بفترتين، الأولى واكبت أنشطة شقيقه صمويل (1609.1616) حيث كان ينوب عنه أثناء غيابه عن هولاندا، فكان بمثابة قائم مقام السفارات المغربية، والثانية ابتدأت عام 1616 وانتهت بوفاته عام 1638. وقد واصل الأعمال التي كان يقوم بها صمويل، فكسب ثقة زيدان، ثم ثقة ولده عبدالملك فالوليد بن زيدان فمحمد الشيخ الأصغر، وكل هؤلاء مضوا يدافعون عنه لدى السلطات الهولاندية كلما أثيرت الشبهات حوله أو تعرض لمضايقات بسبب لعبه على الحبلين.

لم يحد يوسف عن الخطة التي كان ينهجها صمويل، فأخذ يلازم مرافقة الوفود المغربية لدى الحكومة الهولاندية والتي كانت في بعض الأحيان لا تتشكل إلا من اليهود، مثل البعثة التي تألفت من رموخ ويعقوب بن روش اللذين أوفدهما السلطان زيدان إلى هولاندا لاقتناء الأسلحة. يلاحظ أن السعديين مضوا يبعدون المواطنين المسلمين عن الصفقات التجارية وغيرها التي يتفق في شأنها مع الدول

الأوربية ؛ ويعزى هذا إلى قوة نفوذ اليهود لدى البلاط السعدي وإلى إتقانهم حبك المؤامرات على المصالح المغربية والأوربية.

في عام 1921 أوحى يوسف إلى زيدان بفكرة بناء مرسى بين الجديدة وأسفي بموقع "أيير"، فاستحسن السلطان المشروع وكلفه بالدخول في مفاوضات مع هولاندا بشأن إنجازه، فطالت المفاوضات عدة شهور، ولما وافقت هولاندا، بعثت وفداً من الخبراء إلى عين المكان، يترأسه ألبير رويبل، لكن هذا الأخير "اشتكى من سلوك آل بلياش وخاصة منهم يوسف وابنه موسى وكافة عصابة اليهود الذين يتلاعبون بمصالح المغرب ومصالح الأوربيين"، فلم ينجز المشروع وتوترت العلاقات بين البلدين بسبب تنطع يوسف بلياش الذي مضى يقدم لزيدان صورة عن الأوربيين مخالفة للواقع ويدّعي في نفس الوقت أنه مؤهل للتفاوض معهم وله كامل الصلاحيات لاتخاذ القرارات الملائمة. ولما عاد إلى أمستردام على متن السفينة التي كانت تقل البعثة التقنية الهولاندية اتهم رويبل بتعذيب ولديه إسحاق وداود طيلة الرحلة في البحر.

كان يوسف بلياش يسدي النصائح إلى السلطات الهولاندية كلما انتقلت السلطة الرسمية في المغرب إلى سلطان جديد، وكان في بعض الأحيان يلتمس من الهولانديين مؤازرته لدى الحكومات الأوربية والثناء عليه لدى السلطان بالمغرب وكما أنه خلف أخاه، أفلح في استخلاف ابنه داود على رأس السفارة المغربية بلاهاي.

م. الإفراني، *نزهة الحادي* ... ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، (مخطوط).

A. Ruyl, *Journal, S. I. H. M, Pays Bas, France* ; M. Eisenbeth, *Les Juifs au Maroc.*

أحمد بنجلون

بُليد (أيت ــ)، تقول هذه التجزئة بانتمائها إلى فصيلة أيت احماد أُعلي من قبيلة أزوافيط التكنية (أزوافيط، *معلمة*) على أن اختلاف أيت احماد أُعلي حول تحديد أنسابهم يحد من صلاحية هذه المقولة. ولعل أهل المهدي بقرية أسرير حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) هم أقدم أيت بليد وألزمهم رسوخا بالمنطقة. على أن التاريخ الفعلي لأيت بُليد يعد محط كثير من التساؤلات الكفيلة حقا باستنطاق سيرورة مداشر تغمرت وأسرير وازريويلة. فما معنى أن يعتبر أيت بُليد بعض وحداتهم دخيلة كأهل لحمير مثلا بينما يحتفظ هؤلاء بمنزلهم بتمسوفت تغمرت الموغلة في القدم وبساتين ونخيل يثبت إلى حد كبير انتماءهم القديم إلى عين المكان؟ وما معنى أن يرتبط جل أيت بليد بقرية أزريويلة التي لم يغادرها أصحابها من قبيلة إزرگيين إلا منذ ثلاثة قرون ونصف ؟.

يتميز هذا المدشر بمجاورته لمرس هام يحتوي على مجموعة من المثامير التي تحذ بها رعاية أيت إعزّى ويهْدَى ذوي السلطة الروحية المتميزة بجمل الأطلس الصغير وباني والساقية الحمراء. فالرواية الشفوية تُسبغُ على هذا المرس من الأوصاف ما يجعله محط احترام جميع المحتالين وتقديسهم (أيت *إعزّى ويهدَى*، *معلمة*) وتضيف الرواية المحلية بأن قريتي لـ ـار وازريويلة كانتا محايدتين لا تدخلان في الصراع القبلي بين لفي أيت الجمل وأيت عثمان التكنيين. كما أن التجار اليهود كانوا يضمنون أهل القريتين في عملياتهم التجارية.

نتساءل من هنا عن موقع أيت بُليد من هذه الوضعية خاصة وأن طبائعهم الاجتماعية لا توحي بأية تقاليد تجارية تزكي وجودهم قرب مرس البيِّض بزريويلة. فمن يكون أيت بُليد وما علاقتهم التاريخية باحماد أُعلي وما دورهم في بلورة القبيلة ؟ وإلى أي مدى يمكن تتبع مراحل تطورهم من خلال جرد لأنسابهم ومقارنتها من خلال تداخل العلاقات الزفاطية الأخرى ؟ تلك مجموعة من التساؤلات قد تسمح إذا ما هي نالت ما تستحقه من العناية بالوصول إلى أجوبة شافية. نكتفي هنا بالإشارة إلى سياسة فرنسا القاضية بالمحافظة للأعيان على مهامهم وأدوارهم التقليدية قد أدت بعد سنة 1934 إلى تعيين سيدينا ولد علي ولد عمار كشيخ لأيت بُليد. وقد تميز بمظهره الأنيق وشخصيته القوية خاصة عن أقرب المقربين إليه. على أن أيت بُليد قد عرفوا خلال نفس الفترة من الأعيان كعبدالحي وأخيه عبدالودود ولد عبدالله ما يجعل منهم فصيلة من أجدر الفصائل بالانتماء إلى قبيلة أزوافيط واتحادية تكنة.

مصطفى ناعمي

بليدة، منجم يقع قرب دوار بليدة وأخذ منه تسميته، وهو بكتلة بووازار الگرارا في قلب الأطلس الصغير الأوسط الذي يكتسب منه شخصيته الطبيعية، لذلك يزخر باطن وسطح أرض المنطقة بثروة معدنية شبه نفيسة متمثلة في معدن النحاس. هذا المعدن الذي ظل ملازما للحضارة البشرية منذ اكتشافه، حيث صنعت منه الأواني والحلي والأسلحة وضربت منه النقود، وكان عملة صعبة استبدله المغاربة بالعبيد والسكر والأسلحة، وذلك قبل أن ينال شهرته واستعمالاته المتعددة خاصة في الصناعة الكهربائية في وقتنا الحاضر.

ففي بليدة هذه، عثر المستكشفون المنجميون على استدلالات أثرية من حفر وآبار، وأدوات للاستخراج، ومصهرة للسبك وقرية منجمية تدل على الاستغلال المبكر للمنجم الذي لا يستبعد أن يستغل من قبل السكان المحليين فيما بين القرن الثالث والسابع (9.13 م)، والذي ذكره البكري باسم "تيناء ودادن". إلا أن هذا الاستغلال التقليدي لم يدم طويلا على غرار مناجم أخرى استمرت حتى التدخل الأوروبي. وقد يعود السبب في ذلك إلى نفاد المكامن السطحية، وركود تقنيات الاستغلال، ووعورة المسالك وانعدام الأمن، والبعد عن مواطن الاستهلاك ومنافسة مناجم أخرى أكثر استراتيجية.

وفي القرن العشرين، ولتعويض تكاليف الاحتلال، سنت الحماية قوانين وانشأت مكاتب وشركات بهدف استغلال المدخرات المعدنية المغربية، وتم بذلك فتح معادن "المغرب غير النافع" في وجه الصناعة الأوروبية، واعتبرت كتلة بووازار الكرارا من بين الحدائق الجيولوجية المغربية منذ اكتشاف معدن الكوبالط ببووازار سنة 1931.

هكذا، سعياً وراء تموين احتياطات منجم بووازار، تم العثور على كنوز بليدة وتم القيام بحملات استكشافية من قبل شركات منجمية دامت من سنة 1967 إلى 1973 حيث حددت المعالم الرئيسية للتمعدنات وأسندت مهمات الاستغلال للشركة المعدنية لبوگافر التي عملت على دراسة الصلاحيات التكنولوجية والاقتصادية للمنجم الذي افتتح رسمياً سنة 1982.

فمن حيث المعالم الرئيسية للتمعدنات أبانت الدراسة الجيولوجية والجيوكيماوية أنها من نوع "المكمن الكبريتي، البركان ـ الرسوبي" المنتمي إلى البروتروزويك الأعلى، تتكون معادنه من الكالكوبيريت، والبورنيت والبيريت. أهم مشتقاته هي النحاس، والحديد والكبريت يصل محتواها 3٪ في النطاقات الفقيرة و7٪ في النطاقات الغنية.

تكونت هذه المعادن في حوض مغمور بمياه المحيط على حاشية الدرع الشمالي الافريقي، حيث تعرضت مسطحة الدرع والحوض المرافق له لنشاط بركاني، وترسبت الطفوحات في الحوض منذ 623 ± 10 مليون سنة، وتعرضت هذه الترسبات للحركات الانتهاضية الكبرى لما قبل الكامبري الثاني والثالث لتأخذ الطبقات اشكالها بصفة نهائية : التوائية وانكسارية ذات اتجاه شبه عمودي إلى عمودي من الأسفل في اتجاه الأعلى مع تنضيد قوي.

ومن حيث تقنيات الاستغلال فقد استعملت أحدث آلات الاستخراج. وتمشياً مع الوضع الجيولوجي للافاق المعدنة اختيرت طريقة "الغرف الصاعدة المردومة" للاستخراج، وهي كلاسيكية في النطاقات الفقيرة وشبه ميكانيكية في النطاقات الغنية. صبيبها يجمع بباطن الأرض لينقل آليا إلى مركز المعالجة حيث يركز المعدن إلى أكثر من 30٪ من ركاز النحاس، وهي طريقة تختزل اليد العاملة حيث يشتغل بالمنجم أزيد من 300 عامل بصفة رسمية. هذا بالاضافة إلى عدد من اليد العاملة المؤقتة المسكوت عن أرقامها المطلقة.

النتيجة أن منجم بليدة ينتج كميات مهمة من ركاز النحاس كما يظهر في الجدول الأتي :

انتاج المعدن القابل للبيع بـ 1000 طن

1989	1987	1985	1983	1982
34.1	35.1	45.9	53.8	47.6

يوضح الجدول أعلاه أن الكميات المنتجة مهمة مع تراجعها من سنة لأخرى نظرا لارتفاع نسبة الشوائب وتقلص نسبة المعدن بعد استنزاف قلوب المكامن الغنية. وهذه الكميات جعلت المنجم ينتج 88٪ من نحاس المغرب ويحقق 80٪ من كمية المبيعات و93٪ من قيمة الصادرات سنة 1988. ومن شأن هذه النسب أن ترتفع مستقبلا بعد استغلال أكاسيد النحاس على السطح واكتشاف احتياطات مهمة بالواحة شرق بليدة وامكانية استغلال المكامن المتواضعة المحتوى نتيجة التحسن الذي عرفته أسعار خام النحاس في السوق الدولية. ذلك أنه بعد انخفاضها المحسوس سنة 1986 أخذت في الارتفاع لتصل إلى 1734.89 جنيه استيرليني سنة 1989 محققة بذلك تزايدا بلغ 29.8٪ بين السنتين.

ومن منظور آخر، نجد أن استغلال الثروة المعدنية ببليدة أدى إلى تغيير هياكل المنظومة المجالية الموروثة حيث كان نشاط السكان مرتكزاً على الرعي وزراعة الواحات في إطار حياة اجتماعية بسيطة، ثم حدث تحول جدري حيث أصبح الاقتصاد المحلي مرتكزا على النشاط المعدني ومرهوناً بالوظيفة المعدنية، التي أدت إلى فك العزلة على هذه الأرياف وأحدثت تقسيماً جديداً للعمل، وتعمل على إدخال أساليب النظام الرأسمالي بصفة عامة. ويضاف إلى ذلك ادخال آليات صناعية وسكن منجمي غير مألوفين، وسكان غرباء في محيطهم الجديد، حيث تأوي القرية المنجمية أزيد من 2.000 نسمة يعيشون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على النشاط المعدني، وقد استفادت منها بليدة خصوصا بعد إقفال منجم بووازار سنة 1983، وانتشار ظاهرة الجفاف الذي استفحل وقعه في الكرارا أيضا. هذا ويتعدى اشعاع منجم بليدة نطاقه المحلي إذ ينعش المراكز الحضرية المجاورة تازناخت وزاگورة، وينشط ميناء أگادير ويجلب العملة الصعبة للمغرب.

أخيراً أدى اخضاع الظروف الطبيعية من مناخ وتضاريس وجيولوجيا بفضل استعمال التقنيات الجديدة إلى تنشيط منجم بليدة، وساهم في ذلك الاستفادة من قوانين الاستثمارات المنجمية وتحسن ظروف التسويق. كل ذلك جعل منجم بليدة يحتل الصف الأول في انتاج النحاس بالمغرب. وتبقى الوظيفة المعدنية بالكرارة وظيفة موكولا عليها وستؤدي دورها كاملا بتدعيمها بوحدة للسبك لادخال الصناعة الاستخراجية في استراتيجية جديدة.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، جزء من كتاب المالك والمسالك، ص 165.155 ؛ ح. أقبوح، *النشاط المعدني بإقليم ورزازات، نموذج بليدة*، بحث لنيل الاجازة، جامعة القاضي عياض بمراكش، 1987.86 ؛ *مجلة صدى بليدة* رقم 4، 1985 ؛ مديرية التخطيط، *النشرة الاحصائية المغربية لسنة 1985 و1989* ؛ مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية لسنة 1982 إلى 1989.

P. Billau, *Les Structures panafricaines du gisement de cuivre de Bleida*, thèse de 3ème cycle, Univ. de Languedoc, 1977; J. Coefic, *Litho-Géochimie des minéralisations cuprifères, liées à un volcanisme acide sous-marin du Proterosoique supérieur (Bleida sud, Anti-Atlas)*, Mémoire de D.E.A, Univ. Montpellier, 1984 ; B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations et les anciens centres métallurgiques du Maroc*, *RGM*, N° 17 - 18, 1970.

الحسين أقبوح

البليدي، أسرة تطوانية لعل أصلها من مدينة البليدية الجزائرية، ووجودها بتطوان كان قبل الهجوم الفرنسي على القطر الجزائري، حيث نجد أحد أفرادها وهو رايس البحر محمد البليدي من بين أعيان تطوان الذين وقعوا على وثيقة بيعة الأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتاريخ 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، كما نجد من بين بحارة حامية تطوان سنة 1834/1250 أحمد البليدي وعباس البليدي ومصطفى البليدي وعبدالمومن البليدي.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْليشي، (الدكتور ـ) Dr Bleicher عالم بيولوجي وطبيب في مستشفى وهران، رافق سفارة شارل تيسو وزير فرنسا المفوض بطنجة من هذه المدينة إلى مكناس سنة 1874. وخلّف كتابا عن رحلته بعنوان : *Un Voyage au Maroc*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1527.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 77.

مصطفى بوشعراء

البليطة أو البلطة، موضع يقع بالقرب من مدينة طنجة، ذكرت المصادر أنه هو المكان الذي التقى فيه يوسف ابن تاشفين بالمعتمد بن عباد عند قدوم هذا الأخير إلى المغرب طالبا نجدة المرابطين، ولم يرد ذكر هذا الموقع في المصادر الجغرافية، وأشار صاحب *القرطاس* (ص 144) إلى الموضع بقوله إنه يقع على ثلاث مراحل من سبتة، وهي نفس الرواية التي أوردها الناصري في *الاستقصا* (2 : 34) مع اختلاف في رسم الكلمة حيث كتبها هذا الأخير "بلطة" عوض "بليطة". أما ابن خلدون فلم يشر إلى هذا الموضع بل ذكر أن اللقاء تم بمدينة فاس.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 34 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 382.

عمر بنميرة

بْلينيوس أو بْلينْ القديم Pline l'Ancien وموريطانيا الطنجيّة. ولد كايوس بلينيوس سوكندوس بكوم Côme بشمال إيطاليا ما بين 25 غشت عام 23 ق. م، و24 غشت 24 ب. م، وتوفي سنة 79. كان ينتمي إلى الطبقة البورجوازية التي زوّدت روما بالعدد الوافر من الأطر العسكرية والمدنية، إلا أننا لا نعلم الكثير عن طفولته وتربيته. استند هذا المؤرخ في مؤلّفه الشهير الحامل لعنوان *تاريخ الطبيعة* *Histoire Naturelle* إلى يوبا الثاني حيث استغل مباشرة كتاب عربيا Arabia وكتاب ليبيكا Lybyca، ومن المعلوم أن بليينيوس قد وصف بإسهاب موريطانيا الطنجية في بداية الكتاب الخامس من المؤلّف المذكور، حيث يعتبر هذا العمل أحد المراجع الأساسية للتعريف بالمغرب الأقصى القديم. وصف الشاطىء الأطلسي لهذا البلد، استناداً إلى رحلة بُوليبيوس Polybe، لكن يبدو المُؤلّف وجيزاً فيما يتعلق بشاطىء البحر المتوسط لموريطانيا الطنجية حيث وقعت الإشارة إلى بعض المواقع لكل من الضفة المغربية من المضيق والبحر الإيبيري وباقي الشاطىء المطل على البحر الداخلي إلى نقطة الحدود مع موريطانيا القيصرية. وإذا اعتبر رأس سبارطيل كأول نقطة جغرافية بالنسبة لشاطىء المحيط، فإن طنجيس Tingis تظل بمثابة الناحية الغربية للبحر المتوسط وتحمل اسم ترادكتايوليا Traducta Julia، كما تُقابل موقع بيلو Bélo على الضفة المقابلة بإقليم البتيك Bétique. وتُعَد الناحية الشرقية لطنجيس كمجال جبلي حيث تتم ملاحظة كل من سبتيم فراطريس Septem fratris وجبل أبيلا Abila ونهري تامودا Tamude واللود Loud ومدينة ريسادير Rhyssadir وأخيراً وادي المالفان Malvane. ومن المحتمل أن تنطبق هذه المواقع حسب بلينيوس على كل من الإخوة السبعة غرب سبتة وجبل أشُو Acho لهذه المدينة الأخيرة وعلى ريومارتيل Martil Rio ووادي لاو Laou ومليلية ونهر ملوية الذي يميزه عن وادي كيس Kiss. ومما يلاحظ أن بلينيوس لا يقترح أبداً المسافات الفاصلة ما بين المواقع الجغرافية المختلفة لشاطىء موريطانيا الطنجية المتوسطي، كما أن نفس المؤلف لم يقم بغض الطرف عن أنهار المحيط (لكوس Lixus وسوبوبوس Sububus وسالاتا Salata) وأنهار البحر المتوسط (تامودا واللود والمالغان)، بدراسة وافية لداخل أراضي شمال المغرب الأقصى القديم، إذ اقتصرت الإشارة على بعض السلاسل الجبلية الغير الموطنة بالتدقيق كالإخوة السبعة وجبل أبيلا Abila، بيد أننا نلاحظ نوعاً من اللبس في المنظور عندما يتعلق الأمر بالأطلس Atlas الذي يتعالى وسط الرمال بجوار المحيط في مجال ما بعد نهر السالاتا Salata مع ذكر الغابات العديدة والفيلة بجبال المضيق وكذلك بجنوب سلا كولونيا Sala Colonia. ثم يذكر مؤلّف *تاريخ الطبيعة*، بالإضافة إلى كل من روسادير Rhussadir وطنجيس Tingis وزليس Zilis ولكسوس Lixus ومولوكا Mulucha وسلا Sala وروتوبيس Rutubis، مدنا داخل الأراضي، لا سيما وليلي Volubilis وبناصا Banasa وبابّا Babba، وقد لا يشير إلى البلدان المجاورة للمغرب القديم ولا إلى الحدود بين الموريطانيتين، بل يكتفي بذكر نهر سالاتا Salata كحَدٍّ فاصل ما بين موروزيا Maurusie شمالا وجيتوليا Gétulie جنوبا. وبصفة عامة، قد يُلاحَظ نوع من القصور في التعريف بمظاهر موريطانيا الطنجية التي ستُسلّطُ عليها الأضواء طبقاً لمراحل الاحتلال الروماني لها. وبالتالي، ستتضح المعطيات الجغرافية، بل الجوانب الخاصة للولاية الجديدة في إطار أمني واستغلالي للأراضي الغربية والملحقة بالأمبراطورية الرومانية، ذلك ما سيقوم بإنجازه بتفصيل، العالم الجغرافي الأسكندري بطليموس القلودي Claude Ptolémée.

Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, éd. J. Desanges, 1980 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; El Mostafa My Rchid, *Maurusia : Recherches sur la géographie historique du Maroc antique*, 1987.

المصطفى مولاي الرشيد

بليوطة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، يقول عنها الفقيه الرهوني إنها انقرضت سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي قضى على جل سكان تطوان. غير أننا نتوفر على وثيقة عدلية تثبت أنه كان موجوداً بتطوان على قيد الحياة سنة 1762/1175 شخص يدعى :

بليوطة، الحاج علي كان شيخ النظر بالمدينة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بليوط، (سيدي ـ) صاحب الضريح المشهور بالدارالبيضاء، الواقع في الركن الشمالي الشرقي للمدينة القديمة، قرب مدخل الميناء. الكنية الحقيقية لسيدي بليوط، هو أبو الليوث، الذي ورد كثيراً في المراسلات الرسمية المتعلقة بأحباس الضريح وأوجه صرفها. وقد غلب استعمال النطق العامي، فأصبح سيدي بليوط اسما مشهوراً عند سكان الدارالبيضاء، يطلقونه أحيانا على أولادهم.

وإذا تساءلنا عن صاحب هذه الكنية، فإننا لا نجد له ترجمة متفقاً عليها باسمه الحقيقي ولقبه المعروف. بيد أننا نثبت ما رجحه الشيخ هاشم المعروفي البيضاوي، في كتابه *عبير الزهور* من أن الاسم الحقيقي لسيدي بليوط هو : أبو حفص عمر بن هارون المديوني الذي ترجم له ابن الزيات في *التشوف*. وقال عنه "إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين، كثير الاعتزال للناس مداوماً على الاختلاء بنفسه والجلوس في المقابر".

وقد ذكر صاحب *التشوف* أن أبا حفص عمر بن هارون توفي سنة 595 هـ. وذكر له كرامات أشهرها ما ارتبط بلقبه أبي الليوث فقد ذكر أن الأسد كان يأتيه في خلوته، فيمسح على ظهره ويقول له :"اذهب جعل الله رزقك، حيث لا تضر أحداً من المسلمين فينصرف عنه".

وهكذا نلاحظ أن سيدي أبا الليوث عاش، في زمن ظهر فيه كثير من أولياء الله الصالحين. مثل مولاي بوشعيب دفين آزمور ومولاي بوعزة (أبي يعزى) ومولاي عبدالسلام بن امشيش.

وتجدر الإشارة، كذلك، إلى أن بلاد تامسنا، كانت مشهورة بوجود الأسود فيها، كما أن منطقة الدارالبيضاء ما زالت تحتفظ ببعض الأسماء الدالة على وجود الحيوانات المفترسة، مثل : عين السبع، عين الذئاب.

على أن ما ينبغي ذكره، ونحن بصدد التعريف بسيدي بليوط، هو ما ارتبط بضريحه من أحداث تاريخ الدارالبيضاء. فنظرا لأهمية الضريح وحرمته عند السكان، توفر له دخل من الصدقات والمنافع المحبسة عليه لتصرف في أعمال البر والإحسان. وهكذا كانت الدولة المغربية، خلال القرن الماضي، تعين ناظراً لأحباس أبي الليوث. وكانت مداخيل هذه الأحباس تصرف لفائدة الضعفاء القاطنين بجوار الضريح، وفي ختان اليتامى وأبناء الضعفاء. كما كلف ناظر أحباس سيدي أبي الليوث بإيواء المرضى والأفاقيين مما يتوفر في ربيعة الضريح.

وهناك حدث آخر، يرتبط بالتدخل الأجنبي، جعل ضريح سيدي بليوط يدخل ضمن تاريخ الدرالبيضاء المعاصر. فعندما شرع في إصلاح مرسى الدارالبيضاء في بداية 1905 حدث أن مدت سكة حديدة من المرسى إلى محاجر قريبة ويظهر أن السكة مرت قرب الضريح فأصابت بعض أرض المقبرة المجاورة. فكان هذا الانتهاك مما حفز الناس إلى مقاومة أعمال الشركة الفرنسية.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ هـ. المعروفي، *عبير الزهور*.

علال الخديمي

بلْيُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bellon. وقد انقرضت بتطوان سنة 1708/1120، ومن المعلوم أن البليون في الاصطلاح المغربي هو جزء من 20 جزءاً من الريال. والكلمة مأخوذة من الإسبانية Real de Vellon.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بليون، قطعة نقدية إسبانية من الفضة تساوي نصف عشر الريال الإسباني المعروف بدُورُو Duro. وكلمة بليون وجمعه بْلايْن مأخوذة من اسم القطعة بالإسبانية Réal de Vellon.

وتبعاً للرواج الذي عرفته النقود الإسبانية بالمغرب وتصاعدها منذ نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر، فقد استعمل المغاربة كلمة بليون مرادفة لكلمة گرش جمعه گروش (قروش) بنفس المعنى لأن كلا منهما يعني 1/20 من الريال الإسباني. غير أن كلمة بليون شاع استعمالها غالبا في شمال المغرب وجبال الريف أي في مناطق النفوذ الإسباني، بينما شاع استعمال كلمة قرش في بقية جهات المغرب لنفس القطعة الفضية الصغيرة.

وبخصوص البليون هناك اختلاف في الاستعمال بين المغاربة والإسبان، فعلى حين يطلق الإسبان على البليون اسم ريال بليون انطلاقا من اسم القطعة سابقة الذكر، وأحيانا يسمونه ريال بدون ذكر اسم البليون، بينما يطلق المغاربة الريال على 20 بليونا، والبليون على جزء واحد من عشرين من الريال، وهكذا فالريال عند الإسبان يساوي بليونا واحداً وعند المغاربة يساوي 20 بليونا.

ولقد أدى هذا الاختلاف في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مناقشة قانونية بين المغاربة والمفاوضين الإسبان حيث فرضت إسبانيا على المغرب غرامة

مالية من جراء حرب تطوان سنة 1860، وذلك أثناء تحرير فصول معاهدة الصلح، فلما وقع تحديد مبلغ الغرامة بعشرين مليون ريال، وعند تسجيله في المعاهدة، وقع التنصيص في الفصل التاسع على أن الغرامة تبلغ "20 مليون دورو" لأن الدورو لا يختلف من حيث الاستعمال لدى المغاربة والإسبان لكن وقع التأكيد باضافة تعبير آخر في نفس الفصل تحدد الغرامة ب "أربعمائة مليون من ريال بليون" وذلك لاختلاف الاستعمال بالنسبة للريال بين بليون واحد عند الإسبان وعشرين بليونا عند المغاربة، فالريال لا يدل في الواقع على القطعة الكبيرة من الفضة، ذلك أننا نجد احدى نماذج هذه القطعة وقد كتب على ظهرها 20 ريالاً بمعنى أن الريال هو ما يُطلق عليه المغاربة البليون، وقد ضربت هذه القطعة سنة 1859 في عهد الملكة إيزابيلا الثانية Isabel II (1830.1868)، وتزن 27.06 گراما من الفضة، وهي دورو Duro أما البليون فلا يزن إلا 1.453 گراماً من الفضة.

ولقد توطد هذا المصطلح في الاستعمال المغربي، بالخصوص بعدما اتخذ السلطان مولاي الحسن (1873.1894) النقود الإسبانية نموذجا للنقود المغربية التي ضربها بأوروبا سنة 1881. فكان المثقال الشرعي من عشرة دراهم مماثلا للدورو الإسباني ووحداته وذلك حسب الجدول التالي :

المثقال	الدورو	القيمة
عشرة دراهم (ريال حسني)	5 بسيطات (دورو/ريال)	500 سنتيم
خمسة دراهم (نصف ريال)	نصف دورو	250 سنتيم
درهمان ونصف (ربع ريال)	ربع دورو	125 سنتيم
درهم شرعي	نصف بسيطة (2 بلابين)	50 سنتيم
نصف درهم (گرش/بليون)	ربع بسيطة (1 بليون/گرش)	25 سنتيم

أما البسيطة فهي تقابل درهمين شرعيين وقد استعملت بسيطة حسنية كعملة حسابية أثناء عمليات الصرف.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، ص. 140، 1980 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، (مترجم)، ص.413، م. داود، *تاريخ تطوان*، ج.12.

D. Eustache, *Corpus des monnaies Alawites*, p. 340 - 398, 1984 ; A. N. E. , *Asociacion Numismatica Española*, Barcelona, 4 y 5 de Junio de 1970, (Catalogo).

عمر أفا

بلْيُونَش، وتكتب أيضاً بنيونش، أطلال قصور وسط جنان فسيحة تقع غربي مدينة سبتة على بعد ثمانية كلمترات، تطل شمالا على البحر المضيق، فيرتسم ساحلها على شكل هلال يتوسطه خليج بنزو Bensus. أما من جهة البر، فتحدها سلسلة من المرتفعات أكثرها علواً جبل موسى الذي يتاخمها من جهة الغرب (841 م). ومن المعلوم أن جبل موسى هذا أو "جبل القردة" ـ كما تسميه المصادر الكلاسيكية ـ أو أيضا جبل بليونش، هو الذي كان يعرف عند الإغريق والرومان باسم أبيلاً Abilla والذي كان يشكل مع جبل طارق أو كالبِّي Kalpé المقابل له على الساحل الأندلسي، ما عرف تاريخيا باسم أعمدة هرقل Colonnes (*Recherches*, 26) d'Hercule تشكّل هذه المرتفعات التي تغطيها غابة كثيفة حاجزاً طبيعيا يقي المنطقة من الرياح الجافة القادمة من الجنوب، بينما تنفتح بليونش في وجه الرياح الشمالية الرطبة (*اختصار الأخبار*، 55 ؛ *Les navigations*, 3 : 374).

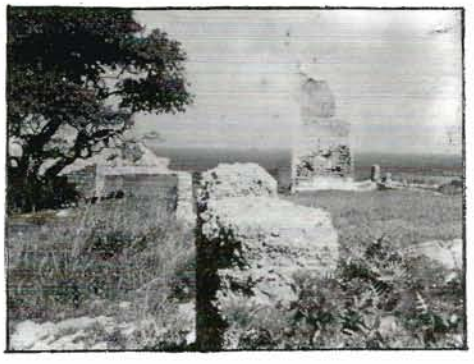

تقع بليونش على بسيط مرتفع ينحدر تدريجياً في اتجاه البحر، وتخترق المنطقة مجموعة من السواقي كانت تدير في طريقها عدداً من الأرحى. وقد استطاعت هذه الأودية أن تحفر عند مصباتها خلجانا، استخدمت كمراسي طبيعية، أهمها اثنان : مرسى بليونش، ومرسى موسى اللذان اعتبرا من أهم المرافئ بالمنطقة لوجودهما في مأمن من الرياح طول السنة (*Description*, 207 - 209). كما ينبع من سفوح المرتفعات عيون كثيرة تتدفق منها مياه غزيرة كثيراً ما كان توزيعها وكيفية استغلالها مصدر خلاف بين أصحاب الجنان خلال العصور الوسطى (*مذاهب الحكام*، 22. 23). والواقع أن هذه المياه الغزيرة هي التي كانت مصدر غنى وجمال بليونش، ذلك أنها كانت تعدُّ من أخصب القرى السبتية وأكثرها انتاجا. فعلاوة على أشجارها المثمرة المتعددة الأصناف وخضرواتها المتنوعة ولحومها وألبانها كانت المنطقة مصدراً مهما لبعض المواد الأولية المغذية لبعض الصناعات المحلية أو السبتية أو حتى العالمية، كقصب السكر الذي خصصت له مزارع بعينها. يضاف إلى ذلك الأخشاب ومعادن الحديد والقار المعدة لانشاء السفن وآلات الحرب وصناعة البناء وغيرها، (*نزهة المشتاق*، 2 : 528 ؛ *اختصار الأخبار* : 56 ؛ *Géographie*, 2 : 169). ولم يكن بحرها أقل من برها، إذ بسواحلها كان يتم جلب الأسماك والمرجان الذي كان يصنع بسبتة قبل تصديره إلى مختلف أسواق العالم (*نزهة المشتاق*، 2 :525 ؛ *الروض المعطار*، 386).

توفرت بمنطقة بليونش كل العناصر الضرورية لإقامة نواة حضرية، وهذه العناصر نفسها هي التي اعتمدها البحاثة الهليني فكتور برنار V. Bernard ليجعل من بليونش وجزيرة تورة Ile du Persil الواقعة وراء جبل موسى، مسرحاً حقيقيا لأحداث ملحمة الأوديسا Odyssée الشهيرة وإطاراً طبيعياً لتحركات بطلي القصة الرومنسية :

كليبسو Calypso ابنة أطلس إله المضيق وحارسه، وأسيرها أوليس Ulysse البطل الاغريقي - (*Les navigations*, 353 ; *Ceuta*, 40) .375

فإذا كنا نصنف ملحمة الأوديسا ضمن الاساطير التاريخية وذلك في غياب أدلة مادية تدعم ما يفترض حول وجود نواة حضرية افريقية ـ بربرية ببليونش منذ ذلك العصر، فلا يوجد ـ كل العكس ـ ما ينفي أن المنطقة عرفت منذ وقت مبكر تأثيرات رومانية. إن الاصطلاح بليونش الذي عُرفت به المنطقة وما زالت تعرف به، يتفرع عن الأصل اللاتيني Vignobles وتعني الكروم. وقد يكون الرومانيون أطلقوا هذا الاسم على المنطقة لكثرة انتاجها لهذه المادة (*Etymologies* ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 317). ووسط بساتين الكروم هذه شيد الرومانيون حصنا لهم أطلقوا عليه اسم اكسلسيا Exilissia (*Recherches*, 30 ; *Ceuta*, 15). وقد استطاع هذا الحصن أن يصمد في وجه نوائب الدهر، فإلى حدود القرن الخامس (11 م) كانت آثاره ما تزال قائمة (*Description*, 208).

مرسى بليونش

خلال العصر الإسلامي توضحت المعالم الحضرية لبليونش بعد أن ارتبطت بسبتة فاستقطبت أنظار هواة النزهة ومحبي الطبيعة من أشراف سبتة والأندلس. فمنذ القرن الرابع (10 م) شدت إليها أنظار الخليفة الأموي عبدالرحمان الناصر (300-350/912-961) الذي بنى بها قصرا على أنقاض قصر قديم، إلا أن هذا الإنجاز لم يعمّر طويلا، إذ خرّبه أهالي مصمودة سنة 340/951-952 (*الاستبصار*، 138؛ *Description*, 207)، ثم خلال العهد العامري تجددت الرغبة في تشييد صرح أميري بالمنطقة، إذ أصدر الحاجب ابن أبي عامر أوامره ببناء قصر على الشاطئ وسط حدائق بليونش، وليحميه من أخطار الأعراب المجاورين وضعه تحت حراسة حصن يطل على البحر (*Histoire de l'Espagne*, 2 : 206).

لم تلبث أن ترسخت بين السبتيين هذه العادة الأندلسية، أو بالأحرى عادة أهل الحضر في اتخاذ منازل للنزهة بالبادية. وقد كان لعامل الأمن والاستقرار السياسي الذي شهدته تلك المنطقة أثر كبير في ازدهار بادية بليونش وزوال الجفوة التي غالبا ما كانت تطبع العلاقة بين البادية والحاضرة. فمنذ القرن الخامس (11 م)، يحدثنا ابن حيان القرطبي (ت. 469/1076). عن متنزهات بليونش وأبنيتها العظيمة (*أزهار الرياض*، 1 : 34). ويستفاد من مصادر أخرى أن بليونش كانت المتنفس الطبيعي لأهالي سبتة، بل المستودع البشري والحزام الغذائي والأمني للمدينة. في سنة 580/1184، صدرت أوامر من الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (580-595/1184-1198) لجلب مياه بليونش إلى سبتة عبر قنوات باطنية، إلا أن ثمة عوارض حالت ـ على ما يبدو ـ دون تنفيذ المشروع إلى ما بعد حين (*الاستبصار*، 136) وفي سنة 632/1235. استنفر أهالي بليونش الغماريون وغيرهم من القرى للدفاع عن سبتة ضد الهجوم الجنوي، هذا الدور الدفاعي كان من المهام التي كثيراً ما كانت تُلقى على عاتق أهالي بليونش كلما تعرضت المدينة لتهديد خارجي، وسوف يتضح أكثر بعد سنة 818/1415. (*Ceuta*, 90).

خلال القرن الثامن (14 م)، ازدادت أهمية بليونش بتضاعف ساكنة سبتة وازدحام بناياتها فأصبحت الرئتين اللتين لا يمكن لسبتة أن تتنفس بدونهما، بل جزءا لا يتجزأ من النسيج الحضري السبتي. فببليونش أقيمت قصور الضيافة حيث يستقبل الوفود والزوار. وفي سنة 763/1362 نزل أبو عبدالله ابن الأحمر سلطان غرناطة في ضيافة أحمد الحسيني بأحد القصور البليونشية، أعد له هذا الأخير ولوفده المتكون من علي بن الحسن المعروف بالنباهي، قاضي غرناطة، ووزيره محمد ابن الخطيب ضيافة ملوكية «أكل من فضل هذه الضيافة ـ كما يقول المقري ـ معظمُ من كان بالقرية، من قوي وضعيف، ورفيع ووضيع» ومن إحدى مراسي بليونش، غادر سلطان بني الأحمر المغرب في اتجاه بلده غرناطة (*أزهار الرياض*، 1 : 38).

يحدثنا المقري عن الاستقبال الذي كان يخصصه الشريف أبو العباس الحسيني بجنانه البليونشية لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب كلما نزل بسبتة موفدا من قبل سلطانه. ومن البديهي أن يثير جمال بليونش وجاذبية منظرها الطبيعي قريحة ابن الخطيب.. فمن بين ما أنشده فيها :

بليونش أسنى الأماكن رفعةً ... وأجلُّ أرضِ الله طراً شانـا
هي جنةُ الدنيا التي مَنْ حلّها ... نـال الرضا والرَّوْح والريحانـا
قالوا القرودُ بها فقلت فضيلةٌ ... حيوانُها قد قاربَ الإنسانـا

وقد سبقه إلى ذلك القاضي عياض وأبو الحجاج المنصفي، وأبو عبدالله محمد بن أبي عبدالرحمان الكميلي وأبو العباس البنشتي، وأبو الحسن بن سعيد العنسي وغيرهم (*أزهار الرياض*، 1: 34-35 ؛ *نفح الطيب*، 2 : 311 ؛ *الروض المعطار*، 103).

مع مطلع القرن التاسع (15 م)، اكتملت الصورة الحضرية لبليونش، إذ تحولت في ظرف ثلاثة أو أربعة قرون من قرية غارقة بين البساتين إلى مركز حضري لا يقل أهمية عن غيره من الحواضر يحتوي على كل المرافق الحضرية الضرورية من منشآت عمومية ودينية واقتصادية

وعسكرية، كالحمامات والمساجد والحوانيت والفنادق والأرحي والأبواب والأبراج. ويبدو أن انتظامها تم وفق تصميم فرضته طبوغرافية المنطقة : فتصافّت عمارتها على جوانب الطرق والمسالك، وأحاطت بها أسوار مدعمة بأبراج. ولعل أهم برج بها برج السويحلة الذي أفاض الانصاري في وصف جماله، وبديع فنونه (*اختصار الأخبار*، 53.52).

والغريب في الأمر أن بليونش ـ بالرغم من هذا التطور الحضري الذي عرفته ـ لم تستطع أن ترقى إلى مستوى المدينة، فظلت تُنعت في معظم المصادر بالقرية باستثناء ياقوت الحموي الذي أحال إليها باسم "المدينة" (معجم *البلدان*، 1 : 493) وقد يكون من العوامل التي حالت دون ذلك اثنان : أولهما افتقادها إلى حصانة طبيعية تقيها من أخطار البر، من ثم يمكن تفسير الطابع الدفاعي الذي اتخذته بيوتات بليونش المحصنة والمدعمة بالأبراج، كما كشفت عن ذلك البحوث الأركيولوجية (*Quelques remarques*, 218 ; *Las ruinas*, 286) ثانيهما وقوعها في حضانة سبتة وتحت تأثيرها.

العاملان معا يفسران ـ من جهة أخرى ـ سرعة اختفاء القرية مباشرة بعد الغزو البرتغالي لسبتة سنة 1415/818. وبالرغم من أن بليونش غدت سهلة الاستيطان بعد أن فر منها الأهالي، فإن البرتغاليين لم يقدروا على احتوائها وضمها إلى مستعمرتهم في سبتة، لضعف امكانياتها الدفاعية (*Le Maroc*, 98 - 99 - 104). بل ستصبح المنطقة مصدر خطر هدد الوجود المسيحي مدة طويلة سيما بعد أن ظهرت بعين المكان رباطات تقوم بتنظيم الحملات الجهادية. وقد أسفرت هذه الوضعية عن قضية شائكة في التاريخ المغربي ـ الإسباني، ذلك أن الإسبان سيسعون إلى محاولة فكّ الحصار المضروب عليهم من طرف قبائل أنجرة عن طريق المطالبة بضم بليونش، فكان ذلك بداية أزمة سياسية بين الطرفين ستستمرّ زهاء قرنين من الزمان.

إن المطلب الإسباني كان يخفي في الحقيقة أهدافا استراتيجية واقتصادية تمثلت في توسيع حدود سبتة إلى ما وراء وادي بليونش والاستفادة من خيرات المنطقة وخصوصا من مائها الذي لا يمكن لسبتة أن تنمو وترقى بدونه. ولم يفضّ هذا الخلاف إلا إبان الحماية الأجنبية، فرنسية وإسبانية، على المغرب، ذلك أن الإسبان استغلوا ظروف غياب السلطة الشرعية، فسارعوا إلى شق قنوات فولادية أوصلوا عن طريقها الماء إلى سبتة، بعد أن انتزعوا ـ بطرقهم الخاصة ـ حق ملكية عيون القرية من أصحابها. حتى إذا كانت فترة الاستقلال وأرغم الإسبان على التراجع إلى الحدود المعترف بها بعد حرب 1860، وجد الأهالي أنفسهم فوق أراض تكاد تكون جدباء، غير قادرين على إحياء قريتهم بعد أن فقدوا ملكية عيونها المائية التي كانت ـ قديما ـ مصدر جمالها وازدهارها وشهرتها.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ م. حسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ م. بن عياض، *مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*، مخطوط، خ. م. رقم : 4042 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان* ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1 ؛ *نفح الطيب*، ج 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الأجزاء 7 ـ 8 ـ 9.

Aboulféda, *Géographie d'Aboulféda*, T. II, 1ère partie, Trad. M. Renaud, Paris, 1848 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1979 ; A. El-Bekri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. M. G. de Slane, Alger, 1913 ; Z. Benramdan, *Ceuta aux XIIIe et XIV siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane à Ceuta*, T. D. L. Aix Marseille I, 1987 ; V. Berrad, *Les navigations d'Ulysse*, 3. *Calypso et la mer de l'Atlantique*, 1971 ; E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Paris, 195 ; R. Ricard, *Le Maroc septentrional au XVe siècle d'après les chroniques portugaises*, *Hesp.*, 1936, T. XXIII, Fasc. 2 ; H. Terrasse, *Quelques remarques sur les édifices de Belyunés*, *Al-Andalus*, Vol XXVIII, 1963, Fasc. 1 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1977 ; L. Torres Balbas, *Les ruinas de Belyunes o Bullines*, *Tamuda*, T. V, 1957.

زليخة بنرمضان

بليونش، أو جبل موسى ـ معارك ـ، في يوم 28 ربيع الأول / 25 أكتوبر1859 أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب، وفيما بين يوم 24 ربيع الثاني/20 نوفمبر و5 جمادى الثانية/30 ديسمبر جرت بجبل موسى المعروف عند الإسبان بجبل بليونش Sierra Bellones عدة معارك وذلك على إثر الغزو الذ تعرضت له أرض المغرب عندما خرج الجيش الإسباني من مدينة سبتة يوم 23 ربيع الثاني/19 نوفمبر

جبل بليونش الذي جرت فيه معارك نونبر ـ دجنبر 1859

واحتل معسكر دار البيضة الواقع بتراب قبيلة أنجرة، وفي اليوم التالي عندما شرع الإسبانيون في تحصين المعسكر المذكور هاجمهم المغاربة وجرت هناك المعركة الأولى التي أسفرت عن مقتل ثلاثة من الإسبانيين وجرح ستة وأربعين منهم.

وتلت هذه المعركة معارك أخرى جرت خلال الشهر المذكور نتيجة للهجومات التي قام بها المغاربة على النحو

بليونش : معركة يوم 19 ـ 11 ـ 1859

التالي :

يوم 26 ربيع الثاني/22 نوفمبر حيث فقد الإسبان سبعة من القتلى وثمانية وأربعين من الجرحى.

يوم 5 جمادى الأولى /30 نوفمبر قتل سبعة من الضباط وخمسة وأربعون جندياً وجرح عشرون ضابطاً وثلاثمائة وستة عشر جندياً.

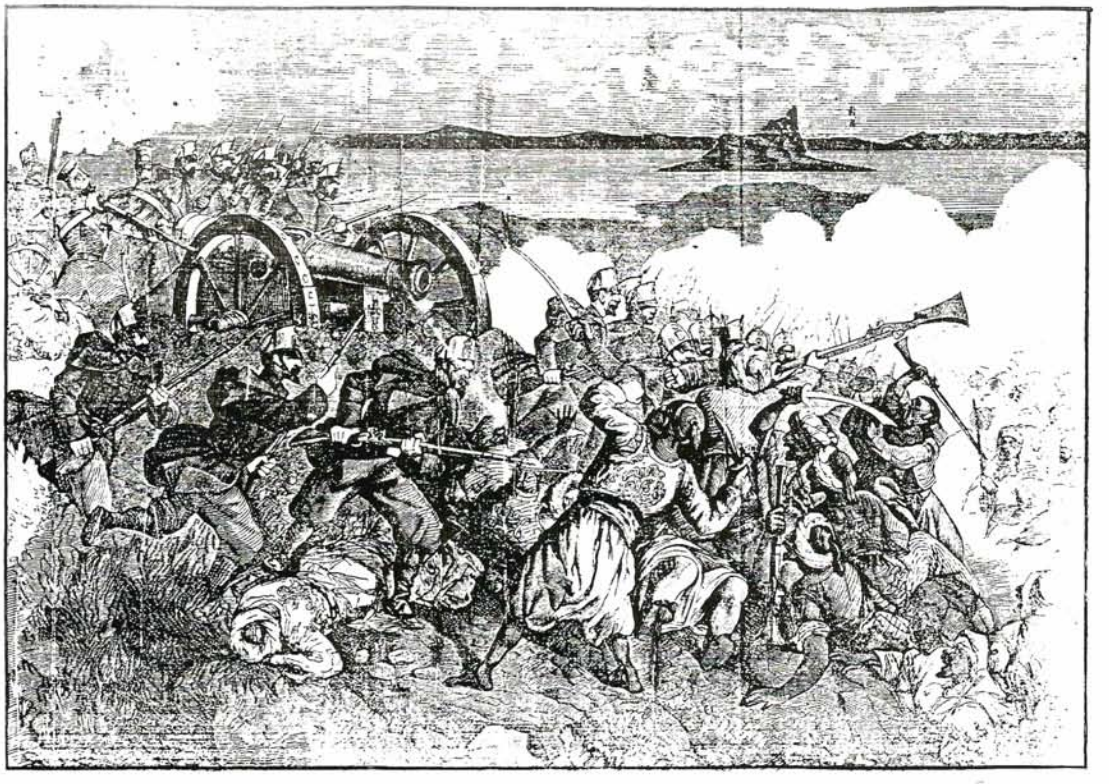

بليونش : معركة يوم 25 ـ 11 ـ 1859

يوم 27 ربيع الثاني/23 نوفمبر قتل منهم ثلاثة من الجنود.

يوم 28 ربيع الثاني/24 نوفمبر أسفر عن مقتل ثمانية وجرح تسعة وثلاثين.

يوم 29 ربيع الثاني/25 نوفمبر قتل ستة من الضباط وستة وثمانون جندياً وجرح عشرون ضابطاً ومائتان وثمانية وتسعون جندياً. وكان من بين القتلى الكولونيل بينيس Pinies ومن الجرحى قائد الجيش الجنرال اشاگوي Echagüe.

بليونش : معركة يوم 9 ـ 12 ـ 1859

يوم 14 جمادى الأولى /9 ديسمبر قتل خمسة من الضباط وخمسة وسبعون جندياً وجرح أربعة وثلاثون ضابطاً ومائتان وتسعون من الجنود.

يوم 20 جمادى الأولى/ 15 ديسمبر قتل ضابط واحد وستة وخمسون من الجنود و جرح خمسة عشر ضابطاً ومائة وسبعة وسبعون جندياً.

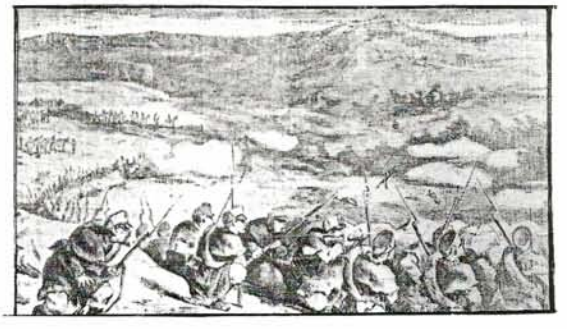

بليونش : معركة يوم 15 ـ 12 ـ 1859

يوم 25 جمادى الأولى/20 ديسمبر قتل ستة من الجنود وجرح خمسة عشر ضابطاً ومائة وتسعة من الجنود.

يوم 30 جمادى الأولى/25 ديسمبر قتل ثمانية جنود وجرح سبعة عشر ضابطاً ومائة وثمانية عشر جندياً.

بليونش : معركة يوم 30 ـ 12 ـ 1859

و أما في المعركة الحادية عشر التي جرت يوم 5 جمادى الثانية/30 ديسمبر فقد قتل فيها ضابط واحد وعشرة من الجنود وجرح أربعة من الضباط وسبعة وثمانون من الجنود.

الجنرال اشاكوي الذي جرح في إحدى معارك بليونش

والجدير بالذكر أننا لم نات إلا بخسائر القوات الإسبانية لاعتمادنا على الوثائق الإسبانية التي عندما تشير أحيانا إلى عدد الشهداء والجرحى المغاربة تعدهم بالمآت بل بالآلاف.

Alarcon, P. A *Diario, Campañas*, T. I, 212 - 225 ; Garcia Figueras, *Recuerdos ceutenacios de la guerra de Africa*, p. 10, 142, 200, 232, 274, 287.

بليونش، (مركيز جبل ـ) Marques de Sierra Bellones لقب منحته الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية إلى الجنرال خوان ذى ثبالا إذي لا بوينطي Juan de Zabala de la Puente جزاء له عما قام به من أعمال في المعارك التي جرت بجبل بليونش (جبل موسى) أيام 20 و22 و23 و25 و30 نوفمبر وأيام 9 و15 و20 ديسمبر 1859 وأيام 15 و21 مارس 1860. وقد ولد هذا الجنرال بمدينة ليما Lima في البِيرُو يوم 27 ديسمبر 1804 وهناك التحق بالأكاديمية العسكرية وبعد تخرجه منها برتبة ضابط صف توجه إلى إسبانيا سنة 1825 حيث شارك في قمع المحاولات العديدة التي جرت بإسبانيا لقلب النظام.

وعند إعلان الحرب ضد المغرب سنة 1860/1276 عُين الجنرال المذكور على رأس الفرقة الثانية للجيش الغازي الذي احتل مرتفعات جبل موسى المجاور لمدينة سبتة حيث جرت هناك عدة معارك عرفت بمعارك Sierra Bellones

ماركيز جبل بليونش

(معارك جبل بليونش) وقد تقلّد الجنرال ثاباه عدة مراتٍ منصب الوزارة مثل وزارة البحرية ووزارة الدفاع وتوفي بمدريد يوم 29 ديسمبر 1879.

A. Domenech, *Zona Norte* ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, T. 70, p. 853 ; T. Garcia Figueras, *Recuerdos*, p. 264.

البُمْباجي، لعل أول من اتخذ هذا الاسم لأسرته هو المكلف بتسيير معمل القنابل المدفعية الذي أسسه السلطان مولاي إسماعيل بتطوان سنة 1694/1105، ومن المعلوم أن كلمة البمباجي تعني صانع البمب وكلمة البمب مأخوذة من الإسبانية Bambo أي القنبلة خصوصا ونحن نعلم أن دار البمبة أو البنبة الحالية كانت تعرف في الماضي بدار البمباجي، وبهذا الاسم نجده في الاحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354.

Vademecum de Interventiones, (año 1931) 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

بمگوت (أيت ـ)، فصيلة من الرحل ذوي النجعات المحدودة تنتمي إلى قبيلة أيت لحسن من لف أيت الجمل التكني. هذه الفصيلة تحرص على إبراز مميزات المشترك الترحالي الرعوي وتقاسم نفس المواصفات مع قبيلتها ولفها. ترتاد عادة تيدرگيت ومشبوك مرورا بوادي درعة والساقية الحمراء. وتتجاوز في تتبعها للمرعى هذه المنطقة واصلة إلى زمور وتيرس حيث كان يوجد خلال العشرينات مَحمد الدليمي كبير أيت بوگزّاتن من نفس القبيلة (انظر أيت بلة). ومن المعروف أن احتكاك قبيلة أيت لحسن بالمجال الترحالي حيث تسيطر القيم اللغوية الحسانية قد افقدها استعمال اللغة الأمازيغية (انظر تراب البيضان). كما أن المشتركات الزراعية لهذه القبيلة تجعل من أراضيها البورية أراضي جموع تستغل حسب عادات وأعراف متوارثة منذ قرنين ونصف (انظر أزوافيط).

أما التنظيم الحربي والاجتماعي لدى فصائل أيت لحسن واستمراره عبر الزمن فتؤكده حماية أيت بمگوت لفصيلتي

السواعد وأولاد الطالب الركيبيتين (*La Chapelle* ; *Les Tekna*, 76 - 77). حتى الثلاثينات من هذا القرن. خلال هذه الفترة كان كبير أيت بمگوت هو الشيخ علي ولد أحمد حسب ما أورده نفس المصدر وما تعززه الرواية الشفوية.

م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، 1991.

P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun in les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publ. du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De La Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental, VIIe Congrès de l'IHEM, Hesp.*, XI, 35 - 96, Rabat - Paris, 1930 ; *Les Tekna du S. O. Marocain, Etude géographique, historique et sociologique, A. F.*, 1934, 9. 109 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, 1948, p. 59, Paris.

مصطفى ناعمي

بن أحمد ـ مركز ـ ← ابن **أحمد** (رتب خطأ)

بن سليمان، أو بنسليمان أو ابن سليمان، إقليم يتكون إداريا من إحدى عشرة جماعة قروية موزعة على دائرتين : دائرة بوزنيقة : وتضم جماعات سيدي يحيى زعير وبوزنيقة وبني يخلف وسيدي موسى بن علي ؛ ودائرة بن سليمان : وتضم جماعات موالين الغابة وفضالات وموالين الواد وأولاد علي والزيايدة ومليلة وأحلاف.

بلغ عدد سكان إقليم بن سليمان سنة 1982 : 174.464 نسمة، من ضمنهم 24.125 في مركز بن سليمان و10.137 في مركز بوزنيقة.

ويمتد تراب الإقليم أساسا على المنطقة الواقعة بين واد الشراط والضفة اليسرى لواد المالح، وهي جزء من الهضاب المنخفضة الأطلنتية الوسطى. ويتعلق الأمر بأشرطة هضبية تنحدر من الجنوب، حيث لا يتجاوز ارتفاعها 400 م، نحو الشمال حيث تشرف على الشاطئ الأطلنتي بواسطة جرف بحري لا يزيد ارتفاعه عن بضعة أمتار. وتفصل هذه الهضاب محاور نهرية تأخذ على العموم اتجاه الانحدار العام عبر أودية متعمقة (واد الشراط، واد النفيفخ، واد المالح). وعلى غرار مجمل الساحل الأطلنتي الأوسط تظهر أشرطة طويلة موازية للشاطئ تمتد على شريط عمقه حوالي عشرة كيلومترات داخل اليابسة، وهي عبارة عن كثبان رملية متصلبة. ورغم الطابع المتقطع الذي تكتسيه أحيانا هذه التلال فإنها تحول دون انسياب المياه السطحية نحو البحر، باستثناء المجاري المتعمقة، وهذا ما يفسر جانبا من ظاهرة "الضايات" المنتشرة فوق هذه الهضاب. كما تتخلل السطح نتوءات صخرية تدعى محليا "بالصخور" من أبرزها صخرة بوشويطينة جنوب بن سليمان، وهي عبارة عن بروزات من الكوارتزيت المرتبطة بالقاعدة الصخرية القديمة.

وبالفعل تتشكل هذه الهضاب من قاعدة قديمة هي جزء من الهامش الشمالي للهضبة الوسطى. وتتكون أساسا من صخور شستية وحثية. ورغم الاستقرار الجيولوجي النسبي للمنطقة منذ الزمن الأول فقد ساهمت الحركات التكتونية والهزهزية في خلق بعض التنوع في التوضعات الرسوبية.

فالتوضعات المنتمية لحقبة الترياس تنتشر غرب واد النفيفخ في اتجاه مقعر برشيد. غير أن التوضعات الحثية ـ الكلسية "المغربية". (نهاية الزمن الثالث) والكثبان الرملية المتصلبة (الزمن الرابع) هي التي تساهم بصورة أكبر في التنوع الصخري لسطوح الهضاب. فالأولى تنتشر جنوب بن سليمان وغرب واد النفيفخ، بينما تنتشر الثانية على طول الساحل.

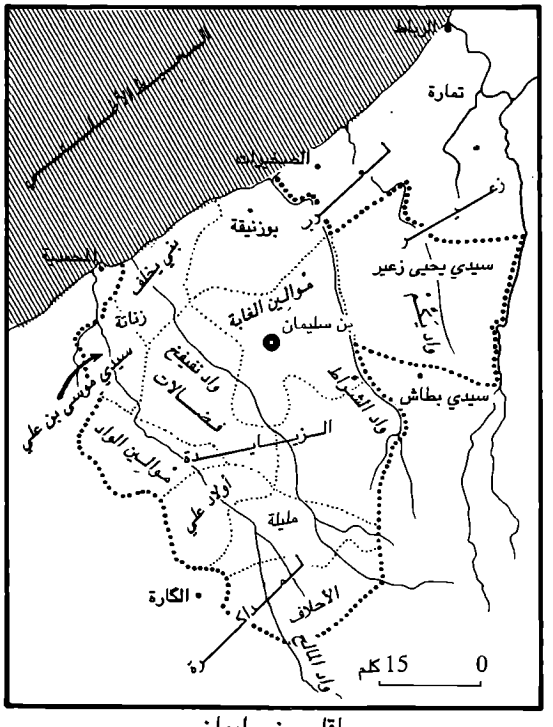

إقليم بن سليمان

ويشكل هذا التنوع الصخري، إلى جانب الوضع الطوبوغرافي، عاملا أساسيا في تنوع التربة. فتربة "التّرس" تنتشر فوق الكلس المغربي، على أن أنواعاً أخرى من "الترس" آليّة تظهر في المنخفضات ووسط الضايات. أما تربة الحمري فترتبط عموما بالتلال الحثية المكونة من الكثبان الرملية المتصلبة. وفوق المناطق الشستية ـ الحثية المنتمية للقاعدة القديمة توجد تربة "الحَرْش"، وهي تربة خشنة تفتقر إلى المواد العضوية.

ويصنف إقليم بن سليمان ضمن المجال المناخي المعتدل النصف جاف. فمتوسط الحرارة الدنيا لشهر يناير لا يقل عن 6.7 في بن سليمان و8.1 في بوزنيقة، بينما يتراوح متوسط الحرارة العليا لشهر يوليوز بين 31.4 في المحطة الأولى و26.8 في المحطة الثانية. وتندرج كميات التساقطات السنوية من 400 إلى 500 ملم في المتوسط، مع نزعة نحو ارتفاع هذه الكميات من الجنوب إلى الشمال، ومن الساحل نحو الداخل. (بوزنيقة 398 ملم، بن سليمان 479 ملم) وفي هذه الظروف يتشكل الغطاء النباتي من غابة البلوط الفليني وتشكيلة "الماطورال" التي تمثل شكلا من الأشكال الناتجة عن اتلاف الغابة.

وتعتبر غابة بن سليمان الممتدة على مساحة 10.000 هـ، [illegible] في المجال المناخي النصف جاف من المنطقة المعتدلة. وإلى حدود مطلع القرن العشرين كان السكان باقليم بن سليمان يمارسون نمط عيش قائم على الزراعة والرعي المتنقل، باستعمال تكامل الرساتيق. فمحاط القبائل، ومنها على الخصوص قبيلة الزيايدة، كان يتكون من رستاق زراعي يمتد على تربة الترس، بينما يخصص الساحل للرعي في إطار ملك جماعي للأرض. وقد استطاع المعمرون اقتناء ما يقارب ربع أراضي الإقليم، في حدوده الحالية، وعلى حساب الملك الجماعي بالمنطقة الساحلية، وكان من نتائج ذلك انتشار زراعة الكروم التي تشكل حاليا إحدى أهم الزراعات في الضيعات المسترجعة.

يعرف النظام الفلاحي بالإقليم تنوعاً ملحوظاً، وذلك بالارتباط مع نظام حيازة الأرض وطبيعة التربة والموقع من الأسواق الحضرية الكبرى المتمثلة في الرباط والدارالبيضاء. فالمناطق الترسية الواقعة في جنوب الإقليم ترتبط من حيث نظامها الزراعي بالشاوية، حيث تسود بها زراعة الحبوب في دورة مع القطانيات. بينما على الساحل تسود زراعة الحبوب الواسعة إلى جانب زراعة الكروم، وتنتشر زراعة الخضر على الشريط الساحلي مستغلة وجود فرشة مائية مرتبطة بالكثبان الرملية المتصلبة، والقرب من الأسواق الحضرية، وهذا هو الشأن بالنسبة لجماعة بني يخلف وسيدي موسى بن علي. وإذا كانت تربية الماشية تشكل عنصرا أساسيا ضمن النظام الفلاحي بالإقليم، خصوصاً حيث تنتشر الغابة، فإن هذا النشاط قد عرف تحولات كبيرة ابتداءً من السبعينات، تمثلت في انتشار تربية الأبقار الحلوب منها على الأخص، وتحسين نسلها واستعمال الاسطبلات. وواكب ذلك تطور المساحات المزروعة بالعلف (الخرطال، الجلبان العلفي ...) كما أن قرب الاقليم من أسواق حضرية كبرى جعل تربية الدواجن تأخذ أهمية بارزة ضمن النشاط الفلاحي. ويتوفر الاقليم على بعض الامكانيات السياحية تتمثل من جهة في الشاطئ الذي يقصده المصطافون الآتون من الرباط والدارالبيضاء، وفي استغلال المجال الغابوي لممارسة القنص من جهة أخرى.

بن سليمان، مركز يقع على بعد حوالي خمسين كيلومتراً شرق الدارالبيضاء. وتعود نشأة كان بولهو Camp Boulhaut وهو الاسم الذي أطلقه الفرنسيون على النواة الأولى لمركز بن سليمان، إلى مطلع القرن العشرين حيث شكلت إحدى نقط الدعم العسكري لجيش الاحتلال إبان غزوه لمنطقة الشاوية. ولعل من أهم أسباب اختيارها وجودها وسط قبيلة الزيايدة، في موضع يستقطب إليه السكان حول سوق أسبوعي كبير (سوق الأربعاء) وبالقرب من ضريح الولي سيدي بن سليمان الذي دأبت قبيلة الزيايدة على إقامة موسمه سنويا إلى حدود الاحتلال الفرنسي.

وقد تحول موقع بن سليمان العسكري إلى مركز للخدمات لفائدة المعمرين الأوربيين الذين استقروا بالمنطقة. غير أن عدد السكان المغاربة بالمركز سار نحو الارتفاع. فمن 351 فردا سنة 1926 انتقل عدد المغاربة إلى 4.522 سنة 1951، في الوقت الذي مر فيه عدد الأوربيين من 308 إلى 651 فرداً خلال نفس المدة. وفي سنة 1960 سجل المركز أكثر من 10.000 نسمة ليرتفع هذا العدد إلى 17.000 نسمة سنة 1971، ثم إلى حوالي 2.400 سنة 1982.

السكان بجماعات إقليم بن سليمان

الدائرة	الجماعة	المركز (ضمن الجماعة)	عدد السكان 1971	عدد السكان 1982
بن سليمان			**94.835**	**106.941**
	احلاف		11.693	11.576
	فضالات		15.504	15.580
	مليلة		10.934	11.389
	مولاين الواد		7.818	8.354
	مولاين الغابة		11.382	13.588
		بن سليمان	17.302	24.125
	أولاد علي		8.876	10.081
	الزيايدة		11.326	12.248
بوزنيقة			**46.829**	**67.523**
	بني يخلف		11.723	20.010
	بوزنيقة		13.205	20.946
		بوزنيقة	4.942	10.137
	سيدي موسى بن علي		10.979	13.760
	سيدي يحيى زعير		10.922	12.807
مجموع الإقليم			141.664	174.464
سكان حضريون			22.244	34.262
سكان قرويون			119.420	140.202

وهكذا تكون ساكنة بن سليمان قد تزايدت بوتيرة أسرع من مجموع الساكنة الحضرية بالمغرب. فبين 1936 و1960 كان معدل تزايدها السنوي هو 6٪ مقابل 3،4٪ بالنسبة لمجموع السكان الحضريين، وبين 1960 و1971، 4،6٪ مقابل 4٪. غير أن وتيرة التزايد هذه عرفت بعض التقلص خلال الفترة 1971.1982 حيث لم تتجاوز 3،04٪ في حين كان هذا المعدل بالنسبة لمجموع الساكنة الحضرية هو 4،4٪ ويعزى النمو السريع الذي عرفته بن سليمان إلى الهجرة القروية، ذلك أن 87٪ من أرباب أسر المركز سنة 1971 وُلدوا خارج بن سليمان، حيث ينتمي 43٪ منهم إلى قبيلة الزيايدة. غير أن بن سليمان تشكل كذلك محطة للهجرة في اتجاه المحمدية والدارالبيضاء.

وتعتبر مدينة بن سليمان مركزاً للخدمات على صعيد منطقة الزيايدة. فالتجارة والخدمات تشغلان أكثر من 65٪ من الساكنة النشيطة، مقابل 48٪ بالنسبة لمجموع السكان الحضريين بالمغرب. وكان من المفروض أن يستفيد المركز من قربه من الدارالبيضاء فيستقطب بعض الأنشطة الصناعية، وبالفعل استقرت بالمدينة ثلاثة معامل (صناعة الصنابير، معمل للنسيج ومعمل للجوارب). إلا أن المخططات الحالية في مجال توطين الصناعة على الصعيد الوطني استثنت بن سليمان من لائحة المدن المرشحة لاحتضان مناطق صناعية جديدة، وذلك لفائدة بوزنيقة، بحجة الحفاظ على المؤهلات السياحية للمدينة. لذلك فإن الصناعة، بما في ذلك الصناعة

التقليدية، لاتشغل سوى 20٪ من السكان النشيطين (مقابل 30٪ على صعيد مجموع المدن).

وقد بقيت الوظيفة العسكرية طاغية على المركز حتى بعد الاستقلال. فمن خلال احصاء 1971 تبين أن 20٪ من الساكنة النشيطة كانت تزاول مهنة عسكرية أو شبه عسكرية، إلى جانب الوظيفة الإدارية التي كانت تهم 16٪ من السكان النشيطين. وقد تعززت الوظيفة الإدارية للمركز عقب إنشاء إقليم بن سليمان سنة 1977.

وكان من نتائج ارتقاء المركز إلى مقر عمالة أن شهدت بن سليمان تحولا عمرانياً سريعاً، حيث تم القضاء على أحياء الصفيح، خصوصا منها دوار عين العشرة شمال المركز.

تحريات ميدانية.

محمد الرفاص

بن سودة، أهم مركز في الضاحية الجنوبية لمدينة فاس ليس فقط من حيث عدد سكانه بل وكذلك من حيث توسعه المجالي. وقد ساعد على هذا التوسع موضعه الهضبي المنبسط، الذي يتوفر على فرشة مائية لا بأس بها، وموقعه وسط منطقة سايس الفلاحية جنوب غرب فاس تربطه طرق ثانوية بالمدينة الموجودة على مسافة أقل من ستة كلم وبالقرى المجاورة. وهو عبارة عن أملاك مخزنية تم بيعها للجماعة القروية عين الشقف التي كان مركز بنسودة ينتمي إليها قبل دجنبر 1990، ومنذ هذا التاريخ أصبح ينتمي لعمالة زواغة مولاي يعقوب تبعا للتقسيم الإداري الجديد.

وعن تاريخ هجرة السكان إلى هذا المركز يرجح أنه ظهر في بداية الثلاثينات انطلاقا من تجمع عمال الضيعات الفلاحية والمقاطع الحجرية بمحاذاة السكة الحديدية، حيث عرف قطاعا الفلاحة والبناء ازدهارا مهما منذ العشرينات عندما استولى المعمر على الأراضي الفلاحية الجيدة وطرد منها قبائل الگيش وعندما أخذ في تشييد المدينة الجديدة لفاس، الشيء الذي جلب اليد العاملة لهذه المنطقة عامة وبن سودة خاصة.

ترجع تسمية هذا المركز إلى مقلع حجري كان مستغله يدعى ابن سودة. إنه عبارة عن ورش بناء عرف تحولات كبيرة منذ نشأته إلى اليوم. ففي البداية كانت هذه التحولات مرتبطة بالسيل الهائل للمهاجرين الذين يتهافتون على مسكن كيفما كان حجمه لاقترابه من سوق العمل الذي توفره نسبيا مدينة فاس وضيعاتها المجاورة، ومنذ أواسط الثمانينات أصبحت هذه التحولات نوعية حيث أخذت الدولة تنظم هذا المجال مع إنشاء مرافق إدارية واقتصادية، غير أن هذه التحولات مهما كانت مهمة فهي تظل محدودة.

بن سودة

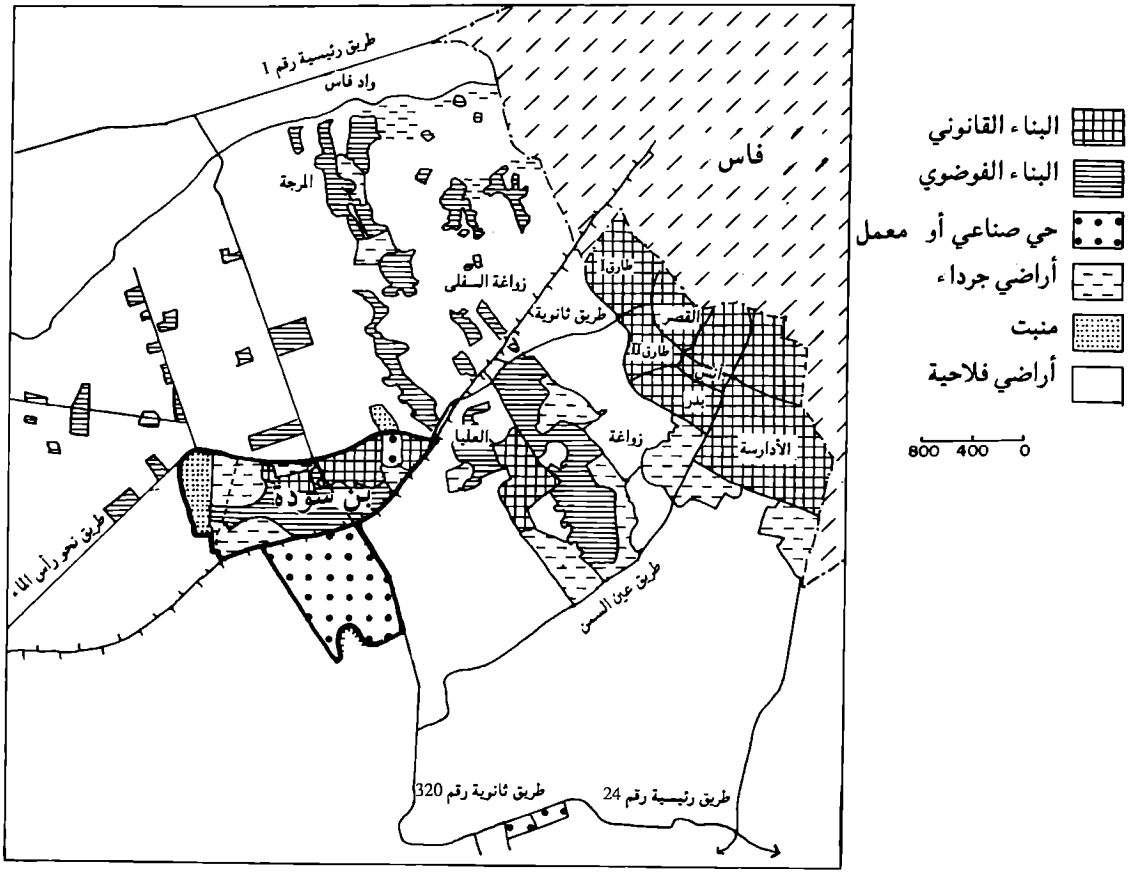

بن سودة مركز انفجار ديمغرافي : ظهر دور بن سودة لأول مرة في إحصاء سنة 1960 بـ 2814 نسمة، وارتفع هذا العدد إلى 5581 خلال إحصاء 1971 ثم إلى 17.120 نسمة خلال 1982.

وترتبط الزيادة العارمة التي عرفها هذا المركز بعامل الهجرة التي تهم نصف سكانه الذين أتوا من الأرياف المجاورة خاصة، ويمكن التمييز بين ثلاث فترات : الفترة الأولى قبل 1950 : يلاحظ في أوائل الثلاثينات أنه هاجر إلى بن سودة أرباب الأسر دون اصطحاب ذويهم كأنها هجرة موسمية لليد العاملة فقط، لكنها أخذت شيئا فشيئا تهم بعض أفراد الأسر، ورغم هذا فقد كان عدد أرباب الأسر يفوق باقي السكان، وكانت حصيلة هذه الفترة ضعيفة لم تتجاوز 4٪ من مجموع السكان الوافدين على المركز. الفترة الثانية خلال الخمسينات والستينات أي فترة الاستقلال وما بعده مباشرة. تضاعف خلالها حجم الهجرة وفاق حصيلة الفترة الأولى خمس مرات. أما الفترة الثالثة التي تاتي بعد 1970 فهي تتميز بهجرة مكثفة خاصة خلال النصف الثاني من السبعينات. وكان مجموع النازحين خلالها ثلاثة أضعاف الفترتين السابقتين.

المؤسسات التعليمية في بن سودة : خلال 1982 لم تكن هذه المؤسسات تجاوز ثلاث مدارس وإعدادية واحدة. وكانت نسبة تمدرس الأطفال آنذاك 53.1٪ من مجموع الأطفال وارتفعت هذه النسبة إلى 68.5٪ خلال 1986، وفي أواخر الثمانينات أصبح مركز بن سودة يتوفر على أربع مدارس وثانوية ومؤسسة التاجموعتي للتربية والتعليم مما أدى إلى ارتفاع نسبة تمدرس الأطفال.

بالإضافة إلى البناء "بحي الصفيح" الذي كان سائداً في بن سودة هناك مبانٍ صلبة لم تكن تمثل خلال إحصاء 1971 سوى 4.3٪ من مجموع المباني، وترجع هذه النسبة للمساكن التي ساهم في بنائها برنامج التغذية العالمي وهي تحمل اسم هذه المنظمة (بام) ويقترب عددها من 600 مسكن على شكل دور "مغربية" ذات طابق أو طابقين. وخلال 1982 انتقلت نسبة المباني الصلبة إلى 12٪ حيث تمّ تشييد مساكن لموظفي عمالة فاس ومجموعة أخرى لموظفي شركة لاسيميف. وخلال 1986 ارتفعت نسبة المباني إلى 24.1٪ حيث عرفت بعض المساكن الهشة تحولا في نوع بنائها بالاضافة إلى بعض المباني الجديدة. ومنذ يوليوز 1989 أخذت الدولة تعوض سكان الدور الهشة ببقع تتراوح مساحاتها بين 60 و80 م^2 حسب حجم الأسرة شريطة أن يتم هدم المسكن الهش لتسليم المستفيد رقم البقعة.

وهناك تحولات أساسية في مركز بن سودة سواء على مستوى نشاط السكان أو التجهيزات الاقتصادية للمركز. لقد ارتفعت نسبة النشيطين المشتغلين وعرفت تغيراً بين الفترتين الاحصائيتين إذ انتقلت من 24.7٪ سنة 1971 إلى 27.8٪ سنة 1982 وربما رجعت أهمية هذه النسبة إلى اعتبار بعض الأنشطة التي ليست سوى بطالة مقنعة مما جعل نسبة العاطلين تتقلص بشكل ملحوظ من 5.4٪ سنة 1971 إلى 1.8٪ سنة 1982.

انخفضت نسبة المشتغلين بالفلاحة بأكثر من الثلث بين 1971 و1982 بحيث لم تعد تشغل سوى 4.3٪ مما يدفعنا إلى التساؤل هل هذا التراجع ظرفي يعكس الأزمة الاقتصادية التي خلفتها فترة الجفاف أم تحول جذري ؟ نلاحظ أولاً أن العدد المطلق لليد العاملة بالفلاحة لم ينخفض إن لم نقل عرف ارتفاعاً طفيفاً إذ انتقل من 643 إلى 670 عامل بين 1971 و1982. ثانيا هناك علاقة بين تراجع المجال الفلاحي بمنطقة زواغة بن سودة وعدم ارتفاع نسبة المنشيطين به، بحيث إلى جانب ارتفاع سكان بن سودة عرفت منطقة زواغة نسبة تزايد سنوية مرتفعة بلغت 17.4٪ بالإضافة إلى ظهور عديد من التجزئات السكنية كتجزئة بدر التي تمتد على مساحة 25.4 هكتار وتجزئة طارق 1 و2 على مساحة 34 هكتار تقريباً. وإذا كان تاريخ الشروع في بناء هذه التجزئات هو سنة 1983، إلا أن التهيئة المجالية وتوزيع البقع على المستفيدين انطلقت منذ أواخر السبعينات.

ارتفعت الصناعة العصرية بنسبة 1٪ بين إحصائي 1971 و1982. وقد ظهرت وحدات صناعية في بن سودة لم تتعد الأربع، ففي سنة 1974 تم تأسيس شركة الصناعة الميكانيكية والكهربائية، وبدأ العمل بالشركة المركزية للحليب سنة 1979 ومعمل الغاز التابع للمكتب الشريف للبترول سنة 1980 ومعمل الخروب سنة 1981، لم يتجاوز عدد المشتغلين بهذه المعامل 48٪ من الساكنة النشيطة للمركز خلال إحصاء 1982. بينما كان الباقي من العاملين بهذا القطاع ينتقل يومياً إلى فاس خاصة إلى الأحياء الصناعية سيدي إبراهيم والدكارات. ورغم ما تضمه أنشطة البناء من عدد هائل لليد العاملة فإنها لم تسجل سوى ارتفاع 8.8٪ بين 1971 و1982 بينما سجلت قطاع الحرف ككل ارتفاع 17.9٪ وحرف الانتاج 17.5٪.

وعلى مستوى المؤسسات التعليمية بالاضافة إلى مدارس ابتدائية وثانوية أصبح المركز يلعب دوراً مهماً بحيث توجد به المدرسة العليا للأساتذة ومركز صناعي للتكوين تم افتتاحه في أكتوبر 1990، ومؤسسة خيرية للتربية والتعليم يلجأ إليها الأيتام والفقراء من أطفال كل المنطقة، ومؤسسة محمد الخامس للمكفوفين. وعلى المستوى الصحي توجد بالمركز إلى جانب المركز الطبي والمستوصف عيادة خاصة وصيدليتان.

وعلى الصعيد الصناعي تم إنشاء حي صناعي منذ أواخر السبعينات للتخفيف من الضغط الواقع على أحياء سيدي إبراهيم والدكارات الصناعية بفاس، على مساحة أكثر من 60 هكتار مقسمة على 132 بقعة تتراوح مساحاتها بين 500 م^2 وهكتار ونصف، وتشتمل على خط حديدي هو لحد الآن في خدمة معمل الغاز، ويمكن للوحدات الصناعية الأخرى استغلاله في نقل السلع وتوزيعها. وقد أخذت بعين الاعتبار نوع الصناعات التي ستقام بالحي لتجنب مشكل

التلوث سواء على مستوى المياه أو الهواء لمدينة فاس، لا سيما وهذه المنطقة توجد بعاليتها وقريبة من الاتجاه السائد للرياح الغربية. فالصناعة الموجودة بالحي هي إما غذائية أو تهتم بخياطة الملابس الجاهزة، وبلغ عدد المصانع الكبرى التي كانت تعمل به إلى حدود سنة 1986 عشرة أغلبها في حوزة الفاسيين الذين يعتبرون بن سودة كحي من أحياء فاس.

دراسة معدة لنيل دبلوم الدراسات العليا.

عائشة الخميري

بن صميم أو بنصميم، من أقدم القرى في الأطلس المتوسط الغربي (جماعة إركلاون، دائرة أزرو، إقليم يفرن) يقع في منطقة اتصال الهضبة العليا الكلسية ليفرن وسهل تگريگرا الغريني، محاذية للطريق الثانوية الرابطة بين يفرن وأزرو.

تحتل القرية موضع عالية سفح يعلو 1.400 م على شكل مدرج يشرف على وادي بن صميم الصغير. ونظراً لهذا الارتفاع وهذا الموقع يكون الشتاء بارداً وتنزل التساقطات التي تكون أحياناً ثلجاً بمعدل سنوي يفوق 800 ملم، مما يجعل المنطقة تتوفر على مؤهلات طبيعية مهمة تتمثل في غزارة المياه وانتشار غابات البلوط الأخضر والأرز. هذه الغابات تشكل مراعي للماشية وموارد للخشب. وقد مثل هذان الموردان العنصر الحاسم في تعمير المنطقة، إذ استقرت بها مجموعة من المزارعين الذين قدموا من تافيلالت وذلك منذ تأسيس الزاوية.

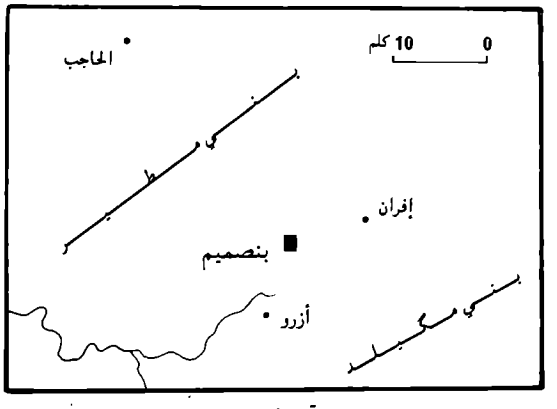

موقع بنصميم

لقد كانت قرية بن صميم تزود المراكز الحضرية المجاورة، كفاس ومكناس، بالأخشاب المنقولة على البغال التي كانت تعود محملة ببعض المواد الاستهلاكية. وبعد انقراض هذا النشاط تعاطى السكان منذ بداية القرن العشرين فلاحة هزيلة تعتمد على استغلال الامكانات المحدودة للمحيط الوحيد الذي يشكل إطار عيشهم. بالإضافة إلى زراعة الحبوب والقطاني البورية. تنتشر الزراعة السقوية المنتجة للخضر والفواكه على طول وادي بن صميم. وتتميز الحيازات بتشتتها عبر رساتيق مختلفة، كما تتميز بطابعها المجهري، إذ لا تتجاوز مساحة غالبيتها بضعه مئات من الأمتار المربعة. لذلك اهتم الفلاحون باستكمال النشاط الزراعي بتربية الماشية. غير أن قطعان الأغنام والماعز والبقر غالبا ما تكون هزيلة. وتجدر الإشارة إلى أن سكان بن صميم هم مربُّو الماشية المستقرون دون غيرهم من القبائل المجاورة، إذ أن قطعانهم ترعى محليا أو غير بعيد في المراعي الجماعية بالقرب من مطار يفرن.

نظراً لضعف الانتاج الفلاحي، يلجأ جل الفلاحين إلى البحث عن أنشطة مكملة في عين المكان، وذلك عندما تنعدم إمكانية الهجرة. لكن المخيمات الصيفية التي تقام بجانب القرية لا توفر إلا بعض فرص التشغيل المؤقتة، كما أن بناء أكبر مستشفى لمعالجة داء السل بالمغرب في الخمسينات على مقربة من القرية خلق العديد من مناصب الشغل بالنسبة للسكان وخاصة الشباب منهم بالإضافة إلى أن هذا المشروع ساهم في التعريف بالمنطقة التي تمتاز بجمال طبيعتها، إلا أن إغلاق هذا المركز الصحي في بداية لعقد الأخير كان له وقع سيِّء على هذه القرية التي لم تعرف أي تحسن لوضعيتها منذ تلك الفترة، حيث سجل عدد سكانها انخفاضاً ملحوظاً من 1576 نسمة سنة 1971 إلى 1207 نسمة في سنة 1982.

يتمركز مجموع الساكنة داخل قرية بن صميم باستثناء بعض الدور المنعزلة، ويظهر السكن على شكل متراص ومزدحم. وينتظم النسيج السكني حول المسجد الذي يعتبر زاوية كذلك، على شكل بنية شعاعية. وباستثناء بعض الخلايا الصغيرة المنعزلة عن النواة في الغرب، فإن مجموع المنازل تنتظم على طول أزقة صغيرة تنتهي كلها عند ساحة الزاوية. وتتميز هذه الدور المنخفضة والمبنية بالطين بسطوحها المنبسطة المغطاة بالشيست المهشم المعروف بضعف مقاومته لتقلبات الجو الشديدة. ورغم أن هذه التقنية الصحراوية مازالت سائدة، فإن المواد الجديدة للبناء أخذت تغزو الإطار السكني لقرية بن صميم.

أما فيما يخص التجهيزات فعلى عكس بعض المجموعات الريفية الجبلية نجد أن هذه القرية تتوفر على الكهرباء والماء الشروب وشبكة الوادي الحار، كما تتوفر أيضا على بعض المرافق الاجتماعية ذات السمات الحضرية، كالحمام الذي تستغله الزاوية والفران ومدرسة ابتدائية ومستوصف ومركز للهاتف. إلا أن النشاط التجاري بقي محدوداً (جزار واحد وبعض بائعي التوابل). مما يدفع السكان للتنقل إلى أزرو قصد قضاء حاجياتهم والاستفادة من الخدمات التي لا تتوفر في المركز.

يستعمل المسجد علاوة على إقامة الصلاة كمقر للزاوية التي أسست على ما يبدو من طرف شرفاء أدارسة استعارت فخذات سكان بن صميم أسماءهم مثل أيت عبد الرحمان وأيت عبد القادر وأيت بلقاسم وأيت عبد الله أ لحسن الذين يعتقد أنهم قدموا من الجنوب واستقروا بهذا المركز منذ عهد قديم حيث كانت تمثل زاويتهم رباطاً. وكان

المقيمون بها ينعتون باللهجة البربرية "إمرابطن" أي المرابطين، وقد شكلت هذه الزاوية مركزاً دينياً ذا نفوذ كبير يحظى باحترام وتقدير قبائل بني مگيلد النصف الترحالية التي كانت تقدم إليها الهدايا والقرابين كلّما تنقلت نحو الجبل أو نزلت إلى أزغار. ومما يفسر هذا النفوذ أن الزاوية كانت مركزاً لتعليم القرآن والحديث وتطبيق التشريعات الإسلامية في تنظيم الحياة الاجتماعية القروية في الوقت الذي كانت المناطق المجاورة خاضعة للأحكام العرفية "إزرف" حيث كانت تحرر فيها عقود الزواج والبيع والشراء والإرث ويقوم الفقهاء بتقديم الفتاوى. وقد عرفت الزاوية فرقاً طرقية مختلفة من تجانية ودرقاوية مازالتا تتمتعان بنفوذ كبير في المنطقة. إلا أن هذا الاشعاع مافتئ أن تراجع حيث تقلص نشاطها وضعف نفوذها، ورغم هذا هناك من السكان من لايزال يعتبرها من مفخرة المنطقة.

الخريطة الطبغرافية ليفرن، وأزرو، أطلس المغرب، أطلس الموارد الطبيعية للمغرب، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971، الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982، استمارة ميدانية ماي 1987.

A. El Belghitit Alaoui, *Urbanisation et émigration du monde rural*, Thèse de doctorat de spécialité, 1978 ; G. Beaudet, *Les Bni Mguilde Etude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade du Maroc R.G.M.*, n° 16, 1969.

عائشة البلغيثي العلوي

بن قرّيش (دار ـ) وتكتب أيضا ابن قرّيش وبنقريش، قرية بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر التي كانت تعرف قديما بقبيلة بني يجّم، وسبب تسمية القرية هو أنها من تأسيس أسرة أولاد بن قَرّيش الشريفة التي هاجرت من الساقية الحمراء في القرن التاسع الهجري (15 م).

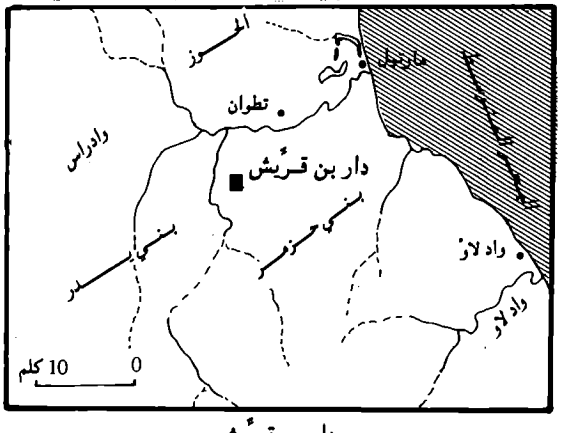

دار بن قـرّيش

وليس لدينا ما يثبت تاريخ تأسيس القرية، وكل ما نتوفر عليه هو ما جاء في المذكرة التي أعدها القبطان الإسباني كوگويو دو Cogolludo رئيس فرقة الشرطة التي أحدثت بتطوان بمقتضى عقد الجزيزة الخضراء لسنة 1906، يقول القبطان المذكور إنه "في سنة 1689/1100 كانت القرية تشتمل على خمسة من الدور وأن عدد سكانها كان نحو أربعين نفرا، وذلك بعد مرور عشرات السنين على بناء الدار الوحيدة التي كانت بالقرية".

كما نجد مذكرة أخرى أعدتها إدارة المراقبة بالقبيلة سنة 1931/1350 تقول :"إن تأسيس القرية يرجع تاريخه إلى حوالي أربعمائة سنة وأنها كانت تعد بمثابة عاصمة لقبيلة بني حزمر سنة 1640/1050 حيث كانت بها مدرسة للتعليم الديني اندثرت عندما انتقل جل أفراد عائلة ابن قريش إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري".

ولا شك أن واضع المذكرة الأخيرة اعتمد في كلامه على رواية شفوية كانت تروج بالقبيلة، وهي رواية تحتمل الصحة، لأن أسرة ابن قَرّيش اشتهرت فعلا بكون جل رجالها كانوا علماء وفقهاء يزاولون خطة القضاء والإفتاء والتوثيق والإمامة والخطابة والتدريس بمدينة تطوان من سنة 1628/1037 إلى سنة 1793/1207.

ويقول القبطان كوگويودو في *مذكرته* : إن جل الصناع التطوانيين الذين كانوا يربون دود الحرير في فصل الصيف كانوا يختارون الشرانق الجيدة و يضعونها في صناديق من خشب ثم يتوجهون بها إلى قرية دار بن قَرّيش فيتركونها بأحد أضرحة القرية إلى أن يأتي فصل الصيف الموالي فيعودن بها إلى تطوان، وسبب ذلك أن الناس كانوا يعتقدون أن الشرانق التي تحفظ بدار بن قَرّيش تنتج حريراً أكثر جودة من الشرانق المحفوظة في قرية أخرى.

وعلى إثر احتلال تطوان يوم 12 ربيع الأول 19/1331 فبراير 1913 لعبت قرية دار ابن قَرّيش دوراً رئيسياً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني لناحية جبالة، حيث تأسس بالقرية أول رباط للجهاد يوم 20 ربيع الثاني 29/1331 مارس 1913. فتأخر سقوط القرية المذكورة بيد الجيش الإسباني إلى يوم 9 شوال 26/1338 يونيو 1920 حيث أنشأت بها إدارة للمراقبة العسكرية بالقبيلة ومنها انطلقت العمليات العسكرية التي مكنت القوات الإسبانية من احتلال مدينة شفشاون يوم 20 محرم 4/1339 أكتوبر 1920.

ولجودة مناخ القرية اختارتها إدارة الحماية لتشييد المصحة الوحيدة الخاصة بداء السل التي كانت توجد في شمال المغرب، فكان ذلك سبب ازدهار القرية التي أصبحت بعد الاستقلال مقر قيادة القبيلة.

Cogolludo El bagalato de Tetuan (Marreucos), 1920 ; *Intervencion de Ben Karrich, Memoria del año 1931* ; Comicion historica, *Geografia*, p. 52 - 54 - 61 - 164 - 175 - 493 ; *Campañas*, t. 2, p. 693 - 697 - 703 - 712 - 761 - 764 - 785 - 796 - 809.

محمد ابن عزوز حكيم

بن گرير، ويكتب أيضاً بن جرير وابن جرير، مركز ينتمي إلى المنطقة الاقتصادية لتانسيفت، ويمثل إحدى قيادات دائرة الرحامنة الثلاث، وهي قيادة الرحامنة الوسطى التابعة لعمالة إقليم السراغنة الواقعة شمال سلسلة الجبيلات.

تقع بن گرير عند تقاطع خط الطول 57' 7° وخط العرض 14' 32° شرق مدينة اليوسفية. يعبرها محور طريقي حيوي،

تمثله الطريق الرئيسية رقم 7 الرابطة بين مدينتي طنجة والعيون والمارة بمدينة الدار البيضاء في الشمال ومدينة مراكش مقر عمالة إقليم الحوز في الجنوب.

بدأ تطور هذا المركز مع إقامة أول قاعدة عسكرية أمريكية في منطقة الرحامنة منذ أواسط هذا القرن، انطلاقا من أقدم حي بالمركز يعرف بحي "الزاوية" الذي أقيم حول ضريح سيدي أحمد ابن عزوز.

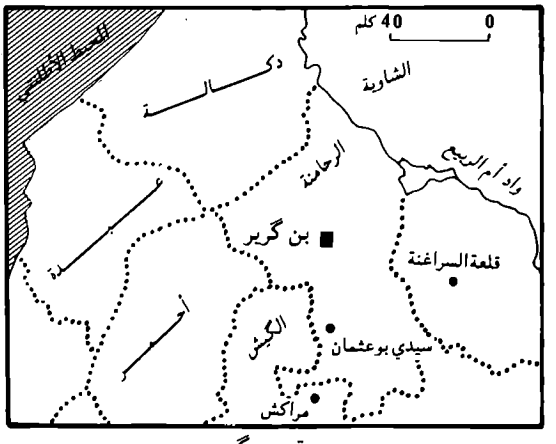

موقع بن گرير

ولا بد من الإشارة إلى أن مؤهلات ضواحي هذا المركز الطبيعية ضعيفة، فالقاعدة الصخرية أولية شستية تعتبر الهامش الجنوبي للرحامنة تغلفها في الهوامش الشرقية والجنوبية طبقات كلسية كريتاسية وايوسينية لهضبة الگنتور بنيتها منضدية. والمناخ قاري ينتمي للطبقة البيومناخية الجافة بتساقطات لا يتعدى معدلها 200 ملم مع شتاء بارد (0° و3°) وصيف جاف حار (35° في المتوسط). ويعكس هذا الجفاف غياب الغطاء النباتي الشجري، وكذا ضعف التربة التي تبقى هيكلية من نوع الخبار المؤهلة لإقامة نشاط رعوي إلى جانب نشاط زراعي بوري مقلال تسود فيه زراعة الشعير بمردودية ضعيفة.

الكثافة السكانية الإقليمية ضعيفة بأقل من 40 نسمة في الكلم2. لكن المركز عرف مؤخراً تطوراً سكانياً سريعاً، فقد قفز عدد سكانه من 6.941 نسمة سنة 1971 إلى 22.354 نسمة سنة 1982. وتسببت في هذه الزيادة السريعة عدة عوامل منها : اكتشاف مناجم الفوسفاط بالمنطقة، وإنشاء مكتب جهوي للمكتب الشريف للفوسفاط تابع لمديرية اليوسفية منذ سنة 1974، لاسيما وأن فوسفاط بن گرير يعتبر من أجود أنواع الفوسفاط المغربي، كما يضم مدخراً يأتي في المرتبة الثالثة بعد مدخرات مناجم خريبگة واليوسفية. يتم تصديره خاماً إلى معامل المركب الكيماوي بأسفي وإلى مينائه عبر خط سكة حديدية أقيم لهذا الغرض.

كما أن حدة الجفاف الذي عرفته منطقة الرحامنة خلال السنوات الخمس 80 ـ 85 دفعت بالعديد من سكان الرحامنة وإقليم السراغنة إلى الهجرة في اتجاه مركز بن گرير بحثاً عن العمل، في مركز أصبح اليوم محطة أنظار سكان دائرة الرحامنة بعد اكتشاف مناجم الفوسفاط بضواحيه، ونظراً لوظيفة المركز التجارية كمحطة خدمات طريقية، يتنبأ لها بمزيد من النمو والازدهار. لذلك تم التخطيط لبناء مركب تجاري ضخم في السنوات القليلة القادمة، مع الشروع في بناء فندق من ثلاثة نجوم، لا سيما أنه كان ولايزال يشكل مقر سوق وطني للماشية التي توزع منه إلى جميع أنحاء المغرب، ولا سيما بعدما أصبح بن گرير مقراً لقيادة وجماعة الرحامنة الوسطى إلى جانب وجود ثانوية (الثانوية الجديدة) وإعداديتين، مع مفتشية للتعليم الابتدائي نظرا لتعدد المدارس الابتدائية بالمركز بالإضافة إلى وجود دار للشباب تابعة لوزارة الشبيبة والرياضة ومركز للتعاون الوطني.

هكذا تعرف رقعة مركز بن گرير توسعاً مطرداً سنة بعد أخرى، ويتمثل في تعدد أحيائه وهي : حي "الزاوية" ودوار الجديد، وحي الراضي، وحي افريقيا، إلى جانب الحي الإداري وحي الفوسفاط، وتتكون جميعها من سكن صلب، تنعدم فيه مساكن الصفيح.

وقد تطورت هذه الأحياء بصفة عامة على طول الطريق الرئيسية رقم 7 وعلى الجهة الشرقية للطريق بصفة خاصة. هذا التطور الذي يعكس ارتباط المركز بوظيفته التجارية القديمة كمحطة طرقية وكسوق للماشية، واتساعه الحالي في اتجاه الشرق صوب مناجم الفوسفاط المكتشفة مؤخراً.

الخرائط الطبوغرافية بمقياس : 1 / 50.000 التالية : *بن گرير* ؛ *صخور الرحامنة* ؛ *سيدي بوعثمان* ؛ *واد بوشّان* ؛ *خريطة المغرب الطبوغرافية* لمقياس 1 / 1.200.000 ؛ *خريطة جيولوجية عامة للمغرب* بمقياس 1 / 2.000.000 ؛ *أطلس المغرب للثروات الطبيعية* 1983، مغرب التنمية ؛ *السكان القانونيون للمغرب*، حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982 ؛ ثانوية مركز بن گرير، *مجلة المشكاة*، العدد 8، سنة 1986 (عدد ممتاز وخاص عن منطقة الرحامنة) ؛ *بحث ميداني في عين المكان*.

Carte metallogémique du Maroc, ech. 1/2.000.000 ; Ch. Sauvage, *Atlas du Maroc, Etages Biclimatiques*, Rabat, 1963 ; H. Gaussen et J. Debrach, F. Joly, *Atlas du Maroc, Précipitations Annuelles*.

محمد الطبلسان

بَـنْ گـيـزْ، قرية كانت تقع على مشارف هسكورة السهل، شرق الجبل الأخضر غير بعيد عن واد أم الربيع، بين بولعوان ومشرع بن عبّو. ولم تسلم هذه القرية في أوائل القرن العاشر (16 م) من الهجومات العنيفة التي كان يشنها البرتغاليون على قبائل دكالة، رغم بعدها عن مراكز الاحتلال البرتغالي وقد وصلت إليها جيوش الاحتلال المرابطة بأزمور في فبراير 1514 م. وأرغمتها على الرضوخ لشروطها بعد أن عجز السعديون عن حمايتها.

أ. بوشرب، *دكالة*.

Marmol, *L'Afrique* ; *S.I.H.M, Portugal* I et II.

محمد الشياظمي

الإنسان بالمغرب
الفك الأسفل للأشلولتروب
مقلع طوماس : الدار البيضاء (انظر صفحة 837)

الفك الأعلى والأسفل
الإنسان الإيبيروموروسي (انظر صفحة 838)

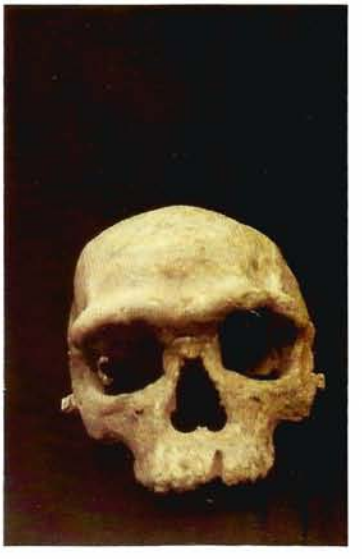

الإنسان بالمغرب
إنسان إيغود (انظر صفحة 838)

هيكل عظمي
الإنسان الكارديالي
العصر الحجري الحديث القديم (انظر صفحة 839)

الإنسان بالمغرب
الإنسان العطيري (انظر صفحة 838)

الإنسان بالمغرب
جمجمة إنسان العصر الحديث (انظر صفحة 839)

أوكاليبتوس : سيدي يحيى (انظر صفحة 907)

أوّال : جبل بويبلان (انظر صفحة 916)

أوكاليبتوس : واد الشراط (انظر صفحة 907)

عملية التنقيب في فترة ما قبل التاريخ (انظر صفحة 917)

أوّال : شجرة ضخمة (انظر صفحة 916)

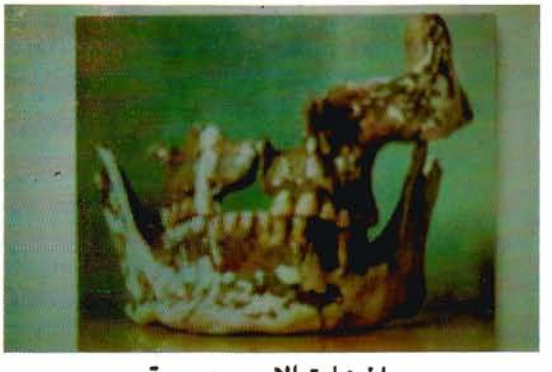

الحضارة الإيبيروموروسية
عادة إزالة الأسنان في سن 14 (انظر صفحة 919)

أيفس : أوراق وثمار (انظر صفحة 930)

باريتين : معدن (انظر صفحة 987)

الباز (انظر صفحة 989)

أيفس : كثبان الصويرة (انظر صفحة 931)

إوزة رمداء (انظر صفحة 896)

بحيرة عواً (ضاية –) (انظر صفحة 1081)

بحيرة الوليدية (انظر صفحة 1082)

بحيرة آفورگاخ (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة الناضور (بوعرگ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة إيفر (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة سيدي بوغابة (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة حشلاف (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة أكلمان سيدي علي
(انظر صفحة 1081)

البط الخضيري (انظر صفحة 1264)

باخنّـو (انظر صفحة 962)

بطم (انظر صفحة 1274)

بشنيخـة

البغـل (انظر صفحة 1296)

البقر (انظر صفحة 1298)

بلوط فلليني (انظر صفحة 1364)

البقس (انظر صفحة 1299)

بلوط فلليني (انظر صفحة 1364)

بلان (انظر صفحة 1326)

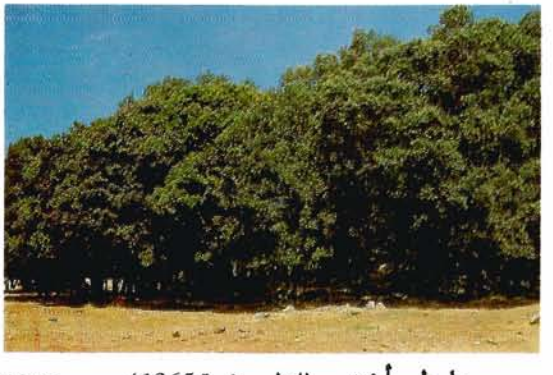

بلوط أخضر (انظر صفحة 1365)

بلوط قرمزي (انظر صفحة 1366)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

بلوط الزان (انظر صفحة 1366)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

البلوط القزمي : الكريش (انظر صفحة 1367)

انتهى طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في فاتح ربيع النبوي عام 1412 / 10-09-1991

مطابع سلا
المجمع الصناعي لتابريكت
الهاتف: 78 .87.02 سلا

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

Imprimerie de Salé

Lot 14, Zone Industrielle de
Tabriquet - B.P. 596 - Salé
Salé - MAROC 78.87.02

Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

1991 - 1411

Encyclopédie du Maroc

التقسيم الزمني	وقائع سياسية واقتص فى المغرب
عام 253 . 260 / 867 . 873	قحط شديد عم المغرب والأندلس وافريقيا ومصر ثم ما وراءها من بلاد الشرق العربي.
عام 270 / 83 . 884	قيام إمارة بني مدرار بجنوب المغرب.
عام 297 / 9 . 910	انقراض إمارة بني مدرار.
عام 305 / 17 . 918	هجوم مصالة بن حبوس قائد عبد الله الشيعي الفاطمي على المغرب.
عام 310 / 22 . 923	استيلاء موسى بن أبي العافية على مملكة فاس وبلاد المغرب بعد موت الحسن الحجام الإدريسي.
عام 317 / 29 . 930	تظاهر بني إدريس على قائد موسى بن أبي العافية.
عام 323 / 935	
عام 324 / 936	
عام 358 / 969 عام 359 / 970	
عام 384 / 994	بناء مدينة وجدة على يد زيري بن عطية المغراوي.
عام 392 / 1002	موت المنصور بن أبي عامر وقيام ملوك الطوائف بالأندلس.
عام 424 / 36 . 1037	اشتداد المنافسة بين أمراء بني يفرن وأمراء مغراوة.
عام 440 / 1049	خروج يحيى بن إبراهيم الگدالي إلى الشرق واتصاله بأبي عمران الفاسي في القيروان.

253 . 440 / 867 . 1049

المواقع الرئيسية	في بقية العالم الإسلامي
الغرب والشرق العربيان سجستان	قيام الدولة الصفدية.
تاهيلالت	
الغرب	الفاطميون بالمغرب.
فاس	
مكة	استيلاء القرامطة على مكة.
مصر	قيام الدولة الأخشيدية بمصر.
مدينة الزهراء	بناء مدينة الزهراء بقرطبة.
القاهرة الأزهر	انتقال الفاطميون من تونس إلى مصر وبناء القاهرة. بناء جامع الأزهر.
وجدة	
الأندلس	
قرطبة	نهاية خلافة قرطبة بالأندلس.
الصحراء القيروان	

Encyclopédie du Maroc

4